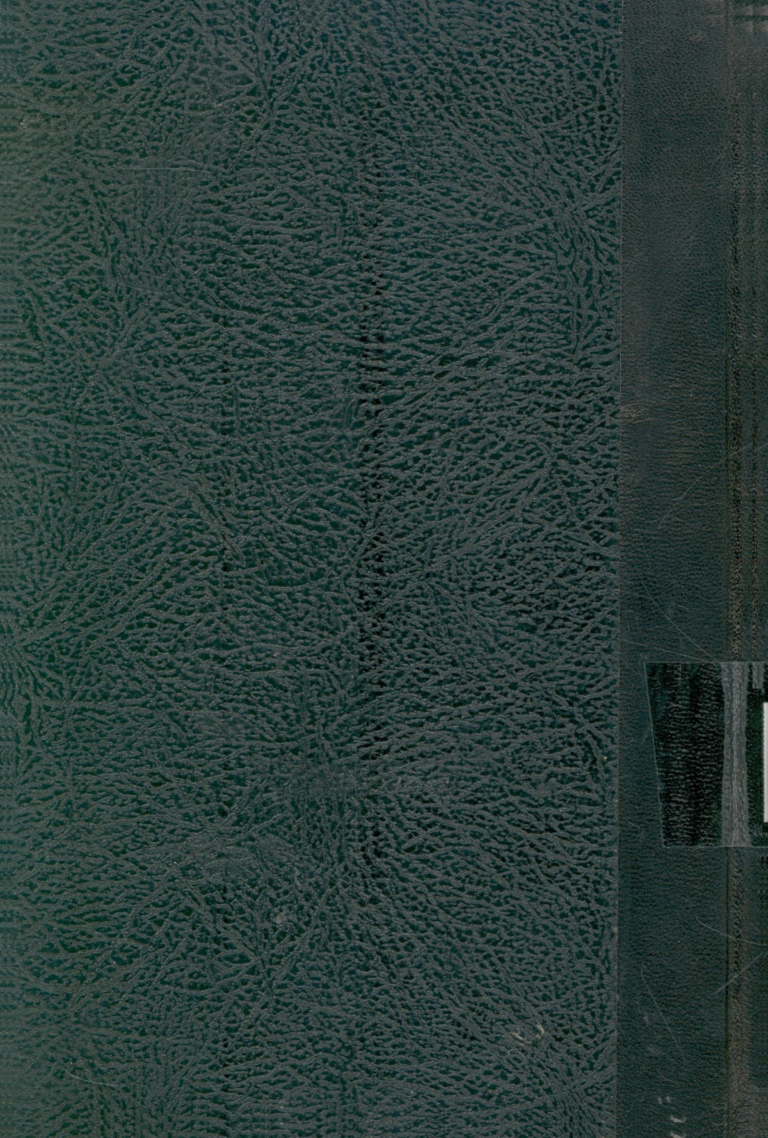


المقتطف

مجلة علمية صناعية زراعية

لمنشئيها

يعقوب صرّوف دكتور في الفلسفة
وفارس نمر دكتور في الفلسفة

المجلد الثاني والاربعون

قيمة الاشتراك في السنة جنيه افرنجي (٢٥ فرنكاً) يدفع سلفاً

AL-MUKTATAF

AN ARABIC SCIENTIFIC REVIEW

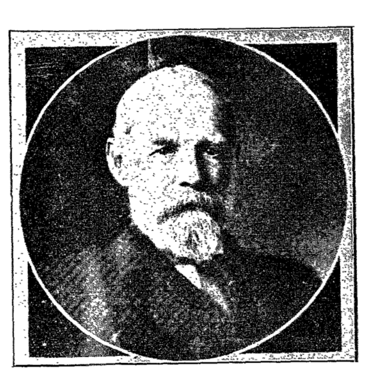
EDITED BY
Y. SARRUF, Ph. D. AND F. NIMR, Ph. D.

VOL. XLII

Al-Muktataf Printing Office,
Cairo, Egypt.

سنة ١٩١٣

فهرس المجلد الثاني والاربعين



السر جورج داروِن



الاستاذ هنري بوَنكري

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثاني والاربعين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٣ محرم سنة ١٣٣١

السر جورج داروِن

نعينا الى القراء في شهر سبتمبر الماضي اكبر علماء الرياضيات عند الفرنسويين واكبر فلاسفتهم المسيو جول هنري بوَنكري ولم تنصرم السنة حتى لحق بهِ صديقهُ السر جورج داروِن اكبر علماء الرياضيات عند الانكليز . توفي في السابع من دسمبر عن ٦٧ سنة من العمر وهو ابن داروِن الشهير صاحب الرأي الداروني وكتاب اصل الانواع

ولد سنة ١٨٤٥ وتلقى مبادئ العلوم على القس تشارلس برتشرد الذي صار استاذاً للفلك في جامعة اكسفرد . ثم انتقل الى جامعة كمبردج سنة ١٨٦٤ وكان الثاني في العلوم الرياضية واقام فيها عشر سنوات يدرس ويدرّس . واهتم بدرس العلوم الاقتصادية والسياسية وانتظم في سلك المحامين سنة ١٨٧٤ لكن صحتهُ لم تمكنهُ من هذا العمل فعاد الى كمبردج وانقطع للعلوم الرياضية ولاسيما ما يتعلَّق منها بعلم الفلك وكان قد كتب في بعض فروع هذا العلم وخصوصاً في تكوُّن النظام الشمسي وتولُّد القمر من الارض فانتُخب استاذاً للفلك وممتحناً في الفلسفة

والعلوم الرياضية نظرية كلها كما لا يخفى ولكن علماء الانكليز استخدموها وسيلة لامور عملية فلورد كلفن الذي كان اعظم رياضي واعظم طبيعي في عصرهِ استخدم العلوم الرياضية في التلغراف والحك والمد والجزر ونحو ذلك من الامور النافعة . والسر جورج داروِن استخدم الرياضيات لمساعدة لورد كلفن في معرفة الاوقات التي يظهر فيها المد والجزر ودرجاتهما وتغيرهما بتغير الاوقات والاماكن . وفائدة ذلك في الملاحة اشهر من ان تذكر في بلاد يعظم المد فيها كبلاد الانكليز . ويقال انهُ لولاهُ ما تمكن لورد كلفن من الوصول الى القواعد

التي وضعها لمعرفة اوقات المد والجزر ولا لجعل الملاحة الانكليزية في المنزلة الاولى في الدنيا· والبحث في المد والجزر وفعل القمر فيهما قاد السر جورج دارون الى البحث في تاريخ القمر ومبادرة الاعتدالين ونحو ذلك من المواضيع الفلكية العويصة

ولم يقتصر على نشر المباحث النظرية المملوءة بالقضايا الرياضية بل نشر سنة ١٨٩٨ كتاباً في المد ونحوهِ من الظواهر الطبيعية اخلاهُ من المباحث الرياضية فاقبل الجمهور على قراءتهِ وتُرجم الى لغات كثيرة · وكان في أُخريات ايامهِ آخذاً في تنقيحهِ ليطبع طبعةً جديدة

وقد جرى في علم الفلك مجرى ابيهِ في علم الاحياء اي انهُ بحث عن اصل العوالم ورجع بها الى غابر الزمن قبلما تكونت الاجرام السموية وصارت تتجاذب وتدور كما ترى في خطبتهِ لما كان رئيساً لمجمع تقدُّم العلوم البريطاني حينما اجتمع في جنوبي افريقية · وقد ترجمناها ونشرناها في المقتطف سنة ١٩٠٥ وجعلنا موضوعها «شمول مذهب النشوء» وهي من ادق ما كتب في هذا الموضوع العويص

وممَّا اشتغل بهِ في تطبيق العلوم الرياضية على المصالح العمومية تحليل الارصاد الجوية المختلفة لاستخراج القواعد التي تجري بموجبها ومساعدة الذين مسحوا بلاد الهند في حل المشكلات التي تعترضهم وهم يبحثون عن بعض المعلومات الارضية كالجاذبية ونحوها ممَّا يقتضي معارف رياضية دقيقة · وقد عاد عملهُ هذا عليهِ بالمدح الجزيل من علماء المانيا وغيرهم من اراكنة العلم · ومن ثم انشئَ مجمع دولي للبحث في كل المسائل المتعلقة بشكل الارض وحركاتها وجُعل هو نائب انكلترا فيهِ · وكان يتأهب لحضور اجتماع هذا المجمع في همبرج في شهر سبتمبر الماضي لما أُصيب بالمرض الذي قضى عليهِ

ولهُ من التآليف ايضاً رسائل عمَّا وجدهُ بالاحصاء من نتيجة تزوج اولاد الاعمام بعضهم ببعض · وفي انحراف المطار بسبب حركة الارض وفي المد والجزر وفعلها بالارض والقمر وفي شكل السوائل الدائرة على محورها وفعل النيازك وغير ذلك من المواضيع وقد اعطي لقب سر سنة ١٩٠٥

وآخر موقف وقف فيهِ كرسي الرئاسة لمؤتمر الرياضيين الدولي الذي التأم في كمبردج في اواخر اغسطس الماضي · وقد منحتهُ الجمعية الملكية ارفع وسام عندها وهو وسام كبلي وذلك في اكتوبر سنة ١٩١١ وكان نسيبهُ السر فرنسيس غلتن قد نال هذا الوسام في السنة السابقة فتوفي بعد ذلك بسنة وكتب السر جورج ترجمتهُ ثم توفي هو بعد ما نال هذا الوسام بسنة سائراً في خطة نسيبهِ ففقدت الجمعية الملكية اثنين من اركانها في سنتين

الاحتفال بتعلية خزان اصوان

احتفل في ٢٣ دسمبر بتعلية خزان اصوان احتفالاً عظيماً برئاسة الجناب الخديوي وبحضور فخامة اللورد كتشنر وحضرات النظار والمستشارين وكبار الموظفين وبعض المديرين وكبار موظفي الري وجمهور من اعيان المحافظات والمديريات ومندوبي الصحافة وغيرهم من المدعوين. فتلا سعادة اسمعيل باشا سري ناظر الاشغال العمومية الخطبة التالية :— قال موجهاً الخطاب الى الجناب العالي

مولاي

ان هذا الاحتفال الباهر الذي تنازلتم سموكم وتكرمتم بان ترأسوهُ لحري بنا ان نجعلهُ يوماً مذكوراً في تاريخ الاعمال الكبرى التي عمَّ نفعها فازدان بها حكمكم السعيد وخلدت لسموكم اطيب الذكرى . ولا غرو فان الاعمال التكميلية الجليلة لخزان اصوان التي لي عظيم الفخر والشرف بان اعرضها لمقامكم السامي وافية الصنع تامة المبنى لم يكن مرماها الاَّ فتح عصر رقي للبلاد في سبيل الشؤُون الاقتصادية وليكون من ورائها امداد البلاد بالماء الوافر الذي هو مادة الحياة لقوام الامم التي مدار نجاحها وتقدمها على الزراعة

ولا خفاء انهُ لم يكد يتم بناء هذا الخزان في عام ١٩٠٢ على مبناهُ الاصلي الذي قُدّر لهُ حتى بدت من ورائهِ فوائد جمة ادت الى اتساع نطاق الزراعة ثم ظهرت من بعدها بوادر الخير في صيف ١٩٠٣ غير انهُ قد تبين من خلال عوامل شتى مختلفة الاسباب منها تحويل ري الحياض في اقاليم مصر الوسطى واتساع نطاق زراعة القطن في بسائط الدلتا وارتفاع قيمة الاراضي المنخفضة المجاورة للبحيرات الواقعة في الانحاء البحرية وازدياد مطالب الري تدريجاً ان الحال تدعو الى التفكير بضرورة خزن مقدار من المياه اكثر من ذي قبل وفاء بحاجة الري ليكون على ما يرام في الازمان التي يكون فيض النيل فيها نزراً يسيراً

وبعد التروي في هذا الموضوع الكثير الصعاب تبين ان ضالتنا المنشودة ان هي الاَّ زيادة مقدار المياه في ذلك الخزان ولم تتيسر هذه الامنية الاَّ بتعلية بنائهِ وتقويتهِ . على ان هذا الامر السهل قد صادفهُ مانع كبير وهو انهُ متى ارتفع منسوب المياه في الخزان قد ينشأ عنهُ زيادة انغمار جزيرة أُنس الوجود بالماء بهيا كلها وسائر الآثار التاريخية في صعيد وادي النيل . ولتعذُّر اقامة سد آخر وافٍ بالغرض يكون موقعهُ موافقاً للغاية المطلوبة قد تقرر

العمل بهذا المشروع واتخذت التدابير اللازمة التي تناسب مقتضيات الحال احتفاظاً بالعاديات المصرية التي هي موضع اهتمام الحكومة الاكبر

ولامراء في ان خزان اصوان الذي أُعلي جداره الحاجز بقدر خمسة امتار يستجمع فيهِ الآن مليارات وثلاثمائة مليون متر مكعب من الماء اي بزيادة مليار وثلاثمائة وعشرين مليون متر مكعب على سعتهِ الاصلية . والمأمول ان هذه الزيادة الكبرى يتيسر بها في ابان التحاريق الاعتيادية ري مساحة اضافية من الارض تبلغ نحواً من مليون فدان . ومن ثم يصبح بازاء هذه الاماني التي تعلل النفس بتحققها ايضاح اهمية ما كان لخزينة الحكومة من فضل الاجادة ببذل المال لانجاز هذا المشروع الكبير. ولقد يبلغ مجموع النفقات مليوناً واربعمائة وثمانين الف جنيه مصري منها مبلغ مائتين وستين الف جنيه قيمة نزع ملكية الاراضي التي غمرتها مياه الخزان . فاذا اضيفت الى هذا المبلغ النفقات الاولى ونفقات بناء الاعمال الصناعية التي أُقيمت للوقاية يكون مجموع النفقة على سد اسوان في حالهِ الحاضرة اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات

وخليق بنا في مثل هذا المقام ان نذكر بالمنة والشكران اولئك الافاضل الاعلام الذين عاونوا نظارة الاشغال العمومية وآزروها احسن موأزرة فوضعوا مشروع تعلية هذا السد الكبير وقاموا بهِ خير قيام حتى اتوا على انجازهِ طبق المرام لانهم والحق يقال قد جاهدوا في التغلب على المشكلات الهندسية الجمة التي انطوت في ثناياهُ وهم جناب السير وليم جارستن والمستر وب مستشارا النظارة سابقاً والطيب الاثر المأسوف عليهِ السير بنيامين باكر مستشار الخزان الفني وجناب المستر مكدونالد وكيل النظارة حالاً ومدير الخزانات العام سابقاً وجناب المستر ماك كوركديل المهندس المقيم على الخزان والمستر ايرد وشركاؤُهُ المقاولون المشهورون والمستر رانسوم والمستر رابيه مقاولا الاعمال الحديدية . وانهُ ليسرني ان اضيف الى ما سبق ورود الانباء بان جلالة الملك قد انعم على المستر وب بنشان سان ميشيل وسان جورج من رتبة كومندور

وانَّا في هذا المقام نسأل العزة الربانية ان تؤَيد سموكم وتطيل بقاءكم عوناً وخيراً لمصلحة هذه الديار بمنهِ عزَّ وعلا

فتفضل الجناب العالي واجابهُ بالخطبة الآتية :—

يا سعادة الناظر

اعدُّ من حظي ان اشرف على هذا الاحتفال فاني طالما اهتممت اعظم اهتمام بذلك

العمل الكبير ألا وهو خزان اصوان الذي نحتفل اليوم بتمام اعلائهِ المكمل لبنائهِ واني لاغتنم هذه الفرصة لاعرب لكم يا سعادة الناظر ولاعوانكم الاجلاء عما يخامر فؤادي من مزيد الارتياح ولاهنئكم كذلك

هذا وارى ان سعادة مصر لا تزال على الدوام موضوع عظيم اهتمامي كما اني سأُواصل السير في هذا السبيل على الخطة التي رسمها لي من تقدمني من آبائي واجدادي

ثم تلا فخامة اللورد كتشنر الرسالة التالية قال

امرني جلالة الملك بان ابلغ الى سموكم الرسالة الخاصة التي أتشرف بتلاوتها الآن على مسامعكم الكريمة وهي

«ارغب اليكم في هذه الفرصة المباركة بان تعربوا للجناب العالي الخديوي عن تهنئتي القلبية لسموهِ بانتهاء الاثر الجليل الذي يتصل بهِ اسم عمي الدوق اوف كونوت

واذ كنت اواصل بنظري الاهتمام الشديد بنجاح القطر المصري فاني اشاطر مع سموهِ الاغتباط باتمام ذلك الاثر الجليل الذي ستنجم عنهُ مزايا جزيلة متواصلة النفع الى زمن مديد لارباب الاطيان جميعًا ولا سيما لصغار المزارعين

والآن قد كفل هذا الخزان الفخيم الذي يحتفل سموهُ بافتتاحهِ اليوم ورود المياه الغزيرة للري فقد بات من المتوقع بذلك و بما لدى الحكومة من مشروع النظام الشامل للصرف في الجهات الواطئة من الدلتا ان يكون لمصر مستقبل زراعي باهر

هذا ولا زلت مستبقيًا في نفسي احسن ذكرى لزيارة سموهِ اياي بانكلترا منذ عهد قريب»

ولما اتم لورد كتشنر قراءة هذا الكتاب اجابهُ الجناب الخديوي شاكرًا وادار مخلاً فنزل حجر غرانيت كبير نقش عليهِ انهُ تمّ تسميك الخزان وتعليتهُ ووضع الحجر الاخير فيهما في ٢٣ دسمبر سنة ١٩١٢ في السنة الحادية والعشرين من ملك سمو الخديوي عباس الثاني

وسنأتي في الجزء التالي على وصف الاعمال التي عُملت لتعلية سد الخزان وتقويتهِ وما اقتضتهُ من النفقات وما نتج عن انشاء هذا الخزان من النفع وما ينتظر منهُ بعد تعليتهِ

العلم في العام الماضي

الانثروبولوجيا

وجدت آثار بشرية في ايست انجليا ببلاد الانكليز ارتأى بعض العلماء انها من عصر البليوسين من الدور الثالث . وكان المرجح ان الانسان لم يوجد قبل الدور الرابع . ووجد هيكل عظام قرب ايسوك ببلاد الانكليز ايضاً يرجح انهُ من العصر الجليدي وهو هيكل رجل بين السنة الثلاثين والاربعين من عمرهِ طولهُ خمس اقدام وعشر عقد لا تفرق عظامهُ عن عظام الناس في هذا العصر الاَّ في قصبة الساق ودليل جمجمتهِ ٧٥ اي ان نسبة قطرها من جانب الى آخر الى قطرها من الامام الى الوراء كنسبة ٧٥ الى ١٠٠ وظهر من فحص كثير من العظام القديمة ان السكسونيين سكان كنت كانوا في القرن السادس متوسطي القامة دقاق العظام وان ابدان نسائهم كانت اشبه بابدان رجالهم من ابدان النساء بابدان الرجال الآن

واكتشفت البعثة العلمية التي أرسلت الى غينيا الجديدة جيلاً من الاقزام اسمهُ التبيرو متوسط طول الرجل منهم اربع اقدام وتسع عقد ودليل جمجمتهِ ٧٩ ونصف وشعرهم اسود قصير صوفي وهم يستعملون الظران وخناجر العظم وقسيًّا طويلة جدًّا

ولقد كان لخطبة الدكتور اليوت سمث رئيس قسم الانثربولوجيا في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني التي ترجمناها ونشرناها في المقتطف شأن كبير لانهُ يعدُّ من اكبر الثقات في علم تشريح الدماغ وقد مُنح نشان الجمعيَّة الملكية لاشتغالهِ بهِ

البيولوجيا

اهم ما نشر في موضوع البيولوجيا اي علم الحياة خطبة الاستاذ شفر رئيس مجمع ترقية العلوم البريطاني التي ترجمت ونشرت في المقتطف . وقد كثر البحث فيها والانتقاد عليها لان الاستاذ شفر من الذين يفسرون الحياة بانها عمل آلي في عناصر الجسم الحي لا بأنها شيء قائم بنفسهِ يتصل بالمادة ويفارقها . اي انها مثل خواص المادة الطبيعية والكيماوية كالمرونة في العاج والصلابة في الحديد لا مثل الماء الذي يوضع في اناء فيملأهُ ثم يصب منهُ فيفرغ

ومن المؤيدين للمذهب الآلي الاستاذ جاك لوب وقد جعل بيوض بعض الحيوانات البحرية تنقف عن حيوانات من نوعها من غير تلقيح وذلك باضافة بعض المواد الى ماء البحر . وفعل غيرهُ ما هو اغرب من ذلك وهو انهُ ثقب بيوض الضفادع غير الملقحة بابرة فنمت وتولدت

منها الدعاميص ولكنها ماتت قبلما صارت ضفادع · واثبت المسيو الكسس كارل انهُ يمكن نزع بعض الاعضاء من جسم الحيوان وحفظها ستة عشر يوماً الى عشرين يوماً من غير ان تفقد حيويتها · وكتب الاستاذ منشن فصلاً في الميكروبات التي لا ترى بالميكرسكوب لصغرها وقال ان منها ميكروبات الجدري وميكروبات الحمى القرمزية وميكروبات دفثيريا الحمام وميكروبات مرض دود الحرير وغيرها من الامراض المعدية التي لم يرَ مكروبها حتى الآن فان اعراضها تشبه اعراض الامراض التي تسببها الميكروبات · ويحدث احياناً ان الحيوان الذي يعالج بجرعة كبيرة من المصل المضادّ للمرض الذي فيهِ اذا عولج بعدها بجرعة صغيرة من ذلك المصل اماتتهُ · وقد فُسِّر ذلك الآن بان الجرعة الاولى تجعل الجسم شديد التأثر فيتأثر بالجرعة الثانية وقالوا ان هذا هو سبب عدم نجاح التبركولين علاجاً للسل

الجغرافيا

اهم المكتشفات الجغرافية في العام الماضي وصول امنسدن الى القطب الجنوبي · اما البعثة الانكليزية برئاسة الكبتن سكوت فلم يصل خبر وصولها الى القطب حتى الآن والبعثة اليابانية برئاسة الملازم شيراسي عادت ادراجها قبلما وصلت الى القطب · واكتشف ستفنصن واندرسن اناساً من الاسكيمو في جزائر خليج التتويج شقر الشعور زرق العيون بيض الالوان يظن انهم اصلاً من اهالي اسوج ونروج نزحوا الى هناك من عهد بعيد

الجيولوجيا

لقد ثبت ان الزلازل تحدث من انخساف طبقات الارض وكان المظنون ان الطبقات الصخرية التي يحدث فيها الانخساف لا يزيد سمكها على اثني عشر ميلاً وتحت ذلك لا تنشق هذه الطبقات من الضغط بل تتحرك كتحرك السوائل · وقد اشار بعضهم بحفر بئر عميقة جدًّا ليعلم منها الى اي عمق تبقى الصخور صلدة وتحت اي عمق تصير لينة فاعتُرض عليهِ بانهُ لا يستطاع الوصول الى الحد الذي تلين فيهِ لان جوانب البئر تتلاصق قبل ذلك من شدة الضغط الجانبي وان المعادن لا توجد في اماكن عميقة جدًّا لان الشقوق التي انصبت فيها لا يمكن ان تكون عميقة جدًّا للسبب المتقدم · اما الآن فثبت ان المعادن توجد مهما كان العمق الذي وصل اليهِ الانسان وانهُ اذا كان في الارض تجويف صغير عمقهُ تحت سطحها ١٧ ميلاً الى ٢٠ ميلاً لم تتلاصق جوانبهُ بالضغط العادي الذي في قشرة الارض

وظهر من بحث الدكتور سنلر ان العصر الجليدي مسبب من تغير وضع المجرة بالنسبة الى قطبي الكون ولذلك يعود الدور الجليدي كل ٢٦٠٠٠ سنة

وقد تكونت جزيرة جديدة قرب شاطئ الترندال . حدث انفجار شديد هناك وتلاهُ خروج الحجارة والطين من الارض فتراكمت بعضها فوق بعض وتكونت منها جزيرة صغيرة يعلو رأسها ١٤ قدماً عن سطح البحر

الطب والجراحة

لا يزال سبب السرطان مجهولاً وعلاجهُ غير معروف . ولكن اذا عرف السرطان عند اول ظهوره ونزع فالشفاء منهُ مرجح . واشعة الراديوم واشعة رنتجن تؤثران في ما يبقى من آثاره بعد العملية الجراحية . واشعة الراديوم افعل من اشعة رنتجن و يقال انها تفعل بالانسجة التي نما فيها السرطان ولا تفعل بغيرها اي ان منها فائدة وليس منها ضرر . واذا طال استعمالها اسبوعين ظهر تجويف صغير في خلايا السرطان وابتدأ فيها الحرض الى ان تزول تماماً . ذكر الدكتور اكسنر انهُ شفى اربعة مصابين بسرطان الوجه من غير عملية جراحية وستة مصابين بسرطان الفك ولم يعاودهم السرطان وذلك بواسطة الراديوم . واللواتي شفين بهِ من سرطان الرحم لم يعاودهنَّ السرطان ايضاً مع انهُ مضى عليهنَّ اكثر من ثمان سنوات

واستعمل الدكتور هس متصعدات الراديوم استنشاقاً في مرض النقرس عالج بها ٤٩ مصاباً فشفي منهم ٣٧ اي زال الحامض اليوريك من دمهم بعد ما استعملوهُ ٢٥ مرَّة وشفي ثلاثة ايضاً من غير ان يزول الحامض اليوريك من دمهم و بقي تسعة لم يؤثر هذا العلاج فيهم . ومضت سنة على واحد من الذين زال الحامض اليوريك من دمهم وبضعة اشهر على البقية ولم يعاودهم الداء .

زاد الحذر من استعمال السلفرسان لان الذين عولجوا بهِ فظهرت دلائل الشفاء فيهم اهملوا استعمال العلاجات الاخرى فعاود بعضهم الداء شديداً

استدل بعض الاطباء على ان الروماتزم المفصلي من الامراض الوافدة المعدية لانهم شاهدوا ٩٣ نفساً اصيبوا بهِ مرةً واحدة في مستشفى الرحمة بمدينة ليل بفرنسا سنة ١٩١١ مع ان متوسط الاصابات السنوية فيهِ هناك ٣٢ واهتمت مدن كثيرة في انكلترا والولايات المتحدة الاميركية بقطع دابر الذبان منها لانها من اكبر الوسائل لنقل جراثيم الامراض المعدية

انتشرت الدفثيريا في مدرسة بقرية صغيرة في بلاد الانكليز وثبت لدى البحث ان سبب انتشارها استعمال التلامذة لقلم كان يستعملهُ ولد مصاب بالدفثيريا اي ان ميكروبات الدفثيريا كانت لاصقة بذلك القلم من نفث الولد فلما مسكهُ الاولاد الاخرون علقت باصابعهم ووصلت الى افواههم

الاشتراكية الصحيحة [1]

س · اراك تكثر من ذكر الاشتراكية وتقول انها من نعم الاجتماع الكبرى · مع ان اكثر الناس ينفرون من سماع ذكرها و يعتبرونها من الشرور المقوّضة للعمران· فما هو السبب ؟

ج · لنفور الناس من ذلك سببان : الاول ان الاشتراكية في الاجتماع تعليم حديث ولو ان اصولها قديمة فيهِ · والناس ينفرون عادة من كل جديد · فهم كسائر الحيوان الذي ينفر من كل مالم يرهُ من قبلُ حتى يألفهُ كالخيل والبقر والقطط · ويعبَّر عن هذا الطبع في الحيوان بلفظة « ميزونيسم » من كلمتين يونانيتين معناهما الخوف من الجديد . فنفور الانسان من الاشتراكية من هذا القبيل

والسبب الثاني هو ان اكثر الناس حتى اليوم لا يفهمون معنى الاشتراكية و يظنون انها ترمي الى اقتسام المال بطرق غير مشروعة · وليس من العدل ان يشارك الخاملُ العاملَ في مالهِ

س · ماذا تعلّم الاشتراكية اذن ؟

ج · الاشتراكية لا تعلّم ذلك مطلقاً · ومن الحمق ان يفهم الناس بها هذا الفهم و يتّهم اصحابها بمثل هذا الخرق في التعليم بل هي تعلم احترام الحق بمكافأة العمل لئلا يصيب افراد المجتمع حيف يتصل ضررهُ بالاجتماع كلهِ

س · ما معنى قولك الاشتراكية الصحيحة وهل توجد اشتراكية غير صحيحة ؟

ج · الاشتراكية واحدة في غايتها وهي اصلاح حال الاجتماع باصلاح حال كل واحدٍ فيهِ · ولكن الطريق الموصلة الى ذلك في نظر اصحابها تختلف باختلاف حالهم من العلم · وقد كانت علوم الانسان حتى الى عهدٍ قريب علوماً موضوعة اكثر منها علوماً مطبوعة · فكانت طرقها اقرب اي النظر فيها الى العمل بحسب مبادىء تلك العلوم · فالاشتراكية الصحيحة هي الاشتراكية الطبيعية المبنية على مبدإِ العلوم الطبيعية منها

س · وما هو هذا الفرق

ج · الفرق لا في الغاية كما تقدَّم بل في الواسطة · فالاشتراكية المبنية على العلوم الطبيعية اهدى سبيلاً واسهل تطبيقاً لوحدة مبدإِ هذه العلوم بخلاف تلك فانها كثيرة التعثُّر لتعدُّد مبادئها وشدَّة اختلافها

---

(١) من كتاب حوادث وخواطر للدكتور شبلي شميل

س · ما هو حدُّ الاشتراكية ؟

ج · هي توفير العمل اولاً وتوفير المنفعة على قدر العمل

س · ماذا تعني بذلك ؟

ج · اعني ان نظام الاجتماع يجب ان يكون بحيث يصير جميع الناس في الاجتماع عاملين نافعين منتفعين كل واحد على قدر استحقاقهِ حتى لا يبقى في الاجتماع اناس عاطلون وآخرون مغبونون يشوّشون فيهِ ويفسدون

س · وهل يمكن ذلك ؟

ج · بل هو طبيعيّ في نظام الاجتماع فالاجتماع لا يتم بلا تعاون وهذا لا يصحُّ الاَّ اذا كان تكافوء تامٌّ بين العمل والجزاء · ولذلك قلت ان اصول الاشتراكية قديمة في الاجتماع

س · وهل هذا غير متوفر في النظام القديم ؟

ج · نظام الاجتماع القديم اساسهُ سلطة الفرد ومبدأُهُ الاعمال لمصلحة هذا الفرد· فالناس في هذا النظام ارقَّاء يشقون ويكدُّون ويقتتلون لمصلحة الحاكم او الرئيس ولا ينال الواحد منهم القوت الضروري الاَّ بشق النفس وهو غبن فادح وضرر على العمران جسيم

س · ولماذا هو غير متوفر ؟

ج · لان الناس في الاجتماع غير متساوين في المواهب الطبيعية لا في القوة والبطش ولا في الفهم والمطامع فبطَشَ القوي بالضعيف وسطا صاحب الحيلة على عديمها وتوهم الكبير ان مصلحتهُ لا تتفق مع مصلحة الصغير فسلبهُ تعبهُ ولم يدعهُ يتمتَّع بجناهُ

س · كيف صبر الناس على ذلك ؟

ج · صبروا عليهِ لضعفهم اولاً ثم تعوَّدوهُ ولشد ما الفوهُ رضوا بهِ ولم يعودوا يرون فيهِ اقلَّ غضاضة عليهم بل صاروا ينفرون من مساعي الذين يريدون ان يخرجوهم منهُ الى اصلح لانهم لجهلهم لم يعودوا يفهمون الاصلح

س · هل النظام القديم هو نظام الاجتماع اليوم ؟

ج · هو كذلك في الجاميع المتقهقرة وهو لا يزال في جملتهِ روح الاجتماع في الجاميع الراقية نفسها ولو انهُ تعدَّل كثيراً فالجهور حتى اليوم لا يستفيد كل الفائدة من تعبهِ ولا يستفيد الفائدة الكبرى منهُ حتى الساعة الاَّ افراد قليلون

س · قلت ان نظام الاجتماع القديم يضر بالعمران كثيراً فابن لي اوجه هذا الضرر

ج · اولاً يجب ان نعرف ان العمران هو استعمار الانسان للعالم أجمع · والاوطان والشعوب فيهِ كالغرف وافراد الاسرة في البيت الواحد · فلكي يصلح العمران يلزم ان تستثمر الارض جميعها . وذلك لا يكون الاَّ باستخدام كل قوى الانسان ومواهبهِ · والنظام القديم نظام اثرة يفرّق بين الناس ويقتل الهمم ويطفيء المواهب فتصبح الاوطان ضد الاوطان والامم ضد الامم · وقد وصف ابقراط تأثير نظام الاثرة في الهمم قال « ان اهل اسيا اقلّ نجدة للحرب من اهل اوربا لان اولئك يحكمهم ملوك فتعبهم ذاهب نفعهُ الى سواهم واما اهل اوربا فتحكمهم شرائعهم ومفاخر النصر ومنافعهُ عائدة اليهم » · والمحكوم بهذا النظام لا تكون لهُ همَّة ولا يقدم على اي عمل كان ما دامت نتيجة عملهِ ليست لهُ فضلاً عن ان الضغط الشديد يطمس العقل فلا ينصرف للعلم فيعمُّ الجهل · ومطامع الملوك وقلّة اعتدادهم بحياة الناس تلقيهم في كل مازق وتصرفهم عن كل عمل عمراني نافع فتدفعهم الى الحروب المخربة وتلقيهم في المجاعات المهلكة

ثم ان شدّة التباين بين الناس في مثل هذا النظام تفقدهم الصلة في ما بينهم في كل امورهم المعاشية فتسوء حال الافراد ويتزعزع كيان الاجتماع · قصور نخيمة بجانب اكواخ حقيرة · واحياء نظيفة بجانب احياء قذرة · واناس بمطارف من خز بجانب آخرين باسمال بالية · واصحاء تكتنفهم كل اسباب الراحة بجانب مرضى ينقصهم حتى القوت الضروري · فتنتشر الامراض والاوبئة وتكثر الجنايات والقلاقل وتخرب الارض ويمتد ذلك من المجتمع الواحد الى المجتمعات الاخرى ويسوء العمران · فنظام الاجتماع القديم وكما هو حتى اليوم تبذيرٌ في قوى الاجتماع بل صرف هذه القوى فيهِ من الخير الى الشر ومن التضافر على العمار الى الدمار

س · ألم يعرف الانسان ذلك في كل العصور ولمَ لم يتلافهُ كما يجب

ج · قام في كل العصور اناس عرفوا هذا الحيف وقاموا ينبهون اليهِ ولكن غلبة الراسفين في قيود الجهل كانت تجعل صوتهم ضعيف الصدى فلا يتزحزحون الاَّ متثاقلين · العامة لتمسكهم بالقديم والخاصة لاقتناعهم ان مصلحتهم لا تتوفر لهم الاَّ بمقاومة مصالح الجمهور ولا يدركون ان المصلحة الخاصة تتوفر لهم اكثر اذا كانت المنافع متبادلة ولم يكن في علوم الناس عموماً ما يغرس في عقولهم وطباعهم غير هذا الاعتقاد

س · لماذا المصلحون لم يعلموهم هذا العلم ؟

ج · حاول المصلحون منذ القديم ان يرشدوا العمران الى طرق اصلاحهِ بكل الوسائل

المعقولة المستفادة من الاختبار على قدر ما كانت تسمح لهم علومهم وعلومهم كانت نظرية واكثرها كذلك حتى اليوم ومعارفهم الطبيعية لم تكن ذات رابطة مكينة تربط نظام العالم بعضهُ ببعض فكانت شرائعهم شرائع وضعية كأكثر علومهم فلم يكن العلم بها ليقيهم الشرود في فهم المصلحة الحقيقية ومع ان اساس شرائعهم التعاون لم يكن يفهم من هذا التعاون توفير العمل وتوفير المنفعة على قدر العمل كما ترى في هذه الدائرة السياسية لارسطو التي هي اساس هذه الشرائع : قال : « العالم بستان سياجهُ الدولة . والدولة سلطان تحيا بهِ السنَّة . والسنَّة سياسة يسوسها الملك . والملك نظام يعضدهُ الجند . والجند اعوان يكفلهم المال . والمال رزق تجمعهُ الرعية . والرعية « عبيد » يكنفهم العدل . والعدل مألوف وبهِ قوام العالم » . فما دامت الرعية عبيداً فمن المستحيل ان يكنفهم العدل . وكيف يكون العدل مألوفاً واساسهُ مثل هذا النظام المؤسس على هذه العلوم التي ليس لها رابط غير احكام العقل القائمة على اوهام مستفادة من تعرُّف الطبيعة تعرُّفاً ناقصاً جدًّا والذي جُعل الحكم الاوتوقراطي والثيوقراطي فيهِ اساس العمران

س . ماذا تعني بالحكم الاوتوقراطي والثيوقراطي ؟

ج . اريد بهما الحكم القائم على سلطة الملوك واعوانهم وسلطة رجال الدين وكلها مرجعها الى سلطة الفرد

س . تقول ان الاشتراكية تتكفل بان تنيل الانسان في العمران ما حرمهُ منهُ النظام القديم والاشتراكية في ما اعلم قديمة والاشتراكيون اليوم كثيرون فلماذا لم تتم للعمران هذه السعادة ؟

ج . للجواب على ذلك يجب ان تعلم اولاً ان بعض الجاميع التي يكثر فيها الاشتراكيون قد ارتقت جدًّا عمَّا كانت في القديم والتي يوجد منها مثال في التأخر في بعض الجاميع الأُخرى اليوم . وثانياً ان العلوم القديمة النظرية التي هي كل علوم الجاميع المتأخرة لا تزال حتى في الجاميع الراقية ذات سلطان عظيم

نعم ان الاشتراكيين موجودون منذ القديم حتى يجوز ان يطلق هذا الاسم على عموم المصلحين القدماء وهم اليوم كثيرون . ولكن غلبة العلوم النظرية في تعاليمهم تحول دون نجاحهم التام لسببين اولاً لعدم اتفاقهم فيها على الحبل المكين الذي يجب ان يكون الهادي فيها والرابط لها لاختلاف مبادئ العلوم النظرية المتربّين فيها هم والمتربّي عليها عموم الناس ويجب ان تعلم ان التربية العملية اذا رسخت في الطبائع تصير ازالة اثرها من هذه الطبائع

اصعب جدًّا من ازالة نفس العلم من الافهام فكيف اذا كان العلم الغالب على البشر هو العلم القديم الذي يمكّن هذه التربية في طبائعهم كما هي الحال حتى اليوم

س . وما هو هذا الحبل الهادي والرابط معاً ؟

ج . هو العلوم الصحيحة واريد بها العلوم الطبيعية باسرها من الطبيعة الصامتة الجامدة الى الاحياء عموماً

س : وهل لم تكن هذه العلوم معروفة في القديم أَوليست هي معروفة اليوم ؟

ج . لا أقول انها كانت مجهولة في الماضي فكانوا يعرفون ان الماء ينحدر الى اسفل والدخان يصعد الى فوق والحرارة تبخر الماء والغيم يجلب المطر والكهرباء اذا فركت تجذب قصالات القش والمغناطيس يجذب الحديد والبوصلة تتجه الى القطب الشمالي بل عرفوا قوّة الاخال وجرّ الاثقال وعرفوا تأثير الفصول في النبات ورأوا الحيوان يتحرّك والانسان يفتكر واستخدموا كل ذلك في معايشهم وبنوا عليه علومهم وتوسَّعوا فيها على قدر احكامهم من معارفهم هذه المحدودة . وما قصّر عنهُ اختبارهم اكملوهُ باجتهادهم في هذا المعلوم الناقص وأحرِ بان يكون العلم المبني على الناقص ناقصاً في كل شيء . فهم وان كانوا في القديم عرفوا كل هذه المفردات فانهم لم يعرفوا الرابط بينها وعلى تفكك هذا الرابط اقاموا علمهم في الكليّات فكان كلهُ اجتهاداً وتكوّنت لهم من ذلك تلك الفلسفة التي نسميها نحن اليوم نظرية مجرَّدة مع انها في الاصل ليست مجرَّدة بل مبنيَّة على علم ناقص مفكك الروابط وهذا سبب مذاهب التعدد عندهم في الخلق

وحتى التمدّن اليوناني الباهر لم يكن علمهم في هذه الكليات ذا ضابط . وابقراط الطبيب الطبيعي العظيم الذي ردَّ الامراض الى نظام الطبيعة واعتبرها طبيعية وقد كانت تنسب الى قوات الهية لم يستطع ان يجعلها كلها من هذا المنشإ الطبيعي بل اعتبر الامراض العصبية الغريبة كانواع الصرع والهستيريا من مصدر غير طبيعي وأبقى لها الاسم الذي كانوا يطلقونهُ عليها وهو المرض الالهي . وبقي علم الناس في هذه المفردات والكليات المبنية عليها حتى عصر النهضة العلمية في اوربا . وحتى اواسط القرن الماضي لم يكونوا يعرفون نسبة القوى الى المادة ولا نسبتها بعضها الى بعض وكانوا يعتبرون الحرارة والنور والكهربائية قوًى منفصلة ويسمونها بالقوى العديمة الثقل ويفصلون القوى الطبيعية عن القوى الحيوية وكانوا يعتبرون العناصر اجساماً ثابتة وكثيرون يعتبرونها كذلك حتى اليوم واما الرابط الكلي الذي يربط هذه الطبيعة الكبرى من جامد وحي فلم يكونوا يعرفونهُ

س · واليوم ألا يعرفون كل ذلك فلماذا الاجتماع حتى ارقاه لا يزال مضطرباً في سائر اموره ؟

ج · نعم عرف الناس اليوم كثيراً عن الطبيعة كما تدل مكتشفاتهم ومخترعاتهم الكثيرة وفخر القرن الماضي بل نصفهُ الثاني لا في التبسط في هذه الجزئيات بل في وقوفهِ على سر الطبيعة العظيم ومعرفتهِ وحدة النواميس التي تسوسها ووحدة الرابط الذي يربطها بعضها ببعض في تحولاتها المختلفة · ومن اول ما قام العمران الى اليوم لم تكتشف فيهِ حقيقة اهم من هذا الاكتشاف وهو بالحقيقة كل سرّ الطبيعة الذي كان يخفى على الانسان وما يأتي بعد ذلك ليس الاَّ تبسطاً في الجزئيات سيزداد يوماً عن يوم و بسرعة لم يعهد لها في تاريخ العمران مثيل

واما قولك لماذا العمران لا يزال مضطرباً مع ذلك فعليهِ أُجيب ان ادخال العلم الجديد الى العقل اسهل جدًّا من ازالة اثر التربية العلمية الراسخة في الاجيال واحلال التربية العلمية الجديدة محلّها حتى تصير سليقة في الطبع فهي يلزم لها وقت اطول جدًّا من وقت احلال العلم الحديث محل العلم القديم في العقل بل يلزم لصيرورة اثر التعليم الجديد بداءةً في العقل زمان اطول جدًّا مما يلزم لدخولهِ في الفهم · ولذلك كنت قلّما ترى بين العلماء الطبيعيين المتبحرين اليوم من الاشتراكيين من يقف عند ذلك موقف المتأمل المستفيد حقيقة فائدة اجتماعية كبرى بسبب ما فيهِ من اثر تربية الماضي · اما سمعت ذلك العالم الطبيعي كيف يحقّر معرفة العلم للعلاقة بين القوى الطبيعية في النشرة الاسبوعية بقولهِ « هذا كل ما يستطيعهُ العلم يريد معرفة النسبة بين القوى واما حقيقة هذه القوى فلا يوجد الاَّ الجاهل الذي يدعي انهُ يعرفها » وما قال قولهُ هذا متعامياً عن فوائد هذه العلاقة الكلية والتي اكتشافها اكبر فوز للعلم من اول العالم الى اليوم الاَّ حرصاً على منصبهِ وكأَنهُ يقول ضمنًا انهُ هو يعرف هذه الحقيقة مع تقدم القول منهُ ان الجاهل هو الذي يدعي معرفتها · على ان العلم لا يدعي انهُ يعرف اكثر من هذه العلاقة ولا يهمهُ ان يعرف اكثر منها فهي وحدها كافية · وتقدمهُ كل هذا التقدم البديع في هذا العصر هو من هذه المعرفة · فاذا اضفت الى ذلك قلة انتشار العلوم الطبيعية اليوم وانحصارها في عدد قليل وغلبة التعاليم النظرية في المدارس و بقاء الجماهير في عقولهم وطبائعهم تحت تأثير التربية القديمة فهمت لماذا لم تنتشر التعاليم الاشتراكية الانتشار الكافي ولم تأتِ بكل الفائدة المنتظرة منها — على انك اذا القيت نظرة ولو صغيرة على تاريخ المقابلة بين العمران في القديم والعمران اليوم و بين المجتمعات المختلفة في العمران الحديث بان لك مبلغ تأثير هذه العلوم بحسب حال كل

مجتمع منها. وهذا هو السبب الذي لاجلهِ تراني في كل مباحثي احث على وجوب نشر العلوم الطبيعية ووضع كتب في التربية والتعليم على مبادئها وإحلالها في المدارس وفي كل وسائل التعليم محل تلك

س . اني وان كنت قد فهمت ان الاشتراكية ليست اقتسام المال بطرق غير مشروعة ولا التعدي على حق مكسوب بالاستحقاق بل هي ردّ حق مسلوب وهو حق العمل المغتصب وتوفير اسباب الراحة والصحة وتوفير العمل للجميع ومكافأة هذا العمل على مقدار الجهد المبذول وان كنت اسلم بان ذلك يرقي الاجتماع ويقلل الجنايات ويدفع المجاعات والحروب المخربة ويخفف وطأة الامراض ويدفع الاوبئة الفتاكة ويبسط العلم ويرقي الصناعة والزراعة وكنت اسلم كذلك بان الاشتراكية التي ترمي الى كل ذلك هي نعمة كبرى من نعم الاجتماع لكن لم افهم العلاقة التي بينها وبين العلوم الطبيعية حتى يكون لهذه العلوم هذه الاهمية التي تقول عنها

ج . اذا كنت قد وعيت كل ما تقدم لم تذهب عليك هذه الاهمية لان العلم الصحيح يجعل احكام القياس العقلي صحيحة والغرايز التي تنغرس في الطبائع ذات اميال صحيحة فاذا عمل الانسان حينئذٍ عن تعقل او عن هوى تكون اعمالهُ اقرب الى الصواب ولاسيما اذا تربت على مبدإٍ واحد شامل كمبدإِ العلوم الطبيعية فان تذبذبها في هذه الاعمال يقل حينئذٍ جدًّا بخلاف ما هي عليهِ حتى الساعة من تأثرها بالعلوم النظرية القائمة في البدء على مبادىء مختلفة متعددة تعدُّد القوى في الماضي حتى اليوم

اما العلاقة فواضحة من المشابهة بين الاجتماع والجسم الحي فالاجتماعي الطبيعي اذ ينظر الى الاجتماع لا يسعهُ الآن يعتبره جسمًا حيًّا كسائر الاحياء ولا يختلف عنها الاّ في الكبر وطول العمر فهو موءلف مثلها ويلزم ان يكون خاضعًا لنواميس كنواميسها بل هو خاضع لنواميسها لانهُ موءلف منها . فالاحياء موءلفة من اعضاء ومجاميع اعضاء مختلفة كبيرة وصغيرة حتى تنتهي الى ادق الدقائق المسماة بالكريّات الحية . وكل عضوٍ بل كل كرية حية في هذا الجسم تشتغل لسلامة الكل والكل يشتغل لسلامة هذا الجزء فاذا وقع اقل تقصير في تبادل هذه الخدمة والمنفعة اختلّ التوازن ووقع الجسم في السقم الذي قد يوءدي بهِ الى الموت . وبالقياس الى ذلك يجب ان تكون سياسة الاجتماع على هذه السنة مع جميع الاعضاء الذين يتألف منهم مجاميع كانوا كالاوطان والامم والقبائل الخ او افرادًا كآحاد الناس الذين تتألف منهم هذه المجاميع والذين هم لهُ بمثابة الكريات الحية للجسم الحيّ والأوقع في الاضطراب

فالاشتراكية بقولها انها توفير العمل اولاً ثم توفير المنفعة على قدر العمل قد اخذت هذا المبدأ عن اساس راهن هو نظام الحي نفسهِ والعلم بنظام الاجتماع على هذه الصورة يجعل القيام بالواجب من قبيل نيل الحق فلا يغفل الكبير حق الصغير ولا يتوانى الصغير عن حق الكبير والاَّ لحق الضرر بالاثنين على حدٍ سوى وساء حال الاجتماع عموماً · بل العلم بذلك من هذا السبيل يسهل القيام بالعمل المفروض منهُ عن مبادىء قوية مكينة وهذا ما حملني على القول بان الاشتراكية لا تنتشر في نظام الاجتماع الاَّ اذا انتشرت مبادئ العلوم الطبيعية نفسها وهكذا كما قلت واقول تصبح الاشتراكية لا مذهباً من المذاهب او تعليماً من التعاليم مقحماً في نظام الاجتماع كما كانت تبدو في تعاليم النظر بين بعيدة المنال بل نتيجة لازمة للعلم الطبيعي نفسهِ ولا يتم ذلك كما ينبغي الاَّ اذا انتشر العلم الطبيعي انتشار العلوم النظرية في الماضي وتدرَّبت الطبائع عليهِ كما تدرَّبت على تلك كما سبق القول

فاذا لم نفهم ما هي الاشتراكية الصحيحة كما اسميها ولم تفهم كذلك اهمية علاقتها بالعلوم الطبيعية بعد كل هذا البيان فالذنب ليس عليَّ بل الذنب حينئذٍ على تشبعك من مبادىء علومك النظرية القديمة التي تدرَّبت عليها حتى اليوم وهذه ان لم اكن قد تمكَّنت من اقناعك بفساد اساسها الذي اقيمت عليهِ فحسبي ان اكون قد اقلقتك فيها والشك اول طريق الهدى

الشعر العصري وكيف ينبغي ان يكون[1]

سادتي · ما احسن مجلسكم وما احقهُ بثناء يشاكلهُ في حسنهِ · ولكن هيهات · من اين اوتي لساني تلك الفصاحة · ومتى استطاع خاطري هذه الاجادة · غير اني لا ارضى لنفسي معذرة · لا بد من كلمة اقولها · اثني عليكم كما استطيع · لا كما ينبغي · فاقنعوا مني بالقليل · ان على آثارهِ كثيراً مما ستفيض بهِ قرائح اخواني الشعراء اذا تعاقبوا بعدي على هذا الموقف · تلك اغاني العصر الجديد · يحيي بها دولة الادب الجديدة · في هذه البلدة القديمة

تمنيت ان امتَّع بمثل هذه الساعة · ان عندي احاديث اعددتها لها · وتمنى هذا النادي الادبي متكلماً يقف وقفتي · فتوافقت الامنيتان وكان الفضل لكم في تحقيقها. فتساجلوا معهُ الشكر · ولكم عندي المزيد

(١) خطبة لحضرة ولي الدين بك يكن تليت في النادي الملوكي الادبي بالاسكندرية في ٢٨ نوفمبر الماضي

اما بعدُ . فان حديثي لكم اليوم هو في « الشعر العصري وكيف ينبغي ان يكون » هذا موضوع تحيرتهُ وانا خائف منهُ . انهُ لصعب المسالك . كثير الشعاب . اذا انطلقتُ بكم في مجاهلهِ اجهدتكم . ولكنني ادع صعبهُ واسلك بكم سهلهُ . فعسى ان تمنحوني صفحاً او تستطيعوا معي صبرا

سادتي . ان في مواضع الحس من الانفس قوًى كامنة . الحقيقة تسكنها والخيال يهيجها . نظل في معترك الجذل والاسى مشتدة ومتخاذلة . فاذا عراها طرب او ادركها حنين فاضت معاني على البداهة وتدفقت الفاظاً من الالسن . كذلك يلهم الشعر فان افرغ في الوزن ورُصّع بالقوافي كان نظماً . وان تآلف في الديباجة وطرز بالجمل كان بياناً

ما كل نظم شعراً ولا كل شعر نظماً . ولو كان النظم وحدهُ سبيلاً الى الشعر ما قصر عنهُ احد من الراغبين . بلى ان في البيان شعراً لا تبلغ نبرات الاوزان مبلغهُ من الانفس ولا يقع رنين القوافي وقعهُ من الاذان . وخير من كليهما ترجيع القماري بالاسحار . وهينمة النسائم بالاصائل . وحفيف الاشجار بين الرياض . وخرير المياه في الغدران . وانتظام الانداء في سلوك الاشعة . وتلاعب الفراش على مجامع الازهار . كل ذلك شعر لا تعمُّد فيهِ ولا تكلُّف . وافصح منهُ زفير الساهد ودمعة المهجور . وانين الموجع . ودعوة المظلوم . فذلك اما صبابة نفس او ذوب فوءاد . ان قطرة الطل على ورقة الورد بيت يرى ولا يسمع . وان النَّور الساقط من العود اللدن بيت يكتب ثم يمحى . وفي حياة كل خافقة وموت كل ساكنة ديوان من الشعر . يستمد منهُ كل خاطر ويوءَديهِ كل لسان

قال ابن اوس الطائي يصف احدى قصائدهِ :

حذيت حذاء الحضرمية ارهفت ... واجادها التخصير والتلسينُ
انسية وحشية كثرت بها ... حركات اهل الارض وهي سكونُ
ينبوعها خضل وحلي قريضها ... حلي الهدى ونسيجها موضون
اما المعاني فهي ابكار اذا ... نصت ولكنّ القوافي عون

فهذا وصف المتكلف غير الجيد . ولو كنت اجيد الشعر لحاولت ان اقول :

عصف الهوى بلواعج فأثارها ... هيهات يتلو ذا الحراك سكونُ
هذي صبابة انفس ام اعين ... ولقد تشابه انفس وعيون
ان الفوءاد يفيض عند حنينهِ ... شعراً فما كان القرار يكون

ولما نطق الاقدمون بالشعر نطقوا بهِ احسن منا . هم استخلصوا كلامهم من امالي

الانفس والاعين . فقال ملك ملوك الشعر امرؤ القيس في وصف جبل :

كأن ثبيراً في عرانين وبلهِ كبير اناس في بجادٍ مزملِ

وقال قاضي الشعراء النابغة في وصف السلطان

فانك كالليل الذي هو مدركي وان خلت ان المنتأَى عنك واسعُ

وقال علقمة في مدح رجل اكرمهُ

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار باليفاع تحرقُ

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمحلق

ولهم في الحكاية ووصف الحال اشياء كثيرة كالمعلقات وكرائية ابن ابي ربيعة . ثم اخذ المخضرمون والمولدون يهذبون الشعر ويضيقون مسالكهُ حتى بات لا يتجاوز الخمسة ابواب وهي المديح والهجاء والرثاء والغزل والفخر . ثم اتت طائفة من ادعياء الشعر ادخلت فيهِ الصناعات اللفظية كالجناس والتورية وما لا يستحيل بالانعكاس والطي والنشر وغير ذلك حتى اصبح الشعر وقد ادرك عصرنا كالخلاة . فيها صنوف من الحصى . كل يرصها على ذوقهِ ولا يقبل منهُ احد ما يكون خارجاً عن الخلاة . ولا يرضون عمن لا يرصّ رص سابقيهِ

دالت دولة الشعر العربي من منذ ثمانية اعصر . وآخر من عرفت من ملوك الشعر هو ابن المعتز . ولقد اتى بهذا الفن الذي سماهُ البديع افسد بهِ شعر الناس فما افلح بعدهُ شاعر الى العصر الماضي . فطلع فيهِ المرحوم البارودي محمود سامي باشا . فاكرمهُ الله يوم الهمةُ ان يقول :

اسمع في قلبي دبيب المنى والمح الشبهة في خاطري

فوقف يومئذٍ الى جانب المعجزين من شعراء الدولة العباسية . ثم نشأ بعدهُ كثير من الناس واتاهُ اكثرهم او كاد . ولان كان في ايامنا من قربت المسافة بينهم وبين ابي تمام والبحتري والمتنبي فليس في ايامنا ممن خلقوا شعراء لها الاّ القليل

يقول لامارتين : ايتها الليالي . اطوي سجل الافق في سكون

ايتها الكواكب تهادي مترافصة في سبلك المتجانسة

ضمي جناحيك

ايتها الارض خفضي من اصدائك

وانصتي لامواجك على الرمال

ايها البحر هز صور الاله

الذي منحك الامواج

وفينا اناس قبضوا على حبال العيس لا يدعونها · ووقفوا على اطلال لم يروها يندبونها

وما زلت طرباً حين سمعت شوقي بك يقول في وصف عبده الحمولي

يسمع الليل منهُ في الصبح ياليـ ل فيصغي مستمهلاً في فرارهْ

وقولهُ وقد اوجز قصة كل عاشق في بيت واحد

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقــاء

ثم شاء ان يسلك سبيلاً جديدة فقال

صوني جمالك عنا اننـا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني
او فابتغي فلكاً تأوينهُ ملكا لم يتخذ شركاً في العالم الفاني

فما انتهى الاّ وقد ادركهُ الاعياء ووقف لا يتقدم خطوة بعد ذلك

سادتي · اصف لكم حبيبة الشعراء عندنا · اذن فاسمعوا :

رمح هو القد ورمانتان هما النهدان ومرآة هي الصدر وابريق هو العنق وفوق هذا التركيب العجيب وردتان تكونان وجنتين وعقربان يصيران صدغين وحق من العاج يصبح فماً · اما العينان فسهمان واما الحاجبان فقوسان يقوم بينهما سيف هو الانف ثم يتراكب الشعر فيكون اعلاهُ عناقيد كرم ويكون اسفلهُ حية · فمن كان يثبت على لقاء هذه الحبيبة المخوفة فاني افزع منها الى الله

على ان في ايامنا شاعرين هما احدثا للشعر عهداً جديداً · اريد صديقي خليل مطران واحمد محرم · اما خليل فمعانيهِ احسن من الفاظهِ واما محرم فالفاظهُ اجمل من معانيهِ · قال هذان الشاعران في فنون كثيرة ولم يقتصرا على تكلُّف المديح · وما ارادا شيئًا الاّ احسناهُ

يقول خليل في احدى مراثيهِ

مات كنضر الفروع يلزمها بعد الردى حسنها الى امدِ
في جاه اوراقهِ وبين حلى ازهارهِ من مبشر وندي
في عز ملك الصبي وحاشية من غر آمالهِ بلا عددِ
في منتهى مجدهِ وصولتهِ اذ يقتل السعد لاهيًا ويدي
ويصدم المكر غير ملتفت ويقحم الدهر غير مرتعدِ
ويترك اللوم حائراً وجلاً منعقداً في لسان منتقدِ
يا راحلاً في الغداة عن نعم نثرى وعن بسطة وعن رغدِ

وناركاً رسمهُ لفاقدهِ مصوراً بالجراح في الخلدِ
لا انكرت روحك التي امنت ما فارقت من مخاوف الجسدِ

ولهُ مثل هذا مرتجلاً :

آه من نار الجوى فهي التي تفجر البركان من قلب رفيق
آه من صدع النوى فهو الذي يرسل الاحزان كالسيل الدفوق
ان تذيبوا هكذا اكبادنا يا بنينا فالردى اقسى العقوق

وقصيدة خليل في وصف بعلبك تبقى معجزة خالدة وهي اشهر من ان تشهر . ويقول محرم في وصف الخزان

ارى الهرمين قد هرما وشاخا وانت من الصبا في عنفوانِ
فناجهما ولو قدرا لخفا اليك فاقبلا يتباريانِ
وانك لو تسومهما سجوداً لخرا يسجدان ويضرعانِ
عليَّ الجد يعجب سامعيهِ وليس عليَّ وصف المهرجانِ

ومن معجزات محرم قولهُ في بر الوالدين

ناجياني ناجياني انتما لا النيرانِ
اشرقا في كل افق واطلعا في كل آنِ
ان هذا النور عهد بين نفسي والامانِ
انهُ ابهى المرائي انهُ اشهى الاماني
يا اميريَّ ابينا ما الذي تبتغيانِ
انا للامر مطيع فانظرا ما تأمرانِ
أتريدانِ حياتي فهي ما اوليتماني
من انا لو لم تكونا انتما انشأتماني
انتما مبدأ امري انتما مرجع شاني
ليس في الدنيا جزاء للذي اسديتماني

وديوان محرم كالروض في احسن ايام الربيع . تنزه عما في دواوين الشعراء من قولهم وقال يمدح فلاناً وقال يهجو فلاناً . وازدان بكل عنوان جديد . كالخزان والدين والفضيلة والاخلاق والآداب وحنو الجاهل وشهيدة العفاف واباء العذارى وسارقة الطفل . وغير ذلك

هذان اقدر الشعراء على خلق المعاني وأكثرهم فنونًا واجودهم قريحة . وهما مع فضلهما لم يهبا العصر العشرين شيئًا من مبتغاهُ . ولو شئت لذكرت لكم بعض ما قالهُ شاعر صغير القدر . لافضل لهُ الاَّ حبكم . ولكني ادعهُ في عجزهِ ولا اطيل ملالكم اليوم

سادتي . ان لغة الضاد في يومها كما كانت من منذ خمسة عشر عصراً . شعراؤُها يكررون ما قالهُ اسلافهم ولا يحسنون التكرار . ولقد يجد الشاعر الف كلمة لشيء واحد مما سقط من الاستخدام كالرمح والدرع ولا يجد كلمة واحدة لشيء لا يزايل بصرهُ . مَن منا يقدر ان يسمي ما بهذا المكان من الاثاث . كل ما نراهُ باعيننا نعرفهُ ولا نعرف لهُ اسمًا . لا بد من وضع كلمات يقع عليها الاختيار وتؤَدى بها المعاني الجديدة . ثم لا بد من اختيار اشياء غير هذه التي ابتذلها التكرار

غرقت التيتانك وما رثاها شاعر فيما علمت . ولو كان لها راثٍ فهو قائل مثل غيرهِ . درر عادت الى البحر . وينبغي ان تلبس المعالي ثياب الحداد . والكون مظلم . والدموع كالمطر . وماشاعر بتارك خناق هذه المعاني المسكينة وهي تستغيث وتطلب ان تعتق رقابها

اجل ان من مصاعب الشعراء في عصرنا الجديد انهم مقيدون باستعارات وتشابيه ورثوها عن السلف. فمن خرج عنها خرج عن الفصاحة . ولذا كان افصح شعرائنا اكثرهم حفظًا للشعر القديم . ولا ادري كيف يتجمل المرء في ايامنا بثياب البداوة . وتأليف الكلام المطبوع اسهل تناولاً واحسن اثراً . ولو كانت القرائح غير مكدودة في التقلب ومرسلة في سبيل الاجتهاد لكان حظنا من الادب اكثر من حظ بني الغرب . لأن لغة الضاد لغة شعر . يحسد اهلها اهلُ سائر اللغات . وقوافي لغة الضاد واوزانها ووجوه الافادة فيها تستحدث اغاني تجتذب القلوب من بين الصدور . وليست للغة على وجه الارض مثل هذه الفضائل

سادتي . اذا عرفت الامة قدر المحسن . واعانتهُ على المزيد . حق لها ان تطالبهُ بآخر ما يستطيع . فاما وشعراؤُكم عيال عليكم . فلا تطلبوا منهم اكثر مما عندهم . اذا تقدمت الامم بآثارها في الادب لها ان تفخر وعلينا ان نصفق . وربما نشأ في هذه الامة شاعر لا يقعد بهِ الجد عن بلوغ الغاية . فانتظروهُ معي . ارجو ان تعيشوا لايام السؤدد واذا لم اكن معكم فاني احييكم بشعري القديم من وراء استار الغيب

قوام الصحة النور والحركة

من خطبة للاستاذ ليونارد هِل رئيس قسم الفسيولوجيا في مجمع تقدم العلوم البريطاني

ان سلفي في رئاسة هذا القسم صعد بنا في السنة الماضية الى البحث عن افعال النفس اما انا فاني اطلب اليكم ان تنزلوا معي الى البحث في الغرف التي يضيق فيها الصدر

الرأي الشائع ان مَن يقيم في غرفة هواؤُها غير مطلق يضيق صدرهُ لفساد اصاب هواءها إمَّا بقلة اكسجينهِ او بزيادة الحامض الكربونيك فيهِ او باختلاطهِ بسموم آلية آتية من تنفس الناس. او لان خواص هوائها فسدت بمروره على المواقد ونحوها من وسائل التدفئة. والذين يعالجون بالهواء المطلق ينسبون فائدتهُ الى نقاوتهِ وخلوهِ من الشوائب. والحقيقة ان الذي يفيد الانسان وينعشهُ انما هو حركة الهواء وما فيهِ من الحرارة والنور والجفاف. واما تركيب الهواء الذي نتنفسهُ في البيوت المزدحمة بالسكان فلا شأن لهُ في ما نشعر بهِ من ضيق الصدر. وهذا لا ينفي ان الهواء يفسد بما يمازجهُ من الشوائب في المناجم وبعض المعامل وما يخالطهُ من ميكروبات الامراض

لما رسخ الاعتقاد ان الهواء النقي كافٍ للصحة لم يعد احد يشكو من سكن الكهوف العميقة حيث الهواء ساكن ونور الشمس محجوب ولا من رفع المباني الى ان تناطح السحاب وتحجب الشمس بظلها ودخانها كأن لا شأن للشمس مع انها مصدر كل قوة وحركة وبهجة وسرور حتى استحقت ان يؤَلهها اسلافنا

ولقد ارتكب المهندسون الشطط في حسبانهم ان الامر الاهم الذي يجب ان يتوخوهُ في هندسة البيوت هو ان يبقى هواؤُها نقيًّا وحرارتها معتدلة ولا يتعرض ساكنوها لمجاري الهواء

ما الحياة الاَّ انفعال الحي بالفواعل التي تحيط بهِ. والحركة الحيوية ناتجة عن الحرارة والنور والصوت وما اشبه فان هذه القوى تؤثر في الحي فتستحيل الى حركة حيوية. فاذا سدَّت سُبُل المشاعر استكنَّ المجموع العصبي وانقطع الشعور. فقد فَقَدَ ولدٌ حواسهُ كلها ما عدا البصر فصار ينام كلما اغمض عينيهِ. وفقد آخر الجزء المعروف بالتيهِ من اذنيهِ وهو الذي يوجّه الانسان في حركاتهِ فلم يعد يعرف كيف يتجه وقام ذات ليلة من سريرهِ وسقط على الارض فبقي حيث سقط لا يدري كيف يتجه الى ان جاءهُ من انهضهُ

واعضاء الحس لا تنشط للعمل الاَّ اذا تغير فعل المؤثرات التي تؤثر فيها . والغالب ان تغيُّرهُ يجب ان يكون سريعاً فاذا كان المؤثر ضعيفاً وجب ان تزيد سرعتهُ كثيراً حتى يُشعَر بهِ . مثال ذلك اننا لا نشعر بتغير ضغط الهواء الجوي لانهُ يحدث تدريجاً ولكنهُ اذا حدث بغتةً شعرنا بهِ شعوراً شديداً . واذا توالى الشعور وكان غير شديد الفتهُ الاعصاب ولم تعد تنتبه لهُ . فاذا لبس الانسان قميصاً من الصوف الخشن اول مرة شعر بحكة شديدة ولكنهُ لا يلبث ان يعتادها ويألفها فلا يعود يشعر بها . ومن الاقوال المأثورة ان الله يلطف برد الرياح حتى لا تؤذي الحملان التي جُزَّ صوفها والحقيقة ان جلود الحملان تتمرَّن على تحمُّل برد الرياح فلا يؤذيها

ومتى توالت المؤثرات على المرء ابقتهُ منتبهاً وابقت اعضاءهُ المختلفة دئبة على اعمالها الخاصَّة . ومن اهم هذه المؤثرات ما يؤثر في ظاهر البدن فالملح والرمال التي تكون في الرياح البحرية تؤثر في الجلد فتنبه الجسم كلهُ . وتغيُّر الريح والنور والبرد والحرّ ينبه الجسد والعقل و يبث فيهما النشاط . واما الاستمرار على عمل واحد في مكان حار وهواء ساكن فيضعف الهمَّة ويزيل النشاط ويدعو الى السآمة والخمول ولاسيما اذا كان العمل من الاعمال التي تقتضي الجلوس كالكتابة ونحوها . ولقد قيل ان سكن المدن يأول الى انحطاط الجنس ولكن ساقة المركبات ومصلحو السكك ورجال الشرطة الذين يقيمون في مدينة لندن او غيرها من المدن الكبيرة اصحاء اقوياء مثل ساكني الجبال . والذين يشتغلون اشغالاً عقلية اذا قللوا ساعات الجلوس وشفعوها بالرياضة في الهواء المطلق لم تضعف صحتهم ولا قلَّ نشاطهم . والخيول التي تزرب في اصطبلات لندن وتعمل وتأكل فيها ليس اصح منها في المسكونة لانها لا تزرب في اماكن محجوبة عن الرياح ومدفأة بالماء السخن والبخار

ان سكان الاصقاع الشمالية المعتادين المشاق ربوا لكي يتحملوا شظف العيش وتقلبات الهواء من برد وحر . يشبعون تارة ويجوعون اخرى فاذا اشبع الطعام بطونهم وادفأت الشمس ابدانهم استراحوا فخملوا واذا قرصهم البرد وعضهم الجوع اندفعوا الى العمل فنشطوا . ولقد كفانا العمران الحديث مؤونة الجهاد في مقاومة عوادي الطبيعة وشظف العيش فنأكل الى الشبع ونتقي البرد بالثياب الدافئة والمساكن المحكمة الكوى المحجوبة عن عصف الرياح ولاسيما في الشتاء حينما تنحرف صحة اصحاب الاشغال . والبرد متعب ولذلك ننسب اكثر امراضنا اليهِ وعندي انهُ من اقوى الفواعل لاجادة الصحة وانعام البال . ومن يخمل في الشتاء وتضعف مقاومة جسمهِ لميكروبات الامراض لا يكون البرد سبب خمولهِ وضعف مقاومتهِ بل يكون

سبب ذلك شدة اتقائهِ للبرد . ولا يحصل الزكام من التعرُّض للبرد بل من القيام في الاماكن المحصورة الهواء التي أُفرغ الجهد في تدفيئها . فقد نجا سبع مئة واحد عشر نفساً من السفينة تيتانك بعد ان تعرضوا ساعات عديدة لاشد درجات البرد وثيابهم مبللة او غير كافية لستر ابدانهم ولم يمت منهم الا واحد وقد مات بعد وصولهم الى السفينة كارباثيا بثلاث ساعات ولم يصب احد منهم بمرض من الامراض التي يقال انها تحدث من التعرُّض للبرد . واما الذين ماتوا في البحر فكان سبب موتهم ان هرأهم البرد اي ان اجسامهم بردت الى حد الموت

ان السكن في المدن والمعامل يقلل نشاط الجسم والاعصاب ويحط كثيرين من اوج الصحة التي تتمتع بها الحيوانات الآبدة الى حضيض الضعف ولو بعدت عنهم الآفات . فان عدم موافقة الطعام والاستمرار على الاعمال التي تقتضي الجلوس في اماكن ساكنة الهواء واهمال الرياضة البدنية الشديدة في الخلاء وعدم التعرض للرياح ونور الشمس كل ذلك يجعل سكان المدن صفر الالوان نحاف الاجسام عصبيي المزاج كاسفي البال . ومتى عاش الناس عيشة غير طبيعية نشأ منهم البهّال والمجرمون . اي ان علة الضعف في ما يحيط بالانسان لا في طبيعته فاذا اخذتهُ صغيراً ورببتهُ بحريًّا او جنديًّا او فلاحًا نشأ قوي البنية متمتعاً بالصحة التامة واما اخوهُ الذي يعيش في المعمل والمكتب فيبقى ضعيفاً نحيفاً

ومهما اطنبنا في لزوم الرياضة الجسدية لصحة الجسم وجمال المنظر وهناء المعيشة لا نبالغ . فكل عضلة تمتلئ بالدم وهي مبسوطة ثم يندفع الدم منها حينما تنقبض فيجري في صمامات الاوردة . وكل عضلة مع صماماتها الوريدية بمثابة مضخة تضخ الدم الى القلب والرئتين لاجل تطهيره . فان وظيفة القلب ان يرسل الدم الى الاوعية الشعرية ووظيفة العضلات ان تردهُ الى القلب فكأن الدورة الدموية وضعت ليكون الحيوان كثير الحركة . وكل حركة من حركات العضلات تجعل الدم يجري في عروق البدن

وضغط الدم في الشرايين والاوردة يتغير بتغيير اوضاع الجسم . وللتنفس شأن كبير في الدورة الدموية . فاذا كانت الرياضة شديدة كما في لعب كرة القدم تغيرت فيها اوضاع الجسم على صور شتى وانقبضت عضلاتهُ وانبسطت على اساليب مختلفة انقباضاً وانبساطاً شديدين وزاد التنفس فزاد خفقان القلب وزاد الدم في الشرايين بواسطة الاعصاب المحركة للاوعية وامتنع ركودهُ وانعصرت الكبد كما تعصر الاسفنجة انعصاراً متكرراً بحركات التنفُّس الشديدة واندفع الدم في الاحشاء فاندلكت دلكاً من اعلاها الى اسفلها فيتنظف التجويف البريتوني ويمتنع قبض الامعاء . وما كان مذخوراً في الكبد ممَّا يزيد عن حاجة

الجسم من السكّر والدهن يحل ويتحوّل الى قوة ويجري الدم بسرعة في الاعضاء كلها وهو حامل المواد المغذية للعضلات اللازمة لتبادل الافعال الكيماوية فيها فتزيد القوة كثيراً

الانسان الجالس ينفق في اليوم الفي وحدة من الحرارة وراكب الدراجة ينفق ثمانية آلاف وحدة مع ان الطعام الذي يأكلهُ لا ينيلهُ الاَّ اربعة آلاف وحدة ومن ثمَّ يتضح كيف يزول الدهن من الجسم بالرياضة لان الاربعة الآلاف الاخرى تؤْخذ مما كان مخزوناً فيهِ

اذا كان الانسان ساكناً تنفَّس سبعة لترات من الهواء في الدقيقة واستعمل ٣٠٠ سنتمتر مكعب من الاكسجين . واما اذا عمل عملاً شاقًّا فانهُ يتنفس ١٤٠ لتراً من الهواء ويستعمل ٣٠٠٠ متر مكعب من الاكسجين . وتطلُّب العضلات للاكسجين يدعو الى تكوين الكريات الحمراء والهموغلوبين في الدم

وهذا شأن التعرُّض للهواء البارد والاغتسال بالماء البارد فانهما يزيدان حركة القلب والحرارة الناتجة من حركة العضلات ودخول الهواء الى الرئتين لتطهير الدم ويفضيان الى زيادة الاغتذاء بالطعام . فترى جسم الصياد المعتاد تحمُّل المشاق وشظف العيش خالياً من الدهن الزائد والرطوبات ودمهُ مناسب لجسمهِ واوردتهُ السطحية محصورة بين جلد صفيق وعضلات رزينة وهي فيهِ متينة كما في خيل السباق . وبذلك تنتظم دورتهُ الدموية وتعتدل حرارتهُ بالاشعاع لا بالعراق ولا يكثر تجمُّع دمهِ في جلدهِ واحشائهِ وانسجتهِ الدهنية . والاكسجين الذي يدخل دمهُ الشرياني لا يضيع منهُ شيءٌ ولا يضطرُّ قلبهُ ان يدفع من الدم اكثر ممَّا يلزم لتوليد القوة . كل عمل يعملهُ الانسان يستلزم انفاق قوّة يذهب قسم منها لاتمام العمل المقصود ويضيع الباقي في غير وجههِ . وقد حسبوا انهُ يضيع من القوّة التي ينفقها من لم يعوّد جسمهُ الاعمال البدنية ٨٨ في المئة ولا يضيع من قوة الجسم الذي درّب على الاعمال الشاقة الاَّ ما يتراوح بين ٥٠ و ٧٠ في المائة . ومن هنا يتبين وجه الخطر في الانتقال من حالة القعود والجمود في المدن الى التصعيد في الجبال الصعبة المراقي

ومن كان عملهُ عقلياً تمضي عليهِ احياناً ساعات وهو جالس في كرسيهِ يفكر في الامور الصعبة ويعمل على حل العقد مما يقتضي انفاق شيءٍ كثير من القوى العقلية فيرد الدم على دماغهِ بكثرة لاجل التعويض عمَّا يخسرهُ باشتغالهِ وحمل ما يتولد فيهِ من الفضلات فيزداد نبضان قلبهِ سرعة وتجهد عضلات قلبهِ اذ يكون عليها ان تقوم وحدها بادارة الدم وعلى الضد من ذلك اذا كان العمل بدنياً اذ ان حركة العضلات والتنفس في مثل هذه الحال يساعدان القلب على عملهِ . وعند اشتغال العقل تنقبض الاوعية الدموية في الاقسام السفلى من

الجسم لتدفع الدم الى جهة الراس فيزداد ضغطهُ على الاوعية في اقسام الجسم العليا ومتى تكرر ذلك تضخمت هذه الاوعية وبذلك تخسر بعض مزاياها وتقصّر في عملها . ولاجل التعويض عما يخسرهُ الدماغ والاعصاب اثناء الشغل العقلي من المواد الجوهرية لابد من تناول جانب كبير من الطعام لكي تكون فيهِ تلك المواد بالمقدار اللازم فان كان صاحب الشغل العقلي من القليلي الحركة والرياضة لم تتمكن معدتهُ من هضم ذلك المقدار من الطعام وهذا سبب ما نراهُ من اختلال العمل الهضمي في كثير من اصحاب الاعمال العقلية الذين يجهدون ادمغتهم

اخبرني احد المطلعين على احصاءات ملاجئ بارناردو انهُ بين الالوف من الاحداث الذين اعتني بهم في تلك الملاجئ لم يصب واحد بالتهاب الزائدة الدودية وما ذلك الاَّ بفضل الرياضة البدنية اليومي مع الراحة الكافية والمقدار اللازم من الاطعمة البسيطة . وقد تحريتُ البحث عن احوال المستخدمين والكتاب في بعض المحال التجارية فتأكدت ان سبب ضعف اجسامهم ليس فساد هوائها فانهُ نقي لما فيها من المراوح الكهربائية والمنافذ المعدة لتجديدهِ وانما سبب ذلك احتجابهم عن نور الشمس ومقابلة الرياح وبقاؤهم بلا رياضة في غرف تنار بالكهربائية وتدفأ بالحرارة الصناعية

وقد تصفحت بعض التقارير عن مدينة وندي فوجدت انهُ من كل ٨٨٥ طفلاً يولدون لامهات يعملنَ لتحصيل معاشهن يموت ٥٢٠ طفلاً اي ان معدل الوفيات ٥٩ في المئة من المواليد . وهذا ناتج في الاكثر عن ضعف اجسام الامهات اللواتي لا يعرفن الاَّ محل العمل ومحل السكن وهذا غرفة واحدة في بناء كبير . وناتج ايضاً عن عدم الخروج بهؤلاء الاطفال لمقابلة الشمس والهواء

وما النفع من انفاق الحكومة للاموال في اقامة المصحات للسل وتوزيع الادوية بلا ثمن وهناك اناس يعيشون على هذه الصورة . وماذا تجدي محاربة الداء بعد تمكنهِ من العليل ما دامت اسباب انتشارهِ متوفرة . فمهما اتخذنا من الاحتياطات واجتهدنا في توفير اسباب الوقاية لا نقدر ان نقصي مكروب هذا الداء الخبيث او نمنع دخولهُ الى الصدور . وانَّى لنا ان نقوى على ذلك وفي كل مرة يتكلم المسلول او يعطس ينفث من هذا المكروب شيئاً كثيراً يحملهُ الهواء الى كل الجهات . وقد اثبتت بعض الابحاث التي اجريت في ڤينّا ان ٩٤ في المئة من الاولاد بين الحادية عشرة والرابعة عشرة من العمر مرَّ عليهم زمن اصيبوا فيهِ ببعض انواع السل ولولا تغلُّب الجسم على هذا الداء في اكثر الاحيان لساءت العاقبة . فالطريقة الوحيدة لاتقاء السل تقوم بترويض الجسم وتقويتهِ بتعريضهِ للريح والبرد

والشمس حتى اذا جاءهُ الميكروب لم يتمكن منهُ ولم يقوَ على الاقامة فيهِ

وعبثاً نحاول ان نحافظ على صحتنا باحتراسنا من البرد وحرصنا على تناول الاطعمة المغذية ما دمنا نقيم في غرف تدفأ بالمدافئ فتجعل حرارتها ثابتة على درجة واحدة لا تتغير مما ينزل الارتخاء والانحطاط في الجسم و يذهب بما فيهِ من القوة· الا ترون ان الذين بقوا على العيشة البسيطة يستدفئون بنار موقد بسيط تلطم الريح وجوههم وهم الى جانبهِ جلوس وتختلف حرارة الهواء من حولهم بين العلو والهبوط فتبقى اعصابهم متنبهة باختلاف المؤثرات هم اصح من سواهم ابداناً واكثر منهم عافية

ان نقاوة الهواء كيماوياً لا تكفل بقاء الجسم في حالة القوة والعافية وربما كان الانسان في انقى بلاد الله هواء ولم تنفعهُ نقاوة الهواء · مثال ذلك سكان لبرادور وشمالي نروج فان بلادهم قليلة السكان نقية الهواء ومع ذلك معدل الوفيات بالسل بينهم اكثر منهُ في بلاد الانكليز لانهم يقضون الجانب الاكبر من السنة في اكواخ يوقدون النار فيها و يحكمون سد شقوقها ونوافذها لتبقى حرارتها على ٨٠ درجة مع ان الحرارة خارج البيوت تكون على ٣٠ درجة تحت الصفر ونساؤهم قلما يخرجن من اكواخهم ومعدَّل الوفيات منهنَّ في السل اكثر من معدلها بين رجالهم · ومما يساعد على تفشي السل بهم ايضاً التزاوج بين الاقارب واجهاد الجسم الى ما فوق الطاقة في العمل وتجمعهم بعضهم مع بعض في اكواخهم الضيقة فانك اذا دخلت احدها وقد نام اهلهُ لا تكاد تجد محلاً تضع قدمك فيهِ · وزد على ذلك انهم يطبخون اطعمتهم على اساليب تفقدها خواصها و يدفئون اكواخهم بمواقد من الحديد يضعون عليها آنية الماء فيغلي الماء فيها دائماً و ينتشر بخارهُ في الاكواخ ويتجمع ماء على زجاج الشبابيك · ومدارسهم مزدحمة بالتلامذة وترى الطعام في يدهم دواماً واسنانهم منخورة تالفة والسل يفتك بهم كما يفتك بآبائهم ولكنهم اذا تركوا بيوت آبائهم وسافروا الى بلاد اخرى نجوا منهُ · وقد عدلوا عن اكل الخبز الاسمر الى الخبز الابيض فقد تبين لي من بعض التجارب التي اجريتها في الجرذان والفيران والحمام ان هذه الحيوانات لا تقدر ان تعيش على الخبز الابيض مع الماء فقط ولكنها تعيش اذا اضفنا الى طعامها بعض مواد النخالة التي يخلو الخبز الابيض منها· فهنا اناس في بلاد من انقى البلدان هواء واوسعها مجالاً على السكان ومع ذلك يصابون بما يصاب بهِ سكان اشد الاحياء ازدحاماً في المدن الكبيرة اي بالسل وحفر الاسنان وما اشبه

والطعام السخيف الذي يأكلونهُ يضطرهم الى تدفئة اكواخهم لتدفأ ابدانهم لان طعامهم لا يكفي لتدفيئتهم شأن الحمام الذي نطعمهُ الخبز الابيض فانهُ يقفُّ و ينفش ريشهُ ليدفأ ·

ومعيشتهم هذه تضعف دورة دمهم وتنفسهم وتمدّد رئاتهم . وهواء اكواخهم السخن المشبع بالبخار يقلل تبخر الرطوبات من مجاري التنفس وخروجها من الانسجة المفاوية وتنظيف الدم للرئتين وكل ذلك يسهل على ميكروب السل الاقامة في رئاتهم ويقلل المقاومة التي تتوقف عليها المناعة . واللعاب يقي الاسنان من ميكروبات النقد ولكن استمرار اولادهم على الاكل يضعف فعل اللعاب ويزيد حرارة الفم فتنمو ميكروبات النقد فيهِ وتتلف الاسنان

وقد اخبرني الملازم سيم انهُ رأى ازدياد السل حديثاً في شمالي نروج حيث ابدل السكان مواقدهم القديمة التي كانوا يدفئون اكواخهم بها بالمواقد الحديدية الاميركية . ففي الزمن الماضي كان الجانب الاكبر من حرارة النار يصعد في المداخن فيدفأُ الناس بالحرارة المشعة من المواقد اما الآن فصارت المواقد الاميركية تسخن كل هواء الاكواخ بحرارة تمازجها الرطوبة والسكان يسمّرون شبابيكم ولا يفتحونها كل مدة الشتاء

وقد جرى الصيادون في مدينة لندن هذا المجرى ففي الزمن السابق كانوا يخرجون للصيد في قوارب مكشوفة للهواء واذا عادوا الى البر اقاموا في اكواخ تعصف فيها الرياح اما الآن فصاروا يخرجون للصيد في قوارب بخارية في القارب منها غرفة محكمة السد تدفئها حرارة الآلة البخارية فيقيمون فيها واذا عادوا الى البر لم يخرجوا منها بل بقوا فيها لكي يوفروا اجرة كوخ يقيمون فيهِ فيتعرضون لداء السل ونحوهِ من الادواء لانهم يضعفون اجسامهم عن مقاومة الميكروبات باقامتهم في اماكن حارة رطبة . اما صيادو نروج فيأكلون الخبز الاسمر والسمك المسلوق ولحم الضان المملَّح والزبدة الصناعية (مرجرين) ويشربون البيرة فطعامهم ليس سخيفاً كطعام اهالي لبرادور فلا يصابون بمرض البري بري مثلهم ولكنهم اذا انتهى فصل الصيد عادوا الى اكواخهم المسدودة الشقوق المدفأة بمواقد الحديد فيشاركون اهالي لبرادور في ازدحام المساكن وامتناع تهويتها . واما في الزمن السالف فكانوا يقيمون في قوارب مكشوفة وفي اكواخ تعصف فيها الرياح

وتدعو الحال في المدن الكبيرة الى ابقاء العمّال في المكاتب النهار كلهُ وفي الاندية واماكن التمثيل اكثر ساعات المساء . وارتفاع المساكن فيها يحول دون عصف الرياح ودون الفائدة الحاصلة من قرس البرد وحركة الهواء فيضطر السكان ان يزيلوا السآمة بتدخين التبغ وشرب المسكرات او بالافراط في الطعام او بما يهيج الاعصاب من الاشغال فيأكل الواحد منهم ويشرب ويتسلى في اماكن دافئة خالية من عصف الرياح فيشكو من ضعف الدورة وضيق الصدر وسوء الهضم وقلة الاغتذاء

ستأتي البقية

مناجاة الارواح والبحث في النفس

لقد كان البحث في النفس وما وراء الطبيعة نظريًا محضًا مبنيًّا على الحدس او على ما قال بهِ اصحاب الاديان ومعلموها . اما الآن فاخذت طائفة من العلماء والفلاسفة تبحث في الامور النفسيَّة بحثًا علميًّا محضًا مبنيًّا على التجربة والامتحان و يتضح مرادنا من التجربة والامتحان بما يلي

اذا قال قائل ان البارود مزيج من الكبريت والفحم وملح البارود على نسبة معلومة فالاسلوب العلمي لتحقيق هذا القول ان يحلل البارود لتعلم المواد الداخلة في تركيبهِ فاذا وجد ان كل ما فيهِ كبريتًا وفحمًا وملح بارود ترجحت صحة القول . ثم يخلط الكبريت بالفحم وملح البارود على تلك النسبة فان تكوَّن منها بارود ولم يتكون من اختلاط مادتين منها فقط فالقول صحيح والاَّ فلا . واذا قال آخر ان نفس زيد المتوفَّى تتجلَّى اذا دعوناها على الاسلوب الفلاني وتفعل كيت وكيت . فالاسلوب العلمي لتحقيق قولهِ ان ندعوها على ذلك الاسلوب ونرى فعلها محترسين من الخطإ والخداع . فان حضرت وفعلت ما ينسب اليها واستحال فعل ذلك بغيرها فالقول صحيح . وهذا ما يفعلهُ العلماء الآن لكن الاحتراس من الخطإ والخداع ليس بالامر السهل في المباحث النفسية كما هو في المباحث الطبيعية لان نتائج المباحث الطبيعية توزن وتكال وتقاس وتمتحن طردًا وعكسًا فاذا قال قائل ان الماء مركب من جرمين من الهيدروجين وجرم من الاكسجين وان الثمانية عشر درهمًا من الماء مركبة من درهمين من الهيدروجين وستة عشر درهمًا من الاكسجين امكنهُ ان يثبت صحة قولهِ بحل ثمانية عشر درهمًا من الماء فيتولَّد منها درهمان من الهيدروجين و ١٦ درهمًا من الاكسجين . و يكون جرم الهيدروجين مضاعف جرم الاكسجين واذا جمع بين درهمين من الهيدروجين وستة عشر درهمًا من الاكسجين واتحدها بالكهربائية تكوَّن منها ١٨ عشر درهمًا من الماء . فيحل ويركب ويزن ويكيل وتشهد حواسهُ كلها بصحة عملهِ و يفعل ذلك كلهُ في رائعة النهار ويمتحنهُ بنفسهِ من غير قيد ولا شرط وتكون نتائج الامتحان واحدة سواء اجراهُ في اوربا او اسيا او افريقية او اميركا ومهما كان جنسهُ ومذهبهُ . واما الاعمال النفسية فلا يكاد يصدق عليها شرط من الشروط المذكورة آنفًا فلا تعمل الاَّ في الظلام او النور الضئيل ولا تفعل طردًا وعكسًا ولا تجري الاَّ حسب مشيئة مدعيها وليس فيها سبيل لمعرفة الكمية لا وزنًا ولا كيلاً ولا قياسًا . فالبلوغ فيها الى درجة التحقيق العلمي يكاد يكون ضربًا من المحال وهذا لا ينفي صحتها ولكنهُ يوقع الريب الشديد فيها .

دُعينا في الشتاء الماضي لمشاهدة اعمال بعض الاور بيين الذين يدَّعون استحضار الارواح ومناجاتها . والذي دعانا قصَّ علينا من افعالهم ما يفوق التصديق ولو صدق واحد منها لتثبت ان الارواح تستحضر حقيقة وتفعل ما ينسب اليها من الافعال . فلم يصدّق كاتب هذه السطور اقوالهُ لكثرة ما شاهد من افعال هؤُلاء الدجالين ولكن احد العلماء الفضلاء وهو من اوسع سكان هذا القطر علماً وادقهم بحثاً اراد ان يمتحن ذلك بنفسهِ فزار اولئك الاور بيين ذات ليلة ورأى اعمالهم وعاد مقتنعاً ان روح اخيهِ اتتهُ من عالم الغيب وكلمتهُ بامور لا يعرفها سواه ُوانهم عملوا اعمالاً لا تفسَّر الاَّ بان الارواح حضرت وعملتها . ولج علينا حتى نذهب معهُ لمشاهدة تلك الاعمال في ليلة اخرى فذهبنا واذا كل الاعمال خداع وتدجيل وشعوذة وكل ما فيها مماَّ يعسر تفسيره ُ الآن ان بعض الناس يذهلون عن انفسهم احياناً فيرون ويسمعون ما لا حقيقة لهُ ولكن اذا نبههم منبه الى بعض ما في تلك الاعمال من الخداع انتبهوا لها كلها وبطل ذهولهم . وهذا عين ما حدث تلك الليلة فان ذلك العالم خرج مقتنعاً ان الاعمال التي شاهدها في الليلتين من قبيل الخداع . وما اصابهُ اصاب كثيرين من اكبر علماء الارض

ذكر المستر كوكس في المجلد الثاني من كتابهِ المطبوع سنة ١٨٧٩ ما يأتي قال

اجتمعنا في بيت المستر ولتر كروكس وكان معنا الاستاذ وليم كروكس والمستر غلتون وحضر المستر هوم الوسيط وسيدتان . والغرفة التي اجتمعنا فيها غرفة الاستقبال وهي غرفتان تفصل بينهما خزانة وستارة فاجلسنا المستر هوم على كرسي في الغرفة الصغرى وربطنا يديهِ باسلاك من النحاس الى ظهر الكرسي وربطنا رجليهِ الى رجليها وربطنا الكرسي بالموقد ولحمنا عقد السلك بلحام معدني . وقال العلماء الحضور حينئذٍ انهُ لا يمكن لقوة بشرية ان تزيح المستر هوم من مكانهِ مالم تقطع الاسلاك المعدنية . ثم البسناهُ رداءً واسعاً وخطنا كميهِ حتى صار كأنهُ في كيس . وكان كرسيهُ على ثماني اقدام من الستارة الفاصلة بين الغرفتين ولم يكن لهُ بيننا صديق او شريك فانهُ جاء البيت وحدهُ في مركبة لابساً لبس المساء . ثم اقفلنا باب الغرفة وختمناهُ بالشمع واقفلنا شباكها وختمناهُ حتى نكون على ثقة ان لا احد يدخل الغرفة وتركناهُ في الظلام بعد ان وضعنا لهُ جرساً على مائدة بعيدة عنهُ وخرجنا الى الغرفة التالية وكان نور الغاز ساطعاً فيها وجلسنا امام الستارة . وبعد اربع دقائق سمعنا الجرس يدقُّ بشدة ثم جعل اثاث الغرفة التي كان فيها يخرج منها الواحد بعد الآخر وبعد ذلك ازيحت الستارة واذا نحن برجل لابس لبس التجارة ووجههُ يشبه وجه المستر هوم تماماً

فوقف امامنا واتكأ على الخزانة وبقي اكثر من نصف ساعة يتكلم معنا ويخاطب كلاً منا باسمهِ ويجيبنا عمَّا نسألهُ ويبدي في كلامهِ كثيراً من الظرف والمجون . مثال ذلك اني قلت لهُ هل جسمك حقيقي او انت خيال فقال ان جسمي اقوى من جسمك . فقلت وهل في جسمك دم فقال كيف لا وان كنت في ريب من ذلك فضع اصبعك في فمي وفتح فاهُ فوضعت اصبعي فيهِ وانا اظنهُ خيالاً فوجدت فاهُ سخناً رطباً واسنانهُ صلبة حادة فعضني عضة جعلتني اصرخ من الالم ولم يدعني الاَّ بعد دقيقة من الزمان . وكان على مائدة امامنا حلقة كبيرة من الحديد صنعناها لنمتحنهُ بها فقال لي اتريد ان ادخلها في ساعدك فقلت نعم فقال اعطني يدك فاعطيتهُ يدي اليمنى فقال ناولني الحلقة فناولتهُ اياها باليسرى فمسكها وضغط بها على يدي اليمنى قرب كتفي فاحاطت بها حالاً ولا ادري كيف ادخلها لان كفي لم تفارق كفهُ على ما كنت اشعر والحلقة حلقتنا لا حلقتهُ ونحن صنعناها وهي من الحديد الغليظ غلظ حديدها اكثر من سنتيمتر . فعدت الى المائدة والحلقة حول ذراعي وفحصها الحضور كلهم واذا هي حلقتنا عينها . ثم دخلنا الغرفة التي اجلسناهُ فيها فاذا هو جالس في مكانهِ غائب عن الصواب والاسلاك المعدنية حول يديهِ ورجليهِ على حالها وخامها في مكانهِ لم يتغير وهو مربوط بالكرسي وبالموقد والرداء يغطيهِ والباب والشباك مقفلان مختومان . انتهى

فهؤُلاء الاربعة اي السر وليم كروكس العالم الطبيعي الشهير والسرفرنسيس غلتون الرحَّالة البحَّاثة والمستر ولتر كروكس والمستر سرجنت كوكس وكلهم من الموثوق بصدقهم وزكانة عقولهم شهدوا كلهم لصحة هذه الرواية . ولكن علم العلماء مهما كان راسخاً لا يكفي لاكتشاف حيل المحتالين وشعوذة المشعوذين وقد كان هوم من اشهرهم . ولقد اثبت مسكلين المشعوذ المشهور انهُ يستطيع ان يتخلَّص من الرباط مهما ظهر انهُ متين محكم ويعمل ما عملهُ هوم ثم يعود الى مكانهِ ويظهر كأنهُ بقي في رباطهِ لانهُ يحتال في لف الرباط حيلاً تسهّل عليهِ التملُّص منهُ . واذا لم يكن هوم قد فعل ذلك فلا يستحيل ان يكون كوكس وكروكس وغلتون قد خُدِعوا كلهم فرأَوا مالا يُرَى وسمعوا مالا يسمع لانهُ كما يحتمل ان يفعل بعض الناس افعالاً خارقة لا يستطيع غيرهم فعلها يحتمل ان يتخيل بعضهم انهم يرون ويسمعون ما لا حقيقة لهُ في الخارج كيف لا والنائم والحادس يريان ويسمعان ما لا وجود لهُ . وقد حادثنا السر فرنسيس غلتون مراراً في مواضيع مختلفة تطفُّ على هذا الموضوع ولم يذكر لنا قط هذه الحادثة ولا اشار اليها او الى غيرها مما يدل على انهُ يصدق بمناجاة الارواح . اما السر وليم كروكس فمن المصدقين بها ولكنهُ صار الآن اشد حذراً مما كان منذ ثلاثين سنة او اكثر

على ما يظهر لنا من كتاباتهِ الحديثة وخطبهِ او قد وقف وقفة المرتاب والمستر كوكس توفي الى رحمة ربهِ ولا نتذكر الآن اننا قرأنا شيئًا عمَّا ذهب اليهِ في اواخر ايامهِ

و يفعل المشعوذون الآن افعالاً تشبه ما فعلهُ المستر هوم فقد رأينا البارحة المشعوذ الاميركي المشهور المستر نيقولا يُربَط و يوضع في صندوق و يحزم الصندوق حزمًا متينًا و يختم و يلقى عليهِ ستار و بعد اقل من دقيقة يفتح فاذا فيهِ فتاة و يظهر المشعوذ من مكان آخر في المشهد وهو لا يدَّعي غير الخفَّة والشعوذة

ثم ان المستر هوم استطاع مرةً ان يقنع جماعة من وجوه الانكليز انهُ طار وانتقل من مكان الى آخر طائراً . وفي وصف هذه الحادثة عبرة للباحثين في هذا الموضوع ولذلك اخترنا نشرها برمتها

حدثت الحادثة في ١٦ دسمبر سنة ١٨٦٨ امام لورد لندساي ولورد ادر وكبتن ون من وجوه الانكليز ووصفها لورد لندساي في ١٤ يوليو سنة ١٨٧١ في رسالة طبعت تلك السنة قال فيها كنت جالساً مع مستر هوم ولورد ادر ونسيب لهُ و بينما نحن جلوس اصاب المستر هوم غيبة وحُمل وهو غائب من شباك الغرفة المجاورة لغرفتنا وأُدخل شباك غرفتنا والبعد بين الشباكين سبع اقدام ونصف قدم وكان في اسفل كل شباك برواز عرضهُ قدم توضع عليهِ قصائص الازهار. سمعنا الشباك يفتح في الغرفة التالية لغرفتنا وللحال رأينا هوم طائراً في الهواء خارج شباكنا وكان نور القمر ساطعاً في غرفتنا وكان ظهري متجهاً الى النور فرأيت خيال هوم على الحائط الذي تحت الشباك وقدميهِ فوقهُ على نصف قدم منهُ و بقي في هذه الحالة بضع ثوان ثم رفع الشباك ودخل الغرفة ورجلاهُ امامهُ

وكتب لورد لندساي وصف هذه الحادثة الى الجمعية المنطقية في يوليو سنة ١٨٦٩ على هذه الصورة : —

رأيت هوم طائراً خارج الشباك . اصيب بغيبوبة اولاً وجعل يمشي على غير هدًى ثم ذهب الى الدار ولما غاب عني سمعت واحداً يسرُّ اليَّ قائلاً انهُ سيخرج من شباك و يدخل من آخر . فدهشت من ذلك وخفت ان يقع بهِ شرٌّ . واخبرت الذين معي بما سمعت وجعلنا ننتظر رجوعهُ و بعد قليل دخل الغرفة وسمعت الشباك يرفع ولم ارهُ لاني كنت جالساً وظهري متجه اليهِ ولكنني رأيت خيالهُ على الحائط المقابل . خرج من الشباك على شكل افقي ورأيتهُ خارج الشباك الآخر الذي في الغرفة التالية طائراً في الهواء على ٨٥ قدماً فوق الارض . انتهى

فهذان الخبران مختلفان في امور جوهرية مع ان المخبر واحد ولكنهما متفقان في امر ينقض

صحتهما وهو انهُ كان لهوم خيال واضح في نور القمر . فان القمر كان حينئذٍ ابن يوم واحد فلا يلقي خيالاً للاجسام ، ثم ان لورد ادر الذي كان مع لورد اندساي قال انهُ رأى هوم طائراً قائمًا لا مستلقيًا اما الكبتن ون فاكتفى بقولهِ ان هوم خرج من شباك ودخل من آخر . ولعلَّ هذا هو الصواب اي ان هوم وثب من شباك الى آخر نخُيِّل للورد لندساي انهُ رآهُ طائراً مستلقيًا وللورد ادر انهُ رآهُ طائراً قائمًا . ومما يؤيد ان الامر تخيُّل لا غير ان لورد لندساي رأى طيف هوم قُبيل ذلك جالسًا في كرسي وسمع قائلاً يقول في اذنهِ انهُ سيخرج من شباك ويدخل من آخر . وفوق هذا فان هوم خرج من الشباك في جلسة سابقة ووقف على حافتهِ ينظر الى ارتفاعهِ عن الارض فاضطرب لورد لندساي من ذلك . ثم قبل الحادثة الاخيرة قال هوم ان الارواح ستطير بهِ وتخرجهُ من الشباك الواحد وتدخلهُ من الآخر وسمع لورد لندساي صوت فتح الشباك ورأى خيالاً طفيفًا على الحائط المقابل نخيّل لهُ انهُ خيال هوم وان هوم دخل من الشباك حينئذٍ طائراً في الهواء لانهُ كان قد رسخ في ذهنهِ انهُ قادر على الطيران

ومن الغريب ان العلماء المتبحرين اشد انخداعًا من غيرهم حتى قال احد مهرة المشعوذين « ان العالِم الذي يجلس حيث تجلسهُ ويلتفت الى حيث تقول لهُ ان يلتفت هو الرجل الذي تجوز عليهِ حيَل المشعوذين فانهُ يرى ويصدّق ما لا يراهُ ولا يصدقهُ تلامذة المدارس»

ذكرت جريدة النور سنة ١٩١٠ ان الاستاذ رشل الفرنسوي اعطى وسيطًا اسمهُ بايلي مئتي جنيه ليحضر من استراليا الى فرنسا ويجرب اعمالهُ النفسيَّة الخارقة امامهُ وقام بكل نفقاتهِ ونفقات رفيق لهُ لا يسافر بدونهِ . وفي احدى الجلسات اظهر بايلي طائرين ادَّعى ان الارواح جلبتهما لهُ من الهند تلك الليلة . ولكن ثبت في اليوم التالي ان بايلي اشترى ذينك الطائرين من السوق والذي باعها لهُ عرفها وعرفهُ . ولما رأى الاستاذ رشل ذلك كتب الى بايلي يقول لهُ « عليك ان تعود الى استراليا حالاً لئلاَّ تقع في يد رجال الحكومة اذا عملت عملاً آخر من هذا النوع واني مستاءٌ منك جدًّا لارتكابك هذا الخداع لاسيما واني واثق انك في غنى عنهُ بما أُعطيت من القوى الفائقة التي تمكنك من عمل اعمال تفوق الطبيعة » . ثم اعطاهُ نفقات السفر ليعود الى استراليا

ويقول هؤُلاء العلماء ان الوسطاء يستعملون الخداع احيانًا عن جهل وحمق لان فيهم قوى خارقة العادة تغنيهم عنهُ . وهاك ما قالهُ السر اوليفر لدج في جزء اكتوبر من مجلة البدرك « اني افكر الآن في نشر ما رأيتهُ من اعمال اسابيا بلادينو لان هذه الاعمال قد

تحققت بعد ذلك على اساليب مختلفة ولاني واثق انهُ تظهر من بعض الناس ظواهر طبيعية خارقة للعادة وانا غير قادر على تعليلها اي انهُ توجد قوى لم يكتشفها العلم حتى الآن »

فان ثبت ما قالهُ هذا العلاَّمة وما يذهب اليهِ هو وامثالهُ من ان ارواح الموتى تبقى حول الاحياء توَّثر فيهم فيكون اثباتهم لهُ اعظم اعمال العلماء في هذا العصر

القمار في مونت كارلو

الى الشرق من مدينة نيس بفرنسا امارة صغيرة مستقلة اسمها موناكو تحيط بها بلاد فرنسا من كل الجهات الاَّ حيث تشرف على بحر الروم. مساحتها ثلاثة اميال مربعة او اقل من الفي فدان وعدد سكانها نحو ١٩ الف نفس وهي تشمل مدينة موناكو وسكانها ٢٤١٠ ومونت كارلو وسكانها ٣٧٩٤ وكندامين وسكانها ٦٢١٨

صاحب هذه الامارة البرنس البرت الذي خلف اباهُ البرنس شارل الثالث سنة ١٨٨٩ . وشأنها قائم بالمقامرة في مونت كارلو حيث يفد الوف من اغنياء اوربا واميركا كل سنة ليقامروا ويخسر بعضهم ويربح البعض الآخر. ولكن الشركة التي تدير الآن محل القمار او الكازينو تأخذ جانباً من الدراهم التي يقامر بها فيخسرها المقامرون على كل حال

لما كان الامير شارل حيًّا رأى ان دخل امارتهِ لا يقوم بنفقاتهِ فاستشار رجلاً باريزيًّا في امرهِ ويقال ان الرجل قال لقد اضعت اموال شعبك فاضع اموال شعب غيرك . والسبيل الى ذلك ان تنشئ لهم مقمرةً . فاعطى امتيازاً بانشاء هذه المقمرة لاثنين من الفرنسويين وهما ديفال ولفافر فبنيا كازينو للقمار ولكنهما لم يفلحا

وكان في مدينة همبرج رجل اسمهُ بلانك كان يختلس اخبار التلغراف الآتية من باريس وفيها اسعار البورصة بارشاء عمَّال التلغراف وحُكم عليهِ بالسجن سبعة اشهر فلما انقضت مدة سجنهِ فتح فندقاً وجعلهُ مقمرةً صغيرة فنجح نجاحًا باهراً ولكنهُ قال في نفسهِ انهُ لا بد لحكومة المانيا من منع المقامرة عاجلاً او آجلاً . فجعل يبحث عن مكان ينتقل اليهِ ولا يخشى من مصادرتهِ فيهِ فعثر على امارة موناكو فجاءها سنة ١٨٦٠ واشترى الامتياز من ديفال ولفافر ونقل عدة المقامرة الى مدينة مونت كارلو واستخدم مهندساً من امهر المهندسين وبني الكازينو الحالي وغرس حولهُ الحدائق الغناء وانفق على ذلك نحو ستمئة الف جنيه فجعل مونت كارلو مقمرة اوربا كلها بمهارتهِ وحسن ادارتهِ

والظاهر انهُ من اقدر الرجال على اكتساب الاموال فلم يمضِ عليهِ زمن طويل حتى جمع ثروة طائلة تقدر بعشرة ملايين من الجنيهات ابتزها من اموال المقامرين برضاهم او بجهلهم . ويقدَّر الربح الصافي من هذه المقمرة الآن بمليون جنيه في السنة . وكان يعطي امير موناكو خمس مئة الف فرنك كل سنة وكل ما يلزم لنفقاتهِ وجانبًا من ربح المقمرة ويقوم بكل النفقات اللازمة لاصلاح السكك في الامارة وحفظ الحدائق وحفظ الامن . واستاء السكان منهُ مرة وثاروا على اميرهم لكي يبطل المقامرة من امارتهم فطلب بلانك من الامير ان يعفي السكان من كل الضرائب على انواعها وهو يدفعها عنهم فسكن ثائرهم

وانتقل الامتياز منهُ الى شركة مساهمة فجددتهُ الى خمسين سنة تنتهي سنة ١٩٤٧ ودفعت مقابل ذلك لامير موناكو الحالي ٤٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٨٩٩ وستدفع لهُ ٦٠٠٠٠٠ سنة ١٩١٣ وزادت الجزية السنوية التي كانت تدفعها لهُ وهي ٥٠٠٠٠ جنيه فجعلتها ٧٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٠٧ وستجعلها ٨٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٧ و٩٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٢٧ و١٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩٣٧

و يمتاز مونت كارلو على غيرهِ من المقامر بجمال موقعهِ وطيب هوائهِ وحسن بناء الكازينو وفاخر اثاثهِ ورياشهِ على ما يقول الذين زاروهُ

ولا يُلعب فيهِ من العاب القمار الاَّ لعبتان لعبة الرولت ولعبة الثلاثين والاربعين والكازينو او البنك يربح منهما ربحًا لا ريب فيهِ يبلغ صافيهِ في السنة مليون جنيه كما تقدم لا لانهُ يربح كل مرة او من كل مقامر بل لان الربح والخسارة متوقفان على الصدفة لا غير وفي دائرة الرولت ٣٧ عدداً او بيتًا والبنك لا يعطي من يلعب ربحًا الاَّ اذا اصاب بيتًا من ٣٥ بيتًا منها فيبقى للبنك ربح محقق من بيتين اي من واحد من ثمانية عشر ونصف . فاذا قامر مقامر بثمانية عشر الفًا وخمس مئة جنيه في اوقات مختلفة بقي لهُ منها سبعة عشر الفًا وخمس مئة جنيه وخسر الف جنيه يربحها منهُ البنك . وقد يربح زيد مبالغ طائلة من البنك ويخسر عمرو مبالغ طائلة يربحها منهُ البنك ولكن تكون النتيجة الاخيرة ان البنك يربح اكثر من خمسة في المئة من كل الدراهم التي يُقامر بها فاذا قامر المقامرون في سنة من السنين بعشرين مليونًا من الجنيهات فالبنك يربح منها مليونًا او اكثر من الجنيهات . وقد يخسر بعض الاحيان خسارة طائلة ويُحتمل ان يخسر كل ما يملكهُ في يوم واحد او بضعة ايام كما قد يخسر كل من يقامر هناك كل ما يملكهُ فلا تبقى لهُ فرصة لاسترداد ما خسرهُ ولكن

البنك تحوط لذلك وجعل للمبالغ التي تجوز المقامرة بها حدًّا لا تتعداهُ حتى اذا خسر لا تكون الخسارة فادحة لا عليهِ ولا لهُ

وبديهي انهُ اذا كان البنك ينال من الانصبة اكثر مما ينالهُ المقامرون على نسبة ٣٧ الى ٣٥ فالربح محقق لهُ والخسارة محققة للمقامرين مهما كان علمهم ومهما كانت مهارتهم ومهما بلغت ثروتهم . فان كانوا يتسلون حقيقة تسلية تساوي الاموال التي يخسرونها فيكون شأنهم شأن كل من يتسلَّى بشيءٍ لا ينفعهُ ويدفع اجرة تسليتهِ . ولكن القمار لا يقف عند حد التسلية ومن اندر الامور ان تجد مقامراً يتسلى بالمقامرة ويسرُّ بها بل الامر الغالب او الامر العام ان كل مقامر يقامر ليكسب ولما كانت الخسارة محققة اكثر من الكسب فالكدر موَّكد اكثر من السرور ناهيك ان الذين يخسرون لا يقفون عند حد بل قد يستمرون على اللعب حتى يخسروا كل ما يملكونهُ فتخرب بيوتهم وتسوءُ حال عيالهم . والذين يربحون لا يكون للربح قيمة كبيرة في اعينهم لانهم لم يتعبوا لنيلهِ فلا يهتمون بحفظهِ والغالب انهم يتعلقون على القمار حتى تدور عليهم الدائرة

ويقال ان حكومة فرنسا وحكومة انكلترا حاولتا مرة ان تجبرا امير موناكو على منع المقامرة في امارتهِ وابطال الامتياز فقال لهما انهما اذا اصرَّتا على ذلك تنازل عن امارتهِ لامبراطور المانيا فخافتا العاقبة وتركتاهُ وشأنهُ . وهو من المهتمين بالمباحث البحرية العلمية ولهُ في ذلك شأن كبير عند العلماء وقد حرَّم على سكان امارتهِ المقامرة فلا يقامر احد منهم . والشركة التي تدير المقمرة تبذل جهدها لكي لا يقامر احد الأَّ وعندهُ ثروة لا تضيمهُ خسارة جانب منها فاذا تمكنت من ذلك فعلاً ولم تبح المقامرة الاَّ لكبار الاغنياء ولا سمحت ان يقامر الواحد منهم الاَّ بجزءٍ صغير من دخلهِ تكون قد قللت الضرر ما امكن وخير من ذلك منع المقامرة بتاتًا

ومن الغريب ان الحكومات التي لا تجيز المقامرة تجيز المراهنة واوراق النصيب وكلها من نوع المقامرة اي الكسب او الخسارة بمجرد الصدفة والاتفاق لا بالسعي والجد فالذي يراهن على سبق فرس او فوز مصارع كالذي يراهن على وقوف كرة الروات عند هذا العدد او ذاك . والذي يشتري ورقة من اوراق الجمعيات الخيرية او سنداً من سندات البنوك ذات الاقتراع ثم يربح او يخسر وقت سحب القرعة كالذي يقامر تماماً . والفرق الوحيد بين الامرين ان المراهنة تكون غالبًا على مبالغ قليلة والمقامرة تكون غالبًا بمبالغ كبيرة ولعل هذا الفرق كافٍ لتحليل الواحدة وتحريم الاخرى

غرائب الراديوم

اشتهر الراديوم شهرة لم ينلها غيرهُ من العناصر حتى سار ذكرهُ بين الخاصة والعامة وتحدّث بغرائبهِ العالم والتاجر والعامل. وهو ثمين جدًّا ولم يستخلص منهُ حتى الآن الاَّ الشيء القليل فيستعمل الاطباء ذرات صغيرة منهُ لغلاء ثمنهِ وشدة فعلهِ واذا اصاب الذرة منهُ حادث ما نشرت خبرهُ الجرائد وتناقلتهُ الالسن

وقد حدث بالامس ان احد الاطباء في بلاد الانكليز اراد ان يداوي عليلاً بالراديوم فاستأجر من احدى الشركات الكيماوية التي تؤجر الراديوم ذرة صغيرة وزنها جزء من ثلاثة عشر جزءا من القمحة وثمنها ٥٠٠ ريال مركبة في جهاز صغير يقيها من الضياع ويسهل استعمالها في المداواة . وبعد ان استعملها نزع الاربطة عن العليل ورماها في النار ورمى معها ذرة الراديوم على غير انتباه . ولم يفقه لغلطهِ الاَّ بعدما لعبت النار بالاربطة واصبح تخليص الراديوم منها محالاً . ولكنهُ جمع كل رماد الموقد وارسلهُ الى الشركة . ولدى الامتحان ظهر ان الرماد اكتسب خواص الراديوم وفعلهُ وان تسعة اعشار الذرة كانت باقية في الرماد فاستخلصتها منهُ

ويصعب تصوّر الراديوم على من لم يرَهُ فقد اجتمعت فيهِ طبائع غير مألوفة في غيرهِ من العناصر. ولاجل تقريب تصورهِ من الافهام اتى احدهم بالتشبيه الآتي في مجلة الميكانيكيات الاميركية قال : —

تصوّرْ بارجة توالي اطلاق المدافع والقنابل بلا انقطاع بسرعة تفوق سرعة رصاص البنادق اربعين الف ضعف . وتصور انها ترشق وابلاً من القنابل الصغيرة بسرعة ١٧٥ الف ميل في الثانية وانهُ ينبعث من هذه القنابل اشعة كهربائية تنفذ الصخر والخشب والحديد واللحم والعظم وتخترق وتردي ما يعترض في سبيلها بتموجاتها القتَّالة . وتصوّر حول هذه البارجة غازاً يمتد عدة اميال ويحيط بكل مادة في طريقهِ ويلصق بها . وتصوّرْ ان داخل هذه البارجة شيئًا كثيراً من كرات المدافع تذهب وتجيءُ بسرعة تفوق الادراك . واخيراً تصوّر ان كل من يكون في دائرة معلومة حول هذه البارجة يحترق او ينشل او يعمى

فاذا تصوّرت هذا كلهُ فاعلم ان في الارض ملايين من هذه البوارج الغريبة ولكنها في غاية الصغر حتى ان في رأس الابرة مجالاً لاسطول كبير منها . هذه البوارج هي جواهر

الراديوم . ولو كُبّر جوهر منها الى حجم البوارج المعروفة وكُبّر معهُ فعلهُ وقوتهُ على هذه النسبة لفعل الفعل المشار اليهِ آنفًا واكثر

وقد اصبح العلماء يؤَملون ان تنكشف لهم اسرار النور واللون والحرارة والكهربائية والمغنطيسية بدرس طبائع هذا العنصر . ويجدر بنا ان نلقي نظرة عامة على تاريخ اكتشافهِ تمهيداً لفهم ما يلي

لما اعلن رنتجن سنة ١٨٩٥ اكتشافهُ الاشعة المعروفة باسمهِ تهافت العلماء على درسها واستطلاع سرها . فبحثوا في كل الاعمال التي عملها وآلت الى اكتشاف هذه الاشعة لعلهم يجدون فيها ما يرشدهم الى معرفة حقيقتها . وخطر للعالم بونكاره الفرنسوي انهُ لا بد من علاقة بين هذه الاشعة والتألُّق الذي يحدث عند توليد اشعة رنتجن فنبه الافكار الى ذلك . وللحال اخذ العالم الرومي نيونغلوسكي يجرب وينقب لاجل اكتشاف تلك العلاقة . فاخذ لوحًا فوتوغرافيًّا ولفهُ بورق اسود ووضع فوقهُ قطعةً مربعة من الزجاج ووضع فوق قطعة الزجاج حبوبًا قليلة من كبريتيد الجير الذي ينير في الظلام كما تنير عيدان الكبريت اذا فركتها باصابعك . وفي اليوم التالي ظهَّر اللوح فبانت صورة قطعة الزجاج منطبعة عليهِ فثبت لهُ ان بعض الاشعة من كبريتيد الجير اخترقت الغلاف الاسود ووصلت الى اللوح فاثرت فيهِ . ولكنهُ وجد ان هذه الاشعة ليست اشعة رنتجن لانهُ عاين اثر انحرافها على حروف الزجاجة واشعة رنتجن لا تنحرف هذا الانحراف

ثم جاء الاستاذ بكرل الفرنسوي ووالى التجارب باحثًا عن هذه الاشعة المجهولة وكان يعلم ان كل المواد التي تحتوي على الاورانيوم لها خاصية الانارة . فعمل ما عملهُ نيونغلوسكي ولكنهُ ابدل كبريتيد الجير ببعض مركبات الاورانيوم بعد ان عرَّضهُ لنور الشمس . واعاد هذه العملية مرات عديدة حتى اذا كان ذات يوم وقد اعد عدتهُ لاجرائها واذا بالشمس احتجبت بالغيوم فوضع ما كان معهُ من املاح الاورانيوم واللوح الفوتوغرافي في درج واتفق انهُ التى على اللوح مفتاحًا . وبعد ذلك بايام قليلة عثر على هذا اللوح الفوتوغرافي فظهَّرهُ واذا بصورة المفتاح منطبعة عليهِ . فرأى عند ذلك ان الاورانيوم يؤَثر في اللوح الفوتوغرافي وهو في الظلام ولو لم يعرَّض لنور الشمس . وجرَّب ذلك باملاح كثيرة من املاح الاورانيوم فكانت النتيجة واحدة . ولكنهُ وجد ان التراب المعدني المعروف بالبتشبلاند الذي يستخلص الاورانيوم منهُ تأثيرهُ اشد من تأثير الاورانيوم . فاستنتج من ذلك ان فيهِ مادةً اخرى غير الاورانيوم تؤَثر في الالواح الفوتوغرافية اكثر من كل مادة معروفة لذلك العهد . فاخذ العلماء

يحاولون استخلاص تلك المادة وافرازها على حدة . وسميت الاشعة التي تؤثر هذا التأثير اشعة بكرل باسم مكتشفها وعُرف من خواصها ايضاً انها تفرغ الجسم المملوء بالكهربائية

وكان اكتشاف خاصية هذه الاشعة في تفريغ الكهربائية خطوة كبيرة في سبيل اكتشاف العنصر المطلوب اذ تمكنوا بها من استخدام الالكتروسكوب لاكتشافهِ . والالكتروسكوب آلة بسيطة تصنع من اناء زجاجي يسدُّ بفلينة يدخل فيها سلك نحاس تتصل بهِ وريقتان رقيقتان جدًّا من ورق الذهب فاذا أُدني منهُ جسم مكهرب تكهربت ورقتا الذهب بكهربائية واحدة وافترقتا وهما تتأثران بالكهربائية مهما كان مقدارها قليلاً

واذا كان الالكتروسكوب مكهرباً ووريقتاهُ مفترقتين وادنيت منهُ اشعة رنتجن او اشعة بكرل ارتخت وريقتاه وتدلتا حالاً . ومن هذا تتضح اهمية الالكتروسكوب في كشف مصدر هذه الاشعة لانهُ يكتشفها ويتأثر بها مهما كانت ضعيفة

وبعد هذه الاكتشافات اكبَّت مدام كوري على درس اشعة بكرل وبحث عن المادة التي تتولد منها . فاخذت تبحث في المواد التي يتركب منها البتشبلاند وساعدتها الحكومة النمساوية على ذلك اذ وهبتها مقادير من هذه المادة بعد استخلاص الاورانيوم منها . واتصلت في ابحاثها الى اكتشاف عنصر جديد فعلهُ اشد من فعل الاورانيوم بالالواح الفوتوغرافية والالكتروسكوب ودعتهُ باسم البولونيوم نسبة الى بلادها بولونيا . ولكنها بقيت متيقنة ان في البتشبلاند مادة اخرى فعلها اشد من فعل البولونيوم فواصلت البحث والتجارب الى ان توفقت الى اكتشاف الراديوم بالاشتراك مع زوجها الاستاذ كوري . وكانت ذرة الراديوم التي استخلصتها اولاً صغيرة جدًّا تشبه ملح الطعام في منظرها ولكنها تضيء في الظلام واشعاعها يفوق اشعاع الاورانيوم ١٨٠٠٠٠٠ ضعف

اما طريقتها في استخلاص الراديوم فطويلة مملة تقتضي كثيراً من عمليات التحليل والتبلور ولا تتمُّ الاَّ في شهور لاسيما وان مقدار الراديوم في البتشبلاند قليل جدًّا جدًّا اقل من الذهب في ماء البحر مع ان البتشبلاند اوفر راديوماً من غيرهِ

ولا فرق بين الراديوم وغيرهِ من المعادن كالحديد والذهب والنحاس الاَّ في سرعة انحلالهِ وانفراط دقائقهِ . فنسبتهُ الى الحديد من هذا القبيل كنسبة القطار السريع الى الزورق الشراعي

وقد قدَّر العلماءُ ان حياة الراديوم لا تطول اكثر من ٢٥٠٠ سنة بينما حياة الاورانيوم وهو اسرع المواد انحلالاً بعد الراديوم تبلغ ٧٥٠٠ مليون سنة . فوجود الراديوم الان يدلُّ

على انهُ يتكون دواماً من عنصر آخر ولولا ذلك لتلاشى منذ عهد طويل

والرأي الغالب بين العلماء ان الراديوم عنصر معدني كالحديد والذهب وانهُ تولد من الاورانيوم وسيستحيل الى رصاص. وهو في طور التحول والانحلال وتشع منهُ ثلاثة انواع من الاشعة سمَّاها العلماء باسماء الاحرف الثلاثة الاولى اليونانية الفا و بتا وغما . فاشعة الفا دقائق من الكهربائية الايجابية تتطاير منهُ بسرعة ١٥٠٠٠ ميل في الثانية وحجم كل دقيقة ضعفا حجم جوهر الهيدروجين الذي كان اصغر الجواهر المعروفة قبل اكتشاف الراديوم . واشعة بتا الكترونات من الكهربائية السلبية وحجم الواحدة منها جزء من الف جزء من حجم جوهر الهيدروجين وسرعتها تقرب من سرعة النور . واشعة غما هي اشعة رنتجن عينها وتنشأ عن اصطدام الالكترونات من اشعة بتا بشيءٍ يعترض مجراها و يوقفها . فاصطدام الالكترونات ووقوفها يولدان في الاثير تموُّجات تنفذ الاجرام كما ينفذ النور الزجاج . وينبعث من الراديوم غاز يُكسب كل مادة يلامسها قوة الاشعاع وربما كان لهُ خواص اخرى غير هذه لم يهتدِ اليها العلم حتى الآن

والراديوم اثمن المواد كلها ولم يستخلص من العنصر الصرف حتى الآن الاَّ ذرة صغيرة استخلصتها مدام كوري بعد العناء الشديد وما بقي من الراديوم فاملاح مركبة منهُ ومن الكلور او البروم

واثمانهُ فاحشة فالذرة الصغيرة التي لا تكاد ترى بالعين المجردة يبلغ ثمنها ٥٠٠٠ ريال وقد قدِّر ثمن الليبرة بمئة مليون ريال . وفي الليبرة منهُ قوة تساوي قوة ١٥٠٠٠٠٠ طن من الفحم الحجري اي ان فيها من القوة ما يكفي لتسيير بارجة محمولها ١٥٠٠٠ طن مدة ثلاثين سنة بسرعة ١٥ ميلاً في الساعة

واعجب ما في الراديوم الالكترونات المتطايرة المعروفة باشعة بتا اي دقائق الكهربائية السلبية وهي غير محصورة في الراديوم بل يرى البعض انها اصل المواد كلها . واذا تحرَّكت كان من حركتها مجرًى كهربائي وعَمَلُ التلغراف اللاسلكي يقوم بحركتها التي تولّد التموجات في بحر الاثير

و يظن جمهور كبير من العلماء ان العناصر كلها تراكيب مختلفة من الالكترونات . فاذا كثرت الالكترونات في بناء الجوهر كان العنصر ثقيلاً مثل البلاتين والذهب واذا قلَّت كان خفيفاً كالصوديوم والليثيوم . واذا دارت الالكترونات في جهة واحدة حول قضيب من الحديد صيرتهُ مغنطيساً جذَّاباً . و يذهب البعض الى ان تموُّجات النور ناتجة عن تحريك

هذه الالكترونات للاثير في دورانها حول الجواهر · فان كل جوهر تحيط بهِ طائفة منها تدور حولهُ على الدوام فهو بذلك يشبه الشمس بسياراتها · وكما تختلف ابعاد السيارات عن الشمس وتختلف سرعة كل سيار بحسب بعدهِ كذلك تختلف ابعاد الالكترونات وسرعتها · وعلى هذه الصورة تحدث كل التموجات المختلفة من تموجات الحرارة الواسعة الى تموجات النور والكهربائية الضيقة ويحدث كل ما هي سببهُ من نمو النبات واعداد الغذاء للانسان

وسوف تزداد معارف الانسان وتنكشف لهُ اسرار في الطبيعة لم يعلمها حتى الآن فيستخرج من قطع صغيرة من المعدن قوة تفوق القوة التي تحصل الآن من جبل من الفحم او نهر من البترول · وسوف ينير المساكن و يدير المطاحن و يسيّر البواخر بالقوة المذخورة في جواهر المادة

السكان والضرائب والاعمال النافعة

في القطر المصري

كان عدد سكان القطر المصري منذ ثلاثين سنة ٦٨٣١١٣١ وكان مجموع الاموال التي يدفعونها للحكومة ضرائب اطيان ورسوماً اخرى ٧١٧٢٢١١ جنيهاً فيخص النفس منهم مئة وخمسة غروش · وكان اكثر الاموال من ضرائب الاطيان وعشور النخيل وما اشبه من الاموال المقررة وكان مقدارها حينئذٍ ٥٤١١٩٧٨ جنيهاً وما بقي فهو من الاموال غير المقررة اي التي تزيد وتنقص من سنة الى اخرى حسب احوال البلاد من اليسر والعسر وكان مجموعها حينئذٍ ١٧٦٠٢٣٣ جنيهاً

اما الاموال المقررة فبقيت على حالها تقريباً من ذلك العهد الى الآن نقصت قليلاً برفع الضرائب عن بعض التوالف حتى هبطت الى ٤٦٢٠٩٣٨ جنيهاً سنة ١٩٠٠ ثم زادت بربط الضرائب على ما اصلح من الاطيان وكثرة المباني حتى بلغت في العام الماضي ٥٥٢٨١٧٤ جنيهاً فكأنها لم تزد في ثلاثين سنة سوى ١١٦١٩٦ جنيهاً لا غير · ولكن الاموال غير المقررة زادت بزيادة السكان وزيادة ريع الاطيان فكانت ١٧٦٠٢٣٣ سنة ١٨٨٢ فصارت الآن ٥٨٣٢٧٦١ جنيهاً اي انها صارت اكثر من ثلاثة اضعاف ما كانت مع ان عدد السكان لم يصر ضعفين حتى الآن لانهُ كان ٦٨٣١١٣١ نفساً فصار في آخر العام الماضي ١١٩٧٥٨٢٥ نفساً ولذلك اذا قسمت الاموال المقررة وغير المقررة على عدد السكان الآن خصّ النفس منهم نحو ٩٥ غرشاً لا غير في السنة اي ان ما يدفعهُ كل نفس

للحكومة نقص عشرة غروش في السنة عما كان عليهِ منذ ثلاثين سنة

وللحكومة دخل آخر من المصالح ذات الايراد كسكك الحديد والبوسطة والتلغراف كان مجموعهُ ٢٥٨ ٤١٥ ١ جنيهاً سنة ١٨٨٢ فبلغ في العام الماضي ١٩٣ ١٦٨ ٤ جنيهاً ودخل ثالث من بعض الابواب كالبدل العسكري وتشغيل الوفور وايجار اطيان الحكومة والمستقطع من ماهيات المستخدمين وقد بلغ الدخل من هذه الابواب ٣٨٨ ٢٦٥ جنيهاً سنة ١٨٨٢ وبلغ في العام الماضي ٦٢٢ ٢٦٣ ١ جنيهاً

ويحسن ان نفصل كل باب من هذه الابواب على حدة ليظهر نمو كل واحد منها منذ ثلاثين سنة الى الآن

		سنة ١٨٨٢	سنة ١٩١١
الاموال المقررة	اموال الاطيان	٤ ٩٧٧ ٦٣٥	٥ ٠٦٦ ٧٧٨
	عشور النخيل	٠ ٠٨٨ ٢٣٧	٠ ١٣٨ ٤٨٤
	عوائد الاملاك	٠ ٠٦١ ٨٧٧	٠ ٣٢٢ ٩١٢
	اموال اخرى مقررة[1]	٠ ٢٨٤ ٢٢٩	...
	الجملة	٥ ٤١١ ٩٧٨	٥٥ ٢٢٨ ١٧٤
الاموال غير المقررة	عوائد التبغ	٩١ ٦٤٣	١ ٦٦٨ ٥٦٨
	« غير التبغ	٥٣٠ ٨١٣	٢ ١٦٨ ٧٧٩
	« الملح	٢٠٠ ١٨٠	...
	« الفنارات	١٥٠ ١٥٦	٤٢٠ ٨ ١
	مصائد الاسماك	٠٩٣ ٦٣٨	٤٢ ٢٣٦
	معادي النيل	٠٧٥ ٦٨٦	٠٤ ٧٨٩
	التمغة	٠٥٧ ٧٩٥	٤٣ ٣٠٤
	تمغة المصاغات	٠٠٥ ١٨٦	٠٥ ٣٩٣
	الرسوم القضائية والقيدية	٢٠٤ ٦٦٠	١ ٤٢٨ ٠٠١
	رسوم متنوعة	٨٠ ٩٠٥	٠ ٠٥٠ ٨٩٠
	الدخوليات	٢٦٩ ٨١١	...
	الجملة	١ ٧٦٠ ٢٣٣	٥ ٨٣٢ ٧٦١

(١) بطنطة الصنايع وضريبة زرع التبغ والعوائد الشخصية وعوائد الخيل والمركبات

		سنة ١٨٨٢	سنة ١٩١١
ايرادات المصالح ذات الايراد	دخل سكك الحديد	١ ١٩١ ٥٤٩	٣ ٧٢٨ ٨٩٤
	« التلغرافات	٠٤٩ ٩٧٩	٠١٢٦ ٩٦٦
	« البوسطة	٠٠٨٣ ٩٢٥	٠٣١٢ ٣٣٣
	« وابورات البوسطة	٠٠٨٩ ٨٠٥	...
	الجملة	١ ٤١٥ ٢٥٨	٤ ١٦٨ ١٩٣
ايرادات اخرى	تشغيل نقود الحكومة	...	١١٤ ٦٤٣
	ايجار املاك الحكومة	٠٧٧ ٥٣٠	١٦٨ ٨٩٨
	المستقطع من الماهيات	٠٦٣ ٩٢٠	١٢٨ ٦٤٣
	ايرادات متنوعة	١٥٤ ٢١٧	٨٥١ ٤٣٨
	الجملة	٢٦٥ ٣٨٨	١ ٢٦٣ ٦٢٢

ومجموع دخل الحكومة كان ٨ ٨٥٢ ٨٥٧ جنيهاً سنة ١٨٨٢ او نحو تسعة ملايين من الجنيهات . (والاصح ان يقال انهُ كان يبلغ تسعة ملايين او اكثر قليلاً لان سنة ١٨٨٢ كانت سنة الثورة فقل الدخل فيها نحو ٣٧٠ الف جنيه عن السنة التي قبلها ونحو ٨٢ الف جنيه عن التي بعدها) . واما مجموع دخل الحكومة في العام الماضي فبلغ ١٦ ٧٩٢ ٧٥٠ جنيهاً اي انهُ تضاعف في ثلاثين سنة مع ان ضرائب كثيرة الغيت واموال الاطيان لم تزد بل أُنقصت وعملت الحكومة في هذه المدة اعمالاً كثيرة نافعة تقدَّر قيمتها باكثر من خمسين مليونًا من الجنيهات فقوَّت القناطر الخيرية حتى صارت تُصلح لرفع المياه اللازمة للري الصيفي وحولت ري المديريات الوسطى حتى صارت تروى ريًّا صيفيًّا وانشأَت خزان اصوان وقناطر اسيوط واسنا وزفتي وانشأَت الرياح التوفيقي وبنت المدارس والمحاكم والمديريات والبوسطات وانشأَت مينا الاسكندرية وارصفتهُ وانشأَت كثيراً من السكك الزراعية ورصفت شوارع العاصمة ومع ذلك لم يزد الدين الذي كان عليها بل نقص كثيراً فقد كان ٩٦ ٤٥٧ ٣٢٠ جنيهاً انكليزيًّا سنة ١٨٨٢ ثم زاد على اثر الثورة العرابية وتعويضات الاسكندرية وعمل بعض الاعمال اللازمة حتى بلغ ١٠٦ ٨٠٢ ٣٦٠ جنيهاً انكليزيًّا سنة ١٨٩٠ ثم جعل ينقص رويداً رويداً حتى لم يبقَ في ايدي الجمهور من سندات الديون المصرية سوى ٨٩ ١١٧ ٥٤٠ جنيهاً انكليزيًّا وما بقي فقد اوفي كدين الدائرة السنية ودين الدومين

او هو سندات ابتاعتها الحكومة . فكأنها قلّلت ديونها منذ ثلاثين سنة الى الآن اكثر من سبعة ملايين من الجنيهات ودفعت تعويضات الاسكندرية وعملت من الاعمال النافعة والاصلاحية ما يقدَّر بخمسين مليونًا من الجنيهات ولم يخرج من حوزتها الأطيان الدائرة السنية وما باعتهُ من اطيان الدومين والاملاك الحرَّة . ومن المؤكد انها انفقت من المال الاحتياطي العمومي في العشرين سنة الاخيرة اربعين مليونًا من الجنيهات اكثرها على اصلاح الري والصرف والسودان وسكك الحديد وميناء الاسكندرية وكلها من الاموال المقتصدة لان دخل الحكومة قبل ذلك لم يزد على نفقاتها زيادة تذكر. وبلغ ما انفق على اصلاح الري والصرف فقط من المال الاحتياطي نحو ١٥ مليون جنيه وعند التحقيق ١٤٧٢٣٦٤٩ جنيهًا . وبلغ ما انفقتهُ من المال الاحتياطي والقروض منذ ثلاثين سنة الى الآن نحو ٥٢ مليونًا من الجنيهات وذلك عدا النفقات العادية

وبديهي ان اموال الحكومات لا ينفق كل غرش منها في سبيلهِ بل قد ينفق الكثير منها في ما لا فائدة منهُ وكثيرًا ما تشتري الشيء بضاعف ثمنهِ او تنفق على عملهِ مضاعف ما ينفقهُ غيرها ولكن الذين يراقبون اعمال الحكومة المصرية ويسمعون شكوى المقاولين من تدقيقها ومن قلة ربحهم بل من خسارتهم في بعض الاحيان ويرون نتائج الاعمال التي عملتها لا يشكُّون في انها مقتصدة في اعمالها مثلما يقتصد كل واحد من رعاياها في اعمالهِ واكثر مما تقتصد بعض الدوائر الكبيرة في اعمالها. وهذا لا ينفي انها تستطيع ان تزيد تدقيقًا واقتصادًا وانها مطالَبة بذلك ذمة

ورب قائل يقول كيف استطاعت الحكومة المصرية ان تنفق اكثر من اربعين مليونًا من الجنيهات على الاعمال النافعة منذ عشرين سنة الى الآن ولم يزد دينها بل نقص ولم تكن البلاد على ثروة طائلة قبل ذلك بل كانت على حافة الافلاس اي كيف مكنتها ميزانيتها من انفاق هذه النفقات من غير عجز فيها

والجواب انها تمكنت من ذلك لان حماية انكلترا لها كفتها مؤُونة النفقات الحربية التي تنفقها البلدان المماثلة لها فان سكان القطر المصري الآن ١٢ مليونًا من النفوس وكل ما تنفقهُ الحكومة على جنودها وجيش الاحتلال لا يزيد على مليون جنيه في السنة فانظر الفرق بين ذلك وبين ما تنفقهُ الدولة العثمانية في السنة الآن وهو اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات مع ان سكانها لا يزيدون على ٢٦ مليونًا من النفوس او بين ذلك وبين ما تنفقهُ اليونان والسرب والبلغار وعدد سكانها كلها عشرة ملايين من النفوس فانها تنفق في السنة اربعة ملايين من

الجنيهات فلو انفقت مصر على نسبتها لوجب ان تنفق الآن على حربيتها خمسة ملايين من الجنيهات اي خمسة اضعاف ما تنفقهُ

وهاك جدول نفقاتها الحربية في العشر سنوات الاخيرة

السنة	نظارة الحربية	جيش الاحتلال	المجموع
١٩٠٢	٥٥٧٣٧٨	٨٤٨٢٥	٦٤٢٢٠٣
١٩٠٣	٦١٠٨٥٧	٨٤٨٢٥	٦٩٥٦٨٢
١٩٠٤	٦٢٤٩٩٦	٨٤٨٢٥	٧٠٩٨٢١
١٠٩٥	٦٥٧٦١٦	٩٧٥٠٠	٧٥٥١١٦
١٩٠٦	٧٢٤٤١٢	٩٧٥٠٠	٨٢١٩١٢
١٩٠٧	٧٤٨٤٠٩	١٢١٨٧٥	٨٧٠٢٨٤
١٩٠٨	٨٠٥٠١٣	١٤٦٢٥٠	٩٥١٢٦٣
١٩٠٩	٨٢٠٨٢٣	١٤٦٢٥٠	٩٦٧٠٧٣
١٩١٠	٨٦٣٢٢٣	١٤٦٢٥٠	١٠٠٩٤٧٣
١٩١١	٩١٠٢٤١	١٤٦٢٥٠	١٠٥٦٤٩١

فالمتوسط اقل من مليون جنيه في السنة واذا حسبنا النفقات الحربية من سنة ١٨٨٤ الى الآن وجدنا متوسطها اقل من ثلاثة ارباع المليون في السنة فالاحتلال البريطاني والنفوذ البريطاني وفَّرا لهذا القطر نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كل سنة منذ ثلاثين سنة الى الآن ولولا ذلك ما عُمل عمل نافع فيهِ ولا استطاع ان يقوم بايفاء فوائد الديون التي كانت متراكمة على عاتقهِ

فاذا نظرنا الى السكان رأيناهم قد زادوا منذ ثلاثين سنة الى الآن اكثر ممَّا زادوا في مئات من السنين قبلها . والزيادة المطَّردة دليل الرخاء واستتباب الامن ودفع الاوبئة والاعتناء بالصحة العمومية ولا سيما صحة الاطفال

واذا نظرنا الى الضرائب التي تدفع الى الحكومة لقاء ما تعملهُ من حفظ الامن والاهتمام بحفظ الصحة والحقوق والتعليم وسائر ما يطلب من الحكومة رأينا ان حملها على النفوس قد خفَّ عمَّا كان عليهِ منذ ثلاثين سنة مع ان اسباب المعيشة قد غلت كلها

ولكن اذا نظرنا الى معايش الناس اي سعة الاطيان الزراعية رأينا انها لم تزد على نسبة زيادة السكان ولذلك لا يمكننا ان نقول ان الثروة العمومية زادت الزيادة الواجبة

ذكاء الحيوان الاعجم وحيلتهُ

طُلب من جماعة من المعتنين بتربية الحيوانات وتدريبها ان يكتب كلٌّ منهم اغرب ما وقع لهُ مما يدل على ذكاء الحيوان او على ما تفتقهُ لهُ حيلتهُ اذا وقع في مأزق فكتبوا ما يلي

قال المستر فرنك بُشتوك . ان خبرتي الطويلة في تربية الحيوانات وتدريبها ارتني شواهد كثيرة تدل على ذكاء الحيوان ولكن اذ قد طلب مني ان اورد حادثة واحدة اجتزيت بالحادثة التالية وقد كان لشمبانزي اليد الطولى فيها

ربيت هذا الشمبانزي احسن تربية فجاء غاية في الكياسة والتأدُّب لا ينقصهُ الاَّ النطق بل لم يكن في حاجة اليهِ اذا كان معي او مع الذين الفهم لاننا كنا نفهم مرادهُ كأنهُ يخاطبنا بالكلام . وقد سميتهُ قنصل وسأدعوهُ بهذا الاسم في ما يلي

حدث ذات يوم اني اتيتهُ بقرد صغير شديد الذكاء وشديد الاذى . وكان انوفًا يترفع عن معاشرة ما دونهُ من القرود لكنهُ رحَّب بهذا القرد على غير عادتهِ فاصطحب الاثنان وكانا يقضيان اكثر النهار سوية يلعبان ويمرحان على جاري عادة القرود

وكنت قد عوَّدت قنصل العيشة المرفهة فلهُ مخدع خاص يبيت فيهِ ومائدة يأكل طعامهُ عليها بتأدب وتأنق . واتفق ذات يوم ان القرد الآخر قلب صحفة الطعام فانكب على الارض وجاء قنصل يتناول طعامهُ وهو لا يعلم ما حدث فاصابت يدهُ الطعام المكبوب على الارض فرفعها حالاً مشمئزًا وكنت واقفًا فجعلت اراقبهُ وانا انتظر ان يهجم على القرد ويضربهُ لكنهُ لم يفعل ذلك بل وقف هنيهة كأنهُ يفكر في ما يجب عملهُ في تلك الحال ثم خرج من الغرفة وعاد بعد دقيقة من الزمان ومعهُ صابون ومنشفة ودلو ماء ومشى الى القرد بعظمة وتأنٍّ وقبض على رقبتهِ واعطاهُ المنشفة وجرَّهُ الى حيث الطعام المكبوب واضطرهُ الى لمهِ وغسل مكانهِ . ثم اخذهُ الى خزانة ووضعهُ فيها واقفل بابها ووقف امامها مصغيًا ولما رأى ان القرد لم يبدِ حراكاً عاد الى المائدة وجلس وتناول طعامهُ على جاري عادتهِ ودلائل الانفة بادية على وجههِ

هذا وان اختباري الطويل في تدريب الحيوانات يدلني على انها واسعة الحيلة جدًّا وان ذكاءها يقوم بسعة حيلتها

وكتب المستر غاناواي المشهور بتربية الكلاب وعرضها يقول : — ربيت الكلب

المعروف بشادر وعرضتهُ في كل المعارض التي تعرض فيها الكلاب حتى صار يحسب انهُ خُلق ليعرَض . وكان لهُ ابن سميتهُ شدي ودربتهُ مثلهُ لكي يقوم مقامهُ متى شاخ . واتفق اني عزمت ذات يوم ان اعرض كلاباً جديدة فرأيت ان اعرضهُ معها بدلاً من ابيهِ حيث عُرض ابوهُ مراراً كثيرة قبل ذلك فالبستهُ استعداداً لعرضهِ وكان ابوهُ يرى ذلك فاستغرب فعلي ثم لما مضيت بابنهِ وتركتهُ اخذ منهُ الغيظ كل مأخذ غيرةً وحنقاً . ولما عدت الى البيت رأيت تغيُّر اطوارهِ لانهُ لم يسرع الى ملاقاتي على جاري عادتهِ ولكنهُ بشَّ لي وتبسَّم وهو يبصبص بذنبهِ فظننت انهُ نسي ما حدث وخرجت بهِ في المساء للنزهة على جاري عادتي وبينما انا سائر وهو الى جانبي تركني بغتةً واطلق اقدامهُ للريح فناديتهُ وصفرت لهُ ولكنهُ لم يلتفت اليَّ ولم اعرف سبب ذهابهِ ولكنني كنت واثقاً انهُ لا يلبث ان يعود الى البيت . فصرفتهُ عن بالي وسرت نحو المعرض عازماً ان اؤَدبهُ على ما فعل حينما اعود الى البيت

ولما دخلت المعرض رأيت فيهِ شيئاً غير عادي زرافات من الناس مجتمعين وكانهم يخافون ان ينتقلوا من امكنتهم فسألتهم ما الخبر فقالوا ان كلبك شادر جاء ليعرض نفسهُ وها هو مع كلب آخر . وكان كذلك فانهُ لما رأى انني اغضيت عنهُ استقلَّ بنفسهِ وذهب الى المعرض وحدهُ ولم يعبأ بي

فناديتهُ فلباني حالاً لان الكلاب التي من نوعهِ من اطوع ما يكون وعاد معي الى البيت ولكن على الرغم منهُ لانني لم ارَهُ قط في حالة من القنوط وانكساف البال كما رأيتهُ حينئذٍ

ولقد مضى عليَّ سبع عشرة سنة وانا ادرب الحيوانات واعرضها ولم تقع لي حادثة ادل من هذه الحادثة على ذكاء الحيوان

وكتب المستر فوهل مربي الحيوانات في اميركا يقول كان عندي قرد فهيم أُصيب بألم في احد اسنانهِ ونحن في اورليانس الَّمهُ جدًّا فاستعملت لهُ كل مسكنات الالم على غير فائدة فنحف جسمهُ وتولاَّهُ الارق ورأيت ان السن المصابة هي احدى الانياب ويعسر قلعها لطولها فعزم طبيب الاسنان ان يلبسها تاجاً من الذهب وخفت ان لا يجلس القرد امامهُ فاستعنت بثلاثة من الرجال ولكن حالما حقن الطبيب لثتهُ بالكوكايين زال الالم فجلس هادئاً لا يبدي حراكاً فثقب الطبيب الضرس ونظفهُ واتيت بهِ في اليوم التالي وحالما فُتح الباب اسرع الى الكرسي وجلس عليها وفتح فاهُ . وبقينا نتردد على طبيب الاسنان الى ان اتم تلبيس الناب بالذهب والقرد يسبقني ويجلس في الكرسي عن طيب نفس

وبعد سنتين اتينا اورليلنس ومررنا امام باب طبيب الاسنان فافلت القرد مني وصعد اليهِ متذكراً انهُ هو الذي اراحهُ من الالم

وكتب الماجور رتشردصن وهو ثقة في امر الكلاب المعروفة بالسلوقية الدموية قال

ان امانة الكلب لصاحبهِ من ادل دلائل الذكاء ولذلك ارى القصة التالية تنطبق على ما سئلت عنهُ وانا واثق بصحتها . وهي حدث في الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ ان المعركة التي وقعت في بلد بازيل كانت من اشد المعارك فان الالمانيين امطروا البلد وابلاً من القنابل فقابلتهم الحامية بمثلها ولم تسلّم لهم واخيراً اقتحمت فرقة من الالمان بيتاً وقتلوا كل الرجال الذين فيهِ طعناً بالحراب . وداروا حول البيت واذا هم برجل جريح مطروح الى جانب كلبهِ وبندقيتهُ الى جانبهِ واراد الجنود ان يجهزوا عليهِ ولكن ضابطهم منعهم وبعد قليل اضطرمت النار في البيت واسلم الجريح روحهُ وبقي كلبهُ الى جانبهِ حارساً لهُ وكان الضابط الالماني من محبي الكلاب فاشفق على الكلب ان يتركهُ هناك فيحترق فاحتال عليهِ وانقذهُ واخذهُ معهُ

وفي الشهر التالي أُمر هذا الضابط ان يذهب للاستطلاع في غابة قرب اورلين وكان الفرنسويون هناك اقوى من الالمانيين فذهب مع بعض رجالهِ والكلب معهُ ومضى الليل وتضحى النهار ولم يأْتِ القائد منهُ خبر فارسل مئة وخمسين من الجنود ليقتفوا اثرهُ ويفتشوا عنهُ فساروا الى ان وصلوا الى الغابة فرأَوا الكلب يعوي جريحاً عند مدخلها كأَنهُ يقصد ان يوجه الانظار اليها ثم مشى امامهم الى ان وصلوا الى كومة كبيرة من الاغصان وجانب منها مكشوف وتحتهُ وجه الضابط صاحب الكلب وعلموا بعدئذٍ ان الفرنسويين التقوا بالالمانيين وقتلوهم كلهم وغطوهم باغصان الاشجار ورموا الضابط بالرصاص لكن الكلب وثب واستلقى الرصاصة ببدنهِ نخرقتهُ قبلما وصلت الى الضابط فتركهُ الفرنسويون حاسبين انهم قتلوهُ اما هو فنهض وفتش عن الضابط ورفع الاغصان عن وجههِ لئلاَّ يختنق . ولما وُجد الضابط كان مغمًى عليهِ فارتمى الكلب الى جانبهِ حينئذٍ وقضى نحبهُ . وبقي الضابط غائباً عن الصواب اربعة ايام ولما افاق كان اول شيء قالهُ انهُ سأَل عن كلبهِ واخبر بما فعل لنجاتهِ ثم بنى لهُ قبراً كتب عليهِ « كان اميناً حتى الموت . افتدى صاحبهُ بنفسهِ وهدى المنقذين اليهِ »

وكتب الكونت هولندر وهو من اخبر الناس بتربية الكلاب قال

عندي كلبان من النوع المسمَّى بول تريرفلما اخرج من بيتي الاَّ ويرافقني واحد منهما او كلاهما . وهما اقدر من كثيرين من الناس على المسير في الشوارع المزدحمة مهما اشتدَّ

الازدحام فيها ومهما كثرت المركبات السريعة الجري · والغالب انني اسير بهما كل صباح في التيوب (الترامواي الذي تحت الارض) حتى اذا بلغنا الروض المعروف بهيد بارك اصعدتهما اليهِ لكي يلعبا ويمرحا فيهِ· هذا اذا كانت السماء صاحية واما اذا كانت ممطرة فاني اظل سائراً بهما الى ان نصل الى ملعب بكادلي· وكلما كنا ندنو من محطة هيد بارك كانا يقفان وينظران اليَّ كأنهما يقولان دنونا من المحطة المعهودة فما رأيك فان قلت لهما كلاَّ الدنيا ممطرة جلسا في مكانيهما لا يتحركان الى ان نصل الى ملعب بكادلي فينهضان كاسفي البال كانهما يعلمان انهما حرما من هيد بارك ذلك اليوم · وقطر الترامواي يمرُّ على محطات كثيرة قبل وصولهِ الى هيد بارك ونحن تحت الارض لا نميز الواحدة عن الاخرى ولا ندري اين نحن الاَّ من كلام المرشد اما هما فيعلمان دنونا من محطة هيد بارك قبل وصولنا اليها كأنهما يعدان المحطات التي قبلها عدًّا

وكتب السنيور برتلي ڤولبي صاحب ملعب الحيوانات الايطالي الملكي يقول

لقد وقع لي كثير من الحوادث الدالة على ذكاء الحيوان وسعة حيلتهِ ولكن الحادثة التالية اوضحها وارسخها في ذهني وقد حدثت لما كان معي الدبة الكبيرة التي كنت اسميها مدام بتاڤيا وكثير من السعادين· فقد مضيت الى ايطاليا قبل الحادثة المشار اليها وعدت منها وقد اطلقت لحيتي · ولما دخلت الملعب على جاري عادتي دنت الدبَّة مني وسيرها يدل على الحذر والتجسُّس فادركت حينئذٍ انها لم تعرفني بسبب اطلاقي لحيتي فناديتها باسمها فوقفت في مكانها وقفة المرتاب فوضعتُ يدي على لحيتي فعرفتني حالاً وبشَّت لي· ورآني اكبر السعادين ولم يعرفني فوثب عليَّ يريد تمزيقي ولكنهُ لم يكد يصل اليَّ حتى وقفت الدبة على رجليها وضربتهُ بكفها ضربة جبار من الجبابرة· واشتدَّ الصراع بينهما وانا انادي السعدان وهو يسمع صوتي فيعرفهُ ولكنهُ ينظر اليَّ فيجهلني واخيراً دخل بعض اتباعي وابعدوهُ عني· ودنت الدبة مني حينئذٍ وجعلت تفرك انفها بوجهي وامسكت لحيتي بيدها وحاولت نتفها وكأَن لسان حالها يقول اعذر السعدان لانهُ جهلك ولو نزعت لحيتك لعاد الى معرفتك · ففعلت كما قالت

وكتبت مسز هارتسهورن رئيسة مستشفى طب الحيوان تقول اننا نطبب في هذا المستشفى الحيوانات التي اصحابها فقراء لا يستطيعون ان ينفقوا على تطبيبها · ولقد رأَيت اموراً كثيرة من هذه الحيوانات تدل على ان البعض منها افهم من اصحابها · واغرب حادثة رأَيتها ممَّا يدلُّ على ذكاء الحيوان ان جاءني رجل ذات يوم ببغاء مريض مشرف على الموت فجعلت اعتني بهِ وحالما استرد شيئًا من قوته جعل ينادي قائلاً « بالله عليكم نادوا الطبيب

الببغاء مريض» . فاستغربت ذلك وجعلت ابحث عمَّن علمهُ ان يقول هذا القول فعلمت انهُ يخص امرأةً تعتريها نوبات الم شديد وكلما اعترتها النوبة تنادي «بالله عليكم نادوا الطبيب» فتعلم منها هذا النداء والظاهر انهُ فهم معناهُ وزاد عليهِ من عندهِ الكلمتين الاخيرتين

وكتب المستر كولم سكوت سكرتير ملجإِ الكلاب الضالة يقول

ان اغرب حادثة وقعت تحت نظري مماً يدلُّ على فهم الحيوان حادثة كلب جاءني بهِ رجال البوليس منذ ايام قليلة فان صاحب هذا الكلب اشتراهُ من لندن منذ عهد غير بعيد وجاء بهِ في سكة الحديد الى بدفورد ونزل في اقرب محطة الى بيتهِ وهي تبعد عنهُ ميلاً ونصفاً . والظاهر ان الكلب انف من البقاء عندهُ واراد الرجوع الى المكان الذي كان فيهِ فهرب من البيت خلسة ومضى يومان لم يسمع صاحبهُ الجديد عنهُ شيئًا ثم جاءهُ كتاب من احد اصدقائهِ يقول لهُ فيهِ اني رأيت كلبًا في مركبة من سكة الحديد التي تسير بين بدفورد ولندن على طوقهِ اسمك وقد حاولنا مسكهُ فلم نستطع واخيراً اختفى قرب المحطة الفلانية

وبُعد البيت عن المحطة ميل ونصف كما تقدم والقطر الذي يعود الى لندن لم يقم من المحطة الأبعد هرب الكلب من البيت باثنتي عشرة ساعة ثم ثبت انهُ انتظر هناك الى ان جاء القطر الذي يعود بهِ الى لندن الى بيتهِ القديم وصعد الى المركبة التي جيءَ بهِ فيها . فكيف ميَّز القطر الذي يعود بهِ الى لندن من غيرهِ وميَّز المركبة التي جاء فيها من غيرها . ولكن الشواهد على ان الحيوانات من كلاب وقطط ونحوها تهتدي الى بيوتها كحمام الزاجل كثيرة جدًّا يعدُّ منها ولا تعدَّد

هذه خلاصة ما كتبهُ جماعة من امهر المعتنين بتدريب الحيوانات وقد قال اكثرهم انهم رأوا شواهد كثيرة تدلُّ على ذكاء الحيوان وواسع حيلتهِ ولكنهم اقتصروا على ايراد حادثة واحدة لانهُ طُلب منهم ذلك

وقلما انتبه احد الى اطوار الحيوانات ولاسيما الاهلية الاَّ ورأى فيها ما يماثل الحوادث المذكورة آنفًا ولكن العلماء الذين امتحنوا مدارك الحيوان امتحانًا علميًّا لم يثبت لهم انهُ واسع الحيلة بنوع عام كأنَّ الامور الغريبة التي تشاهد منهُ خاصَّة ببعض افرادهِ لا تشترك فيها الانواع التي من جنس واحد ولا افراد النوع الواحد ولولا ذلك لرأينا بعض انواع الحيوان الاعجم ارقى كثيراً مما هي عليهِ الآن ثم ان الحيوان الذي يبدو منهُ الفهم والذكاء في بعض الامور يبدو منهُ الجهل والحمق في امور اخرى تزيل المزايا الاولى

ممالك البلقان

السرب

يرجع اصل السربيين الى قبائل سلافية كانت تقوم على حراثة الارض في غاليسيا الى الشمال الشرقي من بلاد النمسا ثم نزحت جنوباً الى شواطىء البحر الاسود في اوائل القرن السادس للميلاد ومن هناك اخذت تتقدم غرباً الى ان نزلت البلاد المعروفة الآن ببلاد السرب . وكان السربيون في اول امرهم ينقسمون الى قبائل على كل منها امير وقلما تبطل الحرب بينهم لشدة منافسة الامراء وطموح كل منهم الى السيطرة على غيره

وفي اواخر القرن السابع قامت البلغار وعظم شأنها فتطالت الى السيطرة عليهم فبقي امراؤهم نحو اربعة قرون يخضعون تارة للبلغار وتارة للروم

ثم قام منهم في اواسط القرن الثاني عشر امير يقال لهُ اسطفانوس نمانيا فجمع كلمتهم واستولى على اكثر المقاطعات السربية . وما زال خلفاؤهُ يغزون بلاد الروم ويجتاحون اطرافها حتى نشروا سلطانهم على القسم الاكبر من البانيا ومكدونيا وتتوج واحد منهم امبراطوراً على السرب والروم سنة ١٣٤٩ وكانت عاصمتهُ مدينة اسكوب التي استرجعتها السرب بالامس

ولما قوي شأن الاتراك ودخلوا بلاد البلقان وعجزت مملكة الروم عن صدهم كانت امبراطورية السرب قد اخذت في الانحطاط فخشي اهلها عاقبة الامر وبادروا الى اصلاح ما اختل من شؤونهم وكان عرش السرب خالياً بانقراض العائلة المالكة فملكوا عليهم رجلاً يدعى لازار ولكن السلطان مراد عاجلهم بالخيل والرجل فالتقى الجمعان في سهل قوصوه وكانت هناك الموقعة المشهورة التي فاز فيها العثمانيون وقُتل فيها السلطان مراد غيلة والملك لازار صبراً وذلك في الخامس عشر من شهر يونيو سنة ١٣٨٩

فصار السربيون يؤدون الجزية لسلاطين آل عثمان ولكن الامر فيهم بقي لامرائهم . ولما كانت سنة ١٤٢٧ قام منهم رجل اسمهُ جورج برنكوفتش وحاول الخروج على الاتراك فاستعان بهنيادي المجري وجمعا جيشاً من المجر والسرب فاستظهرا على الاتراك في موقعة قونوفيتزا سنة ١٤٤٤ ولكن السلطان محمداً الثاني غزا السرب سنة ١٤٥٩ فاكتسحها وضمها الى الاملاك العثمانية

ثم لما تطرّق الخلل الى الادارة العثمانية وآنس السربيون منها الضعف في اوائل القرن التاسع عشر انتهزوا فرصة عصيان الانكشارية في بلغراد واتفقوا حول بطلهم جورج پتروڤتش المشهور بقره جورج فشتتوا شمل الانكشارية وطردوهم من بلادهم واقاموا لهم حكومة مستقلة

ولما اثارت دولة الروس الحرب على الدولة العلية سنة ١٨٠٧ رأى الباب العالي ان يسالم قره جورج هذا ليكفى شرهُ فعرض عليهِ امارة البلاد السربية مع بعض الاستقلال فابى . ولكن روسيا اضطرت الى عقد الصلح مع الدولة لتتفرغ لصد اغارة نابوليون عليها وعقدت معاهدة بخارست مع الدولة العلية وبموجبها اعيدت السرب الى الدولة العلية فغشيتها العساكر العثمانية ثانية وامتلكت كل حصونها ومعاقلها ولم يرَ قره جورج الاَّ الفرار سبيلاً للنجاة

ولكن نار الثورة ما لبثت ان شبت ثانية سنة ١٨١٥ بقيادة الزعيم ميلوش ولم تأتِ سنة ١٨١٧ الاَّ وكانت بلاد السرب قد نالت الاستقلال الاداري من الباب العالي واقرت الدول هذا الاستقلال في معاهدة ادرنه سنة ١٨٢٩

وعند ذلك كثرت المؤامرات السياسية لتبديل الامراء واغتيالهم ولكن البلاد تقدمت في العلوم والتجارة والصناعة رغماً عن ذلك . ولما تولى الامارة ميخائيل اوبرنوڤتش غيَّر نظام الحكومة من غير ان يستأذن الباب العالي واصلح الادارة ونظَّم الجيش وعزَّز مركزهُ بسياستهِ الخارجية واتفق مع اليونان والجبل الاسود والبوسنه والهرسك والبلغار والالبان على ان يقوموا على الدولة العلية قومة الرجل الواحد ثم ارسل الى الباب العالي يطلب خروج الجنود العثمانية من كل الحصون السربية . فرأى الباب العالي ان يجيب طلبهُ منعاً لوقوع شر مستطير تتاجج نارهُ في البلقان

وسنة ١٨٧٦ شهرت السرب الحرب على الدولة العلية فبعثت الدولة اليها عبد الكريم باشا بجيش جرار فشتت شمل جنودها وكاد يقضي على استقلالها لو لم تتداركها روسيا باعلان الحرب على الدولة العلية

وانتهت هذه الحرب بمؤتمر برلين فاعترف هذا المؤتمر باستقلال السرب فاصبحت مملكة مستقلة وذلك سنة ١٨٧٨

ولكن هذا المؤتمر شرط على الحكومة السربية ان تمد خطوط السكك الحديدية

وتعوّض على الاتراك الذين اخذت املاكهم فازدادت نفقات خزينتها على قلة دخلها واضطرت الى عقد القروض وزيادة الضرائب مما نفّر الشعب من الحكومة والملك وقوّى الحزب المضاد لها

ولما ضُمّت الروملي الشرقية الى البلغار قامت السرب لذلك وقعدت واخذت تصخب وتطالب بالتعويض لاجل حفظ الموازنة في البلقان واذ لم تجد لندائها مجيباً شهرت الحرب على البلغار فكان نصيبها الخذلان في ميدان القتال ولكن النمسا وقفت في وجه البلغار فخرجت السرب من هذه الحرب لا عليها ولا لها

واشتد النزاع بين حزبي البلاد السياسيين فكان احدهما يميل الى روسيا ويضاد الحكومة والآخر ينقم عليها لمساعدتها البلغار ويؤيد الحكومة فرأى الملك ميلان ان يتنازل عن عرش السرب لابنهِ اسكندر لشدة مضادة الحزب الاول لهُ . واذ كان ابنهُ قاصراً تولى الحكم اوصياء يحكمون بالنيابة عنهُ فعجزوا عن التوفيق بين الحزبين وبقي الخلاف بينهما يشتد حتى تعرقلت اعمال الحكومة وتعطلت اشغالها . فهبّ الملك اسكندر حينئذٍ لتدارك ملكهِ وهو فتىً في السابعة عشرة من العمر فصرف اوصياءهُ واستلم زمام الحكومة بنفسهِ واظهر ميلهُ الى الحزب الروسي . ولكن القائمين بهذا الحزب لم يكونوا على رأي واحد فتعذر عليهِ ارضاؤُهم وامسى موقفهُ حرجاً وخشي على عرشهِ من الضياع . فاستدعى اباهُ الى البلاد واخذ بسياسة الحزم والشدة فهدأ ثائر الاحزاب قليلاً وانصرف الناس الى الاهتمام باعمالهم فتقدمت الزراعة والتجارة لكن نقم عليهِ جمهور كبير من الشعب لجعلهِ اباهُ قائداً عامّاً للجيش وتزوّجه بمدام دراغا من حاشية والدتهِ . فنفى اباهُ وجعل الحكومة دستورية برلمانية ومال بكليتهِ الى السياسة الروسية طمعاً بارضاء الشعب . ولكن فريقاً كبيراً من شعبهِ بقي ناقماً عليهِ فقتلوهُ هو وزوجتهُ شر قتلة سنة ١٩٠٣ وتجد تفصيل ذلك في الجزء السابع من المجلد الثامن والعشرين من المقتطف . فدعي البرنس بطرس قره جيورجفتش لتولي الملك ولم يزل على عرش السرب الى يومنا هذا

واهم موارد البلاد الزراعة وتربية المواشي ومن حاصلاتها الذرة والحنطة والقنب والتبغ . ويستخرج من جبالها الفحم الحجري والرصاص والزنك والانتيمون والنحاس والحديد وقليل من الذهب والفضة . واكثر تجارتها في اصدار المواشي وقد بلغت قيمة صادراتها سنة ١٩١٠ ٣٧٩٧٧٧٨ جنيهاً ووارداتها ٣٢٢٩٢٥١ جنيهاً

البلغار

في اواخر القرن السابع للميلاد ظهرت في البلقان قبيلة من القبائل الطورانية الاسيوية الاصل قليلة العدد شديدة الوطأة تُعرف بالبلغار . نبت بها مواطنها ما بين جبال اورال ونهر الفولكا فغادرتها وواصلت السير عائثة بما تمر بهِ من البلاد الى ان ضربت خيامها عند اسوار القسطنطينية وسلانيك . فرأى امبراطور الروم ان يتقي شرها بتخلية بلاد ميسيا لها واعطائها مبلغاً من المال كل عام . فاستوطن البلغار ميسيا واختلطوا بسكانها السلاف واقتبسوا لغتهم وعوائدهم وتمدنهم حتى اصبح الفريقان امة واحدة وغلب على ميسيا اسم بلغاريا او البلغار

وقويت شوكة البلغار وامتد سلطانهم ولم ينفجر عليهم القرن العاشر الاَّ ودانت لهم البلاد من البحر الاسود شرقاً الى بحر الادرياتيك غرباً ومن تساليا جنوباً الى جبال كرباثيا شمالاً وتلقب ملكهم بسلطان البلغار والروم وازهرت قاعدة ملكهم بالعلوم والفنون

ولم تطل مدة هذه السلطنة فانشقت الى مملكتين الواحدة الى الشرق وعاصمتها برسلاف والاخرى الى الغرب وعاصمتها اوخريدة . فاحتال الروم على سلطان الاولى فخلعوهُ عن العرش واخضعوا بلادهُ ولم يطل عمر الثانية فلحقت باختها

وسنة ١١٨٦ نهض البلغار بقيادة ايوان اسان وهو من سلالة ملوكهم فخلعوا نير الروم واسسوا سلطنتهم الثانية وكانت قاعدتها ترنوهُ . وازهرت هذه السلطنة بالعلوم والفنون والتجارة ولكن السربيين كانوا يخشون سطوتها اذا قويت عليهم فما زالوا يتحينون الفرص حتى حضدوا شوكتها سنة ١٣٣٠

وجاء الاتراك شبه جزيرة البلقان في القرن الرابع عشر واخذوا يفتحون الحصن بعد الحصن ويستولون على المدينة بعد الاخرى وامارات البلقان في شغل من المشاحنات والمنازعات حتى فتحوا مدينة ترنوه سنة ١٣٩٣ فدانت لهم بلاد البلغار وأُلحقت بالاملاك العثمانية وبقيت على هذه الحال نحو خمسة قرون

ولما دخل القرن التاسع عشر نهض اليونان والسرب لطلب الاستقلال وبقي البلغار في سبات عميق وجهل مطبق . ولكنهم ما لبثوا ان دبَّت فيهم روح العلم والتهذيب فاسسوا مدرسة بلغارية سنة ١٨٣٥ ولم تمضِ على تاسيسها عشر سنوات حتى قامت عشر مدارس اخرى على شاكلتها تعلّم اللغة البلغارية وتبث الروح القومية . وكان اول ما وجهوا اهتمامهم اليهِ بعد ذلك الخلاص من الاكليروس اليوناني فتم لهم فصل كنيستهم عن بطركية

الفنار سنة ١٨٧٠ اذ اصدر السلطان فرمانًا يقضي باستقلالها ويمنحهم حق انتخاب اكسرخوس برأسها ويقيم في الاستانة

وسنة ١٨٧٦ ظهرت روح الثورة في البلغار وحدثت المذابح المشهورة وشهرت روسيا الحرب على الدولة العلية فتطوع البلغار في العسكر الروسي واشتهروا بشجاعتهم وثباتهم . وأكره الباب العالي في معاهدة سان ستفانو على الاعتراف بمملكة بلغارية تمتد من الدانوب شمالاً الى بحر ايجه جنوبًا ومن البحر الاسود شرقًا الى البانيا غربًا بشرط ان تبقى سلانيك وادرنه للدولة العلية . فنقضت دول اوربا ذلك في موتمر برلين وضيّقت حدود البلغار الى ما بين نهر الدانوب وسلسلة جبال البلقان وجعلتها امارة مستقلة تحت سيادة السلطان ومنحت الروملي الشرقية استقلالاً ادارياً

فاجتمع اعيان البلغار في ترنوه وسنوا دستوراً لحكومتهم على المبادئ الديموقراطية وانتخبوا اميراً عليهم البرنس اسكندر باتنبرج الالماني ابن امير هس ثم عملوا على التخلص من العمال الروسيين الذي حكموا البلاد في الفترة بين الحكم العثماني والاستقلال فجر ذلك غضب روسيا عليهم وعلى اميرهم لانهُ مالأهم على عملهم هذا . وقام في البلاد حزبان الواحد يرمي الى مجاراة روسيا في جميع رغائبها والآخر يقول باتباع سياسة بلغارية محضة

وسنة ١٨٨٥ قام البلغار في الروملي الشرقية على حاكمهم فخلعوهُ واعلنوا انضمامهم الى الامارة البلغارية فوافاهم الامير اسكندر واستقبلوهُ بالحماس الشديد . فجعلت روسيا تغري الدولة العلية بالتنكيل بهم ورأت السرب حرج موقفهم فشهرت الحرب عليهم ولكنها ارتدت مدحورة كما ذكر في الكلام على السرب واعترف الباب العالي بالامير اسكندر حاكمًا على الروملي الشرقية

وبقيت روسيا تعمل على تقوية حزبها حتى اضطرت الامير اسكندر ان يتنازل عن الامارة . فتألفت لجنة من البلغار واخذت تطوف عواصم اوربا تطلب اميراً لهم واخيراً اجمع اعضاء الصوبرانية على انتخاب البرنس فرديناند وكان ضابطاً في الجيش النمسوي حين انتخابهِ

فاستلم اعباء الامارة سنة ١٨٨٧ وكانت احوالها الداخلية مضطربة والدول غير راضية عن تعيينهِ وروسيا تعمل على عرقلة مساعيهِ . ولكن ازمَّة الحكومة كانت في يد الوزير ستامبولوف الذي اشتهر بحنكتهِ ودرايتهِ في تسكين الاضطراب في البلاد وتمهيد السبل للامير الجديد . ولم تعترف بهِ الدول اميراً على البلغار وحاكماً على الروملي الشرقية الاّ سنة ١٨٩٦ بعد ان ارضى روسيا

وما زال البلغار يدأبون في تقوية امارتهم ورفع شأنها حتى حدث الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٨ فاعلنوا استقلالهم ولم يسع الباب العالي الآ القبول بمطالبهم . فالبلغار الآن مملكة مستقلة حكومتها دستورية

واهم موارد البلاد الزراعة فتجود فيها الحنطة والذرة والشعير والشوفان والتبغ ويصنع فيها عطر الورد والخمر . ويربى فيها من الماشية الجاموس والخيل والبقر والغنم والمعزى وغيرها . اما مصنوعاتها فقليلة واكثر المنسوجات تأتيها من النمسا غير ان الحكومة توجب على مستخدميها لبس المنسوجات الوطنية وتتخذ ثياب الجيش من مصنوعات البلاد . وتجارتها آخذة في التقدم وسنة ١٩١٠ بلغت قيمة صادراتها ١٦٤٠٠٠ ٥ جنيه ووارداتها ٧٠٩٣٠٠٠ جنيه

ويمتاز البلغار على سائر الشعوب البلقانية بشدة صبرهم على المشاق وثباتهم في الاعمال وميلهم الى السلم والسكينة وقد بلغ عددهم ٤٣٢٩١٠٨ سنة ١٩١٠

العام الجديد

١٣٣١ هجرية

عام يمر مباركاً ويعودُ فلكٌ يدور وليس ثمَّ جديدُ
كدليل ركب حين يبلغ ينثني فيؤوب — يصحب نزَّحاً ويقودُ
والتُرب تجتذب الجسوم فما لها إلاَّ الى ذاك السبيل ورودُ
والروح تأبى الانحطاط فتعتلي وتوءمُ حيث الارتقاء ترودُ
والشمس حائرة تروح وتغتدي ما إن لها بعد الطواف ركودُ
والبدر يضحك والدراري بسَّم كلٌّ لهُ شأن ونحن جمودُ
عمر تجاذبهُ السنون فينقضي سيان فيهِ الكهلُ والمولودُ
وتعاقبُ الايام اصدق منذر وعليهِ حدثان العصور شهودُ
والناس أضراب فهذا عابث يلهو وذا استصبى حجاهُ سجودُ
زيد تعصب للمسيح وعامرٌ لمحمدٍ وسمت بذاك يهودُ
ذيَّاك يطمع في الخلود منعماً وسواهُ ينفي أن يكون خلودُ
فئةٌ تحسِّن للشعوب تديناً وحلا لأُخرى في الشعوب جحودُ

كلٌّ قد اعتقد الحقيقة عنده ... وعن الحقيقة لا الضلال يذودُ
عمرو يهدد بالجحيم عويمراً ... وسلاح ذينك في الورى التهديدُ
والكون ليس بصالح لتقدم ... ما لم يساوِ البيهسَ الرعديدُ
الحرب معوان القويّ اذا عتا ... هلكَ الضعيفُ ولم تفده عهودُ
كم عاقل فطنٍ يصيح بقومهِ ... مَن بادر الحرب الضروس يسودُ
يدعو الى خوض المعامع آلهُ ... ويودّ لو يدعوهم أنْ عودوا
مرِنت على حب الشرور نفوسنا ... واضلنا سُبُل الهدى التقليدُ
أيتابعُ الاعمى البصيرُ ويدعي ... أنّ السبيل السالكيهِ حميدُ
لمن الشكاية والخطوب مغيرة ... ومن المناصر والجموع رقودُ
عمّ البلاءُ الكون فهو مسلّط ... اممًا على امم بهنّ صدودُ
وتنازعُ الامم البقاء أبادها ... إن التنازع في الفئات مبيدُ
ماذا دها طسمًا وغال جديسها ... بل فيمَ بادت صالح وثمودُ
شعب يهبّ مكافحًا شعبًا فمن ... يكفح فذالكمو هو المجدودُ
ولقد عجبت وكم رأيت عجائبًا ... لحدوثها شمّ الجبال تميدُ
من حاكمين تشاجرا فتزاحفت ... نحو القتال فيالق وجنودٌ
امٌّ يروّعها فراق وليدها ... وأبٌ يناديهِ الوداعَ وليدُ
ماذا جنى الجنديّ حتى استاقهُ ... كالمجرمين الى الفناء عميدُ
عهدي بان العدل يأخذ من جنى ... يقتصّ منهُ والبريءُ سعيدُ
ما بال ذي الامم استبدّ رُعاتها ... بالحكم هل هي للرعاة عبيدُ
خضعت لذلكم العتاة كانها ... شاة تقاد لحتفها فتبيدُ
فقدت رياضة جأشها فاستسلمت ... فأذلها استسلامها المنكودُ
كم هاتف للسلم ودّ لو أنهُ ... يحطم المركوز والمغمودُ
لم يجدهِ ذاك الهتاف وانما ... تلكم أمانٍ لات حين تبيدُ
وَمُضَلّل خال العصور مسيئةً ... فغدا على الايام وهو حقودُ
ما كان ذنب الكأس وهي نقيةٌ ... ان كان في لون المياه كنودُ
والكون إن ظلمت بهِ نار الوغى ... ذات النقاد فالانام وقودُ

دمشق — خير الدين الزركلي

علم الفلك عند العرب

نشرت الجامعة المصرية الخطب النفيسة التي القاها فيها العلامة الشهير السنيور كارلو نلّينو في السنة الدراسية (١٩٠٩ — ١٩١٠) وقد طبعت الآن في مدينة رومية. ومن يطلع على هذه الخطب لا ينتظر ان يتعلم منها علم الفلك وقد لا يلمُّ بكل تاريخهِ عند العرب ولكنهُ يخرج منها مستفيداً فائدتين كبيرتين الاولى اجتهاد علماء العرب في المباحث الفلكية الرياضية ووضعهم قواعد المثلثات الكروية الموصلة الى صحة الحسابات الفلكية. والثانية تدقيق هذا الاستاذ وامثالهِ من علماء اوربا في بحثهم وسعة معارفهم بالكتب العربية ومؤلفيها وتمحيصهم لما فيها وفرزهم الغث من السمين. واليك ما قالهُ عن كتاب تنكلوشا البابلي وكتاب الفلاحة النبطية لابن وحشيَّة استطراداً قال

« تحفظ في اوربا نسختان [١] من كتاب يخال المطّلع عليهِ اوّل بدء انهُ ترجمة تأليف تنكلوس الى العربية. واسم الكتاب في نسخة مدينة ليدن: « كتاب تنكلوشا البابلي القُوقاني [٢] في صُوَر درج الفلك وما تدُلّ عليهِ من احوالـــ المولودين بها نقلهُ من اللغة النبطية الى العربية ابو بكر بن [٣] احمد بن وحشية واملاه على ابن [٤] ابي طالب احمد بن الحسين بن علي بن احمد بن محمد بن عبد الملك الزيّات ». وفي نسخة مدينة بطرسبورغ: « كتاب سكلوشا (كذا) القوفاي من اهل بابل في صور درج الفلك و بعض دلائلها على ما اخذ عن القدماء ». وغاية الكتاب وصف الصُّوَر العجيبة التي يتوهم المؤلف ان تطلع مع كلّ درجة من درج البروج الثلثمائة والستين ثم ذكر صفات واخلاق مَن كان طالعُ مولدهِ

---

(١) *Catalogus codicum orientalium Bibliothecae Academiae Lugduno Batavae*, Lugduni Batavorum 1851-1877, t. III, p. 81, nr. 1047. — V. Rosen, *Les manuscrits arabes de l'Institut des langues orientales*, St. Pétersbourg 1877, nr. 191, 2°. — ولعل نسخة ثالثة مصونة بالمكتبة اللورنتيانية (Biblioteca Laurenziana) في فيرنسي (Firenze) من مدن ايطاليا

(٢) والصحيح القوفانيّ نسبة الى قوفا وهي الآن قرية تسمى عقرقوف في بلاد ما بين النهرين عن غربيّ بغداد. اطلب نولدك (Nöldeke) ص ٤٤٩ عن مقالتهِ الآتي ذكرها عن قريب

(٣) كذا في النسخة. والصواب: (ابو بكر احمد)

(٤) كذا في النسخة. والصواب: (على ابي طالب)

الدرجة المذكورة[١] . وقال مثلاً انّ الدرجة الثلاثين من الميزان « يطلع فيها زحل في صورتهِ العظمى التي لا يطيق احد ان ينظر اليهِ ولا ان يدنو منهُ على مسيرة الف سنة من شدّة البرد والكزاز وهو جالس على رفرف من ديباج وقد جعل احد رجليهِ على فخذ الآخر وعلى رأسهِ تاج من الزمرّد الاخضر وفي يدهِ اليمنى طوق من حجارة الشبج فيهِ مرآة كبيرة محلاّة وهي تلمع وتبرق ولحيتهُ كبيرة بيضاء مثل الثلج وفي رجلهِ خفا ديباج اسود جلد السواد وهو مشتمل بكساء خزّ اخضر اسود شديد السواد وهو ساقط مطرق » [٢] . وقال انّ الدرجة السادسة عشرة من برج العقرب « يطلع فيها لوح ذهب مدفون حواليهِ فصوص زمرّد اخضر ورجل شيخ جالس في حجرهِ مصحف يقرأ فيهِ اخبار قياما الملك واقاصيصهُ » [٣] . وعلى قولهِ الدرجة التاسعة من برج القوس « يطلع فيها عقوريا الحكيم في صورتهِ اذ كان شابًّا جميلاً وقد اخذ بيدهِ جارية حسناء وهو يحدّثها بحديث صغار لا يفهمهُ احد ويضحك اليها وعن يمينها الصنّ المقيَّر الذي حُمِلَ فيهِ رأس ريخانا الملك الى عمهِ فلما رآهُ مات فبقي الصنّ بموضعهِ سنة لا يمسّهُ احد ولا ينظر اليهِ والباب دونهُ مُغلَق الى ان جاءهم رسول ملك الفرس فدخل البيت وحرق الصنّ والرأس فيهِ »[٤] . — وجميع الكتاب خرافات مثل هذه يحكيها لدرجة درجة من فلك البروج فاذا قابلناها على ما وصل الينا من تأليف توكرس او تنكلوس الحقيقي وجدنا بين الكتابين فرقًا عظيمًا بل بونًا شاسعًا . ويركن تنكلوشا القوفاني (او بالحريّ ابن وحشية او ابو طالب الزيّات حسبما سأبيّنهُ) الى حكماء اهل بابل الاوائل ودعاهم باسماء غريبة مختلقة اختلاقًا واضحًا مثل أرْميسا و برْهمَا نيا الخُسرَواني وغيرها . فلا ريب ان هذا الكتاب هو المذكور في الفلاحة النبطية لابي بكر احمد بن علي بن المختار المعروف بابن وحشية النبطي[٥]

---

(١) مثال ذلك : يكون عالمًا فيلسوفًا يجمع الكتب ويكثر النظر فيها ويتعلم اكثر العلوم ويحتوي على ما يريد الاحتواء عليهِ ويبلغ مطالبهُ ومقاصدهُ او اكثرها

(٢) Chwolson, p. 463 (=135), n. 290

(٣) Chwolson, p. 463 (=135,) n. 289

(٤) Chwolson, p. 465 (=137) n. 294

(٥) النبط او النبيط في اصطلاح العرب في القرون الاولى للهجرة اسم اهل الحضر المتكلمين باللغات الارامية الساكنين في الشام وخصوصًا في بلاد ما بين النهرين . فليسوا النبط او الانباط الذين اتسعت مملكتهم في ارض الحجاز الشمالية الى حدود فلسطين ونواحي دمشق وصارت سنة ١٠٥ م ولاية من ولايات الرومان

ويضطرني ذلك الى وصف كتاب الفلاحة النبطية [1] ولو بغاية الاختصار . قال صاحبهُ في مقدمتهِ ان الكتاب الاصلي ألّفهُ قبلهُ بالوف سنين حكيم بابلي اسمهُ قوثامي نقلاً عن كتب اقدم من تأليفهِ بكثير وضعها ضغريث وينبوشاد وان ابن وحشية ترجمهُ من لسان الكسدانيين او النبطية (والمراد اللغة البابلية القديمة) الى العربية سنة ٢٩١هـ = ٩٠٤م [2] واملاهُ سنة ٣١٨ = ٩٣٠ على تلميذه ابي طالب احمد بن الحسين بن علي بن احمد الزيّات . فمغترًّا بهذا الكلام وبما وُجد في الكتاب من الامور والاسماء الغريبة زعم خولسن [3] انهُ من آثار بابل الثمينة النفيسة ضاعت لولا ابن وحشية وابو طالب الزيات فاستنبط من ذلك الاستنباطات البعيدة . ولتعلموا ان الفلاحة النبطية تتعلق بالعلوم السحرية اكثر منها بالطبيعيات والنبات فقال ابن خلدون [4] : وتُرجم من كتب اليونانيين (كذا) كتاب الفلاحة النبطية منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك [5] على علم كبير . ولمّا نظر اهل الملّة [6] فيما اشتمل عليهِ هذا الكتاب وكان باب السحر مسدوداً والنظر فيهِ محظوراً فاختصروا منهُ على الكلام في النبات من جهة غرسهِ وعلاجهِ وما يعرض لهُ في ذلك وحذفوا الكلام في الفنّ الآخر منهُ جملةً . واختصر ابن العوّام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهاج وبقي الفنّ الآخر منهُ مغفلاً نقل منهُ مسلمة في كتبهِ السحرية امهات من مسائلهِ » . وقال في موضع آخر [7] : « وكانت هذه العلوم [8] في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفي اهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التآليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الاّ القليل مثل الفلاحة النبطية من اوضاع اهل بابل فاخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيهِ ووُضعت بعد ذلك الاوضاع »

---

(١) نقل شيئًا من هذا الكتاب محمد راغب باشا في كتاب سفينة الراغب المطبوعة ببولاق سنة ١٢٨٢ (ص ٦٧٠ الى ٦٧٥)

(٢) وفي كتاب سفينة الراغب ص ٦٧١ (سبعين) غلط . والصواب تسعين

(٣) ص ٣٣٥ الى ٤٤٦ من كتابهِ السابق ذكرهُ ص ١٩٨

(٤) مقدّمة ابن خلدون ص ٤٣١ من طبعة بيروت سنة ١٨٧٩ م وص ٥٠١ من طبعة مصر سنة ١٣٢٧ وج ٣ ص ١٦٥ من الترجمة الفرنسية لدي سلان

(٥) اي من علم الفلاحة المرتبطة بعلوم السحر

(٦) اي الملة الاسلامية

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٤٢٤ بيروت وص ٥٥٤ مصر وج ٣ ص ١٧١ من الترجمة

(٨) اي علوم السحر والطلسمات

اما الذين جاؤوا بعد خولسن من الباحثين عن حقيقة ذلك الكتاب لاسيما كُتْشْمِدْ المذكور آنفاً ونُولْدَكَ (١) فبرهنوا بالبراهين القاطعة على انهُ من تأليفات الشعوبية المفرطين في تفضيل الامم الاجنبية على العرب المحض المتخذين كلّ وسيلة جائزةً كانت ام مكروهة ام مذمومةً بلاغاً الى مُبتغاهم . فغرض كتاب الفلاحة النبطية اثبات انّ قدماء اهل بابل قد توصلوا في مدارج الحضارة والتمدّن والتقدّم العلميّ الى غاية لم تتقرّب منها العرب في الجاهلية ولا فيما بعد الاسلام . وحيث ان معرفة احوال بابل واثور القديمة قد اندرست كليًّا منذ قرون عند الشرقيين اخترع صاحب الفلاحة النبطية الاسماء والنوادر والاخبار وزوّر ولفّق وموّه وفي كلّ واد هام ووشّى كلامـهُ ونسج كتابهُ بالخرافات الشنيعة والاكاذيب الفظيعة

ومن اعجب العجائب ان كتاب الفلاحة النبطية على المحتمل ليس تأليف ابن وحشية كما قيل في عنوان الكتاب وصدرهِ بل انما هو من مختلقات ابي طالب الزيّات (٢) الذي نسبهُ الى ابن وحشية اي الى رجل قد مات وقت نشر التصنيف تخلُّصاً من ذمّ اخوانهِ المسلمين وتبرئة لنفسهِ من تهمة النفاق والافتراء . وانتم تدرون ما اكثر مثل ذلك الفعل عند اصحاب الاحكاميات والسحريات والكيمياء وكم من تأليف عزي مثلاً الى هرمس وجاماسب وغيرهما من الحكماء الوهميين وكم نُسب الى ابي معشر ومسلمة المجريطيّ من كتاب أُلّف بعد موتهما بقرون . — واني مرتاب حتى في وجود ابن وحشية الذي عزا اليهِ صاحب كتاب الفهرست ص ٣١١ الى ٣١٢ عدّة كتب في علوم السحر و ص ٣٥٨ كتاباً في الكيمياء من دون ان يُفيدنا شيئاً ما من احوال حياتهِ . واسماؤُهُ ابو بكر احمد بن عليّ (٣) بن المختار بن عبد الكريم بن جرثيا بن بدنيا بن برطانيا ابن غالاطيا (كذا) الكسدانيّ فترون ان اسماء اجدادهِ اسماء وهمية لا اصل لها في اللغات الارامية (ومنها النبطية) او في لغات اخرى بل ان برطانيا وغالاطيا اسما ولايتين مشهورتين من ولايات المملكة الرومانية (٤) ذُكرا ايضاً في

(١) Th. Nöldeke, *Noch Einiges über die "Nabataisch Landwirthschaft"* (Zeitschrift der deutschen morgenländischen Gesellschaft, XXXIX, 1875, 445-455).

(٢) راجع نولدك ص ٤٥٣ الى ٤٥٥ (٣) وقيل : بن علي بن قيس بن المختار

(٤) اعني Britannia (Βρεττανία) و Galatia (Γαλατία) ولعل بدنيا تحريف بثونيا Bithynia, Βιθυνία او بنونيا (Pannonia, Παννονία).

كتابين لبطلميوس منقولين الى العربية (١) فيتضح انها جُعلت اسماء اشخاص تزويراً . وزيادةً على ما قلتهُ نستفيد من كتاب الفهرست ص ٣١٢ ايضاً ان جميع تأليفات ابن وحشية في السحر انما عُرفت برواية ابي طالب الزيات فذلك يزيدني ريباً في حقيقة وجود ابن وحشية

وقال قبل ذلك في نقل العرب لبعض احكام علم الهيئة عن الهنود قبلما نقلوها عن اليونان ما نصهُ

« وما اقتصر الخليفة المنصور على مجرّد احكام النجوم وما يتعلَّق بها ضروريًّا بل منذ تأسيس بغداد بسنين قليلة بادر الى احياء علم الهيئة المحض مستسقياً من موارد الهند . والذي دعاهُ الى ذلك ان رجلاً هنديًّا جاء بغداد سنة ١٥٤ = ٧٧١ (٢) في جملة وفد السند على المنصور وهو ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر اعمال الفلك على مذهب علماء امتهِ وخصوصاً على مذهب كتاب باللغة السنسكرتية اسمهُ بْرَاهْمَسْپهُطَسِدّهَانْتَ (٣) الفهُ سنة ٦٢٨ م (٦ او ٧ هـ) الفلكي والرياضيّ الشهير بْرَهْمَكُپْتَ (٤) للملك فيا كْهرَمُكْهَ (٥). وكلف المنصور ذلك الهنديّ بإملاء (٦) مختصر الكتاب ثمَّ امر بترجمتهِ الى اللغة العربية وباستخراج كتاب منهُ تتخذهُ العرب اصلاً في حساب حركات الكواكب وما يتعلّق بهِ من الاعمال . فتولى ذلك الفزاري (٧) وعمل منهُ زيجاً اشتهر بين علماء العرب حتى انهم لم يعملوا الاَّ بهِ الى ايام المأمون حيث ابتدأ انتشار مذهب بطليوس في الحساب والجداول الفلكية — اما لفظ سدهانت (٨) فمعناهُ بالسنسكرتية معرفة وعلم ومذهب علميّ وأُطلق ذلك اللفظ

(١) وهما الجغرافيا وكتاب الاربع مقالات

(٢) هذا قول البيروني في كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة المطبوع بلندن سنة ١٨٨٧ ص ٢٠٨ . — اما ابن القفطي (ص ٢٧٠ من طبعة ليبسك او ١٧٧ من طبعة مصر) فيقول سنة ١٥٦ هـ = ٧٧٣ م نقلاً عن الزيج الكبير للحسين بن محمد المعروف بابن الادمي المتوفى في اواخر القرن الثالث

(٣) Brahmasphutasiddhanta (٤) Brahmagupta

(٥) Vyaghramukha . وهو الملك فيغر المذكور في كتاب ابن القفطي ص ٢٧٠ (او ١٧٧) — وفهرست ابواب هذا الكتاب وهي اربعة وعشرون يوجد في ص ٧٤ من كتاب البيروني المسمى تحقيق ما للهند من مقولة

(٦) اطلب كتاب البيروني في تحقيق ما للهند من مقولة ص ٢٠٨ و ٢١١

(٧) سماهُ ابن القفطي (ص ٢٧٠ ليبسك او ١٧٧ مصر) محمد بن ابراهيم الفزاريّ . فليراجع ما سأقولهُ في ذلك عن قريب

(٨) Siddhanta

اصطلاحاً على كلّ كتاب في علم الهيئة وحساب حركات الكواكب . فمعنى براهمسپهطسدهانت كتاب الهيئة المصحح المنسوب الى برَهم . وحذف العرب ثاني اللفظ مقتصرين على الثلث الاخير وهو سدهانت ثم حرّفوهُ قليلاً لميلهم الى المزاوجة والاتباع في الكلام وضبطوهُ على وزن اسماء البلاد التي نُقل منها الكتاب فقالوا السندهند وسماهُ بعض المتأخرين السندهند الكبير تمييزاً بينهُ وبين كتاب السندهند تأليف محمد بن موسى الخوارزمي في عهد المأمون . وخطأ مؤلفو العرب في قولهم ان تفسير سندهند هو الدهر الداهر[1] او دهر الدهور[2] وسبب ظنهم هذا ما سأشرحهُ عن قليل من استعمال ادوار سنين لحساب حركات الكواكب في كتاب السندهند . ولم يصب البيروني إصابة تامة في (كتاب تحقيق ما للهند من مقولة ص ٧٣) « والذي يعرّفهُ اصحابنا[3] سندهنداً هو سدهاند اي المستقيم الذي لا يعوج ولا يتغيّر ويقع هذا الاسم على كل ما علت رتبتهُ عندهم[4] من علم حساب النجوم وان كان قاصراً عن زيجاتنا » — اما ما قالهُ المسعودي في اول الباب السابع من كتاب مروج الذهب (ج ١ ص ١٤٩ الى ١٥٠ من طبعة باريس) فاكثرهُ خُرافات واغلاط لانهُ خلط برهمن وهو احد آلهة الهند ببرهمكپت صاحب كتاب السندهند ثم عكس الترتيب التاريخي الحقيقي للكتب التي ذكرها[5] لان اقدمها في الحقيقة المجسطي والثاني الارجبهر والثالث السندهند والرابع الاركند

وطريقة الكتب الهندية في تعليم حساب حركات الاجرام السماوية طريقة غريبة مبنية على ما يسمّى بالسنسكرتية كلپ[6] وهي جملة الوف الوف ادوار تامة للنيرين والكواكب الخمسة المتحيرة . فان الهند زعموا ان كل الكواكب غير الثابتة خُلقت مجتمعة مع اوجاتها وجوزهراتها في اول برج الحمل اعني في نقطة الاعتدال الربيعي ثم اخذت تتحرّك حركات مختلفة السرعة

ملحق ١١ صفحة ٣٢٣ (١) هكذا ابن القفطي ص ٢٦٦ و ٢٧٠ من طبعة ليبسك (ص ١٧٥ و ١٧٧ من طبعة مصر) نقلاً عن زيج ابن الادمي

(٢) هكذا المسعودي في الباب السابع من كتاب مروج الذهب ج ١ ص ١٥٠ من طبعة باريس وفي كتاب التنبيه ص ٢٢٠

(٣) اي العرب (٤) اي عند الهند

(٥) ويوجد ايضاً هذا الترتيب المعكوس في كتاب التنبيه ص ٢٢٠

(٦) kalpa

وبعد الوف الوف ادوار تامة ستجتمع كلها ثانية هي واوجاتها وجوزهراتها في اول الحمل[١] وجملة السنين الشمسية النجومية[٢] الفائقة بين الاجتماعين الكايين تسمّى كلب . وعدد سني كلب النجومية على حساب كتاب برهمكپت اربعة آلاف الف الف وثلثمائة وعشرون الف الف (٤٣٢٠٠٠٠٠٠٠) فيتم مثلاً فيها عطارد سبعة عشر الف الف الف وتسعمائة وستة وثلاثين الف الف وتسعمائة وثمانية وتسعين الفاً وتسعمائة واربعة وثمانين (١٧٩٣٦٩٩٨٩٨٤) دوراً تامة ويتم اوجه ثلاثمائة واثنين وثلاثين دوراً تامة . فسمت العرب جملة سني كلب سني السندهند[٣] وجملة الايام ايام السندهند وايام العالم[٤] — وتسهيلاً للحساب ربما اتخذ الهند جزءًا من الف جزء من كلب اصلاً لحساباتهم وسموا ذلك الجزء مهايُك[٥] او يُك[٦] فصار عبارة عن مدة اربعة آلاف الف وثلثمائة واثنين وثلثين الف سنة الاَّ ان الادوار فيه غيرُ تامة بسبب الكسر الناشىء عن القسمة . وبما ان احد حكماء الهند

---

(١) فلذلك قال ابن قتيبة في كتاب الشعر والشعراء ص ٥٠٤ من طبعة ليدن سنة ١٩٠٤ م (وهذا النص ناقص في طبعة مصر سنة ١٣٢٢ التي لا تحتوي على كل التراجم) : « واصحاب الحساب يذكرون ان الله تعالى حين خلق النجوم جعلها مجتمعة واقفة في برج ثم سيرها من هناك وانها لا تزال جارية حتى تجتمع في ذلك البرج الذي ابتدأها فيه واذا عادت اليه قامت القيامة وبطل العالم والهند تقول انها في زمان نوح اجتمعت في الحوت الاَّ يسيرًا منها فهلك الخلق بالطوفان وبقي منهم بقدر ما بقي منها خارجًا عن الحوت . ولم اذكر هذا لانهُ عندي صحيح بل اردت به التنبيه على البيت » . يريد بيتًا من شعر ابي نواس . — واني اظن ان الهند انما اخذوا مثل هذه الاعتقادات عن قدماء بابل . فنستفيد مثلاً من سنكا اللاتيني الشهير (Seneca, *Naturales questiones*, III, 29) ان بروسوس (Berossos) الكاهن البابلي التابع نحو سنة ٢٧٥ قبل المسيح قال في كتابهِ عن قدماء اهلهِ بكون الطوفان كلما اجتمعت الشمس والقمر والكواكب الخمسة المتحيرة في برج الجدي وبكون الحريق العام كلما اجتمعت في برج السرطان . ومن الغريب ان الذين اعتنوا بنص سنكا ذلك حديثًا لم يفهموا حقيقة معناهُ وانهُ من باب مذهب القرانات العظمى المشهورة عند اصحاب احكام النجوم . فليصحح ما قالهُ شنابل الالماني : P. Schnabel, *Apokalyptisch Berechnung der Endzeiten bei Berossos* (Orientalistisch Literaturzeitung, September 1910, col. 402)

(٢) السنة النجومية (année sidérale) هي الزمان الذي تستغرقهُ الشمس للرجوع الى نجم ثابت مفروض . وهي اطول من السنة الانقلابية بشيءٍ يسير جدًّا

(٣) قال البيروني في كتاب تحقيق ما للهند ص ١٦٩ : (كلب وهو الذي يسميهِ اصحابنا سني السندهند)

(٤) البيروني ص ١٨٥ وكتاب التنبيه للمسعودي ص ٢٢٠ و ٢٢١

(٥) mahayuga (٦) yuga

راجع ملحق ١٢ صفحة ٣٣٣

الذين ذهبوا الى هذه الطريقة وعليها بنوا الحساب هو آريبهط[١] المسمى عند العرب بالارجبهر[٢] اشتهرت جملة سني يكْ عند العرب باسم سني الارجبهر او ايام الارجبهر[٣] . و بعض العرب القدماء زعموا ان الاجبهر اسم الجزء من الف جزء من سني السندهند[٤] بل انهُ اسم كتاب مستخرج من كتاب السندهند[٥] مع ان الاول اقدم من الثاني انهى

والخطب كلها على هذا النسق من التحقيق والتمحيص . ولو أُتيح لكل علومنا اناس مثل الخطيب يحققون مآخذها و يحصون ما قيل فيها لزال منها اكثر ما أُخذ فيها بالنقل والتسليم ولو كان بعيداً عن الصواب . وابناء هذه اللغة احق من غيرهم بمثل هذا التمحيص ولكن ابوابهُ موصدة في وجوههم بكتبهم الخالية من الفهارس فلا تجد فيها كلمة تريدها الا بعد العناء الشديد والبحث الطويل لا كالكتب التي طُبعت في اوربا فان البحث فيها سهل ميسور . وهذا التمحيص واجب لكثرة ما في كتبنا من الخلط والخطل سواء كان سببهُ ضعف المؤلفين او جهل النساخ

---

(١) Aryabhata الف كتبهُ في اواخر القرن الخامس للمسيح

(٢) ان العرب في الالفاظ الهندية بدلوا اكثر الياءات الاصلية جيما وكذلك في هذا الاسم . اما الراء الاخيرة فقال البيروني ص ٢١١ : (آرجبهد . . والهند يخرجون هذا الدال فيما بينها و بين الراء فانتقل الى الراء وصار آرجبهر) . — اما الارجبهز بالزاء كما يوجد احيانا فتصحيف

(٣) كتاب الآثار الباقية للبيروني ص ٢٥

(٤) قال البيروني في كتاب تحقيق ما للهند ص ٢١١ ان الفزاريّ و يعقوب ابن طارق ممن ذهبوا الى ذلك الظن

(٥) قاله المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ١٥٠ . وروى في التنبيه ص ٢٢٠ : (كيف عملت الهند كتاب الارجبهر من كتاب السندهند . الارجبهر جزء من الف جزء من السندهند) . — وفي كتاب البدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسيّ ج ٣ ص ١٤٦ من طبعة باريس سنة ١٩٠١ : « الصنف الثاني اصحاب الارجبهر جعلوا سني عالمهم اربعمائة الف واثنين وثلاثين الف سنة وسنو هذه الفرقة جزء من عشرة آلاف جزء من السند والهند (هكذا) » . ولكن في هذا النصّ نقص ظاهر لعدم ذكر الصنف الثالث بين الثاني والرابع فالمحتمل انهُ سقط شيءٌ بعد عالمهم وان الباقي وصف الصنف الثالث ولا وصف صنف اصحاب الارجبهر . وعدد ٤٣٢٠٠٠ سنة يوافق عدد السنين المساة مازروان عند الهند التي بنى عليها يعقوب بن طارق حساب اوساط الكواكب في زيجه (اطلب ما نقول في يعقوب بن طارق ص ١٦٧) . — ومن الغريب ان المسعوديّ في مروج الذهب ج ١ ص ١٥٢ سمى مازروان جملة ٤٣٢٠٠٠٠٠٠ سنة : « مئة سنة وثلاثين الف سنة مضروبة في اثني عشر الف عام وهذا عندهم هو الماززوان » . وكذلك في التنبيه ص ٢٠١ و٢٢١ ولكن من دون ذكر اسم الماززوان . ولعل الصحيح « في اثني عشر عاماً » اي ٤٣٢٠٠٠

حقوق الامم

الحرب (تابع ما قبلهُ)

اموال الحكومة الخاصة

تختلف املاك الحكومة الخاصة عن املاكها العامة بان لا حقَّ للعدو بالتصرف فيها او امتلاكها فلا يخوله القانون الأحق الاستعمال والانتفاع فيجيز لهُ امتلاك غلاتها والتصرف بايرادها على حسب ما يلوح لهُ وعلى مقتضى وضع هذه الاموال الطبيعي فلهُ اذا شاء ان يؤجر اطيان الحكومة ومراعيها وغاباتها او يستثمرها لنفسهِ ولمنفعتهِ الحربية . ومجمل القول ان للعدو استعمال اموال الحكومة الخاصة فيما تستخدم لهُ عادة وذلك لصيانتها من انتفاع غيرهِ بها ذريعة لتعزيز قوتهِ واطالة دفاعهِ . اما تعطيلها او اتلافها فليس لهُ اقل مسوغ ولا يجيزهُ القانون

الاموال المنقولة

اما اموال الحكومة المنقولة فكل ما يصلح منها لتقوية المحاربين وزيادة منعتهم يجوز للعدو امتلاكهُ والانتفاع بهِ او اتلافهُ او ابادتهُ سواء كان ملك الحكومة العام او الخاص . فادوات الحرب على انواعها كالسلاح والخيول والذخيرة والمركبات والمدافع تصبح ملكاً للعدو متى وضع يدهُ عليها . فانهُ لما كانت غاية الحرب اضعاف احد الفريقين واذلالهُ توصلاً للغرض المتنازع فيهِ كان امتلاك هذه الادوات من افعل الامور للوصول الى الغاية . ومن المقرر ان للحكومة دون سواها حق الانتفاع باسلاب الحرب جميعها فيحظر القانون على الجنود اغتنامها لانفسهم بل يوجب عليهم ايداعها مخازن الجيش المعدَّة لذلك

غير ان افراد الجند لا تُعدم فائدة اتعابها في كسب هذه الاسلاب بل تعطى نصيباً من القيمة تختلف باختلاف الرتبة العسكرية والعزم المبذول

السكك الحديدية

من املاك الحكومة ما هو من الاهمية بمكان يدعو الى افراد بحث خاص بهِ لشدة ارتباطهِ بالحرب ونتيجتها المباشرة . واهم هذه الاملاك السكك الحديدية بلا نزاع وهي اما ان تكون ادارتها في يد حكومة البلاد كما هي الحالة في مصر وفي فرنسا على معظم الخطوط وفي كثير من الممالك الاخرى او تكون في يد شركات حرة تحت مراقبة الحكومة ومناظرتها

وقد تضاربت الآراء في الغرض الاول فذهب فريق الى اعتبار هذه السكك من

ادوات الحرب ومعداتها فاجازوا للعدو امتلاكها والتصرف بها . وقال فريق آخر — ورأيهُ اقرب الى الصواب — ان الغرض من السكك الحديدية انما هو تسهيل المواصلات والمعاملات بين الافراد في انحاء البلاد فان استخدمت غرضاً لاغراض الحرب كنقل الجيوش وذخائرهم فما ذلك الاَّ صفةً وقتية اكسبتها اياها الضرورة واجازها داعي الاحوال ولذلك فهم يقولون بان للعدو الفاتح استخدامها لمصالحهِ وغاياتهِ الخاصة او الانتفاع بايراداتها طبقاً للمبدإِ الذي ذكرناهُ سابقاً . لكنهم حرموا عليهِ حق التصرف بها فليس لهُ امتلاكها او بيعها او تعطيلها ومنعوا عدَّها من غنائم الحروب واسلابها فلا يجوز لهُ اخذها الى بلادهِ بل تعود الى اصحابها الاولين عند جلائهِ

هذا ما اتفقت عليهِ اكثرية آراء الكتاب وما قررتهُ قوانين الحرب في المادة ٥١ من كتاب حقوق الامم العام

اما اذا كانت سكك الحديد ملكاً حرًّا للافراد فتعامل معاملة الاملاك الاهلية من حيث حقوق المحتلين عليها (وسيأتي الكلام على هذه الاملاك) فليس للعدو المحتل ان يستخدمها لمنفعتهِ الخاصة او ان يستولي على دخلها بل قد ذهب اكثر الكتاب الى انهُ لو استخدمها لوجبت عليهِ الغرامة ولزمهُ تعويض ما الحقهُ من الخسارة باصحابها عند انتهاء الحرب ووضع شروط الصلح

ومما يؤسف لهُ ان هذا الرأي ليس بالمتبع فعلاً بل قد خالفهُ كثيرون واباحوا للقوة حق الاستئثار بمال الافراد

البوستة والتلغراف

مثلها مثل السكك الحديد . فيحقُّ للمحتلين استعمالها لمنفعتهم ومصالحهم لانهما لا تكونان في الغالب الاَّ بادارة الحكومة مباشرة وذلك في اكثر الممالك المتمدنة ولقد كانوا فيما مضى يختلفون في حق استخدام المحتلين لها ويعلقون على المسألة اهمية عظمى اما الآن فليس ثم من اهمية للامر بفضل المخترعات العلمية الحديثة والتحسينات الجديدة التي ادخلت على التلغراف كالتلغراف الذي لا سلك لهُ والتليفون وغيرهما مما جعل التجار بين في غنىً عن استخدام اسلاك تلغراف العدو وخطوطهِ

اموال الحكومة

المال حياة الدولة بهِ تدير اعمالها وتدبر شؤونها وتحارب اعداءها فهو اعظم مساعد لها واكبر واقٍ لحقوقها ولهذا حقٌّ للفاتح اخذهُ منها فيحرمها بذلك قوتها فيسهل عليهِ تذليلها

ذلك شأن العدو ومال الدولة واما اموال الافراد الخصوصية فليس لهُ ان يمسها بسوء وللعدو في مال الجبايات والضرائب طريقان

اما ان يمنع جباية الاموال وجمع الضرائب المقررة فيمنع بذلك عدوهُ من استعمالها والانتفاع بها او ان يقوم هو مقام الحكومة الاصلية فيجمع الاموال الى خزينتهِ الخاصة . فالطريق الاول مشروع لا غبار عليهِ يسوغهُ الغرض من الحرب اي اضعاف العدو واجبارهُ على التسليم . اما الطريق الثاني فلا يخلو من الانتقاد . لانهُ ان قام العدو مقام عدوهِ في جباية الاموال والضرائب كان من العدل والانصاف ان يقوم بواجباتهِ ايضاً فانما الغنم بالغرم . وبعبارة اخرى يجب عليهِ اذ ذاك ان يقوم باعباء ما تفرضهُ جباية الاموال على الحكومة التي قام مقامها فيستعمل الاموال التي جباها في الوجوه التي جمعت لاجلها اي في سبيل المنفعة العامة واصلاح شؤون البلاد

فلا يحق لهُ انفاق هذه الاموال على منفعتهِ الخاصة كتعزيز حاميتهِ في البلاد وتقوية سلطتهِ فيها . غير ان ما حرمهُ القانون اباحتهُ العادة ومقتضى الحال فقد جرت الدول على خلاف ذلك فاصبح الامر سابقةً يتذرع بها الفاتحون الى اخذ الاموال المجموعة من الضرائب لمنفعتهم الخاصة ترويجاً لمصالحهم واسراعاً في انهاء الحرب

وطريقة جباية الاموال القانونية هي ان يفرض الفاتحون ما على كل بلد تأديتهُ من الضرائب والرسوم فيقسم على افرادها كلٌّ على قدر طاقتهِ . ولا يجوز للمحتلين فرض الضرائب على الافراد مباشرة الاَّ ما كان قرضاً او اعانة لما في ذلك من المساس بالحقوق الشخصية

هذا ويجدر بنا في هذا المقام ذكر ما للحكومة من الديون على الافراد فقد اتفق اكثر المؤلفين على ان للفاتح ان يمنع الاهلين من دفع ديونهم المستحقة للحكومة التي دخل بلادها . وغرضهُ قطع كل ما يساعدها على مداومة الحرب

واتفقوا ايضاً على ان ليس للفاتح مطالبة الاهالي بالديون المستحقة فمن قائل ان ليس للعدو قبضها وتملكها شأنه في الاملاك الاخرى لانهُ ليس دائناً ولا وكيلاً عن الدائن بل هو عدوٌّ فاتح مغتصب ومنهم من ذهب الى ان للعدو مطلق التصرف فيها

وقد ايدت محكمة لاهاي هذا المذهب الاخير في حكم اصدرتهُ سنة ١٨٩٩ فقالت ان للعدو الفاتح مطلق التصرف بديون الحكومة المستحقة عند الافراد

حقوق المحاربين وواجباتهم بازاء الاموال الاهلية

قلنا ان الاقدمين كانوا يعدون الحرب ناشبة بين جميع افراد الدولتين المتحاربتين ولذلك

كانوا يجيزون امتلاك اموال الاهالي وظلّ الامر كذلك حتى اوائل القرن الخامس عشر ·
فقام الكتّاب وجاهروا بان الحرب يجب ان لا تخرج عن حيز محدود باعتبار انها عدوان قائم بين دولتين لا بين رعاياهما فنتج عن ذلك مبدأ عظيم الاهمية بالنظر الى حقوق المحار بين وواجباتهم ازاء الاملاك الاهلية الا وهو مبدأ احترام الحقوق والاموال الشخصية وليس تأييد هذا المبدإ الاّ نتيجة ارتقاء الامم وتقدمها في معارج التمدن الحديث ولذلك ترى جميع المؤلفين اليوم متفقين على اثباتهِ والعمل بهِ وترى الدول جمعاء ترمي الى تعزيزهِ وتوسيع مضمونهِ فسنوا القوانين ونظموا الشرائع القاضية باحترام الحقوق والاموال الشخصية في حالتي السلم والحرب

على ان لكل قاعدة شواذ فلو اتبع مبدأ احترام الحقوق والاموال الشخصية حرفيًا لاصبحت الحرب رابع المستحيلات اذ لا بد للمتحاربين من مخالفتهِ ولو عن غير قصد مثال ذلك الاضرار التي تلحق الفلاح من مرور الجيوش في ارضهِ المزروعة وانهدام البيوت واحتراقها بكرات المدافع والقذائف النارية

ومن تأمل رأى في كل عمل يعملهُ المحاربون ما يمس بالحقوق والاموال الشخصية وللتوفيق بين الامرين (اي بين نشوب الحرب و بين احترام هذا المبدإ) تراهم يتمسكون بالقول المأثور ان الضرورات تبيح المحظورات فيبررون انتهاك حرمة الحقوق الشخصية بقولهم ان كل ما توجبهُ حالة الحرب الضرورية يصبح مباحًا جائزاً

ويزول مبدأ احترام الحقوق الشخصية امام الغرض الموصل الى انهاء الحرب باختصار طريقها وعليهِ فليس من مقتضيات الحرب امتلاك اموال افراد الاهالي التي لا تؤثر على مجرى الحرب فليس للعدو حجز اموال الافراد كيفما شاء بل يقضي القانون عليهِ باحترامها لا بل وبالاحتفاظ بها وحمايتها من سطو افراد العساكر · وهناك مطالب يتطلبها العدو من الاهلين وعليهم القيام بها ولوكانت مخالفة لمبدإ احترام حقوقهم الشخصية منها ايواء الجنود واطعامهم وعلف خيلهم متى تيسر ذلك ومثلهُ تقديم ادوات النقل والسفر كالمراكب والقطرات والآلات والمعدات اللازمة لتمهيد الطرق واصلاحها ومسوّغ هذه المطالب على اجحافها بحقوق الافراد مختلف فيهِ متنازع عليهِ فمن قائل ان مسوغها قيام العدو الفاتح مقام حكومة البلاد المغلوبة وحلولهُ محلها في السلطة · وهذا الرأي على وجاهتهِ لا يخلو من الانتقاد فاننا قد رأينا فيما تقدم ان حكومة البلاد المفتوحة لا تفقد سلطتها نهائيًا الاّ متى تقرر ضم البلاد الى املاك عدوها في معاهدة صلح واعترفت سائر الدول بذلك ولهذا كان الرأي المعول عليهِ

في تبرير طلب هذه المساعدة من افراد الاهالي هو القول بان حاجة الجيش المادية تدعو اليها فيشترطون لصحتها ان تصدر عن قائد الجيش العام دون سواهُ منعًا لاساءة استعمالها متى صدرت من أكثر من واحد و يشترط فيها ايضًا ان تقدم كتابة الى مدير الاقليم او القائم بالامر فيهِ على كيفية يبين فيها نوع المطلوب ومقدارهُ

والاصل في هذه المطالب ان يدفع طالبها عوضًا نقديًا لاصحابها

وقد يمتنع عادة ايجاد المال الكافي لذلك في الجيش فيعطي القائد العام ايصالات تدل على ماهية ما قدمهُ وثمنهُ تسهيلاً لتقدير غرامة الحرب عند الصلح . فان كان طالبها منصوراً عدَّ ثمنها جزءا من غرامة الحرب التي يتقاضاها من عدوهِ المغلوب والاَّ اوفاها مع الغرامة

ولرب سائل يقول كيف يعتاض الافراد عمَّا لحقهم من الخسائر ابان الحرب فنقول ان الاضرار التي كانت نتيجة طبيعية للحرب كتعطيل الاشغال وتهديم البيوت لا سبيل لتعويضها باعتبار ان الحرب قوة قهرية لا مندوحة للافراد عنها ولا يدلهم في منعها . اما ما يلحق بالافراد من الخسائر المسببة عن المطالب الخصوصية التي مرَّ ذكرها فيدفع مسببها ثمنها اما تنقيصاً من الغرامة ان كان منصوراً او زيادة عليها ان كان مكسوراً سامي الجريديني المحامي

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

مقومات الجمال

سئل جماعة من النساء المشهورات بجمالهنَّ اللواتي بلغنَ سن الكهولة او كدن يبلغنهُ كيف بلغتنَّ هذا السن ولم تزلن جميلات الوجه معتدلات القوام فكتبنَ الاجوبة التالية

قالت مدام لينا كافليياري : — الصحة الزم اللوازم اذا اريد الاحتفاظ بالجمال رغمًا عن التقدم في السن . وقد اراني الاختبار ان راحة البال ضرورية لحفظ الصحة وان جمال المنظر احدى نتائجها فتتمتع صاحبتها بالصبا الدائم

لكن هذه الراحة لا تنال بالادوية ولا بالمسكنات والفضل في ابتعادي عن الادوية

لطبيبي فانهُ يحتقرها كلها ولقد طالما قال لي انكِ تفكرين بنفسكِ فتتعبين فاجتهدي لكي تنسي نفسكِ بالرياضة · فاتبعتُ مشورتهُ فوجدت سرَّ السعادة في الرياضة فانها تجعل الجسم خاضعاً للعقل فلا يبقى حملاً ثقيلاً عليهِ بل لا يعود يشعر بهِ بل يصير العقل يأمر والجسم يفعل ما امرهُ بهِ خاضعاً · ومتى خضع الجسم للعقل فهناك الصحة والسرور وما السرور الاَّ راحة البال وهو ابو الجمال وامهُ · هناك طلاقة الوجه وحسن المحيا وبهجة الشباب ولو في سن الشيخوخة · افتكري بشيءٍ يسرُّكِ حتى تبرق اسرَّتكِ وانظري حينئذٍ في المرآة فتري ان قد ابرقت عيناكِ واحمرَّت وجنتاكِ وعاد اليكِ صباكِ

والحزن يفعل ضد ما يفعلهُ الفرح تغور بهِ العينان ويمتقع الوجه وترتخي المفاصل · واذا توالى على المرأة رسخت آثارهُ في وجهها وقامتها · المسرور يطفح وجههُ سروراً والحزين يخيم الحزن على وجههِ وعلى كل ما يحيط بهِ · المسرور يسرُّ الذين حولهُ والحزين يحزنهم · وطلاقة الوجه ليست من المزايا الطبيعية بل هي صفة مكتسبة جوهرة ثمينة تكتسب بالتمرين والممارسة

اذا لم يكن القوام على ما يراد فالرياضة تصلحهُ فاذا كان الصدر ضيقاً فالتنفس المستطيل يوسعهُ وقد يصحبهُ شيءٌ من الدوار في اول الامر ولكن هذا الدوار يزول بالتكرار ويتسع الصدر رويداً رويداً ويظهر اتساعهُ جليًّا في شهر من الزمان

لكن انماء الجسم وتجميلهُ لا يكفيان من غير انماء العقل وتجميلهِ بالمعارف فعلى مَن تريد ان تكون جميلة جسداً وعقلاً ان تطالع انفس الكتب التي وضعها ابرع المؤلفين · ولا داعي للاكثار من المطالعة فان في قراءة صفحة واحدة من كتاب نفيس ما يغذي العقل ويصرفهُ عن الهموم والغموم · والمرأة التي تواظب على مطالعة الكتب المفيدة النفيسة لا يمضي عليها سنتان حتى تشعر كأنها صغرت عشرين سنة عمَّا كانت ولو لم تقرأ الاَّ بضع صفحات كل يوم لان العقل اسرع نموًّا من الجسد · والخلاصة ان صحة العقل والجسد هي سر السعادة والشباب والجمال

وقالت مس اللالين ترس · اني على يقين تام ان الاكثار من الرياضة في الهواء لازم لحفظ الصحة والشباب والجمال · اما الوسائل التي تستعمل لتحسين الوجه فلم اعبأ بشيءٍ منها وكل ما استعملهُ من هذا القبيل مادة دهنية نقية فانها افضل ما يكون لتليين الجلد · اما لون الوجه فيتوقف على الصحة وهي شيءٌ داخلي لا خارجي · وعندي ان قضاء ساعتين او ثلاث كل يوم في الرياضة البدنية افضل لحفظ الصحة والجمال من كل العلاجات والمحسنات

والعمل الشاق لا ينهك الجسم الاَّ اذا عملهُ الانسان عن اضطرار لا عن اختيار وعن كرهٍ لا عن رغبة اما الذي يحبُّ عملهُ ويرغب فيهِ فلا ضرر عليهِ منهُ مهما كان شاقًا ٠ وحبُّ العمل سرٌّ من اسرار حفظ الصحة وطلاقة الوجه وجمال المنظر ٠ لكن الاستمرار على العمل يضني الجسم اخيراً فلا بدَّ من الراحة آونة بعد اخرى ٠ وابدال الشغل العقلي بالرياضة البدنية ولتكن في لعب يسرُّ بهِ المرء كالتنس او كالكرة والصولجان فان اللعب الجسدي المسلي خير من الاقتصار على المشي

ولا بدَّ من صرف الغم عن القلب ٠ ولقد كان الغم والهمُّ نصيبي فكنت اغتمُّ لكل فائت واهتمُّ لكل آتٍ فوجدت ان ذلك اضنى جسمي واسرع بي الى الشيخوخة فختمت على نفسي ان لا اغتمَّ لفائت بعد ان اكون قد بذلت جهدي فيهِ ولا اهتم لآتٍ مهما كان

ثم ان كثيرين من الناس تراهم مرضى خوفًا من المرض وما مرضهم الاَّ الوهم اما انا فقد عوَّدت نفسي الاعتقاد باني صحيحة الجسم ناعمة البال وان كل الاشياء تعمل معًا للخير

واخيراً اقول انني لا استحسن ان يضع الانسان لنفسهِ قواعد يجري عليها وحدوداً لا يتعداها في كيف يقضي كل يوم من ايامهِ لان هذه القواعد والحدود تصير عبئًا ثقيلاً عليهِ ٠ والعبء الثقيل شقيق الهم والهمُّ يميت الصحة التي هي ام الشباب والجمال

وقالت مدام ساره برنهرت ٠ لا يليق بي ان اقول كيف احفظ جمالي لاني لست جميلة ولكنني اقول كيف احاول ان احفظ صباي ٠ وعندي ان حفظ الصبا اهم من حفظ الجمال لان الصبية لا تموت مرتين كالجميلة ٠ وسن المرأة يتوقف على شعورها واذ اني لا اشعر بالتقدم في السن فانا لا ازال في سن الصبا ٠ وزد على ذلك اني ما دمت مواظبة على عملي فانا مواظبة على صباي ٠ وسر الصبا سرور العامل بعملهِ ومن يريد ان لا يفارقهُ صباهُ فعليهِ ان يواظب على العمل ما استطاع الى ذلك سبيلاً

اما الطعام فيختلف باختلاف الاشخاص لان ما ينفع الواحد قد يضرُّ الآخر لكن الاختبار الطويل قد علمني ان البساطة في المآكل تحفظ الصبا والجمال ٠ اما حفظ الصبا الذي هو حفظ الجمال فيقوم بالرياضة الكثيرة في الخلاء حيث الهواء النقي

وخلاصة المقال ان حفظ الصبا والجمال يقوم ببساطة المآكل وانتظام الرياضة والانصباب على العمل وصرف الهم عن القلب ٠ ولقد قضت الضرورة ان استشير الطبيب احيانًا ولكنني لا اعمل بمشورتهِ

وقالت مس ليليان براثويت . لقد جرت عادتي ان استنشق الهواء النقي دواماً ما دمت اعمل لان الاختبار قد علمني ان الهواء النقي اكبر عماد للصحة . وزد على ذلك انهُ يؤخذ مجاناً بلا ثمن لكن كثيرين يغفلون هذه الحقيقة وينسون هذه المنحة العظمى

اني افطر الساعة التاسعة وامشي خمسة اميال او ستة بعد الفطور مهما كانت حالة الجو . واذا تعذَّر عليَّ المشي لسبب من الاسباب ركبت على ظهر مركبة من مركبات الامنيبوس حتى استنشق الهواء النقي وهي سائرة بي . ولا آكل مطلقاً فوق الشبع ولا اتناول شيئاً من المنبهات

وعندي ان العمل اكبر معين لحفظ الصحة والمنظر وقد اتفق لي انني احبُّ العمل الذي اعملهُ فانا متعلقة بهِ لا انفك عنهُ

والخلاصة ان السبيل لطرد التعب والهم والغم هو الرياضة الكثيرة في الهواء المطلق والطعام البسيط الحاوي للكثير من الاثمار والخضر . وان كانت المرأة جميلة بالذات فهذه المعيشة تحفظ جمالها . انتهى

هذه خلاصة ما اجاب بهِ هؤلاء السيدات وهنَّ من ابرع الممثلات في الدنيا . والظاهر انهنَّ اجبن عن مسائل مخصوصة طرحت عليهنَّ

قهوة اللحم

ضع قطعة من لحم البقر الطري على لوح واكشطها بسكين كبيرة حتى تستحيل الى مادة كاللب وامزج هذا اللب بثلاثة امثالهِ من الماء وحركهُ جيداً حتى يكون من ذلك مادة كالعصيدة او كاللبن وضعها على نار خفيفة وانت تحركها حتى تغلي ثم ترفع عن النار فيكون منها طعام مغذٍّ سهل الهضم

إخفاء طعم زيت السمك

امزج ٢٤ درهماً من روح الليمون و١٢ درهماً من الايثر الكبريتيك و ٦ دراهم من زيت الكراويا وست دراهم من زيت النعنع وست دراهم من زيت القرنفل فاذا اضفت ١٢ نقطة من هذا المزيج الى كل ملعقة من زيت السمك زال طعمهُ الكريه

دواء البحة

اذا وضع الخطيب قطعة صغيرة من البورق في فمهِ وبلع ما يذوب منها فيهِ رويداً رويداً قبلما يقوم للخطابة انجلى صوتهُ ولم يبح ولو اطال الكلام

فائدة السعوط

كان ولد عمرهُ ثلاث سنوات يلعب بالازرار فاتفق انهُ ادخل زرًّا منها في انفهِ وحاولت امهُ اخراجهُ منهُ فزاد غوراً فاستدعت الطبيب فلم يجد وسيلة للوصول اليهِ وخطر السعوط على بال امهِ فوضعت قبصةً منهُ في انف الولد فجعل يعطس عطاساً شديداً اخرج الزرَّ من انفهِ

وفيات الاطفال

ادلُّ ما في هذا القطر على فائدة الاعتناء الصحي ما يرى فيهِ من الفرق الشاسع في وفيات الاطفال بين الوطنيين والاجانب حيث يكثر عدد الاجانب فقد بلغ متوسط وفيات الاطفال الوطنيين الذين سنهم اقل من سنة في العاصمة ٣٧٫٨ في المئة وفي الاسكندرية ٣٥٫٥ في المئة واما الاجانب فبلغ متوسط وفيات اطفالهم في القاهرة ١٧٫٨ في المئة وفي الاسكندرية ١٨٫٠ في المئة وهاك مقدار ذلك في اكثر مدن القطر

	وفيات اطفال الوطنيين	وفيات اطفال الاجانب
القاهرة	٣٧٫٨	١٧٫٨
الاسكندرية	٣٥٫٥	١٨٫٠
بورت سعيد	٣٦٫٧	٢١٫٩
الاسمعيلية	٣٢٫٨	١٩٫٠
السويس	٤٢٫١	١٠٫٧
طنطا	٣٢٫٣	٣٠٫٨
المنصورة	٢٩٫٥	١٣٫٠
دمنهور	٣٧٫٣	٣٣٫٣
الفيوم	٤٢٫٣	٣٣٫٢

وما من سبب لقلة عدد الوفيات بين اطفال الاجانب الاَّ اعتناء والديهم بهم والاَّ فهم اكثر تعرُّضاً من اولاد الوطنيين للحرّ الذي يؤثّر في الاطفال لان والديهم لم يعتادوا اقليم هذا القطر كما اعتادهُ الوطنيون

نساء الصين

(تابع ما قبلهُ)

الاديان تختلف في رسومها اختلافاً كبيراً ولكنها تتفق كلها في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحبيب الفضيلة وتكريه الرذيلة . والنساء الصينيات غاية في التديُّن والادب وكرم الاخلاق ولكنهنَّ مقيدات بعادات ورسوم غريبة ثقيلة فلا يجوز للمرأة ان تعلق ثيابها على وتد يعلق الرجال ثيابهم عليهِ . واذا كاتب الرجل زوجتهُ لا يعنون الكتاب باسمها بل باسم والديهِ واذا توفيا فباسم ابنهِ او ابنتهِ . و يفقد النساء بهجة الصبا بزواجهنَّ حتى قال شاعرهم ما تعريبهُ

ان تُرِد ضعفاً مروَّجْ فلتبادرْ تتزوَّجْ
تفقدِ النجوى وتصبحْ ضمن بستانٍ مسيَّجْ

ولذلك يميل الرجال الى البنات الرقاصات و بائعات الازهار لانهنَّ اقل من نسائهم تقيداً بالعادات . ومع هذا التقييد يكسر النساء قيودهنَّ احياناً و ينبغن حتى يفقنَ الرجال في العلوم والآداب والسياسة والادارة بل قد برع بعضهنَّ في قيادة الجيوش ففي القرن السادس توفي احد الامراء فنهضت زوجتهُ وجمعت رجالهُ وسارت بهم لمعاونة الملك وكان في حرب ودخلت حومة الوغى معهم فزادوا شجاعة و بسالة وكان الفوز لهم ولما رأى الملك ذلك منحها لقباً يقابل لقب دوقة ومنح زوجها المتوفَّى لقب دوق . وكان في الثورة المعروفة بثورة تيبنغ كتيبتان من النساء تقودها امرأتان فخاضتا غمار الحرب ببسالة فائقة . وقد قرأنا حديثاً عن كتيبة من الصبايا وهنَّ كالرجال في ملابسهنَّ واسلحتهنَّ واقدامهنَّ

واذا عقدت المرأة الصينية نيتها على شيء لم ترجع عنهُ ولو كان الانتحار . وعند الصينيين ان موت المرأة مع زوجها من الفضائل التي يباهى بها ففي سنة ١٨٦١ توفي رجل ولم يكن لهُ اولاد وكانت زوجتهُ في الخامسة والعشرين من عمرها فعزمت ان تلحق بهِ الى عالم الارواح فأُجلست على كرسي من كراسي الاعراس مكشوفة حتى يراها كل احد وطيف بها في الشوارع بموكب عظيم وهي تدعو الناس ليروها حينما تغادر هذه الحياة الدنيا . وفي اليوم المعين لموتها أُلبست حلة من حلل العرائس من الحرير الاحمر الموشى ووضع على رأسها اكليل مذهب كما يوضع على رأس العروس واجلست على الكرسي المشار اليهِ آنفاً وسير بها الى مكان القتل حيث اقيمت لها دكة ومشنقة فصعدت على الدكة وتناولت بعض المنعشات وخاطبت الجمع

المخشد وجعلت تنثر الارز عليهم والسعيد من يتناول حبة منهُ للتبرك بها ثم صعدت الى حيث المشنقة ووضعت الحبل في عنقها واسلمت الروح وتسابق الجمع حينئذٍ الى تناول الحبل فقطع قطعاً صغيرة وزعت على اقاربها ووضعت جثتها في الكرسي وحملت الى الهيكل واقيم لها مأتم فاخر على نفقة الحكومة ونصبت لها قوس نصر تذكاراً لعملها المجيد

وذكرت جريدة باكين حادثة من هذا القبيل حدثت سنة ١٨٧٣ وذلك ان رجلاً توفي وزوجتهُ شابة فعزمت ان تتناول السم لتلحق بهِ لكن والديهِ بذلا جهدهما حتى منعاها فصبرت الى ان دفن زوجها ثم امتنعت عن تناول الطعام الى ان ماتت قائلة ان موتها يعيد اتحادها بزوجها . والغالب ان الخطيبات اللواتي يموت خطَّابهنَّ ينتحرن لكي يلحقنَ بهم

ويطلب من المرأة الصينية ان تزوج جواريها فاذا بلغت الجارية السادسة عشرة من عمرها يجب ان تسأل هل تريد ان تتزوج وهي وحدها من بنات الصين تسأل هل تريد الخطيب الذي يطلبها . قالت احدى نساء الصين اني استطيع ان ازوج ابنتي لمن اريد واما جاريتي فلا استطيع ان ازوجها لمن لا تريدهُ



تحفة بديعة

اذا قلنا ان تحت نظرنا الآن تحفةً يليق ان تحتويها المتاحف والقصور ولم تأتِ بما يفضلها دقةً واناقةً ايادي ابناء العصور حمل القارئ قولنا محمل المباهاة والاطراء اوخال ان نظرنا لم يقع بعد على الغرائب المدهشات من الاشياء

بلى انا لقد شاهدنا كثيراً من الآثار المدهشة التي صنعتها يد الانسان وانبأتنا الالسنة والصحف عمَّا نقشتهُ الصناعات المحكمة واودعتهُ المهارة الفائقة في خزائن هذا الزمان . وما كنا لننكر ما اتصل اليهِ بعض القوم باجتهادهم وطول اناتهم من اتقان العمل الذي ساعدتهم الموهبة الفطرية على التفوُّق بهِ ومكنتهم المزاولة الطويلة من ان يبلغوا منهُ اقصى الغايات ويأتوا فيهِ بما يكاد يعدُّ من المعجزات

وان من اسعدهُ الحظ بان يرى حقيقة هذا الاثر الشرقي البديع ايقن ان ليس بين

الآثار التي تستوي على مناضد المتاحف ولا بين الطُّرَف التي تذخر في ابهاء القصور الشوامخ ما يفوقها دقةً وصناعةً ٠ على ان عيبها الفذّ ان صانعها شرقي نصيبهُ نصيب كل من ليس بغربي وحظ صناعتهِ حظ كل بضاعة لم تأْتنا من وراء البحار ولا احدثتها يد افرنجي

تلك التحفة مصنوعة بيد وطنينا الشاب الذكي الشيخ نسيب بن سعيد زين الدين القاطن قرية عيثات من قضاء الشوف ٠ وهي عبارة عن بيضة من الرخام لا يزيد حجمها عن حجم بيضة الدجاج الطبيعية وقد كتب عليها بخطهِ الحسن القانون الاساسي العثماني و بعض اضافات وشروح وتذييلات وغيرها مما جمع على سطح هذه البيضة العجيبة نحواً من عشرة آلاف كلمة بخط نهاية في الجودة توشك العين المجردة ان تقرأهُ ٠ والبيضة مرتكزة على لولب يدار بسهولة بحيث تستطاع قراءة المكتوب عليها من جهة واحدة ٠ وهي وسط كرة من الزجاج النقي بشكل البيضة واللولب ناتئٌ من ظهر نسر من البرونز متوج باسط جناحيهِ قائم على اسطوانة « شمعدان » بديعة الصنع من المادة التي تشابه الحجر المجزع قائمة على قاعدة من الصفر

اما الكتابة فمرتبة هكذا : في رأس البيضة الطغراء السلطانية تحيط بها هالة بيضاء ثم تمهيد مثبت فيهِ اسم الكاتب ودعاء لجلالة امير المؤمنين والدولة العثمانية وذكر السبب الذي من اجلهِ صنع هذا الاثر ففاصل تليهِ مواد القانون الاساسي بجملتها باللغة التركية فمواد هذا القانون بالعربية فتاريخ اعلان الدستور للمرة الاولى والمرة الثانية ثم جملة في شرح ما رمز اليهِ الكاتب بحمل بيضة الدستور على قوادم النسر هذا نصها :

« هذا المثال يرمز الى ان الدستور العثماني المنيف يظل محفوظاً من مكائد اعدائهِ بعناية الله وهمة حماة الدستور فان النسر وهو ملك الطير يحملهُ باسطاً جناحيهِ محلقاً بهِ في الفضاء حيث تقصر عن تناولهِ ايدي الخائنين ٠ ودوران البيضة من جهة الى اخرى اشارة الى ان عدل الدستور يشمل جهات المملكة الاربع وفي الرمز ايماء ان الدولة التي يعلو دستورها على كل شيء هي دولة ملكها قد اسس على العدل فهي راسخة الاركان منيعة الجانب وفي ذكاء اللبيب ما يغني عن الاسهاب »

و يلي ذلك قصيدتان في الدستور والجيش العثمانيين و بعد القصيدتين تاريخ كتابة هذا الاثر المنقطع النظير ثم خريطة الممالك المحروسة واسماء امهات المدن فيها

ومما يزيد امر الكتابة غرابة ان الكاتب لم يستعن بالمكبرات وان حروفها الدقيقة معتنىً برسمها كل الاعتناء حتى انك اذا نظرت اليها بالعدسية وضحت لك حلقات العين والهاء والواو جليًّا فضلاً عن نظافة الفسحات التي تركت بياضاً للفصل بين الجمل وترتيب الكتابة بهيئة

لوبية وسلامة الذوق في ابتكار صورة الرمز · زد الى ما تقدم ذلك الشعور الوطني القوي الذي دفع وطنينا الاديب الى اختياره الدستور العثماني دون سواهُ · اما المادة التي كتبت بها كل هذه المواد فغير قابلة المحو ولا التغيير

من وعى كل ما وصفناهُ علم كنه قيمة هذه البيضة الوحيدة وادرك ما عاناهُ الكاتب المقدم ذكرهُ من النصب واحياء الليل في صنع هذه البيضة · فانني لا تمثل سواد ناظر بهِ يمازج المداد الجاف على جوانب البيضة وحبة قلبهِ تتخلل دقائقها كل حرف من حروف تلك الكتابة فللهِ دره ولا شلت اناملهُ

وربما تبادر الى ذهن القارئ ان نسيباً قد مارس الكتابة زمناً طويلاً وقضى معظم ايامهِ بين القلم والقرطاس فهو يحترف حرفة الكتبة ويرتشف رزقهُ من شق تلك القصبة والحقيقة ان هذا الشاب لم يزل في مقتبل العمر ما زاول الكتابة الاَّ مهل الفراغ الذي يجعل لتلميذ المدرسة لكي يمارس الخط · ولكن لهُ من الآثار الكتابية ما يستوقف النظر ويثير العجب · من ذلك انهُ كتب مرة على حبة من الارز احدى وستين كلمة ونال بذلك الجائزة الاولى الممتازة من المعرض الذي اقيم في زحلة منذ بضع سنين اما مهنتهُ فالتجارة التي تشغلهُ عما سواها من الحرف اذ انها مرتزق اهلهِ الذين هم عيال عليهِ

بقي ان نتساءل ماذا عسى اولياء الامر واولو الحمية الغُيُر على الاثار والمصنوعات الوطنية ان يفعلوا بهذا الاثر البديع افيرضون ان يظل مدفوناً في « عيتات » كالدرة الكامنة في جوف الصدفة وهو ذكرى دستورهم واثر قانونهم الاساسي · ام ينشط معشر من الوطنيين فيبرزون هذه الدرة الثمينة الى حيث تجتلي محاسنها عيون الغربيين وحينئذٍ نقول لهم آتونا بآية من مثلهِ ان كنتم صادقين

وما احرى مجلس الامة بان يتحلى بهذه الدرة الثمينة بعد ان يحبو وطنينا الكاتب من المكافأة الادبية والمادية ما هو خليق بهِ « الى اهل الادب »

حاشية — قد جاء عن العرب امثال عديدة في البيضة كقولهم · اعز من بيض الانوق · واصح من بيض النعام · وبيضة الديك · واذل من بيضة البلد · فهلاَّ ساغ لنا ان نرسل هذا المثل الجديد للشيء لا تصاب لهُ قيمة « اثمن من بيضة الدستور » لبناني

[المقتطف] ان كاتب السطور المتقدمة من سراة اللبنانيين ونوابغ كتَّابهم ولولا اركاننا الى صدقهِ لاستصعبنا تصديق ما جاء فيها فان كتابة القانون الاساسي بكل موادهِ بالعربية والتركية على بيضة من الرخام قد لا تزيد مساحة سطحها على خمسين سنتمتراً مربعاً

اي على ستة اسطر من هذه الصفحة لفي منتهى الابداع فكيف وقد اضاف الى مواد القانون تاريخ اعلانهِ مرتين وجملة في شرح ما رمز اليهِ وقصيدتين في الدستور والجيش العثماني وتاريخ كتابة هذا الاثر كل ذلك والكاتب لم يستعن بالمكبرات

رجل مثلهُ أُعطي هذا الذوق الصناعي وهذه المهارة الفائقة يحسن بالحكومة العثمانية ان تضمهُ الى مدرسة من مدارسها او الى معمل من معاملها وتوسع عليهِ الرزق فانهُ قد يستنبط لها اموراً ذات شأن كبير تعود على البلاد بالنفع الجزيل وان تحفظ هذا الاثر بين تحفها او تضعهُ في مجلس نوابها وتجزل عطاء صانعهِ تنشيطاً لهُ واغراء لغيرهِ باتقان الصناعة

نصيحة للاهالي الوطنيين

طالعت في مقتطف شهر نوفمبر الماضي مقالاً بعنوان نصيحة للصناع والتجار الوطنيين محتوياً على جدول باسعار المنسوجات التي تصدرها البلاد الانكليزية الى اكثر جهات المعمور وذلك للاستدلال منهُ على ان المنسوجات التي تجلبها تجارنا الى القطر المصري هي من احط الاجناس وارخص الاثمان . وقد انحى المقتطف باللوم على التجار الذين في وسعهم ان يتباروا في جلب البضائع الجيدة حتى يالف الناس مشترى البضائع الغالية كما الفوا مشترى الرخيصة منها . فرأيت ان اعارض المقتطف في ذلك والقي اللوم على المشترين وحدهم الذين هم اولى بالملامة واحق بالنصيحة

تتزاحم المخلوقات الحية من نبات وحيوان على الكسب والارتزاق عملاً بسنة الحياة وتنازع البقاء وعلى ذلك يتبارى البشر في اعمالهم وصنائعهم ويجتهد كل منهم في مناظرة زميلهِ والتفوق عليهِ . ولمَّا كانت التجارة هي نوع من اعمال البشر لهذا نرى التاجر يبذل اقصى جهدهِ في اختيار البضائع التي يشتد الاقبال عليها وتزيد مقطوعيتها ويكثر ربحها مراعياً في ذلك مصلحتهُ الشخصية اولاً ومصلحة الغير ثانياً . بحيث انهُ لو رأى ميل الجمهور مثلاً الى ما كان رخيص الثمن قليل المتانة فلا يسعهُ الاَّ ان يجاري اميال القوم ومطالبهم والاَّ اخر نفسهُ وكان من الخاسرين

يدخل المشتري عندنا في محل تاجر المنسوجات مثلاً فيريهِ هذا بعض الاصناف فيختار صنفاً منها ويسأل عن سعرهِ فاذا وجدهُ غالياً بخس في ثمنهِ فيجيبهُ التاجر او ذاك ان هذا النسيج جيد الصنع كثير الاستعمال وان متانتهُ وجودتهُ تفوقان كثيراً الزيادة القليلة في سعرهِ فيقول المشتري « ان شاء الله ما حد حوش . نعيش وندوب . هو حد منا ضامن عمره . »

الى غير ذلك من الجمل الدالة على عدم الاكتراث بطرق الاقتصاد · فيضطر التاجر والحالة هذه ان يراعي اميال الاكثرين الذين منهم يتألف الميل العام ويجلب الى محلهِ البضائع الرخيصة الثمن السريعة التلف الحسنة المنظر القبيحة المخبر . والاَّ اعرضت عنهُ عملاؤُهُ وتفوقت عليهِ زملاؤُهُ وكسدت بضائعهُ

· يجول المرء منا في اسواق اوربا ويشاهد مصنوعاتها ويقف على اصناف بضائعها فاذا سأل عن اسعارها وجدها غالية تفوق الاسعار التي تباع بها في مصر مع انها تكون من مصنوعات تلك البلاد ولا تضاف اليها اجرة النقل ورسم الكمرك وعمولة العميل ونفقات التغليف والحزم والشحن · فيأخذهُ العجب لاول وهلة لكنهُ اذا كان خبيرًا بصنف البضاعة وبقيمة تكاليفها اتضح لهُ انها تفوق التي ترد الينا اضعاف الاضعاف وذلك بوفرة المادة او خالصها وثبات الصبغة ودقة الصنعة ومميزات اخرى · مثال ذلك ان كثيرًا من المنسوجات الحريرية الرخيصة الثمن التي ترد الينا من فرنسا او اليابان ونظيرها المنسوجات القطنية التي نجلبها من انكلترا وايطاليا يستحيل على المرء ان يجدها في اسواق تلك البلاد لان المعامل تنسجها لنا خاصةً طبقًا لميلنا وذوقنا وترسلها الينا بناءً على طلبنا · وقس على ذلك انواع البضائع الاخرى التي ترد الينا من المانيا وبلجكا وسائر الممالك الاخرى

ولماذا نذهب بعيدًا وعندنا من مصنوعاتنا نماذج على ذلك فالنسيج الحريري الذي ينسجونهُ في هذا القطر والذي يدعونهُ بالقطني او الشاهي البلدي هو على غاية ما يمكن من الاتقان والمتانة ولكن قلَّ من يقبل عليهِ ويكتسي بهِ لان الاكثرين يرغبون في المنسوجات التي تنسجها معاملها لمصر خاصةً وذلك لرخص ثمنها بدون ان يحفلوا بمتانة الاولى وينتبهوا لسخافة الثانية ويراعوا الحالة الاقتصادية التي في كل من النسيجين حتى ان ارباب هذه الصنعة في مصر هم افراد قلائل يعدون على اصابع اليد

لا ينحصر الغش عندنا في دائرة التجارة والصناعة فقط بل انهُ يتجاوزها ويتناول كل عمل او فن حتى لا تخلو منهُ حرفة الادب والصحافة ايضًا وان الذي يساعد على ذلك غفلة الامة وتسامحها

ارتأى المقتطف انهُ اذا تعاهد التجار على جلب البضائع الغالية تعود الاهلون على شرائها نظير تعودهم على شراء البضائع الرخيصة · هذه نظريةٌ جليلة وبسيطة في حد ذاتها ولكن ليس في الامكان تحقيقها لجملة اسباب نذكر البعض منها · اولاً : ان باب التجارة في مصر مفتوح لواردات جميع البلدان بدون تمييز ولا تخصيص وان كل بلاد تسعى في ترويج

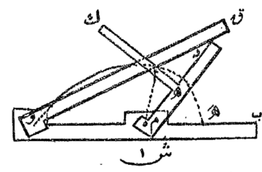
بضائعها ومصنوعاتها . ثانياً : لان تجارنا مختلفو الاجناس واللغات والاخلاق فيتعذر او يستحيل ان يتفقوا وتجمعهم رابطة او نقابة . ثالثاً ان غالب تجارنا الوطنيين لم يتخلقوا بالصفات التي تحملهم ان يقيموا على وعدهم و يفوا بما يتعهدون به و يتعاقدون عليه الى غير ذلك من الاسباب العديدة التي تعارض هذه النظرية ولا يمكن معها تحقيق هذه الامنية . واذا كان ارباب الصحف وتجار المطبوعات على قلتهم وهم من ارقى الامة وصفوتها لا تجمعهم نقابة ولا تربطهم رابطة فهل يؤمل من التجار على كثرتهم وتفاوت طبقاتهم وتنوع مشاربهم وتضارب منازعهم ان يستحكم بينهم الوفق وتجمعهم رابطة

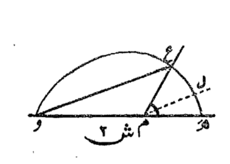
اما الحقيقة فهي ان البضائع الجيدة لا يروج سوقها في بعض البلاد و يقبل عليها الجمهور لان تجارها قد تعاهدوا على جلبها وترويجها بل لان اهالي تلك البلاد يأبون مشترى المصنوعات السخيفة والبضائع الرديئة ولو رخص سعرها وقلت قيمتها . وذلك لما هم متخلقون به من قوة التمييز وما لديهم من ملكة الاقتصاد وعدم تساهلهم وتسامحهم في الاخذ والعطاء وهي الصفات التي تنقص اكثرنا ولكن الامل بالنهضة العصرية والمشروعات الاقتصادية التي يدخلها المصلحون الى مصر في وقتنا الحاضر ان تتفقه الامة بها وتأخذ في الاقبال على كل ما هو جيد ومفيد والاعراض عن كل ما هو سخيف ومضر متدرجة على التوالي في معارج الاقتصاد ومدارج الفلاح

الياس الغضبان



قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام





اذا صُنعت مسطرة مثل ب و وكان ب م = م و وتحركت في و مسطرة مثل و ق وتحركت في م مسطرة مثل م د تساوي م و في الطول وعلى منتصفها عمودي ثابت هـ ك

وكانت المسطرتان م د و وق متكئتين الواحدة على الاخرى دائماً فانهُ اذا وُصل من نقطة تقابل المسطرة ه ك بالمسطرة وق (ولتكن نقطة التقابل ا) كانت زاوية م ا و = ضعفي زاوية م د ا لان زاوية م دا = زاوية د م ا (لأن ه ك عمودي على منتصف دم)

فتكون زاوية م ا و = ضعفي زاوية م د ا

وبما ان زاوية م د ا = زاوية م و د (لان د م = و م من الاصل)

اذن زاوية م ا و = ٢ زاوية م و ا

اعني ان نقطة تقابل ه ك مع ق و (بشرط ان تكون م د و وق متكئتين احداهما على الاخر) اذا وصل منها الى م تحدث زاوية مضاعف الزاوية المقابلة لها الواقعة بين المسطرتين ب و و وق

وبما انهُ يمكن تحريك المسطرتين م د و وق المتكئتين فيبتدىء تلاقي ه ك مع ق و من نقطة و ثم ينتهي بانطباق م ب و ق و و م د الى نقطة هَ التي هي منتصف ب م المساوي م و و م د في الطول وترسم نقط التلاقي خطاً منحنياً مبتدئاً من و ومنتهياً الى هَ وتكون نقطة م في ثلث هَ و

فاذا وُصل من نقطة م الى اي نقطة على هذا المنحني ووصل من تلك النقطة الى و كانت الزاوية الواقعة على هذا المنحني مضاعف الزاوية الناتجة من ايصال هذه النقطة الى و وتكون الزاوية الخارجة المساوية لمجموع هاتين الزاويتين منقسمة الى قسمين احدهما مضاعف الآخر اعني الى ثلاثة اقسام متساوية

وعليهِ اذا صُنعت رقة محيطها هذا المنحني الحادث من العملية وقاعدتها المستقيم هَ و وتعينت نقطة م بخط رأسي في ثلث هَ و فهذه الرقة تصلح لقسمة اي زاوية مثل زاوية هَ م ع (شكل ٢) الى ثلاثة اقسام متساوية

لذلك نطبق الرقة بحيث يكون ثلثها على رأس الزاوية فيقطع محيط الرقة ضلعي الزاوية في هَ وع وامتداد الضلع هَ م في و فتصل ع و فتكون زاوية م ع و مضاعف زاوية م و ع حسب ما تقدم في شكل ١ ثم نرسم من م المستقيم م ل موازياً لخط و ع فتكون زاوية ع م ل ضعفي زاوية ل م هَ اعني ان زاوية ع م هَ تقسم الى قسمين احدهما مضاعف الآخر اعني الى ثلاثة اقسام متساوية فتلك الرقة توصل الى قسمة اي زاوية الى ثلاثة اقسام

يليها قسمة الزاوية الى خمسة اقسام

اسكندر باسيليوس
طالب بالمدرسة السعيدية

باب الزراعة

تطعيم الارض

تطعيم الارض هو اضافة نوع من الجراثيم المحضرة صناعيًّا بنابت مخصوصة الى الارض. وهذا النوع من الجراثيم يسمى بكتيريوم راديسيكولا وهو الموجود داخل درنات الفصيلة البقلية او القرنية وهو من الجراثيم التي تموت اذا بلغت درجة الحرارة السبعين من مقياس سنتجراد او اذا عقمت الارض او لم يكن فيها الرطوبة اللازمة. ونباتات الفصيلة البقلية تختلف عن نباتات الفصيلة النجيلية كالقمح والشعير والذرة في اخذها للازوت فالاخيرة تأخذ ازوتها مما في الارض وعلى مقدارهِ يتوقف نمو نباتاتها اما الفصيلة البقلية فتأخذ الازوت من الارض ومن الجو ولكنها تأخذ الجزء الاكبر من الهواء. وقوة تمثيل هذا الازوت الهوائي ليست في النبات نفسهِ بل في الجراثيم القاطنة داخل الدرنات التي على جذورهِ وبذلك ينتفع النبات منها بما تقدمهُ لهُ من اهم العناصر التي يحتاج اليها في تغذيتهِ كذلك يقدم لها غذاءها الكربوني الذي تحتاج اليهِ وبذلك تكون معيشتهما بالتبادل

فمن البديهي اذاً ان الارض الغنية بالبكتيريوم راديسيكولا تنمو فيها نباتات الفصيلة البقلية نموًّا عظيماً ولذلك اخذ علماء الزراعة يعملون التجارب العديدة لكي يصلوا الى طريقة تمكنهم من تربية هذا النوع من البكتيريوم حتى يطعموا بهِ الارض الفقيرة او الخالية منهُ ثم يروا الفائدة التي تعود على الارض والنبات من جراء ذلك. ولكنهم قبل البدء بهذه التجارب يعتنون بفحص الاحوال الموافقة لحياة هذا البكتيريوم وكذلك صلاحية الارض لمعيشتهِ فيها بان تكون خالية من الاحماض وان يكون فيها من الجير والبوتاسا والفوسفات مقدار كاف وفوق ذلك لا تكون غنية جدًّا بالازوتات لان التجارب اثبتت ان الارض الغنية بالازوت لا توافق البكتيريوم كالتي دونها في مقدار الازوت

والاختبارات الحديثة كشفت القناع عن حقائق مفيدة تختص بهذا البكتيريوم وهي اتحادهُ في النوع واختلافهُ في الفرد اي ان كل فرد من هذا النوع لهُ مميزات ووظائف تختص بهِ دون سواهُ فمثلاً اذا اريد تطعيم الارض المراد زرعها برسيماً بجراثيم الدرنات التي في جذور الفول فالبرسيم لا ينمو جيداً كما لو كان التطعيم بجراثيم مأخوذة من جذور البرسيم.

كذلك اذا طعمنا ارض الفول بجراثيم البرسيم فالمحصول الناتج يكون اقل بكثير مما لو كان التطعيم بجراثيم الفول . وهكذا كل محصول لا يأتي باكبر غلة الاَّ اذا لقحت ارضهُ بجراثيمهِ بل ربما يصل الامر — في حالة تلقيح النبات بجراثيم غير جراثيمهِ — ان يخلو هذا النبات من الدرنات بالمرة ومن ثمَّ وجَّه الباحثون عنايتهم الى امر التطعيم وقد تمكنوا في المانيا واميركا وانجلترا من ايجاد ثلاثة طرق لهذه العملية

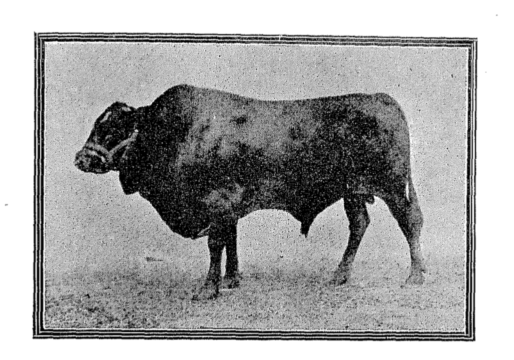
الاولى — نقل مقدار من الطين نحو نصف طن للفدان من ارض سبق نمو النبات المراد تلقيح مثلهِ فيها الى الارض المحتاجة الى اللقاح

الثانية — استخراج مقدار من الماء الموجود في جوف ارض سبق نمو نباتات الفصيلة القرنية فيها ومزجهُ بالماء الذي تروى بهِ الارض التي يراد تطعيمها

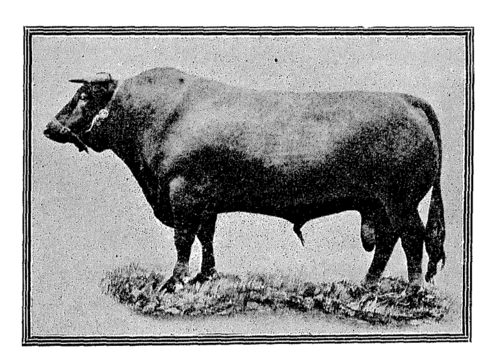
الثالثة — تحضير الجراثيم صناعيًّا على منابت موافقة لها

الطريقة الاولى اقدم الطرق استعمالاً وهي على العموم افضلها مع ما يصادفها من العقبات التي تزول بالعناية كجلبها الحشائش المضرة حين نقل الطين الى الارض المراد تلقيحها او نشر الامراض النباتية فيها ولكن ذلك يزول تماماً باختيار ارض سليمة من هذه الامراض مع ملاحظة نمو نباتات الفصيلة القرنية فيها نموًّا مرضيًّا ووجود الدرنات على جذورها بكثرة . ولا يؤْخذ الجزء المنقول من الطبقة السطحية بل من الطبقة التي تعيش فيها الجذور وهي بين خمسة سنتيمترات وخمسة عشر سنتيمتراً تحت سطح الارض وينثر هذا المقدار من التراب على الارض قبلما يجف وتموت الجراثيم . ثم تحرث الارض حتى تنتشر فيها حبوب الطين المضاف . وهذه الطريقة قد استعملت وافادت في كثير من البلدان فهي التي اصلحت اراضي شرق بروسيا الضعيفة وقد اجراها الدكتور شلتز . وتوجد مساحات كبيرة من الاراضي الرملية القاحلة أُصلحت وصارت تنبت نباتات قوية وذلك بنقل جانب من طين ارض زرعت ترمساً (وهو من نباتات الفصيلة البقولية) اليها ثم زرعها ترمساً وحرثهُ فيها وهو اخضر مع تسبيخ الارض باسمدة معدنية فقط فثبت مقدار عظيم من ازوت الهواء الجوي لينتفع بهِ النبات اللاحق لهُ وبعد حرثهِ في الارض يصير دبالاً فيصلح الارض

الطريقة الثالثة سهلة الاستعمال ولكنها ليست محققة النتيجة في كل الاحوال وهي من العمليات التي وجه اليها الباحثون عنايتهم . وكيفية استعمالها ان تربَّى المكروبات التي داخل الدرنات على منابت مختلفة الى حين الاحتياج اليها فيؤْخذ منها جزءٌ ويوضع في لبن مخيض يوماً او يومين حتى تنمو الجراثيم الموجودة في الجزء المضاف وتتكاثر ثم ترش الحبوب



ثور مصري



ثور انكليزي

المراد زرعها بهذا المحلول قبل زرعها او ترش الارض بالمحلول مباشرة

والمنابت التي امكن تربية المكروب وحفظهُ عليها آخذة في الازدياد واول منبت ظهر واستعمل بكثرة هو النتراجين Nitragin وهو يشبهُ في شكلهِ المادة الهلامية مركب من مواد ازوتية تضعف قوى الميكروبات المثبتة للازوت . ولهذا ثبت انهُ غير واف بالغرض ولانهُ علم حديثاً ان كل نبات من نباتات الفصيلة القرنية يحتاج الى نوع مخصوص من الجراثيم . والبكتيريا المرباة في هذا المنبت هي من نوع واحد فمن الخطإ استعمالهُ لكل نبات. وهذا سر عدم نجاحهِ في كثير من المرات التي استعمل فيها ولكنهُ افاد في اصلاح الارض الرملية التي ازوتها قليل لا تكفي لانماء النبات فاذا زرع البرسيم فيها بعد التطعيم يكون مقدار الازوت فيه نحو ١٤٤ رطلاً اما قبلهُ فيبلغ نحو اربعة ارطال ونصف والسبب في ذلك واضح وهو افتقار مثل هذه الارض الى البكتيريوم راديسيكولا ولذا جاءت النتيجة بعد اضافتهِ بهذا الفرق العظيم

وقد استعمل النيتراجين في اراضي كوم امبو بعد تصليحها ولكنهُ لم يأتِ بالفائدة التي استعمل من اجلها وهذا مما يؤيد القول السابق الذي يستخلص منهُ عدم نجاح النيتراجين في اكثر الاحايين

محمد مختار الجمال
بمدرسة الزراعة

المواشي المصرية

عددها

كان عدد البقر في القطر المصري كلهِ ٦٥٦ ١٦٦ في اواخر سنة ١٩١١ وعدد الجواميس ٦٥٧ ٤٠٦ والجواميس قلما تستعمل لاعمال الزراعة فيكون اكثر الاعتماد فيها على البقر والمرجح ان نصفها عجول واناث لا تستطيع العمل فتكون اعمال الزراعة من حرث وتقصيب واقعة كلها على نحو اربع مئة الف من الثيران والجواميس او على نحو مئتي الف زوج . واطيان القطر الزراعية تبلغ نحو ستة ملايين فيطلب من الزوج الواحد ان يخدم ثلاثين فداناً على الاقل وان يكفي زبل الراس الواحد من البقر والجواميس سماداً لخمسة افدنة . وهذا قليل جداً لخدمة الزراعة ولتسميدها اذا قوبل بسائر البلدان الاوربية الزراعية لاسيما وان تلك البلدان تستخدم الخيل ايضاً في الزراعة وهاك جدولاً لعدد الخيل والبقر في بعض هذه البلدان

	خيل	بقر	عدد السكان
المانيا	٤٣٤٥٠٤٣	٢٠٦٣٠٥٤٤	٦٥٠٠٠٠٠٠
بريطانيا	٢٠٢٣٧١١	١١٨٢٥٩٨٤	٤٥٠٠٠٠٠٠
فرنسا	٣٢٣٦١٣٠	١٤٢٩٧٥٧٠	٤٠٠٠٠٠٠٠
بلجكا	٢٥٥٢٢٩	١٨٥٦٨٣٣	٧٥٠٠٠٠٠
البلغار	٥٣٦٦١٦	٢١٦٧٢٧٥	٤٣٢٩٠٠٠
الدنمارك	٥٣٥٠١٨	٢٢٥٣٩٨٢	٢٧٧٥٠٠٠

واقل نظر الى هذا الجدول يبين منهُ قلة المواشي في القطر المصري بالنسبة الى عدد سكانهِ فانهُ ليس فيهِ الاَّ ماشية واحدة لكل عشر انفس من السكان مع ان في البلدان الصناعية التجارية كالمانيا وانكلترا وفرنسا وبلجكا توجد ماشية لكل ثلاث انفس او اقل وفي البلاد الزراعية كالبلغار والدنمارك ماشية لكل نفس او نفسين من السكان

نوعها

جاء في كتاب الزراعة الذي وضعتهُ نظارة المعارف المصرية «ان بعض المواشي المصرية من اكبر المواشي في الدنيا واقواها» . وهذه شهادة كل الذين شاهدوا المواشي التي تعرض في المعارض الزراعية المصرية او رأوها مجتمعة في الاسواق العمومية فقد رأينا منها بالامس في اسواق امبابه ما لم نرَ مثلهُ في فرنسا ولا في سويسرا ولا في انكلترا . ولكن بعض المواشي المصرية صغير ضعيف هزيل

وهاك صفات الثور الصالح للاعمال الزراعية ملخصة من كتاب الزراعة المشار اليهِ آنفاً

(١) يجب ان يكون كبيراً سريع الحركة قوي البنية واسع الرأس قصير الرقبة قويها لهُ سنمة حيث تتصل رقبتهُ بكتفهِ ليهدأ النير (الناف) عليها . وان يكون ظهرهُ طويلاً نوعاً عريضاً ظاهر العضل فوق حقويهِ ولا انحناء فيهِ واضلاعهُ بارزة من ظهرهِ ومحيطة ببطنهِ وتكاد تصل الى وركيهِ وصدرهُ عريضاً وعميقاً عند قلبهِ وقوائمهُ متصلة ببدنهِ اتصالاً محكماً متيناً ويجب ان يكون كفلهُ عريضاً تظهر فيهِ عضلات كبيرة قوية وان تكون سوقهُ مستقيمة كثيرة العضل وان تصل عضلاتها الى ركبهِ وتكون العظام من تحت الركب الى الاظلاف كبيرة مسطحة وان تكون الاظلاف صلبة منتظمة

عملها

والزوج الواحد من الثيران يحرث نصف فدان في اليوم في الارض الثقيلة وثلاثة ارباع

الفدان في الارض الخفيفة وفدانًا واحدًا في الحرثة الثالثة للقطن ويزحف ثمانية افدنة الى عشرة ويزحف بالزحافة الاميركية ثمانية ويمهد بالمندلة ستة افدنة الى ثمانية ويخطط فدانين للقطن ويدرس فدان قمح في ثلاثة ايام ونصف وفدان شعير في ثلاثة ايام وفدان برسيم في يوم ويروي بالساقية نصف فدان في اليوم اذا كان عمق الماء اربعة امتار . وهو يكفي لري ثمانية افدنة من القطن كل مدة ري القطن اي انهُ يروي نصف فدان مرةً كل ١٦ يومًا

مستقبل القطن المصري

لما نشبت الحرب الاهلية في اميركا وغلا القطن غلوًّا فاحشًا حاولت بلدان كثيرة زرعهُ لكي تستغلّ منهُ ما يكفي معاملها ويُلبس اهلها فيقلّ اعتمادها على اميركا . فالروس يقولون ان عندهم خمسة ملايين فدان في تركستان تصلح لزرع القطن وقد انشئت شركة لذلك تساعدها الحكومة الروسية ولكن لم تظهر آثار نجاحها حتى الآن . وقال السر وليم ولككس ان اراضي ما بين النهرين تصلح لزرع القطن كاراضي القطر المصري وهي ثلاثة ملايين فدان ويمكن زرع القطن فيها كلها . وزراعة القطن واسعة النطاق جدًّا في بلاد الهند وقد اخذت الحكومة الهندية تمدُّ سكك الحديد اليها حتى يسهل نقل القطن منها . ولكن ذلك كلهُ لا يمنع ان يبقى السبق للقطن الاميركي في الكثرة وللقطن المصري في الجودة ولا يخشى منهُ على هبوط الاسعار ما دام الاميركيون يعتدلون في مساحة الارض التي يزرعونها حتى لا يزيد محصولها على المقطوعية

وارباب الزراعة في هذا القطر يعلمون حق العلم ان متوسط محصول الفدان الذي هو الآن اربعة قناطير ونصف قنطار هو وسط بين طرفين بعيدين الاعلى من ستة قناطير الى ثمانية والاسفل من قنطار الى ثلاثة وان فدانين متجاورين متساويين في نوع التربة وحالة الري يحصل من احدهما ثمانية قناطير ومن الآخر قنطاران لاغير لان الاول يستوفي الحرث والعزق والتسبيخ والثاني لا يستوفي شيئًا من ذلك . فاذا خدم كل اهل الزراعة قطنهم حق الخدمة فلا يبعد ان يرتفع المتوسط ويصير ستة قناطير بدل اربعة او اربعة ونصف وحينئذٍ يبلغ محصول المليون والسبع مئة الف فدان التي تزرع الآن قطنًا كل سنة عشرة ملايين قنطار او اكثر . ومتى بلغنا هذا المتوسط نصير بمأمن من كل مناظرة لانهُ ما من احد من المناظرين يستطيع ان يجني من الفدان اكثر من قنطارين على المتوسط



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

لزوم استعمال اليدين على حدّ سوى

الاصطلاح على استعمال اليد اليمنى وحدها من العادات الغريبة التي جرى الناس عليها حتى اليوم . بل النهي عن استعمال اليد اليسرى كما يفعلون في تربية الاطفال في البيوت والمدارس اغرب من ذلك ايضاً . ونحن لو تأملنا في الامر جيداً لوجدنا ان تربية الطفل على استعمال احدى اليدين فقط نقصٌ يحرمهُ من وظيفة عضو من اعضائهِ . وما زعم بعض الباحثين في فلسفة وظائف الاعضاء ان الميامنة من العلامات الراقية في الانسان واستنتاجهم من ذلك ان الرجل ارقى من المرأة لانها تياسر في حركاتها اكثر منهُ الاَّ من قبيل التخرُّص الذي ليس عليهِ اقل دليل تشريحي . وسبب الميامنة غالباً في التربية والعادة كما يدل عليهِ تعويد اليد اليسرى على العمل عند فقد اليد اليمنى

فحرمان الانسان من استطاعة استخدام بعض اعضائهِ بالتربية جناية كبرى عليهِ تضرُّ بهِ احياناً كثيرة ضرراً بليغاً . فيجب على الآباء في البيوت والمعلمين في المدارس ان يمرّنوا الاطفال على استعمال اليدين معاً في الاكل والكتابة والخياطة وكل عمل آخر . وهم اذا فعلوا اعادوا الى الانسان عضواً طبيعياً افقدوهُ اياهُ بسوء تربيتهم هذه . وامكان ذلك دليل ناصع على ان الاقتصار على استعمال يد واحدة غير طبيعي وكل ما خرج عن الطبيعة فهو تشويهٌ منا غير محمود

الدكتور
شبلي شميل

اصل الانسان

حضرة العالمين الفاضلين

رأيت اثناء مطالعتي عدد نوفمبر مقالة في نشوء الانسان للدكتور أليوت سمث فعجبت لما فيها من الآراء ... إذ كيف يعتقدون ان الانسان بينهُ و بين الغورلا قرابة ? ألم يثبت في التوراة المنزلة كما ثبت في القرآن الكريم ان آدم ابو البشر خُلق من طين ? فكيف نعتقد مع هذا ان الانسان كان حيوانًا من ذوات الاربع ثم تطوَّر في ادوار النشوء والترقي واعتدلت قامتهُ وصار على هذه الهيئة . ام صرنا في زمن لا نعتقد فيهِ بصحة الكتب المنزلة ? فان كان كذلك فتبًّا لهذه الفلسفة . والخلاصة اني يمكنني ان اعتقد بنشوء الدماغ ونموهِ حتى وصل الى هذه الدرجة ولا يمكنني الاعتقاد ان الانسان خُلق غير انسان وارجوكم إبداء رأيكم في هذا الموضوع الجليل عسى ان يزول مني الشك

محمود الناظر بام دومه

[المقتطف] يظهر لنا ان الناس على ضروب مختلفة من حيث الاعتقاد بنشوء الانسان فمنهم اناس ينكرون صحتهُ مطلقًا لانهُ مناقض لما جاء في التوراة وهؤلاء قد ينكرون ايضًا كل ما يظهر ان التوراة تخالفهُ كخلق الشمس قبل الارض وكون الارض تدور على محورها وحول الشمس . ومنهم مَن يسلم بصحة النتائج العلمية وبصحة ما جاء في التوراة ولو كان مناقضًا لها ولا يهتم بالتوفيق بينهما . ومنهم مَن يسلم بصحة النتائج العلمية ويؤول ماجاء في التوراة ممَّا يناقضها ومن هؤلاء كثيرون من رؤساء الدين في هذا العصر . وقد قال بعضهم اننا اذا استعظمنا قدر مَن يصنع ساعة فقدْر من يصنع ساعة تصنع ساعةً مثلها اعظم جدًّا . وعندهم ان مذهب نشوء الانسان كما يقول بهِ علماء الطبيعة ادلُّ على قدرة الله من مذهب الخلق المستقل . ومنهم مَن يسلم بصحة نتائج العلم كلها ما عدا نشوء الانسان فيقول انهُ غير متولد من غيرهِ من الحيوان بالنشوء الطبيعي جسدًا وعقلاً ونفسًا كما تولَّدت سائر انواع الحيوان والنبات بل كان للعناية الالهية عملاً خاصًّا في توليده . ومن هذا القبيل ولس العالم الطبيعي وهو من المعتقدين ايضًا بمناجاة الارواح وبان الارواح حملت هوم المشعوذ وانتقلت بهِ من مكان الى آخر . ومنهم من يسلم بصحة نتائج العلم وينكر صحة ما جاء في التوراة ممَّا يناقض هذه النتائج او لا يعبأ بهِ سواء وافق نتائج العلم او خالفها . ومن شاء ان لا يكون مقلدًا وحسب ان معرفة تولُّد الانسان ضرورية لهُ فعليهِ ان يبحث ويقابل بين ادلة العلماء الباحثين ويختار ما يرضى بهِ عقلهُ



لدينا الآن كتب كثيرة للتقريظ والانتقاد اذا كتبنا عنها ما اعتدنا ان نكتبهُ عن امثالها ضاقت صفحات المقتطف دون استيفاء ذلك فرأينا ان نكتفي بالاشارة اليها

(١) الاحصاء السنوي العام لسنة ١٩١٢ — فيهِ ٥٣٥ صفحة كبيرة حافلة بالفوائد الاحصائية عن هذا القطر وضعتهُ مصلحة الاحصاء المصرية وثمنهُ عشرون غرشاً

(٢) مجموعة مذكرات — كتاب كبير لحضرة عزيز بك خانكي المحامي جمع فيهِ بعض المذكرات التي وضعها للقضايا التي رافع فيها وضمنها كثيراً من اقوال الفقهاء وآراء العلماء واحكام المحاكم وما بدا لهُ من الآراء الخصوصية

(٣) النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية — للاب لويس شيخو اليسوعي محرر مجلة المشرق وهو فصول دقيقة المبحث مجموعة من مظان شتَّى نشرت اولاً في مجلة المشرق

(٤) ميمر ثاودورس ابي قرَّة اسقف حرَّان في اواخر القرن الثامن واوائل التاسع في وجود الخالق والدين القويم — نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي نقلاً عن مجلة المشرق

(٥) تاريخ علم الفلك عند العرب في القرون الوسطى — وهو ملخص المحاضرات التي القاها السنيور كرلو نلينو في الجامعة المصرية وقد طبع بمدينة رومية ونشرنا شيئاً منهُ في هذا الجزء من المقتطف

(٦) الهدية الفهمية في تذليل صعوبات اللغة الانكليزية تأليف حضرة محمد افندي فهمي المغربي — هو اوسع كتاب في موضوعهِ وقفنا عليهِ حتى الآن لكثرة ما فيهِ من المصطلحات الانكليزية والعربية

(٧) حديث القمر — كتاب انشائي وضعهُ حضرة مصطفى افندي صادق الرافعي وفيهِ قصيدة بليغة نقلناها عنهُ الى الجزء السابق من المقتطف . وهو يطلب من مكتبة البيان في شارع عبد العزيز وثمنهُ خمسة غروش

(٨) محمد والخلفاء Mahomet et les Khalifes كتاب وضعهُ باللغة الفرنسوية حضرة ميشيل بك شغوات وضمنهُ تاريخ اهم ما حدث في دول الاسلام من اول عهدهِ الى الآن

(٩) تقويم البشير لسنة ١٩١٣ . تأليف حضرة الاب لويس معلوف اليسوعي مدير جريدة البشير — يمتاز هذا التقويم بجدول ذكرت فيهِ مباديء السنين الهجرية من السنة الاولى التي ابتدأت يوم الجمعة في ١٦ تموز (يوليو) سنة ٦٢٢ الى سنة ١٤٢١ التي تبتدئ الخميس في ٦ نيسان (ابريل) سنة ٢٠٠٠ للمسيح . وفيهِ ايضاً ترجمة القانون الاساسي للمالك العثمانية ونظام جبل لبنان الذي وضع في ٦ ايلول سنة ١٨٦٤ والتقسيمات الادارية في الدولة العثمانية وعدد سكان الولايات العثمانية نقلاً عن تقويم غوتا سنة ١٩١٢ . وقد جعلت فيهِ تونس من ولايات الدولة العلية وجعل سكان لبنان مئتي الف فقط

(١٠) ديوان مراد — قصائد نظمها حضرة مراد افندي فرج المحامي في مواضيع ادبية مختلفة كالانتحار والسعادة وحب الحياة وهل الانسان حر والقمار و بيروت وباريس والافق وقت الصباح وآخر بدعة وساعة صحو ومخاطبة الميت في قبرهِ

(١١) امثال الشرق والغرب — جمعها ورتبها حضرة يوسف افندي توما البستاني وكثير منها مما عربناهُ ونشرناهُ في المقتطف

(١٢) كتاب طبقات الامم للقاضي ابي القاسم صاعد بن احمد بن صاعد الاندلسي المتوفي سنة ٤٦٢ للهجرة . وقد نشرهُ حضرة الاب لويس شيخو اليسوعي وذيَّلهُ بالحواشي واردفهُ بالروايات والفهارس حتى تسهل الاستفادة منهُ على المستفيد

(١٣) الدليل الوحيد بقلم محمد افندي فريد . هو جداول لحساب السهم والقيراط والفدان من فئة عشرة مليات الى عشرين الف مليم وتحويل الاسهم والقراريط والافدنة الى اقصاب مربعة وامتار مربعة من سهم واحد الى مئة فدان وتحويل المسكوكات المصرية والاجنبية

(١٤) الجزء الاول من كتاب الدين والاسلام لمؤلفهِ محمد الحسين آل كاشف الغطا النجفي . وقد طبع طبعة ثانية على نفقة الشركة العراقية في مطبعة العرفان بمدينة صيدا

(١٥) السل والوراثة والمحيط Tuberculosis, Heredity and Environment خطبة للاستاذ كارل بيرصن تليت في معمل غالتن المقام للبحث في اصلاح النسل

(١٦) مسألة اصلاح النسل The Problem of Practical Eugenics للاستاذ كارل بيرصن ايضاً والخطبتان نفيستان عميمتا الفوائد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نُجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ضرر الدراجة

ابدي . الخواجه باسيل فارس البسيط . هل ركب الدراجة (البسكلات) مضر ام مفيد للصحة

ج . الدراجة ليست واسطة للصحة بل للانتقال كالخيل والبغال والحمير وهي تفي بهذه الغاية على احسن سبيل وقد سهلت توزيع التلغراف والبريد في المدن . واذا قصد بها الخروج للنزهة وفت بالغاية ايضًا وليس من ركوبها ضرر بالصحة الاَّ اذا افرط في استعمالها او كان الراكب مصابًا بمرض قلبي . وخير ما قيل في هذا الموضوع ما نقلناهُ عن جريدة اللانست الطبية في المجلد الثالث والعشرين من المقتطف وهو

«ان الدراجة اذا أُريد بها مجرد النزهة فقد يطول استعمالها وقد تهمل غدًا تبعًا لاصطلاح الناس لانهم قد يخترعون اسلوبًا آخر للنزهة فلا يعودون يلتفتون اليها . واذا أُريد بها السرعة في الانتقال وقضاء الاعمال فقد اصبحت من اللزوميات التي لا بدَّ منها وسيزيد استعمالها رويدًا رويدًا ولذلك يجب ان يبذل العلماءُ جهدهم وغاية ما يبلغ اليهِ علمهم لجعلها كثيرة النفع قليلة الضرر . وقد ابان الاطباءُ منهم ان الافراط في ركوبها مضر جدًّا ولاسيما للمصابين بالامراض القلبية . ثم ان اشكالها مختلفة وبعضها لا يناسب الذين يركبونهُ على الاطلاق بل من ركوبهِ ضرر أكيد كالدراجة التي مقبضاها واطئان جدًّا او مقعدها بعيد عنهما حتى يضطر الراكب ان يحدودب كثيرًا . ومعلوم ان الضرر يكون على اعظمهِ اذا كان الراكب صغير السن ولذلك يجب على الوالدين ان لا يسمحوا لاولادهم بركوب درَّاجة ما لم يَرها رجل خبير ويؤكد لهم ان ليس من ركوبها ضرر»

(٢) اشتراك المقطم

ومنهُ . كم اشتراك المقطم الاسبوعي

ج . ستة عشر فرنكًا ونصف فرنك

(٣) الاعتقاد بالخرافات

ومنهُ . اخبرني احد اصدقائي الذين اثق بهم عن اعمدة في قرية ازرع بحوران

قريب بعضها من بعض اذا اراد الابن الشرعي ان يمرّ من بين عمودين منها مرّ بسهولة مهما كان سميناً واما الابن غير الشرعي فلا يستطيع المرور بينهما مهما كان نحيفاً . وعن بركة في قرية شدروخ بحوران يشرب منها الابن الشرعي واما غير الشرعي فاذا حاول الشرب منها فانها تجف حالاً فهل ذلك صحيح وان كان صحيحاً فكيف تعللونهُ

ج . لو طرحتم سؤالكم هذا على ولد عمرهُ بضع سنوات لاجابكم على الفور انهُ غير صحيح اي ان العقل الفطري ينفي هذه الخزعبلات ولا يصدقها الاَّ اذا احتال عليهِ المحتالون وربطوها بقوًى غير طبيعية . وقد اتفق حين كتابة هذه الكلمات ان زارنا الدكتور شميل ورآنا نتبسَّم ونحن نكتب فقال ما انتم كاتبون فقلنا كذا وكذا فقصَّ علينا القصَّة التالية قال : — اعرف ولداً نظر الى السماء ذات ليلةٍ وعمرهُ نحو ثلاث سنوات وقال لمربيتهِ « ما هذه النجوم » فقالت لهُ « هذه قناديل ربنا » فقال لها « لماذا اذا لا يوطيها حتى ترى بها » انتهى

فترون من ذلك ان عقل الطفل لم يستطع ان يسلم بان النجوم قناديل ولكن اذا رأى كاهن او شيخ مصلحةً لهُ في القول بان النجوم قناديل وكرَّر قولهُ على اسماع الناس الفوهُ فسلَّموا بهِ وبطل اعتراضهم عليهِ . ومن هذا القبيل تسليم العامة وبعض الخاصَّة ايضاً بما لا ينطبق على عقل مستنير ولا على عقل فطري

(٤) تعدُّد الالهة

ام دومه . محمود افندي الناظر . كان قدماء اليونان يقولون بتعدُّد الالهة فيقولون ان للجمال الهاً وللنور الهاً وللحرب الهاً فكيف ذلك مع انهُ كان فيهم فلاسفة مفكرون

ج . يظهر لنا ان التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى عقيدة التوحيد . فاذا لم تكن هذه العقيدة قد وصلت الى الناس بالهام الهي فيكون وصول بعضهم اليها تحكُّم لا موجب لهُ لانهُ كما يصحُّ عقلاً ان يكون في العالم الهٌ واحد يصح ان يكون فيهِ الهان او ثلاثة او اكثر . سمعنا مرةً عالماً من اكبر العلماء يبرهن على وجوب وحدة الخالق بقولهِ اذا وجد في العالم الهان فيستحيل ان يكونا متساويين في كل شيء واذا اختلفا في القوة تغلب احدهما على الآخر ولاشاه فيبقى الهٌ واحد . فقلنا لهُ كيف تثبت المقدمة الاولى وهي قولك انهُ يستحيل ان يكونا متساويين في كل شيء لاننا لا نراها من البديهات . فاستغرب ذلك منا وقال هاتوا لي شيئين متساويين . فقلنا لهُ ان الجوهر الواحد من الذهب او الفضة يماثل الجوهر الآخر وهب انهما مختلفين فاحدهما لا يلاشي الآخر . فوجم كأن هذا المثل لم يخطر على بالهِ قبلاً . ولذلك يرجح علماء الاديان الآن ان عقيدة التوحيد وصلت الى الناس بالهام الهي

(٥) اثمار الخرنوب

ومنهُ . عندي شجرة خرنوب تزهر وحينما تقارب الانعقاد يسقط جميع ثمرها فهل من شيء يحفظ ثمرها حتى يكبر

ج . الغالب ان شجر الخرنوب كالنخل بعضهُ ذكر و بعضهُ انثى و يتلقح بعضهُ من بعض فان كانت ازهار شجرتكم تنعقد قروناً صغيرة ثم تسقط فهي انثى ويجب ان تطعموا غصناً منها من ذكر او تزرعوا شجرةً ذكراً على مقربة منها . والغالب ان يكون الخرنوب النامي من البزر ذكراً لا انثى وحينئذٍ يطعم من شجرة انثى وقد يكون ذكراً وانثى في شجرة واحدة

(٦) وقوف الشمس والقمر

لمون . الخواجه توفيق حسني . جاء في التوراة في سفر يشوع ما نصهُ « وقال امام عيون اسرائيل ياشمس دومي على جبعون و يا قمر على وادي ايلون فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من اعدائهِ فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل » فمن هذا القول يتضح لنا ان الشمس تدور والارض لا تدور فكيف تقولون ان الارض هي التي تدور حول الشمس

ج . ان وقوف الشمس الذي ذكرتموهُ لا ينتفي اذا كانت الارض تدور على محورها وحول الشمس لانها لو وقفت حينئذٍ نحو يوم كامل لظهر ان الشمس هي التي وقفت . اما وقوف الارض او وقوف الشمس نحو يوم كامل فليس من الامور التي تنطبق على علم الفلك ونظام الكون ولهذا يقول علماء التفسير الآن ان هذا الكلام شعر منقول من قصيدة وصف كاتبها غلبة بني اسرائيل وصفاً شعريًّا لا يلزم ان يكون منطبقًا على الواقع . و يدل على ذلك الفقرة التي حذفتموها وهي قولهُ « اليس هذا مكتوبًا في سفر ياشر »

(٧) الارقام الهندية

مصر . عزيز افندي رزق . مَن اخترع الارقام الحسابية هل العرب كما يقول بعضهم واذا كان الامر كذلك فمن اين كان لليونان تلك الارقام التي استعملوها في رياضياتهم

ج . الارقام الحسابية هندية الاصل كما يدل اسمها عندنا فاننا نسميها الارقام الهندية . وقد نوَّع العرب شكلها قليلاً واقتبسها منهم الافرنج فسموها الارقام العربية . اما اليونان فكانوا يستعملون حروف الهجاء للدلالة على الارقام كما استعمل العبرانيون والعرب حروفهم الهجائية للدلالة على الارقام . و بقي العرب يستعملون حروف الهجاء في العلوم الرياضية الى عهد غير بعيد لكن النظام الهندي اي جعل قيمة الرقم عشرة اضعاف ما كانت بنقلهِ منزلة الى اليسار هو اخصر نظام استعملهُ الناس حتى الآن . وكان اليونان والرومان يستعملون نظامًا مشابهًا لهُ استخلصوهُ من وضع

الارقام في الجدول او الشبكة التي يكون فيها الرقم الذي في المنزلة الثانية عشرة اضعاف الرقم الذي في المنزلة الاولى ولكنهم لم يفطنوا لوضع الاصفار في المنازل الخالية من الارقام ليستدلّ بها على منزلة الرقم الموجود وهذا فطن لهُ الهنود فهم مستنبطو وضع الاصفار في المنازل الخالية من الارقام وهو اهم استنباط حسابي. وكانت علامة الصفر عند الهنود نقطة كما هي عند العرب الذين اقتبسوها منهم ثم ابدل الهنود النقطة بدائرة . واقدم كتابة هندية معروفة وُجدت الدائرة فيها للدلالة على الصفر تاريخها سنة ٨٧٦ م للميلاد فالعرب اقتبسوا ارقامهم من الهنود قبل ذلك التاريخ او بقي الصفر نقطة في الاماكن التي اقتبس العرب ارقامهم منها ان كانوا قد اقتبسوها بعد ذلك التاريخ . اما كيفية اخذ الافرنج لهذه الارقام من العرب فسنفصلها في فرصة اخرى

(٨) من اوجد علم الفلك

ومنهُ من اوجد علم الفلك وهل للاهرام باب لهُ عبرة فلكية كما يقال

ج . الفلك كمعارف غير مجموعة ومبوبة ومنظمة قديم جدًّا فان الناس انتبهوا الى بعض الظواهر الفلكية من قديم الزمان فعرفوا ان الشمس تشرق وتغرب وان النهار يطول صيفًا في مثل عرضنا ويقصر شتاء وان القمر يظهر هلالاً ثم يتسع الجزء المنير منهُ حتى يصير بدراً ثم ينقص رويداً رويداً حتى يختفي ثم يعود هلالاً ومدة ذلك نحو ٢٩ يوماً . ومنهم من انتبه الى ظواهر فلكية لا يعلمها عامتنا اليوم وهو ان قرب القطب الشمالي نجماً تدور النجوم حولهُ حسب الظاهر . وباب الهرم الأكبر من اهرام الجيزة متجه الى هذا القطب . والسرداب النازل من هذا الباب الى داخل الهرم مائل حسب ارتفاع نجم القطب عن الافق اي ان الجالس في آخر هذا السرداب يراهُ متجهًا الى القطب الشمالي فاستنتج البعض ان الذين بنوا ذلك الهرم كانوا يعرفون زاوية ارتفاع القطب. وهذه المعرفة من المعارف الفلكية المهمة وقد يستدل بها على تاريخ بناء الهرم . وقال السر نورمن لكير انهُ يظهر من اتجاه بعض الهياكل المصرية ان المصريين كانوا يعرفون ايضاً زمان الاعتدالين والانقلابين ونحو ذلك من الحقائق الفلكية . وقد ذكرنا بعض آراء المصريين الفلكية في الصفحة ٥٢٢ من المجلد الثامن والثلاثين من المقتطف . ولكن علم الفلك بقواعده المعروفة اليوم لم يكن معروفًا عندهم بل ان بعض ما يعرف اليوم منهُ لم يكن معروفًا منذ عشرين سنة

(٩) كروية الارض

ومنهُ . من اول من قال بكروية الارض

ج . فيثاغورس الفيلسوف اليوناني

(١٠) وزن الارض

ومنهُ . هل يمكن ان يعرف وزن الارض وكم هو

ج . نعم فان جرم الارض معروف ولقد عرفهُ اليونان بالتقريب اي انهم قاسوا طول الدرجة على سطح الارض ومتى عُرف طول الدرجة عُرف محيط الارض ومتى عرف محيط الكرة عرفت مساحتها ومتى عرفت مساحة الجسم وعرف ثقلهُ النوعي او ثقل المتر المكعب منهُ عرف ثقلهُ كلهِ بسهولة . ووزن الارض نحو ستة آلاف الف الف الف الف الف الف طن او ستة آلاف مليون مليون مليون طن

(١١) الطقس والاخلاق

ومنهُ . هل للطقس تأثير في اخلاق الانسان وقواهُ العقلية

ج . نعم لان كل ما يؤَثر في الجسم من حر وبرد ونور وظلمة يؤَثر في العقل ايضاً

(١٢) التشاؤم بالعدد ١٣

ومنهُ . ما سبب تشاؤُم الافرنج من العدد ١٣

ج . يقال ان تشاؤُمهم مبني على انهُ لما جلس السيد المسيح للعشاء الاخير هو وتلاميذهُ الاثنا عشر كان واحد منهم يهوذا الاسخريوطي الذي سلمهُ

(١٣) انتحار عبد العزيز

بغداد . رزق افندي عيسى . هل انتحر السلطان عبد العزيز حقيقة او قُتل بايعاز مدحت باشا واعوانهِ

ج . الرواية الرسمية انهُ انتحر انتحاراً قطع شريان يدهِ بمقراض فنزف دمهُ ولكن الحقيقة غير معلومة

(١٤) رفع الوطن من الحضيض

ومنهُ . اصحيح ما يدعيهِ بعض الصحافيين الاحداث ان في وسعهم اسعاد الامة ورفع الوطن من الحضيض الى اوج المعالي

ج . ان الذي يستطيع ذلك كلهُ او بعضهُ لا يتبجَّح بمثل هذه الدعوى ولكن لا شبهة في ان كل احد يستطيع ان يضع ولو حجراً واحداً في هذا البناء العظيم اي اسعاد الامة ورفع الوطن

(١٥) تحريم السرقة

ومنهُ . ما هي الادلة القاطعة على تحريم السرقة

ج . التحريم امر ديني والاديان تنهى عن السرقة ولا دليل فوق ذلك . ولكن ان اردتم الدليل على ضرر السرقة فالسارق قلما يُضَرُّ والذي تسرق اموالهُ يضرُّ غالباً بحرمانهِ مما هو لازم لمعيشتهِ او راحتهِ . ولكن الضرر الاكبر يقع على الجماعة التي تجيز السرقة لانها تفقد حق التملك الذي هو اساس العمران وتعود الى البداوة والفوضى



الاستاذ جاك هدامار

انتخب الاستاذ جاك هدامار استاذ الميكانيكيات التحليلية والفلكية في كلية فرنسا واستاذ التحليل الرياضي في مدرسة باريس الصناعية عضواً في اكادمية العلوم بدلاً الاستاذ هنري بونكرى المتوفَّى

مؤتمر الطب الدولي

سيعقد مؤتمر الطب الدولي في شهر اغسطس التالي في مدينة لندن وينتظر ان يجتمع فيهِ خمسة آلاف من الاطباء . وهو يعقد مرةً كل اربع سنوات وقد عقد آخر مرة في بودابست سنة ١٩٠٩ . وسيتولى رئاستهُ هذه المرة السر توما بارلو رئيس كلية الطب الملكية ويخطب فيهِ الاستاذ شوفار (من باريس) في الطب والاستاذ بول اهرلخ (من فرنكفورت) في الباثولوجيا . والمستر جون برنز من اعضاء البارلمنت في الصحة العمومية والاستاذ هارفي كوشنغ (من جامعة هارفرد باميركا) في الجراحة والمستر بتسن في الوراثة . ويتباحث الاعضاء في كثير من المواضيع الطبية الهامَّة كاسباب الامراض الوبائية وتأثير الغبار في احداث امراض الرئتين والوسائل التي يمكن اتباعها لمنع الانتحار

النبات المنير

من النباتات انواع تنير في الظلام كما ينير الفصفور وكما تنير الحباحب وقد بحث الاستاذ مولش في ذلك فظهر لهُ ان سبب الانارة مادة اطلق عليها اسم الفوتوجين تكون في خلايا النبات وهي تنير كلما اصابت الماء والاكسجين ومن هذا القبيل البكتيريا المنيرة والفطر المنير

الزراعة في الهند

ان ١٣ في المئة من اراضي الهندحراج و٢٥ في المئة لا تصلح للزراعة و٧ في المئة محولة من غير زرع لكنها تزرع في السنة التالية و٣٦ في المئة مزروعة و١٧ في المئة من الاراضي المزروعة تروى بالصناعة و٩٠ في المئة من الاراضي المزروعة زراعتها من الحبوب التي تؤكل كالارز والقمح والارض المزروعة من قصب السكر واحد في المئة والمزروعة قطناً خمسة في المئة وقد زادت مساحتها في السنوات الخمس الاخيرة عما كانت قبلها . اما زراعة النيل فنقصت وهي

الآن ثلث ما كانت عليهِ منذ عشر سنوات وكذلك نقصت زراعة الافيون فصارت ثلثي ما كانت منذ خمس سنوات وزادت زراعة الشاي والتبغ . والارض التي تروى غلتها اوفر من غلة التي لا تروى

زوال الاكسجين من الهواء

فائدة الهواء في التنفس متوقفة على ما فيهِ من الاكسجين وقد قال الاستاذ غوتلب لنك في خطبة القاها في جامعة فينَّا ان الحجارة الحديدية التي تقذفها البراكين دوامًا تمتص الاكسجين من الهواء فيقل رويدًا رويدًا حتى لا يبقى كافيًا للحياة

المسيو بورسل

توفي المسيو بورسل Bourseul المخترع الاول للتلفون نظريًّا فقد قال سنة ١٨٥٤ انهُ اذا تكلم انسان قرب صفيحة معدنية مرنة حتى تهتز بالصوت ولا يضيع بها شيءٌ من اهتزازاتهِ وكانت متصلة بالمجرى الكهربائي حتى يتصل بها وينفصل وهي تهتز ووضعت صفيحة مثلها على بُعْدٍ متصلة بالمجرى الكهربائي فانها تهتز اهتزازها فيسمع الصوت منها وذلك هو التلفون . ولكنهُ لم يخرج قولهُ هذا من القوة الى الفعل

ضرر الحضارة

ثبت لدى البحث ان الاسكيمو الذين ابدلوا الخيام واكواخ الثلج التي كانوا يسكنونها ببيوت مبنية فشا فيهم داء السل وفشا ايضًا في الذين ابدلوا ملابسهم بملابس اوربية

فائدة الحر للزراعة

ابان الدكتور رسل في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني ان الحرّ يزيد المواد النيتروجينية في الارض ويحفظها لتغذية النبات . ففي آخر صيف سنة ١٩١١ الذي اشتدت الحرارة فيهِ ببلاد الانكليز بلغت المواد النيتروجينية في الاراضي الزراعية اكثر من ثلاثة اضعاف ما يوجد فيها عادة ولكن الامطار الغزيرة التي وقعت بعد ذلك في الخريف والشتاء جرفت تسعة اعشارها

مقاومة السل

خطب الاستاذ متشنيكوف في ٢٩ نوفمبر الماضي في هذا الموضوع فقال ما خلاصتهُ كان الرأي الشائع ان السل يعدي بالمس ولكن فلمن الفرنسوي ابان منذ خمسين سنة انهُ يعدي بالتلقيح لا بالمس ثم اكتشف كوخ ميكروب السل سنة ١٨٨١ واتضح بعد ذلك انهُ توجد اصناف مختلفة من هذا الميكروب فمنها ميكروب سل البشر وميكروب سل البقر وميكروب سل الطير وميكروب سل السمك وافعلها بالانسان ميكروب سل الانسان

والسل بطيءُ الفعل غالبًا فقد لا يميت الاَّ بعد شهور او سنين فان ميكروبهُ يكوّن

في الانسجة عقداً خلوية اي درناً تكون فيها خلايا كثيرة النوى وهي المعروفة بالخلايا الجبَّارة التي تقي الجسم لانها تبتلع ميكروب السل وتتلفهُ فيشفى التدرُّن ويزول او يصير ليفيًّا او كلسيًّا هذا اذا انتهى السل بالشفاء. والظاهر انهُ كثير الانتشار وان كثيرين يصابون بهِ ويشفون منهُ وهم لا يدرون لان آثارهُ توجد في قمة الرئة في كثيرين من الذين يموتون بامراض اخرى او يعلم وجودهُ فيهم بحقنهم بالتوبركولين . وقد ثبت بهذه الطريقة ان تسعين في المئة من الاوربيين البالغين اصيبوا بالسل وقتاً ما ولكن لا يموت بهِ الاَّ ١٥ في المئة من الذين يموتون . وهو غير كثير الى هذا الحد بين غير الاوربيين فان الدكتور متشنيكوف وجد انهُ نادر بين التتر والقلموق لا لان اجسامهم غير قابلة للعدوى بهِ بل لان ميكروبهُ قليل في بلادهم ولكنهم اذا سكنوا المدن اصيبوا بهِ مثل غيرهم . وقد اشير بعلاجات كثيرة مختلفة بعضها دوائي وبعضها صحي وبعضها تلقيحي فافادت بعض الفائدة ولكن لم يعرف حتى الآن دواء او علاج يشفي منهُ . وقد جعلت وفياتهُ تقلُّ في المدن الكبيرة كلندن وهمبرج وكوبنهاغن . وسبب ذلك ان اجسام الناس في تلك المدن تطعم بميكروب السل بدرجة خفيفة او بصنف ضعيف منهُ فيوقون من فعلهِ . وسيكون استئصال السل باكتشاف صنف من ميكروبهِ ضعيف الفعل حتى اذا طُعِّم بهِ الجسم وقاهُ من الميكروب القوي الفعل

غش الاطعمة

في بلاد الانكليزية معمل كيماوي لامتحان كل ما يرد اليها من مواد الطعام والشراب فاذا وجد فيها شيئاً مغشوشاً اتلفهُ او منع بيعهُ . وقد امتحن في العام الماضي ٣٤٧ مليون رطل من الشاي فوجد نصف مليون منها لا يصلح للاستعمال لما فيهِ من الرمل او غيره من المواد الضارة ووجد ثلاثين في المئة من الزبدة حاوية عنصر البور الذي يحفظها من الفساد ولكنها تصير بهِ مضرة بالصحة و ١٨ في المئة منها ملونة بالوان صناعية . ووجد الزرنيخ السام في كثير من البيرة

الراديوم في الشمس

ابان الدكتور ديزون انهُ اذا حلِّل نور الكروموسفير المحيط بالشمس ظهر فيهِ خط الراديوم وينتظر تحقيق ذلك في الكسوف التالي

الورق من قضبان الكرم

صُنع الورق حديثاً من قضبان الكرم في مدرسة من مدارس الصنائع بفرنسا فجاء مثل الرق لوناً ومتانة ولا يفرق عن الورق الياباني الجيد . ويقال انهُ من اجود انواع الورق لطبع الصور الدقيقة الحفر

العقل والجسد

تباحث جماعة من كبار العلماء في مجمع تقدُّم العلوم البريطاني في علاقة العقل بالجسد فقرأَ الاستاذ مكس ڤرورن مقالة فسَّر فيها الذاكرة والتجريد وجعلها من الافعال الفسيولوجية فقال ان الخلايا العصبية تكبر بالاستعمال وان قوة التنبه العصبي تتوقف على جرم هذه الخلايا فاذا كانت غير مستعملة وقفت كالحاجز في سبيل التنبه العصبي فيقل فعلهُ بها رويداً رويداً حتى يضعف عن الوصول من خلية الى اخرى . واما الخلايا العصبية المستعملة فتزيد قوتهُ ولذلك فهو يسير في السبل التي كثر تردُّدهُ فيها . وقال الاستاذ لوتْا انهُ لا يمكن فصل العقل عن المادَّة فصلاً تامًّا وان التمييز بين المادي والعقلي كالتمييز بين نوعين من جنس واحد . وتكلم السر توماس كلوستن عن الاحوال المرَضية فبيَّن شدَّة الارتباط بين بناء الدماغ والافعال العقلية . وقال الدكتور هلداين انهُ يستحيل فصل العقل عن بناء الجسد ويستحيل ايضاً فصل الافعال الفسيولوجية عن النواميس الطبيعية والكيماوية

علف المواشي والكسب

ظهر بالامتحان ان كسب بزر الكتان اجود علف للمواشي ويتلوهُ كسب بزر القطن الهندي ثم كسب بزر القطن المصري

الجمعية اليابانية لمقاومة السل

الَّف الدكاترة البارون تكاجي والبارون سانو والاستاذ كتاساتو جمعية لمقاومة السل في اليابان فاجتمعت اجتماعها الاول في ٢٩ اكتوبر وانتخبت لجنة تعمل الاعمال اللازمة للقيام بهذا المشروع . ويقال انهُ يموت بالسل مليون نفس كل سنة في بلاد اليابان اي نحو عشرين في الالف من السكان

تقليل الجاذبية بحجبها

وصف الاستاذ دهستر بعض المباحث التي بحثها هو والمر بتلنجر عن تقليل جاذبية الشمس للقمر حينما يخسف ويقع كلهُ في ظل الارض فان الاستاذ نيوكم اكتشف شيئًا من الاضطراب في سير القمر لا يعلل بكل القواعد المعروفة ولكن قد يمكن تعليلهُ بان الارض تحجب شيئًا من جاذبية الشمس عن القمر كما تحجب عنهُ اشعة نورها . واذا ثبت ذلك فمن المحتمل ان يرى فيهِ العلماء ما يؤَيد مذهب لهساج الذي علل الجاذبية بانها دقائق صغيرة جدًّا منتشرة في الكون بسرعة فائقة وهي تخترق الاجسام التي تصادفها او لا تخترقها حسب نوعها فاذا اصابت جسمين متقابلين ولم تخرقهما وقى احدهما الآخر من الدقائق التي تأْتيهِ من نحوهِ فبقي عليهِ الدقائق التي تأْتيهِ من الجهات الاخرى فتدفع كلاً منهما نحو الآخر فيظهر كأَنهما يتجاذبان

الجير في الزراعة

ابان الدكتور هتشنصن ان الجير (الكلس) يقتل الميكروبات الضارة التي تكون في الارض الفاسدة كأنهُ يعقمها فيزول الفساد منها كما يزول بالحرارة فيعقبهُ نمو الميكروبات المفيدة للزراعة وزيادة الخصب . وابان ايضاً ان كل مادة نباتية تضاف الى التربة تزيد تجمع النيتروجين فيها غذاءً لما يزرع ومن ثم تتضح فائدة زبل المواشي سماداً للارض لانهُ كلهُ مواد نباتية

الامّيون في اوربا

يبلغ عدد الاميين من كل عشرة آلاف نفس في ممالك اوربا المختلفة ما تراهُ في هذا الجدول

في المانيا	٤
في سويسرا	٩
في الدنمارك	٢٠
في بريطانيا وارلندا	١٠٠
في هولندا	٢١٠
في فرنسا	٣٤٦
في بلجكا	٨٣٣
في ايطاليا	٣٠٧٢
في روسيا	٦١١٠

فلا يكاد يوجد امي في المانيا وسويسرا والدنمارك . وعدد الاميين في انكلترا واحد في المئة وفي هولندا اثنان في المئة وفي فرنسا ثلاثة ونصف في المئة وفي بلجكا ٨ وثلث في المئة وفي ايطاليا ٣٠ في المئة وفي روسيا ٦١ في المئة

الجرائد في اوربا

يبلغ عدد الجرائد لكل مليون من السكان ما تراهُ في هذا الجدول

في سويسرا	٢٧٥
في فرنسا	٢٥١
في هولندا	١٣٢
في المانيا	١١٥
في بريطانيا وارلندا	٠٩٨
في الدنمارك	٠٨٤
في ايطاليا	٦٠
في بلجيكا	٢٧
في روسيا	٨

الاستاذ اليوت سمث

مُنح الاستاذ اليوت سمث وسام الجمعية الملكية لاجل اشتغالهِ بتشريح الدماغ تشريح مقابلة

كوخ الاورانغ اوتان

افلت اورانغ اوتان من بستان الحيوانات ببلاد الانكليز في ٣ نوفمبر وصعد الى شجرة عالية وبنى فيها كوخاً لينام فيهِ . والظاهر انهُ وجد البرد شديداً لا يطاق فعاد الى مكانهِ في البيت المعد لهُ

هبات اميركية

وهب المستر جورج باكر رئيس بنك مدينة نيو يورك الوطني الاول اربع مئة الف جنيه لكي يتصل مستشفى نيويورك بكلية كورنل الطبية · ووهب الدكتور ارثر كبوت عشرين الف جنيه لمدرسة هارفرد الطبية واوصى لها بالجانب الاكبر من املاكهِ وهي تساوي مئة الف جنيه وذلك بعد وفاة زوجتهِ · واعطيت جامعة كولمبيا ٣١٥٠٠٠ جنيه من املاك جورج كروكر لاجل البحث في السرطان · واكتتب بعض المتخرجين في تلك المدرسة بمبلغ ٥٢٥٠٠ جنيه لهذا الغرض

المواليد في بعض الممالك

تبلغ نسبة المواليد السنوية الى كل الف من السكان ٣٥ في المجر و٣٣ في النمسا و٣٢,٩ في ايطاليا و٣٢,٨ في المانيا و٢٤,٧ في بريطانيا و١٨,٧ في فرنسا فهي في فرنسا اقل منها في كل بلاد اخرى . وهاك معدل المواليد والوفيات في بعض الممالك في الالف

	المواليد	الوفيات
روسيا	٤٤,٨	٣١,٧
بلغاريا	٤٢,٠	٢٣,٥
رومانيا	٤١,٢	٢٤,٨
السرب	٣٩,٠	٢٩,٣
النمسا والمجر	٣٣,٥	٢٢,٨
اسبانيا	٣٣,١	٢٣,٨

علاج السل بطريقة فريدمن

شاع ان الاستاذ فريدمن من اساتذة برلين اكتشف علاجاً جديداً للسل يشفي المصاب بهِ ويقي غير المصاب من الاصابة اذا كان معرَّضاً لهُ · وان كثيرين عولجوا بهِ في برلين وڤينا فشفي الذين كان السل غير متقدم فيهم ووقي الاولاد من الاصابة بهِ · والعلاج غير معروف ولكن يرجح انهُ نوع خفيف من ميكروب السل او غيرهِ من الميكروبات المشابهة لميكروب السل وقد ازيل منهُ فعلهُ الضار · والظاهر انهُ من ميكروب سل البقر وقد رُبي في مادة عولجت بالغليسرين واضيف اليها قليل من مرارة البقر · فاذا تكرَّرت تربيتهُ الى النسل الاربعين ضعف فعلهُ حتى اذا لقح بهِ عجل لم يصبهُ بالتدرُّن ولكنهُ يقي انسجتهُ ولا سيما جدران قناتهِ الهضمية حتى يعجز ميكروب سل البقر العادي عن التأثير فيهِ

ولم يمضِ حتى الآن وقت كافٍ للاستدلال على فائدة هذا العلاج لان بعض المسلولين يشفى من غير علاج وبعضهم يشفى اذا اقام في الهواء النقي واكل الطعام المغذي · وكل الذين يعالجون السل بالادوية يعتمدون ايضاً على نقاوة الهواء وكثرة الغذاء فما ادرانا ان الفائدة حصلت من الدواء لا من الهواء والغذاء

حرم الطيور

في اميركا جزيرة صغيرة مساحتها نحو ٧٥ الف فدان مشهورة بجمال حراجها وكثرة طيورها يقصدها الصيادون دواماً ويصطادون منها الوفاً والوف الوف من الطيور كل سنة وفي اميركا امرأة غنية مغرمة بحب الطيور والدفاع عنها وهي مسز ساج فاشترت الآن هذه الجزيرة بثلاثين الف جنيه ووقفتها على الطيور وجعلتها حرماً لها فلا يدخلها صياد بعد الآن

خسائر الحرائق

تبلغ خسائر الولايات المتحدة بالحرائق خمسين مليوناً من الجنيهات كل سنة . وخسارة مدينة شيكاغو وحدها مليون جنيه كل سنة مع ان خسائر مدينة برلين وهي تعادلها في عدد السكان لا تزيد على ٣٥ الف جنيه في السنة . ومصلحة اطفاء الحرائق في شيكاغو تكلف الحكومة ٦٠٠٠٠٠ جنيه كل سنة ومصلحة اطفاء الحرائق في برلين لا تكلف حكومتها سوى ٦٠٠٠٠ جنيه كل سنة

القوة المائية في برازيل

تألفت شركة في برازيل لاستخدام القوة المائية من شلالات بولو الفنسو وهي على ١٥٠ ميلاً من نهر سان فرنسسكو . وتقدر قوة هبوط الماء في ذلك الشلال بمليون وثلثمئة الف حصان ويراد استخدام مئتي الف حصان منها

الطيارات والبوارج

ركبت اعواد في شكل بارجة حربية كبيرة وغطيت بالجنفيص وصعد الكبتن بتزر الانكليزي بطيارة من ذوات السطحين ورشق البارجة بثلاث قنابل فاخطأتها الاولى والثانية واما الثالثة فوقعت بين مدخنتيها فاضطرمت النار فيها حالاً

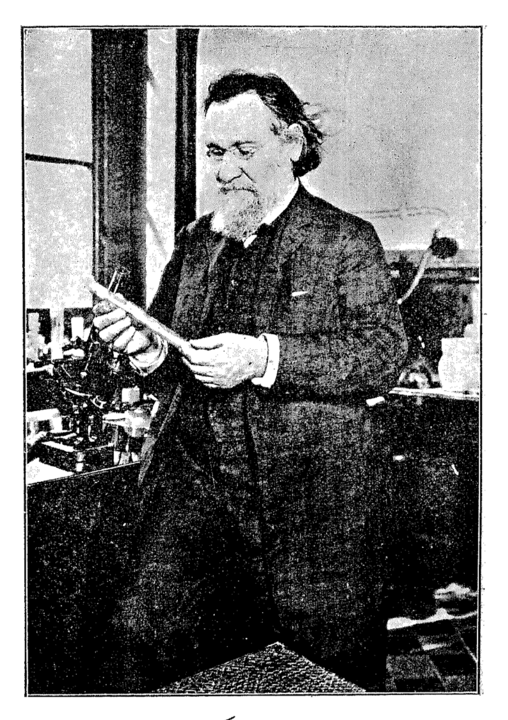
اشخاص التاريخ

كتب السر هري جنستن في مجلة كورنهل يشكو من وصف الناس باوصاف بعيدة عن الحقيقة ولا سيما الذين في المناصب العالية كالملوك والامراء والوزراء والقواد فيصير التاريخ بهم مشحوناً بالاكاذيب

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٩	١٩	اي	الى
«	«	فيها	منها
«	٢٠	منها	نفسها
١٠	١٢	الاعال	الاعمال
١٤	١٢	بدانة	بدائه
«	١٤	من	حتى
«	١٤	من	منهم من
«	١٩	منصبه	مصباه

فهرس الجزء الاول من المجلد الثاني والاربعين



الاستاذ متشنيكوف

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٥ صفر سنة ١٣٣١

محاربة السل او التدرن

اوردنا في الجزء الماضي خلاصة الخطبة النفيسة التي القاها الدكتور متشنيكوف في قاعة جمعية الطب الملكية بلندن في ٢٩ نوفمبر الماضي تذكاراً للادي بريستلي احدى اعضاء جمعية الصحة الوطنية . وقد وقفنا الآن على الخطبة نفسها مترجمة الى الانكليزية فرأينا ان ننقلها الى العربية بقليل من التصرف لكثرة فوائدها واستعملنا كلمة سل وكلمة تدرن مترادفتين

قال الخطيب : — دعاني رئيسكم لالقي الخطبة المعينة تذكاراً للادي بريستلي التي كانت صداقتها مع باستور سبباً للارتباط بينكم انتم اعضاء جمعية الصحة الوطنية وبيننا نحن تلامذة العلامة باستور واضع علم الميكروبيولوجيا . وقد اقترح عليَّ موضوع هذه الخطبة صديقي السر راي لنكستر وهو يعلم ان البحث في السل ليس داخلاً في اشغالي اليومية ومع ذلك طلب مني ان اتكلم عن الحرب العوان التي اثيرت على هذا العدو المبين لنوع الانسان وانا لست من الذين يمارسون التطبيب بل من الذين يبحثون في المعامل العلمية ولذلك سأقصر كلامي على المبادئ العلمية التي يجب ان تكون اساساً لكل عمل يقصد به محاربة السل

الآراء القديمة في حقيقة السل

لما عُلم في البلدان التي ارتقى فيها علم الطب ان السل الرئوي مرض متعلق بتغذية الجسم بقي الرأي شائعاً في بعض البلدان الجنوبية انهُ معدٍ مثل سائر الامراض المعدية . وبقي الناس في مدينة نابلي حتى القرن الثامن عشر يحرمون استعمال الامتعة التي استعملها المسلولون خوفاً من العدوى . واليكم عبارة تدل على ذلك اوردتها الكاتبة المشهورة جورج سند في احدى رواياتها قالت « اشتد المرض على شوبين في آخر الشهر فاستدعينا لهُ كل اطباء

الجزيرة فاذاعوا انهُ مصاب بالسل وجعل الناس يتجنبوننا فانِ السل يعدُّ هنا من الامراض المعدية على قلتهِ في هذا الاقليم . فاسرع صاحب البيت الذي كنا فيهِ الى اخراجنا منهُ وعزم ان يداعينا لكي يضطرنا الى تطهير بيتهِ الذي تلطخ بعدوى السل حسب زعمهِ »

ترون ان الناس كانوا حينئذٍ على رأيين فالبلاد الشمالية التي كان السل كثيراً فيها لم يكن اهلها يعتقدون عدواهُ واما البلاد الجنوبية التي كان السل نادراً فيها فكان سكانها يقولون ان المرء يعدى بهِ اذا دنا من مسلول

ومنذ خمسين سنة قام احد الاطباء الفرنسويين وهو الدكتور ڤلمين وجعل يمتحن فعل السل بالحيوانات ليتحقق كونهُ معديًا او غير معدٍ . فطعَّمها بنفث المصابين بالسل الرئوي وبقيح المصابين بسل العظام والعقد اللمفاوية . والحيوانات التي طعمها كانت من الارانب وخنازير الهند فاصيبت بالسل عاجلاً اوآجلاً ووجد في اجسامها شيئًا كثيراً من الدرن يشبه الدرن الذي يكون في اجسام الناس الذين يموتون بالسل (انظر الشكل الاول)

وقد حدثت تجارب ڤلمن حينما كان الاطباء يبحثون في خلايا الجسم وعلاقتها بالامراض فانهم حسبوا ان المرض ناتج بالاكثر من تغيُّر في خلايا الجسم التي لا ترى الاَّ بالميكرسكوب لصغرها فجعلوا يبحثون في ما يصيب هذه الخلايا من الآفات فرأوا وهم يبحثون في الدرن ان في كل مجموع من الخلايا خليةً كبيرة في قلبها كثير من النوى فسموها بالخلية الجبَّارة كما يرى في الشكل الثاني . فصاروا اذا رأوا حادثة مشتبهة ينزعون جزءًا صغيراً من العضو المصاب ويبحثون فيهِ عن هذه الخلايا الجبَّارة بالميكرسكوب فاذا وجدوها فيهِ حكموا انهُ مصاب بالتدرُّن . وعلى هذا الاسلوب اثبت ڤلمين ان الحيوانات التي جرَّب تجاربهُ فيها أُصيبت بالتدرُّن فعلاً لانهُ وجد فيها خلايا جبارة . وثبت حينئذٍ ان السل مرض معدٍ ينتقل بالعدوى مثل غيرهِ من الامراض المعدية . الاَّ ان هذه النتيجة كانت مضادة لاختبار الناس فان كل احد يعلم ان الدفثيريا تعدي حتمًا وكذلك الجدري والحصبة والشهقة اذا خالط السليم المصابين بهذه الامراض . واما المسلولون فقد يخالطهم الاصحاء سنين كثيرة ولا يعدون منهم . وهنا اسمحوا لي ان اقص عليكم قصةً تتعلق بي . لما كنت في الثالثة والعشرين من عمري تزوجت بفتاة مسلولة وكان السل قد انهك قواها حتى انها لم تستطع الصعود على الدرجات القليلة التي توصل الى الكنيسة حيث أُقيمت صلاةُ الاكليل فاضطررنا ان نحملها اليها في كرسي . وسافرت بها بعد ذلك الى البلدان المشهورة بفائدتها للمسلولين مثل مونتره والرڤيرا ومدايرا لكنها ماتت بعد اربع سنوات . وكنت اقيم الى جانبها اكثر الوقت من

غير ان احترس اقل احتراس من العدوى ومع هذا لم أعدَ ومضى عليَّ الآن اربع وار بعون سنة ولم يظهر فيَّ اثر للسل . أفلا يحق لي ان ارتاب في عدواه

ولذلك عارض العلماء تجارب ڤلمين وقالوا انهُ خلط بين التدرُّن الحقيقي و بين المتولدات التي تتولَّد في الاعضاء حينما تدخلها مواد غريبة. فان متولّدات مثل هذه تنتج من دخول بعض المواد الغريبة التي ليست من قبيل التدرُّن ويرى فيها بالميكرسكوب خلايا جبارة كالخلايا التي ترى في السل المميت

اكتشاف مكروب السل

حينما وصلت المباحث الى هذا الحد رسخ في الاذهان ان الخلايا الجبارة ليست دليلاً على وجود السل كما ظُنَّ قبلاً اي انها ليست من مميزات داء السل فلا بدَّ لهُ اذاً من سبب آخر يجب البحث عنهُ واكتشافهُ

لما ثبت بالامتحان ان السل او التدرن ينتقل بالتلقيح وانهُ يتولد تدرُّن مثلهُ حول الاجسام الغريبة اتضحان سببهُ او مادة عدواه موجودة في الدرن ولكنها ليست الدرن نفسهُ ولا الخلايا الجبارة التي تكون فيهِ

والذي اكتشف السبب الحقيقي للسل هو روبرت كوخ فانهُ هو الذي اكتشف ميكروبهُ اي الباشلس المنسوب اليهِ . ومن الميكروبات انواع اخرى تسبب درنًا كميكروب الجذام والسل الكاذب ولكن فعلها قليل اذا قوبل بفعل باشلس كوخ ذلك الميكروب الصغير الخالي من اللون الذي يحيط بهِ غلاف شديد المتانة وهو ابطأ تولداً من اكثر انواع الميكروبات الشبيهة بهِ

علم الناس منذ ثلاثين سنة بهذا الميكروب الذي هو الد عدو لهم . ومن ثم جعل العلماء يدرسون طبائعهُ ونحن نعرف الآن حجمهُ و بناءهُ والمواد التي يتركَّب منها جسمهُ . وقد عُلم ان لهُ غلافًا فيهِ مادة شمعية ولذلك يسهل تلوينهُ وتمييزهُ عن غيرهِ . والغالب ان يلوَّن بلون احمر وردي وغيرهُ يلون بلون ازرق . وقد شاع ذلك حتى لقد سُئل احد التلامذة عن تعريفهِ فقال انهُ الباشلس الوردي اللون

واذا رُبي هذا الميكروب خارج الجسم ثم أُدخل في جسم حيوان من الحيوانات التي تصاب بالتدرن ولَّد فيهِ التدرُّن الحقيقي كما لو لقح بمادة التدرن من حيوان مصاب بهِ

واكتشاف كوخ هذا هو اساس كل ما نعرفهُ عن التدرن اي السل معرفة عملية . وقد ثبت الآن ان التدرن معدٍ كما كان يقول اهل الجنوب وكما قال ڤلمين وسبب العدوى

هذا الميكروب ولم يبقَ ريب في ذلك . وقد رسخ في الاذهان مدة سنوات عديدة بعد اكتشاف كوخ ان ميكروب السل نوع واحد يصاب بهِ الانسان وانواع كثيرة من الحيوانات ومنها كثير من الحيوانات الاهلية

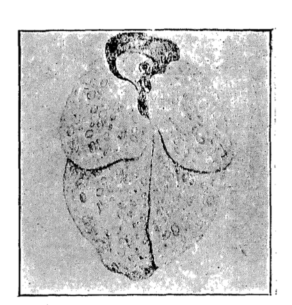
ولكن ظهر لدى التدقيق في البحث ان هذا الميكروب ليس نوعاً واحداً بل يكون على انواع مختلفة فتدرُّن الطيور حادث عن نوع خاص من الميكروب يميّز بسهولة عن الميكروب الذي يسبب التدرن في الحيوانات اللبونة وهذان النوعان يخالفان الميكروب الذي يسبب سل البشر في فعلها وفي شكلها ونموهما . وثبت ايضاً ان الحيوانات الفقرية الباردة الدم كبعض انواع السمك والزحافات والحيوانات التي تعيش في الماء وفي اليابسة تصاب بالتدرن وسبب تدرنها ميكروب يعيش في حرارة منخفضة لا يعيش فيها ميكروب سل البشر ونحوهِ من الحيوانات الحارة الدم

وقد بحث العلماء في تأثير هذه الميكروبات على انواعها في الانسان فظهر من بحثهم ان افعلها بهِ ميكروب سل البشر وان ميكروب الحيوانات الباردة الدم لا يعيش الاَّ فيها وميكروب الطيور لا يوجد في الناس الاَّ نادراً جدًّا

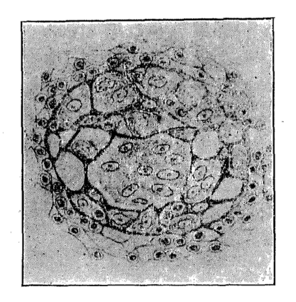
ولما اعلن كوخ في مؤتمر لندن سنة ١٩٠١ ان ميكروب سل البقر يخالف ميكروب سل البشر وان اصابة البشر بهِ نادرة لا تستحق ما يبذل من العناية لمنع اكل اللحم وشرب اللبن من البقر المصابة بهِ جعل العلماء يبحثون في هذا الموضوع واتسع نطاق البحث فيهِ جدًّا فثبت ان ميكروب سل البقر يفعل بالانسان ايضاً ولكنهُ اقل فعلاً من ميكروب سل البشر بما لا يقدَّر. فالسل كثير الانتشار في البلاد التي تقل البقر فيها ولا يشرب سكانها لبن البقر كما كان في اليابان حينما كانت البقر نادرة فيها . والاطفال في المستعمرات الفرنسوية بغرب افريقية وفي الهند الغربية والهند الصينية وجزائر المحيط لا يُسقَون لبن البقر مطلقاً لكن ذلك لم يمنع اصابتهم بالسل . ولذلك فالانسان يعدى بالسل من الانسان لا من البقر لكن هذا لا يجيز شرب لبن البقر المسلولة ولا ينفي اتخاذ الطرق الفعالة لمنع سل البقر

مقاومة جسم الانسان لميكروب السل

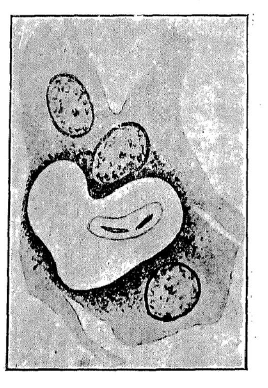
اذا ثبت ما تقدم من انتشار السل فكيف لم يفتك بالجنس البشري كلهِ ويستأصله لاننا نجد ميكروبهُ حولنا في كل جهة . والجواب ان في الجسم وسائل محكمة لوقايتهِ من هذا العدو الفتاك فيندر جدًّا ان يصاب انسان بهِ ويموت سريعاً . والغالب ان ميكروبهُ يدخل الجسم وينخر فيهِ ويستمر على ذلك اشهراً وتعرض لهُ فترات يقف فيها عن العمل قبلما يتمكن



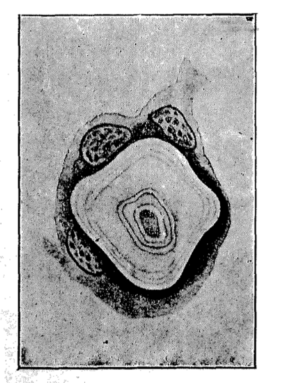
الشكل الاول الرئة المتدرنة



الشكل الثاني خلية جبارة مؤلفة من تسع خلايا



الشكل الثالث ميكروبان من ميكروبات السل
داخل خلية جبارة



الشكل الرابع تكلس ميكروب السل
داخل خلية جبارة



من الجسم · فبين ميكروب السل وميكروب الطاعون مثلاً فرق كبير من هذا القبيل لان ميكروب الطاعون يقتل في بضعة ايام او بضع ساعات وليس كذلك ميكروب السل

فكيف يقاوم الجسم ميكروب السل

والجواب انهُ حينما يدخل هذا الميكروب الجسم ويغور في عضو من اعضائهِ تثور خلايا ذلك العضو وتحيط بهِ من كل جهة وتحصره وتمنع نموهُ وتكاثرهُ وتنشب حرب عوان بين عدونا الالد باشلس كوخ و بين حماة اجسامنا الفاغوسيت آكلات الميكروب فانّ هذه الآكلات تحيط بهِ وتبذل جهدها في اهلاكهِ · ومن الحيل التي تحتالها لذلك ان بعضها يمتزج بالبعض الآخر فتصير منهُ خلايا كبيرة اقدر على العمل من الخلايا الصغيرة التي تألفت منها و بذلك يفسَّر وجود الخلايا الجبارة المذكورة آنفاً التي كان لها الشأن الاكبر في تشخيص السل قبل اكتشاف ميكروبهِ · وتتكون ايضاً هذه الخلايا الجبارة في احوال اخرى حينما يحاول الجسم التخلص من اجسام غريبة دخلتهُ · فكأنها فرق الجنود تلتصق بعضها ببعض و يصير من كل فرقة منها جبار واحد فيكون اشد قوةً واعظم فتكاً من الافراد التي تركّب منها · وحينما يعقد النصر للخلايا الجبارة تموت ميكروبات السل التي تكون في قلبها · ولكنها لا تطرح سلاحها ولا تقضي نحبها الا بعد ان تجاهد جهاد الابطال فان الخلايا الجبارة تقبض عليها وتنفث فيها مادة سامَّة لتميتها بها اما هي فتقي نفسها من ذلك بان تفرز مادة غشائية تحيط بها كالسور الحصين وتمنع وصول المادة السامَّة اليها كما ترى في الشكل الثالث فتفرز الخلايا الجبارة مادة كلسية من فصفات الجير (الكلس) تلقيها على الغشاء الذي تقي بهِ الميكروبات نفسها فينتشر الجير فيهِ و يجعلهُ غير صالح لبقاء الميكروبات حيةً كما ترى في الشكل الرابع وقد شوهد ذلك كلهُ في الحيوان الافريقي المعروف بالجربيل

فالدرن الذي يتولد في جسم المسلول هو الذي يقيهِ من فتك ميكروب السل · وما الخلايا الجبارة الا جنود هذا الدرن · وقد شوهدت طبقات المادة الجيرية داخل الخلايا الجبارة في المسلولين كما شوهدت في الجربيل قبلما اكتشف كوخ ميكروب السل

وما تقدم من ان ميكروب السل يلاقي اشد المقاومة من الدرن بنوع عام ومن الخلايا الجبارة بنوع خاص يفسر لنا شفاء الكثيرين من الذين يصابون بهِ

الدليل على ان كل سكان المدن الاوربية اصيبوا بميكروب السل وقتاً ما

ظهر من تشريح جثث الذين ماتوا بامراض مختلفة غير التدرن ان في اكثرهم آثاراً بيّنة على انهم اصيبوا بهِ وقتاً ما وشفوا منهُ · اي شفيت بؤر التدرن التي كانت فيهم والتحمت

وبقي مكانها ندب تدل عليها . وظهر ذلك بنوع خاص في الذين ماتوا شيوخاً . وقد بحث الدكتور نيجلي وغيرهُ بحثاً استقرائيًّا في هذا الامر فوجدوا ان كل الذين ماتوا بامراض مختلفة غير السل بعد ما بلغوا اشدهم قلما تخلو ابدانهم من آثار السل وقد شفيت او كانت لا تزال كامنة فيهم واكثرها في الرئتين

واذ يتعذر معرفة تاريخ كل من توجد فيهِ آثار السل بعد ما يموت بغيرهِ من الامراض فمن البيّن انهُ اذا كشفت طريقة بسيطة يستدل بها على وجود هذه الآثار في انسان حي ولو لم يظهر المرض فيهِ كان لها فائدة كبيرة في تشخيص المرض. وقد كشف الدكتور فون بيركت طريقة مثل هذه بناها على ما يعلم من ان الاصحاء الذين يحقنون تحت الجلد بمقدار قليل من التبركولين يحمّون غالبًا فانهُ وجد بالامتحان المؤيد بالبحث في الرمم بعد الموت انهُ اذا وضعت نقطة صغيرة من التبركولين على خمش في ظاهر الجسد وكان المرء الذي توضع على جسمهِ هذه النقطة مصابًا بالسل في درجة خفيفة تكوَّن في الخمش نفاطة وردية اللون واذا كان جسمهُ خاليًا من كل آثار السل او كان السل فيهِ في درجة متقدمة جدًّا لم تظهر فيهِ تلك النفاطة . ولا يتخذ ظهور هذه النفاطة دليلاً على ان من تظهر فيهِ مسلول فعلاً لانها تظهر في اكثر الناس ولو كانوا على تمام الصحة ولكنها مع ذلك تدل على انهم اصيبوا وقتاً ما بشيء من التدرن وبقي كامناً فيهم او شفوا منهُ او بقيت آثارهُ فيهم فهي اول دليل على وجود آثار السل في الجسم . ولما كان استعمالها خاليًا من كل ضرر استعملت لاكتشاف آثار السل في فينّا وباريس وليل ومدن اخرى من اوربا فظهر ان آثارهُ قلما توجد في الاطفال الذين سنهم اقل من سنتين واما الاولاد الذين بين السابعة والخامسة عشرة من العمر فتبدو آثارهُ في ٨٢ في المئة منهم وتزيد في الذين هم اكبر منهم سنًّا

ويستدل من ذلك على ان العدوى بميكروب السل قلما تحدث في السنة الاولى من العمر ثم يكثر حدوثها بتقدم الاولاد في السن

البحث في القلموق والتتر وغيرهم من الشعوب

وزيادةً في اثبات هذا الامر دعت الحال الى البحث بين الاقوام الذين تختلف احوالهم عن احوال الناس في مدن اوربا ويقل السل فيهم اذ قد علم انهُ غير منتشر في كل البلدان على السواء وانهُ اكثر انتشاراً بين الاوربيين ونحوهم من الشعوب المتمدنة منهُ بين غيرهم من الشعوب . فاستراليا وجزائر الباسيفيكي كانت خالية منهُ ثم ادخلهُ اليها الاوربيون فانتشر فيها وفتك بسكانها فتكاً ذريعاً حتى لقد انقرضت بهِ بعض الامم المتوحشة . ومن اشهر

الامثلة على ذلك جزيرة مديرا المشهورة بجودة اقليمها وبان هواءها يعين على شفاء المسلولين. فان السل الرئوي لم يكن معروفاً بين سكانها البرتغاليين لكنهُ انتشر فيها حديثاً انتشاراً مريعاً من كثرة المسلولين الذين يأتونها للاستشفاء بهوائها فصارت بؤرة للسل . وهو بسكانها الاصليين افتك منهُ بالاوربيين الذي هاجروا اليها حديثاً فلم يمت بهِ من ٤٤٤ نفساً من الاوربيين الذين جاؤُها سليمين بين سنة ١٨٣٦ وسنة ١٨٨٤ سوى ثلاثة

وقد ذهبتُ في العام الماضي ومعي رصيفاي الدكتور برنه والدكتور تراسفتش الى بلاد القلموق في فيافي روسيا بين الفولغا وبحر قزبين للبحث عن مقدار انتشار السل بين الاقوام التي يقل اختلاطها بالاوربيين فان القلموق بوذيون ودينهم يحرم عليهم الاختلاط بجيرانهم المسيحيين والمسلمين ولا يزالون على البداوة وقد امتحنا فيهم طريقة بركه فوجدنا آثار السل كثيرة في الذين يجاورون غيرهم ولاسيما اذا كان مجاوروهم من المتحضرين او سكان المدن . وقد عُرف من قديم الزمان ان سكان فيافي روسيا الذين يهبطون المدن ليتعلموا فيها يصابون بالسل فيعودون الى بلادهم ويموتون باكراً . وقد اتضح بالبحث ان اكثر الذين يصابون بهِ من مجيئهم الى المدن يصابون في السنة الاولى من مجيئهم اليها

فانا امتحنا ١٦ شابًّا من القلموق حين وصولهم الى استراخان فوجدنا ثمانية منهم سليمين لا اثر لميكروب السل فيهم وامتحنا ٣٧ شابًّا من الذين كانوا يدرسون في استراخان فلم نجد منهم سليماً من ميكروب السل الاَّ واحداً فقط

واتضح من بحث الدكتور كلمت في المستعمرات الفرنسوية المختلفة ان لا شأن للاقليم في انتشار السل ولكن انتشارهُ مرتبط بالعمران فهو نادر بين الزنوج الذين لم يدخل الاوربيون بلادهم الاَّ منذ سنين قليلة ثم يزيد بزيادة العلاقات التجارية وزيادة دخول الاوربيين الى البلاد واقامتهم فيها

فما هي حقيقة العدوى ومن اين تأتي وفي اي سن يصاب الانسان بها . فقد ظهر من البحث في اولاد قرى سكسونيا ان ثلاثين الى اربعين في المئة منهم مصابون بشيءٍ من التدرن مع ان تلك القرى خلت من المسلولين منذ سنين كثيرة فمن اين وصل ميكروب السل الى اولئك الاولاد

العدوى تقي الانسان

يظهر مما تقدم ان ميكروب السل كثير الانتشار جدًّا وان انتقال العدوى من انسان

الى انسان امر مقرر ولكن ان كان الامر كذلك فكيف ينجو كثيرون من السل او كيف لا يصابون بهِ اصابة مميتة

كان الناس يقولون بالاستعداد للسل يعنون بذلك ان بعض الاجسام يكون مستعداً لهُ فيصاب بهِ وبعضها غير مستعد فلا يصاب . ومن علامات الاستعداد لهُ حمرة الشعر وان احوال المعيشة تساعد على الاصابة او تقاومها ومن الاحوال المساعدة لهُ السكن في بيوت غير صحية لا تهوَّى ولا تدخلها الشمس وادمان المسكرات . وان بعض الامراض كالحصبة والبول السكري يعدُّ الجسم لهُ . وهذه الاقوال لا تخلو من الصحة ولكنها لا تحل المشكل . وقد رأى الاطباء من قديم الزمان ان الذين يصابون بداء الخنازير في صغرهم لا يصيبهم السل واستنتج الدكتور مارفان ان الذين يشفون من تدرن في الجلد والعقد اللفاوية لا يصابون بعد ذلك بالتدرن الرئوي وان السل اي التدرن الرئوي نادر بين الذين اصيبوا بداء الخنازير ولم يشفوا منهُ وانْدر من ذلك بين الذين اصيبوا بداء الذئب او غدد العنق وشفوا تماماً . وقد ايَّدت طريقة بركة ذلك وثبت منها ان للسل نوعاً من الطعم الطبيعي يقي منهُ يطعَّم بهِ الانسان وهو لا يدري فيقيهِ من سل يميتهُ وانا نفسي وُقيت من السل لاني أُصبتُ بداء الخنازير في صباي وشفيت منهُ . وقد ثبت من بحث مُلرس ان داء الخنازير نوع من التدرن . وفي عنقي الآن عقد ارجح ان اصلها ميكروب درني فاصابتي بهذا النوع من التدرن وقتني من العدوى بتدرن السل من زوجتي على ما تقدَّم . وعلى الضد من ذلك اولاد القلموق وسكان مديرا ونحوها من البلدان النائية الخالين من كل آثار التدرُّن اي الذين لم يطعموا في صغرهم تطعيماً طبيعياً كما طُعمت انا فانهم حالما يخالطون الاوربيين الذين فيهم باشلوس كوخ يعدون بهِ ويصابون بالسل اصابة مميتة

ومسألة التطعيم الطبيعي الذي يقي الانسان من السل لم تثبت حتى الآن ثبوتاً علمياً ينفي كل ريب بل لا تزال في معرض البحث ولكنها قد ترجحت صحتها حتى يمكن الاعتماد عليها كامر مقرر يصح الاعتماد عليهِ في محاربة السل ستأْتي البقية

[المقتطف] والكلام في ما بقي من هذه الخطبة على الوسائل التي استخدمت لعلاج السل كالادوية والاطعمة والتطعيم والمصاح وما اشبه كما سترى في الجزء التالي

اللغة العربية [1]

ما اخذت وما اعطت

ايها السادة لا بدَّ لي اولاً من بيان ما هي اللغة العربية او ما هي خصائصها ومقوّماتها قبل ان استطيع ابيّن على وجهٍ مفهوم مقبول ما اخذت عن غيرها من اللغات وما اعطتهُ لهنَّ

اللغة العربية نظير كل لغة من اللغات الحية المرتقية لا بدَّ فيها من امور جوهرية لا يجوز اهمالها ولا الاخلال بها . وهذه الامور الجوهرية تبقى من جيل الى جيل لا تتغير في شيء عمَّا كانت عليهِ انما تنمو وتتفرَّع تبعاً لناموس الارتقاء بما يخيَّل معهُ لغير العارف المحقق ان قد حصل فيها انقلاب وتغيير والحقيقة غير ذلك . فان اهملت هذه الامور الجوهرية او أُخلَّ بها وقفت اللغة عن النموّ او تراجعت الى الوراء وانحطت عما كانت عليهِ . ويتزايد التراجع والانحطاط على نسبة الاخلال بهذه الجوهريات او اهمالها والتنكُّب عنها . وفيها ايضاً امور دعونا نسميها عرضيَّة قد تكون اليوم ولا تكون غداً ووجودها اليوم ان وُجدت لا يشين في عروبة اللغة ولا يزين كما ان سقوطها غداً لا يضر بكيانها ولا ينقص من حيويتها فهي منها اشبه شيء بالورق او بعض الغصون والزوائد من الشجرة الكبيرة . فكما ان بعض اوراق الشجرة اذا تساقطت او بعض اغصانها اذا تشذبت او تهذبت لا يضرُّ بحيوية الشجرة ولا بسلامتها كذلك تلك الامور العرضية اذا تساقطت من اللغة اليوم او قُطعت منها وطُرحت غداً لا يضرُّ ذلك بكيانها ولا تضعف معهُ حيويتها وبعبارة اخرى لا يتراجع نموها ولا تتشاحب اظلالها ولا يتمازز طعم بلاغتها وفصاحتها

لنسأل الآن ما هي مقوّمات اللغة وبعبارة اخرى ما هي الامور الجوهرية فيها او الصفات الذاتية التي لا يستغنى عنها بل تبقى على مرّ الزمان فتتشعَّب وتتكيف بما يناسب حياة اللغة وارتقاءها . واذا فقدت او اهملت ماتت اللغة او توقَّفت عن النمو والتشعُّب ثم هي في الوقت نفسهِ لا يصحُّ استعارتها من لغة اخرى ولا يمكن ايضاً ان تُستَعار وتبقى اللغة هي هي

ايها السادة — ان مقوّمات اللغة او الامور الجوهرية فيها هي شيءٌ آخر غير الفاظها المفردة — لا فرق بين ان تكون تلك الالفاظ اسماء او افعالاً او حروفاً ودليلهُ ان هذه الالفاظ المفردة يمكن ان تستعمل اليوم وتهمل غداً كما انها يمكن ان تترادف وتتكثر حتى

(١) من خطبة للاستاذ جبر ضومط استاذ العربية وادابها في المدرسة الكلية الاميركية في بيروت

تستثقل وتهجر . انظروا الى كثير مما عندنا في كتب اللغة من الاسماء والافعال مما هجر او استكره واهمل فانها تُعَدُّ بالمئات . وكثير من تلك الالفاظ ليس هو في الاصل من كلمات اللغة العربية انما هو من الفارسية او الرومية او الهندية استعيرت فاستعملت عند الحاجة وأُهملت او أُميتت عند عدمها — وتعلمون ان مقوّمات الشيء او الامور الجوهرية فيهِ هي مما لا يفارقهُ وبعبارة اخرى هي مما لا يستغني عنهُ حيناً ويحتاج اليهِ حيناً آخر. نعم ان كثيراً من اعراض الشيء قد تستمرُّ مصاحبتها لهُ ولا يُستغنى عنها بالفعل او في الخارج فهي من هذا القبيل كالمقوّمات لهُ او كالصفات الجوهرية (اي الذاتية) منهُ . والفارق بينهما حينئذٍ أَنهُ يمكن فرض الاستغناء عن الاعراض ويمكن ايضاً تصوّر الاستغناء عنها وتصوُّر مفارقتها لمصحوباتها ولا يمكن فرض الاستغناء عن المقوّمات ولا تصوُّر الاستغناء عنها او مفارقتها لما تصحبهُ

استدركتُ ما استدركتُ لئلاَّ يُعترض عليَّ ان كثيراً من الاسماء كالسماء والارض والبرّ والبحر والجبل والوادي والشجر والحجر كانت ولا تزال في لغتنا العربية لم تُهمَل ولا يُخال ان تُهمَل وما زالت في استعمال كل يوم وفي استعمال كل جيلٍ من الاجيال التي غَبرَتْ ونعرفها فكأَنَّما هي مما لا يجوز اهمالها ولا يُتَصوَّر الاستغناء عنها ومع ذلك هي الفاظ مفردة فكيف تكون من الامور العرضيَّة في اللغة ؟ قلت واقول انها من حيث هي اسماء مفردة ليست من مقوّمات اللغة اصلاً ويمكن الاستغناء عنها وانما استمرَّت في اللغة وفي استعمال كل يوم وكل جيلٍ من اجيال اهل هذه اللغة لانَّ مسمياتها مستمرَّة ومشاهدتها اي مشاهدة مسمياتها كذلك . وهذا ما يوهمنا انهُ لا يمكن الاستغناء عنها

لا بُدَّ لي هنا من استيفاء المراد او الاطالة اذا شئتم هذه التسمية وإلاَّ ظُنَّ بي اني اريد ما لا اريدهُ او اني اكتب ما لا افهمهُ . ايها السادة . الفرق كبير بين قولنا اسم وهذا الاسم وفعل وهذا الفعل وحرف وهذا الحرف — فان الاسماء والافعال والحروف من حيث هي اسماء وافعال وحروف ضرورية في اللغة العربية وفي كل لغة ايضاً وهي من مقوّمات اللغة او من الامور الجوهرية فيها ولا يمكن الاستغناء عنها حتى ولا تصوُّر الاستغناء ولكن هذا الاسم وهذا الفعل وهذا الحرف يمكن تصوّر الاستغناء عنها وكثيراً ما يصحُّ الاستغناء عنها ايضاً

ظهر اذن لكم الفرق بين الضروري في اللغة وغير الضروري ورأيتم ايضاً الفرق بين استغناء واستغناء وعليهِ فوجود الاسماء والافعال والحروف ضروري في كل اللغات المرتقية ولا يصحُّ الاستغناء عنهُ (اي عن هذا الوجود) بوجهٍ من الوجوه واما كل لفظة من هذه الانواع الثلاثة لذاتها فيمكن الاستغناء عنها احياناً

بقي لي شيء آخر اقوله وهو ان زيادة لفظة او بضعة الفاظ من هذه الانواع الثلاثة على اللغة قد يكون فيها احياناً غنىً للغة لا يُقدَّر قدره وقد تكون الزيادة لغواً لا فائدة منها . والمحققون من اهل الذوق يعرفون الفرق بين زيادة وزيادة فيزيدون اللفظة التي تزيد في غنى اللغة واتساعها ويتجنبون ما زيادتهُ لغو لا فائدة منها — مثالهُ ان زيادة مترادف من الاسماء الموصوفة او من الصفات كزيادة جوشن مثلاً بمعنى صدر او درع وسَميذَع بمعنى شجاع او سيف وسُمْسُان وسُمْسُاني بمعنى خفيف لطيف فانها زيادة قلما ننتفع بها لقلة ما نحتاج اليها ولذلك فاستعمالها في كتابتنا او استعارة لفظة مثلها او بمعناها من لغة اجنبية لنستعملها في معتاد استعمالاتنا هو في حكم اللغو والمكروه ويجب تجنُّبهُ بخلاف زيادة او ادخال مثل الالفاظ الآتية وهي عَلوّاه — وما شاء الله — ويلّا — وكان — وهَاي هَاي — وهَاي لِيصَه — وبراڤو فان في زيادة مثل هذه الالفاظ في احاديثنا وكتاباتنا الادبية محلاً للفكرة والنظر على ما اظن وذلك لانها لا تُغيّر من جوهر اللغة وفي الوقت نفسهِ الحاجة ماسَّة اليها بدليل كثرة استعمالها وجريانها على لسان العامَّة منا والخاصَّة في الشام ومصر والعراق حتى وفي الحجاز ونجد على ما اظنّ

ذهب بي الاستطراد الى اكثر مما اردتهُ فحال دون ما اريد الى بيانهِ وتمكينهِ في الذهن وهو ان الالفاظ كل لفظة بعينها سواء كانت اسماً او فعلاً او حرفاً ليست من الامور الجوهرية في اللغة وبعبارة اخرى ليست في عمود اللغة ولا في مقوّماتها فتفسد زيادتها اللغة اذا زيدت عليها او يتهدّم بنيانها اذا أُهملت او اطُّرحت منها

ومثل الالفاظ المفردة في انهُ ليس من مقوّمات اللغة ولا من الامور الجوهرية فيها تغيُّرات الاعراب في اواخر الكلم المعربة ولاسيما التي ورد فيها مذاهب مختلفة . ودليلنا الوقف فانهُ جائز كثير الاستعمال شائعهُ قديماً وحديثاً لم ينقل عن نحويّ قط انهُ منع جوازه . والوقف هو تعطيل الاعراب وازالة حكمهِ بتاتاً ويستحيل او اقلّه يمتنع ان تتعطل مقوّمات الشيء او يزول حكمهُ لان ما يتعطل او يجوز ان يتعطل وتزول احكامهُ عن شيء لا يجوز اصلاً ان يكون من مقوّمات ذلك الشيء او من جوهرياتهِ

الاعراب ايها السادة من اعراض اللغة العربية المضرية واكثر ما نقول فيهِ انهُ بمنزلة العرض العام لا من الصفات الذاتية ولا من مزاياها الخاصة بدليل وجودهِ في غيرها من اللغات العربية كاللغة اليونانية واللاتينية . وهو في كثير من المواقف زينة في اللغة لا غير الاَّ انهُ قد يكون احياناً مساعداً على الفهم ومنع الالتباس وحكمهُ حينئذٍ حكم القرائن

المختلفة التي تساعد على سهولة الفهم وصرف المعني الى ما يراد . ولهذا لا يجوز الاستخفاف بهِ دائماً لكنَّ المغالاة بهِ حيث لا تصح المغالاة ضرب من انزال الشيء فوق منزلتهِ وحسبان الخادم في كثير من المواضع مخدوماً وسيّداً . وبالاجمال اقول ان المغالاة فيهِ التي هي في غير موضعها ضرب من السخف المضرّ . واضرّ ما تكون اذا كانت احكامهُ خارجة عن القواعد الكلية المساعدة على فهم المعنى المراد وداخلة في ما تعمق بهِ بعض اصحاب المذاهب الذين خلطوا فادخلوا كثيراً من احكام علوم الكلام والفلسفة والخط في احكام النحو والاعراب مع بعد ما بينهما

ومن قبيل الالفاظ المفردة واعراب اواخر الكلم الهيئات التركيبية فانها اي الهيئات التي تتعلق بها فصاحة المركّبات و بلاغتها حكمها حكم الالفاظ المفردة بمعنى انها من حيث هي تراكيب فصيحة او بليغة لا بدَّ من وجودها في اللغة . ولكن هذه الهيئة او هذا التركيب بهذه الالفاظ قد يسقط من اللغة او يزاد عليها مثلهُ فلا يهدم سقوطهُ اركانها ولا تُفسد بلاغتها زيادتهُ او زيادة مثلهِ عليها

وصلت الى نقطة لا اراني استطيع تركها من غير ان ابسط الكلام فيها شيئاً وهي : — يزعم كثيرون من اهل العربية ان الهيئات التركيبية فيها محصورة وهذا وان لم يقولوهُ صراحة يقولونهُ ضمناً . واذا كانت الهيئات التركيبية محصورة اذن لا يجوز الخروج عنها لانَّ الخروج عنها خروج عن الفصاحة والبلاغة . ولما كانت الفصاحة والبلاغة من الكلام بمنزلة الكرم والشجاعة والعفة من الصفات الفاضلة كان التركيب الذي يعرى من هذه كالشخص الذي يعرى من تلك . وفي هذا القول كثير من الحق والصواب وكثير من الباطل والخطاء

اما الحق والصواب ففي ان الهيئات التركيبية اذا خلت من الفصاحة والبلاغة خرجت عن ان تكون اجزاء لغة راقية ومسخت اللغة عن صورتها العاقلة الادبية الى ما هو دون ذلك واما الباطل والخطاء ففي امور كثيرة نتوهم . منها

(اولاً) ان الهيئات التركيبية الفصيحة والبليغة محصورة وانها محصورة في التراكيب التي وصلت الينا عن العرب في نحو من مئتي سنة على الاكثر . فان هذا ممَّا لا يقول بهِ صاحب رويَّة . وهو وان كان ممكناً ان يكون عقلاً فلا يمكن ان يكون وجوداً لان البلاغة تقتضي المطابقة لمقتضى الحال ومقتضى الحال يختلف باختلاف الزمان والمكان وباختلاف المخاطِب والمخاطَب واختلاف احوالها . واختلاف الزمان والمكان مضافاً اليهِ اختلاف المتكلمين واختلاف افكارهم ومشاربهم وقوى عقولهم يتولّد عنهُ من الصور ما لا يقع تحت حصرٍ

وجودي . ثم على فرض انهُ يستطاع حصر الهيئات التركيبية الفصيحة والبليغة بعدد معلوم فهذا العدد يتجاوز المئات وربما تجاوز العدد المركَّب منها . وهذا العدد من هذه الصور والهيئات يستحيل على العقل الانساني الاحاطة بتصوّرهِ في زمان من ازمنتهِ المحدودة . والحصر الفعلي الذي يترتب عليهِ فائدة لا يكون الاَّ اذا احاط الفكر بالمتصوَّر وتخيَّلهُ جميعهُ دفعةً واحدة او ما هو من قبيل الدفعة الواحدة

(ثانيًا) ان تكون الهيئات التركيبية المعلومة علمًا اجماليًّا عند ادباء العربية مما اودعتهُ اسفار الادب ودفاترهُ كلها فصيحة بليغة فانَّ ذلك مما يصعب التسليم بهِ . واكثر من ذلك ان تكون الهيئات التركيبية المنقولة في كلام من كانوا قبل الاسلام افصح وابلغ من هذه الهيئات المنقولة عن امثالهم في صدر الاسلام وبعدهُ الى عصرنا الحاضر . فانَّ هذا الخطاء شائع متداول واكثر ادبائنا والمشتغلين بعلوم البلاغة منا قديمًا وحديثًا كأنما هم يذهبون اليهِ فيرون في الهيئات التركيبية والمركبات المنقولة عن اصحاب المعلقات وغيرهم ممَّن سبقهم او عاصرهم — فصاحةً وبلاغةً لا يرون مثلها لمن جاء بعدهم من مولدي الاسلام ومولّدي مولّديهم . بل كثيرون على ما يُخال يذهبون الى ان جميع ما نُقل عن الجاهلية فصيح بليغ بلا استثناء وهذا وهم فاضح ومن الاسف انهُ شائع مقبول عند الكثيرين من غير تجريح ويكاد الاقلون ممن يرتابون بصحة هذا الزعم لا يجسرون ان يرفعوا اصواتهم في نفيهِ او الاعتراض عليهِ انما هم يتهامسون بهِ همسًا فيما بينهم

(ثالثًا) من الخطاء ايضًا ذهاب كثيرين الى ان الفصاحة والبلاغة درجة واحدة وهذه الدرجة يرونها في هذا النوع من الكلام الذي يهيّج من حاسَّة الاستحسان وما ناسبها او من حاسَّة الاستهجان وما ناسبها . فان رأَوا مبالغة قد تخرج عن حد المقبول او رأَوا تشبيهًا او استعارةً في مدح ممدوح او ذم مذموم او في فخر او في نسيب او في حكمة وجاء شيءٌ منها في شيءٍ من الغرابة المقبولة اكبروا ذلك وظنوا ان هذا الذي اكبروهُ انما جاء من قبيل بلاغة الهيئة التركيبية . وقد لا يكون هناك فصاحة ولا بلاغة في التركيب تدعو الى مثل ذلك الاستحسان بل الاستحسان انما كان لتلك المبالغة او الاستعارة او لذلك التشبيه وما صحب المبالغة من الغرابة او صحب الاستعارة والتشبيه من الغرابة والمطابقة . والمحققون على ان بلاغة التركيب قد تكون ولا يكون هناك استعارة ولا تشبيه وقد تكون ويكونان معًا ولكنهما متمايزان في نفسيهما حل التمايز وان خفي ذلك على كثير من البلغاء بالفطرة او المتبالغين . وهذا الخلط بين حسن الاستعارة او التشبيه و بين بلاغة المركّب والتركيب كان

فاشياً في ايام الامام العلاَّمة الجرجاني صاحب كتاب اسرار البلاغة وكان يؤلمهُ ايضاً

والخلاصة ان ما يُتشبَّع بهِ من ان هذه التراكيب والهيئات التي جاءت في كلام الجاهلية هي التي بها قامت مقوّمات اللغة العربية وتفوّقت على غيرها من اخواتها الساميات وعلى غيرهنَّ من اللغات الاخرى هو مجرّد تشبُّع يقول بهِ اقوام قلّوا او كثروا ولكنهُ عارٍ من التحقيق . فالبلاغة غير منحصرة في جيل دون جيل ولا هي ايضاً خاصَّة بزمان دون زمان ولا بمكان دون مكان وان اختلفت وتباينت باختلاف الزمان والمكان . وعليهِ نقول ان امرء القيس كان بليغاً في عصرهِ وكذلك كان جرير والفرزدق والاخطل في عصرهم وكذلك كان ابو نواس وابو تمام والبحتري كلٌّ في عصرهِ شاعر بليغ الأَ انَّ بلاغة جرير والفرزدق قد تكون في نوعها غير بلاغة ابي تمام والبحتري كما لا يبعد ان تكون بلاغة هذين غير بلاغة المتنبي وغير بلاغة ابي فراس الحمداني — تكون غيرها ولا تكون اعلى درجة منها — وهكذا يقال في بلاغة امرء القيس وغيرهِ من اصحاب المعلّقات انها غير بلاغة ابي نواس او ابي الطيب المتنبي ولكنها وان كانت غيرها قد لا تكون اسمى منها . ولا دخل في ذلك لتقدّم زمان امرء القيس ولا لتأخُّر زمان المتنبي بل بلاغة المتنبي قد تكون اعلى واوسع من بلاغة امرء القيس (وهي كذلك) على نسبة ما كانت مدارك هذا اعلى من مدارك ذاك — وما قلتهُ في المتنبي وامرء القيس اقول مثلهُ في ابي نواس والبحتري فانهما وان تأخّرا عن جرير والاخطل في الزمان فقد تقدّماهما في البلاغة وان كان الاولان اقرب الى مناحي البداوة والثانيان الى مناحي الحضارة

لكن يقول قوم ان امرء القيس يُستَشهد بكلامهِ في اللغة والاعراب ولا يُستشهد بكلام المتنبي وكذلك يُستَشهَدُ بكلام الفرزدق والاخطل ولا يستشهد بكلام ابي تمام والبحتري . ويستنتجون من ذلك أنَّ امرء القيس ابلغ من المتنبي والفرزدق والاخطل ابلغ من ابي تمام والبحتري . والاستطراد الى الردّ على فساد هذه المزاعم واشباهها يخرجني الى ما لا يحتملهُ المقام فاجتزي بسرد القصة التالية

حكي ان ابن الانباريّ دخل على قوم فانشدهُ بعضهم قصيدةً لابي تمام ونسبها المنشد الى احد شعراء الجاهليَّة فطرب لها ابن الانباري وامر كاتبهُ ان يودعها في دفاترهِ فلما أتى الكاتب على آخرها قيل لهُ هي لابي تمام قال فقال ابن الانباري — « من اجل هذا رأيت اثر الركاكة عليها — خرِّق يا غلام خرِّق خرِّق » . وكنت احبُّ ان انقل القصة بحروفها كما قرأتها ولكنني أُنسيتُ الكتاب الذي قرأتها فيهِ وبقي في ذهني ان الكتاب من الكتب التي يعتمد على صحة روايتها

ولا اقول انَّ هذه الفكرة عمَّت بدون استثناء ولكن اقول ان الكثيرين اخذوا بها في الاجيال التي مرَّت قبلنا فغلب رأيهم على رأي المحققين من العقلاء في كل جيلٍ الذين كانوا يقولون ان اللغويَّ شأنهُ ان ينقل ما نطقت بهِ العرب ولا يتعدَّاهُ واما النحويّ فشأنهُ ان يتصرَّف فيما ينقلهُ اللغوي و يقيس عليهِ « المزهر جزء اول وجه ٣٠ طبعة بولاق »

ستأتي البقية — جبر ضومط

خزان اصوان وفوائدهُ

بينما ترى الدولة العلية صاحبة السيادة على القطر المصري تشكو من حرب طاحنة استنزفت اموالها وكادت تذهب بربع بلادها والاصدقاء يجمعون لها الاموال لمؤاساة جرحاها وتطبيب مرضاها ترى القطر المصري يحتفل بعمل هندسي كبير انفق عليهِ اكثر من مليون من الجنيهات ويرجو ان يستفيد منهُ مضاعف ذلك سنويًّا الاَ وهو تعلية خزان اصوان وقد قام بهذا العمل وغيرهِ من الاعمال العظيمة النافعة والاموال متوفرة في خزائنهِ . ولو جرت الحكومة العثمانية مجراهُ منذ ثلاثين سنة الى الآن لفاقت عليهِ في اتساع الاعمال وتوفُّر الاموال

اما الخزان فوصفناهُ حينما تمَّ بناؤُهُ منذ عشر سنوات وقلنا حينئذٍ انهُ لو عُلّيَ ستة امتار اخرى لتضاعف نفعهُ . وهذا نصُّ عبارتنا «ان هذا الخزان في حالتهِ الحاضرة لا يفي بنصف الفائدة التي تنال منهُ لو أُنفق عليهِ مئتا الف جنيه أُخرى عُلّيَ بها ستة امتار فوق علوهِ الحاضر ولو غُمر الماء حينئذٍ مباني انس الوجود» (انظر الصفحة ٣ من مقتطف يناير سنة ١٩٠٣) . وقد تحقق الآن ما قلناهُ حينئذٍ فعُلي الخزان ستة امتار فتضاعف مقدار المياه التي تخزن بهِ وغمرت انس الوجود ولم يختلف ما تمَّ عمَّا قلناهُ الاَّ في مقدار النفقة وسبب ذلك الاضطرار الى تسميك الخزان وكان السر وليم ولككس قد اكَّد لنا ان البناء الاول يحتمل التعلية من غير ان يزاد عرضهُ ولكن ظهر بعدئذٍ للمهندسين ان تعريضهُ اسلم عاقبةً فزادت النفقات بسبب ذلك

وقد نشرت الحكومة بيانًا لحال الخزان الآن وما اقتضتهُ تعليتهُ من النفقات وما ينتظر منهُ من النفع وهاك ترجمة ذلك

الحاجة الى تعلية الخزان

ان خزان اصوان افاد الزراعة المصرية فائدة كبيرة جدًّا بالمياه التي تخزن فيهِ في الشتاء والربيع ثم تستعمل صيفًا حينما تشحُّ المياه في النيل حتى لا تكفي لري كل الاطيان التي تزرع زراعة صيفية . وقد زادت الحاجة الى الري الصيفي بعد سنة ١٩٠٣ للاسباب التالية وهي اولاً ان مساحاتٍ واسعة من اطيان الوجه القبلي كانت تروى ري الحياض فصارت تروى ريًّا صيفيًّا بعد ما حُوّلت للري الصيفي . وثانيًا ان مساحة الاراضي التي تزرع قطنًا في الوجه البحري زادت عمَّا كانت عليهِ قبلاً . وثالثًا ان كثيرًا من الاطيان البور في الوجه البحري أُحييت وصارت تروى وتزرع . ولهذه الاسباب الثلاثة ولانهُ توالى ضعف الفيضان وقلة الماء الصيفي في سنوات متوالية دعت الضرورة الى زيادة الماء المخزون اذا اريد ان يكون كافيًا لري القطن سنة بعد سنة ولري ما يستحيا من الاطيان في الوجه البحري

ولدى البحث عن الاماكن التي يمكن ان يخزن فيها الماء اللازم لذلك وجد انهُ يمكن نيل المطلوب بتعريض خزان اصوان وتعليتهِ

غمر هياكل انس الوجود

الاَّ ان تعلية الخزان تستلزم غمر هياكل انس الوجود فرأت الحكومة نفسها بين امرين الواحد حاجة البلاد الماسَّة الى تكثير الماء الصيفي والثاني حرمان محبي الآثار من مشاهدة تلك المباني فوق سطح الماء في الفصل الذي يكثر مجيء السياح فيهِ الى القطر المصري ولكنها كانت قد رممت اسس الهياكل حينما كانت تبني الخزان ورأت ان غمر الماء لها بعد ذلك لم يوقع بها ضررًا لاسيما وانها مبنية بحجارة لا يؤَثر فيها الغمر بالماء تأثيرًا يذكر ولذلك ترجح لها ان غمرها كلها بعد تعلية الخزان لا يضرُّ بها ولا ينتج عنهُ الاَّ انها تكون مغمورة بالماء حينما يفد السياح لزيارة اصوان . ثم ينخفض الماء في الصيف فتظهر الهياكل حينئذٍ وتبقى ظاهرة فوق سطح الماء الى اواسط دسمبر او الى اواخرهِ قبل ان يعلو الماء ثانيةً فيغمرها ويحجبها عن النظر

ولما رأت الحكومة ان لا بدَّ لها من تعلية الخزان خصصت ستين الف جنيه للمباحث الاثرية (الاركيولوجية) في كل الاماكن التي يغمرها ماؤُهُ بعد تعليتهِ ولترميم الهياكل التي هناك حتى تبقى سليمة ولو غمرها الماء في بعض شهور السنة.

تعلية السد وتعريضهُ

اقتضت تعلية الخزان ان يُعرَّض اولاً اي ان يبنى الى جانبهِ حائط آخر عرضهُ ستة امتار و١٨ سنتمترًا الى الجهة الشمالية منهُ ثم يعلى السد الاصلي وهذا الحائط الجديد حتى يصير

منسوبهما ١١٤ متراً فوق سطح بحر الروم وكان الماء يعلو بالسد القديم حتى يصير منسوب سطحهِ فوق سطح بحر الروم ١٠٦ امتار اما الآن فصار يمكن ان يعلو حتى يصير منسوب سطحهِ فوق سطح بحر الروم ١١٣ متراً فيزيد ارتفاعهُ ٧ امتار . وكان يخزن بهِ قبل تعليتهِ ٩٨٠ مليوناً من الامتار المكعبة اما بعد تعليتهِ فيخزن بهِ ٢٣٠٠ مليون . فتبلغ الزيادة بهذه التعلية ١٣٢٠ مليوناً من الامتار المكعبة . فاذا كان مقدار الماء في النيل معتدلاً فهذه الزيادة تكفي لري مليون فدان فوق ما كان يروى بهِ

لكن تعلية الخزان لم تتم الاَّ بعد حل مشكل من المشاكل الطبيعية الهندسية فان الحجارة التي تبنى في بلاد شديدة الحر كاصوان تمتص جانباً كبيراً من الحرارة . وهذه الحرارة تزول مع الزمن فيبرد البناء وتتولَّد فيهِ شقوق والغالب ان هذه الشقوق تكون على ابعاد متساوية . وما يحدث في باطن البناء يحدث في ظاهرهِ ايضاً ولكن الشقوق التي تحدث في ظاهر البناء شتاء تزول صيفاً حينما تتمدَّد الحجارة بالحرارة . فتتوالى على ظاهر البناء حالتان اي انهُ يتمدَّد صيفاً و يتقلَّص شتاء دواليك . واذا اضيف بناء جديد الى بناء قديم وأُلصق بهِ لم يجرِ مجراهُ ويبقى لاصقاً بهِ الاَّ بعد ان يبرد باطنهُ كما برد باطن البناء القديم ودفعاً لذلك اشار السر بنيامن باكر ان يبقى فراغ بين البنائين القديم والحديث سعتهُ من عقدتين الى ست عقد (من ٥ سنتمترات الى ١٥ سنتمتراً) ويملأ بالسمنت المروَّب بالماء متى صار البناء الجديد مثل القديم من حيث الحر والبرد والتمدد والتقلُّص اي بعد سنتين على الاقل

دعم الجدار الجديد

ان وجه البناء القديم من الجهة الشمالية ليس عمودياً بل مائل ولذلك وجب ان يبنى البناء الجديد مائلاً مثلهُ فلا يثبت وهو بعيد عنهُ كما تقدم ما لم يكن لهُ شيء يسندهُ من الآن الى ان يملأ الفراغ الذي بين البنائين بالسمنت فوضعت قضبان من الفولاذ (الصلب) بين البنائين طول كل قضيب منها نحو مترين ونصف متر وثخنهُ عقدة وربع ادخلت في البناء القديم وفي الجديد ايضاً في كل متر مسطح قضيب وبها يستند البناء الجديد على البناء القديم وما منها بين البنائين يكفي للتمدُّد والتقلُّص

وتسهيلاً لملء الفراغ بالسمنت حينما يصير ذلك ممكناً قُسم على طولهِ الى اقسام طول كل منها ١٤ متراً وجعل الفاصل بين قسم وقسم حجارة منحوتة بارزة وداخلة في منطقة منحوتة عرضها عشرون سنتيمتراً مفروشة بالسلقون ووضع في كل قسم من اقسام الفراغ انابيب مخرقة قطرها عقدتان ونصف لكي يتوزع بها مروَّب السمنت . ولما تمَّ ذلك والتصق البناء

الجديد بالقديم اقيم بناء التعلية فوق البنائين معًا الى ارتفاع خمسة امتار

الفتحات والاهوسة

وجعلت الفتحات في البناء الجديد مقابلة للفتحات في البناء القديم كانها امتداد منها وباطنها من حجر الغرانيت المصقول وزيدت سعتها في البناء الجديد فجعلت مترين وثلاثين سنتيمترًا وهي في البناء القديم متران فقط وذلك لكي لا يصعب وصل الجديدة بالقديمة وبنيت فوقها قناطر بدلاً من العتب كما في الفتحات القديمة

اما التغيرات التي حدثت في الاهوسة فهي بناء هويس جديد تحت الهويس الاسفل وتعريض حيطان الهويس وتعليتها . وقد اقتضى ذلك وضع بوابتين في الهويس الاعلى . وغيّرت مناسيب ما بقي من الاهوسة حتى صلحت لهُ البوابات القديمة التي نزعت من الهويس الاعلى دفعًا لعمل بوابات جديدة ولذلك لم تعمل الاَّ بوابتان جديدتان

نفقات العمل

ينتظر ان تبلغ نفقات تعلية الخزان ١٢٢٠٠٠٠ جنيه يضاف اليها ٢٦٠٠٠٠ جنيه ثمن الاراضي التي سيغمرها ماؤُهُ بعد تعليتهِ فتصير النفقات كلها ١٤٨٠٠٠٠ وحيث ان نفقات البناء الاصلي بلغت اكثر من ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه والاعمال التي عملت لوقايتهِ بلغت نفقاتها نحو ٣٥٠٠٠٠ فتكون نفقات الخزان كلهِ قد بلغت حتى الآن نحو خمسة ملايين من الجنيهات . وقد ظهر من البحث في قيمة ايجار الاطيان التي استفادت منهُ قبل تعليتهِ ان الفرق بين ايجارها سنة ١٨٩٤ وسنة ١٩١٢ اكثر من خمسة ملايين من الجنيهات في السنة واكثر هذا الفرق حاصل من خزن الماء بهِ واعمال الري الاخرى التي ترتَّبت عليهِ ولم تزد نفقاتها مع نفقاتهِ على ١١ مليونًا من الجنيهات

ولقد كان ناظر الاشغال العمومية وقت الشروع في اقامتهِ حسين فخري باشا وخلفهُ اسمعيل سري باشا سنة ١٩٠٨ وكان السر وليم غارستن مستشار نظارة الاشغال وهو المسئول عن هذا المشروع الذي رسمهُ المرحوم السر بنيامين باكر . وخلف المستر وب السر وليم غارستن ثم خلف السر بنيامين باكر مدة اجراء العمل وهي خمس سنوات من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١٢ . وكان المستر مكدونلد مديرًا عامًّا للخزان وهو الذي تولَّى ادارة هذا العمل وكان المستر مكركردل المهندس المقيم على العمل . اما البناء فبناهُ الخواجات ايرد مقاولةً بمبلغ ١٠٣٧٠٠٠ جنيه والاعمال الحديدية عملها الخواجات رانسمس ورابير بمبلغ ٣٦٠٠٠ جنيه

الحشرات والامراض

ثبت منذ اثنتي عشرة سنة ان لبعض الحشرات يداً في نشر الامراض ونقل عدواها من شخص الى آخر ثم توالت على اثر ذلك الاكتشافات حتى ظهر ان اكثر الامراض الفتاكة يتصل الى الانسان من هذه الحيوانات الصغيرة . فطوراً يعلق ميكروب المرض بظاهرها فتقع بهِ على وجوه الناس وايديهم وطعامهم وشرابهم وتارة تمتصهُ مع دم العليل فينمو في جوفها ويتكاثر ثم تنفثهُ مع لعابها او تفرزهُ مع مفرزاتها في الاطعمة والقروح

الامراض المعدية بوجه الاجمال تنشأ عن الميكروبات اي عن احياء صغيرة جدًّا لا ترى بالعين المجردة وتقوم عدواها بوصول هذه الاحياء الصغيرة الى جسم الانسان وتمكنها منهُ . وهذه الامراض على نوعين فمنها ما يعدي بمجرد وصول ميكروبهِ من العليل الى الصحيح كالسل وحمى التيفوئيد ومنها ما لا بد لميكروبهِ من دخول جسم حيوان يتوالد فيهِ ويتكاثر وينمو ويتقوى قبل ان يصبح قادراً على مهاجمة الانسان ثانية وانزال العلة بهِ ومن هذا النوع الملاريا ومرض النوم . والحشرات اكبر العوامل على نشر النوعين وتنفرد في نشر كثير من امراض النوع الثاني بحيث لا تحدث العدوى الا بواسطتها

وقد امتاز الذباب بحمل الميكروبات من جميع الانواع ونقلها من مكان الى آخر . فانهُ يضع بيوضهُ في الزبل وغيرهِ من الاقذار فتنشأ صغارهُ فيهِ وتقتات بهِ حتى اذا بلغت اشدَّها غادرتهُ وانتابت المطاعم والمساكن فتقع على الاطعمة وآنية الاكل والشرب فتلقي عليها انواعاً من الميكروبات التي دخلت جوفها او علقت بظاهرها كميكروبات حمى التيفوئيد والاسهال والدوسنطاريا وغيرها

والذباب منتشر في جميع البلدان ويعيش في كل مكان يسكنهُ الانسان . فان اهمل امرهُ في مدينة اوقرية نما وتكاثر حتى اذا حدثت اصابة باحد الامراض التي تكثر ميكروباتها في مفرزات المرضى كالدوسنطاريا والتيفوئيد نشر العدوى بين السكان في طول البلد وعرضها . وان اشترك معهُ في عملهِ هذا البق او غيرهُ من الدويبات الصغيرة عم الداء وعظمت البلوى

وهو على انواع كثيرة لكن اهمها النوع المعروف بالذباب البيتي الذي يكثر في المساكن . ومن غريب طبائعهِ انهُ لا ينفك يتردد بين المطاعم والمزابل ذهاباً واياباً فمن الزبل الى طبق الحلوى ومن اناء اللبن الى كومة الاقذار

وقد ثبت ان بعض انواع البراغيث تحمل ميكروب الطاعون ومَن عرف شدة وطأة هذا الوباء الوبيل عرف ما لهذا الامر من الاهمية . فقد تفشى الطاعون في اوربا واسيا حوالي القرن السادس قبل الميلاد فظل يفتك بالناس نحو ستين سنة . ثم تفشى في القرن الرابع عشر في جميع البلدان المأهولة فاودى بحياة نحو ٢٥ مليوناً من النفوس

ويفتك الطاعون بالجرذان فتكاً ذريعاً ويصيب غيرها من القواضم فتنقلهُ البراغيث منها الى الانسان . فاذا امتص برغوث دم جرذ موبوء وجد الميكروب في جسمهِ بيئةً صالحة لمعيشتهِ واتصل منهُ الى الناس الذين يمتص دماءهم

واول ما يجب عملهُ اذا ظهر هذا الوباء قتل الجرذان والتخلص من شرها لان الطاعون يتفشى فيها بسرعة وينتقل منها الى الناس . وقد أُصيب بهِ نوع من السنجاب في اميركا ولكن تيقظ الحكومة الاميركية حال دون انتشارهِ

وتكثر حمى التيفوس في الاماكن القذرة الكثيرة الازدحام وقد ظهر ان القمل الذي يعيش على بدن الانسان ينقل عدواها ولذلك يكثر انتشارها في السجون فاصبح اتقاؤُها سهلاً . وقد قل ظهورها بين الشعوب الراقية التي تعتني بالنظافة

ويرجح الباحثون ان الذباب الصغير الاسود الذي يكثر على ضفاف الانهار والجداول السريعة ينقل عدوى المرض المعروف بالبلاغرا . وكانوا في ما مضى يعتقدون ان هذا الداء ينشأ عن أكل الذرة المتعفنة فبطل هذا الاعتقاد الآن خصوصاً لما يُرى من كثرة الاصابات او ان ظهور الذباب المذكور

ومن الامراض الكثيرة الانتشار الحمى الملارية (ويقال لها الحمى الدورية او الحمى البردية) وسببها ميكروب اكتشف سنة ١٨٨٠ يعيش في الكريات الحمراء من الدم ويتكاثر فيها . ولا بد لهُ من قضاء قسم من حياتهِ في جوف نوع من البعوض يعرف بالانوفلس . فاذا امتص دم مصاب بالحمى الملارية دخل هذا الميكروب معدتهُ مع الدم ونفذ فيها حتى يقترب من سطحها الخارجي فتتكون من حولهِ انتفاخات يضع بيوضهُ فيها . فتولد صغارهُ وتنمو ثم تنتشر في جسم البعوض وتتصل بغددهِ اللعابية . ومدة احتضان الميكروب في جسم البعوضة يتراوح بين اثني عشر وعشرين يوماً . وفي فم الانوفلس هلبات تشبه الابر يغرزها في جلد الانسان لاجل امتصاص دمهِ وينفث معها شيئاً من لعابهِ فيتصل الميكروب منهُ الى دم الانسان

ويسهل اتقاء الحمى الملارية باستئصال هذا البعوض ويتم ذلك بتجفيف المستنقعات

وسكب البترول في جميع البرك فتتلف بذلك بيوضهُ لانها لا تنمو الاَّ في الماء الراكد ولا بد لها من استنشاق الهواء الذي يمنعهُ عنها البترول بطفوهِ على وجه الماء وقد نجحت هذه الطريقة في مكافحة هذا الداء في ملقًا وجزيرة كيوبا و بناما والاسمعيلية من القطر المصري

ولم يعرف شيء حتى الآن عن حقيقة مكروب الحمى الصفراء وماهيتهِ ولكن ثبت انهُ يقضي بعض ادوار حياتهِ في جنس من البعوض يعرف بستغوميا كالوبس (stegomyia calopus) وهو منتشر في جميع البلدان الحارة · ويلقي بيوضهُ في ما جاور البيوت من الاحواض والبراميل وكل آنية الماء ولذلك كان استئصالهُ مهلاً

فاذا امتصت بعوضة من هذا الجنس دم مصاب بالحمى الصفراء في الايام الاربعة الاولى من ابتداء المرض دخلها شيء من ميكروبهِ وبقي فيها نحو اثني عشر او اربعة عشر يومًا في حالة الاحتضان · ويصبح بعد ذلك قادراً على اجراء عملهِ وابتلاء الانسان بتلك الحمى الخبيثة · وقد ذهب كل اثر للحمى الصفراء في الولايات المتحدة وجزر الهند الغربية وعاصمة برازيل لان هذه البلدان عملت على اهلاك البعوض والزمت المصابين ان يناموا داخل كلل تمنع وصولهُ اليهم

ولا يتعدى مرض النوم بعض اقسام القارة الافريقية حيث يعيش الذباب المعروف بالتسيتسي · وانثى هذا الذباب تلد مرة كل عشرة ايام فتعمد الى ظل نبات على ضفة نهر او بحيرة وتلد ذبابة واحدة في الحالة الدودية · ولا تلبث هذه الدودة ان تنقلب زيزاً ثم تخرج الذبابة من الزيز كاملة الاعضاء تامة الخلق

وتدخل جراثيم مرض النوم جسم هذا الذباب مع الدم الذي يمتصهُ من الانسان او الحيوان المصاب بهِ وتبقى فيهِ مستكنة في حالة الاحتضان من ثلاثين يومًا الى اربعين حتى تصبح في حالة تمكنها من انزال المرض بكل انسان او حيوان يلسعهُ الذباب

وتحمل بعض الدويبات من نوع القراد جراثيم الحمى المنتكسة وتلقح اجسام الناس بها · وينقل نوع من البعوض (كيولكس فاتيغانس) عدوى حمى الدنج (ابو الركب) · ويرجح ان البق ينشر عدوى البول الاسود (الكلا ازار)

هذه اهم الامراض التي تنقل عدواها الهوام والحشرات وغيرها كثير مما يصيب الماشية ويفتك بها ولا يسع المقام ذكرها ولو تلميحاً · ولا تزال العدوى في امراض كثيرة سرًّا غامضاً ولكن ليس بمستبعد على العلم ان يكشف الغطاء عنها وربما ظهر عند ذلك ان للحشرات اليد الطولى في نقلها · (انتهت ملخصة من مجلة العلم العام الاميركية)

آثار ترمسعيا

على ٣٧ كيلومتراً الى الشمال من القدس في الطريق الى نابلس بسيط من الارض الى يمين طريق العربات يمتد بضع كيلومترات من الغرب الى الشرق ولا يزيد عرضهُ على ٧٠٠ او ٨٠٠ متر • في وسط هذا السهل قرية يقال لها ترمسعيا على ربوة صخرية لا تعلو عمّا حولها الاَّ قليلاً • ولم يرد اسم هذه القرية في التوراة ولا في التاريخ انما يظن انها ترماسيا المذكورة في التلمود ولا دليل على ذلك الاَّ تشابه الاسمين في اللفظ • وليس في القرية شيء يستلفت النظر الاَّ بعض رضام قديمة حسنة الهندام اقحمت في جدران البيوت وبقية عتبة قديمة فوق باب المضافة وبعض قطع من اعمدة متكسرة • ولم يكن السياح يقفون فيها الاَّ قليلاً في طريقهم الى خرائب شيلوه (المعروفة بخربة سيلون) وهي على ربع ساعة منها الى الشمال

في غرة اكتوبر الماضي بلغ محمد رفعت افندي مدير المعارف في القدس ان البعض عثروا على ناووس وكثير من التماثيل في ترمسعيا فخف اليها وتحقق وجود هذه الآثار فيها • ولم يمضِ الاَّ ايام قليلة حتى تمكن وكيل دولة اميركا من اقناعهِ بان يؤلف لجنة ينضم اليها احد الاساتذة العارفين بالآثار القديمة من مدرسة سانت اتيان لكي يحقق امر هذه المكتشفات ويرى ما لها من القيمة العلمية • وهاك نتيجة اعمال هذه اللجنة ملخصة من تقريرها

على منحدر الربوة عند منتهى القرية الغربي بقايا اساس حائط لم يبقَ منهُ الاَّ ساف واحد من الحجارة المنحوتة يمتد من الشمال الى الجنوب ٦ امتار و٢٥ سنتيمتراً وعلوهُ ٦٥ سنتيمتراً • ويبلغ طول الحجر الواحد من متر و١٫٣ سنتيمتراً الى متر و٥٢ سنتيمتراً • وقد أُحكم وضعها على الصخر بعد ان نحت من الامام حتى اصبحت معهُ جداراً واحداً

وفي هذا الصخر كهف منعطف السقف على شكل قنطرة علوهُ عند المدخل ٩٠ سنتيمتراً وعرضهُ متران و٤٠ سنتيمتراً • وفيهِ قبر محفور في الصخر طولهُ متران و٣٠ سنتيمتراً وعرضهُ ٨٥ سنتيمتراً وعمقهُ ٥٥ سنتيمتراً (١)

وامام هذا الصخر على مسافة متر منهُ ناووس كبير من الرخام الابيض يوازي طولهُ خطًّا

(١) اخذ هذه القياسات فهمي افندي احد اعضاء مجلس الادارة في القدس بالاشتراك مع محمد رفعت افندي وذلك بعد ذهابنا الى القرية بايام قليلة



آثار ترمسعیا

ممتداً من الشرق الى الغرب وقد طمر نصفهُ في التراب . و يبلغ طولهُ مترين و٤٥ سنتيمتراً وعرضهُ متراً و٣٠ سنتيمتراً وعلوهُ اكثر من متر . وهو سليم لم يصب باذى غير ان غطاءهُ قد حطم عمداً على ما يظهر طمعاً بجواهر الميت . ووجوههُ من الخارج ملساء ليس عليها شيء من النقوش وقد أُتقن نحت احدها اكثر من الثلاثة الباقية لان النظر يقع عليهِ اكثر منها . اما من الداخل فلم تراعَ في حفرهِ قاعدة ولا نظام . ومتوسط سمك جدرانهِ ١٢ سنتيمتراً . وغطاؤُهُ مسنم ذو صفحتين وعلى كلٍّ من زواياهُ الاربع نتوء كما يرى في غيرهِ من النواويس الرومانية في فلسطين

ثم اقتادنا اهل القرية الى حفرة قريبة يقولون ان فيها تماثيل فكشفنا التراب قليلاً فاذا نحن بغطاء ناووس آخر عليهِ نقوش بديعة . وقد نقشت عليهِ صورة نعش عليهِ شخص اكبر من الحجم الطبيعي مستند على يسراهُ وذراعهُ اليمنى حول عنق شخص لا يظهر منهُ سوى اعلى صدرهِ فاستنتجنا من ذلك انها صورة رجل وزوجتهِ والمرجح انهُ كان على الزاوية المقابلة لوجههِ صورة ولد لهُ . وقد ذهب رأسا الشخصين وذراع من كل منهما . ورغماً عن ذلك لا يزال هذا الاثر من اجل الآثار التي وجدت في فلسطين حتى الآن

ورُفعت من الردم قطعة رخام تغطي النقوش وجهين منها فعلمنا انها زاوية ناووس وان وجهيها المنقوشين جدارا الناووس وعلوها متر وثلاثة سنتيمترات وعرضها ٧٠ سنتيمتراً ويظهر منها القسم الاكبر من احد الجدارين الاصغرين وعليهِ صورة طفل ذي جناحين قائم على قدميهِ يجني ثماراً وبالقرب منهُ شخص آخر لا يظهر منهُ الاَّ رأسهُ ويداهُ يجمع هذه الثمار في سل . ولم يبقَ من الجدار الآخر الاَّ قسم صغير لا يزيد اتساعهُ على ٥٠ سنتيمتراً . وعليهِ نقوش وصور بارزة تكاد تفلت من الناووس وتمثل شاباً عارياً عليهِ ملاءة صغيرة قد عقد طرفاها على كتفهِ اليسرى وهو قائم على قدميهِ وتحيط برأسهِ اغصان فيها ثمار متنوعة ويتدلى وراء اذنهِ اليسرى عنقود من العنب . وبين ساقيهِ زورق صغير يشق عباب الامواج وفيهِ رجل جالس

ورأينا في الحفرة قطعة اخرى فعملنا على استخراجها وقد كان للمستر لويس الاميركي الفضل الاكبر في الكشف عنها واخراجها سليمة . ولدى التمعن فيها علمنا انها قطعة اخرى من الناووس المذكور آنفاً وعلوها مثل علو القطعة الاولى اي متر وثلاثة سنتيمترات ونقوش الاثنتين متلائمة وعليها من الجانب الواحد طفل مجنح يرقى سلما لاجل اجتناء الاثمار وعند

اسفل السلم سل مملوء بالاثمار وقد اقبل عليها رجل يرتبها · وعلى الوجه الآخر شاب قائم على قدميهِ يشبه الشاب الذي وصفناهُ على القطعة الاولى و بين رجليهِ امرأة تحمل قرنًا قد نبتت عليهِ الازهار والاثمار وفيهِ شخصان صغيران يجنيانها وربما كانت الصور الفوتوغرافية التي اخذها المستر لويس ابلغ من القلم في وصف هذه النقوش

ويظهر ان النقوش على مقدم الناووس كانت تمثل المعبود باخوس على هيئات مختلفة · ولا شك في ان هذا الناووس من اجل الآثار القديمة ونقوشهُ من نوع الحفر النافر وهي في غاية الانقان وان كانت تنقصها بعض الامور دون الكمال · وقد افرغ الناحت جهدهُ في اتقان نحتها حتى تكاد تقرأ ما في نفوس الاشخاص الممثلة من مجرد النظر الى وجوههم · وهذا الاثر يمتاز على سائر الآثار التي وجدت في فلسطين وربما كان من صنع اليونان في القرن الثاني قبل الميلاد

وحبذا لو عجّل في نقل هذه الآثار الى متحف القدس حيث تكون في مأمن من عبث الايدي والطوارئ بها وتوبع البحث عن الاقسام الباقية من هذا الناووس لكي تكمل اجزاؤهُ وربما عثر معهُ على آثار اخرى ذات قيمة علمية · ولا شك في انهُ من بقايا مدفن فخم لم يبقَ منهُ الأ الحائط الذي ذكر في اول كلامنا وهذان الناووسان · ولا يبعد ان يكون في الردم كتابات تبين تاريخهُ واسماء من دفنوا فيهِ · وحبذا لو اتيح لهذا المكان من يرفع الردم منهُ ويحفر عما بقي فيهِ فان ذلك لا يستلزم عناء كثيراً

و بعد رجوعنا الى القدس اكتشف مدير المعارف وفهدي افندي عند احد المتاجرين بالعاديات قطعة من الرخام عليها نقوش وقد اتي بها من ترمسعيا ولا شك في انها من الناووس الذي وصفناهُ · وبعد ذلك بايام قليلة عادا الى المكان الاصلي واحتفرا قليلاً فاستخرجا قطعة اخرى منهُ

فحبذا لو جمعت هذه الآثار في القدس واعيد الحفر في ذلك المكان لتكمل اقسام ذلك الناووس · واننا نكرر نداءنا هذا باسم جميع المشتغلين بالآثار القديمة والمولعين بفنون القدماء وعسى ان لا يذهب نداؤُنا عبثًا الامضاء

ب · م · راف · سافينياك

الذهب والضيق المقبل

نشرنا منذ سنة من الزمان مقالة وجيزة في هذا الموضوع ابنا فيها ازدياد ما يستخرج من الذهب سنويًّا وان كثرتهُ رخَّصتهُ فغلت اسعار العروض التي تشترى بهِ ولكننا ختمناها بقولنا « ومن المحتمل بل المرجح ان هذا السيل الجارف سيل الذهب سيلاقي بالوعة عميقة تنصبُّ فضلاتهُ فيها وهي بلاد الهند و بلاد الصين فاذا كثر التعامل بهِ فيهما فلا يكثر عليهما خمس مئة مليون من الجنيهات في السنة لان سكانهما اكثر من سبع مئة مليون نفس . ولكن لو تمَّ ذلك فالاسعار التي ارتفعت الآن بسبب رخص الذهب لا يرجى ان تهبط سريعًا و بعضها لا يهبط ابداً لان العامل الذي اعتاد ان يأخذ عشرة غروش في اليوم ويشتري بها اشياء مختلفة ممَّا رخص باتقان الصناعة وممَّا غلا برخص الذهب لا يكتفي بخمسة غروش ولو رخص ما غلا الآن لانهُ اعتاد ان يشتري ايضًا اشياء أُخرى من الحاجيات والكماليات كان يستغني عنها حينما كانت اجرتهُ خمسة غروش . وهذا ممَّا يوقع الارتباك الشديد في احوال البلاد المالية ولا دواء لهُ الاَّ السعي من الآن في ما يزيد دخل السكان زيادة كبيرة وفي ما يعلمهم الاقتصاد والتوفير حتى يقتصروا في نفقاتهم على الضروريات و يبقى عندهم ذخر مالي يكون لهُ ريع يستعينون بهِ . وهذا يصدق بنوع خاص على القطر المصري الذي تتوقف احوالهُ المالية على موسم القطن وما يصيبهُ من الآفات »

وقد حققت حوادث العام الماضي ما رجحناهُ وهو ان الهند والصين اكثرتا من اخذ الذهب فقد كتب بعضهم في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر يقول انهُ حينما تنشر حكومة الهند خلاصة اعمالها في شهر ابريل المقبل سيظهر منها ان بلاد الهند استنزفت منا في سنتين سبعين مليونًا من الجنيهات . وسترى البنوك حينئذٍ ان اساس اوراقها المالية قد تقوضت دعائمهُ فيقل « الكريديتو » ويعلو سعر القطع . وسبب كثرة الذهب المرسل الى الهند هو جعلهُ اساسًا للمعاملة بعد ان كانت الفضة اساس المعاملة فيها ففي السنة السابقة لذلك بلغ وزن الفضة المرسلة الى الهند والباقية فيها ٦٠ مليون اوقية وفي السنة التالية بلغ وزن الفضة ٣٢ مليون اوقية فقط . واما الذهب فكان في السنة الاولى ٣٥٠٠٠٠٠ اوقية و بلغ في السنة التالية ٦٢٥٠٠٠٠ اوقية . واذا اتيح لحكومة الهند ان تصك نقود الذهب فيها استنزفتهُ من بنوك الدنيا سريعًا فان قيمة صادراتها زادت على قيمة وارداتها سنة ١٩١١ اثنين وخمسين مليونًا من الجنيهات فاذا طُرح منها ما هي مديونة بهِ لبلاد الانكليز معاشات

ونحوها وهو ١٧ مليونًا من الجنيهات بقي لها ٣٥ مليونًا فهي تأخذها الآن ذهبًا لا فضةً . ومعلوم ان الذهب المستخرج الآن من مناجم الارض كلها لا يزيد على مئة مليون جنيه في السنة يذهب ربعها في صوغ الحلى ونحوها ويبقى منها ٧٥ مليون جنيه للمعاملة فتأخذ الهند نحو نصفها وهذا النصف اذا وزع على سكان الهند لا يصيب النفس منهم الأَّ نحو ١٢ غرشًا فتضيع هناك . واذا زادت صادرات الهند بما يساوي ٣٥ مليونًا من الجنيهات في السنة وهذا غير بعيد استنزفت كل الذهب الذي يستخرج سنويًّا للمعاملة

واكثر الذهب الذي يرد الى القطر المصري من اوربا يرسل من القطر المصري الى بلاد الهند فقد بلغ ما ورد منهُ الى القطر المصري في العام الماضي حتى آخر نوفمبر ٩٩٣٤٦٨١ جنيهًا أُرسل منها الى الهند حتى آخر نوفمبر ٦١٣٣٦٩١ جنيهًا او نحو ثلثيها . وهذا الامر مطَّرد الآن ففي سنة ١٩١١ كان مقدار الذهب الوارد الى القطر المصري ٦٩٠٣٠٢٧ جنيهًا والصادر منهُ الى الهند ٥٠١٢٩٢٢ جنيهًا اما الفضة فلم يصدر منها تلك السنة الى الهند الاَّ ما قيمتهُ ١١٥٦ جنيهًا مصريًّا

ومن الغريب ان الذهب الذي يرسل الى الهند يخزن اكثرهُ عند اغنيائها او يصاغ حلًى ولا يدور في المعاملة فقد ثبت ان البوسطات وسكك الحديد لم يصلها من الذهب من سنة ١٩٠٨ الى سنة ١٩١١ سوى خمسة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الجنيهات مع ان الذهب الذي بقي في الهند في هذه المدة يزيد على مئة مليون جنيه

ولا بدَّ من ان تجري الصين مجرى الهند في جعلها الذهب اساسًا للمعاملة واستنزاف الكثير منهُ ومتى وقع ذلك ضاقت على التجار سبل المعاملة لان اكثرها قائم بالاوراق المالية وقطع التحاويل فاذا قلَّ الذهب في البنوك اضطرَّت ان تقلل اصدار الاوراق المالية وترفع سعر القطع . وقد قابل مدير صك النقود في الولايات المتحدة بين ما كان في البنوك المشهورة من الذهب في آخر سنة ١٨٩٩ وفي آخر سنة ١٩١٠ وبيَّن قيمة اوراقها المالية في السنتين المذكورتين وقيمة ما لها من الديون وفيها من الاوراق المقطوعة فكان كما ترى في هذا الجدول

	آخر سنة ١٨٩٩	آخر سنة ١٩١٠
قيمة الذهب في البنوك بالجنيهات	٥٠٠٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠٠٠
« الاوراق المالية المتداولة	٦٤٠٠٠٠٠٠٠	١٠٤٠٠٠٠٠٠٠
« الديون والاوراق المالية المقطوعة	٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠٠٠

فاذا قل مقدار الذهب في البنوك وعاد الى ما كان عليهِ في بداءة هذا القرن اضطرت

ان تقلل ما يتداول من اوراقها المالية وان تقلل تسليف النقود وقطع الكمبيالات ولا يخفى ما يحل بالتجارة حينئذٍ من الضيق والاضطراب

وقد تصلح الحال بالاعتماد على الفضة في المعاملة اي بجعلها اساساً كالذهب فانهُ استخرج منها من كل مناجم الدنيا سنة ١٩١١ ٢٣١ مليون اوقية اخذ منها الصاغة وصنّاع الآنية الفضية ١٥٦ مليون اوقية وهذا متوسط ما يستعملونهُ منها سنويًّا . فيبقى من المستخرج ٧٥ مليون اوقية فقط . وقد اشترت حكومة الهند ١٥٠ مليون اوقية سنة ١٩٠٦ و١٩٠٧ وصكتها ٤٠٠ مليون روبية وللحال غلت الفضة فبلغ ثمن الاوقية نحو ١٤ غرشاً ثم هبط سنة ١٩٠٨ الى ٩ غرش وهو ارخص سعر وصلت اليهِ . ومراد حكومة الهند الآن ان تشتري خمسين مليون اوقية لتصكها نقوداً وقد حاولت ان تشتريها سرًّا لكي لا يغلو سعرها اذا عُرف غرضها ولكن كشف سرها . فاذا عُلمت مقدار ما تحتاج الى صكهِ سنويًّا وجرت في صكهِ على وتيرة واحدة وكان نحو ١٣٠ مليون روبية او خمسين مليون اوقية ارتفع سعر الفضة وبقي على معدل واحد بالنسبة الى سعر الذهب وصارت الفضة تصلح لان تكون مقياساً للمعاملة وبطل استنزاف الهند والصين لذهب المسكونة وما ينتج عنهُ من الضيق المالي

والقطر المصري من اشد البلدان تأثراً بالضيق المالي اذا حدث لكثرة ما يطلب منهُ من الذهب سنويًّا ربا ديونهِ وديون حكومتهِ ولان اغنياءهُ لا يقتصدون في نفقاتهم وليس لهُ دخل يعتمد عليهِ غير قطنهِ فاذا اصابت القطن آفة من الآفات فقللت ما يجنى منهُ او اذا جاد موسم اميركا فهبط سعرهُ وسعر القطن المصري معهُ خسر القطر خسارة كبيرة تزيد على ما يمكن ان يتوفر لهُ في سنة الاقبال . ولا علاج لذلك الاَّ ما قلناهُ في بداءة العام الماضي وهو السعي في ما يزيد دخل السكان زيادة كبيرة وفي ما يعلمهم الاقتصاد والتوفير حتى يقتصروا في نفقاتهم على الضروريات ويبقى لهم ذخر مالي يكون لهُ ريع يستعينون بهِ . ونزيد على ذلك انهُ يجب ان يكون همهم الاول ايفاء ما عليهم من الديون لان رباها لا يقل عن ستة او سبعة في المئة والاملاك التي يمتلكونها والاطيان التي يحيونها لا يمكن ان يزيد صافي ريعها على ستة في المئة بالنسبة الى ثمنها والى ما ينفق عليها فايفاء الديون اربح من امتلاك الاملاك واحياء الاطيان

الارقام الهندية

قرأنا للاستاذ ادمندد ترنر من جامعة ميشيغان في اميركا مقالة في هذا الموضوع فاقتطفنا منها ما يلي

الارقام الهندية ويسميها الاوربيون الارقام العربية لاسباب سنذكرها شائعة الاستعمال في اوربا واميركا الشمالية واستراليا والقسم الاكبر من اسيا اما في اميركا الجنوبية وافريقية فلا يعوَّل عليها الاَّ حيث حل الاوربيون وانتشرت المدنية

ومن تأمل قليلاً هذه الارقام التي لا تتجاوز عدد الاصابع وما توفّر بها من الوقت والعناء لم يسعهُ الاَّ ابداء اعجابهِ بها . فلك ان تتصوّر اي عدد شئت مهما كان كبيراً وتكلّف ولداً كتابتهُ فلا يجد في ذلك اقل عناء . وقد سهّلت الاعمال الحسابية كثيراً ولا سيما بعد اختراع الآلة الحسابية ووضع جداول اللوغارثمات حتى صار الانسان يحسب في الدقيقة ما لم يكن يحسبهُ في ايام وتأتي نتائج حسابهِ على غاية الدقة والضبط

نشأَت هذه الارقام اولاً في الهند ثم اتصلت بسائر البلدان ولكن سيرها كان بطيئاً . ولم تكن في اول الامر تفضل الارقام التي وضعتها سائر الامم في شيءٍ ولكنها ما لبثت ان تنوعت وسهل تناولها فنقلتها العرب من اهل الهند واتصلت من العرب الى غيرهم من الامم

يبدأ الطفل يدرك شيئاً عن العدد حينما يبدأ يميز بين الاشياء . فاذا ادرك باللمس والنظر ان الشيئين هما غير الشيء الواحد فقد بدأَت معرفتهُ بالاعداد ويتدرج بعد ذلك في تمييز بعضها عن بعض حتى يدرك المقصود بقولهم : واحد : اثنان : ثلاثة

والذين لا يزالون في ادنى درجات المدنية لا يدركون من الاعداد الاَّ ادناها فاذا كبر العدد قسموهُ الى عددين او اكثر ليسهل عليهم ادراكهُ . فالاربعة مركبة عندهم من ثلاثة وواحد والخمسة من ثلاثة واثنين . واثر ذلك ظاهر في طريقة العد عند الفينيقيين والهنود القدماء . ولا يزال شيءٌ منهُ في عقول بعض الناس حتى الآن فانهم لا يدركون الاربعة الاَّ مركبة من ثلاثة وواحد والخمسة من ثلاثة واثنين . فاذا علوت عن ذلك الى الستة فما فوق تساوى الناس في ذلك فيتصورون الستة مركبة من ثلاثة وثلاثة والسبعة من ثلاثة واربعة

ولما ارتقى العقل واضطر الانسان الى استعمال الاعداد الكبيرة رأى ان لا بد لهُ من وضع الالفاظ والاشارات الكتابية لتدل عليها ولو كان لا يفهمها الاَّ مركبة من اعداد

اصغر منها . ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة لان الاعداد صور مجردة في العقل وليست كالحيوان او الجماد الذي تسهل تسميتهُ بصوتهِ والرمز اليهِ بصورتهِ

واول ما بدأ الانسان بكتابة الاعداد كان يكتب الواحد بصورة خط والاثنين بصورة خطين والثلاثة بصورة ثلاثة خطوط . فكانت خطوط الصينيين عرضية وخطوط الهنود والرومان عمودية . وهذه الاخيرة لم تزل مستعملة الى يومنا هذا

ولما كانت هذه الطريقة لا تصلح لكتابة الاعداد الكبيرة كان لا بد من وضع العلامات الخاصة . فكان الهنود يكتبون الاربعة بصورة خطين متقاطعين هكذا × وربما كانت هذه الصورة مركبة من اربعة خطوط في الاصل . والصينيون يكتبون الستة بهذه الصورة (ᐱ)

ولما كان وضع حروف الهجاء وصورها الكتابية اسبق استعانت بعض الامم كالعبرانيين واليونانيين بصور الحروف لكتابة الاعداد . وزاد اليونانيون ثلاث علامات على حروف لغتهم فاصبحت ارقامهم سبعة وعشرين . وكانت قيم الحروف وطريقة كتابة الاعداد عندهم كما هي عندنا في حساب الجمّل فالحرف الاول عندهم واحد والثاني اثنان وهلمَّ جرًّا بزيادة واحد واحد الى العاشر . والحرف الحادي عشر عشرون اي انهُ يزيد عشرة على سابقهِ والثاني عشر ثلاثون بزيادة عشرة ايضًا وتتمشى هذه الزيادة الى الحرف التاسع عشر ثم تصبح زيادة كل حرف على سابقهِ مئة الى ان تأتي الى آخر الحروف . واذا ارادوا كتابة عدد رسموا من الحروف ما يساوي مجموعهُ ذلك العدد ووضعوا فوق كل حرف الى اليمين ضمة صغيرة دلالة على انهُ رقم لا حرف هجاء . واذا وضعت هذه الضمة الى اسفل الحرف زادت قيمتهُ الف ضعف

فسهَّلت هذه الطريقة كتابة الاعداد ولكنها كانت عبئًا ثقيلاً على الحاسب في اجراء عملياتهِ من جمع وطرح وضرب وقسمة . فعملية الضرب عندنا مثلاً تقتضي حفظ جدول فيهِ خمسة واربعون حاصلاً وهي نتيجة ضرب كل رقم من الارقام التسعة بالثمانية الباقية (۱ × ۱ = ۱ و۱ × ۲ = ۲ و۱ × ۳ = ۳ وهلمَّ جرًّا) فاذا حفظ الولد هذا الجدول وعرف كيف يستعملهُ اصبح قادراً على ضرب اي عددين الواحد بالآخر . اما عند اليونان فكان على الحاسب ان يحفظ لا اقل من ۳۷۸ حاصلاً وذلك لكثرة ارقامهم

ثم وضع الرومان طريقة اسهل من هذه فكتبوا الواحد بصورة خط عمودي والاثنين بصورة خطين وهكذا الى الاربعة (I II III IIII) حتى اذا جاؤُوا الى الخمسة كتبوها بصورة تقرب من الرقم «۷» في العربية V وقد ذهب البعض الى ان هذه العلامة

مأخوذة من صورة الكف وان الشعبة الواحدة منها تمثل الابهام والاخرى تمثل الاصابع الباقية ولكن هذا الرأي قد بطل . وكتبوا العشرة بصورة خطين متقاطعين هكذا X والعلماء على اختلاف في اصل هذه العلامة ولكن يظهر من الكتابات القديمة انهم كانوا اولاً يكتبون الاعداد من الواحد الى التسعة خطوطاً عمودية كما رأينا في كتابة الواحد والاثنين والثلاثة فاذا اتوا الى العشرة صوروا تسعة خطوط متوازية وقاطعوها بالعاشر مقاطعة منعاً للالتباس وهرباً من الصعوبة في القراءة ثم ابدلت الخطوط التسعة بخط واحد فاصبحت العشرة خطين متقاطعين . ويذهب القائلون بذلك الى ان علامة الخمسة مقتطعة من علامة العشرة . فكما ان الخمسة هي نصف العشرة كذلك علامة الاولى هي النصف الاعلى من علامة الثانية . وكنوا عن الخمسين بالحرف L وعن المئة بالحرف C وعن الخمس مئة بالحرف D وعن الالف بالحرف M . واستخرجوا باقي الاعداد باضافة هذه العلامات او طرح بعضها من بعض

وهذه الارقام اسهل من الارقام اليونانية في كتابة الاعداد وقراءتها لان الاعداد كلها تتركب من سبع علامات على طريقة سهلة المأخذ قريبة من الفهم . ولكن يتعذر اجراء الاعمال الحسابية بها اذا كبرت الاعداد ولذلك كان رياضيو الرومان يرجعون الى الارقام اليونانية لمثل ذلك الغرض

ولم يقصّر الشرق عن الغرب في هذا السبيل بل تقدّمهُ بمراحل بعيدة فان البابليين برعوا في علوم الاعداد والصينيين وضعوا ارقاماً لا يزالون يستعملونها الى يومنا هذا . ثم وضع الهنود ارقامهم وما زالوا يحسنون فيها حتى ظهر فضلها على غيرها واقتبستها عنهم الامم المتمدنة اجمع

ولم يتم وضع الارقام الهندية دفعة واحدة على يد رجل واحد بل اقتضى قروناً طويلة وتعديلاً كثيراً . وقد كان للهنود ارقام يكتبون الاعداد بها حوالي القرن العاشر قبل الميلاد ولم تصل الينا ولا نعرف عنها شيئاً . وقد وجدت كتابة هندية يرجع عهدها الى القرن الثالث قبل الميلاد وفيها ارقام غير هذه التي ننسبها اليهم الآن وتختلف عنها تمام الاختلاف . وقد كانت ارقامهم لذلك العهد على نوعين نوع يقرب من الارقام الرومانية في ان لهُ علامات قليلة يكنى بها عن الاعداد بتغيير تركيبها تقديماً وتأخيراً ونوع يشبه الارقام اليونانية في كثرة العلامات واختصاص كل منها بعدد واحد دون غيره . وقد وجدت كتابة في كهف ناناغات قرب بونا في اواسط الهند يرجع عهدها الى القرن الثاني قبل الميلاد وفيها الارقام التي ترى في الشكل الاول المقابل . ومما يجدر ذكرهُ ان اشكال

ش١

١ ٢ ٤ ٦ ٧ ٩ ١٠ ١٠ ١٠

ش٢

٥٠ ٢٧٠

ش٣

(١) 1 2 3 4 5 6 7 8 9

(٢) 1 2 3 4 5 6 7 8 9

(٣) 1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

(٤) 1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

(٥) ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

(٦) 1 2 3 4 5 6 7 8 9

(٧) ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ٠

(٨) 1 2 3 4 5 6 7 8 9 0

	هيروغليف	هراتك	فينيقي	تدمري	سوري
١	I	[illegible]	I	I	I
٢	II	[illegible]	II	II	[illegible]
٣	III	[illegible]	III	III	[illegible]
٤	IIII	[illegible]	IIII	IIII	[illegible]
٥	IIIII	[illegible]	IIIII	[illegible]	[illegible]
٦	IIIIII	[illegible]	IIIIII	[illegible]	[illegible]
٧	IIIIIII	[illegible]	IIIIIII	[illegible]	[illegible]
٨	IIIIIIII	[illegible]	IIIIIIII	[illegible]	[illegible]
٩	IIIIIIIII	[illegible]	IIIIIIIII	[illegible]	[illegible]
١٠	∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١١	I∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٩	IIIIIIIII∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢٠	∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢١	I∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٣٠	∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٤٠	∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٥٠	∩∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٦٠	∩∩∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٧٠	∩∩∩ ∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٨٠	∩∩∩∩ ∩∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٩٠	∩∩∩∩∩∩ ∩∩∩	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
١٠٠	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٢٠٠	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
٣٠٠	[illegible]	[illegible]		[illegible]	[illegible]

الارقام ١ و٦ و٧ تشبه اشكالها الحاضرة عند الافرنج . ثم وجدت كتابات اخرى اقرب عهداً من هذه واشكال الارقام فيها اقرب الى اشكالها في الوقت الحاضر

ولم تكن الارقام الهندية من النوع الثاني تختلف عن الارقام اليونانية الاَّ في كونها علامات مخصوصة غير الحروف . ولم يعرف كيف وضع الهنود هذه العلامات ولا من اين جاؤُوا بها وربما كانت حروفاً في الاصل ثم حوّلت عن صورها الاصلية غير ان ارقام الواحد والاثنين والثلاثة كانت خطوطاً كما في الارقام الرومانية

ولم يكن نظام العد عندهم كما هو الآن ولا كانت قيمة الرقم تتغير بتغير منزلتهِ فكان للاثنين رقم وللعشرين رقم آخر يختلف عنهُ تماماً . اما نحن فاذا اردنا كتابة العشرين كتبنا رقم الاثنين وجعلنا الى يمينهِ علامة تدل على ان هناك منزلة فارغة وانهُ في المنزلة الثانية

ولم يكن الهنود واليونان والصينيون يعرفون الصفر ولا منازل الارقام التي تُكسب الرقم الواحد قيماً مختلفة اذا نقل من واحدة منها الى الاخرى فاضطروا الى وضع الارقام الكثيرة وفي ذلك ما فيهِ من العناء على الكاتب والقارئ والحاسب . وقد كانت الارقام اليونانية لعهد صولون والارقام الرومانية قليلة العلامات قريبة المآخذ ولكنها لم تكن تصلح للاعمال الحسابية . فكان لا بد من تغيير نظام العد ووضع ارقام تفي بالمراد . وتم ذلك على ايدي الهنود بعد ان قضوا قروناً طويلة يغيّرون في الارقام ويعدّلون نظام العد

وكانت الشبكة (اباكس) اكبر العوامل على ايصال نظام العد الى درجة الكمال . ويقال ان الشبكة من مخترعات الصينيين ولكن لم يقم برهان قاطع على صحة ذلك . انما ثبت ان الصينيين والهنود والبابليين كانوا يستعينون بها في الحساب قبل التاريخ بازمان طويلة . وشاع استعمالها عند اليونان والرومان واخذها عنهم اهل اوربا فكانت عدة اهل الحساب الى اواخر القرون الوسطى . ويروى ان القائمين على الخزينة الملكية في بلاد الانكليز كانوا يستعينون بها في القرن الثاني عشر . ولا يزال استعمالها شائعاً في روسيا والمدارس الابتدائية حيث يتعلم التلامذة اصول العد

والشبكة لوح ترسم عليهِ خطوط متوازية بحيث يكون بينها بيوت او منازل توضع فيها الحصى او الودع او غير هذه مما يسهل استخدامهُ للعد . فاذا وضعت حصاة في المنزلة الاولى كان المراد بها الدلالة على الواحد واذا نقلت الى المنزلة الثانية زادت قيمتها خمسة اضعاف او عشرة او عشرين حسب اصطلاح الحاسب وعدد الحصى التي لديهِ . ويمكن استبدال الحصى بالارقام فاذا وضع ٣ مثلاً في المنزلة الاولى دل على ثلاث وحدات اي ثلاثة اشياء

مفردة واذا نقل الى المنزلة الثانية اصبحت قيمتهُ عشرة اضعاف ما كانت في المنزلة الاولى وهذه الطريقة تفضل سواها في ان الرقم الواحد فيها يغني عن ارقام كثيرة في غيرها لان مدلولهُ يتغير بحسب المنازل التي يوضع فيها . وقد كان لليونان تسعة عشر رقماً دلوا بها على كل الاعداد من الواحد الى المئة فاستغنوا عن اكثرها بعد استخدام هذه الشبكة فاصبحت عشرة ارقام منها تفي بالمراد

اما مقدار الزيادة في قيمة الرقم لدى نقلهِ من منزلة الى اخرى فيتوقف على طريقة العد فمن كان يعد بالخمسات تزداد قيمة الرقم معهُ خمسة اضعاف ومن كان يعد بالعشرات كما نفعل نحن الآن تزداد قيمتهُ معهُ عشرة اضعاف . وقد اختلفت الامم كثيراً في مراقي العد فكان البابليون يعتمدون على الستين في تركيب اعدادهم و بعض قبائل افريقية تتخذ الستة مرقاة للعد و يقال ان بعض اهالي جزيرة زيلاندة الجديدة يستخدمون الاحد عشر لذلك الغرض . و يظهر ان الاثني عشر كانت شائعة الاستعمال كمرقاة للعد ولا تزال آثار ذلك بادية في التعامل (بالدزينة)

لجأَ الانسان في بادىء الامر الى اصابعهِ يستعين بها على العد والحساب ولذلك اخذ يقسم الاعداد الكبيرة الى خمسات او عشرات او عشرينات . ولا نزال الى يومنا هذا نرى كثيرين يلجأُون الى الخمسة في عد المقادير الكبيرة . وقد كان اهل تدمر على عهد ملكتهم زينوبيا يعدون بالعشرينات وكذلك كان السريان يفعلون قبل ظهور الاسلام . وكانت بعض قبائل اميركا الوسطى تتخذ العشرين مرقاة للعد . ولا يزال في اللغة الفرنسوية اثر من ذلك فان الثمانين يعبَّر عنها بكلمتين معناهما (اربعة عشرينات) وفي اللغة الانكليزية ما يقرب من هذا . ولكن العشرة (عدد اصابع اليدين) تغلبت على سائر الاعداد وعوَّلت عليها اكثر الامم . فقد كان نظام العد عشريًّا عند الهنود والصينيين واليونان قبل ظهور الارقام الهندية

ووضع اليونان لكل من الاعداد العشرة الاولى كلمة خاصة ولم يضعوا مثل ذلك للاحد عشر وما فوقها الى العشرين . وكان لهم لفظة خاصة لكل من عقود الاعداد اي مركبات العشرة مثل العشرين والثلاثين الى المائة وكانوا يسمون الاعداد التركيبية كما نسميها نحن اي بعطف احد الارقام التسعة على احد العقود فيقولون مثلاً اثنان وثلاثون . وكان الرومان يعدون على هذه الطريقة الاَّ انهم لم يستخدموا الاَّ ارقاماً قليلة في الكتابة خلافاً لليونان . اما الهنود فاتقنوا العد العشري واوصلوهُ الى الالوف والكرات والربوات

ومع ان العد العشري وصل الى تلك الدرجة من الاتقان بقيت العلامات اللفظية

والاشارات الكتابية قاصرة تكلف الحاسب عناء كثيراً . ثم اخترعت الشبكة فكانت الباعث الاكبر على اختصار الارقام والاستغناء عن كثير منها

فان الهندي الذي يعد على الطريقة العشرية لا يحتاج الى اكثر من تسعة ارقام على شبكتهِ وهي (١ و٢ و٣ و٤ و٥ و٦ و٧ و٨ و٩) فاذا اراد العشرة وضع رقم الواحد في المنزلة الثانية فيصبح عشرة واذا اراد ١٩٥ وضع الواحد في المنزلة الاولى والتسعة في المنزلة الثانية والخمسة في المنزلة الثالثة . واذا اراد ١٠٥ وضع الواحد في المنزلة الاولى والخمسة في المنزلة الثالثة وترك الثانية فارغة . وكان هذا التغير في مدلول الرقم بتغير منزلتهِ اكبر خطوة في سبيل تقدم علم الاعداد خصوصاً والعلوم الرياضية عموماً . ولا صعوبة في نقل العدد ١٩٥ من الشبكة وتدوينهِ كتابة فان ترتيب الارقام وموقع كل منها بالنسبة الى الاثنين الباقيين يدل على منزلتهِ في الشبكة فتبقى لهُ قيمتهُ . ولكن من الاعداد ما تكون فيهِ بعض المنازل خالية من الارقام كما في العدد ١٠٥ فاذا نقل هذا العدد من الشبكة ظهر بهذه الصورة ١ ٥ اي انهُ التبس بالواحد والخمسين . فكان لا بد حينئذٍ من وضع علامة تدل على ان بين الرقمين منزلة خالية . فوضع علماء الهند علامة الصفر فجاءت مكملة لطريقة كتابة الاعداد بالارقام . وقد كان للكلدان علامة خاصة يستخدمونها للدلالة على خلو المنزلة ولكنهم لم يخرجوا في استعمالها عن تدوين الاعداد اي انهم لم يستفيدوا منها في اجراء العمليات الحسابية كالضرب والطرح

فكانت علامة الصفر عند الهنود نقطة (.) وهكذا نقلها عنهم العرب . الاَّ ان الهنود ما لبثوا ان عدلوا عن ذلك واخذوا يكتبون الصفر بصورة الدائرة . واقدم كتابة هندية يظهر فيها الصفر بصورة الدائرة يرجع تاريخها الى سنة ٨٧٦ م انظر شكل (٢)

اما زمان وصول هذه الارقام الى اوربا وكيفية حدوث ذلك فلم يعلما بالتحقيق لانها لم تشع دفعة واحدة بل تدريجاً . والمرجح ان تجار اوربا سبقوا علماءها الى اقتباس الارقام الهندية لان معاملاتهم مع الشرق كانت كثيرة . ومن الطبيعي ان يكون التجار الشرقيون قد استخدموها في كتابة اسعار البضائع و باقي اغراض التجارة

واشتهرت الارقام الهندية قبل وضع الصفر في سنة ٦٦٢ للميلاد ذكرها راهب سرياني في دير على الفرات وابدى اعجابهُ بسهولة العد والحساب بارقام الهند التسعة

واخذت العرب هذه الارقام عن الهنود وحملتها الى جميع البلدان التي امتدت فتوحها اليها . وفي القرن التاسع للميلاد كان في بغداد بعض الرياضيين وغيرهم من العلماء وكانوا كلهم يستعملون

الارقام الهندية . واختلفت اشكالها في الاندلس عن اشكالها في بغداد وعرفت ارقام الاندلسيين بارقام الغبار . وعن العرب اخذها اهل اوربا ولذلك تعرف عندهم بالارقام العربية

ويذهب البعض الى ان اهالي جنوبي اوربا عرفوا هذه الارقام قبل مجيء العرب اليها ولكن هذا الرأي لا يزال مفتقراً الى الاثبات . ومن ادلتهم على ذلك نسخة خطية من كتاب الهندسة لبيوثيوس فيها ارقام تقرب من الارقام الهندية وهذا الكتاب وضع في القرن السادس للميلاد ولكن يرجح ان هذه الارقام قد اقحمت فيهِ في القرن الحادي عشر اي حين كتابة النسخة المذكورة . وعليهِ فلا بد ان يكون الاوربيون عرفوا هذه الارقام قبل القرن الحادي عشر

وسواء صح ان الارقام الهندية وصلت الى اوربا قبل مجيء العرب اليها او بعدهُ فان الفضل في تعميم استعمالها بين الاوربيين يرجع الى عرب الاندلس . وقد ثبت ان البابا سلفستر الثاني تعلمها من الاندلس حيث قضى مدة مكبًا على تحصيل العلم قبل ارتقائهِ الى السدة البابوية . وقد كتب فصلاً في اعداد الغبار التسعة ولم يذكر الصفر في كلامهِ عليها

وشاع استعمال الارقام الهندية في القرن الثاني عشر في اوربا فكان كل فريق يكتبها باشكال تخالف اشكالها عند غيرهِ وكان البعض يستعملونها بدون الصفر وآخرون يمزجونها بالارقام الرومانية ويضيفون الصفر اليها . وما زالت الحال على هذا المنوال الى ان قام الرياضي ليوناردو فيبوناتشي الايطالي فألف سنة ١٢٠٢ كتاباً في الحساب شرح فيهِ طريقة استعمال الارقام الهندية شرحاً وافياً . ثم جاء بعدهُ يوحنا ساكروبوسكو فوضع كتاباً آخر في الحساب وشرح فيهِ طريقة استعمالها وكان اول من سماها بالارقام العربية

وقد يرى المرء فضل الجديد ويتحقق نفعهُ ولا يقتبسهُ تمسكاً بالقديم وجرياً وراء العادة التي يصعب تغييرها . فان خبر هذه الارقام شاع في اوربا في ذلك الحين ولكن كثيرين بقوا متشبثين بارقامهم القديمة كما نرى الآن كل امة متمسكة بمقاييسها مع ظهور فضل المقاييس المترية عليها . ولم يكن في ذلك الحين مطابع لتنشر هذه الارقام بين العامة فضلاً عن ان العامي قلما يحتاج اليها فان اصابعهُ تغنيهِ عنها

وقد وجدت قطعة نقود من عهد روجر صاحب صقلية وعليها تاريخ سنة ١١٣٨ بالارقام الهندية ووجدت قطعتان اخريان مثلها الواحدة ايطالية تاريخها سنة ١٣٩٠ والاخرى فرنسوية وتاريخها سنة ١٤٨٥ . ووجدت في بريطانيا قطعتان ايضاً الواحدة اسكتلندية وتاريخها سنة ١٥٣٨ والاخرى انكليزية وتاريخها سنة ١٥٥١ . وتاريخ هذه القطع كلها

بالارقام الهندية · وفي الفرنسوية كتاب مخطوط من سنة ١٢٧٥ يحتوي على فصل في الارقام الهندية · ووجدت في المانيا كتابتان قبريتان مؤرختان بهذه الارقام وتاريخ الاولى سنة ١٣٧١ وتاريخ الثانية سنة ١٣٨٨ · وارّخ بها احد المؤلفين تأليف كتاب وضعهُ سنة ١٤٧٠ · وسنة ١٤٧١ عدّت بها صفحات كتاب لبترارك طبع في مدينة كولون من المانيا · وكانت لذلك العهد تكتب على اشكال متنوعة وتمزج احياناً بالارقام الرومانية ولم تتوحد اشكالها الاّ بعد ظهور الطباعة

واطلق الهنود على الصفر لفظة (سونيا) ومعناها فراغ وسماهُ العرب صفراً · واخذ الافرنج اللفظة العربية فتلاعبت بها ألسنتهم حتى اصبحت على ما نراها الآن في لغاتهم

ولم يأتِ القرن السابع عشر حتى عم استعمال الارقام الهندية اوربا كلها · ثم حملها الاوربيون الى جميع الاقطار وعوّلت عليها جميع الامم المتمدنة الاّ انها لم تصل بعد الى الصين مع انها نشأت بالقرب منها

هذه لمحة اجمالية من تاريخ الارقام الهندية وهي مشهد من مشاهد ارتقاء العقل البشري · فقد كان الانسان في بادىء امرهِ يعد على اصابع يديهِ ورجليهِ ثم جعل يضع العلامات للدلالة على الاعداد وبعد ذلك بقرون طويلة فطن لتغيير مدلول الرقم بتغيير منزلتهِ ثم اهتدى الى وضع الاصفار في المنازل الخالية من الارقام فتم لهُ بذلك نظام العد واصبح قادراً على ان يحسب ابعاد النجوم وسرعة النور الى غير ذلك مما لا نهاية لهُ وذلك بارقام عشر لا تتجاوز اصابع اليدين عدّا

هذه خلاصة ما كتبهُ الاستاذ ترنر اما العرب فلم يستعملوا دائماً الارقام التي نستعملها الآن ولا هم يستعملونها على شكل واحد الآن فان صورة الرقم ٤ مثلاً في كتبنا المطبوعة منذ مئة سنة او اكثر تخالف صورتهُ المستعملة الآن وقد كانت صور الارقام عندنا في بعض الازمنة شبيهة بصورها الهندية وبصورها المستعملة الآن في اوربا وقد جمعها بعضهم بقولهِ

الف وحاءٌ ثم حج بعدهُ عين وبعد العين عوٌ ترسم
هاءٌ وبعد الهاء شكل ظاهر يبدو كخطاف اذا هو يرقم
صفران ثامنها وقد ضمّا معاً والواو تاسعها بذلك تختم

والمشابهة واضحة بينها وبين الارقام الافرنجية المستعملة الآن كما ترى

9	8	7	6	5	4	3	2	1
و	8	7	٥	عو	ء	حج	ح	ا

واختلاف كتاب العربية كثيراً في كتابة هذه الارقام ففي قانون ابن سينا المطبوع برومية سنة ١٥٩٣ للميلاد جعل رقم الاربعة مثل ٤ ورقم الخمسة مثل حرف الباء الافرنجية المقلوبة هكذا ꓭ وكذا رسمت الارقام في كتاب الاصول لاقليدس المطبوع سنة ٩٩٦ للهجرة اي سنة ١٥٨٧ للميلاد ما عدا رقم الخمسة فانهُ جعل دائرة

غرائب العادات

للناس مذاهب شتَّى واساليب مختلفة في كل ما يفعلون سواءٌ في ذلك متمدنوهم ومتوحشوهم اما اساليب المتمدنين وعاداتهم في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم وزياراتهم وولائمهم ورسومهم في الولادة والزواج والموت والدفن وشعائرهم الدينية فتكاد تكون معروفة عندنا كلها لاننا نجري عليها او نرى الذين يجرون عليها واما اساليب المتوحشين واهالي البلدان القاصية الذين تخالف عاداتهم عاداتنا ففي معرفتها فكاهة عقلية ومواضيع للنظر والاعتبار . وقد وقفنا الآن على فصول في هذه المواضيع لاناس من الثقات الذين جابوا البلدان القاصية ووقفوا على عادات اهلها ورسومهم الدينية والاجتماعية فرأينا ان نقتطف منها ما تلذُّ معرفتهُ

والغالب ان الناس يندفعون الى اتّباع امر من الامور بحكم الضرورة التي يدعوهم اليها اقليمهم او احوالهم المعاشية فيصير عادةً لهم يصعب تركها مثال ذلك ان سكان صحراء افريقية المعروفين بالتوارك يتلثمون دواماً و يستعيب الرجل منهم نزع اللثام عن وجههِ ولعلهم استعملوا اللثام اولاً ليقيهم من وهج الشمس وعصف الرمال الحارَّة فصار استعمالهُ عادة يشق عليهم الخروج عنها و يعاب على الرجل منهم كشف وجههِ كما يعاب عليهِ كشف عورتهِ

ولقد كان للرسوم الدينية المختلفة اليد الطولى في تكثير العادات وتنويعها حتى صارت حياة المتوحشين سلسلة من العادات متصلة الحلق فلا يكادون يفعلون شيئاً الاَّ علَّقوهُ بمعبوداتهم او بالارواح التي يتوهمون وجودها حولهم وتسلطها عليهم فمقتنصو الوحوش في غينيا يزرعون انواعاً مختلفة من النباتات معتقدين ان كل نبات منها يقدرهم على نوع مخصوص من الصيد . وصائدو السمك من الامازون يصنعون تمثال سمكة يضعونهُ في مقدَّم زورق الصيد حاسبين انهُ يعينهم على صيد السمك فاذا صادوا سمكاً كثيراً اكرموا هذا التمثال وحفظوهُ الى نوبة اخرى والاَّ طرحوهُ وصنعوا تمثالاً غيرهُ

واذا كان القحط ينتاب البلاد و يعزُّ القوت فيها كما في استراليا فهناك تكثر الشعائر

الدينية لتكثير الطعام . وقد انقسم سكان استراليا الاصلية الى قبائل و بطون وافخاذ ولكل فريق منهم حيوان يكرمونهُ وينتسبون اليهِ ويتوقعون منهُ ان يساعدهم على تكثير طعامهم فالامو وهو طائر كبير يشبه النعام لهُ فريق ينسب اليهِ ويعتمد عليهِ فيحميهِ ويمنع اكلهُ وصيدهُ وكل اهل هذا الفريق يعدون انفسهم اخوة واخوات وقد لا يكون بينهم نسب الاَّ انتسابهم الى هذا الطائر وقد يكون في القبيلة الواحدة اناس ينتسبون الى طائر الامو واناس ينتسبون الى حيوان الابسم واناس ينتسبون الى القنفذ فهم كاهل المذاهب الدينية واهل كل مذهب متحاوون متصافون يضيف بعضهم بعضاً على تمام الولاء ولو كانوا من قبائل مختلفة ولكل مذهب حرَم تقام فيهِ شعائرهُ الدينية لكي يجزل الخير لاهلهِ

ومن المذاهب الشائعة عندهم مذهب المطر . واهلهُ يستمطرون اذا انحبس الغيث عنهم باصوات تشبه صوت طائر القطقاط لان هذا الطائر يأتيهم قبل المطر فحسبوا ان صوتهُ هو السبب والمطر هو المسبب فهم اعقل من الذين كانوا يستمطرون بالبقر المسلعة وفيهم يقول الشاعر

لا درَّ درُّ اناس خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشرِ

اجاعل انت بيقوراً مسلَّعة وسيلة لك بين الله والمطرِ

وذلك ان العرب كانوا اذا اجدبت ارضهم من قلة المطر يأخذون اغصاناً من شجر السلع ومن شجر العُشَر ويعلقونها بثيران الوحش ويضرمون النار فيها ويهبطون بها في الجبال يعتقدون ان ذلك يستنزل المطر لان الله يشفق عليها فينزل المطر لكي يطفئ النار

ولشدَّة الحاجة الى المطر وتوقف ظهور النبات والاثمار عليهِ توهم لهُ الناس آلهة كثيرة تتولى امرهُ وانواعاً مختلفة من العوذ والرقى والشعائر والرسوم يستنزل بها . وهي تزيد حيث يشتدُّ القيظ ويقلُّ وقوع المطر حتى تكاد اعمال الناس تقتصر على وسائل الاستمطار . ولا تزال بعض اساليب الاستمطار شائعة حيث خلع الناس اسمال الهمجية كاهل السرب فانهم اذا اشتدَّ القيظ عندهم عرُّوا فتاةً والبسوها الازهار والبقول حتى يتغطى بها جسمها كلهُ وطاف بها اترابها في القرى ووقفن امام ابواب البيوت وهي ترقص وهنَّ في حلقة حولها يغنين وكلما وقفنَ امام باب خرجت ربة البيت اليهنَّ وسكبت دلو ماء على الفتاة

لكن الشعائر والرسوم التي تتبع احوال الاقاليم لا تُعدُّ شيئاً مذكوراً في جنب ما يُطلَب من المرء عملهُ في تلك البلدان حتى كأنهُ عبد لما تقضي بهِ عادات قبيلهِ ولا همَّ لهُ الاَّ القيام بها فاهالي غينيا يعتقدون انهُ اذا اكل رجل منهم البكا (وهو حيوان صغير مرقط) وامرأتهُ حامل ولدت ولداً بارز الفم كالبكا او مرقط الجلد مثلهُ . ويقول دياك بورنيو انهُ اذا عمل

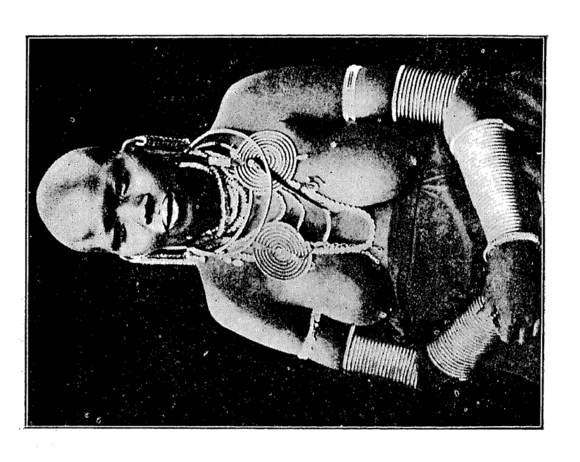
الوالد بآلة حادة او ضرب حيواناً او اطلق بندقيةً وامرأتهُ حامل اضرَّ بجنينها · والنساء الحوامل في جزيرة مري يأكلن نوعاً من المحار لانهُ يئزُّ حينما يشوى زعماً منهن ان اطفالهنَّ يأتون جهوريّي الاصوات واسعي الصدور قادرين على الغناء

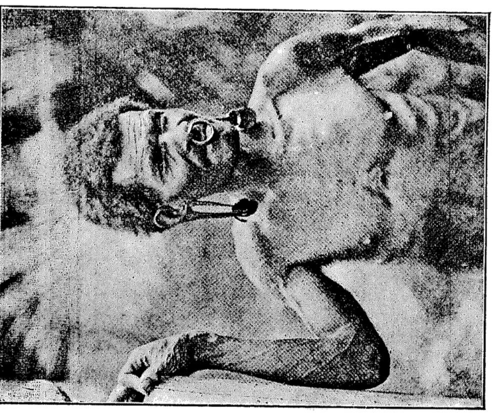
وما دام ابناء المتوحشين صغاراً لا يطلب منهم الاَّ ان يلعبوا ويتمرنوا على الصيد والقنص ونحو ذلك من الاعمال التي تعلم الرماية وتقوي العضل وتحدد البصر · ولكن الصبي لا يصير رجلاً عندهم ولو بلغ مبلغ الرجال مالم يقبلهُ الرجال بينهم · ولهم في دخول غلمانهم مصاف الرجال رسوم كثيرة شاقَّة تعلي قيمة الرجل في اعينهم · منها ما يرمز بهِ الى موت الفتى وبعثهِ كأنهُ وُلد ولادةً ثانية ومنها ما تظهر فيهِ المهارة والتفوق على الغير واجتراح ما يعدُّ من قبيل الخوارق مثل رمي قدة من الخشب يُحتال في رميها حتى تصوت وهي ذاهبة في الجو صوتاً رهيباً ينزعج لهُ السامعون وتهلع قلوبهم · وهذا شائع في استراليا وغينيا الجديدة وجزائر سليمان وبرازيل وغرب افريقية وجنوبها · وقد كان اليونان يفعلون مثل ذلك حينما يدخلون شبانهم في مصاف رجالهم فانهم كانوا يأمرون الشاب ان يرقص عارياً ويرمي القدَّة حتى تصوت وظلوا يفعلون ذلك بعد ان رسخت في الحضارة قدمهم دلالة على ان عاداتهم في ازمان همجيتهم كانت مثل عادات الاستراليين الآن

وصوت القدَّة المرماة مثل صوت العاصفة ولذلك يستعملها بعض المتوحشين في جنوب افريقية وبعض الهنود في اميركا الشمالية للاستمطار

وحينما يدخل الشاب في زمرة الرجال يُعلَّم الآداب والفضائل كالصمت والحشمة والوقار والطاعة والكرم والاجتهاد واحترام الوالدين والاقارب والصدق والنجدة والمروَّة والرزانة والعفة والشجاعة والشراسة والصبر على الضيم وتجشم المشاق وينهى عن السرقة والعارية والثرثرة والنميمة وافشاء السر والفحش في القول والهرب من القيام بالواجب والتزوج بمن لا يليق التزوج بهن · ويحضُّ على القيام بما يطلب منهُ لقبيلتهِ والمعاداة لاعدائها · ويقال ان اخلاق اهالي خليج بابوان تكيفت بسنَّة الطبيعة حتى صار همهم الاول وغرضهم الذي يرمون اليهِ مصلحة مجموعهم

فكان رسوم ادخال الشبان في مصاف الرجال اكبر ذريعة لتهذيب اخلاقهم وانكارهم انفسهم وجعلهم اعضاءً عاملة في جسم القبيلة ومع ذلك لم تكفِ هذه الرسوم لترقية الامم المتبربرة لما يعتور عمرانها من العادات الهمجية ولما هو متسلط عليها من الاوهام الخرافية · ترى في الصورة المقابلة امرأة من نساء الماسي وقد ملأت زنديها ومعصميها بالدمالج





والاساور وعنقها وصدرها بالعقود والقلائد وعلقت الضفائر باذنيها ونتفت شعر حاجبيها ورموش عينيها قصد التجمُّل والتحلي والى جانبها صورة رجل من اهالي جزائر سليمان وقد شق شحمتي اذنيهِ وعلَّق بهما اثقالاً حتى تدلتا على كتفيهِ ووضع خزامة كبيرة في انفهِ وهو يحسب انهُ امتاز بذلك على اقرانهِ

ولكل ما اعتادهُ المتوحشون من العادات معانٍ مرتبطة بمعيشتهم واحوالهم الاجتماعية فلا يستخف بها مهما كانت غريبة وقد يكون عندنا ما هو مثلها او اغرب منها وابعد عن مقتضى الطبع ولا ضرر منها الاَّ اذا قيَّدت العقل فمنعتهُ من البحث عن اسرار الطبيعة والاستفادة من قواها والتغلُّب على مشاقها وحوَّطتهُ بالاوهام حتى غلَّت يديهِ عن السعي وحملتهُ على استرضاء معبوداتهِ بما لا فائدة لهُ بهِ ولا يجني منهُ غير انشغال البال وابطال السعي . وبعبارة اصرح ان اديان المتوحشين حرمتهم من الحضارة وكهانهم منعوهم من الارتقاء وسيأتي تفصيل ذلك في الاجزاء التالية

قوام الصحة النور والحركة

(تابع ما قبلهُ)

ان الاعمال التي يعمل بها اكثر الناس في البلدان المتمدنة في هذا العصر يجري اكثرها على نسق واحد دائماً ويدعو الى الاقامة في مكان واحد ساعات متوالية يوماً بعد يوم . واذا كان العمل في معمل محجوبة عنهُ اشعة الشمس ذوى العمَّال وزالت نضارتهم لاسيما وان كل واحد منهم يعمل العمل الواحد يوماً فيوماً فيفقد كل رغبة فيهِ لانهُ لا يقتضي فتق حيلتهِ واعمال فكرتهِ . وزد على ذلك انهُ لا يرى حولهُ ما يستوقف نظرهُ ويدعوهُ الى التأمل فيشغل فكرهُ بالالتفات الى نفسهِ ويصرف همهُ الى اعضائهِ الباطنة وكيفية حركاتها

وما يصدق على العمال في المعامل يصدق على بنات الاغنياء فانهنَّ عفن العمل والجهاد وعشن عيشة الكسل والخمول واقتصرنَ على الملاهي والمراقص ونسين ناموس الطبيعة وهو انهُ يُطلب من كل احد ان يسعى ويكدح لاجل معيشتهِ او يسعى لهُ غيرهُ والاَّ مات جوعاً

والناس في هذا العصر مثل عشرة القاهم القدر على جزيرة موحشة فاخذ خمسة منهم يسعون لاجل لوازم الحياة يصطادون الحيوانات طعاماً ويصنعون من جلودها ثياباً ويبنون الاكواخ مساكن . واخذ الخمسة الباقون ينظمون الودع عقوداً ويلعبون بالكعاب قماراً

ويرسمون على الرمال صوراً ويحفرون من الخشب تماثيل يخدعون بها الخمسة الاولين ويبتزون اكثر كسبهم

لما كُشف الراديوم رأى العلماء بواسطته ان عمر الارض ليس ثلاثين مليون سنة كما قدَّره لورد كلفن بل الف مليون سنة . ومن رأي ارثر كيث انهُ لزم لنشوء الانسان مليون سنة على الاقل. وشكل جمجمة الانسان واتساع دماغهِ والمهارة التي بلغها في استعمال الادوات الحجرية ورسم صور الحيوانات كل ذلك كان منذ عشرات الالوف من السنين كما هو الآن. وقد مرَّت قرون كثيرة والانسان يعيش عيشة الحيوانات البرية في الاقاليم الحارة ثم اكتشف كيفية اضرام النار وعمل الثياب من جلود الحيوانات وبناء الاكواخ للسكن فتمكن من الانتقال الى الاقاليم المعتدلة والباردة والسكن فيها بعد ان تكيَّف جسمهُ حسب حالة البداوة السابقة . وقد اعتمد في السنوات الاخيرة على منع مجاري الهواء من مساكنهِ ووضع الزجاج في كواها والمواقد البخارية والكهربائية في غرفها حتى لا يمسهُ البرد وصار قعدةً داريًّا لا همَّ لهُ الاَّ التسالي فلا عجب اذا جاء ذلك مخالفاً لمقتضى طبعهِ . اما طالب الصحة في سبيلها فيقول بلسان ميسون بنت جندل

وبيتٍ تعصف الارياح فيهِ   احبُّ اليَّ من قصرٍ منيفِ

والمعيشة في الخلاء حيث يمتد نظر الانسان الى اطراف السماء الاربع ويقوى جسمهُ بالجد والكدح لأفضلُ بما لا يقدَّر من قيامهِ في مصرف لا تراهُ الشمس يعد النقود ولو ذهباً

وليس العبرة بتركيب الهواء الذي يستنشقهُ الانسان كما تقدَّم فان هواء اكثر الاماكن ازدحاماً واقلها تهويةً كالمدارس والكنائس والملاعب لا يقلُّ الاكسجين فيهِ عن واحد في المئة مما هو في الهواء المطلق لان الابواب والكوى ومسام الجدران تكفي لتجديدهِ . وما دام الاكسجين كافياً لتطهير الدم فلا خوف من قلتهِ

ان الاكسجين في هواء بعض المصاح العالية في جبال سويسرا اقل منهُ في البيوت المهواة تهوية عادية. وفي جبال الاندس باميركا مدن كبيرة كمدينة بوتوسي سكانها مئة الف نفس وهي على ٤١٦٥ متراً فوق سطح البحر ومقدار الاكسجين هناك قليل جدًّا في ما تسعهُ الرئتان منهُ للطافة الهواء بالارتفاع لكن البنات هناك يرقصنَ الى نصف الليل ولا يتعبنَ . والرعاة يصعدون بقطعانهم الى ما ارتفاعهُ ١٨٠٠٠ قدم في جبال حمالايا ولا يصيبهم اذًى

ثم ان ازدياد الحامض الكربونيك في هواء البيوت من قلة تجددهِ لا يبلغ حد الضرر لانهُ مهما زاد لا يبلغ في ما يتنفس من الهواء ما يبلغهُ في الجسم نفسهِ بقليل من الرياضة.

ولا يتنفس الانسان الاَّ و يدخل رئتيهِ الهواء الذي كان في انفهِ ومسالكهِ الهوائية وفيهِ كثير من الحامض الكربونيك فما من احد يتنفس هواءً نقياً. واذا نام وغطَّى رأسهُ ووجههُ تنفس الهواء الذي يخرجهُ من رئتيهِ وهو كثير الحامض الكربونيك . والطفل يلصق انفهُ بثدي امهِ فيتنفس نفسهُ ولا يُضَرُّ . وهذا شأن كل الحيوانات متى قفَّت بعضها على بعض فانها تتنفس الهواء الذي تخرجهُ من رئاتها

وقد حللنا الهواء في معمل استقطار الاشربة الروحية المعروف بمعمل البيون حيث يُجمع الحامض الكربونيك المتولد من الاستقطار ويسيَّل فوجدنا انهُ لا يقلُّ في الهواء الذي يتنفسهُ العمال عن١٤ الى ٩٣ جرماً في كل عشرة آلاف جرم. والعمال الذين يفتحون الحنفيات ويجمعون غاز الحامض الكربونيك يتنفسون مقداراً كبيراً منهُ وهم يبقون هناك ١٢ ساعة كل يوم ولبعضهم في هذا المعمل ١٨ سنة ولم يصبهم منهُ ادنى ضرر. ولا يضر تنفس الحامض الكربونيك الاَّ اذا بلغ ثلاثة او اربعة في المئة من الهواء بل ان العمال الذين يعملون تحت الماء في نواقيس الغواصين او في الاساطين الحديدية قد يبلغ الحامض الكربونيك في الهواء الذي يتنفسونهُ ٣ في المئة ولا يؤْذون

والذي يدخل غرفة نوم في الصباح قبل ان يُجدَّد هواؤُها او يدخل غرفة مقفلة فيها جمع مزدحم يشمُّ رائحة خبيثة تزهق نفسهُ فيحسب ان هواءها سامّ مضر بالصحة ولكن الذين في تلك الغرفة لا يشعرون بتلك الرائحة ولا يتضررون منها . و بين خبث الرائحة وضررها بون شاسع فما كل خبيث الرائحة ضار ولا كل طيبها نافع

ان رائحة المزابل والمدابغ والمسالخ والمراحيض واماكن عمل الغراء وتقديد السمك خبيثة كلها تزهق النفوس ولكنَّ الزبالين والدباغين والسلاخين والسربية وصانعي الغراء ومقددي السمك لا تضر بهم الرائحة الخبيثة بل قد لا يشعرون بها لان انوفهم اعتادتها والفتها . واذا نزل انسان الى بئر مرحاض كره رائحتهُ الخبيثة في اول الامر وبعد عشر دقائق يزول شعورهُ بها . واذا امتُحن هواء هذه البئر وجدت الميكروبات فيهِ اقل منها في هواء البيوت والمدارس

ومثل ذلك يقال في رائحة بعض الاطعمة فرائحة بعض انواع الجبن تجيش لها نفس مَن لم يعتدها ولو كان يستحبُّ رائحة الفسيخ ولكن الذين الفوا طعم هذا الجبن يستطيبون رائحتهُ ولا يطيقون رائحة الفسيخ . واجود الناس صحة الصيادون في البحر الشمالي وهم ينامون في قمرات ملؤُها سمك منتن و يقفلون ابوابها لاجل الدفء حتى تنطفئ السرج التي فيها من قلة الاكسجين في

هوائها . وذلك كلهُ يدل على ان الرائحة الخبيثة لا تضرُّ بالصحة ولو اشمأزَّ منها من لم يألفها

وقد تناقل الكتَّاب ان نفَس الانسان حاوٍ لمواد سامَّة . وهذا القول قال بهِ اولاً برون سكار ودارسنفال الفسيولوجيان الشهيران ولكن الذين بحثوا في هذا الموضوع بعد ذلك في اوربا واميركا لم يروا صحة لهذا القول. ولقد كان لهُ اثر سيء جدًّا لان مديري الصحة جعلوا يحاولون تنقية الهواء بالوسائل الكيماوية واهملوا الامرين الضرورييَّن وهما برد الهواء وحركتهُ

وقد ثبت لنا بالامتحان ان الحيوانات التي توضع في اقفاص محكمة السد قليلة التهوية لا تصاب باذى من تنفس بعضها نفَس البعض الآخر ما دام طعامها كافياً واقفاصها نظيفة جافة الهواء باردتهُ اي ان نفسها لا يضرها وانما يضرها اذا كان فيهِ مكروبات مرضية معدية

ولقد صنعتُ غرفة صغيرة من الخشب احد جوانبها من الزجاج وجعلتها محكمة لا يدخلها الهواء ولا يخرج منها ووضعت في احد جوانبها دفائين كهربائيين صغيرين ووضعت عليها اناء فيهِ ماء حتى يسخنا الماء ويحولاهُ بخاراً فيشبعا هواءها بهِ . ووضعت في الجانب الآخر منها آلة من آلات التدفئة بالبخار يجري فيهِ ماء بارد عند الاقتضاء لتبريد الغرفة ووضعت في سقفها ثلاث مراوح كهربائية واحدة كبيرة واثنتين صغيرتين لكي يتحرك هواؤها بها . وتسع هذه الغرفة نحو ثلاثة امتار مكعبة من الهواء والغرض منها البحث في تأثير حرارة الهواء ونقاوتهِ فادخلت اليها في بعض التجارب سبعة او ثمانية من الشبان وجعلتهم يقيمون فيها نصف ساعة وكنت اراقب تأثير حرارة الهواء المحصور فيهم وابقيتهم فيها الى ان بلغ الحامض الكربونيك ٤ في المئة من الهواء وهبط الاكسجين الى ١٦ في المئة وارتفع الترمومتر المرطَّب الى نحو ٨٥ درجة بميزان فارنهيت والترمومتر الجاف الى ٨٦ او ٨٧ درجة . ولما جلس الشبان في الغرفة جعلوا يتكلمون ويضحكون ولكن لما ارتفعت الحرارة صمتوا واحمرَّت وجوههم وتصببت عرقاً وحاول واحد منهم ان يشعل سيكارة فكان الثقاب ينطفئ حالاً لقلة الاكسجين لكنهم لم يشعروا بقلتهِ . وصار تنفسهم عميقاً لكثرة الحامض الكربونيك في هواء الغرفة ولكن لم يصبهم شيء من الصداع . ثم ادرنا المراوح الكهربائية فزال حالاً ما كانوا يشعرون بهِ من التعب مع انها لم تغير الهواء بل حركتهُ فقط . وكنا كلما اوقفنا ادارة المراوح يطلبون منا ان نديرها . وبادارتها بقيت حرارة الهواء حولهم على ٨٠ الى ٨٥ درجة واما الهواء الذي كان لاصقاً بابدانهم ومتخللاً ملابسهم فكانت حرارتهُ من ٩٨ الى ٩٩ درجة . وكنا اذا تنفسنا الهواء من الغرفة بانبوب خارج منها لا نشعر بالتعب الذي شعر بهِ الذين فيها واذا تنفسوا هم الهواء الخارجي بانبوب داخل اليها لا يزول تعبهم

وتناوب عالمان دخول هذه الغرفة ورأيا تأثيرها في التنفس وسرعة النبض في حالتي السكون والعمل فانهما وضعا فيها جسماً ثقله ٢٠ كيلو غراماً وكان كلٌّ منهما يرفعهُ بحبل مارٍ على بكرة في اعلى الغرفة · وكان الحامض الكربونيك يُدخَل اليها حتى يزيد مقدارهُ ٢ في المئة فلا يشعر مَن فيها بهِ بل كان يزيد تنفسهُ لكنهُ كان يشكو من الحرارة واذا اديرت المراوح فُرّج عنهُ وقلت سرعة نبضهِ ولو بعد العمل الشاق برفع الثقل المشار اليهِ · وكان التفريج يزيد حينما يجري الماء البارد في انابيب آلة التدفئة فيبرد هواء الغرفة عشر درجات · وكان تعبهما من الحرارة والرطوبة يزيد بلبسهما ثيابهما العادية ويقلّ بلبسهما الثياب التحتانية فقط

والبست اناساً اثواباً مما يلبسهُ الذين ينزلون الى المناجم لانقاذ مَن فيها ووضعتهم في غرفة يقف فيها الترمومتر ذو البلبوس الجاف على ١٢٠ درجة فارنهيت والترمومتر ذو البلبوس الرطب على ٩٥ درجة فصعدت حرارة ظاهر اجسامهم وصارت مثل حرارة باطنهِ واسرع نبضهم جدًّا حتى بلغ ١٥٠ في الدقيقة وخيف عليهم من الرعن الذي يتولد من شدَّة الحر · ثم ادخلت في الانبوب الذي يتنفسون منهُ شيئاً من ثلج الحامض الكربونيك فقلَّ تعبهم وفُرّج عنهم وصار يمكنهم ان يعملوا عملاً ولو بلغت الحرارة بالترمومتر الرطب ٩٥ درجة وان يحتملوا هذه الحرارة ساعتين متواليتين · وثبت من التجارب التي جُرّبت في معامل النسج انهُ اذا زادت حرارة الهواء ورطوبتهُ زادت حرارة الوجه بالنسبة الى حرارة باطن الجسم واذا هبطت حرارة الهواء وقلَّت رطوبتهُ هبطت حرارة الوجه كثيراً بالنسبة الى حرارة باطن الجسم اي انهُ اذا كان الهواء حارًّا رطباً اضطر الجسم ان يعدل حرارتهُ ويجعلها متماثلة ظاهراً وباطناً واما اذا كان الهواء بارداً جافًّا لم يعبإِ الجسم بذلك · ويقول العمال في المعامل البخارية ان العمل اسهل عليهم في الاماكن القليلة البخار ولو لم يتجدَّد هواؤُها منهُ في الاماكن الكثيرة البخار ولو تجدَّد هواؤُها دواماً

ويزيد عمل العمال في المعامل والمناجم والاسراب بادخال الهواء البارد الجاف اليها لانهُ يريح اعضاءَهم التي تضطر ان توفّق بين حرارة اجسامهم وحرارة الهواء ولذلك فالمروحة الكهربائية من اكبر النعم على العمال في البلدان الحارَّة · واذا وضع صاحب المعمل او المكتب مروحة كهربائية الى جانب كل واحد من عمّالهِ وكتّابهِ استفاد من زيادة عملهِ ما يستفيدهُ بوضعهِ القنديل الكهربائي الى جانبهِ فيكسب من زيادة عمل العامل اكثر مما ينفق على الكهربائية

والثياب التي يلبسها الانسان مثل غرفة تحيط بهِ فاذا كانت محكمة حول جسمهِ حوَّطتهُ بالهواء الحار الرطب كمن يجلس في غرفة هواؤُها رطب · وقد ثبت بالامتحان ان الجنود

الذين يخرجون للتمرُّن يكون السير اسهل عليهم اذا خلعوا سترهم وكشفوا صدورهم ولا يسرع نبضهم حينئذٍ كما يسرع اذا لبسوا سترهم وزرروا ثيابهم

كذلك يجب ان ينصرف هم المهندسين الى تبريد الهواء في اماكن الاجتماع العمومية وتبريد اجسام الذين يجتمعون فيها بتحريك هوائها بالمراوح لانهُ اذا كان هواء الغرفة حارًّا رطباً صار الهواء الذي بين الثياب والجسم مثلهُ وصارت حرارتهُ مثل حرارة جسم الانسان فيصعب على الجسم ان يعدل حرارتهُ باشعاعها ويضطر قلبهُ ان يتعب في تعديل هذه الحرارة فيسرع النبض ويكثر الدم في ظاهر الجسم ويقل في الدماغ والاحشاء

ومعلوم ان الوفيات تزيد بازدحام السكان فاذا لم تحدث هذه الزيادة من كثرة الحامض الكربونيك وقلة الاكسجين في هواء الاماكن المزدحمة كما تقدم فلا بدَّ لها من سبب آخر وهو الحرارة والرطوبة وقلة حركة الهواء فان هذه الاسباب الثلاثة تقلل اشعاع الحرارة من الجسم وتقلل ايضاً تولُّد الحرارة فيهِ او ما يلزم لتوليدها من العمل والأكل والتنفُّس فيخمل ويقل عملهُ واذا اضطرَّ الى العمل الشاق عملهُ مرغماً . ثم ان الميكروبات المرضية تكثر في الهواء الحار الرطب . فتقلُّ مقاومة الجسم وتزيد عوادي الادواء في وقت واحد ولذلك لا عجب اذا كثرت الوفيات حيث يزدحم السكان

والجفاف التام يضرُّ كالرطوبة الكثيرة لانهُ يجفف الغشاء المخاطي المبطن للمسالك الهوائية وهو الذي يقي الجسم من فعل الميكروبات بما فيهِ من الابيثيلوم المهدَّب والكريات الدموية التي تأكل الميكروبات

اذا كثر الناس في غرفة حارة الهواء رطبتهُ امتلأ هواؤُها بما ينفثونهُ من الميكروبات بتكلمهم وسعالهم وعطاسهم فاذا خرج احدهم الى الخارج وتنفس الهواء البارد برد الغشاء المبطن لانفهِ وقصبتهِ وتقلصت اوعيتهُ الدموية وقلَّ الدم فيها فضعفت مقاومتهُ للميكروبات التي لصقت بهِ من المكان المزدحم . وهذا سبب كثرة الزكام في فصل الشتاء . ولا يحصل الزكام من البرد نفسهِ لان الذين ذهبوا الى القطبين لم يصابوا بهِ بل يحصل من وصول الميكروبات الى الاغشية المخاطية ثم تقليل المقاومة لها ببردها وتقلُّص اوعيتها الدموية

والجسم قادر على مقاومة البرد بالطبع لانهُ يولِّد الحرارة لذاتهِ فاذا تعرض الانسان للبرد في الهواء المطلق بجسمهُ يتحرك ويولد حرارة تزيل تأثير البرد فلا ضرر منهُ ولكن الضرر من ازدياد الحرارة في المساكن والملابس حتى تضعف قوة الجسم ولا يعود قادراً على مقاومة البرد اذا انتقل من مكان حار الى مكان بارد

ويستحيل علينا ان نمنع وصول الميكروبات المرضية الى هواء الاماكن المزدحمة مهما احسنَّا تهويتها لانها تصل اليها مع كل نفث وسعال وعطاس من المصابين بها ولكن لا يستحيل علينا ان نزيد قوة المقاومة في اجسامنا ولا يستحيل ايضاً ان نقلل هذه الميكروبات بتعليم الناس ان يضعوا منديلاً على افواههم وانوفهم وهم يسعلون ويعطسون او ان لا يخرجوا من بيوتهم الاَّ بعد ما يشفون

يولد الولد وفيهِ قوى طبيعية وعقلية وصفات موروثة ومقدرة على مقاومة بعض الامراض واستعداد لطول العمر او لقصره ِ هذا هو الطبع ولكن الانسان ابن الطبع وابن التطبُّع ايضاً فيستطيع ان يطبّع نفسهُ على ما يوفّر راحتهُ ورفاهتهُ ويقوي قواهُ الجسدية والعقلية ويزيد مقاومة جسمهِ للادواء فيطيل عمرهُ ولو الى حد محدود ويستطيع ان يطبّع جسمهُ على ما هو ضد ذلك. ونريد بالتطبع هنا كل الوسائل الصحية فقد اتقى الناس الطاعون والكوليرا والملاريا والغنغرينا وما اشبه من الادواء باتقاء اسبابها واتقوا الجدري والتيفويد باتقاء اسبابهما وبالتطعيم . وسائر الادواء التي يقال ان الجسم معرض لها يمكن اجتنابها بالجري على القواعد الصحية التي يجري عليها الحيوان وهو يأ كل الطعام القليل ويروض جسمهُ الرياضة الكثيرة ويتعرض للهواء المطلق . وما من خطإٍ اضرُّ من قولهم ان الاكثار من الطعام والاقلال من التعرُّض لمجاري الهواء يقويان الصحة

ان جسم الطفل المولود حديثاً هو اتم الآلات الطبيعية واكثرها اتقاناً اذ قد اجتمعت فيهِ نتائج النشوء مدة ملايين من السنين

من والديهِ الاولين ومنشئيهِ الاكرمين
وليس من عرَي ولا من ظلمة هذا الجنين
لكن يشبُّ فيرى في البيت سجناً لا يهون

الجسم النحيف والوجه الشاحب والعضل الضعيف والاسنان الناقدة والهضم السيء والتهيج العصبي والبال الكاسف كل ذلك من التطبُّع لا من الطبع . يخرج الولد من المدرسة قوي الجسم حسن الصحة فيتعاطى عملاً يقتضي القعود المستطيل في اماكن محجوبة عن الرياح ويتسلَّى بسماع الغناء في المغاني ومشاهدة الصور في المشاهد بدل ترويض جسمهِ في العراء . ويأ كل ما يضر من الاطعمة ويشرب المسكر ويدخن التبغ ويفعل كل ما يؤْذيهِ ويعتاد كل ما يضرُّهُ حتى يصير فيهِ طبيعة ثانية . الطبع صالح والتطبع قد يزيدهُ صلاحاً او يزيل صلاحهُ ويبدلهُ بالطلاح

حقوق الامم

الحرب (تابع ما قبله)

— الهدنة —

الاصل في الحرب ان تبقى مستمرة بلا انقطاع حتى يخضع احد الفريقين للاخر ويسلم له على شروط يتفقان عليها لحظروا على قواد الجيش الواحد ان يتداولوا مع قواد الجيش الاخر الاّ لسبب قهري مخافة وقوع خيانة او تواطؤ على مكروه . ولكن قد يطلب احد الفريقين هدنة من الآخر لتبادل الاراء في شروط عقد الصلح فتبدأ عندئذٍ المداولة بارسال احد ضباط الجيش فيقترب من معسكر عدوه يحمل علماً ابيض شارة المسالمة والكف عن القتال ولعدوه ان لا يجيبهُ الى طلبهِ بان يشير برفض المداولة واستمرار القتال او ان يجيبهُ الى طلبهِ بان يخمد نيران مدافعهِ و يوقف رجالهُ عن الهجوم . فيجب عليهِ اذ ذاك ان يؤْمن للرسول طريقهُ هو واتباعهُ الاّ اذا تأكد ان مجيئهُ لم يكن الاّ تجسساً واستطلاعاً فيأسرهُ هو والذين معهُ

وعلى الرسول تأدية رسالتهِ بامانة ودقة غير وَجل ولا هيّاب وليس للعدو مؤاخذتهُ باقوالهِ ولو كانت جارحة مؤْلمة فما على الرسول الاّ البلاغ . والغالب ان لا يُرسل الرسول الى جيش العدو الاّ طلباً للهدنة او عرضاً لشروط الصلح والتسليم

والهدنة على وجهين . اما ايقاف القتال البسيط و يراد بهِ الكف عن القتال بضع ساعات في الاكثر في دائرة محدودة تمكناً من دفن القتلى ونقل الجرحى من ساحة القتال او رفع القتال على وجه ثابت وقتي يعم جميع فرق الجيش في كل ساحات الحرب وهذا ما تطلق عليهِ كلمة هدنة في الغالب لانها هي المقصودة بالذات

فالهدنة اذن حالة سلمية وقتية بين المتحاربين بناء على اتفاقهما المتبادل واكثر ما تكون مقدمةً للصلح بين المتحاربين كما يظهر من جميع الحروب المشهورة . وتختلف عن مجرّد ايقاف القتال ايقافاً بسيطاً بان لها صفة سياسية

ويتحتم على القواد ابلاغ الجيش امر الهدنة لكي يخلدوا الى السكينة ويحافظوا على شروطها

وغاية الهدنة التوفيق بين مطالب الفريقين فلا يجوز لاحدهما تجاوز هذه الغاية الى غيرها كأن يقوم الفريق الواحد دون الآخر بتعزيز جانبهِ وتقوية جيشهِ في خلالها . فلا يجوز مثلاً لسكان حصن محصور ان يرمموا اسوارهُ ويقيموا متاريسهُ مدة الهدنة وليس

للجيش المحاصر استدعاء قواتهِ الاخرى او تعبئة جيش جديد . الى غاية ما هنالك من الاعتبارات المستفادة منها الاهمية الحربية التي يمكن حصرها ضمن مبدإٍ واحد يكون قاعدةً للجميع وهو انهُ لا يجوز للعدو ان يعود من الهدنة الى القتال اصلح حالاً مما كان وقت ابتدائها بمعنى انهُ عند انتهاء الهدنة يجب ان تكون قوتا المتحاربين على ما كانتا عليهِ عند ابتداء الهدنة . وهذا امر شديد الاهمية نظراً الى موَن الجيش وذخيرتهِ ولهذا لا يُصرح لحامية القلاع والحصون المحصورة ان تخزن المؤونة والميرة في زمن الهدنة بل يجب ان تتناول قوتها يوميًا حتى تبقى مؤونتها وميرتها عند انقضاء الهدنة كما كانتا عند ابتدائها

هذا هو الاصل في الهدنة اذا لم يتفق الفريقان على شروط تخالف ذلك اما اذا اتفقا فيعمل في هذه الحال باتفاقهما كما حصل في الهدنة المبرمة الآن بين دول البلقان المتحالفة والدولة العثمانية فان من شروطها ان يعزز كل من الفريقين جيشهُ ما استطاع ولكن لا يجوز امداد المدن المحصورة بالموَن والميرة

وتنقضي الهدنة بانقضاء اجلها المحدود فاما ان تعود الحرب او يبرم الصلح

قلنا ان مهمة رسول الحرب تكون طلب الهدنة او طلب التسليم وما التسليم الاَّ اتفاق بين المتحاربين نتيجتهُ خضوع جيش لجيش فيؤسر الخاضع باكرام عسكري او بلا اكرام ويمنع من مباشرة القتال مدة الحرب كلها ولا يحصل ذلك الاَّ متى حُصرت فرقة الجيش وامتنع عليها القتال وسدت في وجهها اسباب النجاة بانقطاع المدد والاسعاف فلا ترى مندوحة من التسليم

ويتعين على قائد الفرقة الخاضعة ان يراعي بقبولهِ شروط التسليم ما يقتضيهِ شرف الجندية ومصلحة بلادهِ فلا يقبل بشروط مهينة شائنة ولا يسلم للعدو كل ما يملكهُ من الذخيرة والسلاح اللهم الاَّ اذا رأى ان عدم تسليمهِ على هذه الشروط يقضي على الجيش برمتهِ

ومن واجباتهِ متى عرضت عليهِ شروط التسليم ان يجمع ضباطهُ فيتداولوا في امرهم ولكنهُ غير مقيد برأيهم فلهُ ان يخالفهم ويحمل تبعة عملهِ ويوقع شروط التسليم فيصبح جيشهُ تحت تصرف عدوهِ . والغالب ان يطلق العدو سبيل القواد والضباط ويكتفي منهم بقسم على ان لا يعودوا الى القتال . اما افراد الجند فيؤخذون ويعاملون معاملة الاسرى

وللعدو حق التصرف بجميع امتعة الجيش الذي سلم لهُ وادواتهِ من سلاح وذخيرة ومؤونة الاَّ ان العادة قد تغلبت في ان القائد المحصور لا يسلم جيشهُ لعدوهِ قبل ان يُتلف اسلحتهُ وميرتهُ لكي لا تصبح عدة عليهِ . انتهى الكلام عن الحرب البرية

الحرب البحرية

حرب البر وحرب البحر توأمتان تتشابهان فعلاً وتختلفان شكلاً غايتهما واحدة وسبلها متنوعة هذه تشق عباب البحر وتلك تقطع فيافي البر تسيران بقوة البخار وتحملان في جوفيهما النار والدمار لكل منهما قوانين واصطلاحات تختلف باختلاف مقتضى الحال

واهم هذه الاختلافات ناشىء عن مراعاة المتحاربين بعضهما بعضاً فيما يتعلق باموال رعاياهما ومراعاتهما للذين على الحياد من الامم المحيطة بهما . وفيما عدا ذلك فكل ما قيل في حرب البر ينطبق على حرب البحر . وعليهِ فمدار البحث سيتناول الاموال الشخصية في البحر نظراً الى حقوق المتحاربين عليها وواجباتهم نحوها

ما من احد ينكر انهُ يحق لكل من المتحاربين ان يعطل قوات عدوهِ البحرية مما يستعمل في تنفيذ الحرب . ولكن هل يحق لهُ امتلاك ما لرعايا عدوهِ من الاموال والمراكب في البحر ؟

هذه مسألة طالما اختلفت اراء الكتاب فيها وعُرضت على بساط البحث في كثير من المؤتمرات الدولية

فمن الجهة الواحدة نرى ان العادة قد اجازت في ما مضى حجز مراكب العدو التجارية واسر رجالها وامتلاك ما فيها من الاموال . ونرى الكتاب في الجهة الاخرى مختلفين منقسمين . فريق يقول بصيانة املاك الافراد في البحر واحترامها ولو كانت في مراكب العدو التجارية ويؤيد الفريق الثاني العادة الحربية التي كانت تقضي بمصادرة المراكب التجارية وامتلاك ما فيها بشرط ان لا يتم ذلك في مياه دولة محايدة وكل من هذين الفريقين يؤيد دعواهُ بحجج نأتي على اهمها هنا

يتمسك الفريق الاول بالمبدإ القائل ان الحرب انما تنشب بين الدول لا بين الافراد بمعنى ان كل ما خرج عن املاك الدولة الخاصة لا يجوز امتلاكهُ عن طريق الحرب فيقولون ان حقوق الافراد محترمة محفوظة على البر فلماذا لا تكون كذلك في البحر ايضاً فان اجحف عدو بحقوق افراد عدوهِ في البر قد نعذرهُ ونقول انهُ امتلك الارض التي نشأت فيها هذه الحقوق وانَّى لنا عذرهُ في البحر وهو مشاع لا مالك لهُ . والغاية لا تبرّر الواسطة بمعنى انهُ اذا جاز للعدو اتيان كل ما من شأنهِ اضعاف قوة عدوهِ واجبارهُ على التسليم بشرط ان يكون ما يأتيهِ ضرورياً توجبهُ حالة الحرب وتجيزهُ دواعي الحال فذلك غير متوفر في امساك المراكب التجارية ولا يأتي امساكها بالنفع على ممسكها ولا يضطر العدو الى الاذعان والخضوع لانهُ ما دامت مراكب الدول المحايدة تجوب بحار كل بلاد فمن السهل ان تنقل هذه المراكب

تجارة شعبهِ وعليهِ لا تكون خسارة الدولة بحجز مراكب الاهالي التجارية كبيرة تضطرها الى التسليم لعدوها لقلة ما يؤثر حجزها في قوتها البحرية. فاذا كان حجز المراكب التجارية لا يؤدي الفائدة المطلوبة ولا يفي بالشروط التي تتطلبها قوانين الحرب فمن الواجب الامتناع عنهُ والضرب على ايدي المخالفين

اما الفريق الثاني القائل باسر مراكب العدو التجارية فينكر على الفريق الاول صيانة حقوق الافراد برًّا فكيف بها بحرًا ويذهب الى ان الاختلاف بين البر والبحر ينشئ اختلافًا في المعاملات بين المتحاربين بمعنى انهُ ان كانت اموال الافراد مصونة برًّا في بعض الاحوال فما ذلك الَّا لان العدو يكتفي باحتلال البلاد لمضايقة عدوهِ واجبارهِ على التسليم اما في البحر فلعدم امكان الاحتلال لا يبقى لهُ طريق يُخضع فيها عدوهُ الَّا سد سبيل التجارة في وجههِ ومصادرة مراكبهِ . وعليهِ فهم يقولون انهُ لو تُركت تجارة العدو حرَّة تروح مراكبهُ وتجيء بدون معارضة لاصبحت الحرب لا اهمية لها ولا تأثير وربما طالت مدتها فأربت على السنين. لان ما من دولة في هذه الايام الَّا وجلّ اعتمادها على تجارتها لسدّ عوز الاهالي فهي مورد رزقهم ومنبع ثروتهم يبقون ما بقيت لهم في بحبوحة وسلام

يرى القارئ ممَّا تقدم شدة الخلاف بين الكتاب في هذا الموضوع اما العادة فلا تزال ثابتة مع كثيرة ما تولاها من الصدمات والعقبات وستبقى على حالها اجيالاً تكون فيها المرجع الاخير في تحقيق الاموال المعرضة للاسر والوقوع في يد العدو وفيما يؤدي اليهِ هذا الاسر والمصادرة من النتائج

***

لذلك اذا أُخذ مركب من مراكب العدو التجارية عدّ نوتيتهُ اسرى حرب اذا كانوا من رعايا العدو والَّا فيجب ارسالهم الى سفير دولتهم ومعتمدها وهو يتكفل بايصالهم الى بلادهم

اما الركاب المسافرون فلا يُعدون من اسرى الحرب الَّا متى ظهر انهم من عساكر العدو وجنودهِ اما محمول المركب من الاموال فللعدو الحق بها ولا يستثنى من ذلك اموال المحايدين

وعندهم محاكم ذات اختصاص بهذه الامور جعلت لفض المشاكل والاختلافات بين الحاجز والمحجوز على ملكهِ. وحق امساك المراكب التجارية مقصور على المراكب الحربية كالبوارج وغيرها بشرط ان يتم ذلك في عرض البحر بعيداً عن مياه الحياد ومياه الدول المحايدة

ولكي يتسنى للقبطان معرفة جنسية المراكب التجارية يحق لهُ ايقافها وتفتيشها فيبدي لها

العلامة المتفق عليها للوقوف فان ظلت موغلةً في البحر طلباً للهرب والنجاة جاز للسفينة الحربية مطاردتها ورميها بالقنابل توصلاً الى ايقافها ومنعها من الهرب ومتى وقفت يرسل قبطان السفينة الحربية بعض رجاله اليها ليطلعوا على اوراقها ويتحققوا جنسيتها

وغاية هذا التفتيش منع السفن المحايدة من تهريب المواد الممنوعة للعدو ومنع العدو نفسهِ من الانتفاع بتجارة مراكبهِ اذ تصبح غنيمة في يد عدوهِ ينتفع بها كيفما شاء. اما تخريب السفن المأسورة واغراقها فلا يجوز الاَّ في اشد الحالات كأن ترى السفينة الآسرة بوارج العدو تطاردها طمعاً في تخليص مركبها التجاري ولا ترى وسيلة تمنعها من اخذهِ الاَّ تعطيلهُ واغراقهُ لكي لا ينتفع عدوها بهِ

وفي كل الاحوال لا يصبح المركب المأسور ملكاً للآسر الاَّ بعد التحقيق والبحث. ويجري التحقيق في جنسية المركب ومحمولهِ امام محاكم ذات اختصاص بهذه الامور

ومحاكم التحقيق هذه ادارية الاختصاص في الغالب اي انها تُعد من المحاكم الادارية في اغلب بلاد اوربا الاَّ في بلاد الانكليز والولايات المتحدة فتحسب كباقي المحاكم الاهلية فان حكمت بان المركب من مراكب العدو اصبح ملكاً لآسرهِ والاَّ فيتعين على الآسر القيام بالعطل والضرر اللذين اصابا اصحاب المركب وارباب الاموال التي فيهِ

سامي الجريديني المحامي

سورية مهد الحنطة

ذكرنا في الاخبار العلمية من مقتطف نوفمبر سنة ١٩٠٩ ما نصهُ

« لا يخفى ان زراعة القمح قديمة جدًّا في كل انحاء المسكونة فقد كانت معروفة عند قدماء الصينيين والمصريين والاشوريين وغيرهم ولكنَّ القمح البري لا يزال مجهولاً. وقد وجد احدهم منذ خمسين سنة عشبة في راشيًّا احدى قرى جبل الشيخ قال الاستاذ كورنيك في ذلك الحين انها القمح البرّي عينهُ ولم تزل هذه العشبة في معرض ڤينا النباتي واطلق عليها اسم Triticum dicoccoides وخالفهُ كثيرون من العلماء في رأيهِ وقالوا انها ليست سوى قمح وقعت حبوبهُ في البرية فآل امرهُ الى الانحطاط

« وقد وجد الآن ما يؤيد كلام كورنيك فان المسيو آرونسن من سكان حيفا عثر على كثير من هذا القمح البري في اماكن عديدة من فلسطين حيث التربة قليلة مثل خان جب

يوسف وقرية يعونة والجهة الشرقية من جبل كنعان و بين مجدل شمس وعرنة في جبل الشيخ

« ولهذا الاكتشاف اهمية من وجهين فان صح ان هذا النبات هو اصل القمح المعروف فزراعة القمح لم تنشأ في بلاد كثيرة التربة كالعراق او مصر بل في بلاد صخرية قليلة التربة مثل جبال فلسطين حيث وجد القمح البرّي والشعير البرّي . واذا كان في استطاعة القدماء ان يحسنوا القمح و يبلغوهُ الى الدرجة التي بلغها ففي امكاننا ان نزيدهُ تحسيناً بالوسائل العلمية الحديثة » انتهى

وقد وقفنا الآن على خطبة في هذا الموضوع للاستاذ شودا استاذ علم النبات في جامعة جنيفا فاقتطفنا منها ما يأتي قال

الامم التي تكثر من زرع الحبوب هي الامم الغنية حقيقة . وفي كل من البلدان الراقية جماعة من العلماء انقطعوا للبحث عن الاساليب التي تزيد بها ثروة الامة باتقان الزراعة وما يمكن ادخالهُ فيها من الاساليب التي تكفل للبلاد توفُّر الثروة

ولكل اكتشاف يترتب عليهِ ازدياد ريع المزروعات او اجادتها اهمية تفوق اهمية الانقلابات السياسية . ولو لم يكن للاكتشافات الحديثة فضل آخر سوى تسهيل نقل الحنطة والدقيق مما منع حدوث المجاعات اوان القحط لكفى بهِ دليلاً على نفعها الاكبر للجنس البشري

وللحنطة المكان الاول بين الحبوب وقد كان القدماء يتخذون نموها رمزاً للحياة و يقدمونها لمعبوداتهم ويستخدمونها في كثير من الشعائر الدينية

واهم انواع الحنطة ثلاثة الامّر والسبلت والقمح الصميم . ويختلف النوعان الاولان عن النوع الثالث في ان سنابلها قصمة لان فقار السنابل ذات مفاصل فتنقصف بسهولة وفي ان حبوبها تبقى مغلّفة بعد نضجها ولا تنفصل عن العصافة الاَّ بطرائق مخصوصة . اما النوع الثالث ففقار سنابلهِ غير مفصلة وحبوبهُ تتساقط من السنبلة عند نضجها وهو يفضّل على الاولين في الاماكن التي ينبت فيها . وقد وجدت عصافة الامر في بعض القبور المصرية من عهد الدولة الاولى فدلّ ذلك على ان المصريين القدماء كانوا يعتمدون على هذا النوع من الحنطة في زراعتهم منذ ستة آلاف سنة . و يظهر انهم كانوا يستخلصون الحبوب من العصافة باساليب خصوصية غير ضرب السنابل بالهراوة او سوق الماشية عليها لتدوسها

ومن النوع الثالث اي القمح الصميم صنف يعرف بالقمح الصلب ينمو في ما جاور بحر الروم وقد ثبت ان المصريين عرفوهُ وزرعوهُ منذ ازمان طويلة

واذا كانت انواع الحنطة كلها نشأت عن اصل واحد فالانواع ذات الفقار القصمة احقها بان تكون ذلك الاصل الذي تفرعت عنهُ سائر الانواع لانها ادناها في درجات النشوء . وهي لا تزال تزرع في جبال جورا الشمالية بفرنسا و بلاد السرب ومقاطعة الباسك من اسبانيا ومقاطعة سوابيا من المانيا وفي بلاد بلخ بفارس ومن هذا يتبين لنا ان الحنطة القصمة الفقار لا يعوّل عليها الزارعون في وقتنا الحاضر الاَّ في الجبال والبلاد النائية . وقد بطلت زراعتها في سهول مصر الخصبة حيث حل مكانها القمح الصلب

فاذا علمنا ان القمح ذا الفقار القصمة هو اقدم انواع الحنطة حكمنا انَّ مهد الحنطة هو البلاد التي ينمو فيها هذا النوع في الحالة الطبيعية اي بريًّا . وقد عثر احدهم عليهِ في اسيا الصغرى فظن انهُ اصل الحنطة ولكن الفرق بين الصنف الذي عثر عليهِ و باقي الاصناف المستعملة في الزراعة كبير حتى يصعب التسليم بانها نشأت عنهُ

وقد مضى على العلماء نحو قرن وهم يبحثون عن اصل الحنطة ومهدها فنقّبوا عن ذلك في علم النبات وعلم مقابلة الاعضاء والتاريخ والفيلولوجيا فلم يصلوا الى نتيجة تذكر . وذهب البعض الى ان الحنطة نشأت من نوع من النبات ذهب من الوجود او ان الفرق بينها وبين الحنطة الاصلية قد زاد على تراخي العصور حتى تعذّر اكتشاف القرابة بينهما . اما القدماء فكانوا يعتقدون ان الآلهة انعمت على البشر بالحنطة وعلمتهم كيفية زرعها

ولا بد ان يكون الانسان قد عثر على هذا النبات في الحالة الطبيعية وفيهِ اكثر مزاياهُ النافعة لانهُ يتعذر عليهِ وهو في الحالة الهمجية انْ ياتي بما يعجز عنهُ علماء هذا العصر اي ان يأخذ نباتًا بريًّا لا نفع منهُ فيربيهِ و يعالجهُ حتى يولد منهُ الحنطة على ما نراها اليوم

قال الفونس ده كندول العالم النباتي المشهور في كتابهِ اصل النباتات الزراعية « ان بلاد ما بين النهرين متوسطة بين البلدان التي يزرع القمح فيها فقد كانت زراعتهُ تمتد من الصين الى جزائر كناري وعليهِ فلا يبعد ان يكون مهد الحنطة الاصلي فيها . ويمكننا ان نشرك سورية مع بلاد ما بين النهرين في ذلك لما بين البلادين من تشابه الاقليم . ولم تنبت الحنطة في البلدان الاخرى الاَّ بعد ان نقلها الانسان اليها وقام على حراثتها »

وسنة ١٩٠٢ اتى المسيو آرونسن الذي عين مديراً فنيًّا لمستعمرة حيفا الزراعية ببعض انواع الحنطة البرية ووضعها بين يدي العالم المعروف كورنيك فحكم انها صنف جديد من نوع الامر . ثم بنى على هذا الاكتشاف حكمًا هو نفس الحكم الذي بناهُ ده كندول على الادلة التاريخية وهو ان سورية هي مهد الحنطة الاول

وجعل اصدقاء آرونسن في اوربا يحثونهُ على متابعة البحث عن الحنطة البرية فجاراهم في ذلك متثاقلاً لانهُ كان متأكداً ان مساعيهُ في هذا السبيل عبث اذ ان العلماء الذين دققوا البحث في نباتات سورية وفلسطين كالدكتور بوست لم يذكروا شيئاً عنها. واخيراً عثر على سنبلة في شق صخر الى الشمال من بحيرة طبرية . وما عتم بعد ذلك ان رأى شيئاً كثيراً من هذه السنابل في سفح جبل الشيخ يختلف بعضها عن بعض اختلافاً ظاهراً فغلاف الحبة في بعضها اسود كلهُ او بعضهُ وفي بعضها مغطًّى بالزغب او عارٍ منهُ . وفيها ما يشبه الحنطة البولونية

ويستنتج من كثرة انواع الحنطة البرية في ذلك الجبل وامتدادها فيهِ من علو ١٥٠٠ متر الى علو الفي متر انهُ موطنهُ الاصلي . ومن المقرر الثابت ان الحنطة لا تنمو بدون اعتناء الانسان بها وانهُ مهما طالت زراعتها في بقعة من الارض لا يمكن ان تعيش فيها وتنمو من نفسها لان النباتات الاخرى تقوى عليها وتخنقها . زد على ذلك ان الامر البستاني لا يزرع في فلسطين على الاطلاق ولم يعثر على نبات متوسط بينهُ وبين الانواع التي تزرع في تلك البقعة

ثم عثر آرونسن سنة ١٩٠٨ على الشعير البري في ارض موآب الى الشرق من البحر الميت عند قرية يقال لها المزرعة وبالقرب من ذلك المكان وادٍ يقال لهُ وادي وحلة تكثر فيهِ الظران فاستنتج من ذلك ان تلك البقعة هي موطن اول قبيلة عرفت الحنطة وقامت على زراعتها قبل التاريخ بازمان مديدة . وبعد ذلك وجد الامر البري في وادي الاردن وسهل السلط واماكن اخرى من فلسطين

ومما يرجح بل يؤكد ان الانسان وجد الحنطة ولم يوجدها ان الحبوب في الحنطة البرية ليست دون الحبوب في الحنطة الزراعية وزناً ولا حجماً . وبعد ان تأكدنا نمو الحنطة البرية في سورية لا يصعب علينا ان نتصور امتداد زراعتها الى ما بين النهرين حيث السهول الخصبة واقبال الناس على زراعتها لكثرة نفعها . وقد كان لها شأن كبير عند الاشوريين وذلك ظاهر من نقوشهم التي تكثر فيها صور السنابل واعمال الزراعة . واذا اكتشف نبات زراعي نافع تنتشر زراعتهُ في كل مكان بسرعة غريبة مثال ذلك التبغ والبطاطس فانهما وصلا الى قلب افريقية وضرود جبال حملايا بعد اكتشافهما بقليل

ولاكتشاف القمح البري الذي هو اصل قمح المزارع شأن كبير عند علماء الزراعة يعود بالربح الوافر على البلدان الزراعية . وايضاحاً لذلك اقول ان كل نوع من انواع النبات يحوي

اصنافاً مختلفة فاذا زرع مقدار كبير منهُ او اذا نبت من نفسهِ برياً في ارض واسعة اختلطت هذه الاصناف بعضها ببعض فتعذَّر ظهور المزايا التي تميزها . ولكن اذا زرعت بزرة واحدة او بزور متفرقة ثم زرعت البزور التي تتولد من كل بزرة على حدة ظهرت فيها الاصناف التي يشتمل عليها ذلك البذار وامكن فصلها بعضها عن بعض ويظهر حينئذٍ انها مختلفة كثيراً او قليلاً شكلاً وجرماً وصلابةً وتركيباً . والآن تفرز الحبوب في اماكن مختلفة لاظهار مزاياها ويفتش عن اصناف القمح من حيث امتيازها بالصفات التالية وهي التجذية او التكثير (اي تولُّد اصول كثيرة من الحبة الواحدة) وانتظام النمو والثقل وعدم ميل القصل للترقيد وطول السنابل وتركيب الحب من حيث ما فيهِ من النشا والسكر والنيتروجين والدهن الخ ومقاومة الآفات المرضية

وهذه المزايا تهمُّ نوع الانسان بنوع عام لان طعامهُ متوقف على القمح فكل اكتشاف يأول الى اصلاح القمح يكون لهُ نفع كبير لنوع الانسان . هوذا فرنسا قد صارت من اغنى البلدان لان قمحها اجود من قمح غيرها

والظاهر ان السكان الاولين الذي كانوا في بلاد موآب قبل زمن التاريخ رأَوا سنابل القمح البري تتمايل بالنسيم وفيها من الحبوب ما هو مثل حبوب قمحنا فابتهجوا برؤْيتها وجعلوا يفركون سنابلها ويأكلونها ثم جعلوا يزرعونها فكانوا اول من زرع القمح من البشر[1]

ومن غريب الاتفاق ان الذي اكتشف نبات القمح البري في وطنهِ الاصلي هو شاب اسرائيلي وهو المسيو ارونسن من نسل سكان تلك البلاد الاصليين ويسرني ان هذا الشاب من اصدقائي النباتيين وقلما اكتشف احد اكتشافاً مهماً مثل هذا وهو اظرف منهُ خلقاً واحلى عشرة وعليهِ يصدق قول القائل على قدر اهل العزم تأْتي العزائم

والآن نسمع ما يقول المسيو ارونسن فقد كتب اليَّ في ٣٦ يناير سنة ١٩١١ يقول

وصلني الآن كتابكم اللطيف الذي ذكَّرني احاديثنا الشهية مدة انعقاد المؤْتمر في بركسل ولقد اوليتموني مزيد الفخر بالموضوع الذي اخترتموهُ لخطبتكم السنوية في اجتماع جمعية الفنون ويسرني ان ارسل اليكم التفاصيل التي طلبتموها مني وسارسل ايضاً بعض الصور الفوتوغرافية التي صورتها في شهر يونيو الماضي لتروا فيها مزارع قمحي . ولا بدَّ من انكم

---

(١) [المقتطف] يحتمل انهم رأَوا النمل يجمعها ويخزنها في اهرائهِ طعاماً له في الشتاء كما يفعل الى الآن فاقتدوا بهِ في جمعها واكلها ثم زرعوها واستنبتوها

تسرون اذا علمتم انني تمكنت من زرع اكثر من فدان بالقمح الرزي . وقد اكتشفت هذه السنة في جبال الجليل نباتاً مولداً بين القمح والشوفان . وتولد من قمحي الرزي والقمح العادي صنف ليس في فقار سنابلهِ مفاصل . وقد ظهر ان قمحي الجديد لا يصاب بمرض الترميد (الصدإ) . ولا يصعب ترسيخ هذه الصفة في البذار الذي يؤخذ منهُ »

وبعد ان اتمَّ الخطيب تلاوة كتاب ارونسن قال ترون من ذلك عظم فائدة هذا الاكتشاف لانهُ هدانا الى الاصل الذي تولّد منهُ القمح ومهد لنا السبيل الى الحصول على اصناف جديدة تتولد من الاصناف المعروفة ومن المحتمل ان ما تمَّ للبشر من تأصيل القمح في مدة ستة آلاف سنة يتم لنا في بضع سنوات فيمكننا مثلاً ان نجمع بين استطاعة القمح البري لتحمل القيظ ومقاومة الآفات وبين شدة نمو القمح المزروع وكثرة غلتهِ

ثم استطرد الخطيب الى عمل الخبز من دقيق القمح وكيفية تخميرهِ حتى يختمر ويرفخ اذا خبز وقال ان الخميرة التي تخمر عجين القمح لا تخمر عجين الذرة فلا يرفخ خبزهُ اذا خبز وانهُ هو اكتشف بعد العناء الشديد خميراً يستعملهُ اهالي شكيم وجبال خاسيا ببلاد الهند وهذا الخمير اذا مزج بخمائر اخرى خمَّر عجين الذرة بجعل ارغفتهِ ترفخ حينما تخبز فيسهل عمل الخبز منهُ كما يعمل من دقيق القمح انتهى

واننا نستغرب كيف لم يعلم الاستاذ شودا ان اهالي الوجه البحري في القطر المصري يخمرون عجين الذرة فتبرفخ ارغفتهُ اكثر مما ترفخ ارغفة خبز القمح وذلك معروف عندهم من قديم الزمان . ولعلَّ القمح الذي اكتشفهُ المسيو ارونسن (او ابن هرون) هو نفس النبات الذي يكثر في سواحل لبنان ولا سيما على السطوح الترابية فان شكل سنابلهِ مثل شكل سنابل القمح وحبوبهُ كحبوب القمح لكنها اصغر منها جدًّا وهذا اذا صح لا يحط من قدر اكتشافهِ ونسبة فضل الاكتشاف اليهِ فانهُ مكتشف مدقق وباحث علمي محقق على ما يظهر من كتابهِ للاستاذ شودا ولكن ان كانت حبوب القمح البري الذي اكتشفهُ كبيرة كحبوب القمح المزروع ترجح ما استنتجهُ المستر غارثن وهو ان القمح كان اصلاً كبير الحب جدًّا ثم صغر حبهُ على مرور الزمن وقلة الانتقاء وانهُ اذا اعتني بزرعهِ وتسميدهِ الآن صار حبهُ مثل البندق جرماً . لان تربية الانواع الطبيعية اما ان تدعو الى تكبير جرمها كما كبر جرم الفرس او الى تصغيرهِ كما صغر جرم الهر وبعض الكلاب . وبعيدٌ ان يبقى جرم المربي كجرم البري على تراخي الزمن

هذا وقد جمع ابن سيده صاحب المخصص المتوفى سنة ٤٥٨ للهجرة انواع الحنطة المعروفة

في عهده نقلاً عن الخليل صاحب كتاب العين وابي حنيفة وابن الاعرابي وابي عبيدة وكلهم من اهل القرن الثاني والثالث قال

الحنطة البُرُّ اسم للجمع وليس لهُ واحد من لفظهِ وجمعها حنَط والحنَّاط بائعها وحرفتهُ الحناطة . ومن اجناس البر البرنجانية وهي نبيلة الحب . والقرشية وهي صلبة في الطحن خشنة الدقيق وسفاها اسود وسنبلتها عظيمة . والبرُّ الذي عليهِ المعوَّل واليهِ مرجع جميع الحنط هو المابية وهي بيضاء الى الصفرة حبها دون حب البرنجانية . والسمراء حنطة غبراء رقيقة سريعة الانفراك دقيقة القصب سريعة الانداس الى الرقة ما هي وهي اوضع الحنطة واقلها ريعاً . والمهرية وهي حمراء عظيمة السنبل غليظة القصب مدحرجة الحب مربَّعة . والتربية وهي حمراء وسنبلتها حمراء ناصعة الحمرة رقيقة تنتثر من ادنى برد او ريح . والمكبَّبة وهي غبراء مستديرة ولذلك سميت مكببة وسنبلها غليظ امثال العصافير وتبنها غليظ لا تنشط لهُ الاكَلة وهي اريع الحنطة كيلاً ودقيقاً . والمحمولة وهي حنطة غبراء مدحرجة كأنها حب القطن ليس في الحنطة اكثر منها حبًّا ولا اضخم سنبلاً وهي كثيرة الريع ولا تحمد في اللون ولا في الطعم . والعلَس حنطة جيدة سمراء عسرة الاستنقاء جدًّا لا تنقى الاَّ بالمناحيز وهي طيبة الخبز وتشبه القرشية في الطحين يجيء دقيقها خشناً وسنبلها لطاف وهي مع ذلك قليلة الريع . وقيل الملس مقترن الحب حبتان حبتان لا يتخلَّص بعضهُ من بعض حتى يدق بالمواجن وهي المهاريس يعني لا يتنقَّى ولا يندق وهو كالبر ورقاً وقصباً . والفوم الحنطة وقيل الحبوب واحدتهُ فومة وهي ايضاً البر . والحطانطة برَّة صغيرة حمراء . والسلت حبٌّ بين الشعير والبر اذا نقي انسلت من قشره فكان مثل البر وهو ضربان اخضر واصفر ويقال للاخضر اللصب انتهى

ويظهر من ذلك ان اهالي مصر والشام وبلاد العرب كانوا يزرعون اصنافاً مختلفة من القمح من عهد قديم جدًّا وقد اتقنوا زرعها وتأصيلها حتى عظم الفرق بينها

ويبعد عن الاحتمال ان تكون لهم هذه العناية بزرع القمح وتأصيلهِ وقد رأوا القمح البري في سورية ولم يعرفوهُ ولا انتفعوا بهِ لاسيما وان حبَّهُ لا يزال حتى الآن كبيراً كحب القمح العادي ولعلهُ احد الاصناف التي ذكرها ابن سيده

الالبان

ذكرنا في العددين الماضيين شيئاً عن ممالك البلقان التي تحارب الدولة العلية ورأينا ان نتبع ذلك بكلمة عن الالبان او الارناؤوط لعلاقتهم بالحرب الحاضرة وما سيكون لهم من الشأن عند عقد الصلح

بلاد الالبان في غربي البلقان وتضم ولايتي اشقودره ويانينا والقسم الاكبر من ولايتي موناستير وسلانيك · وهي جبلية وعرة فيها كثير من الجداول والبحيرات والمروج الصغيرة بين الجبال · وجل اعتماد اهلها في معيشتهم على تربية المواشي وزراعة الحبوب

وليس في التاريخ ما يدل على اصلهم ولكن يرجح انهم من الشعوب الاوربية مثل سائر الاوربيين · ويطلقون على بلادهم اسم شكبتاريا والترك يسمونهم ارناؤوط

ولغتهم لم تهذب بعدُ ولا دونت وهم يحاولون كتابتها بالحروف اللاتينية ومنهم من يكتبها بالحروف اليونانية · وقد حاولت الدولة العلية حملهم على كتابتها بالحروف العربية فلم تفلح بل كان ضغطها عليهم في هذا السبيل من اكبر اسباب نقمتهم عليها

وهم يحبون الحرب ويباهون باعمال الفروسية وقد كانوا من اشد انصار الدولة العلية في جميع حروبها اذ كانوا يتطوعون في الجيش العثماني بقيادة زعمائهم · وينقسمون في بلادهم الى قسمين كبيرين الغيغه في الشمال والتوسكه في الجنوب وبين هذين القسمين بعض الفروق في اللغة والعادات · ثم ينقسم كلٌّ من الغيغه والتوسكه الى اسباط وقبائل قلما يبطل النزاع والخصام بينها

وعددهم يناهز المليونين والمسلمون منهم يزيدون على المسيحيين قليلاً · والدين لا يفرّق بينهم ولا يضعف عصبية قبائلهم فانك ترى المسلمين والمسيحيين في القبيلة الواحدة متآخين متكاتفين يشاطر بعضهم بعضاً السراء والضراء

والاستثارة للقتيل عندهم من الزم ما يجب على القبيلة واقدسهُ حتى ان القبيلة منهم تبيد ولا تنفك تطالب بثار قتيلها · وفي بعض المقاطعات الجبلية لا يبلغ الذين يموتون حتف انوفهم الا ٧٥ في المئة من الوفيات

وللمرأة في بعض القبائل مقام واحترام حتى انها تجير الغريب فلا يتعرض لهُ احد بسوء · وتخرج نساؤهم مع الرجال الى ساحات القتال فيعتنين بالجرحى ويكفنَّ القتلى

واهم قبائلهم في الشمال المرديته او المردة وهذه القبيلة تناهز العشرين الفاً عداً · وبلادها

جبلية منيعة الى الجنوب الشرقي من اشقودره · وتكاد تكون مستقلة عن الدولة العلية ولم تدخل العساكر العثمانية بلادها الاَّ مرة سنة ١٨٨٠ لمجاهرة احد زعمائها بالتمرد

والتوسكه في الجنوب تلطفت طباعهم باختلاطهم مع اليونان والسلاف واخذوا ببعض اسباب الرقي والمدنية ولذلك ترى منهم التجار والصناع والزراع

وفي بلادهم كثير من الخرائب القديمة بعضها من عهد اليونان و بعضها مما شادهُ الرومان · ولم يكشف عن هذه الخرائب ولا يعرف ما فيها من الآثار اذ يكابد الاوربيون مشقات عظيمة قبل الوصول اليها

وقد كانت بلادهم مقاطعة رومانية الحقت بالمملكة الشرقية بعد انشقاق الامبراطورية · ثم توالت عليها غزوات البرابرة والسرب وبقيت مدة طويلة تخضع طوراً للسرب وطوراً للملوك القسطنطينية

ولما مات اسطفان دوشن ملك السرب وتجزَّأَت مملكتهُ قام من الالبان امراء استقلوا بحكومة بلادهم · ولبثوا على هذهِ الحال الى ان دخل الاتراك بلاد البلقان واخضعوا ممالكها

وسنة ١٤٣١ استولى الاتراك على يانينا فهبَّ الالبان لصدهم واجمع زعماؤُهم على ان يكونوا عصبة واحدة في الدفاع عن وطنهم وانضووا جميعاً تحت لواء الامير جورج كاستريوتا المشهور باسكندر بك · فتمكن من صد غارات الترك وتشتيت عساكرهم في مواقع عديدة

و بعد موتهِ اخضع الترك القسم الاكبر من البلاد غير ان بعض القبائل لجأَت الى الجبال فاعتصمت فيها وحافظت على استقلالها وعاداتها · ولم يكن خضوعهم للدولة العلية الاَّ اسميًّا فقط فلم تكن تنتفع منهم الاَّ زمن الحرب اذ كان كثيرون منهم يتطوعون في الجيش كما تقدم وكانت لهم وجاقات خاصة بهم

وفي اواخر القرن الثامن عشر استبدَّ احد الولاة في القسم الشمالي من البانيا وكانت قاعدتهُ مدينة اشقودره و بعد ذلك بقليل حذا حذوهُ علي باشا في يانينا · فسيَّرت الدولة العلية حملة عسكرية على علي باشا فتمكنت منهُ غير ان نار الثورة التي اثارها امتدت الى بلاد اليونان ولم تخمد الاَّ باستقلالهم · اما القسم الشمالي فاعيد الى املاك الدولة سنة ١٨٣١

وسنة ١٨٧٨ اجتمع امراؤُهم و بيرقداروهم في برزرين على اثر انعقاد موُتمر برلين فتحالفوا على ان يقفوا في وجه كل اعتداء خارجي على حدود بلادهم وان لا يتركوا شيئًا منها يذهب الى ايدي النمسا والجبل الاسود والسرب فكان لتحالفهم هذا بعض التأثير على ما اقرَّهُ ذلك المؤتمر · ولكن ولاة الامور في الاستانة اوجسوا خيفة من تحالفهم فعملوا على حل عراهُ

وبعد اسكندر بك لم تجتمع كلمة القبائل الالبانية في حرب او ثورة من جميع الحروب والثورات التي قاموا بها ولا ظهرت منهم روح قومية عمومية بل كانت كل قبيلة تقاتل للمحافظة على حقوقها وعاداتها الخاصة . غير ان المتغربين منهم قد بذلوا بعض المساعي في هذا السبيل والفوا لذلك لجاناً في بركسل وبخارست واثينا فاخذت تذيع فيهم المنشورات تدعوهم فيها الى الاتحاد وتبث فيهم الروح القومية

تجارة القطر في العام الماضي

لم تبلغ تجارة القطر المصري في عام من الاعوام السالفة ما بلغتهُ في العام الماضي فان قيمة صادراتهِ بلغت ٣٤٥٧٤٣٢١ جنيهاً وكانت سنة ١٩١٠ المشهورة بكثرة صادراتها وجودة موسمها ٢٨٩٤٤٤٦١ جنيهاً فقط . واذا اضفنا الى قيمة الصادرات عشرة في المئة تطرح منها في تقدير الجمارك بلغت ٣٨٠٣١٧٥٣ او اكثر من ٣٨ مليوناً من الجنيهات وهي اكثر من ذلك كما سيجيء . وقد بلغت قيمة الواردات في العام الماضي ٢٥٩٠٧٧٥٩ جنيهاً وقيمة الصادرات والواردات معاً ٦٣٩٢٩٥١٢ او نحو ٦٤ مليوناً من جنيهات ولم تصل الى هذا الحد في عام من الاعوام السالفة . وبلغ الفرق بين قيمة الصادر وقيمة الوارد اكثر من اثني عشر مليوناً من الجنيهات بقي منها الى القطر المصري اربعة ملايين من الجنيهات ذهباً وهي الفرق بين ما دخلهُ وما خرج منهُ من النقود . والباقي وهو ثمانية ملايين تزيد عما يطلب منهُ فائدة ديونهِ وديون حكومتهِ . ولعلهُ تناول الزيادة مما كان في البنوك في هذا القطر او اوفى بها بعض ديونهِ

اي ان قيمة الصادرات المصرية كفت لايفاء ثمن الواردات كلها وبقي منها ١٢ مليوناً من الجنيهات اوفيت منها فوائد ديون الحكومة وديون الاهالي لاوربا وزاد في القطر نحو اربعة ملايين من الجنيهات وهي اقل مما بقي في القطر المصري من الذهب سنة ١٩١٠ فان الوارد منهُ بلغ حينئذٍ نحو ١٣ مليوناً من الجنيهات والصادر منهُ بلغ سبعة ملايين . والفرق بينهما ستة ملايين ولكن زيادة قيمة الصادرات على قيمة الواردات كانت حينئذٍ ثمانية ملايين من الجنيهات فقط اي اقل مما كانت في العام الماضي

هذا اذا نظرنا الى قيمة الصادرات والواردات نظرة عامة اما اذا نظرنا اليها بالتفصيل رأينا فيها اموراً كثيرة حرية بامعان النظر . فاذا التفتنا الى الصادرات رأينا انها قد زادت كلها تقريباً مقداراً وثمناً كما ترى في الجدول التالي

الصادرات

	سنة ١٩١١		سنة ١٩١٢	
	المقدار	الثمن جنيهات	المقدار	الثمن جنيهات
البيض	٩٦٧٦٥٠٠٠ بيضة	١١٦٢٤٠	١٥٠٤٠٨٠٠٠ بيضة	١٨٠٥٠٨
الجلود	٣٢٨٩٣٣٤ كيلو	١٣٢٢٠١	٣٣٣٦٠٠٤ كيلو	١٣٤٦٦٩
«	١٠٥٨٩٢٢ جلداً	٤٥٧٢٢	١٠٩٨١٤٥ جلداً	٠٤٧٠٢٩
الفول	٣٥٨٢٢ اردبًا	٣٠٦٥٢	٩٧٤٨٠ اردبًا	٩٥٣٩٩
بزرة القطن	٣٨١٨٣٧٥ اردبًّا	٣٠٣٨٩٧٦	٤٩٠٧٣٦١ اردبًّا	٤٠٨٦٩٥٢
الكسب	٨٥١٧٣ طنًّا	٣٥٥٧٤٤	٨٠٧٧٨ طنًّا	٣٦٣٥٥٨
البصل	٩٤٤٣٨ طنًّا	٣١٣٩٠٥	١٢١٧٧٩ طنًّا	٣٨٤٨١٩
القطن	٦٦٣٨٢١٠ قنطاراً	٢٢٩٨٨٢١١	٨٣٠٦٩٤٨ قنطاراً	٢٧٥٢٩٢٧٧
الصوف	١٧٥٨٩٤٤ كيلو	٩٤٠٣٥	٢٠٤٥٦٦٧ كيلو	١٢١٩٤٤

والعبرة في هذه الصادرات بالقطن والبزرة فقد بلغ ثمن ما صدر منهما ٣١٦١٦٢٢٩ واذا اضفنا اليهِ ما يطرح من الثمن في تقدير الجمارك وهو عشرة في المئة بلغ ٣٤٧٧٧٨٥١ جنيهاً او نحو ٣٥ مليونًا من الجنيهات وهو اكثر من ذلك كما لا يخفى . فكل الاعتماد في الصادرات على القطن وبزرتهِ ويتلوهما البصل والكسب والجلود والبيض ونحوها ولكن قيمتها كلها لا تزيد على مليونين ونصف من الجنيهات

الواردات

وقد نقصت قيمة اكثر الواردات المهمة كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٩١١		سنة ١٩١٢	
	المقدار	الثمن جنيهات	المقدار	الثمن جنيهات
الدقيق	١٦١٢٠٤٧٧٨ كيلو	١٦٠٠٦٧٦	١٤١٦٧٥١١٨ كيلو	١٥٣٥٠٨٧
السكر	٤٥٧٦٦٢١١ «	٠٥٩٧٢٦٧	٣٥٠٥٦٣٧٤ «	٠٤٢٤٣٢٨
خشب البناء	٦٤٨٩٢٥ متراً مكعباً	١١٥٧٢١٨	٥٦٧٤٩٦ متراً مكعباً	١٠٤٥٧٤٥
المنسوجات القطنية	٢١٩٣٧٦٣٥ كيلو	٢٧٩٣٠٩٧	٢٠٧١٩٦٢٤ كيلو	٢٤٥٧٤٨٥
«	٧١٠٥٩٠٤٨ متراً	١٣٣١٩٦٠	٥٧٠٦١٩٥٨ متراً	١٠٤٢٧٢٧
المنسوجات الكتانية	٤٠٩٣٠٨٣ متراً	٠٧٠٣٠٩٠	٢٢٦٩١٣٧ متراً	٠٤٢٦٢١٩

وقد ذكرنا في الجدول التالي الواردات المهمة التي زادت قيمة ما ورد منها في العام الماضي

	سنة ١٩١١		سنة ١٩١٢	
	المقدار	الثمن جنيهات	المقدار	الثمن جنيهات
الارز	٣٨٤٨٣٧٧٤ كيلو	٣٣٣٢٩٤	٣٤٣٤٢٢٩٣ كيلو	٣٦٥٠٦٢
البن	٦٨٧٠٩٥٦ كيلو	٤١٢٢٥٦	٧١٥٤٨٧٧ =	٤٨٤٥٥٠
الفحم الحجري	١٥٨١٦١٩ طنًّا	١٣١٢٢٠٢	١٦٣٨٤١٧ طنًّا	١٥٧٤٦٥٣
السماد الكيماوي	٥٩٩٦٢ طنًّا	٤٩٦٦٤٤	٧٠٠٩١ =	٦٦٧٩٢٦

واهم الواردات كلها المنسوجات القطنية والدقيق والحديد والفحم الحجري وخشب البناء والتبغ والسكَّر · واكثرها نقص الوارد منهُ او زاد زيادة قليلة ولذلك يقال بنوع عام ان العام الماضي كان عام اقتصاد وتدبير لا عام اسراف وتبذير · وتدلُّ زيادة الوارد من السماد الكيماوي على زيادة الاهتمام بالزراعة وتكثير المحصولات

البلدان التي تاجرت معنا

لايزال لانكلترا النصيب الاكبر من تجارتنا الصادرة والواردة وتتلوها فرنسا فالمانيا فاميركا فالنمسا فروسيا كما ترى في الجدول التالي وقد ذكرنا فيهِ قيمة ما اشتريناهُ من كل بلاد من هذه البلدان وما اشترتهُ هي منا وذلك بالجنيهات المصرية

	ثمن ما اشترتهُ منا	ثمن ما اشتريناهُ منها
انكلترا ومستعمراتها	١٦١٥٨٦٥٢	٩٥٥٨٤٠١
الولايات المتحدة الاميركية	٠٤١٢٠٨٩٥	٤٠٣٥٢٥
المانيا	٠٣٨٨٥٩٣٧	١٤٢١١٨٠
فرنسا	٢٧٠٦٩٧٥	٢٤١١٤٢٥
روسيا	٢٠٥٦٣٠٢	٠٧٦٤٥١٥
النمسا والمجر	١٤٣١١٦٧	١٦٧٩٨٣١
سويسرا	١٠٠٨٨٩٦	٠١٤٣٥٦٧
ايطاليا	٠٩٤٨٨٨٩	١٢٤٢٧٢٩
تركيا	٠٦٢٧٥٥٦	٢٧٥٩٨٨٣
الصين والشرق الاقصى	٠٦٤٠٣٣٠	٠٣٩١٦٠٣
اسبانيا	٠٤٨١٤١٥	٠٧٣٤٦١

واهمية هذه البلدان لنا بحسب ما تشتريهِ من صادراتنا لا بحسب ما نشتريهِ نحن من صادراتها . فانكلترا تشتري نحو نصف صادراتنا وتتلوها الولايات المتحدة الاميركية فانها اشترت منا باكثر من اربعة ملايين من الجنيهات مع اننا لم نشترِ من بضائعها الاَّ ما ثمنهُ اربعمئة الف جنيه ثم المانيا اشترت منا ما ثمنهُ نحو اربعة ملايين من الجنيهات واشترينا منها ما ثمنهُ نحو مليون ونصف ثم فرنسا اشترت منا ما ثمنهُ مليونان وسبع مئة الف جنيه واشترينا منها ما ثمنهُ مليونان واربع مئة الف جنيه فنحن معها على السواء تقريبًا ثم روسيا اشترت منا ما ثمنهُ مليونا جنيه ولم نشترِ منها الاَّ ما ثمنهُ ٧٦٤ الف جنيه . والنمسا نشتري منها اكثر مما تشتري منا وكذلك ايطاليا . اما تركيا فاننا اشترينا منها ما ثمنهُ مليونان و٧٥٩ الف جنيه ولم تشترِ منا الاَّ ما ثمنهُ ٦٣٧ الف جنيه فهي تستفيد من تجارتنا اكثر مما نستفيد من تجارتها

ولا يخفى ان الغرض الاول الذي ترمي اليهِ الممالك الآن في معاهداتها التجارية وفتحها البلدان القاصية بل وفي بنائها البوارج وتعبيتها الجيوش واثارتها الحروب ان تجد من يشتري بضائعها ويعطيها بدلاً منها ذهبًا تشتري بهِ ما تشاء . ونفعها بعضها لبعض هو بنسبة ما تشتريهِ الواحدة من الاخرى فانفع البلدان لنا اكثرها اشتراء لبضائعنا واقلها نفعًا لنا اقلها اشتراء لبضائعنا . ونحن نزيد نفعنا للبلدان على مقدار ما نشتريهِ من بضائعها

الحياة وماهيتها ومنشأها وحفظها

(تابع ما قبلهُ)

تنظيم الجهاز العصبي لحركات الجسم

الحركات الارادية

ان اوضح عمل يقوم بهِ الجهاز العصبي في ظواهر الحياة هو احداث حركات الجسم العمومية وتنظيمها — الحركات التي تقوم بها العضلات المسماة بالعضلات الارادية . وهذه الحركات هي في الواقع نتيجة تأثيرات ترد الى اعصاب الحس او الاعصاب الموصلة التي على سطح الجسم اي في الجلد او في اعضاء الحواس الخصوصية . وقد لا تظهر نتيجة هذه التأثيرات حالاً بل يمكن ان تخزن في بعض خلايا الجهاز العصبي الى اجل غير معين . وسواء حدثت تلك الحركات حالاً على اثر وصول التأثيرات السطحية او بعد حين او كانت مما يشعر بهِ او منعكسة محضة لا يشعر بها فان تنظيمها عمل معقد وشروط ضبطها وترتيبها بعضها بالنسبة

الى بعض امر دقيق لا يقتصر على استلزام انقباض بعض العضلات بل يقتضي ايضاً منع عضلات اخرى عن الانقباض . وما نعلمهُ الآن عن هذه الشروط يرجع جانب كبير من الفضل فيهِ الى ابحاث الاستاذ شرنجتون

الحركات غير الارادية

ويقوم الجهاز العصبي ايضاً بعمل هو اقل وضوحاً من العمل المذكور آنفاً ولكنهُ لا يقل عنهُ اهمية وهو تنظيم انقباضات العضلات غير الارادية . وهذه الانقباضات لا يُشعر بها في الاحوال الطبيعية ولكن تنظيمها يتم بطريقة مشابهة لطريقة تنظيم انقباضات العضلات الارادية اي انهُ نتيجة تأثيرات ترد الى سطح الجسم . فان هذه التأثيرات تنتقل بواسطة الياف موصلة الى الجهاز العصبي المركزي فتصدر منهُ مؤثرات اخرى يجري اكثرها بواسطة الاعصاب السمباثوية اوالجهاز العصبي المستقل فتحمل العضلات غير الارادية على الانقباض او عدم الانقباض . وفي كثير من العضلات غير الارادية ميل طبيعي الى ان تنقبض انقباضاً مستمرًّا او دوريًّا بالاستقلال عن الجهاز العصبي المركزي فيقتصر حينئذٍ فعل المؤثرات الواردة من الجهاز العصبي المركزي على زيادة مقدار ذلك الانقباض او انقاصهِ . فمن الامثلة على هذا العمل المزدوج ما يشاهد في القلب لانهُ وان امكنهُ الانقباض انقباضاً منتظماً دوريًّا متى قطعت علاقاتهُ بالجهاز العصبي بل متى اخرج من الجسم ايضاً فان المؤثرات الواردة اليهِ من الجهاز العصبي المركزي بواسطة الاعصاب السمباثوية من شأنها ان تزيد عملهُ في احوالهِ الطبيعية كما ان المؤثرات الواردة عليهِ بواسطة العصب الرئوي المعدي من شأنها ان تقلل عملهُ في تلك الاحوال . فبسبب تأثر القلب على هذين الوجهين المختلفين بانتشار تأثيرات تتولد في اثناء العواصف العصبية التي نسميها بالانفعالات النفسية اصبح معنى القلب مرادفاً للانفعالات النفسية او العواطف في اصطلاح الشعراء بل في اصطلاح الناس في حديثهم العادي

تأثيرات الانفعالات النفسية

و بمثل ذلك ايضاً يتوازن عمل العضلات غير الارادية في الشرايين فانهُ متى زاد انقباضها قلَّ حجم الشرايين فيقل الدم الذي توردهُ وتصفرُّ الاقسام التي يذهب اليها ومتى قلَّ انقباض تلك العضلات كبر حجم الشرايين فيكثر الدم الذي توردهُ وتحمر الاقسام التي يذهب اليها . وقد تحدث ايضاً هذه التغيرات في الشرايين كما في القلب بفعل الانفعالات النفسية . فاحمرار الوجه من الخجل مثلاً امر فسيولوجي محض ناتج عن نقصان عمل الانسجة

العضلية في الشرايين كما ان الاصفرار الآتي من الوجل ناتج عن ازدياد انقباض تلك الانسجة. على انهُ فضلاً عن هذه النتائج الظاهرة فان هناك توازناً مستمرًّا بين نوعي الاعصاب الموزعة على القلب والاوعية الدموية وهو اقل ظهوراً من تلك النتائج ولكنهُ لا يقل اهمية عنها . فان هذين النوعين يتأثران بكل تأثير نشعر بهِ بل بمؤثرات لا نشعر بها مطلقاً كالتي تحدث في اثناء النوم او في حالة التبنج او التي تؤَثر في اعضائنا الداخلية التي لا نتأثر في ما سوى ذلك

تنظيم الجهاز العصبي للافراز

ومن الامثلة الاخرى على التنظيم الذي يقوم بهِ الجهاز العصبي ما يشاهد في الغدد الافرازية . وهي لا تُنظَّم كلها بهِ او على الاقل لا تنظم كلها بهِ مباشرة ولكن ما ينظم منها بهِ تظهر فيهِ نتائج تستوقف الانظار . وتنظيم الجهاز العصبي لهذه الغدد من نوع تنظيمهِ للعضلات غير الارادية ولكنهُ يؤَثر في الاعمال الكيماوية التي تقوم بها خلايا الغدد وفي افراز ما تفرزهُ . فيمكن بهذا التنظيم احداث الافراز او زيادتهُ او انقاصهُ . وعلى هذا الوجه يحفظ التوازن المناسب كما يجري في العضلات ويكيَّف عمل الغدد طبقاً لمقتضيات الجسم. واكثر الغدد الهضمية يتأثر على هذا النمط وكذلك غدد الجلد التي تفرز العرق

تنظيم حرارة الجسم

وبفعل الجهاز العصبي في غدد الجلد مع فعلهِ في زيادة الدم الوارد الى الاوعية الدموية في الجلد او انقاصهِ تُنظَّم حرارة دمنا وتحفظ في انسب درجة لحفظ حياة الانسجة وعملها

تأثير الانفعالات النفسية في الافراز

ويظهر فعل الجهاز العصبي في افراز الغدد باجلى بيان في تأثير الانفعالات النفسية كما يظهر ايضاً في تلك الاحوال في القلب والشرايين . فانفعال نفسي من بعض الانواع — كانتظار الطعام — يسيل اللعاب كما ان انفعالاً نفسيًّا من نوع آخر كالخوف او القلق يوقف افرازهُ فيصعب الكلام او يتعذَّر ومثل هذا الايقاف يجعل ايضاً بلع الطعام الجاف صعباً وبناءٌ على هذه الصعوبة كانوا يكتشفون المجرمين في الشرق بجعلهم يتفلون على الارز

التنظيم بواسطة عوامل كيماوية : المحركات — الافرازات الداخلية

واعمال الخلايا التي تتألف منها اجسامنا تُنظَّم كما تقدم القول بشيءٍ آخر غير الجهاز العصبي اي بعوامل كيماوية او محركات تدور في الدم . وكثير من هذه المحركات تحدثها اعضاءٌ غددية خصوصية تفرز افرازاً داخليًّا . فان الغدد الافرازية العادية تفرز مفرزاتها على

خارج الجسم او على سطح متصل بالخارج واما الغدد التي تفرز الافراز الداخلي فترسل ما تفرزهُ الى الدم رأساً وبهِ تنقل المحركات الى الاعضاء البعيدة . وقد يكون تأثير هذه المحركات على عضو من الاعضاء ضروريًّا لقيامهِ بوظيفتهِ كما يجب او مساعداً لهُ فاذا كان ضروريًّا فاستئصال الغدة التي تفرز ذلك المحرك او تلفها بمرض ما قد يؤدي الى الموت

غدد فوق الكلية

وهذا ما يحدث في غدد ما فوق الكلية وهي غدد صغيرة مجاورة للكليتين ولكن لا علاقة فسيولوجية لها بهما . وقد اظهر الدكتور اديسن من اطباء مستشفى غي في اواسط القرن الماضي ان هناك علة تميت في كل الاحوال تقريباً وهي مقترنة بمرض تلك الغدد فصارت تلك العلة تعرف باسمهِ من ذلك الحين . ثم بعد ذلك بزمن قصير وجد الفسيولوجي الفرنسوي برون سيكار ان الحيوانات التي تنزع منها تلك الغدد لا تعيش بعد نزعها اكثر من بضعة ايام الاَّ نادراً . وقد تجدَّد الاهتمام بهذه الغدد في السنوات العشر الاخيرة من القرن الماضي بسبب ما كشف من انها تعطي الدم على الدوام عاملاً كيماويًّا (او محركاً) ينبه انقباضات القلب والشرايين ويساعد في ترويج كل عمل يتم بواسطة الجهاز العصبي السمباثوي (لانجلي) واتضح من ذلك ضرورة بقائها سليمة وان كنا لا نزال نفتقر الى معرفة اشياء كثيرة عن وظائفها

الغدة الدرقية (ثيرويد)

الغدة الدرقية مثال آخر لغدة تفرز افرازاً داخليًّا ولا بدَّ منها لحفظ الحياة او على الاقل لحفظها في حالة طبيعية . ومن الامور المحققة ان عدم نمو الغدة الدرقية نموًّا تامًّا او مرضها يُصحَب كلٌّ منهما باختلال التغذية وخمول الجهاز العصبي وكذلك يحصل البله والداء المعروف بالمكسوديميا متى قلَّ افراز تلك الغدة . واذا نزعت بالطرق الجراحية حدثت احوال مشابهة لذلك ولكن الاعراض تخف او تشفى اذا عولج المصاب بعصيرها . واذا كبرت الغدة الدرقية وازداد افرازها احدث ذلك اعراض تهيج عصبي . ومثل هذه الاعراض يحدث من افراط الانسان في اكل المواد الغددية . فيستنتج من هذه الملاحظات ان عصارة هذه الغدة تحوي محركات تساعد على تنظيم تغذية الجسم ومن شأنها تنبيه الجهاز العصبي الذي يظهر انهـا ضرورية لوظائفهِ العليا . وقد قال المسيو غلاي الذي لهُ جانب كبير من الفضل في ما نعلمهُ عن وظائف هذه الغدة « ان تولد ارقى قوى الانسان وعملها يتوقفان على فعل كيماوي محض تقوم بهِ مادة مفرزة . فليتدبر ذلك علماء الفلسفة العقلية »

البارا ثيرويد

ومما يستوقف الانظار اكثر من ذلك مسألة الغديدات البارا ثيرويدية التي اكتشفها سندستروم سنة ١٨٨٠ وهي اربعة اجسام صغيرة جدًّا لا يتجاوز حجم الواحد منها رأس الدبوس وهي في الغدة الدرقية ومع صغرها فافرازها الداخلي يحوي مفرزات، تؤَثر في الجهاز العصبي تأثيراً شديداً فاذا نزعت تماماً فقد تحدث اعراض تعرف فنيًّا باسم « تيتاني » وهي ذات بال في كل الاحوال وقد تكون مميتة . وبناءً على ذلك فمحركات البارا ثيرويد كمحركات الغدة الدرقية نفسها تؤَثر في الجهاز العصبي الذي ينقلها اليهِ الدم وان يكن هذا التأثير من نوع آخر

الغدة النخامية

وهناك غدة اخرى تفرز افرازاً داخليًّا وقد استوقفت الانظار كثيراً في السنوات الاخيرة اعني الغدة النخامية وهي صغيرة لا يزيد حجمها على حجم البندقة متصلة بقاعدة الدماغ واكثرها مؤلف من خلايا غددية وقد وجد اكثر الباحثين ان نزعها يسبب الموت في يومين او ثلاثة على الغالب . واذا تضخمت في اثناء مدة نمو الجسم العمومي نما الهيكل العظمي بسببها نموًّا فائق الحد فتكبر القامة جدًّا . واذا تضخمت بعد ان يتم نمو الجسم العمومي فان الاطراف اي الايدي والاقدام وعظام الوجه — تتأثر خصوصاً فلذلك سميت هذه الحالة اكروميجالي (اي كبر الاطراف) . وقد بيَّن طبيب فرنسوي مشهور اسمهُ الدكتور بيير ماري سنة ١٨٨٥ ان هذه الحالة تحدث عند اعتلال الغدة النخامية . وتكون هذه الغدة كبيرة في « الجبابرة » والمصابين بكبر الاطراف . وكبرها ينحصر عموماً في قسم واحد منها اي في الفص المقدم فيستنتج من ذلك ان هذا الفص يفرز محركات تنبه نمو الجسم عموماً والهيكل العظمي خصوصاً . اما باقي الغدة النخامية فيختلف عن الفص المقدم في البناء ولهُ وظيفة اخرى فانهُ يمكن ان يستخرج منهُ محركات تؤَثر في انقباض القلب والشرايين مثل محركات المحفظات التي فوق الكلية ولكن ليس بنفس الطريقة تماماً وما يستخرج منهُ يساعد ايضاً على افراز الكلى للبول والثديين للَّبن وهذه الاعضاء لا تتأثر مباشرة (كاكثر الغدد) بواسطة الجهاز العصبي . ولا ريب انها في الاحوال الطبيعية تُنبَّه الى العمل بمحركات تنشأ في الغدة النخامية وتذهب منها الى الدم

وليس لما ذكر من الغدد التي تفرز افرازاً داخليا على ما نعلم غير وظيفة انتاج مواد كيماوية من هذا النوع للتأثير في اعضاء اخرى ينقلها الدم اليها . ومما يجدر ذكرهُ ان هذه الغدد

كلها صغيرة الحجم جدًّا وليس فيها ما هو اكبر من الجوزة و بعضها يكاد يكون مكرسكو بيًّا. ومع هذا فانها ضرورية لحفظ حياة الجسم على ما يجب وزوال احدها تمامًا بالمرض او بالجراحة يؤدي الى الموت العاجل في اكثر الاحوال

البنكرياس

على ان في الجسم اعضاء تعطي الدم مفرزات داخلية وتقوم في الوقت نفسهِ بوظائف اخرى . ومن احسن الامثلة على ذلك البنكرياس الذي افرازهُ اهم العصارات الهضمية . فهذا العصير — عصير البنكرياس — هو افرازهُ الخارجي وهو يسكب في الامعاء حيث يفعل بالطعام وهو خارج من المعدة على ما هو معلوم منذ زمن طويل . على ان فون مرنغ ومنكوفسكي اكتشفا سنة ١٨٨٩ ان البنكرياس يفرز ايضًا افرازًا داخليًا يحوي محركًا يُنقل منهُ الى الدم فينقلهُ الدم اولاً الى الكبد ثم الى الجسم عمومًا وهذا المحرك ضروري للانتفاع بالكربوهيدراتات في الجسم كما يجب. ومن الامور المعلومة ان كربوهيدراتات الطعام تحوَّل الى سكر العنب وتدور على هذه الصورة في الدم الذي يحوي دائمًا مقدارًا معينًا منهُ . والدم ينقلهُ الى كل خلايا الجسم فتستعملهُ وقودًا . فاذا انقطع افراز البنكرياس الداخلي إما بسبب مرضٍ او بسبب نزعهِ بالطرق الجراحية لم تعد خلايا الجسم تنتفع بالسكر كما يجب فيميل هذا السكر الى التجمع في الدم و يخرج المقدار الزائد منهُ من الدم عن طريق الكليتين مسببًا البول السكري

الاثنا عشري

والبروسكرتين الموجود في الخلايا المبطنة للاثني عشري مثال آخر على افراز داخلي يفرزهُ عضو يقوم بوظائف اخرى وهي جزء كبير من اعمالهِ . ومتى اختلط العصير المعدي الحامض بهذه الخلايا حوَّل بروسكرتينها الى سكرتين وهو محرك يصل الى الدم و يدور معهُ ولهُ تأثير خاص في خلايا البنكرياس التي تفرز افرازًا خارجيًا و يسبب انصباب عصير البنكرياس السريع في الامعاء وفعلهُ هذا شبيه بفعل محركات الغدة النخامية في خلايا الكليتين والثديين وقد اكتشف فعلهُ هذا بايلس وستارلنغ

الافرازات الداخلية التي تفرزها الاعضاء التناسلية

ان الغدد التناسلية هي من وجوه كثيرة احسن الامثلة على اعضاء تفرز — فضلاً عن انتاجها العادي وهو البويضات واللقاح — محركات تجري في الدم وتحدث تغييرات في خلايا

الاقسام البعيدة من الجسم · وبواسطة هذه المحركات تحدث المزايا التناسلية الثانوية كعرف الديك وذنبهِ وعرف الاسد وقرون الايل ولحية الانسان وجوزة عنقهِ ونحو ذلك من المزايا التي يمتاز بها كلٌّ من الذكر والانثى · وتوقُّف هذه الاوصاف الجنسية على حالة نمو الاعضاء التناسلية معروف من قديم الزمان · ولكنهُ كان ينسب عادة الى تأثيرات تحصل بواسطة الجهاز العصبي ولم يتبيَّن الاَّ في السنوات الاخيرة ان هذه التغيرات تحصل بواسطة افرازات داخلية ومحركات تنتقل من الغدد التناسلية الى الدم الذي يدور في الجسم

ماهية المحركات كيماويًّا

لم يمكن استخراج محركات الافرازات الداخلية وعزلها في درجة من النقاوة تكفي لامكان تحليلها الاَّ في حالة او حالتين ولكننا نعلم عنها ما يكفي للدلالة على انها اجسام آلية ليست على جانب كبير من التركيب وهي ابسط جدًّا من البروتيين بل من الانزيم · وكل المحركات التي بُحث فيها قابلة للفصل بالديالسس وتذوب في الماء بسهولة ولكنها لا تذوب في الكحول ولا تتلف بالاغلاء · وقد امكن تركيب نوع واحد منها كيماويًّا وهو محركات عنق المحفظات التي فوق الكلية ومتى زادت معرفتنا لماهية غيرها الكيماوية فالمرجح انهُ لا يصعب تركيبها كيماويًّا ايضاً

فيتضح مما تقدم ان تنظيم الاعضاء بواسطة الجهاز العصبي لا يكفي لبقاء الحياة في حالةطبيعية بل لا بدَّ من تنظيمها كيماويًّا ايضاً · وقد يكون هذان النوعان من التنظيم مستقلين الواحد عن الآخر ولكن الواحد قد يؤثر في الآخر لانهُ يمكننا ان نثبت ان انتاج بعض هذه المحركات على الاقل يحدث بتأثير الجهاز العصبي في حين ان بعض وظائف الجهاز العصبي متوقف على المحركات كما رأينا

معدات كيماوية واقية — توكسين وانتيتوكسين

لا يسمح لي الوقت ان اشير الاَّ بمزيد الايجاز الى ما انشأهُ مجموع الخلايا من الطرق الواقية لحمايتهِ من المرض وخصوصاً الامراض التي تحدثها المكروبات الحلمية وهذه المكروبات من نوع البروتستا ما عدا القليل منها وهي ولا شك اشد اعداء تحتاج ان تقاومها المتزوّى المتعددة الخلايا التي منها كل الحيوانات العليا · وهذه المكروبات هي السبب في كل الامراض التي يمكن ان تصبح وبائية كالبثرة الخبيثة والرندربست في المواشي والكلَب في الكلاب والقطط والجدري والحمى القرمزية والحصبة ومرض النوم في الانسان · وقد اظهر تقدم الطب الحديث ان اعراض هذه الامراض كاختلال التغذية والحرارة والتعب

او التهيج وغير ذلك من الاضطرابات العصبية هي نتيجة سموم كيماوية (توكسين) مضرة بانسجة الجسم توجدها المكروبات · ولكن الانسجة تحاول ابطال تلك النتائج بانتاج مواد كيماوية اخرى تقتل المكروبات او تضاد عملها وتعرف هذه المواد باسم الاجسام المضادة · وهذه الوقاية تتخذ احياناً شكل تغيُّر دقيق في مادة الخلايا الحية يجعلها غير قابلة للتأثر بفعل السم مدة طويلة او دائماً · واحياناً تأكل بعض خلايا الجسم ككريات الدم البيضاء المكروباتِ المغيرةَ وتتلفها بفعل عوامل كيماوية في البروتو بلاسما التي فيها · فلذلك تتوقف نتيجة المرض على نتيجة التنازع بين هذه القوى المتعارضة — المكروبات من جهة وخلايا الجسم من جهة اخرى — وكل فريق يحارب باسلحة كيماوية · فاذا لم تتمكن خلايا الجسم من اتلاف الاجسام المغيّرة فلا ريب ان هذه الاجسام تتلفها مع الوقت لان هذه الحرب عوان لا ترحم · على اننا قد تمكنا لحسن الحظ بمساعدة التجارب في الحيوانات ان نعلم بعض الشيء عن طريقة مهاجمة المكروبات لنا وعن الطرق التي تتخذها خلايا جسمنا لصد الهجمات · وما نعلمهُ من ذلك يستخدم استخداماً واسع النطاق لمساعدتنا في دفاعنا

طبيعة الامراض الحلمية

ولهذا الغرض تستعمل الامصال او الانتيتوكسينات الواقية التي تنشأ في دم حيوانات اخرى لتساعد ما تصنعهُ خلايانا منها · ولا نغالي اذا قلنا ان ما علمناهُ عن ان امراضاً كثيرة تنشأ من المكروبات وعن العوامل الكيماوية التي تحدث اعراضها وتقاومها قد حولت الطب من فن يمارس بالتجربة الى علم حقيقي مبني على الامتحانات العلمية · وقد فتح هذا التحويل مجالاً لا ينتهي مداهُ لما يمكن ان يتم في سبيل شفاء الامراض بل في ما هو اهم من ذلك ايضاً وهو منع حدوثها وقد حصل ذلك في زمن يذكرهُ اكثر الحاضرين هنا · وبالامس في شهر فبراير الماضي كان العالم في حداد على وفاة رجل من اكبر المتفضلين عليهِ — وكان رئيساً لهذا المجمع — الذي بتطبيقهِ هذا العلم على الجراحة كان لهُ الفضل في انقاذ ارواح يزيد عددها على عدد قتلى كل الحروب الدموية التي وقعت في القرن التاسع عشر

الشيخوخة والموت

وقد دار الاخذ والرد في ما اذا كان يحتمل ان تدوم حياة الخلية او حياة مجموع الخلايا الى الابد اذا امكن ازالة اسباب الموت بالطوارئ العارضة · وبعبارة اخرى هل ظواهر الشيخوخة والموت نتيجة طبيعية لازمة من ظواهر وجود الحياة · ولا ريب انهُ يظهر لاكثر الحاضرين هنا ان المسألة لا تحتمل الاخذ والرد ولكن بعض الفسيولوجيين (متشنكوف)

يذهب الى ان حالة الشيخوخة هي نفسها غير طبيعية وان الشيخوخة نوع من المرض او نتيجة مرض ويمكن منعها ولو نظريًّا . ولقد رأينا ان حياة الخلية كحياة كريات الدم البيضاء وحياة خلايا كثير من الانسجة يمكن ان تطال اياماً او اسابيع او اشهراً بعد موت الجسم اذا كانت الاحوال مناسبة . وقد شوهدت احياء من الاحياء المؤلفة من خلية واحدة تقوم بوظائفها طبيعيًّا مدداً طويلة ولا تظهر الانحطاط الذي يصحب الشيخوخة اذا كانت احوال التغذية مناسبة وتنتج بالانقسام احياء اخرى من نوعها فتبقى هذه الاحياء الاخرى حية ايضاً الى الابد على ما يظهر اذا كانت الاحوال موافقة . على انهُ وان كانت هذه الشواهد تدل على ان الحياة قد تمد طويلاً في ابسط اشكال الاحياء من دون ان يطرأ عليها ما يدل على الانحلال الاَّ انها لا تثبت قطعيًّا ان الحياة يمكن ان تطال الى الابد . واكثر الخلايا التي يتألف الجسم منها تضمر وتكف عن القيام بوظائفها على ما يرام بعد ان تنمو وتقوم باعمالها زمناً يتفاوت في الطول والقصر . ومتى نظرنا الى الجسم كلهِ نجد في كل حالة ان حياة المجموع مؤلفة من سلسلة معينة من التغيرات تجتاز ادوار النمو والبلوغ ثم تصل الى الشيخوخة واخيراً تنتهي بالموت . ولا يستثنى من ذلك غير الخلايا التناسلية التي يؤدي بها البلوغ والتلقيح الى تجديد الشباب فتطول حياة البيضة الملقحة بدلاً من الدنو الى الشيخوخة وتنتقل تلك الحياة الى الجسم الجديد الناشىء منها ثم ينشأ في هذا الجسم خلايا تناسلية وبذلك تحفظ حياة النوع . ولا يمكننا القول بان الحياة تدوم الى الابد الا اذا عنينا انها تنتقل من نسل الى آخر على هذا الوجه ولذلك فانهُ انما يمكننا ان نخلد بواسطة نسلنا

متوسط طول العمر وامكان اطالتهِ

ان المدة التي تعمرها افراد كل نوع من الحيوانات لها متوسط على ما يظهر . فبعض الانواع تعيش افرادها بضع ساعات فقط وبعضها تعيش افرادها مئة سنة . ومتوسط العمر في الانسان يزيد على الراجح عن السبعين السنة التي عينها لهُ صاحب المزامير اذا امكننا ان نزيل نتائج الامراض والطوارىء العارضة . واما اذا لم نزل هذه النتائج فان هذا المتوسط يقل كثيراً عن ذلك الحد

نهاية الحياة

لا شك ان التطبيقات الحديثة لمبادىء الطب المنعي والهيجين آخذة في العمل على اطالة متوسط العمر . على انهُ اذا امكن ازالة فعل الامراض تماماً فمن المؤكد ان خلايا جسمنا الثابتة لا بدَّ ان تشيخ وتقف اخيراً عن العمل ومتى حصل ذلك للخلايا اللازمة لحياة

الجسم الحي نتج موت الجسم وسيبقى ذلك هو الناموس العام الذي لا مفرّ منهُ وكل حي رهين البلى

والموت الطبيعي الذي لم يعجله المرض (والموت بالامراض غير طبيعي كالموت بالطوارئ العارضة) يجب ان يكون هادئاً غير موءلم لا يصحبهُ تغير عنيف او على ما قال داستر « ان الحاجة الى الموت يجب ان تظهر في آخر الحياة كما تظهر الحاجة الى النوم في آخر النهار » . ويحصل هذا التغيير تدريجاً بادوار مرتبة متوالية وهو آخر مظاهر الحياة . ولو كنا جميعنا على يقين باننا سنموت موتاً هادئاً لكننا نتوقع حدوث الموت بعد حياة طويلة بلا وجل . واذا جاء زمن عوّد الانسان فيهِ نفسهُ ان ينظر الى هذا التغيير كامر فسيولوجي بسيط وان حدوثهُ امر طبيعي كحدوث النوم رحّب الناس بالموت كما يكرهونهُ الآن . ولا يزال ذلك الزمن بعيداً ولا يكاد يمكننا ان نقول ان فجرهُ قد انبثق ولكن عسى نور العلم يبدد الظلام المتراكم فوق خاتمة الحياة بعد ان عجز عن تبديدهِ انتظار السعادة في الحياة العتيدة



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

اللبن المركَّز

Concentrated Milk

اللبن الغذاء الطبيعي لصغار الانسان والحيوان يغتذي بهِ وحدهُ طفل الانسان حتى يبلغ نحو السنة من العمر . ففيهِ كل العناصر اللازمة لبناء جسمهِ من لحم ودهن وعظم وشعر والعناصر اللازمة لتوليد القوة والحرارة . وهو يغذي الكبار ايضاً ولو كانت عناصرهُ لا تكفيهم

وكما تغتذي بهِ صغار الحيوانات تغتذي بهِ الميكروبات ايضاً سواءٌ كانت من ميكروبات الاختمار او من ميكروبات الامراض . فاذا كُشف للهواء وقعت بزورها فيهِ ونمت بسرعة

وكذا اذا كانت الآنية التي يوضع فيها ملوثة بالجراثيم الحية · فهو اذا تناولهُ الرضيع من ثدي امهِ خير غذاء لهُ ولكن اذا وُضع في اناء وعُرض للهواء مدةً فقد يصير سمًّا ناقعاً

ولا يخفى ان لبن الحيوانات الذي يؤْتى بهِ الى المدن ويسقى منهُ الصغار ويصنع منهُ طعام للكبار يوضع في آنية قلما تكون نظيفة النظافة التامَّة ويعرَّض للهواء حين حلبهِ وحين نقلهِ فتقع فيهِ جراثيم كثيرة بعضها سليم وبعضها ضارٌ · ويمزجهُ باعوهُ بالماء غشًّا منهم وهذا الماء قلّما يكون نقيًّا فيقلل غذاء اللبن من جهة ويمزجهُ بشيءٍ ضار من اخرى ·

ثم ان الغذاء في اللبن قليل بالنسبة الى جرمهِ الكبير لان اكثرهُ ماء وقد لا يكون فيهِ من المواد الجامدة المغذية سوى خمسة او ستة في المئة فكأن الذي يحمل رطلاً من اللبن الى مدينة ليبيعهُ فيها يحمل اليها اوقية من الغذاء ويدفع اجرة نقل رطل · والذي يشتري رطل اللبن يشتري اوقية فقط ويدفع ثمنها واجرة نقل الرطل كلهِ ولهذا يكون اللبن غاليًا في المدن ولو كان رخيصًا في الارياف حيث مراعي المواشي · واذا ربيت المواشي في المدن لتحلب فيها كان علفها غاليًا ووجب ان يحصَّل ثمنهُ من ثمن اللبن فاذا كان في البلاد مراعٍ للمواشي وجب ان لا يكون ثمن رطل اللبن فيها اكثر من مليم واحد اما في المدن فيبلغ خمسة مليمات الى عشرة

وهذه الامور كلها عوائق كبيرة في سبيل استعمال اللبن بكثرة لانها تزيد ثمنهُ وتقلل نفعهُ او تجعلهُ ضارًّا · وقد رأى الشهير باستور وغيرهُ من العلماء انهُ اذا سُخِّن اللبن قُبيل شربهِ الى الدرجة ١٧٠ بميزان فارنهيت فالحرارة تقتل الميكروبات التي تكون قد دخلتهُ من الهواء او من الماء الذي يمزج بهِ غشًّا او من الآنية التي يوضع فيها · واستنبطت طريقة لتسخينهِ وابقاء الحرارة على هذه الدرجة مدة كافية لقتل كل الميكروبات التي تكون فيهِ وسُمّيت معالجتهُ بالحرارة كذلك بالبسترة نسبة الى باستور مستنبطها

الاَّ ان البسترة تزيل ضرراً واحداً وتعرّض اللبن لضرر آخر لانهُ يصير صعب الهضم على نوع ما ولا تزيل العائق الاخير من سبيل استعمالهِ وهو غلاء ثمنهِ بسبب صعوبة نقلهِ بل تزيد ثمنهُ غلاءً بما يُنفق على التسخين · وقد وجدوا ان اللبن المبستر معرَّض لنمو الميكروبات اذا وقعت فيهِ اكثر من اللبن غير المبستر · فاستنبط بعضهم طريقة تكثيف اللبن او تجميدهِ بالاغلاء المستمر · الاَّ ان هذا التكثيف يغيّر خواصهُ فلا يبقى مغذيًا كما كان ويزيل منهُ الطعم الخاص بهِ

وقد استنبط احد الاميركيين طريقة أُخرى وهي تركيز اللبن اي نزع اكثر الماء منهُ

من غير ان تتغير خواصهُ الغذائية وذلك بتسخينهِ الى الدرجة ١٤٠ فقط بميزان فارنهيت واجراء الهواء النقي السخن فيهِ وهو على هذه الدرجة من الحرارة. فالهواء السخن يمتص الماء منهُ ويميت كل ما فيهِ من الميكروبات ويتركهُ كثيفاً سليماً وتبقى فيهِ كل خواصهِ الكيماوية والغذائية فلا يبقى من رطل اللبن سوى ربع رطل . ولكن ربع الرطل هذا يكون فيهِ كل خواص الرطل الاصلي الغذائية

ولا بدَّ من فصل القشدة عن اللبن قبل تركيزهِ وهي تفصل بمصفاة دقيقة جدًّا بقوة التباعد عن المركز ومتى فُصلت رُكّزت وحدها ورُكّز اللبن المخيض وحدهُ ثم مزجا معاً على نسبة ما يكونا في اللبن الجيد فيكون من ذلك مادة شديدة القوام كالدبس الشديد توضع في قناني تُسَدُّ سدًّا محكماً وتختم وتباع . واذا مزجت الملعقة منها بثلاث ملاعق من الماء النقي كان من ذلك لبن كاللبن الطبيعي النقي الجيد في قوامهِ وطعمهِ وتغذيتهِ يطعم منهُ الاطفال او يستعمل في الطعام كما يستعمل اللبن العادي

وقد انشئت المعامل لتركيز اللبن في اميركا في الاماكن التي تكثر فيها المراعي فربيت المواشي فيها وركز لبنها ونقل الى المدن وهو يباع فيها بارخص مما يباع اللبن عادةً لان ما يتوفر من اجرة نقلهِ يزيد كثيراً على ما ينفق على تركيزهِ . وقد امتحنتهُ ادارة اعطاء الامتيازات في اميركا فوجدتهُ اهلاً لان يُعطي اصحابهُ امتيازاً بهِ حتى لا يناظرهم احد في تركيز اللبن بل يبقى لهم ربح كبير من ذلك جزاء لهذا الاكتشاف البديع . وأُلفت لهُ شركة رأس مالها خمسة ملايين جنيه والمظنون ان ربحها في السنة لا يقلُّ عن مليون جنيه لان الولايات المتحدة تستعمل في السنة من اللبن وما يصنع منهُ ما ثمنهُ ٣٠٠ مليون جنيه

ثم ان اللبن المخيض المركّز يمكن ان يزاد تجفيفهُ حتى يجمد تماماً ويسحق حينئذٍ فيصير دقيقاً ناعماً يمزج مع دقيق الحنطة فيكون منهُ خبز كثير الغذاء طيب الطعم خالٍ من كل طعم زنخ لان القشدة تكون مفصولة عنهُ . وقد سمي هذا الدقيق بالنتريوم اي المغذي

وخلاصة ما تقدم انهُ اكتشفت طريقة لنزع اكثر الماء من اللبن ونزع كل ما فيهِ من جراثيم الفساد من غير ان يتغير طعمهُ او تركيبهُ الكيماوي فيصير سهل النقل ونقلُ اجرة نقلهِ فتصير ربع ما كانت او اقل . ثم اذا مزج بثلاثة اضعافهِ من الماء عاد لبناً كاللبن العادي الجيد في طعمهِ وقوامهِ . ويمكن تجفيف المخيض وحدهُ وسحقهُ فيصير منهُ دقيق كثير الغذاء يمزج بدقيق الحنطة او يعجن ويخبز وحدهُ . فعسى ان يستعمل هذا الاكتشاف في مروج سورية حيث تكثر المواشي والمراعي ويكون ثمن اللبن رخيصاً جدًّا

أَغْلي اللبن

جرت مناظرة في جريدة التيمس موضوعها اللبن (الحليب) فذهب البعض الى وجوب اغلائهِ قبل شربهِ وخالفهم آخرون فقالوا ان اغلاء اللبن يحل بعض اجزائهِ النافعة ويذهب ببعض مزاياهُ فكتب الدكتور اريك بريتشارد فصلاً في هذا المعنى نقتطف منهُ الفقرات التالية لما فيها من الفائدة قال :

ليس حل هذه المسألة اي افضلية اغلاء اللبن قبل شربهِ او شربهِ بدون اغلاء من الامور السهلة لانها تتضمن مسائل كثيرة يجب تفكيكها وحل كل منها على حدة . واذا نظرنا الى المسألة من وجه واحد لم يسعنا الاَّ ان نحكم بافضلية اغلائهِ واذا نظرنا اليها من وجه آخر قلنا بعكس ذلك

وقبل ابداء رأيي لا بدلي من توطئة اسهل فيها على القراء فهم بعض المسائل التي ابني حكمي عليها . وساحصر كلامي في وجوه ثلاثة اولاً التغيرات التي تطرأ على اللبن لدى اغلائهِ وثانياً تأثير هذه التغيرات في الهضم وثالثاً ما يترتب على اغلاء اللبن من قتل الميكروبات ومنع العدوى

اللبن مجموع اجزاء من دقائق البروتو بلاسما الحية وان لم تكن هذه الاجزاء حية فعلاً فلا يزال فيها بعض مقومات الحياة . ويحتوي على المقادير اللازمة من المواد الضرورية لتركيب الانسجة الآلية . وقد زعم البعض انهُ كلما قربت هذه الاجزاء او الكسر من الحياة سهل على الآكل تمثيلها و بناء انسجتهِ منها وليس في العلم ما يؤيد هذا الزعم . وكل جسم يبني البروتو بلاسما اللازمة لهُ على طريقة خاصة بهِ واذا صغرت مواد البناء اي الاجزاء سهل عملهُ هذا . وما من طعام يمتصهُ الجسم كما يصل اليهِ بل لا بد من تجزئتهِ وتنعيمهِ بالهضم قبل ان يُبدأ بتركيبهِ ثانية على ما يتطلبهُ الجسم . ولا بد من مواد البناء جميعها ليتم تركيب البروتو بلاسما منها والاَّ بقي العمل ناقصاً واتى البناء معيباً . هذه هي الامور الجوهرية في الغذاء ومنها يتبين انهُ لا بد من تجزئة اللبن وتنعيمهِ قبل ان يمثلهُ الجسم ولا فرق بين ان يجري ذلك التنعيم في المعدة او في القدر

واهم المواد التي يتألف منها اللبن البروتين والادهان والكربوهيدرات وبعض الغازات والرواسب والمتكتلات والخمائر واجرام اخرى غير معروفة تماماً تسمى بالاجرام المضادة للاسكربوط

تأثير الحرارة في اللبن — اذا احمي اللبن الى درجة غليان الماء ظهرت عليهِ الدواية او

القشدة وهي غشاء رقيق يظهر على وجههِ وتنشأ عن جفاف المادة الجبنية وهي من نوع القشرة الخارجية الصلبة في الجبن ويمكن تجنبها باحماء اللبن في اناء مسدود . وتحتوي الدواية على شيء من مادة اللبن الزلالية التي تجمد اذا بلغت الحرارة ١٦٠° فرنهيت ويعلق بها بعض ما تحلّلهُ الحرارة من اجزاء الزبدة . وتطرد الحرارة الحامض الكربونيك المتخلل بين اجزاء اللبن او المتحد بها اتحاداً كيماويًّا ضعيفاً فيولّد بعض الرواسب من املاح الجير والمغنيسيوم . ويحترق سكر اللبن اذا تجاوزت الحرارة ١٦٠° فرنهيت . وفي تحضير اللبن على طريقة باستر لا يسخن عادة الى ما فوق تلك الدرجة . وهذا الاحتراق هو سبب التغير في طعم اللبن المغلي ولونهِ . هذه اهم التغيرات التي تطرأُ على اللبن لدى احمائهِ ولا حاجة بنا الى ذكر التغيرات الاخرى

تأثير هذه التغيرات في الهضم — نعرف بالاختبار ان بعض الذين يرتاحون لاكل اللبن عادة تعافهُ نفوسهم وتشمئز منهُ اذا اغلي وقد يمرضون اذا اكلوهُ . وسبب ذلك افعال نفسية لا تقل اهميتها وتأثيرها في الهضم عن اهمية جنس الطعام وتركيبهِ فعلى الطبيب ان ينتبه لها وهي تكون في الاطفال كما تكون في الشيوخ . ولكن اذا تركنا هذا السبب النفسي جانباً واعتبرنا اللبن نفسهُ فما من احد يشك في ان اغلاءهُ يسهل هضمهُ لان الحرارة تقوم ببعض وظائف الجهاز الهضمي . فاصعب مواد اللبن هضماً المادة الجبنية واللبن يتجبّن ويتكتّل في المعدة كما يتجبّن بفعل الجبنة فتتلبّك المعدة اذا حدث التجبن فجأة فيها . ويُحتاط لذلك باضافة شترات الصودا اليهِ قبل اكلهِ لان هذه المادة تؤخر تجبّنهُ . واذا نزعت منهُ املاح الجير التي تساعد على التجبن والتكتل كانت النتيجة واحدة كما لو اضيفت اليهِ شترات الصودا . ويتم نزع هذه الاملاح باغلائهِ لانها ترسب منهُ عندئذٍ وكلما زاد الغليان زاد رسوبها . واذا اغلي الى ان يتبخّر اكثر مائهِ ويتجمَّد سهل هضمهُ جدًّا ولذلك نقيتُ الاطفال الضعيفي الهضم باللبن المجمد . واحماء اللبن يسهل هضمهُ من وجوه اخرى

ولكن التمثيل واغتذاء الجسم غير الهضم . واغتذاء الجسم يقوم بتركيب اجزاء الطعام الذي نعّم بالهضم تركيباً يلائمهُ . ولا فرق بين اجزاء اللبن المغلي واجزاء اللبن غير المغلي بعد الهضم على ما نعلم . الاّ ان اللبن المغلي تنقصهُ بعض المواد التي لم يسمها العلماء حتى الآن ولكن فلنسمها هنا مضادة الاسكربوط . وهذه المادة تنحل بالغليان الى اجزاء صغيرة لا يقدر الجسم على تركيب المادة الاصلية منها ثانية . وقوة تركيب الاجزاء الصغيرة تختلف باختلاف الاشخاص . فمن الاطفال من تكون فيهم هذه القوة في منتهى الضعف ومنهم من تكون فيهم

قوية تتغلب على كل عقبة تعترض سبيلها . ونقصان الغذاء من قلة المادة المضادة للاسكربوط ينتهي بهذا المرض الذي يصيب الاطفال الذين تنمو اجسامهم وتحتاج الى كثير من تلك المادة وقلما يصيب البالغين الذين لا يلزم لاجسامهم الاَّ ما يعوّض عن المادة المندثرة بالعمل . ويشفى الاسكربوط باضافة بعض المواد التي تحتوي على المادة المضادة لهُ كعصير البرتقال والعنب الى طعام المريض

ولا حاجة بنا ان نأتي بالبراهين على ان اغلاء اللبن لا يضر بقوة الاغتذاء في جسم الطفل او الحيوان الصغير الذي يقتات بهِ . ففي باريس ونيويورك وبرلين ولندن الوف من الاطفال الذين يربّون على اللبن المغلي بدون اضافة المواد المضادة للاسكربوط اليهِ ومعدل الوفيات بينهم لا يزيد عما كان قبل ان شاعت عادة اغلاء اللبن . ومعدل الوفيات في ماريلبور احد احياء لندن نقص مئة في المئة عما كان من مضي اثنتي عشرة سنة واصبح من اقل المعدلات في لندن والناس في ماريلبورن يغلون اللبن ولم يكن الاَّ القليلون منهم يفعلون ذلك من مضي ثماني عشرة سنة . فان كان اللبن المغلي لا ينقصهُ الاَّ المواد المضادة للاسكربوط فلماذا نكلف انفسنا العناء الكثير لكي نحصل على اللبن جديداً ولماذا لا يجمَّد او يركَّز في المقاطعات التي تصدره ُثم يشحن منها في علب تكفل نظافتهُ وسلامتهُ . وقد كنتُ اعارض في اطعام الاطفال الاطعمة التي نسميها ميتة اما الآن فقد ثبت لي من اختباراتي واختبارات الدكتور نايش في شفيلد انها تأتي باحسن النتائج التي ياتي بها اللبن الجديد المغلي . ومن باب الاحتياط اللازم ان يضاف الى اللبن المجمّد واللبن الجديد المغلي بعض المواد المضادة للاسكربوط . وبعد اتخاذ هذا الاحتياط في تغذية الاطفال في الاحياء القذرة المزدحمة في المدن رأيت النتائج افضل من نتائج كل الوسائل التي استعملتها قبل ذلك . فما يمنعنا اذن من ان نقتصد في طريقة توزيع اللبن بتجميدهِ في المقاطعات التي يخرج منها . ان السبب الوحيد في ذلك هو العادة والذوق « ولا جدال في الذوق » . ومن الغريب ان اميركا التي بذلت الالوف من الجنيهات في سبيل تنظيف اللبن ووقايتهِ من الشوائب والاوساخ شاع فيها اغلاء اللبن حتى ان اكبر الدعاة الى مراقبة اللبن ووجوب اثبات نقاوتهِ قبل عرضهِ للبيع يغلون لبنهم في الوقت الحاضر

موت الميكروبات بالحرارة — ولا خلاف في ان اللبن الجديد النظيف افضل من غيرهِ وما من احد يعتقد ان اغلاء اللبن الفاسد يصيّرهُ صالحاً للاكل . ولكن الخطر من تلوث اللبن بميكروبات الامراض كباشلس السل وميكروبات التعفن والانحلال كبير حتى

ان جميع اصحاب الخبرة في اميركا يقولون بوجوب اغلائهِ قبل تغذية الاطفال بهِ مهما بولغ ودقق في امتحانهِ والمحافظة عليهِ قبل ذلك

ومهما اعتني بلبن البقر لا يقلّ عدد الميكروبات في السنتيمتر المكعب منهُ عن ٥٠٠٠ الاَّ نادراً وهذا القدر هو مقياس نقاوتهِ في اميركا والقدر الذي تقاس بهِ نقاوة اللبن عند امتحانهِ هو ١٠٠٠٠٠ ميكروب في السنتيمتر المكعب . وفي اللبن الذي نشتريهِ عادة في لندن ما لا يقل عن ٣٣٧٠٠٠٠ في كل سنتيمتر مكعب الاَّ اذا أُغلي او أُضيفت اليهِ بعض المواد القاتلة للميكروبات وقد يرتفع ذلك العدد الى ٩٠٠٠٠٠٠ في فصل الحر

واكثر الميكروبات التي تعيش في اللبن لا تضر ولا تنفع ولكن قد يكون فيهِ ميكروبات مرضية مضرة . وما من لبن يمكن ان يكفل على انهُ خالٍ من ميكروب السل . وعلى ما اعلم ان ١١ في المئة من اللبن الذي يمخن توجد فيهِ ميكروبات هذا الداء . فان كان في السل البقري خطر على صحة الانسان فهذا سبب كافٍ لوجوب اغلاء اللبن الى ان يموت ذلك الميكروب

واكثر الميكروبات في اللبن من الانواع الروبية اي التي تروّبهُ او تجعلهُ حامضاً . وهذه الانواع تنمو فيهِ وتمنع نمو الميكروبات الاخرى كالتي تفسدهُ مثلاً ويمكن ان تفنيهِ بآكلهِ . ولكن الميكروبات المضرة اشد صبراً على الحرارة من الميكروبات الروبية النافعة فاذا لم يحمَ اللبن الى الدرجة اللازمة ماتت الميكروبات النافعة وبقيت الضارة وهذا مما يستشهد بهِ على افضلية الامتناع عن اغلاء اللبن اما الدرجة التي تميت كل الميكروبات فهي ٦٢ بميزان سنتغراد (١٤٤ بميزان فارنهيت) اذا دامت عشر دقائق

اما درجة الحرارة التي يموت فيها ميكروب السل فلم تعلم بالتحقيق انما يعلم انهُ يموت عند الدرجة ١٧٠ بميزان فارنهيت اذا دامت الحرارة ١٠ دقائق او في درجة غليان الماء دقيقة واحدة

فالاعتراض على تحضير اللبن على طريقة باستور هو ان بعض الانواع التي تحل اللبن وتفسدهُ تبقى حية ولو ماتت الانواع الاخرى وقد تسبب تسمّماً وانحرافات في الامعاء ؛ واوجه اعتراض على اغلاء اللبن هو ان طعمهُ ورائحتهُ يتغيران فتعافهُ نفوس بعض الذين لم يعتادوا شربهُ مغليًّا . واللبن المغلي افضل من جهة الهضم ولكن تنقصهُ المواد المضادة للاسكربوط ويمكن ملافاة هذا النقص باعطاء الطفل شيئًا من عصير الاثمار . اما بعد عهد الطفولية فلا يترتب عليهِ ضرر لان طعام الولد يتنوع . اما خسارة اللبن لبعض المواد بالاغلاء كالمتكتلات والمواد الواقية وغيرها مما يحتمل وجودهُ فيهِ قبل اغلائهِ فليس سبباً كافياً للاقلاع عنهُ . ونعلم بالاختبار ان الكبار يعيشون بدونها وان الصغار لا يتضررون من نقصها الاَّ نادراً ، انتهى

فوائد منزلية

دهان البلادونا

يصنع من ثمانية اجزاء من الشحم وجزء من خلاصة البلادونا (المرأة الحسنة) و يستعمل لتخفيف الالم في داء المفاصل والخراريج

دهان الرصاص المركب

يصنع من ٦ اجزاء من الطباشير المستحضر و ٦ من الحامض الخليك المخفف و ٣٦ من الاسفيداج و ١٨ من زيت الزيتون يمزج الاسفيداج بالزيت على نار معتدلة و يضاف الطباشير اليهِ ثم الحامض و يترك المزيج حتى يبرد وهو يستعمل لتسكين ألم القروح الملتهبة

دهان يوديد الرصاص

يصنع بمزج جزء من يوديد الرصاص بثمانية اجزاء من الشحم ويستعمل لتسكين الم المفاصل الملتهبة والغدد الخنازيرية

دهان يوديد الزيبق

يصنع بصهر جزأين من الشمع الابيض و٦ اجزاء من الشحم معًا و يمزج ذلك بجزء من يوديد الزيبق وهو يستعمل للقروح الخنازيرية

دهان يوديد الكبريت

يصنع بمزج جزء من يوديد الكبريت الناعم بستة عشر جزءًا من الشحم ويستعمل دواء للجرب ونحوهِ من الافات الجلدية

ازالة الملوحة من المرق

اذا زادت ملوحة مرق اللحم عَرَضًا او اذا سُلق فيهِ لحم مملَّح واردت ازالة الملوحة منهُ فالقِ فيهِ جزرتين مسلوقتين واتركهُ حتى يبرد فالجزرتان تمتصان اكثر الملوحة

الغسل بالبطاطس

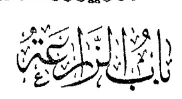
اذا اسودت اليدان من مسك انية سودتها النار سهل تنظيفهما بفركهما حينئذٍ بالبطاطس المسلوق ثم غسلهما بالماء السخن

اصلاح الزبدة الفاسدة

اذا فسدت الزبدة بطول المدة فاذبها واكشط القشدة عنها ثم ضع فيها كسرة خبز محمّسة فبعد بضع دقائق تعود الزبدة صالحة

تنقية هواء غرفة المريض

اذا تعذَّر عليك فتح الكوى في غرفة المريض لتهويتها فضع فيها اناء واسعاً فيه ماء نقي . وغيّر الماء مرتين او ثلاثاً في اليوم فيصلح هواء الغرفة بذلك



اهمية الميكروبات في الزراعة

تتوقف جودة التربة على اركان عديدة اهمها خمسة وهي الغذاء والماء والحرارة ووصول الهواء الى الجذور وعدم وجود المواد والعوامل المضرة . وكل من هذه الاركان ضروري لحياة النبات واذا نقص احدها تعطَّل نموهُ

ومن مواد الغذاء الضرورية للنبات مركبات النيتروجين . والنبات ينتفع بالنيترانات اكثر مما ينتفع بغيرها من هذه المركبات . ويتلوها في الاهمية املاح النشادر . ولدينا من الادلة ما يؤكد لنا ان النبات لا ينتفع بالمركبات الكثيرة التراكيب من النيتروجين كالبروتين والببتون حتى ولو كانت تذوب في الماء . واكثر مركبات النشادر في الارض من الانواع الكثيرة التركيب التي لا تذوب في الماء ولكنها تنحل ببطء فتتأكسد الامونيا الناتجة من انحلالها ويتكون من تأكسدها النيترانات

ومن المعلوم ان النبات يزداد نموًّا اذا سمّدت تربتهُ بالنيترانات وتوفرت لهُ اسباب النمو الاخرى اي ان التربة تصبح اجود اذا زدنا كمية النيترات فيها . ولزيادة النيترات واملاح النشادر طريقتان تقوم الاولى باضافة هذه المواد نفسها الى التربة او باضافة مواد اخرى تنحل فتنشأ عنها هذه الاملاح وتقوم الثانية بزيادة تولد الامونيا في التربة

وتتولّد الامونيا في الاكثر بفعل الميكروبات وعليهِ فاذا وفّرت لها اسباب الحياة كثرت وزاد عملها فازداد بذلك تولّد الامونيا وجادت التربة . ويُتذرَّع الى تكثير الميكروبات التي تولّد الامونيا بقتل اعدائها ويعبَّر عن ذلك بتعقيم التربة تعقيماً غير تام . وازدياد الامونيا ملازم لازدياد الميكروبات بحيث لا يبقى مجال للشك في ان الاول نتيجة الثاني

وحتى الآن لم يتمكن احد من تعقيم التراب تعقيماً كاملاً مع ابقائهِ على حالهِ لكي نعلم تأثير

ذلك في النبات · وجل ما يُعرف انهُ اذا أُحمي التراب كثيراً الى درجة ١٧٠ بميزان سنتيكراد مثلاً صار اصلح من التراب غير المحمى لنمو النبات · ولا يخفى ان التراب اذا وصل الى تلك الدرجة من الحرارة انحلت بعض اجزائهِ وكثرت فيهِ مركبات النيتروجين البسيطة لقابلة للذوبان في الماء فتكون كثرة هذه المركبات السبب في ازدياد نمو النبات على رأي المستر رسل لا نقاوة التراب من الميكروبات · والشيء الضروري للنبات انما هو هذه المركبات النيتروجينية ولا فرق بين أن تتولَّد بفعل الميكروبات أو بعامل آخر غيرها

القطن المصري في جزائر الهند الغربية

جاء في مجلة جزائر الهند الغربية الزراعية ان زراعة القطن المصري المعروف بالسكاربدس جربت في قطعتين من الارض في منتسرَّات من جزائر الهند الغربية في العام الماضي فظهر النبات اولاً طويلاً دقيقاً ولما نما كان مثل قطن السي ايلند في اوراقهِ وازهارهِ وامتاز باتساع حرجهِ · ولما فتح جوزهُ ظهر انهُ اقرب الى القطن الاميركي المعروف بالابلند منهُ الى السي ايلند · وبلغ المحصول من القطعة الاولى بمعدل ١٤٧٥ رطلاً للفدان اي اربعة قناطير و ٢١٥ رطلاً · ومن القطعة الثانية بمعدل ٩٣٠ رطلاً او نحو ثلاثة قناطير · وكان طول شعرة هذا القطن نحو عقدة ونصف ومتوسط التصافي ٩٤ ونصف واهم مميزاتهِ متانتهُ فانها كثيرة جدًّا والشعر غير المتين الذي يُطرح وقت مشطهِ اقل من ١٢ في المئة فهو اقل جدًّا مما هو في قطن السي ايلند ولكن لونهُ مثل لون السي ايلند تماماً

وممَّا يدهش في هذه التجربة ان متوسط محصول الفدان من قطن السي ايلند في جزائر الهند الغربية من قنطار وربع الى قنطار وثلاثة ارباع فقط ومتوسط خمس سنوات قنطار ونصف فاذا بلغ فيها محصول الفدان من القطن المصري ثلاثة قناطير الى خمسة فلا بدَّ من ان تعتمد عليهِ في المستقبل لاسيما وان تصافي القطن المصري تزيد كثيراً على تصافي القطن الاميركي فبينما نرى تصافي القطن المصري من ١٠٠ الى ١٠٧ نجد تصافي القطن السي ايلند ٨٠ رطلاً او اقل

المناظرة في زرع القطن

وردت الاخبار من بلاد الانكليز ان الحكومة الانكليزية وافقت على قرض حكومة السودان ثلاثة ملايين من الجنيهات لتنفق على اصلاح الزراعة فيهِ وتوسيع نطاقها · والغرض

الاكبر من ذلك توسيع زراعة القطن في السودان حتى لا تبقى معامل انكلترا مقيدة بما يأتيها من القطن الاميركي لان الاميركيين عازمون على تكثير معاملهم وتوسيعها حتى تغزل وتنسج كل القطن الاميركي او اكثره · فاهتم سكان القطر المصري بهذا الخبر وخاف بعضهم من مناظرة السودان لهم في زرع القطن · اما نحن فيظهر لنا انهُ لا خوف من هذه المناظرة على الاطلاق للاسباب التالية

فاولاً ان الحاجة الى القطن كبيرة جدًّا حتى اذا زاد المحصول مليون قنطار او مليونين او ثلاثة تناولتها المقطوعية كلها بدليل ان موسم القطر المصري يزيد او ينقص من سنة الى اخرى اكثر من مليون قنطار وموسم اميركا يزيد او ينقص اكثر من مليون بالة اي خمسة ملايين من القناطير

وثانياً ان زراعة القطن تقتضي عمالاً كثيرين فهي ليست مثل زراعة الحنطة التي يمكن ان تتم كلها بآلات تحرث الارض وتزرعها وتحصدها وتدرسها وتذريها · بل لا بدَّ فيها من يد العامل للتخطيط والزرع والعزق والري والجمع · فاذا اريد زرع مليون فدان فلا بدَّ لها من مليون عامل على الاقل او مليون عائلة · وليس في السودان اكثر من نصف مليون عائلة فاذا فرضنا ان كل اراضيهِ صالحة لزرع القطن وان كل سكانهِ يعرفون كيف يزرعون القطن ويخدمونهُ وان كل اراضيهِ صارت تروى ريًّا صيفيًّا فلا يحتمل ان يزرع فيهِ اكثر من نصف مليون فدان ينتج منها مليونا قنطار على اوسع تقدير وهي لا تؤَثر تأثيراً يذكر في مقطوعية القطن وسعرهِ لاسيما وان ذلك لا يمكن ان يتم الاَّ بعد سنوات كثيرة

وثالثاً ان زرع القطن وخدمتهُ والنجاح في ذلك ليست من الامور السهلة فاهالي الوجه القبلي في القطر المصري لا يحسنون زرعهُ كاهالي الوجه البحري مع انهم متجاورون · وفلاَّحان في حوض واحد لا يتقنان زرعهُ على حدٍّ سوى · وهذا شأن كل الاعمال التي يعتمد فيها على يدي الانسان فان اتقانها والمهارة فيها من الامور الشخصية

ورابعاً ان نبات القطن معرَّض لآفات كثيرة ولاسيما في البلاد التي يزرع فيها جديداً ولما كانت نفقات زرعهِ كبيرة فتلفهُ بالآفات ينهك قوى المزارعين فلا يجوز التوسع في زراعتهِ الاَّ بالحذر التام

ولذلك كلهِ نرى ان البلدان التي حاول الانكليز زرع القطن فيها كجزائر الهند الغربية لم تتسع زراعتهُ فيها الاَّ قليلاً فقد كان محصول ما زرع منهُ في جزيرة سنت فنسنت ١٢٦٢ قنطاراً سنة ١٩٠٥ و٢٦٣٠ قنطاراً سنة ١٩٠٦ و٤٢٧٨ قنطاراً سنة ١٩٠٧ و٤٥٩٣

قنطاراً سنة ١٩٠٨ و ٣٩٤٦ قنطاراً سنة ١٩٠٩ و ٤٥٠٣ قنطاراً سنة ١٩١٠ فالمقدار قليل والزيادة طفيفة تافهة مع اهتمام الحكومة الشديد بكل ما ينشط زراعتهُ هناك . واكبر الاسباب لقلة النجاح ولقلَّة التوسُّع في زراعة القطن قلَّة العمال . وما قيل عن جزيرة سنت فنسنت يقال عن غيرها من جزائر الهند الغربية فان متوسط المحصول السنوي من زراعتهِ في بربادوز في السنوات الخمس الماضية من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩١١ كان ٤٥٢٩٨ قنطاراً بلغ ثمنها وثمن بزرتها ٣١٠٥٣٧ جنيهاً . فاذا زاد محصول القطن المصري واحداً في المئة فزيادتهُ تفوق موسم تلك الجزائر

المواشي المصرية الصالحة للتسمين

قال المستر مكول في كتاب الزراعة المصرية انهُ مضى على المواشي المصرية زمن طويل وهي تستخدم في الاعمال الزراعية اكثر ممَّا مضى على غيرها في سائر البلدان ولذلك لا ينتظر اننا نزيد مقدرتها على العمل اذا مزجنا دمها بدم مواشي اخرى من بلدان اخرى . واذا اريد تربيتها للذبح فمواشي بعض البلدان تفوقها في مقدار اللحم ويحسن تجنيسها بها لهذه الغاية ولكن يخشى حينئذٍ من ان تكتسب صفة كثرة اللحم وتخسر صفة المقدرة على العمل الشاق فلا بد من الاعتناء التام في اختيار المواشي التي تجنَّس بها لكي تكسب ما يراد كسبهُ ولا تخسر ما تخشى خسارتهُ

ومنذ بضع سنوات جلبت المدرسة الزراعية في الجيزة من مواشي ابردين السوداء الجماء وجنَّست بها بعض المواشي المصرية فجاء النتاج وفيهِ الصفات التالية

اولاً جاء لونهُ اسود مثل لون مواشي ابردين (ابردين انغُس)

ثانياً جاء اجم اي لا قرون لهُ مثل بقر ابردين

ثالثاً لم تأتِ عنقهُ وكتفاهُ قوية كالمواشي المصرية وقوة عنقها وكتفها تجعلها اصلح من غيرها لاعمال الزراعة

رابعاً زاد انخفاض الظهر وهذا الانخفاض من الامور التي تضعف المواشي المصرية

خامساً لم يزد مقدار اللبن او نقص

سادساً نقصت الصفات اللازمة للعمل ولكن زاد الميل الى السمن

ودلَّت هذه التجارب على ان صفات مواشي ابردين ارسخ من صفات المواشي المصرية وان الصفات اللازمة للعمل نقصت بهذا التجنيس ولم تزد لان مواشي ابردين تمتاز بسمنها لا بعملها

اما الصفات اللازمة للمواشي لتكون صالحة لاعمال الزراعة فقد ذكرناها في الجزء الماضي . واما الصفات اللازمة لتسمين المواشي او ليكون من ذبحها ربح للذين يربونها فهي ان تكون اولاً سليمة من كل آفة لانهُ لا فائدة من تسمين العجل او الثور اذا لم يكن سليماً من كل مرض . فان علف المواشي غالي الثمن فلا يكون منهُ ربح اذا عُلّف بهِ حيوان مريض لا يسمن . واذا كان الحيوان مريضاً فالاربح لك ان تبيعهُ هزيلاً من ان تحاول تسمينهُ

والعجل الصالح لأن يُسمَّن يكون جسمهُ شبيهاً بشكل مستطيل متوازي الاضلاع قائم الزوايا وكل عجل يخالف شكلهُ هذا الشكل لا يصلح تسمينهُ . والعجل الدقيق العظام اصلح للتسمين من العجل الثخين العظام . وعجول الوجه القبلي اصلح للتسمين من عجول الوجه البحري لان عظام الاولى ادق من عظام الثانية

والصفات التي تجعل العجل غير صالح للتسمين هي

اولاً عدم انتظام شكلهِ

ثانياً انخفاض ظهرهِ او كونهُ دقيقاً من الاعلى حتى يظهر شكلهُ كالاسفين

ثالثاً كبر اطرافهِ وكونها ثقيلة مستديرة

رابعاً طول رقبتهِ ودقتها وكبر رأسهِ او ضيقهُ

خامساً تشوه فمهِ

سادساً ضيق منخريهِ الدال على ضعف رئتيهِ

سابعاً استواء اضلاعهِ وتقوس ظهرهِ

ثامناً التجوف الكثير في حقويهِ

صادرات القطن

يظهر من مقدار القطن الذي وصل الى الاسكندرية حتى آخر يناير ان موسم هذا العام لا يقل عن موسم سنة ١٩١٠ بل قد يزيد عليهِ هذا اذا لم يكن المزارعون قد عجلوا في بيع اقطانهم الآن اكثر مما عجّلوا منذ سنتين فقد بلغت الواردات الى الاسكندرية والصادرات منها حتى آخر يناير ما تراهُ في الجدول التالي وقد ذكرنا واردات هذا الموسم وصادراتهِ وواردات الموسم السابق والذي قبلهُ وصادراتهما

	من الموسم الحاضر	الموسم السابق	الموسم الذي قبلهُ
الواردات	٦ ٧٩٨ ٠٤٨	٥ ٧٩٨ ٧٥٢	٦ ٦٠٩ ٩١٧
الصادر منها الى انكلترا	٢ ٤٣٢ ٠٨٧	٢ ١٥٠ ٧٠٠	٢ ٣٨٦ ٣٧٤
« « سائر اوربا	١ ٦٥٤ ٧٢٠	١ ٤٨٦ ١٣٧	١ ٧٩٨ ٠٤٨
« الى اميركا	٦٠٤ ١٣٩	٣١٦ ٧٥٩	٦٠٢ ٧٥٤
جملة الصادر	٤ ٦٩٠ ٩٤٦	٣ ٩٥٣ ٥٩٦	٤ ٧٨٧ ١٧٦
الباقي في الاسكندرية	٢٠٤٥٧ ١٠٢	٢ ١٦٠ ٦٨٠	٢ ١٠٥ ٠٤١

واذا ثبت ان موسم اميركا لا يزيد على ١٣ مليونًا ونصف مليون من البالات فسيزيد الطلب على القطن المصري رويدًا رويدًا حتى يستنزف الموسم كلهُ ولا يبقى في الاسكندرية في آخر اغسطس المقبل الاَّ كما كان فيها في آخر اغسطس الماضي



كتاب الامير

تأليف نقولا مكيافلي

لمكيافلي مذهب سياسي مشهور عند اهالي اوربا مبنيٌّ على ان الغاية تبرر الواسطة. وكتاب الامير اشهر كتبهِ وقد بسط فيهِ مذهبهُ هذا فقال «ان الاساس المتين في حكم البلاد الحرَّة بعد فتحها هو تخريبها وتدميرها فان لم يهلكها الفاتح اهلكتهُ» وقال «اذا كانت البلاد جمهورية فتخريبها خير وسيلة لامتلاكها»

وقال في مدح قيصر بورجيا بن البابا اسكندر السادس انهُ «كان يخشى ان ينقلب خليفة البابا عليهِ بعد موتهِ فاتخذ لاتقاء هذا الخطر اربع وسائل الاولى اهلاكهُ سائر فروع الاسر المالكة التي اغتال عروشها ليسد الباب في وجه البابا اذا اراد ترشيح احدها الى عرش آبائهِ. الثانية اكتساب مودة نبلاء رومة ليتمكن بصداقتهم من ارهاب البابا. الثالثة حصولهُ على ما استطاع من النفوذ على القسيسين. الرابعة الوصول في حياة البابا والدهِ الى درجة من البطش تمكنهُ من مقابلة الصدمة الاولى بمفردهِ ومقاومتها جهدهُ. وقد اتمَّ ثلاث وسائل

من تلك الاربع قبل موت البابا والده واوشك ان يتم الرابعة لانهُ قضى على مَن طالتهُ يدهُ من الامراء المخاوعة وقليل منهم فرّ من يده واكتسب رضى اشراف الرومان وكان لهُ في الكلية الدينية نفوذ عظيم » . ثم قال بعيد ذلك ان اعمال قيصر بورجيا « ينبغي ان تكون نبراساً لمن يصلون الى الملك بالحظ او بالاعتماد على قوة الغير لانهُ كان ذا نفس كبيرة ومقصد سامٍ ولم يكن يستطيع ان يسلك في الحكم سبيلاً سوى الذي سلك . . فمن يريد في مُلك جديد ان يتقي الاعادي ويكسب مودة الاصدقاء ويقهر بالقوة او الخديعة ويحبب نفسهُ للشعب ويلقي في فؤاد الناس رهبة ويطيعهُ الجند ويتبعهُ وان يهلك من يستطيعون ايذاءهُ وان يدخل الاصلاح في العادات والرسوم القديمة وان يكون قويًا تارةً وشفيقاً طوراً وان يكون عظيماً وكريماً قديراً على فناء جيش قديم وخلق جيش جديد وان يحافظ على ود الملوك والامراء بحيث يفرحهم ان ينفعوهُ ويخيفهم ان يؤذوهُ من يريد ذلك كلهُ فعليهِ ان يتبع اعمال الدوق ويقلدهُ »

وقال في الفصل الثامن « ان الفاتح الجديد ينبغي لهُ في اول امرهِ ان يقترف ما اراد من صنوف القسوة مرة واحدة بحيث لا يحتاج الى العودة اليها مراراً »

وقال في الفصل الرابع عشر « لا ينبغي للامير ان يكون لهُ مقصد او فكر او يعني بدرس امر سوى الحرب ونظامها وترتيبها لانها الصنعة الوحيدة الضرورية للذي يأمر وينهى » وقال في الفصل الخامس عشر « يجب على الامير ان لا يخشى عار المعايب التي يصعب عليهِ بدونها الاحتفاظ بالملك » وقال في الفصل الثامن عشر « لا يخفى على احد ما يلحق الامراء من الثناء اذا اشتهروا بحفظ الوعود ومراعاة العهود ولكن تجارب زماننا هذا دلّت على ان الامراء الذين لم يراعوا العهود قاموا باعمال كبيرة وتمكنوا من تحيير اوهام الناس بمكرهم وتغلبوا في نهاية الامر على الامراء الذين اتخذوا الامانة عادة والوفاء اساساً لحياتهم »

هذا مذهب مكياڤلي السياسي وهو اول باحث اوربي بعد ارسطوطاليس بحث عن قواعد السياسة بحثاً علميًّا مبنيًا على الاستقراء لكنّ استقراءهُ ناقص جدًّا لا يصحّ بناء الاحكام عليهِ وهو نفسهُ كان يجب ان يرى ان الامراء الذين نجحوا بالمكر والخداع والقسوة مثل قيصر بورجيا لم ينشئوا مملكة وطيدة الاركان ولا طال ملكهم

وليس الكتاب كلهُ على هذا النسق بل فيهِ حسنات كثيرة تربو على السيئات وقد عرّبهُ حضرة المنشئ المجيد محمد افندي لطفي جمعه ويقيننا انهُ احتفظ بكل معاني المؤلف ولكننا نأسف على الوقت الذي اضاعهُ في تعريبهِ لان ما فيهِ من حَسَن معروف مشهور او مبتذل

وما فيهِ من قبيح مؤيد بامثلة تغوي اهل السلطة وتحبب اليهم العمل بهِ ونحن في حاجة شديدة الى مَن يعلّم اهل السلطة منا انهم خدَّام للرعية مستأجرون بمالها ويجب عليهم ان يبذلوا قواهم كلها في خدمتها بالصدق والامانة والاستقامة لا مَن يعلمهم ان الاساس المتين في حكم البلاد الحرَّة بعد فتحها هو تخريبها وتدميرها · وعندنا ان شر الملوك والامراء والولاة والحكام هم الذين يجرون على سياسة مكيافلي هذه

KITAB AL-ANSAB

Reproduced in facsimile from the Manuscript in the British Museum.
With an introduction by Prof. D. S. Margoliouth, D. Litt.

كتاب الانساب للسمعاني

نُقل بالفوتوغرافيا عن نسخة خطية في المتحف البريطاني واعتنى بنقلهِ الاستاذ مرغوليوث استاذ العربية في جامعة اكسفرد وطُبع على نفقة تذكار جب

وقد قدَّم لهُ الاستاذ مرغوليوث مقدمة انكليزية وجيزة ذكر فيها المراد بالانساب واشتهار بعض المؤلفين بانسابهم كالبخاري والترمذي والنسائي حتى دعت الحال الى تعريف الرجال بانسابهم · وكتاب الانساب هذا وضعهُ السمعاني في اواسط القرن السادس الهجري · ثم ذكر الاستاذ مرغوليوث نسب السمعاني وترجمتهُ والكتب المنسوبة اليهِ

والكتاب كبير الحجم جدًّا فيهِ اكثر من الف وستمائة صفحة وهو مطبوع على ورق من اجود انواع الورق طبعاً جليًّا جدًّا منطبقاً على الاصل الذي نُقل عنهُ بالفوتوغرافيا · فمن يراهُ كمن يرى النسخة الاصلية التي نُقل عنها · والظاهر انهُ تعاقب على كتابتهِ اكثر من خطاط واحد فان بعضهُ مكتوب بالقلم النسخي وبعضهُ بالقلم الفارسي وبعضهُ بقلم يشبه الرقعة · والاعلام في بعضهِ مكتوبة بحرف غليظ قليلاً او كثيراً حتى تمتاز عن سائر الكتاب وفي البعض الآخر بحرف ما يليها فلا تمتاز عنهُ · لكن المستر السعاون الاستاذ مرغوليوث فوضع دوائر صغيرة تجاه كل سطر تبتدئ فيهِ ترجمة رجل من المترجمين

ويظهر لنا ان خط هذا الكتاب حديث لا فائدة علمية من الاحتفاظ بهِ كما لو كان قديماً من القرن الثالث او الرابع او الخامس · فنشرهُ بالصورة التي وجد فيها في المتحف البريطاني يغني سائر المكاتب عن استنساخهِ ولكنهُ يتعب الباحث في انساب مشاهير العرب لان مطالعتهُ ليست سهلة كمطالعة الكتب المطبوعة · وحبذا لو تفضلت الحكومة المصرية وطبعتهُ ثانية

على نفقتها في المطبعة الاهلية بحروف الطباعة حتى يعم نفعهُ قراء العربية

هذا واننا نقدم الشكر الجزيل الى حضرة الاستاذ مرغوليوث على هذه التحفة النفيسة ولامناء تذكار جب الذين افادوا ابناء العربية بما نشروهُ لهم من الكتب الثمينة

HISTORY OF DAMASCUS
363 – 555 a. h.
by IBN AL-QALANISI
Edited with Extracts from other histories, and Summary of contents
by H. F. AMEDROZ

ذيل تاريخ دمشق

لابي يعلى حمزة ابن القلانسي

ونتلوهُ نخب من تواريخ ابن الازرق الفارقي وسبط ابن الجوزي والحافظ الذهبي

ان من يضطرهُ سوء طالعهِ الى مطالعة الكتب التاريخية التي طبعت في المطابع المصرية بحروفها القديمة وطبعها السقيم كابن الاثير وابن خلكان ثم يطلع على ذيل تاريخ دمشق هذا يود ان يعاد طبع تلك الكتب كلها في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت او ما يماثلها من المطابع المصرية الحديثة كمطبعة المقتطف

و يبتدئ هذا التاريخ سنة ٣٦٣ للهجرة و ينتهي سنة ٥٥٥ فيشمل حوادث مئتي سنة تقريباً . ومدارهُ على حوادث دمشق و بلاد الشام عموماً في هذه المدة مع الاشارة الى حوادث بغداد ومصر وهو منقول عن نسخة خطية في مكتبة جامعة اكسفرد كتبت سنة ٦٢٩ و يرجح انها وحيدة لا ثاني لها ولكن ينقصها ١١ ورقة من الاول وقد طبع في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت

وسنعود الى هذا التاريخ ونقتطف بعض فوائدهِ ونتحف قراء المقتطف بها

KITAB AL-WUZARA, BY HILAL AL-SABI

تاريخ الوزراء

تأليف ابي الحسن الهلال بن المحسن بن ابرهيم الصابي

هذا الكتاب ايضاً مما طبعهُ المستر امدروز في المطبعة اليسوعية ببيروت وهو كما يدل اسمهُ تاريخ لنوادر الوزراء بدأهُ مؤلفهُ بابن الفرات وختمهُ بابن سودمند الذي تولى الوزراة سنة

٣٩٤ . والكتاب كثير الحشو يتيهُ فيهِ مَن يطالعهُ لكن المستر امدروز لخصهُ بالانكليزية في نحو اربعين صفحة

تاريخ الخلفاء

هو تاريخ مختصر للخلفاء الراشدين والامويين في دمشق والاندلس والعباسيين في بغداد والقاهرة والفاطميين والعثمانيين تأليف حضرة نخله بك صالح شغوات رئيس قلم ادارة عموم المدن والمباني في نظارة الاشغال العمومية سابقاً . وقد وضعهُ باللغة الفرنسوية وترجمهُ الى العربية وهو مختصر يقع في نحو مئة وستين صفحة

العلاج الجراحي

« تأليف وليم روز والبرت كارلس وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب »

هو كتاب مفيد للطبيب والجراح يتصل البحث فيهِ الى زماننا الحاضر . والظاهر ان غرض حضرة معربهِ ان يتحف العربية بكل ما يستطيع تعريبهُ من الكتب الطبية وهو غرض حميد لذاتهِ ولكنهُ يعلم ان الاطباء كلهم يعرفون الانكليزية او الفرنسوية او كلتيهما وانهُ لا تنفق ربع النسخ من كتاب طبي يطبعهُ وينشرهُ حتى يمسي قديماً لدى الاطباء وتجدُّ كتب كثيرة في موضوعهِ فالتعب الذي يتعبهُ في التعريب والطبع لا يقدم عليهِ الاَّ ذو سعة يسهل عليهِ الانفاق من غير حساب . وكيفما كانت الحال فسعيهُ حميد مشكور

التشريح الجراحي

« تأليف فردريك ترفس وارثركيث وتعريب الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب » وهو كالكتاب السابق في دقة بحثهِ والوصول فيهِ الى زمننا الحاضر . وقد استغربنا من حضرة المعرب ذكرهُ اسمهُ مع لقبهِ وصورتهِ واغفالهُ القاب المؤلفين فان فردرك ترفس احد مؤلفي هذا الكتاب هو السر فردرك ترفس جراح ملك الانكليز ورئيس جامعة ابردين وقد كان استاذ التشريح والباثولوجيا في مدرسة الجراحين الملكية وهو رئيس معهد الراديوم ولهُ مؤلفات كثيرة طبية

وارثركيث هو الدكتور ارثركيث استاذ التشريح في مدرسة الجراحين الملكية ولهُ مؤلفات في علم الاجنة والمرفولوجيا

وقس على ذلك مؤلفي الكتاب الاول الاستاذ البرت كارلس استاذ الجراحة في مدرسة الملك والاستاذ وليم روز استاذ الجراحة فيها

باب الصناعة

بعض انواع الصابون وكيفية عملها

الصابون العوّام — خذ اربع مئة وعشرين رطلاً من زيت جوز الهند وثلاثين من زيت النخل المبيض وخمسين من القلفونة ومئة من زيت الزيتون ومئة وعشرين من الشحم واغلها مع ٣٦٠ رطلاً من ماء القلي الخفيف ثم زد كثافة هذا الماء تدريجاً الى ان تبلغ ٤٠° بمقياس بومه . فاذا امتزجت هذه الاجزاء وعقدت قليلاً اضف اليها اربعمئة رطل من بزر حشيشة البراغيث واعد اغلاءها الى ان يصير المزيج كالعجين وينفصل عن الحلقين فتضيف اليه الطيوب وشيئاً من مسحوق كربونات الصودا . فيتولد الحامض الكربونيك ويتخلل الصابون فتتكون فيه فراغات تقلل ثقله النوعي فيطفو عند ما يوضع في الماء

صابون السكر — خذ مئة جزء من دبس السكر قبل ان يصفى وسخنه في خلقين ثم حركه واضف اليه ٢٨ جزءا من الصودا المكلسة واستمر على تحريكه الى ان تذوب الصودا تماماً . ثم اضف اليه مئة جزء من الحامض الزيتيك وليكن ذلك بتأن لكي يخرج الحامض الكربونيك الذي يتولد عند ذلك . فاذا انتهيت من هذا ارفع الحرارة واغل المزيج الى ان يصبح في الدرجة المطلوبة من الصلابة

صابون السكر وزيت جوز الهند — يصنع بتذويب الصودا الكاوية في دبس السكر بعد ان يسخن واضافة زيت النارجيل بعد احمائه الى ١٦٧° فارنهيت . والمئة جزء من دبس السكر ومثلها من زيت جوز الهند يصنع منها ٤٠٠ جزء من الصابون الصلب الجيد . واذا استبدل هذا الزيت بادهان اخرى وجب ان يغلى المزيج اكثر

صابون سلكات الصودا — وهو صلب — امزج مئة رطل من زيت جوز الهند مع مئتي رطل من ماء الصودا الذي كثافته ٢٠° بميزان بومه واغل المزيج الى ان يزول الزبد كله . ثم اضف الصودا المكلسة شيئاً فشيئاً الى ان تتأكد ان الصابون قد كملت اجزاؤه ونضج . والسبيل الى معرفة ذلك ان تأخذ منه كتلة بقدر الريال فان جمدت وظهر على دائرها لون ضارب الى الزرقة فقد نضج الصابون . وتعد ٦٠٠ رطل من ماء سلكات الصودا من عيار ٣٦° الى ٣٨° بومه . وتمزج من ١٨ الى ٢٠ رطلاً من الغليسرين غير النقي مع ٥٠ رطلاً من ماء الصودا من عيار ٢٠° بومه وتضيف هذا المزيج الى الصابون وهو يغلي على نار خفيفة .

ثم تضيف ماء سلكات الصودا شيئاً فشيئاً الى ان يفرغ ما قد اعددتهُ منها كما تقدم فان بقي الصابون ليناً فعالجهُ بالصودا المكلسة الى ان ترى اللون الازرق على دائر الكتلة كما تقدم

صابون سلكات البوتاس — وهو لين — يعمل بمزج مئة رطل من زيت جوز الهند بمئتين من ماء الصودا من عيار ٢٠° بومه . وبعد اغلاء هذا المزيج يضاف اليهِ ستمئة رطل من سلكات البوتاسا تدريجاً ثم ماء البوتاسا من عيار ٢٠° بومه الى ان يصبح قوامهُ كقوام الصابون اللين العادي . وهذا النوع من الصابون والنوع الذي قبلهُ يستعملان في غسل الصوف وصبغ المنسوجات القطنية وغير هذه من اغراض الصناعة

صابون الرمل — تأخذ خمسين رطلاً من زيت جوز الهند ومئة من ماء الصودا من عيار ٢٠° بومه وتبدأُ بمعالجتها كما تعالجها في انواع الصابون الاخرى وتقسيها بالملح وتصلّبها بالصودا المكلسة ثم تغطيها وتتركها بضع ساعات . فاذا برد الصابون ترفع الغطاء عنهُ وتنزع ما طفا عليهِ وتسكبهُ في ارض التقطيع . ثم تضيف اليهِ خمسين رطلاً من الرمل الابيض الجاف على الطريقة الآتية . يأتي رجل بمشط كبير مثل المشط الذي يستعمل لتمهيد الارض للزراعة ويأخذ بامرارهِ على الصابون ذهاباً واياباً بينما يأتي رجل آخر بالرمل ويذرهُ على الصابون بالمنخل . ويعطّر هذا الصابون بثلاثة ارطال من زيت اللاونده ورطلين ونصف من زيت الصعتر ورطل ونصف من زيت الكمون . ويجب ان يستمرّ على تحريكهِ بالمشط كما تقدم الى ان يشتد قوامهُ ويبدأ بالتصلّب

صابون اللوز المرّ — طريقة لصنعهِ بدون نار — امزج ١٧٥٠ جزءا من زيت جوز الهند و٧٥٠ من الدهن مع ١٢٥٠ جزءا من ماء الصودا الكاوية من عيار ٤٠° بومه واضف الى ذلك ١٧ جزءا من زيت اللوز المر و ٢١ جزءا ونصفاً من زيت البرغموت

صابون العائلة — تمزج ٢٥٠٠ جزء من زيت جوز الهند بالفي جزء من ماء الصودا من عيار ٣٠° بومه وتطيّبهُ باربعة ارطال من زيت البرغاموت واربعة ارطال من زيت الكاسيا ورطلين من كلٍ من زيت الليمون والساسفراس

صابون الغليسرين اللامع الشفّاف — تأخذ ١٠٥٠ جزءا من الماء و٣٠٠٠ من السكر و٥٧٠٠ من الغليسرين و٤٨٠٠ من زيت الخروع و٦٦٥٠ من كل من زيت جوز الهند والشحم و٨٣٠٠ من ماء القلي من عيار ٤٠° بومه و٣٥٠٠ من الكحول و١٥٠ من العطور وتُعِدّ خلقينا مزدوجاً يحمى بالبخار وفيهِ آلة للتحريك وبعد ان تسخن هذه المواد اضف اليها الكحول وغطِ الخلقين وادِر الآلة المحركة . فاذا امتزجت هذه المواد جيداً اوقف الآلة

الحركة والبخار . وبعد ست ساعات الى ثماني ساعات اضف الطيوب واتركهُ الى ان تنزل حرارتهُ الى ١٣٠° او ١٣٣° فارنهيت . ثم اسكبهُ واحتل لتصليبهِ باسرع ما يمكن فيأتي الصابون لامعاً . ويمكن استبدال بعض الغليسرين بماء السكر فيتوفر بذلك شيء من النفقة . ويفضّل ان تمزج الادهان بماء الصودا جيداً قبل ان يضاف اليها ماء السكر والغليسرين وسائر الاجزاء والاّ فقد يأتي الصابون كمداً

صابون الغليسرين الشفاف — سخن ١٢٠٠ جزء من زيت جوز الهند والف جزء من الشحم و ٦٠٠ جزء من زيت الخروع الى ١٨٠° فارنهيت واضف الى ذلك ٦٠٠ جزء من الغليسرين ثم ١٥٠٠ جزء من ماء الصودا الكاوية سخناً ومئتي جزء من الكحول فتمتزج هذه الاجزاء بعضها ببعض . ثم غطِّ الخلقين ليمتنع تبخّر الكحول واسكب في الصابون ٥٠٠ جزء من محلول السكر على نسبة جزء من السكر النقي لكل جزئين من الماء المقطّر واحمِ هذا المحلول الى ١٦٥° فارنهيت وحركهُ الى ان يمتزج بالصابون . وهذا النوع لامع وارخص من باقي الانواع

طريقة اخرى لعملهِ — استحضر صابوناً من عشرة اجزاء من زيت جوز الهند وعشرة من ماء الصودا الكاوية السخن من عيار ٣٠° بومه واحفظهُ الى حين الحاجة اليهِ . ذوّب ٢٤٠٠ جزء من هذا الصابون في ٧٠٠ جزء من ماء الملح النقي من عيار ١٣° الى ١٥° بومه واضف ٥٠٠ جزء من البوتاس من عيار ٩٦° بومه وسخّن هذه المواد كلها الى ١٦٧° فارنهيت . ثم اضف ١١٥٠ جزءاً من الكحول من عيار ٩٥ بالمئة وغط الخلقين الى ان ترسب الاوساخ جميعها . واحفظ هذا المركب في آنية زجاجية محكمة السد الى حين الحاجة . و ٣٠ او ٥٠ بالمئة من هذا المركب تكفي لعمل ٥٠٠٠ جزء من الصابون

صابون اليود — يستعمل لحمامات اليود ويظن انهُ ينفع في بعض الامراض الجلدية — ويعمل بدون استعمال النار كما يلي . يمزج ٢٠ رطلاً من زيت جوز الهند مع ١٠ ارطال من ماء الصودا الكاوية من عيار ٤٠° بومه . فاذا تم اتحاد هذه الاجزاء وصارت صابوناً اضف اليهِ ثلاثة ارطال من يوديد البوتاس محلولة في اربعة ارطال من الماء

صابون الليمون — يمزج الف جزء من زيت جوز الهند مع ٥٠٠ من ماء الصودا من عيار ٤٠° بومه واربعة اجزاء من كل من زيت الليمون وزيت البرغموت . ولون هذا الصابون اصفر خفيف

صابون الزئبق — يصنع من ٣٠٠٠ جزء من صابون الشمع الاصفر و ٣٠٠ من النشا

و١٦ جزءا ونصف من زيت البرغموت و٦ اجزاء ونصف من زيت الجرانيوم وجزء ونصف من زيت الكاسيا و ⅙ الجزء من زيت خشب الصندل و٣ اجزاء وثلث من كل من زيت الارز وصبغة المسك وصبغة فول تونكا

صابون الخزام — يعمل من ٥٠٠ جزء من صابون الشمع الاصفر و٤٠٠ جزء من النشا و١١ جزءا ونصف من الخزام وجزء ونصف من زيت الورد التركي الاصلي و٥ اجزاء من زيت الجرانيوم و٣ اجزاء وثلث من روح السوسن وجزئين من زيت اللوز المرّ و٥ اجزاء من صبغة المسك وعشرة اجزاء من صبغة الميعة (الاصطرك)

صابون المسك — يعمل بدون نار من ٢٠٠٠ جزء من زيت جوز الهند و١٠٠٠ جزء من ماء الصودا الكاوية من عيار ٤٠° بومه و١٠ اجزاء من صبغة المسك و٦ اجزاء من زيت البرغاموت و٣ اجزاء ونصف من زيت الليمون. ولونهُ سنجابي

صابون الخفان — يعمل من ٢٠٠٠ جزء من زيت جوز الهند و١٠٠٠ جزء من ماء الصودا من عيار ٤٠° بومه يضاف اليها ٥٠٠ جزء من مسحوق حجر الخفان وتحرك جيداً ثم تسكب وتطيب بجزئين من زيت الكاسيا وثمانية اجزاء من زيت البرغموت وجزء من زيت كبش القرنفل وجزء من زيت اللاوندا

صابون الورد — يصنع من ٢٠٠٠ جزء من ماء الصودا الكاوية من عيار ٤٠° بومه وثمانية اجزاء من كل من زيت الجرانيوم وزيت البرغموت ونصف جزء من زيت الورد وجزء وربع من صبغة المسك

صابون الرز — يصنع من ٢٧٠٠ جزء من صابون الشمع الاصفر واربعمئة جزء من النشا و٣ اجزاء وثلث من زيت الجرانيوم و٥ اجزاء من روح الغار و٥ اجزاء من زيت البرغموت و٣ اجزاء وثلث من روح حصى اللبنى و ⅙ الجزء من صبغة البنزوين الملونة بالاحمر او الابيض وثمانية اجزاء من الزنجفر

صابون الادهان — تعمل انواع الصابون اللين التي تستخدم عادة لغسل الايدي والوجوه من الدهن وماء البوتاسا الكاوي من عيار ٣٠° بومه. يذوب الدهن في وعاء في حمام ماء حار ويصب عليهِ ماء البوتاسا ببطء وتأنٍ ويحرك المزيج جيداً حين سكب البوتاس. ثم يخبط الى ان يصير لونهُ كلون اللؤلؤ فيضاف اليهِ ثلاثة اجزاء من ماء البوتاسا وجزء من ماء الصودا فيصبح منظرهُ جميلاً. وفي اثناء العمل تضاف الطيوب والمواد الملونة الى الصابون بعد ان تذوَّب في الكحول. وانواع صابون الادهان نافقة اكثر من غيرها لملاءمتها لحاجات الناس العادية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) استعمال اليد اليمنى

ولكسبرو بسلفانيا . الخواجه حنا يوسف نصر . ماذا اضطرَّ الانسان الى استعمال يدهِ اليمنى غالبًا دون اليسرى ولماذا لم يستعمل يديهِ على حدّ سوى

ج . ان الانسان يستعمل يديهِ معاً ولكنهُ يفضل استعمال اليمنى على اليسرى حينما يستعمل واحدة منهما وفي هذه القضية امران الاول استعمال يد واحدة في بعض الاعمال والثاني كون هذه اليد هي اليمنى لا اليسرى . اما الامر الاول اي استعمال يد واحدة فالداعي اليهِ الاقتصاد في العمل والدقة . فاذا امكننا ان نعمل عملاً بيد واحدة فليس من الاقتصاد ان نعملهُ باليدين معاً ثم ان الاعمال الدقيقة كالكتابة والتصوير تقتضي استعمال يد واحدة لا اثنتين معاً واذا كانت غير دقيقة كضرب الصخور بالمطارق ودفع السفن بالمجاذيف فاننا نستعمل فيها اليدين معاً . وقد ذكر البعض عللاً تشريحية لاتفاق الناس كلهم على استعمال اليد اليمنى دون اليسرى ولكن المرجح الآن ان ابتداء الناس باستعمال اليد اليمنى حينما ارادوا ان يستعملوا يداً واحدة كان عرضاً ثم رسخ الاعتماد عليها بالوراثة . راجعوا الفصل المتعلق بذلك من خطبة الاستاذ اليوت سمث في الصفحة ٥٤٤ من جزء دسمبر الماضي

(٢) قاموس عربي انكليزي وانكليزي عربي

مصر . محمد افندي حسن . ما هو احسن قاموس من العربي الى الانكليزي ومن الانكليزي الى العربي

ج . لا نعرف غير قاموس ورتبات وبورتر المطبوع في مطبعة المقتطف . اما سؤَالكم الآخر عن المدرسة الكلية الاميركية في بيروت وهل تصلح لكم فنجيب انها تصلح ولا بد من ان تستفيدوا من دخولها

(٣) عقر البغال

كوبلت باميركا . الخواجه الياس زغيب . لماذا لا تلد البغلة كباقي اناث الحيوان

ج . ان البغال متولدة بين الحمير والخيل كما لا يخفى فتأتي اعضاء التناسل فيها ممتزجة

من اعضاء الخيل واعضاء الحمير كما ان شكلها وجسمها ممتزجان من شكلي الخيل والحمير وجسميهما . والظاهر ان هذا الامتزاج يجعل اعضاء التناسل غير صالحة للقيام بوظيفة التوليد . هذا هو الغالب ويحدث احياناً ان تولد البغلة وصفات امها متغلبة على صفات ابيها فتكون اعضاء التناسل فيها مماثلة لاعضاء التناسل في امها فتلد حينئذٍ كما تلد الخيل . وقد شاهدنا بغلة على هذه الصورة كانت عند عمر باشا لطفي بمصر وولدت فلواً وكانت اشبه بالخيل منها بالحمير والبغال

(٤) مرض دود القز

ومنهُ . نسمع كل سنة ان دود القز اصيب بمرض اتلفهُ . فما هو هذا المرض أولا يوجد علاج لما يصاب بهِ الدود وكتاب يمكن الاعتماد عليهِ في معالجة مرضهِ

ج . قد وصفت الامراض التي تصيب دود القز وصفاً وافياً في المقتطف في المجلد التاسع منهُ . ويقوم العلاج بفحص الفراش بالميكرسكوب قبل اخذ البزر منهُ . ويؤْخذ البزر من الفراش السليم فقط ثم يفحص البزر بالميكرسكوب قبل تفحيلهِ ويربَّى دود البزر السليم فقط . ولا بدَّ من تطهير كل الادوات التي تستعمل لتربية الدود من الاطباق والطوائل ونحوها قبل تربيتهِ عليها . فاذا استعملت هذه الوسائل كلها حق استعمالها فالمرجح ان الدود يسلم من الامراض

(٥) تحنيط المصريين

ومنهُ . أصحيح ما يقال من ان في المتحف البريطاني ملكاً محنطاً من الفراعنة لا يزال في حالتهِ الطبيعية واذا كان الامر كذلك فلماذا ترك الناس صناعة التحنيط ولا يستعملونها لتحنيط موتاهم

ج . ان في المتحف البريطاني وغيرهِ من المتاحف اجساماً كثيرة محنطة ولكنها سوداء يابسة غالباً . وعند المحدثين طرق للتحنيط احفظ لاجسام الموتى من طرق المصريين . ولكن اهتمام الناس مصروف الآن ليس الى حفظ اجسام الموتى بل الى اتلافها وملاشاتها ان امكن حتى لا تمتلئ الدنيا بها وقد اعادوا طريقة حرق الموتى حتى لا يبقى من الجسم الا حفنة صغيرة من الرماد

(٦) الزيت والامواج

الاسكندرية . الخواجه ميشل جرجس عاد . لدى تصفحنا اليوم تلغرافات جريدتكم المقطم عثرنا فيها على سكب ربان الباخرة « سلتك » الزيت فوق الامواج فاستغلق علينا فهم النتيجة التي تحصل من عملهِ هذا فنرجو ان تشرحوا لنا ذلك على صفحات المقتطف

ج . عُلم من قديم الزمان انهُ اذا صبَّ الزيت على الماء انتشر على سطحهِ وقلَّل تموجهُ وقد ذكرنا ذلك مراراً في المقتطف ولكن الفائدة التي تحصل من صب الزيت غير

كبيرة ولاسيما اذا كانت السفن جارية فانها لا تستطيع ان تصب الزيت على كل الاماكن التي تمرُّ فيها ويتعذَّر عليها الوقوف في مكان واحد فلا تلجأُ الى صب الزيت الاَّ نادراً

(٧) تقوية الاطفال

مصر . طالب . عندنا طفل في الثانية من عمرهِ اصيبت امهُ بحزن شديد في الشهر الاول من ولادتهِ ومكث هذا الحزن طويلاً وكان الطفل يغتذي بلبنها فقط واصيب بمرض اعتراهُ منهُ ضعف ووهن شديدان اقعداهُ عن المشي الى الآن وهو الشهر السابع عشر من عمرهِ مع ان الطفل يأخذ في اسباب المشي من الشهر السادس وقد مشى من هو اصغر منهُ فما هو الدواء الذي يجعلهُ قادراً على المشي وما هو الغذاء النافع لهُ

ج . لا خوف من تأخر هذا الطفل في المشي لان كثيرين من الاطفال الضعاف لا يمشون قبل الشهر السابع عشر او الثامن عشر ولا بدَّ لكم من تغذيتهِ باللبن المطبوخ بالارز او الارووط ولا داعي لاستعمال الادوية فان الغذاء الكافي ينميهِ ويقويهِ ما دام هضمهُ جيداً

(٨) الاستدلال على وحدة الخالق

دمياط . محمد افندي كامل الحامضي

قرأت ما كتبتم في مقتطف الشهر الجاري في باب المسائل ردًّا على سؤَال محمود افندي الناظر بشأن تعدد الآلهة عند اليونان وقد قلتم هناك « ان التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى عقيدة التوحيد فاذا لم تكن هذه العقيدة قد وصلت الى الناس بالهام الهي فيكون وصول بعضهم اليها تحكُّم لا موجب لهُ » على ان القائلين بوجود « الواجب » ومنهم فلاسفة اليونان قائلون بصدور افعالهِ عن ذاتهِ فلو تعدد الواجب فكان اثنين او اكثر لاختلف بعضهم عن بعض والاَّ لم يكن هناك تعدد ولصدرت افعالهم مختلفة باختلاف ذواتهم . . فهلا يصح القول اذن بان وحدة النظام في العالم دليل على وحدة الفاعل ويكون ذلك من البراهين القاطعة على وحدة الاله بدون حاجة الى الهام الهي ؟

ج . ان الدليل الذي ذكرتموهُ على وجوب وحدة الخالق هو مثل دليل العالم الذي اشرنا اليهِ في المقتطف فقد قلتم انهُ « لو تعدَّد الواجب فكان اثنين او اكثر لاختلف بعضهم عن بعض » . فمن اين اتيتم بهذا الحكم فانهُ ليس من البديهيات ولا هو مما ثبت بالبحث والاستقراء . وزد على ذلك ان ما يعرف من نواميس الكون مناقض لهُ فاشعة النور وتموجاتهِ متعددة تعدُّ بملايين الملايين ومع ذلك هي متماثلة ولولا تماثلها ما امكن معرفة افعالها . فتموجات النور الاحمر الذي يأتينا اليوم من الشمس هي مثل تموجات النور الاحمر التي اتتنا امس واول امس وفي كل

الازمان ولولا ذلك ما كانت افعالها متماثلة · وكل علومنا الطبيعية مبنية على ان الاسباب المتماثلة تنتج نتائج متماثلة ولولا هذه الحقيقة ما امكننا ان نعمل عملاً فاذا كانت النار تسخن الماء اليوم وتبرده غداً واذا كان الحرث يصلح الارض اليوم ويفسدها غداً واذا كان النوم يريح الجسم اليوم ويتعبهُ غداً لم يبقَ سبيل للمعيشة على وجه الارض · فانتم ترون من ذلك انهُ ما من مانع عقلي ولا طبيعي يمنع وجود كائنين متماثلين تماماً في كل شيءٍ بل كل المعلومات التي اتصل اليها الناس باختبارهم الطويل من اول نشأتهم الى الآن تدل على وجود اشياء كثيرة متماثلة لا يختلف بعضها عن بعض لا في ذواتها ولا في افعالها · وهذا كلهُ لا ينفي ان يكون الخالق واحداً فرداً صمداً



اصل الانسان

ألَّف الدكتور جيوفريد ارجري الايطالي استاذ الانثربولوجيا (اي علم الانسان) في جامعة نابلي كتاباً في اصل الانسان وقع احسن وقع عند علماء هذا الفن وترجم الى اللغة الالمانية · والالمان قلما يترجمون كتاباً علمياً الى لغتهم الاَّ اذا فاق غيره · وقد بحث المؤلف بحثاً خاصاً في ان للانسان اصلاً واحداً او اصولاً متعددة فنظر اولاً في كل الادلة التي اقيمت على ان للانسان اكثر من اصل واحد وذكر الادلة التي تناقضها واستنتج ان الناس الموجودين في زماننا هذا من اصل واحد ونوع واحد *Homo Sapiens* ولكن هذا النوع مؤلف من تنوعات كثيرة في كل تنوّع منها مميزات تجعلهُ نوعاً قائماً برأسهِ بالقوة ان لم يكن بالفعل · وان اثار الانسان التي وجدت في الارض حتى الآن تدل على انهُ كان فيها انواع مختلفة من الناس وقد انقرضت كلها ولم يبقَ منها الاَّ نوع الانسان الحالي *Homo Sapiens*

اللستك الصناعي ونفقات البحث العلمي

ذكرنا في العام الماضي انهُ اكتشفت طريقة لعمل اللستك (الصمغ الهندي) بالصناعة ولم يكد امر هذا الاكتشاف يشيع حتى اثَّر في سوق اللستك تأثيراً كبيراً ثم ثبت

ان اللسنك الصناعي لا يكون ارخص من الطبيعي لكثرة ما يقتضي عملهُ من النفقات ولذلك ولكبر المقطوعية من اللستك الآن لا ينتظر ان احد النوعين يتغلَّب على الآخر الاَّ اذا اكتُشفت اساليب جديدة لترخيص اللستك الصناعي كما اكتشفت طريقة لترخيص النيل الصناعي . وقد اقرَّت شركة الانيلين والصودا على ان تنفق مليون جنيه في هذا السبيل وكانت قد انفقت مليون جنيه في سبيل النيل الصناعي قبلما امكن جعلهُ من الاصناف التجارية

مليون زائر

في مدينة لندن حديقة للحيوانات مثل حديقة الحيوانات في الجيزة لكن شتَّان بين عدد زوار تلك وعدد زوار هذه فقد بلغ عدد زوار حديقة لندن في العام الماضي حتى ٢٣ دسمبر مليون نفس والشخص الذي تم بهِ المليون أُعطي اجازة للدخول مجانًا كل سنة ١٩١٣

هبة اميركية علمية

اوصى الاستاذ مورس لوب بمئة الف جنيه لجامعة هارفرد تأْخذها بعد وفاة زوجتهِ وقدكان استاذاً للكيمياء في جامعة نيويورك . واوصى باموال اخرى لغير جامعة هارفرد من المعاهد العلمية

الحشرات وتلقيح الاثمار

جُرّبت تجارب كثيرة لمعرفة فعل الحشرات كالنحل والفراش في تلقيح ازهار النبات بعضها من بعض فوُجد ان بعضها كالشليك يتلقح من تلقاء نفسهِ اذا عصفت الرياح ولو لم تلقحهُ الحشرات وبعضها لا يتلقح جيداً من غير الحشرات . وبعضها يجود اذا لقح صنف منهُ بصنف آخر وبعضها لا يجود الاَّ اذا لقح من صنفهِ او اذا لقحت الازهار نفسها واكثر الحشرات التي تُتلقح الازهار بواسطتها نحل فانها تبلغ ٨٨ في المئة من عدد الحشرات التي تدخل ازهار النبات

اسفنج بحيرة طبرية

بحث الدكتور انندايل في حيوانات بحيرة طبرية ليرى ما فيها من المشابهة لحيوانات البحيرات الافريقية فوجد فيها اسفنجًا قلَّت مادتهُ الليفية فتكاثف وتصلب كما يكون في غيرها من البحيرات

عبَّاد النار في الهند

في ولاية ماروار ببلاد الهند اناس يبلغ عددهم نحو مئة الف نفس يعبدون النار او بالحري النور لان عندهم سراجًا يوقدون فيهِ السمن منذ ٤٥٠ سنة يرمزون بهِ الى معبودهم ويوجهون العبادة اليهِ ويخطب فيهم النساء والمظنون ان مذهبهم هو مذهب قدماء ايران الذين كانوا يعبدون النار

صبير الصين

الصبير او التين بشوكهِ كما يسمَّى في القطر المصري نبات اميركي الاصل أُتي بهِ من اميركا بعد اكتشافها فانتشر على سواحل بحر الروم . وهو ينمو الآن بكثرة في القفار الشاسعة التي في الجهات الغربية من بلاد الصين حتى على صخور الغرانيت . وقد اختلف الباحثون في كيفية وصولهِ اليها فمن قائل ان الصينيين اتوا بهِ من اميركا بعد اكتشافها ومن قائل انهُ أُتي بهِ من اوربا بعد ما وصل اليها من اميركا ومن قائل ان اليسوعيين اتوا بهِ الى الصين من اميركا بعد ما تقوضت دعائم الامبراطورية الاسبانية فيها . وقد ذهب بعضهم الآن الى ان الصينيين وصلوا الى اميركا من الجهة الغربية وادخلوا الصبير منها الى بلادهم قبلما وصل اليها الاوربيون من الجهات الشرقية اي انهم اكتشفوا اميركا قبلما اكتشفها الاوربيون بدليل كثرة الصبير في قفار الصين

سكة بغداد الحديدية

نال الالمان امتيازاً من الحكومة العثمانية بانشاء هذه السكة في بدء سنة ١٩٠٢ مبتدئة من قونية حيث تنتهي سكة الاناضول ومنتهية في خليج العجم فيكون طولها ١٤٠٠ ميل . ثم شرعوا في العمل في السنة التالية وتوقفوا فيهِ بين سنة ١٩٠٤ وسنة ١٩٠٩ فلم يتموا منهُ شيئاً لاختلافهم مع الحكومة العثمانية على الضمان الذي طلبوهُ . وكانوا قد جمعوا عشرة ملايين من الجنيهات وطلبوا من الحكومة العثمانية ان تضمنها وتدفع رباها السنوي فضمنتها سنة ١٩٠٩ وارتبطت بدفع الربا الى ان توفى ووعدت بضمان عشرة ملايين اخرى من الجنيهات لازمة لاتمام هذه السكة الى بغداد اي انها القت على عاتق الامة العثمانية حمل عشرين مليوناً من الجنيهات فرق ما اعطتهُ لمنشئي هذه السكة من الاراضي والامتيازات . ولا عجب اذا طابت المانيا بعد ذلك ان يكون لها وحدها الحق بادارة هذه السكة والمراقبة على البلاد التي حولها الى ان تستوفي العشرين مليوناً . وهي الآن تعمل فيها بهمة فائقة فلا يقل عدد العمال في ما قيل عن اثنين وسبعين الفاً

وتقسم هذه السكة الى اربعة اقسام الاول من قونية الى اطنه والثاني من اطنه الى حلب والثالث من حلب الى الموصل والرابع من الموصل الى بغداد . وكان المراد اولاً ان يوصلها الالمان الى خليج العجم لكن الانكليز اعترضوا على ذلك وتم الاتفاق على انهم هم يوصلونها من بغداد الى خليج العجم . وكان الالمان قد اتفقوا مع الحكومة العثمانية على ايصال السكة الى الاسكندرونة واحضروا كثيراً من المواد لانشاء مرفإٍ عظيم هناك ثم

توقفوا عن العمل لاسباب مجهولة والمرجح ان انكلترا اعترضت على ذلك . فعسى ان تأخذ الغيرة الوطنية اغنياء سورية ليسعوا في جعل مرفأ هذه السكة مدينة من مدنهم البحرية كبيروت او طرابلس او حيفا

السر فرنسيس دارون

اعطى ملك الانكليز القاباً لكثيرين في رأس السنة ومنهم فرنسيس دارون ابن دارون الشهير فانهُ اعطاهُ لقب سر

فهم الحشرات

تلا المستر اندك رسالة في الجمعية الميكرسكوبية الملكية ببلاد الانكليز في فهم الحشرات قال فيها انهُ رأى ديدان الزنابير المعروفة بالجحل (اودوناتا *Odonata*) تخرج من الماء حينما تصير دوداً وتصعد على ساق نبات ثم تمدُّ ذنبها فاذا مسَّ شيئاً صعدت ايضاً ومدتهُ ثانية فاذا مسَّ شيئاً كما مسَّ اولاً غيرت مكانها ومدت ذنبها ولا تزال تفعل ذلك حتى تصير في موقف لا يمس ذنبها شيئاً اذا مدتهُ في جهة من الجهات فتقف هناك وتعد نفسها للتحوُّل الى حيوان مجنح كأَنها تقول في نفسها ان لا بدَّ لها من بسط جناحيها حالما يتولدان ويجب ان لا يكون على مقربة منها حينئذٍ شيءٌ يلمساهُ لئلا يلصقا بهِ عند اول ظهورها . وقال انهُ راقب هذه الديدان مراراً فرآها تفعل ذلك دائماً وفعلها هذا يدلُّ على انها تفعل فعلاً معقولاً وتدرك ما تفعلهُ

سكر القصب وسكر البنجر

بقي الناس يستخرجون سكرهم كلهُ من قصب السكر حتى اواسط القرن الماضي ثم اكتشفوا طريقة استخراجهِ من البنجر (الشمندور) فلم يختم القرن التاسع عشر حتى صار نصف السكر يستخرج منهُ وخيف من القضاء على سكر القصب ولكن صناعة استخراج السكر منهُ انتعشت من اول هذا القرن وجارت صناعة استخراج السكر من البنجر . والصناعتان تتباريان الآن كفرسي رهان . ويقال انهُ اذا زرع القصب على طرق علمية واستخدمت الوسائل العلمية لاستخراج كل سكرهِ باساليب قليلة النفقات فلا يبعد ان يعود الفوز لهُ على سكر البنجر

تيسرنك ده بور

خسر علماء الاحداث الجوية خسارة كبيرة بوفاة هذا العالم فقد كان مقدام الباحثين في طبقات الجو العليا . ولد بباريس سنة ١٨٥٥ وانتظم في معهد البحث الجوي سنة ١٨٨٠ . وقضى اوقات العطلة من سنة ١٨٨٣ و١٨٨٥ و١٨٨٧ في تونس والجزائر يدرس جيولوجيتها ومغنطيسيتها الارضية .

وانشأ مرصداً سنة ١٨٩٦ للارصاد الجوية في سهل قرب باريس وجعل يرصد حركات الغيوم واحوال طبقات الجو العليا بواسطة الطيارات والبلونات التي كان يضع فيها آلات تدل من نفسها على درجات الحرارة وضغط الهواء . وعرف بها ان الهواء طبقتان يفصل بينهما فاصل على عشرة آلاف متر فوق سطح الارض اي فوق اعلى الغيوم وسمى الطبقة العليا ستراتوسفير *Stratosphere* والسفلى تروبوسفير *troposphere* ووجد ان درجة الحرارة او البرد تبقى واحدة في الطبقة العليا وباع بيتهُ في باريس واشترى بثمنهِ سفينة وارسلها للبحث في مجاري الهواء فوق الرياح التجارية . وكانت وفاتهُ في السادس من يناير

مؤتمر الزراعة العام العاشر

سيعقد مؤتمر الزراعة العام العاشر في بلجكا بين ٨ و١٣ يونيو المقبل وقد قسمت المباحث فيهِ الى خمسة اقسام وهي (١) الاقتصاد الزراعي (٢) علم الزراعة (٣) تربية المواشي (٤) الهندسة الزراعية (٥) زرع الغابات

النساء والجمعيات العلمية

عرض على الجمعية الجغرافية الملكية الانكليزية سنة ١٨٩٣ ان ينتظم النساء في عضويتها فاشتدَّ الحجاج واللجاج بين الاعضاء وكان الاكثرون على رفض هذا الطلب فرُفض . والآن عزمت هذه الجمعية ان تعيد البحث في هذه المسألة وارسلت قبل ذلك تطلب رأي الجمهور فجاءها الجواب بالقبول من ١٧٩٦ وبالرفض من ٥٧٨ وباشتراط شروط من ٣٣

كبد الضفدع والارنب

وجد بعضهم ان كبد الضفدع والارنب تحل الاتروبين وتبطل فعلهُ السام بمادة فيها تشبه الخمير في فعلها ويوجد شيء من هذه الخاصَّة في قلب الضفدع وكليتيها وفي دم الارنب

لبن جاموس الهند

حُلّل لبن الجاموس في الهند فوجد السمن فيهِ بمعدل ٨ في المئة وهو في لبن البقر الانكليزية ٣ في المئة فقط . ووجدت المواد الجامدة فيهِ نحو عشرين في المئة . وهي في لبن الجاموس المصري ٢٥ في المئة او اكثر

تذكير النعام

جاء في المجلَّة الزراعية التي تصدر في جنوب افريقية ان مبيض النعام نزع من ثلاث نعامات عمر كلٍّ منها اربع سنوات وللحال جعلت هذه النعامات تفقد مميزات النعامة وتبدلها بمميزات الظليم (ذكر النعام) فصار ريشها اسود فاحماً براقاً بعد ان كان

رمادياً وطال ريش جناحيها وذنبها فصار مثل ريش الذكور تماماً . ومعلوم ان الخصاء يفقد الذكور مميزات الذكر ويجعلها كالاناث فكأن مميزات الاناث والذكور متوقفة على المبيض والخصيتين

وكتب المستر فتزسيمونس مدير متحف بورت اليصابات ان نعامة من هذه النعمات اميتت بالكلوروفوم وارسلت اليهِ لتعرض في المعرض فحصها فحصاً مدققاً فثبت لهُ انها انثى وصوَّرها تصويراً فوتوغرافيًّا وارسل صورتها الى مجلة المعرفة فنشرت فيها و يظهر من الصورة ان ريش بدنها كلهُ اسود فاحم ما عدا ريش ذنبها واطراف جانحيها فانهُ ابيض

هبة انكليزية

اوصى القس جون السي الانكليزي بتركتهِ كلها بعد وفاة زوجتهِ لجامعة كمبردج وقيمتها تسعون الف جنيه على الاقل

الاستاذ كاليته

توفي الاستاذ كاليته المشهور بتسييلهِ لغاز الاكسجين . ولد سنة ١٨٣٢ ودرس في باريس واشتغل اولاً بعلم المعادن وبحث في طبائع الغازات اذا كان عليها ضغط شديد فاهتدى الى تسييل الاكسجين سنة ١٨٧٧ وسيَّلهُ الاستاذ بكته تلك السنة في جنيفا على اسلوب آخر . وجرى العلماء على طريقة كاليته فسيلوا سائر الغازات . وكل الاعمال العلمية التي عملت في تسييل الغازات وتجميدها وما بُني عليها مبنية على مباحثهِ ومكتشفاتهِ

اهتزاز الارض بسقوط بيت

قال الاستاذ غيدو كورا انهُ سقط بيت في رومية فشعرت آلة الزلازل بسقوطهِ و بقيت الارض تهتز بعد ذلك عشرين دقيقة

ارتفاع الامواج

اشتدت الانواء حديثًا في الجهات الشمالية من الاوقيانوس الاتلنتيكي فعاد الناس يبحثون في ارتفاع الامواج فقدَّر قبطان سفينة من السفن التي شهدت تلك الانواء ان ارتفاع الموج بلغ سبعين قدماً . وكان امير البحر فتزروي قد قال في كتابهِ عن الطقس سنة ١٨٦٣ انهُ رأى موجة قرب خليج بسكاي ارتفاعها ٦٠ قدماً وحقَّق ربان السلتك انهُ رأى امواجاً عديدة في الانواء الاخيرة في وسط الاتلنتيكي ارتفاع كلٍ منها سبعون قدماً . وقال امير البحر السر وليم ورتن ان الامواج قد ترتفع حتى يبلغ ارتفاعها ٩٠ قدماً ولكن ذلك نادر جدًّا واعلى ما تصل اليهِ غالبًا ٦٠ قدماً

جذب كلف الشمس لمشاعلها

ابان الدكتور سلوكم ان كلف الشمس تجذب مشاعلها فان الصور الفوتوغرافية التي صور بها قرص الشمس في ٨ اكتوبر الماضي

تظهر فيها مشاعل صاعدة من قرص الشمس وهابطة على كلفة كبيرة فيها و بعضها مجذوب الى باطن الكلفة عن ٧٥٠٠٠ كيلو متر الى ٢٦٠٠٠٠ كيلو متر

مغنطيسية الشمس

ابان المسيو دسلندر انهُ يحيط بالشمس جو مغنطيسي كما يحيط بالارض وهو حادث من دوران الشمس وانفلات الايونات منها

الثلج لحفظ الغابات

اكثر الاخشاب التي ترد الى هذا القطر وسائر الاقطار مقطوع من الغابات التي يغطيها الثلج في فصل الشتاء لشدَّة البرد فيها كغابات كندا واسوج ونروج وروسيا حيث يشتد البرد خمسة شهور من السنة فيبلغ ثلاثين درجة تحت الصفر بميزان فارنهيت اي ٦٢ درجة تحت درجة الجليد. لكن الثلج الذي يغطي الارض في تلك الغابات هو الذي يقي اشجارها من البرد الشديد لانهُ من اقل المواد ايصالاً للحرارة فتبقى حرارة الارض حول جذورها وتسلم بزورها من الموت برداً الى ان يأتي الصيف وتنتعش قواها وتنمو فاذا قلَّ الثلج في سنة من السنين ييبس جانب كبير من تلك الاشجار

الكهربائية بدل الطعام

ان اكثر الطعام يؤكل لتوليد الحرارة والقوة في الجسم وقد ابان الاستاذ دارسنفال ان الكهربائية السريعة التردد تولد في جسم الانسان حرارة وقوة ولا تضر بهِ فلا عجب اذا اغنتهُ يوماً ما عن الطعام

وقد جربت هذه الكهربائية في كلية بوردو في اناس انهكهم التعب او المرض فقوتهم وانعشتهم ثم زاد وزنهم رويداً رويداً

نبات يسعل

لا يخفى ان اشجار الخروع تطلق بزرها بصوت شديد كصوت البنادق الهوائية لكي يندفع بزرها الى مكان بعيد ولا يقع تحتها فيقاسمها غذاء الارض. وقد وجد احد النباتيين الفرنسويين نباتاً في بعض الجهات الاستوائية يسعل كما يسعل الانسان كلما وقع الغبار على اوراقهِ فان الغبار يسد مسام الورق التي يتنفس النبات منها فيتجمع الغاز تحتهُ ويدفعهُ بعنف فيسمع لدفعهِ صوت كصوت السعال

ربح المسكوكات وخسارتها

ان من سك النقود الفضية ربحاً كبيراً للحكومة التي تسكها ليتعامل بها رعاياها فالريال الذي قيمتهُ عشرون غرشاً ليس فيهِ من الفضة ما يساوي عشرة غروش ولكن المسكوكات الفضية ينقص وزنها بالاستعمال فاذا استرجعتها الحكومة واعادت سكها خسرت بها خسارة غير قليلة وهي تخسر ايضاً اذا استردَّت المسكوكات الذهبية واعادت

سكها وقد حسبوا ان الحكومة الانكليزية استرجعت ٢٦ مليوناً من الجنيهات و ١٧ مليوناً من انصاف الجنيهات في عشر سنوات لان وزنها انقص بالاستعمال فوجدت انها نقصت ما يساوي ٦٢٦٠٥٧ جنيهاً

مراكب الهواء

لم تبقَ شبهة في فائدة الطيارات في الحروب وقد جعلت دول اوربا تنفق عليها النفقات الطائلة ففي ميزانية الحكومة الفرنسوية الحربية مليون و٢٨٠ الف جنيه لهذه الغاية والمرجح ان الحكومة الانكليزية ستعين مليون جنيه او اكثر في ميزانيتها التالية لاجل ركوب الهواء

الحباحب والبرق

كتب روبرت بتن في مجلة المعرفة الانكليزية ان النوع من الحباحب (سراج الليل) المعروف باسم *Lambris noctiloca* تبتدي انثاهُ تنير حالما تخرج من البيضة ويزيد نورها اشراقاً بزيادة نموها الى ان تصير حشرة كاملة ويدوم نور الانثى الكاملة كل ليلة من ابتداء العتمة الى الساعة الواحدة بعد نصف الليل وهي شديدة الشعور فاذا شعرت باحد دنا منها اطفأَت نورها عمداً لكي لا يراها واذا امسكتها بيدك اطفأَت نورها وتفاوتت الى ان تتأكد انك لا تقصد لها ضرًّا . اما الدودة فلا تنير وحدها الا برهة وجيزة ولكنها تنير اذا امسكتها بيدك وحركتها وتنير ايضاً اذا رششتَ عليها ماء بارداً او غطستها في الماء

وحدث في ٢٩ يوليو سنة ١٩١١ ان ثار النوء وكثر البرق والرعد وكان عندي من هذا الدود فاخذت اراقبهُ لارى فعل البرق بهِ فوجدتهُ ينير كلما لاح البرق في السماء وراقبتهُ في الليالي التالية في مثل ذلك الوقت ولم يكن ثم برق فوجدت انهُ لا ينير

تجميد الزيوت

لا يخفى ان الشحم يكون جامداً والزيت مائعاً . وقد اهتم الكيماويون من عهد طويل في اكتشاف طريقة لتجميد الزيوت فاكتشف الآن المسيو سابتيه والمسيو سندرن انهُ اذا اجيز غاز الهيدوجين في الزيت على درجة عالية من الحرارة وكان هناك مسحوق النكل جمد الزيت وصار مثل الادهان الجامدة ثم وجدا انهُ يحدث مثل ذلك اذا كان المعدن غير النكل مثل الكوبلت والبلاديوم والبلاتين وانهُ يمكن تجميد البترول وزيت القطن وزيت الفول السوداني فتصير كلها كالدهن والشحم . ويصير زيت الفول السوداني مثل شحم الخنزير لوناً وطعماً ورائحة . ولا يبعد ان تجمَّد هذه الزيوت وتباع كالزبدة والدهن ولا ضرر من اكلها اذا اعتني بتجميدها حتى لا تدخلها مواد ضارَّة

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني والاربعين

١ مارس (اذار) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٥ ربيع اول سنة ١٣٣١

الاستشهاد في سبيل الاكتشاف

الكبتن سكوت ورفاقهُ

كان لما اصاب الكبتن سكوت ورفاقهُ الذين رافقوهُ الى القطب الجنوبي وقع شديد في كل انحاء العالم . وصل هذا المكتشف الشهير الى القطب وقد ثبت ذلك مما ذكرهُ عن العلامات والآثار التي تركها امندسن هناك ثم لقي حتفهُ هو ورفاقهُ في رجوعهم . ولم يكن بينهم وبين المركز العمومي الذي كانوا قد اعدوهُ للالتجاء اليهِ الاَّ ١٥٥ ميلاً حين فاجأتهم العواصف واقامت في وجههم ما لا يذلَّل من العقبات

انقطعت اخبار سكوت ورفاقهِ من اوائل السنة الماضية ولم يُعرف عنهم شيء بعد ذلك حتى وصلت باخرتهم ترّانوفا الى جزيرة زيلاندة الجديدة وكانت قد اقلعت من لندن في اول يونيو سنة ١٩١٠ وذلك اول عهدها بخوض البحار الشاسعة وفيها بعثة سكوت وهي تامة العدة مجهزة بكل ما يلزم لها ومما زاد في اتقان معداتها وابلاغ ترتيبها حد الكمال خبرة سكوت السابقة في مغالبة المصاعب ومعاونة غيره ممن سافروا الى الاصقاع الجنوبية وعرفوا بالاختبار ما يحتاج اليهِ المكتشف فيها . واجتمع حولهُ من الاعوان والعلماء ما لم يجتمع حول غيرهِ من جميع الذين اقتحموا بلاد الجليد

وصلت بهم الباخرة الى خليج مكردو بعد ان قاسوا اهوال البحر في شدة هيجانهِ واضطراب امواجهِ فانقسموا هناك الى ثلاث فرق نزلت الفرقة الاولى الى البر لاقامة مركز عمومي على رأس ايفنس وكان سكوت فيها ونزلت الثانية في غرب الخليج وحاولت الثالثة النزول الى الارض المسماة ببلاد الملك ادورد السابع فلم تتمكن من ذلك لكثرة الجليد فنزلت في رأس أداري

وكابد رجال الفرقة الثالثة شدائدكثيرة فان العواصف دهمتهم من اول الامر فقضوا فصل الشتاء في كوخ من الثلج يقتاتون بلحم الفقم وقليل من الزاد الذي بقي معهم فدبَّ فيهم المرض ولم يصلوا الى المركز العمومي الاَّ في اوائل شهر نوفمبر الماضي

ولما عادت الباخرة باخبارهم وما جرى لهم حتى شهر يناير من سنة ١٩١٢ علم الناس ان العلماء بينهم يبذلون اقصى جهدهم ليقوموا حق القيام بما انتدبوا لهُ حتى ان الدكتور ولسن اقتحم مخاطر جمة فقضى اشهر يونيو و يوليو واوغسطس (وهي اشهر الشتاء هناك) في رأس كروزير يدرس اطوار الطائر المعروف ببطريق الامبراطور وظبائعهُ في إفراخهِ وتربيتهِ لصغارهِ في فصل الشتاء · وكان الموكلون برصد المظاهر الجوية وحركات الرياح وضغط الهواء واختلاف درجة الحرارة وامواج المد والجزر وجاذبية الارض ومغنطيسيتها مواظبين على اعمالهم يرقبون التغيرات و يضبطونها بدقة وعناية · ومثل ذلك يقال في الموكلين بالابحاث الجيولوجية والبيولوجية وغيرها من اغراض الرحلة

وكان آخرون يهيئون معدات التقدم نحو القطب ويقيمون المستودعات في الطريق · واخذ سكوت في التقدم الى القطب في الثاني من شهر نوفمبر سنة ١٩١١ ولكنهُ عاد فتأخر شهراً بسبب موت نصف الدوابّ التي كانت معهم · واتى الكوماندر ايفنس بآخر اخبارهم في السنة الماضية بعد ان تركهم وهم على ١٥٠ ميلاً من القطب وكانت امورهم حسنة في ذلك الوقت

ولم يعرف عنهم شيء بعد ذلك الاَّ ما وجد في اوراق سكوت الذي اعتنى بتدوين كل الحوادث بالضبط والتدقيق رغماً عما كان يحيق بهِ من المخاطر · ومما يدل على ثباتهِ وبعد نظرهِ انهُ لما رأى ان لا مناص من الهلاك جلس يكتب تفاصيل النوازل التي حلت بهم كما سيجيء

وقد وصل الى القطب في الثامن عشر من يناير سنة ١٩١٢ وكان معهُ الدكتور ولسن والكبتن اوتس والملازم بورز والضابط ادغر ايفنس · وقاسوا كثيراً من الشدائد في عبور نهر الجليد المسمى ببيردمور فاصيب ايفنس بارتجاج الدماغ وقضى نحبهُ هناك · ثم اشتد الصقيع والريح فمرض الكبتن اوتس واعوزهم الوقود · وفي السادس عشر من شهر مارس راى اوتس ان الموت مدركهُ لا محالة وانهُ اصبح عبئاً على رفاقهِ فتخلف عنهم ليلقى حتفهُ · وواصل سكوت وولسون و بورز السير لكن الزمهرير اشتد عليهم وهم على احد عشر ميلاً من احد المستودعات فتعذر عليهم التقدم ولم يكن لديهم من الزاد الاَّ ما يقوتهم يومين ·

وكتب سكوت رسالتهُ الاخيرة هناك وكان قد انقضى عليهم اربعة ايام وهم في ذلك المكان. وقد خرج البعض في ذلك الوقت نفسهِ من المركز العمومي للقائهم واعانتهم ويظهر انهم اقتربوا منهم كثيراً الاَّ انهم لم يعثروا عليهم . ولم يهتدَ الى جثث سكوت ورفيقيهِ الاَّ في شهر نوفمبر الماضي بعد ان انقضى فصل الشتاء

هذه نهاية رجل من اكبر المكتشفين وقد كان كبير النفس يثير في رفاقهِ روح النخوة والثبات في قضاء الواجبات ويعلّمهم بمثالهِ قدر اتعاب الرجال قدرها ويكتسب محبتهم لهُ وتعلقهم بهِ حتى ان الذين رافقوهُ في رحلتهِ الاولى الى القطب سنة ١٩٠١ كالدكتور ولسن لم يحجموا عن اقتحام المخاطر معهُ مرة ثانية. وقد قال فيهِ الدكتور شاركو «انهُ فاتح الطريق الى القطب» . وحرص سكوت على التدقيق في التقارير وما اظهرتهُ رحلتهُ الاولى وبقايا رحلتهِ الثانية من الحقائق والفوائد العلمية كافٍ لان ينفي عنهُ كل تهمة توجه اليهِ من انهُ كان يقصد باعمالهِ اكتساب الشهرة والصيت

كانت ولادتهُ في مدينة ديفونبورت ببلاد الانكليز سنة ١٨٦٨ ودخل مدرسة عسكرية سنة ١٨٨١ ثم دخل في سلك البحارة في الاسطول الانكليزي وتقلب في المناصب حتى رقي الى رتبة كوماندر سنة ١٩٠٠. ولما رجع من رحلتهِ الاولى سنة ١٩٠٤ رقي الى رتبة كبتن ومنح لقب كوماندر من رتبة فكتوريا الملكية ونال بضعة نياشين منها النيشان الملكي ونيشان خاص من الجمعية الجغرافية الملكية

والدكتور ولسن من متخرجي جامعة كمبردج وكان في الرحلة الاولى مصوّراً وموكّلاً بالبحث في الحيوانات الفقارية وفي الرحلة الثانية رئيس القسم العلمي

اما الرسالة المشار اليها آنفاً فقد وجدت في خيمة سكوت الى جانب جثتهِ وهذا تعريبها ان فشلنا لم يكن لاننا اخطأنا في تدبير امورنا بل لانهُ نزلت بنا نوازل لم تكن منتظرة

فاولاً اننا فقدنا دواب النقل في مارس سنة ١٩١١ فاضطررتُ ان اؤخر سفرنا وان اقلل المؤونة التي اخذناها معنا

وثانياً اشتد البرد وثارت العواصف كل مدة السفر ولاسيما حينما كنا عند الدرجة ٨٣

وثالثاً وجدنا الثلج رخفاً ليناً فابطأ سيرنا عليهِ

وقد قاومنا هذه العوائق بهمة ونشاط وتغلبنا عليها ولكنها قلّلت مؤونتنا ولولا مصيبة اخرى حلت بنا لوصلنا الى القطب ورجعنا منهُ ومعنا زاد كافٍ لاننا كنا قد استعددنا لهذه الطوارئ. اما المصيبة فهي مرض الرجل الذي كنا نحسبهُ اقوى منا كلنا واصبرنا على المشاق

وهو ادغر ايفنس . وكان امامنا نهر الجليد المسمى بيردمور وعبورهُ قليل الصعوبة في الصحو ولكنها لم تصحُ يوماً واحداً في رجوعنا ومعنا رجل مريض نضطر الى حملهِ فانهُ وقع واصيب بارتجاج الدماغ ثم مات بعد ان هدَّ حيلنا وتركنا وفصل الزوابع قد ادركنا . ولكن ذلك كلهُ لم يكن شيئاً مذكوراً في جنب ما وجدناهُ مخبوءًا لنا . فما من مخلوق كان يظن اننا نصادف البرد الذي صادفناهُ في هذا الفصل من السنة فقد كانت درجتهُ ٢٠ الى ٣٠ تحت الصفر بين عرض ٨٥ و٨٦ ولكننا لما رجعنا الى العرض ٨٢ وفي مكان اوطأ من الاول ١٠٠٠٠ قدم رأيناهُ ٣٠ تحت الصفر نهاراً و٤٧ تحت الصفر ليلاً والريح تعصف في وجوهنا صرصراً مستمرًّا

وبيّن من ذلك ان ما اصابنا انما سببهُ هذا البرد الشديد الذي جاءنا بغتةً على غير انتظار وفي غير ميعادهِ وغير مكانهِ فلم يكن في الحسبان . ولا اظن ان احداً من بني الانسان اصابهُ ما اصابنا في مثل هذا الشهر . وكان في الامكان ان ننجو لولم يمرض رجل آخر منا وهو الكبتن اوتس وينفد الوقود من مستودعنا وتعترض الزوابع بيننا وبين المستودع التالي وهو منا على احد عشر ميلاً فقط حيث كنا نرجو ان نجد كل ما نحتاج اليهِ

حقًّا لقد جازت ملمات الزمان حدودها واستنزفت آفاتهُ مجهودها

صرنا على احد عشر ميلاً من المستودع الذي ودعنا فيهِ طعامنا ووقودنا وليس معنا سوى طعام يومين ووقود لتسخين طعام يوم واحد فاقمنا في هذه الخيمة اربعة ايام لا نستطيع الخروج من شدة العاصفة ونحن على غاية الضعف وانا لا اكاد استطيع الكتابة . واذا قصرتُ نظري على نفسي فانا لست نادماً لان هذه الرحلة برهنت على ان الانكليز لا يزالون يستسهلون تجشم المشاق والتعاون في الضراء ومقابلة الموت الزؤام بالصبر الجميل كما كانوا في سالف عهدهم

لقد ركبنا الاخطار عن طيب نفس فجاءت التقادير على غير ما انتظرنا فلا نشكو من احد ولا نلوم احداً بل نسلم انفسنا للاقدار عازمين ان نبذل جهدنا الى النهاية

ولكن ان كنا قد خاطرنا بانفسنا لاجل شرف وطننا فاننا نتوقع من ابناء الوطن ان يعتنوا بالذين تركناهم وراءنا وليس لهم ملجأ سوانا

واذا فُسِّح لنا في الاجل فعندي كلام كثير في وصف شجاعة رفاقي وصبرهم وتحمُّلهم المشاق — كلام يثير النخوة في صدر كل ابناء وطني . ولكن هذه السطور وجثثنا الهامدة ستخبر خبرنا ويقيني تام ان بلاداً عظيمةً غنية مثل بلادنا تعنى بالذين تركناهم في بيوتنا

٢٥ مارس ١٩١٢ ر . سكوت

تحويل العناصر وتوليدها

تلا الاستاذ السر وليم رمزي مقالة في الجمعية الكيماوية في السادس من فبراير عن وجوده عنصر الهليوم في انابيب اشعة اكس . وتلا الاستاذ نورمن كولي والمستر بترصن مقالة عن وجود عنصر النيون في غاز الهيدروجين بعد ما تمرُّ فيهِ الكهربائية . فكان لهاتين المقالتين وقع عظيم في الدوائر العلمية لانهما تثبتان امراً من امرين اما تحول العناصر من نوع الى آخر او تولد العناصر من الكهربائية اي صيرورة القوة مادةً . وتناولت الجرائد اليومية هذا الموضوع وبالغت في ما بنتهُ عليهِ حتى لقد يظن من يقرأ مقالاتها ان الناس تمكنوا الآن من جعل النحاس ذهباً بل من ايجاد الذهب والمعادن كلها من القوة الكهربائية

اما السر وليم رمزي فقال في مقالتهِ انهُ ولَّد عنصر اللثيوم من النحاس منذ سنوات قليلة وانهُ وجد ان عنصر السليكون يولّد اكسيد الكربون الثاني و يولدهُ ايضاً عنصر الثوريوم . و يظهر من ذلك ان هذا العنصر يميل الى الانحلال فيتولد منهُ كربون والكربون يتحد بالاكسجين فيصير منهُ اكسيد الكربون الثاني . وكان قد استعار نصف غرام من بروميد الراديوم من الاكادمية الملكية بفينا لكي يستعملهُ في التجارب العلمية فظن انهُ حول بهِ بعض العناصر من نوع الى آخر فلما استرجعتهُ الاكادمية منهُ فتش عن مادة تفعل فعلهُ فكان من ذلك الاكتشاف المشار اليهِ آنفاً وقد قال في هذا الصدد ما تعريبهُ

« مضى عليَّ بضع سنوات وانا استعمل الراديوم واظنني حولتُ بهِ النحاس الى ليثيوم والسليكون والتيتانيوم والزركونيوم والثوريوم الى كربون . وقد ولَّدت النيون حديثاً من الماء

« ومنذ سنتين استرجعت مني اكادمية العلوم قطعة الراديوم التي اعارتني اياها فجعلت ابحث عن شيءٍ فيهِ قوة شديدة كما في الراديوم يقوم مقامهُ في اتمام تجاربي فامتحنت بصلات الانابيب التي كانت تستعمل لاشعة اكس فوجدت فيها قليلاً من غاز الهليوم ولا يُعلَم كيف وُجد هذا الغاز فيها

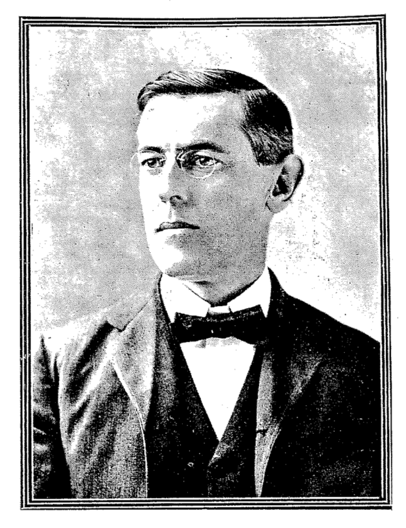
« وكان الاستاذ كولي يبحث حينئذٍ في انابيب اشعة اكس التي تصلها الكهربائية السلبية لتوليد القوة وكان المستر بترصن يبحث هذا البحث ايضاً وكلٌّ منهما لا يدري بما يفعلهُ الآخر فوصلا كلاهما الى هذه الحقيقة وهي انهُ اذا مرَّت اشعة الكهربائية السلبية في غاز الهيدروجين النقي تولد فيهِ مقدار كبير من النيون وهو من اندر العناصر التي في الهواء . واذا تغيرت بعض الاحوال تولَّد فيهِ عنصر الهليوم بدل عنصر النيون

« ولم يكن في هذه الانابيب هليوم ولا نيون ولا كان في الامكان دخولها اليها من الهواء لانها كانت موقاة من ذلك ادق الوقاية فلا بدَّ من انهما تولدا فيها تولداً اما من استحالة الالومنيوم الذي منهُ القطب الكهربائي الواصل الى داخل الانبوب او من استحالة احد العناصر المختلفة التي يتألف زجاج الانابيب منها او ان بعض الهيدروجين الذي فيها استحال الى هليوم ونيون او ان الكهربائية نفسها استحالت الى هليوم ونيون اي ان القوة صارت مادةً · وعليهِ فهذه التجارب تثبت امراً من امرين اما تحول العناصر بعضها الى بعض او تحوُّل القوة الى مادة »

هذا هو رأي السر وليم رمزي · ومزية اكتشافهِ واكتشاف الاستاذ كولي والمستر بترصن انهُ لا يقتضي استعمال الراديوم بل يكفي لهُ استعمال بطرية عادية ولفة كهربائية وانابيب زجاجية مفرغة من الهواء او مملوءَة بغاز الهيدروجين او غيرهِ من الغازات

وقال الاستاذ صودي وهو من اكبر الباحثين في اشعة الراديوم انهُ انتبه الى تولد الهليوم بواسطة الكهربائية في الانابيب المفرغة من الهواء منذ سنة ١٩٠٨ ونسب ذلك اولاً الى ان سلك الالومينوم الذي يستعمل قطباً للكهربائية السلبية يكون قد امتصَّ هذا الغاز من الهواء فيخرج منهُ الى الانبوب ولكنهُ ثبت لهُ بعدئذٍ ان الامر ليس كذلك · وقد ثبت لغيرهِ من الباحثين ان الهليوم وغيرهُ من الغازات النادرة تتولد في الانابيب المفرغة من الهواء · ولكن لا يمكن بت الحكم في ما وجدهُ السر وليم رمزي والاستاذ كولي والمستر بترصن قبلما ينشرون تفاصيل التجارب التي جرَّبوها

وقال الاستاذ طمسن وهو اكبر ثقة في هذا الموضوع انهُ جرَّب تجارب مثل هذه فظهرت فيها الغازات المشار اليها آنفاً ولكنها لم تكن تتولد تولداً بل كانت تخرج من المعادن التي استعملها فاذا كان المعدن قديماً غير نقي خرجت منهُ كثيرة واذا كان جديداً نقياً خرجت منهُ قليلة دلالة على انهُ يمتصها من الهواء مدة اقامتهِ فيهِ ثم ينفثها في الانبوب بقوة الكهربائية · واذا كانت في المعدن عشقتهُ عشقاً وتعذر تركها لهُ بالاحماء فانهُ وضع قطعة من الرصاص في انبوب من البلور مفرغ من الهواء وصهرها فيهِ وتركها تغلي اربع ساعات حتى لم يبقَ من الرصاص الاَّ ربعهُ وامتحن الغاز الخارج من الرصاص حينئذٍ فلم يجد فيهِ شيئاً من الهليوم ولا من الغاز الآخر الذي يتولد معهُ · ثم اخذ الربع الباقي واطلق عليهِ الكهربائية في الانابيب المفرغة من الهواء فخرج منهُ الهليوم وذلك الغاز ثم اطلق عليهِ الكهربائية ثانية فخرج ذلك الغاز ايضاً ولكن انقطع خروج الهليوم كانهُ نفد كلهُ · وهذا دليل قاطع على ان الغازات التي وجدها السر وليم رمزي والاستاذ كولي والمستر بترصن آتية من الهواء



الاستاذ ولسن رئيس الولايات المتحدة الاميركية



المسيو بوانكاري رئيس الجمهورية الفرنسوية

الرئيسان الجديدان

ما الفضل الاَّ لاهل العلم انهمُ على الهدى لمن استهدى ادلاَّءُ

قد لا يعلم الذين يستشهدون بهذا البيت من كتَّاب العربية ان خطباء الافرنج يستشهدون بهِ ايضاً حينما يريدون ابلاغ حجتهم . فقد كنا نبحث الآن في مجلدات المقتطف الماضية عن جملة قالها وشنطون محرر اميركا ورئيسها الاول فاذا هذا البيت ماثل امامنا والمستشهد بهِ السر ليون بليفير لما كان رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني سنة ١٨٨٥ في خطبة الرئاسة التي القاها حينئذٍ . وما من امة ارتقت وفاقت غيرها الاَّ وهي تقوم بمؤَدى هذا البيت فتجلُّ قدر العلم والعلماء وتعتمد عليهِ وعليهم في تدبير شؤُونها

ولا نعني بالعلماء هنا الذين انقطعوا لعلم مخصوص ادبي او طبيعي وعاشوا في دائرتهِ الضيقة لا يفكّرون الاَّ بهِ ولا يبحثون الاَّ في مسائلهِ فان هؤُلاء على شدَّة الحاجة اليهم وعظم نفعهم للبلاد وتوقُّف العمران عليهم لا يصلحون غالباً لادارة شؤُون العباد . وانما يصلح لها العلماء الذين درسوا مبادئَ العلوم وعرفوا ما يبنى عليها وقرنوا العلم بالعمل في ادارة الشؤُون . واذا بحثت ودققت وجدت ان اكثر وزراء اوربا واصحاب الرأي فيها هم الآن من الذين اتموا دروسهم في المدارس العالية و بقوا مشاركين للعلماء ولو لم ينقطعوا للاشتغال بعلم خاص غير علم القانون او علم الادارة او علم التاريخ . واذا كان اختيار هؤُلاء لمناصبهم منوطاً بالامة دلَّ اختيارها لهم على انها امة متعلمة متهذبة تعرف قيمة العلم والتهذيب طبقاً لما قالهُ وشنطون وهو «ان الحكومة التي تقصد الاعتماد على رعاياها يجب ان تهذب عقولهم قبل ذلك»

وقد جرت الحكومة الاميركية هذا المجرى فظهرت نتائجهُ في ارتقائها العجيب وفي اختيار رؤَسائها فان من لم يكن استاذ مدرسة منهم كالرئيس روزفلت السابق تحادثهُ او تقرأُ كتاباتهِ فتجدهُ من العلماء المتبحرين ولو لم يكن من المشتغلين بعلم خاص

الرئيس ولسن President Wilson

والآن طُلب من الامَّة الاميركية ان تختار لها رئيساً فوقع اختيارها على رجل من اساتذة المدارس ومديريها وهو الدكتور توماس ودرو ولسن

ولد هذا الرجل في ٢٨ دسمبر سنة ١٨٥٦ في ولاية فرجينيا من الولايات الجنوبية وتلقَّى دروسهُ في جامعة برنستن واتمها سنة ١٨٧٩ ونال حينئذٍ شهادة البكلوريا ثم نال رتبة دكتور

في الفلسفة من جامعة جونس هبكنس سنة ١٨٨٦ ورتبة دكتور في الشرائع المدنية سنة ١٨٨٧ . وتعاطى اولاً صناعة المحاماة ثم جُعل استاذاً للتاريخ والاقتصاد السياسي في كلية برين مور وانتقل منها الى جامعة مدلتن استاذاً لها واختير رئيساً لجامعة برنستن سنة ١٩٠٢ . وفي تلك السنة طبع كتابهُ المشهور في تاريخ الشعب الاميركي في اربعة مجلدات وعنوانهُ بالانكليزية History of the American People ولهُ كتاب آخر مشهور وهو تاريخ الولايات المتحدة History of the United States وقد جُعل والياً لولاية نيوجرزي سنة ١٩١١ وسيتربع الآن في البيت الابيض قصر رؤساء اميركا الذين يقال عنهم انهم ملوك من غير تاج ويرجى ان تسعد تلك البلاد في عهدهِ ويرتقي شأن العلم فيها فوق ارتقائهِ

الرئيس بوانكارى President Poincaré

وبعد ان طُلب من الامة الاميركية ان تختار رئيساً لها ووقع اختيارها على احد اساتذتها طُلب من الامة الفرنسوية ان تختار رئيساً لها فاختارت رجلاً من بيت اشتهر بالعلم والفضل وكان من كبار المحامين وهو المسيو ريموند بوانكارى

وهو الآن كهل في الثالثة والخمسين من عمرهِ ولد سنة ١٨٦٠ ودرس المحاماة واشتهر بفصاحة اللسان وحسن البيان حتى كان يشار اليهِ بالبنان في محاكم باريس . ثم انتخب لمجلس النواب وجعل وزيراً للمعارف سنة ١٨٩٢ اي حينما كان عمرهُ ٣٢ سنة وللمالية سنة ١٨٩٤ . ومنذ نحو سنة جعل رئيساً للنظار

وهو عضو من اعضاء مجلس الفنون الاعلى ومجلس المتاحف الوطنية وجمعية رجال الانشاء ورئيس لمجمع محبي جامعة باريس ونائب رئيس في كثير من الجمعيات العلمية والادبية

لما وضعت الحرب بين فرنسا والمانيا اوزارها بحث مجمع فرنسا العلمي في هذه المسألة وهي لماذا لم تجد فرنسا الرجال الممتازين وقت الخطر

Pourquoi la France n'a pas trouvé d'hommes supérieurs au moment du péril ?

فكان الجواب لانها اهملت امر التعليم في المدارس الجامعة حتى انحطَّ شأنهُ . فاخذت من ساعتها تجدّد هذه المدارس وتعززها ويقول الخبيرون ان الامة الفرنسوية صارت الآن اعز واقوى واغنى مما كانت في كل العصور الغابرة ومن ادلة ذلك اختيارها للمسيو بوانكارى رئيساً لها

وصف الطبائع لثيوفراستس

(٤) في الوجه الصفيق

الصفاقة حرفة ظاهرة يتخذها المرء من الهزل الفاحش بحيث يأتي في اعماله الامور الشائنة ويتجاوز مع الغير حدود اللياقة والحشمة . مثال ذلك الرجل الذي يرى امرأةً ذات مقام في الهيئة الاجتماعية مقبلةً فيبدو منهُ امامها ما يخلُّ بالحشمة . او هو الذي يصفّق في الملاعب العمومية ويصفر للممثلين والناس سكوت يشاهدون ويسمعون او يستلقي على ظهرهِ فيسمع الحضور من اصوات تجشوءِ ما يضطرهم الى تحويل انظارهم عن التمثيل . وهو الذي يشتري من السوق الرطب والتمر و يأكلهُ على مشهد من الناس و يتحدث وهو واقف مع الفاكهاني و ينادي المارة باسمائهم وهو لا يكاد يعرف احداً منهم و يستوقف في الطريق بعض السائرين الى اعمالهم . واذا رأى احد المحامين دنا منهُ وهنّأهُ هازئاً بالدعوى التي دافع فيها امام القضاة . وهو الذي يشتري اللحوم بنفسهِ واذا صادف في طريقهِ احد المارة اراهُ الاشياء التي اشتراها ودعاهُ الى الطعام ضاحكاً و يقف امام حلاق او عطار فيعلن انهُ سيولم وليمة يعاقر فيها بنت الكروم ولا ينتهي منها الا وسورة الخمر قد لعبت في رأسهِ . واذا باع الخمر يوماً مزجها بالماء لاصحابهِ ولغيرهم على السواء . واذا ناط بهِ القوم قضاء مهمة في سفرٍ حفظ لديهِ قيمة النفقة التي قبضها من ذوي الشأن واقترض قيمة اخرى من رفاقهِ . واذا وصل مع الوفد الى الناحية المقصودة وقدّم لهم اهلها بعض الهدايا طلب نصيبهُ منها كي يبيعهُ و ينتفع بثمنهِ . ثم هو يأبى على خدَمهِ الفلس الذي يلتقطونهُ من الطريق ولا يخجل من طلب اقتسامهِ معهم . والانكى من هذا انهُ يوزّع الزاد على خدّامهِ بكيل مجوّف القعر ومستطيلٍ على شكل هرم حتى اذا طفح انقص منهُ بقدر الاستطاعة وكذلك اذا اوفى ديناً عليهِ فانهُ يؤدّيهِ ناقصاً و ينتفع بالفرق . واذا اولم وليمة جمعت كثيراً من المدعوين امر خدّام المائدة بعد انصراف المدعوين بجمع بقايا الاطعمة وتقديم حساب عنها اذ يسوءهُ ان يترك لهم بقية صنف لم يؤكل كلهُ

في الاوقات غير المناسبة

الاقتراب من الناس او مخاطبتهم في اوقات غير مناسبة امر مزعج . فالمزعج او المقلق هو الذي يأتيك فيحدّثك في شؤونهِ بينما تكون مثقلاً بشؤونك و يسأل زيداً من الناس ان

يكفلهُ في الامر الفلاني بينما يكون محكوماً عليهِ بتأدية كفالةٍ عن بعضهم · ويذهب الى النزهة مع جماعةٍ وصلت من سفرطويل وهي محتاجة الى الراحة · وينتصب في الجمعيات فيعيد الكلام الذي سبقهُ غيرهُ اليهِ وعلمهُ الحاضرون اكثر منهُ · واذا ادب احد مأدبة ذهب اليهِ وطلب قسماً من لحوم الذبائح[1] واذا رأى سيداً يعاقب عبدهُ على ذنب اقترفهُ قال لهُ : اني فقدت احد اقاربي في حال مثل هذا ذلك اني جلدتهُ فيئس من الحياة وانتحر · واذا حُكّم في مسألة بين خصمين يطلبان الصلح زاد المسألة تعقيداً وحاول الايقاع بين الخصمين

المبالغة في الاكرام

ليست مبالغة المرء في الاهتمام بالغير سوى تكلف باطل يقصد بهِ ابداء مظاهر التلطف والاكرام بالقول او الفعل مثال ذلك رجل يكلف نفسهُ من الاعمال فوق طاقتها فيقدم على شيءٍ لا يسعهُ الخروج منهُ محفوظ الكرامة · او هو الذي يحضر الى المائدة مقداراً من الخمر يتجاوز كفاية المدعوين · ويدخل في مشاجرة بين اثنين فيزيد نارها اشتعالاً · ويعرض نفسهُ كدليل على ابناء السبيل وهو جاهل للطريق ومنافذها · واذا كان جندياً محارباً سأل قائد فرقتهِ عن اليوم الذي يُعدّ فيهِ جنودهُ للقتال وعما اذا كان لديهِ اوامر يلقيها اليهِ للغد · واذا دخل على مريضٍ نهاهُ الطبيب عن الخمر اوعز الى اهل البيت ان يسقوهُ شيئاً منها على سبيل التجربة لعلّها تأتي بالفائدة المطلوبة ثم يساعد العليل على شربها · واذا نعيت اليهِ امرأة في المدينة تصدّى لحفر اسمها واسم زوجها ووالديها وبلدها على القبر مع بيان اصلها وفصلها ثم الثناء عليهم اجمعين بهذه العبارة « كانوا كلهم اهل فضلٍ وفضيلة » · واذا الجأهُ حكم الاضطرار يوماً الى حلف اليمين في دعوى امام القضاة حضر وقال باعلى صوتهِ « ليست هذه باول مرةٍ اخترق فيها صفوف الحاضرين لتأدية اليمين »

في الغباوة

ثقلٌ في العقل يلازم الاقوال والافعال · فالغبيّ هو الذي اذا عد الدراهم امام الناس مثنىً وثلاث يسألهم بعد ذلك عن مقدار تلك الدراهم · واذا دُعي الى المحكمة في دعوى اقيمت عليهِ ذهب الى البرّية في اليوم المعين ناسياً ما عليهِ · وهو ينام في الملاعب العمومية ولا يفيق الاّ بعد نهاية اللعب وانفراط عقد الجمهور · واذا تعشى أكل بشراهةٍ فيعتريهِ عسر هضم فيخرج من دارهِ ليلاً يتمشى في الطريق لتخفيف وطأة الألم عنهُ فيلاقيهِ كلب الجيران

(١) كانت العادة عند الاغريق اذا قربوا القرابين ان يتعشوا مع اصحابهم او يبعثوا اليهم بقسم من الذبيحة وعليهِ لم يكن ثمت داعٍ لطلب تلك الحصة قبل الاوان اذ ربما جمعت الوليمة ذلك الطالب بين المدعوين

فينهشهُ . و يفتش عن الشيء الذي وضعهُ في مكان فلا يجدهُ . واذا نُعي اليهِ احد اصحابهِ حزن و بكى وأنَّ واشتكى . و بينما العقلاء يقرضون دراهمهم امام شهود عدول عملاً بالقاعدة المتبعة تراهُ بعكس القاعدة و يستردّ اموالهُ من مديونيهِ امام اولئك الشهود[1] . و ينقضّ على خادمهِ بالشتم واللعن في ايام الزمهرير لانهُ لم يشترِ لهُ الفاكهة التي طلبها . واذا سمح لاولادهِ يوماً بالمصارعة او السباق في احد الملاعب فلا يأذن لهم في الكف عنها حتى يسيل منهم العرق او تتقطع حبال انفاسهم . وهو الذي يذهب بنفسهِ لجمع البقول من الحقول فيملحها و يطبخها ثم يعيد تمليحها ناسياً ما عملهُ اولاً فيأتي الطعام مالحاً لا يصلح للاكل . وهو الذي اذا امطرت السماء مدراراً والناس في اشد الاستياء من الغيث المنهمل يشكون و يتذمرون لا يخشى ان يقول جهاراً « ما احسن هذا المطر واعذبهُ »

في الغلاظة

الغلاظة نوع من الشدة في اللهجة او العنف في التعبير بل هي توحش يبدو في حركاتنا و يتطرّق الى اقوالنا . فالرجل المتوحش هو الذي اذا سألتهُ عن احد الناس اجابك بهذه اللهجة « لا تقلقني » واذا حييتهُ لا يتنازل فيردُّ التحية . واذا شاء ان يبيع شيئاً لهُ فلا يجوز لك ان تسألهُ عن الثمن واذا فعلت فلا يلتفت الى سؤالك بل يجيبك تيهاً وعجباً : « ماذا ترى في هذه البضاعة » وهو يهزأ بتقوى الذين يبعثون بقرابينهم الى المعابد والهياكل ايام الاحتفالات العظيمة قائلاً : « اذا استجاب الآلهة صلواتهم ونالوا منهم طلباتهم فقد دفعوا قيمتها ولم تأتهم من السماء » . ثم الويل لمن يدفعهُ عن غير عمدٍ بكتفهِ او يطأ قدمهُ وهو سائر في الطريق فان ذنبهُ لديهِ لا يُغتفر . واذا طلب اليهِ صديق ان يقرضهُ مبلغاً من النقود اسمعهُ كلاماً جارحاً وحمّلهُ من المنّة شيئاً كثيراً . واذا عثرت رجلهُ بحجر استشاط غضباً وانقض عليهِ باللعنات . ومثلهُ لا يتنازل و ينتظر احداً في مكان معيّن . وتراهُ يتفرّد دائماً بالاشياء الغريبة او بعبارة اخرى يحب الخروج عن المعتاد بين الناس فلا يغني بين جماعةٍ اذا جاء دورهُ ولا ينشد شعراً في وليمة ولا يرقص مع القوم في مأدبة[2] وفوق ذلك كلهِ فانك قلما تراهُ في المعابد والهياكل حاملاً للآلهة النذور والقرابين

سليم عوّاد

---

(۱) كان استشهاد الشهود شائعاً جدًّا عند اليونان في جميع المعاملات

(۲) كانت العادة عند اليونان ان ينشدوا في الولائم بعض الابيات من شعر شعرائهم و يرقصوا معاً بعد الفراغ من المائدة

اليعاسيب

١ً معاني هذه اللفظة والمعنى المراد بها هنا خاصّة

اليعاسيب جمع اليعسوب . وقد وردت هذه اللفظة بمعانٍ شتّى وهي على ما في القاموس : امير النحل وذكرها (والاصح اميرة النحل وانثاها الضخمة لان العلماء اثبتوا انها من شق الاناث لا من شق الذكور الاّ ان الاسم بقي يعسوباً كما ان الزنبور يطلق على الانثى والذكر وكذلك سائر اسماء الحيوانات التي هي من هذا القبيل) والرئيس الكبير كالعَسوب (بدون ياء في الاوَّل) وضرب من الحجلان وطائر اصغر من الجرادة وغرة في وجه الفرس ودائرة في مركضها وفرس للنبي صلعم واخرى للزُبير رضه واخرى لآخر وجبل . . . اه

والآن نبين اسباب هذه المعاني فنقول : اما اصل اليعسوب فهو العسوب زادوا الياء في الاول لزيادة في المعنى كما اثبتهُ ابن فارس . فاليعسوب وان كان بمعنى العسوب الاّ ان مؤدَّى الاول اعظم من مؤدَّى الثاني كما هي الغاية من زيادة الحروف لزيادةٍ في المعاني . والعسوب فعول من عسب الفحل الناقة اذا طرقها . وقد يستعار للناس كما اوضحهُ صاحب اللسان . كما ان الفحل وردت بمعنى الرئيس اشتقاقاً من الفحولة جاءت ايضاً العسوب بهذا المعنى . واصل العَسْب العَسْو وهو الغلظ . والمعنى ظاهر . ولهذا جاز ان يطلق لفظ العسوب على اميرة النحل ورئيس القوم . اما ورودهُ بمعنى « ضرب من الحجلان » فهو غلط دقّ دخولهُ في اللغة فاستحكم في كتب كثيرين بدون ان يتدبروا اللفظة وطريق دخولها بهذا المعنى الغريب . وانما الصحيح هو : « ضرب من الجحلان » وتتمة عبارة القاموس هي : « وهو طائر اصغر من الجرادة » . والجحلان بتقديم الجيم على الحاء المهملة جمع جَحْل بالفتح وهو طويئر في خلقة الجرادة وليس بها يسميهِ الافرنج Libellule والانكليز Dragon-fly الاّ انهُ لما كانت لفظة الجحل والجحلان قليلة الورود غريبة اللفظ غير مألوفة السمع ظنوا ان صحيحها هو الحجل والحجلان ومما زادهم ثبوتاً في الوهم ان لفظ اليعسوب كلفظ اليعقوب واليعقوب هو الحجل فظنوا ان كلا الحرفين واحد في المعنى وان القاف انقلبت سيناً كما انقلبت في الفاظٍ عديدة منها : قبّهُ وسبّهُ بمعنى واحد اي قطعهُ . ومرّ مسندلاً ومقندلاً اي مسترخياً في المشي . الى غير هذه الكلم مما لا محل للاطالة فيهِ هنا . على ان الحق يوجب علينا ان نقول ان اليعسوب لم تأتِ بمعنى الحجل الذي هو القبج بل بمعنى الجحل الذي هو

هذا الطويئر القريب الخلقة من الجرادة . وهذا صاحب لسان العرب على سعتهِ لم يذكر قط للفظة اليعسوب معنى الحجل مع انهُ ذكر سائر المعاني المعقودة بناصية اللفظة . نعم ان الذين نقلوا عن الفيروزابادي ذكروا هذا المعنى لكن لا عبرة في كلامهم لانتقال الغلط اليهم منهُ

ولما كان هذا الطويئر منتصب الجناحين خلقة ولا يمكنهُ ان يضمها شبهت بهِ الخيل الضمر . ومنهُ قول بشر :

ابو صبية شُعْثٍ يُطيف بشخصهِ كوالح امثالــ اليعاسيب ضُمَّرُ

فاذا عرفت ذلك رايت السبب الذي من اجلهِ سمي بهِ بعض الافراس — واما مجيء معناهُ لغرةٍ في وجه الفرس فمن باب المشابهة ولهذا لا نقال عن كل غرةٍ بل عن تلك التي تستطيل وتنقطع قبل ان تساوي اعلى المنخرين . وكذلك اذا ارتفع البياض على قصبة الانف وعرض واعتدل حتى يبلغ اسفل الخُلَيقاء فهو يعسوب ايضاً قلَّ او كثر ما لم يبلغ العينين

وجاءت لفظة اليعسوب بمعنى دائرة في مركض الفرس من باب المشابهة ايضاً وذلك ان الفارس اذا اركض دابتهُ برجلهِ وضربها في جنبها وقع الشَعَر من مركضها فكان على صورة يعسوب . نعم ان الازهري غلَّط الليث في هذا المعنى لكنهُ غير محقٍ ولا مصيب . فقد قال الازهري : هذا غلط . اليعسوب عند ابي عبيد وغيرهِ : خط من بياض الغرة ينحدر حتى يمس خطم الدابة ثم ينقطع اه . فهذا المعنى ايضاً لا يخلو من المشابهة (١)

فانت ترى ان معاني اليعسوب كلها راجعة الى واحدٍ وهي الرئاسة الراجعة الى الانتصاب والتصلُّب والغلظ . وعليهِ لا يقع معنى اليعسوب العلميّ الاَّ على هذا الطويئر وهذا ما اردنا ان نبينهُ . ولا يخفى على القارىء ما في اثبات المعاني للالفاظ من الفوائد الجليلة لانصراف الفكر اليها حالاً اذا نطق بها . ولاسيما في الالفاظ العلمية والاوضاع المصطلح عليها فهذا من أَلزم الامور — وانت تعلم ان مجلة المقتطف خدمت اللغة خدمةً لا نقدر بجمع كثير من

---

(١) وممن ذكر اليعسوب الجاحظ . قال في كتابهِ (عن الحيوان ٣ : ١٠١) للذبان يعاسيب وجحلان (وفي الاصل المطبوع وجحلان وهو غلط . وهذا الكتاب كثير اغلاط الطبع) ولكن ليس لها قائد ولا امير . . . ثم قال : وكل قائد فهو يعسوب ذلك الجنس المقول . وهذا الاسم مستعار من فحل النحل وامير العسالات . وقال الشاعر وهو يعني الثور

كما ضرب اليعسوب اذ عاف باقر وما ذنبهُ اذ عافت الماء باقر

وكما قال علي بن ابي طالب رضه في صلاح الذبان وفساده : فاذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبهِ . وعلى ذلك المعنى قال حين مرَّ بعبد الرحمن بن عتاب قتيلاً يوم الجمل : لهفي عليك يعسوب قريش جدعت انفي وشفيت نفسي . قالوا : وعلى هذا المعنى قيل يعسوب الطفاوة . اه

الالفاظ العلمية الدالة على الحيوان والطير والسمك واثبات معناها كدت اقول بما يثبت الرواسي عند نشره معجم الحيوان للدكتور امين افندي المعلوف · بقي على المقتطف ان ينشر الالفاظ الراجعة الى معجم الحشرات · وربما يفعل ذلك انشر ما يقع اليَّ من تحقيق بعض تلك الحروف ليسهل العمل بعد ذلك على الجامع ويقنع بالوشل اكتفاء بما نشر مفصَّلاً او مطوَّلاً · وها انا اذا اذكر اليعاسيب فاقول

٢ً اليعاسيب وانواعها على ما جاء في كتب العرب وذكر اسمائها

قال في التاج وقد جمع اقوال جميع اللغويين في هذا الصدد : اليعسوب ضرب اي نوع من الحجلان بالكسر جمع حجل للطائر المعروف · وطائر اصغر من الجرادة (قلت : صحيح هذه العبارة هكذا : اليعسوب ضرب اي نوع من الجحلان بالكسر جمع جحْل للطويئر المعروف وهو طائر اصغر من الجرادة) عن ابي عبيد · ونقلهُ ياقوت عن الاصمعي او اعظم منها طويل الذنب لا يضم جناحيهِ اذا وقع · تشبه بهِ الخيل في الضمر · قال بشر · · · · (البيت) وفي حديث معضد : لولا ظما الهواجر ما باليت ان اكون يعسوبا · قال ابن الاثير : هو هنا فراشة (كذا · ولو قال يشبه الفراشة لهان الخطب) مُخْضَرَّة تطير في الربيع · وقيل انهُ طائر اعظم من الجرادة · ولو قيل : انهُ النخلة (في هذا الحديث) لجاز اه

وقال ابن سيدة في المخصص (٨ : ١٧٧ ابو حاتم : اليعسوب نحوٌ من الجراد دقيق لهُ اربعة اجنحة لا يقبض لهُ جناحًا ابداً ولا تراهُ ابداً يمشي الاَّ طائراً او واقعًا على رأس عود او قصبةٍ · والجَحْل منها : الضخم والجمع جُحُول · ابن دريد · وجحلان · قال : وهو في خلقة الجراد اذا سقط لم يضم جناحيهِ · · · قال ابو حاتم : قال الطائفي : الجحل نسميهِ السِرْمان · والبِيْض منها اليعاسيب · · · صاحب العين : التُبَّع : ضرب من اليعاسيب اعظمها واحسنها والجمع التبابيع · » انتهى · وقال في اللسان قولاً نقلهُ صاحب التاج بحرفهِ : السِرْمان (بالكسر) العظيم من اليعاسيب والضرلغة · والسرمان (بالكسر) دويبة كالحَجَل (وحرَّكها وزان سبب) · « فقولهُ في الآخر والسرمان دويبة كالحجل غلط والصحيح فاضح · وانما هو كالجحْل بتقديم الجيم بمعنى العظيم من اليعاسيب فهو اذاً تكرار لا معنى فيهِ ولعل الاصل : السرمان دويبة كالجحْل وهو العظيم من اليعاسيب فقدَّم الناسخ وأَخَّر فسخ وأَضرَّ

وجاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري المطبوع في مصر : السرمان : دويبة كالحجر كذا · وهو غلط والاصح كالجحْل · وسبب تصحيف هذه الكلمة هو كما قلنا غرابتها وقلة ورودها على الالسنة

ومن اسماء اليعسوب في العراق : عقربة الحمار . والبعض يقول : عقربة الزِمال . والزِمال عندهم مرادف للحمار وهو تصحيف وتحريف الزاملة . والزاملة في اللغة الفصحى التي يُحمَل عليها من الابل وغيرها . وعليهِ يصح تسمية الحمار بالزاملة . والعراقيون يقولون في موءنث الزِمال : زمالة . اما عقربة الحمار فقديمة الوجود في لغة العراقيين ولعلها سابقة لعصر الخلفاء وذلك نقلاً لها من لغة الارميين وهي بلسانهم « عَقْرَبْتا وعقْرَبْ حمَار . وجميع اللغويين اصحاب المعاجم السريانية العربية قالوا « عقربة الحمار » مقابلاً لها في العربية . واما اصحاب المعاجم السريانية اللاتينية او السريانية الاعجمية فلم يذكروا لها مقابلاً اعجميًّا غير قولهم : واسم هذه الدويبة عقربة الحمار بالعربية . والظاهر انهم لم يعرفوا ما المراد بهذه اللفظة والاَّ لذكروهُ . ولاسيما لان كتبة اللغة العربية لم يذكروها في كتبهم على قدمها . واما انها قديمة فقد وردت في أقدم المعاجم السريانية العربية . ولولا ان عقربة الحمار مستعملة الى يومنا في العراق وعلى أَلسنة عوامهم وخواصهم بواديهم وحواضرهم لما اهتدينا الى معناها . نعم ان البعض يسمونها ايضًا يعسوبًا ولكن لا تسمع هذه اللفظة الاَّ من الادباء الفصحاء . فاحفظ كل ذلك تُصِبْ ان شاء الله

وقد بحثت بحثًا نَعِمًا عما يقابل الفاظ اليعاسيب في اللغتين التركية والفارسية وعندي فيهما اعظم المعاجم واوسع دواوينها فلم ارجع الاَّ بما رجع بهِ حُنَيْن . — ثم حاولتُ ان اعرف ما وضع اصحاب المعاجم الفرنسوية العربية مقابلاً لكلمة Libellule فلم أَرَ واحداً شفى غليلي . — ثم اخذت انقِّر في دواوين اللغتين العربية والفرنسوية او العربية الانكليزية لأجد اللفظة الاعجمية التي تقابل اليعسوب او مرادفاتها العربية فلم يزدني علماً احد سوى انهم شرحوا الكلمة المنشودة شرحًا طويلاً نقلاً عن العرب . وانا اطلب كل ذلك في اوسع المعاجم واضخم الدواوين اللغوية . — ثم فتشت في معجم يوحنا ابكاريوس الانكليزي العربي فوجدتهُ يقول في Dragon-fly ذباب فارسي . مغزل . يعسوب . فحينئذٍ تنفست الصعداء . الاَّ انهُ غلط في ذكر مرادف اليعسوب كلمتي ذباب فارسي ومغزل . فاما الذباب الفارسي فليس باليعسوب على ما هو مشهور . واما المغزل فلعلهُ من وضعهِ لمشابهة جسم اليعسوب للمغزل . وعلى كل حالٍ اني لم اجد لها اثراً في المعاجم اللغوية الجمة الموجودة تحت يدي . واما اليعسوب فلا غبار عليها فهي الكلمة الصحيحة المناسبة للكلمة الانكليزية

فانظر بعد هذا عظم احتياجنا الى معجم علمي يدوِّن الالفاظ الصحيحة الفصيحة المقابلة للاعجمية او بالعكس . وتحقَّقْ ان ما فعلهُ المقتطف من نشر « معجم الحيوان » للدكتور

امين المعلوف هو من اعظم الاعمال في تحقيق الالفاظ الخاصة بعلم الحيوان · الاَّ انهُ لم ينشر بعدُ ما يتعلق بالحشرات · ولهذا نشرت هذه الالفاظ ريثما يعود الكاتب الضليع الى موضوعهِ الجليل فيوفي حقهُ من البحث والتدقيق

٣ً اليعاسيب وانواعها على ما جاء في كتب الافرنج المحدثين

كل من انعم النظر في ما ذكرهُ العرب وصفاً لليعسوب لا يمكن ان يخامرهُ الشك في انهُ هو المسمَّى بالانكليزية Dragon-fly وبالفرنسوية الفصيحة Libellule وبالفرنسوية العامية Demoiselle الاَّ ان غوليوس نقل في معجمهِ الكبير العربي اللاتيني ان اليعسوب هو Mordella Gazæ او Orsodacna Aristot وقد نقل هذا اللفظ ايضاً فريتاغ ولم يعزُهُ الى صاحبهِ · ولا حاجة الى التنبيه الى انهما غلطا في جعل المرادف لها في اللاتينية احد هذين الحرفين او كليهما معاً · فالوهم ظاهر لمن لهُ ادنى وقوف على علم الحشرات وعلى حقيقة تعريف العرب لليعسوب

اما اللفظ الصحيح المقابل لليعسوب في اللاتينية فهو Libellula وهي تصغير Libellus ومعناها الكُتَيِّب وذلك لانها تشبه كتاباً صغيراً مفتوحاً لهيئة جناحيها المنبسطين واليعسوب قبيلة من قبائل الحشرات من رتبة العُصَيْبِيَة الاجنحة من فصيلة المخرزية القرن تمتاز بقدها الرشيق الممشوق وخصرها الدقيق وجسمها الطويل اللطيف المتلون بالوان مختلفة حسنة المواقع · ويشبه بطنها انبوباً صغيراً دقيقاً اسطواني الشكل مؤَلف من اجزاء مختلفة تكاد تكون متساوية القدر · ورأسها ضخم بالنسبة الى جسمها وجبهتها ناتئة كل النتوء وقرناها قصيران ينتهيان بشعرة ومعيَّناتها ocelles واقعة على جانب ورقةٍ مستعرضة ومشفراها بيِّنان كل البيونة وقويان ولها اربعة اجنحة متساوية متشابكة الخطوط · ولجناحيها المتقدمين اعصاب بشكل مثلث مستطيل معكوس

واليعاسيب تتطور التطورات الثلاثة · والاناث تسرأ في الماء فيخرج دود او دعاميص لها قوائم زباء وتتحرك بسرعة وخفةٍ وتنسلخ مراراً · اما السُرُف فلونها لون حشرة رَبداء قد نبت لها جناحان في الخصر وتتشبث بالحشائش والانبتة المائية لتنتظر ثمَّ تطورها الاخير · واذا تمَّ خلقها رأيتها حسناء ولها تلك الاجنحة المتلونة الرقيقة للتي تزري بانواع الشفوف وعينان ضخمتان ذواتا صفيحات في منتهى الغرابة ولمشفريها من القوة ما تقوى بهِ على تحطيم اي ذبابة تقع لها في طيرانها وترتزق بها

وترى اليعاسيب في الصيف في جوار المياه تسف سفاً سريعاً في اغلب الاحيان وتحاق

في الجوّ في بعض الأُوَيْقات ومع شكلها الظريف وخلقها اللطيف فانها من اشد اللواحم ضراوة بالاحياء الصغيرة

وتقسم هذه القبيلة الى ثلاث عمائر او اصناف وهي اليعاسيب والجحلان والتبابيع

اما ضروب اليعاسيب فاشهرها : اليعسوب المشهور Libellule communis او L. vulgata و يكاد يكون بطنهُ اسطواني الشكل والجسم اشعل غامقًا والاجنحة شفافة وفي القامة ١٨ خطًّا الى آخر ما هناك · واليعسوب المفلطح L. depressa ويسميهِ عوام الافرنج اليونورة Eléonore وجسمهُ مفلطح دقيق المؤخر · — واليعسوب الكبير او السرّمان (بكسر السين وتضمّ على لغة) L. graudis والفرنسويون يسمونهُ Julia جولية او Grand libellule وطول الاجنحة من طرف الى طرف يبلغ ٨ سنتيمترات · وجسمهُ يذكّرك بجم انبوب الريش وهو من الجحول لا من اليعاسيب · — واليعسوب ذو الاربع نكات او اليعسوب الفرنسوي او فَرَنسُوَاة Françoise وهو الذي في جناحيهِ الاعليين نكتتان فقط في طرفيهما الخارجين وفي جناحيهِ الأُخرين نكتتان اخريان عند اصليهما · — واليعسوب الشَبَهي او الاسمر ويسميهِ الفرنسويون أمنثة Aminth ويعرف بصفرة اجنحتهِ مع نكتة سمراء فيها وهو يرفعها صُعُدًا في اغلب الاحيان اذا ما حطّ على موضع

اما ضروب الجحول فمنها السرمان الذي ذكرناهُ والجحل بالفرنسوية هو Æshne ومنها الجحل ذو الكلابة ويسميهِ الفرنسويون كارولينة Caroline ويعرف بنكتة مستطيلة على حافة كل جناح الى غيرها

اما التبابيع ومفردها التُبَّع Agrion فتمتاز عن اليعاسيب والجحول باجنحتها القائمة في وقت السكون وبضخم الراس من قِبَل الصدغين وقصرهِ ولها جباهُ مفلطحة واعين بارزة مقببة · ومن ضروبها المشهورة التُّبَّع الصرور وهو معروف في ديار العراق والشام ومصر و بلاد الافرنج واسمهُ بلغة العلماء Agrion virgo لونهُ اخضر مذهب او ازرق واضح وشبكة اجنحتهِ متلزّزة والتُبَّع الفتيّ (١) و بالفرنسوية Agrion jouvencelle: وغيرها · ومما

(١) من غريب ما اختلف فيهِ ابناء الغرب عن ابناء العرب في تسمية هذه الدويبات ان الاعاجم وضعوا لها احب اسماء الاناث اليهم لما رأوا من ظرافة شكلها وخلقها و بديع الوانها ومحاسنها ولطافة بنيتها وتركيبها ورشاقة قدها ورقة خصرها فسموها باسماء اشهر بناتهم حسنًا وجمالاً وقد رأيت بعضًا من هذه الاسماء وهي جولية واليونورة وفرنسوازة وامنثة وكارولينة وغيرها · ومنها ما سموها بالعذراء او البكر وهي التي دعوناها « بالتبع الصرور » · وانما ذكّرنا النعوت لان المنعوت العربي مذكر · وكذلك ذكرنا لفظهم

تعرف بهِ التبابيع ان قدها دقيق كانهُ خط" خُطَّ بالقلم وتختلف الى شواطيء الانهار وتبين عن غيرها بلون بطنها ولألأة اجنحتها . وطيرانها دون طيران اليعاسيب سرعةً وهي لا ترتفع صعُدًا ولا تصف" صفًّا بل تتطاير على الانبتة وهي كلها من سباع الحشرات اي من اكلة اللحوم فيها هذا ما اردنا تبيانهُ في هذا الباب . والسلام أمكج

التظاهر بالموت لاتقاء الموت

للاستاذ هولمز من جامعة وسكونسن في اميركا

من الحيوانات انواع كثيرة تتماوت اذا دهمها الخطر ولا يمكننا القول بانها تفعل ذلك عن ادراك عالمة بانها تتذرع بهِ لتخليص حياتها من الخطر المحيق بها . ولو سلمنا بان للحيوانات العليا من الفهم والدهاء ما يدفعها الى مثل هذا لما وسعنا بان نسلم ان العناكب ونحوها من الحشرات الدنيا التي تفعل ذلك تدرك نتيجة عملها . وقد جرَّب العالم الفرنسوي فابر بعض التجارب في هذا السبيل فثبت لهُ ان مدة تماوت الحشرة وانقطاعها عن الحركة لا تتغير ببقائهِ قربها واتيانهِ الحركات بحيث تحس بوجودهِ . فجرب اكثر تجاربهِ في بعض انواع الخنافس فكانت تحني رأسها الى الامام وتضم ارجلها الى جسمها وتنقطع عن كل حركة عند ما يلمسها وتبقى على هذه الحال دقائق كثيرة وربما بقيت اكثر من ساعة . ثم تستفيق من سباتها فتبدأ مظاهر اليقظة بارتجاف خفيف في ارجلها وقرنيها وهلبات فمها ولا تلبث بعد ذلك ان تحرك ارجلها فتنهض وتدب كأن لم يكن شيءٌ واذا امسكها ثانية عادت الى تماوتها . وقد كرر ذلك مراراً فوجد ان مدة السبات تزيد كل مرة عن المرة التي قبلها ولكن اذا تكرر ذلك على الحشرة نفسها اقلعت عن التظاهر بالموت كأنها تعبت منهُ او تأكدت ان حيلتها لا تنفع

وكان فابر في بعض التجارب يلقي الحشرات على ظهرها ويبتعد عنها ويتجنب كل حركة وصوت فتبقى هادئة . وخرج في بعض التجارب من الغرفة ولكنهُ كان يتردد اليها بكل تأنٍ واحتراس ليراقب حركات الحشرات فكانت النتيجة واحدة . ثم غطَّى بعضها حتى تأكد انها

في قولهم : النبع الفتية او الشابة او الصبية مراعاةً لمصطلح العرب ومزية لغتهم . ولذلك قلنا النبع الفتي" . — اما الناطقون بالضاد فانهم اطلقوا عليها اغلظ الالفاظ وأضخمها وافخمها واجفاها كأنهم كرهوها ولم يستحسنوا اشكالها . ومنها اليعسوب والجعل والنبع وعقرب الحمار . اللهمَّ الاَّ السرمان فانها دون سائر الالفاظ جفاءً وخشونةً . فسبحان مفنن العقول

لا تبصر شيئًا وخرج من الغرفة فلم يكن ذلك ليؤثر فيها · فتبين من ذلك ان المناظر والاصوات لا تؤثر في طول المدة التي تبقاها الحشرات هادئة متظاهرة بالموت · وقد جرّب كثيرون تجارب مثل هذه في انواع مختلفة من الحشرات فدلت كلها على ان الحشرات لا تتماوت خداعًا مدركة نتيجة عملها

وقد نبّه دارون الى الفرق بين اوضاع اجسام الحشرات حينما تتماوت واوضاعها حينما تكون ميتة حقيقة فقال : عاينت هيئات الجسم واوضاعهُ حين التظاهر بالموت في سبعة عشر نوعًا مختلفة من الحشرات ثم اتيت بحشرات ميتة من نوعها وامتُّ اخرى بالكافور واعتنيت بان اجعل موتها بطيئًا هينًا فلم يكن وضع جسم الميتة كوضع جسم المتماوتة ولا في واحد من هذه الانواع بل كان الفرق ظاهرًا جليًّا بين الحالتين

وتتخذ بعض الحيوانات هيئات غريبة عند تماوتها · فاكثر الخنافس تضم ارجلها وقرينايها الى جسمها · والدويبة المعروفة بالهدبة تجمع اطرافها وتستدير كالكرة · ومن الخنافس نوع اذا احس بدنو الخطر مدّ ارجلهُ فتنتصب كانها قطع سلك من الحديد وانقطع عن الحركة فتنخدع بذلك الطيور التي تأكلهُ · وارجلهُ تنتصب مثل ذلك عندما يموت · والعناكب تطوي ارجلها وتمتنع عن الحركة وديدان بعض الفراش تأخذ بغصن شجرة بارجلها الخلفية وتنتصب في الهواء كانها بقية غصن مقطوع · وكثيرًا ما يكون لونها كلون الغصن الذي تتعلق بهِ فيصعب اذ ذاك تمييزها عنهُ ·

ومع ان اكثر الانواع تتخذ اجسامها اوضاعًا وهيئات مخصوصة عندما تتماوت فبعض الانواع يبقى جسمها على ما كان حين ابتداء سكونها · ومن امثلة ذلك عقرب الماء (ranatra) فلهذه الحشرة ثلاثة ازواج من الارجل والزوجان الخلفيان طويلان دقيقان تعتمد عليها في المشي والسباحة وتستعمل الزوج الامامي لامساك الحيوانات المائية الصغيرة لتقتات بها · فاذا اخذت واحدة من هذا النوع من الماء امتنعت عن الحركة وجمدت ارجلها وقد تلتصق اطرافها بجسمها فتصبح كانها قطعة من قضيب · وقد تمتدُّ عموديًّا او تقف على هيئات اخرى ولا فرق بين ان تكون الارجل كلها على هيئة واحدة او على هيئات مختلفة · فوضع الارجل يتوقف على هيئتها عند ابتداء التماوت ولا يتغير الى ان تفيق الحشرة ثانية · وقد وجدت ان عقارب الماء الصغيرة تتظاهر بالموت يوم خروجها من البيض قبل ان تتصلب ارجلها ولكن مدة بقائها على تلك الحال اقصر من المدة التي تبقاها العقارب البالغة اشدّها ·

ومن الغريب ان العقارب الكبيرة لا تتظاهر بالموت وهي في الماء مهما استعملت لذلك من الوسائط والحيل ولكن اذا اخرجتها منهُ سهل ذلك كثيراً عليها فلمسة خفيفة قد تبقيها ساعة بلا حراك

وهذه الغريزة لا تظهر في الحيوانات العديمة الفقرات الاّ ان بعض الانواع تعمل اعمالاً تقرب منها · وتظهر في الحيوانات القشرية ولكنها ليست تامة فيها فمنها انواع تعيش على الشواطىء الرملية وتظهر كانها ميتة كلما اخذتها بيدك واذا كررت اخذها كررت عملها هذا

ثم تظهر هذه الغريزة على درجة اوضح في الهدبة فبعض انواعها تستدير كالكرة وتبقى على هذه الحال مدة غير يسيرة · وبعض انواعها تضم اطرافها الى جسمها وتتخذ شكلاً يقرب من شكل الكرة ولكنها لا تلبث على تلك الحال طويلاً فتنشر اطرافها وتعود الى شأنها الاول · ومن الحيوانات الكثيرة الارجل ما يفعل ذلك واكثر العناكب تفعلهُ ايضاً

ويظهر التماوت بأتم احواله في الحشرات السفلى كالخنافس وبعض الدويبات ويقلُّ في الحشرات العليا كالذباب والنمل والنحل ويبدو في قليل من انواع الفراش وديدانها · وتختلف درجة هذه الغريزة في انواع الحشرات فتظهر في بعضها قوية كما في الانواع التي تتماوت فلا تتحرك ساعة من الزمن وتظهر في البعض الآخر ضعيفة كما في الانواع التي تسكن دقيقة او دقيقتين · وبعض الانواع تُقطَع اطرافها او تلقى في النار فتبقى ساكنة ولا تبدو عليها علامة تدل على الحياة

اما في ذوات الفقار فالتماوت قليل في السمك ولا يزيد الاّ قليلاً في الحيوانات التي تعيش في الماء واليابسة فلا يبلغ الدرجة التي يبلغها في الحشرات والعناكب · واذا احتيل على الضفادع بطرائق مخصوصة توقفت عن الحركة وتماوتت على نوع ما · وبعض الزحافات تتظاهر بما يقرب من التماوت وقد ذكر دارون نوعاً من الحرذون في اميركا الجنوبية اذا احس بقرب العدو بسط اطرافهُ واغمض عينيهِ والصق جسمهُ بالارض كانهُ يحاول ان يختفي عن الانظار فاذا ازعجتهُ وهو على تلك الحال وارى نفسهُ في الرمل حالاً · والحواة في مصر يغمزون الصل في عنقهِ فيصيبهُ شبه الانشلال فيلعبون بهِ كيفما شاؤُوا ويجري مثل ذلك لانواع اخرى من الافاعي

ولا يتماوت من الطيور الاّ انواع قليلة · وقد دهشت لسرعة تولّد هذه الغريزة في فراخ

الخرشن من طيور الماء . فان الصغار تبقى مدة بعد افراخها لا تخاف الناس فاذا القيت يدك عليها استأنست وجثمت تحتها . حتى اذا كبرت ونبتَ عليها ريش البلوغ صارت تخاف من الناس فاذا دنوت منها هربت واختبأت في العشب وبقيت بلا حراك . ويمكنك عندئذٍ ان تأخذ الخرشنة وتمد رجليها وتبسط جناحيها فلا يبدو عليها اثر للحياة . وقد ينزع ريش ذنبها وجناحيها ريشةً ريشةً فلا تتحرك . ثم تنقلب الحال بغتة فتفيق وتأخذ تصيح وتنقر وتحاول الافلات . وحاولت مراراً ان اجعل احد هذه الطيور يتماوت مرة ثانية فلم افلح.

وذكر رانغلر ان اوزَّ سيبيريا البري يفعل ذلك عندما يقع ريشهُ ويصبح غير قادرٍ على الطيران . وجاء في وصف هدسن لبعض انواع الحجل في اميركا الجنوبية انهُ بعد ان يحاول الافلات من ممسكهِ يدلي راسهُ ويتنفس مرتين او ثلاثًا كانهُ في حالة النزع فتحسبهُ قد مات . فان القيتهُ من يدك فتح عينيهِ حالاً ووثب بغتة الى حيث لا تطالهُ يدك

فاذا اتينا الى الحيوانات اللبونة رأينا هذه الغريزة ظاهرة جليًّا في الابسم . واذا أُحرج الثعلب او وقع في فخ تماوت واحتمل اصناف الاذى من دون ان تظهر منهُ اقل حركة . روى هدسن حكاية عن ثعلب رآهُ باميركا الجنوبية قال : « ركبت مرة مع رفيق لي في ارض عراء فراينا ثعلبًا لم يبلغ اشدهُ ينظر الينا كانهُ ينتظر اقترابنا منهُ . ولكنهُ ما لبث ان انطرح على الارض بغتة فلما دنونا منهُ وجدناهُ مغمض العينين كانهُ ميت . فالهبهُ رفيقي ضرباً بسوطهِ فلم يتحرك واخبرني عند ذلك انها ليست اول مرة رأى فيها ثعلبًا يفعل ذلك »

واورد المستر مورغان في كتابهِ عن القندس (كلب الماء) الحادثة التالية وهو متأكد صحتها قال : «حدث ذات ليلة ان ثعلبًا دخل قن الدجاج في احدى المزارع فاكل حتى انتفخ بطنهُ ولم يقدر على الخروج من حيث دخل . فاتى الفلاح في الصباح فوجدهُ ملقى على الارض ممدود الارجل كأنهُ مات من التخمة . فاخذهُ من ذنبهِ ومشى بهِ الى ان اقترب من البيت فرماهُ على الارض فنهض من ساعتهِ واطلق ارجلهُ للريح » وكثيراً ما يتمكن الثعلب من خدع الكلاب بهذه الحيلة فينجو بحياتهِ . وقد شاهد كثيرون الثعلب المتماوت يفتح عينيهِ ببطء اذا تُرك وحدهُ ثم يرفع رأسهُ وينظر حولهُ ليتأكد ابتعاد العدو عنهُ ثم يقف بغتةً ويهرب

وليست هذه السليقة سوى رد فعل للمؤثرات الخارجية في الحشرات ولكن الطيور والحيوانات اللبونة تدرك ما تعمل على نوع ما . ففي هذه الحيوانات الراقية يرافقها ادراك قليل من الحيوان الذي يلجأ اليها لتخليص حياتهِ ولكنها ليست نتيجة افتكار وجداني ولا هي

خطة يرسمها لهُ عقلهُ ولولا انها غريزية فيهِ لما امكنهُ اختراعها . وان حسبناها ناتجة عن فهم الحيوان فلماذا لا تلجأ اليها الحيوانات الاخرى التي لا يقل فهمها عن فهم هذه . ولا شك في ان الثعلب الذي يفتح عينيهِ رويداً رويداً و ينظر الى ما حولهُ نظرة المتثبت من امرهِ قبل ان يقدم على شيءٍ يفعل ذلك مدركاً نتيجة عملهِ ولكن لا ينتج من هذا انهُ يفعل هذه الامور من دون ان تسوقهُ اليها الغريزة

اما الاحوال الفسيولوجية التي ترافق التماوت فتختلف باختلاف الانواع . ففي اكثر الحيوانات الدنيا تتشنج العضلات كتشنج عضلات المصاب بالكزاز . واستدارة البعض كرات تضم الاطراف في وسطها و يبس قوائم الاخرى وبقاؤها على هذه الحال وقتاً غير يسير يقتضيان بذل قوة عضلية . وعقرب الماء المتماوت تأخذهُ من رجلهِ الدقيقة فتحملهُ من دون ان تلتوي اذا مُدَّ افقيًّا . واذا تصورت رجلاً أُخذ من رجلهِ ومُدَّ في الهواء افقيًّا ووجههُ الى السماء ولم تلتوِ ركبتهُ امكنك ان تتصور صعوبة ذلك في عقرب الماء ورجلهُ بالنسبة الى جسمهِ اضعف من رجل الانسان بالنسبة الى جسمهِ

وتماوت الحشرات والحيوانات الدنيا لا يتوقف على فعل الدماغ بل على فعل فسيولوجي في جميع الجسم . وقد وجدت ان القسم الخلفي من عقرب الماء يتماوت بعد نزع رأسهِ والقسم الامامي من صدرهِ . واذا افاق من تماوتهِ عاد اليهِ ثانية عند ما تلمسهُ . وثبت ايضاً ان العناكب تتماوت بعد نزع دماغها

ولا شك في ان لغريزة التماوت علاقة بما يسمى بالاستهواء في الحيوانات الدنيا فالضفادع والحراذين وبعض السراطين والافاعي والطيور والحيوانات اللبونة تبيت في سبات عميق لا تبدي حركة اذا احتيلت عليها ببعض الوسائل البسيطة . ويمكنك ان تجعل الحيوان يتماوت بمؤَثر ضعيف بسيط كاللمس مثلاً . اما الاستهواء فلا يتم الاَّ بطرائق مخصوصة والمؤَثر في كلا الحالين يأتي عن طريق اللمس . وفي استهواء الحيوان تتشنج اكثر عضلاتهِ وتقل فيها قابلية الانقباض بالمؤَثرات . ويحدث مثل ذلك في تماوت بعض الحشرات فيمتنع تأَثر عضلاتها الى درجة محسوسة . فاذا قُطعت ارجل عقرب الماء الواحدة بعد الاخرى او قُطع جسمهُ نصفين لم يتحرك . ولا نقدر في الوقت الحاضر ان نبتَّ احكاماً قاطعة في حالة الجهاز العصبي في مثل هذه الاحوال ولكننا نقول ما نقول من باب الحدس الى ان يحقق العلم حدسنا او ينقضهُ

اللغة العربية

(تابع ما قبله)

ترون ايها السادة اني لا احسب الالفاظ المفردة من حيث هي الفاظ مفردة ولا الحركات الاعرابيَّة ولا كثيراً من المذاهب والتعليلات الصرفية والنحوية من مقوّمات اللغة العربية ولا من القفيَّات التي امتازت بها فكانت سبباً لتفوُّقها على كثير غيرها من اللغات الراقية ولا اذهب ايضاً الى انَّ بلاغة الجاهلية جوهرية في اللغة العربية حتى اذا خرج الكتَّاب عن محاذاتها والصوغ على قوالبها الى ما تدعوهم اليهِ اذواقهم وتخيلاتهم فسدت اللغة العربية وانحطت رتبتها العالية بين اللغات المرتقية وانحطَّ اهلها ايضاً تبعاً لانحطاطها. بل اعتقد ان بقاءنا على تحدّي بلاغة الجاهلية وتوخيها في كتاباتنا لا يجوز لنا ولا يكون بلاغة ايضاً الاَّ اذا كانت عقولنا ومدركاتنا وبالتالي عاداتنا ومألوفاتنا الاجتماعية الحسيَّة والادبية شبيهة تمام المشابهة بما كانت عليهِ عقول الجاهلية ومدركاتها وعاداتها وسائر احوالها الاجتماعية · لان البلاغة عند التحقيق تقوم بانطباق الصورة الكلامية الخارجية على الصورة الداخلية الذهنية · ولا شك ان الصورة الذهنية لقوم او لجيل من الاجيال في زمانين متباعدين لا بدَّ ان يقع فيها تغيُّرٌ يقلُّ او يكثر على نسبة ما يقلُّ الاختلاف او يكثر بين ظواهر تمدن الجيل في ذينك الزمانين · فان بقي التمدُّن واحداً (اي جميع المظاهر الاجتماعية الخارجية وما دعا اليها من الاستعداد العقلي والديني والادبي) بقيت الصورة الذهنية لاهل الجيل في الزمانين واحدة وبالضرورة تبقى او يصحُّ ان تبقى الهيئات التركيبية البليغة واحدة عندهما والاَّ فلا · اذن فالذين يريدوننا على تحدي بلاغة الجاهلية او توخيها لا نخرج عنها في شيء كأنما هم يقولون لنا ان افكاركم وتخيلاتكم ومدركاتكم ومعلوماتكم لا بل ومحيطاتكم الاجتماعية هي وافكار الجاهلية وتخيلاتهم الخ شيء واحدٌ · ان كان بينكم من يسلّم بصحة هذا فليتحدَّ وليتوخَّ بلاغة امرىء القيس والحارث بن حلزة والاعشى وغيرهم وليحذو حذوهم

اذا لم تكن الالفاظ المفردة ولا الجمل المفردة ولا علامات الاعراب ولا هذه الهيئة التركيبية او تلك بعينها من مقوّمات اللغة العربية ولا من صفاتها الجوهرية الثابتة والتي ينبغي ان تثبت وتترقى وتتكيَّف مع الايام فما هو اذن ذلك الشيءُ الذي تميزت بهِ العربية وجعلها تتفوّق على غيرها من اللغات ولا يزال باقياً بل وينبغي ان يبقى لا تخلق جدّتهُ مع

الايام . والجواب على ما ارى . هو الاشتقاق والقياس . الاشتقاق على ما ينبغي ان يُفهَم منهُ والقياس على ما ينبغي ان يفهم منهُ في كل انواعهِ وفي كل نوع من انواع الكلم العربية والدخيلة المعرّبة ايضاً ان كانت

ايها السادة ان الاشتقاق ضروري في كل لغة لا تستقلّ لغة عن غيرها الاَّ بهِ ولا تترقى الاَّ بهِ فان استقلّ وترقى استقلّت اللغة عن غيرها وترقّت وان تميز الاشتقاق وانفرد في كل لغة من لغتين تميزت اللغتان وانفردت كل منهما عن غيرها والاَّ فان تشابه واشترك تشابهتا واشتركتا . مثالهُ اللغة التركية فانها على كثرة الالفاظ المفردة المستعارة من العربية وعلى كثرة الجمل التامّة المأخوذة كما هي منها اي من العربية لا تزال لغة مستقلّة عن العربية متمايزة عنها تمام التمايز . إنَّ في التركية مئاتٍ والوفاً من الالفاظ العربية كما ان فيها مئاتٍ والوفاً من العبارات والجمل التامّة المستعارة راساً من تلك اللغة يعلم ذلك من يعلمهُ ومع ذلك هي في غاية البعد والتمايز عن اللغة العربية بخلاف العبرانية فانها مع بعدها بحسب الظاهر عن العربية حتى يُخيَّل للناظر انَّ التركية اقرب منها اليها بمرّات فمع ذلك هي والعربية اختان بينهما من المشابهة والاشتراك في الخصائص والقفيات الشيء الكثير كما يعلمهُ علماء اللغات المحققين الذين يؤخذ بقولهم وكل ذلك لاشتراك الاشتقاق وقرب شبههِ في الواحدة بما هو عليهِ في الاخرى

الاشتقاق في كل لغة هو الامر الجوهري فيها . هو عماد اللغة واقوم مقوّمٍ من مقوّماتها . وبعبارة اخرى هو حياتها وعليهِ يتوقف ارتقاؤُها او انحطاطها . تقدّمها او تأخُّرها . واذا اردنا التمثيل قلنا هو من اللغة كالحيوان او الناطق في تحديد الانسان بل ربما هو اكثر من ذلك وقد لا يخطئ من يقول ان اللغة هي الاشتقاق . الفاظ اللغة تموت وتحيا اي يهمَل استعمال بعضها فتموت ويستجدُّ استعمال اخرى فتحيا ولا يمضي زمان يُذكر الاَّ ويموت كثير من الالفاظ في كل لغةٍ ومن بينها العربية ويحيا كثيرٌ ايضاً . واللغات النامية المرتقية هي ما كانت مواليد الفاظها اكثر من وفياتها . والعاقل المتامل يعلم ان كثرة مواليد الالفاظ وقلتها في اللغة يتوقف على الاشتقاق فان كان الاشتقاق مرتقياً نشيطاً كثرت مواليدهُ وعاشت والاَّ قلّت وماتت . وعليهِ فارقى اللغات واكثرها حياةً هي ما كان الاشتقاق فيها اتمّ منهُ في ما سواها داخلاً في كلّ فرعٍ من فروعها

ايها السادة الكرام اذا سلّمنا انَّ انمى اللغات وارقاها هي اكثرها زيادة عدد مواليد في الفاظها وعباراتها واذا سلّمنا ايضاً ولا بدَّ للعاقل المتأمل من التسليم أنَّ اللغة الثابتة على

ما كانت عليهِ اما لغة ميتة محنّطة كالموميا المصرية واللغة العبرانية القديمة او هي لغة شاخت فتوقّفت عن النموّ واخذت تتراجع عمّا كانت عليهِ . اذا سلّمنا بما مرّ اذن فالذين يحاولون ابقاء لغتنا العربية على ما كانت عليهِ في الفاظها وعباراتها وهيئات تراكيبها لا يسمحون بزيادتها بوجهٍ من الوجوه لا بالاستعارة ولا بالاشتقاق هولاء ينادون علنًا ان اللغة العربية قد ماتت او شاخت وان انكروا ذلك وسلّموا كما هو الواقع ان العربية لغة حية نامية فعدم سماحهم بزيادة مفرداتها لا بالاستعارة ولا بالاشتقاق تصريح واضحٌ منهم انهم يريدون ويسعون بكل مكنتهم الى اماتتها ولا نعلم اذلك من محبتهم لهذه اللغة الشريفة ام من بغضهم لها والمرجح عندي ان ذلك من شدّة حبهم لها ولكنهُ الحب مع الجهل

وان قليل الحبّ بالعقل صالح وانّ كثير الحبّ بالجهل فاسد

دعونا نوجّه خواطرنا الى مشهد آخر من مشاهد محبي العربية . من جملة هولاء المحبين من يعترفون بالسنتهم انهم لا يرون بأسًا بزيادة مفردات العربية بالاستعارة تارةً وبالاشتقاق اخرى فيأذنون بزيادة تلغراف واوتوموبيل مثلاً وبزيادة أبرق ومغنَط ولكنهم لا يتسامحون لاحدٍ ان يقول كما قال الحريري — واستعنت بقاطبة الكتّاب فكلٌّ منهم قطّب وتاب . ويجيزون لهُ ان يقول استعنت بالكتّاب قاطبةً اكتع ابتع أبصع لا يرون بأسًا في زيادة عدد الكتعان والبتعان والبصعان لانّ كل ذلك اهون عليهم من الخروج بقاطبةً عن النصب حالاً الى الجرّ بالاضافة ويحتجون بقولهم ان ذلك لم يُسمَع او لم يرِد عن العرب . ومثل هؤلاء فئة يقولون — هذه عبارة افرنجية — وهذا تركيب خارج عن مناحي التراكيب الجاهلية البليغة—شُلّت يمين كاتبهِ ولسان قائلهِ لانهُ يريد ان يُفسِد علينا فصاحة العربية وبلاغتها— يقولون ذلك ولو كانت العبارة اوضح من فلق الصبح على المعنى المستعملة فيهِ . ومثل هؤلاء المارّ ذكرهم يتبجحون اذا قالوا مثلاً — وما زال يفتل منهُ في الذروة والغارب حتى ادارهُ الى ما يريد — ويصرخون بالويل والثبور اذا رأوا من يقول مثلاً — وما زال يأخذهُ ويجيءُ بهِ حتى ادارهُ الى ما يريد — او ما زال يداورهُ حتى ادارهُ الى ما يريد . ولماذا ذلك ؟ لانّ جملة — يفتل منهُ في الذروة والغارب — وردت عن العرب ولم ترد جملة — يأخذهُ ويجيءُ بهِ — ولا جملة— ويداورهُ — معان جملة يأخذهُ ويجيءُ بهِ من باب الكناية التي لا اوضح منها في محيطنا الآن على المعنى المراد وهي من باب قولهم — يقدّم رجلاً ويؤخر اخرى— واما يداورهُ فمن باب القياس اي نقول داورهُ قياسًا على حاسنهُ وسائرهُ وقاعدهُ وقاومهُ ونازعهُ الحديث واشباه هذه

بل لا نعدم من هذه الفئة كثيرين يرون في قولي قبيل الآن — ويصرخون بالويل والثبور اذا رأوا من يقول — إفساداً للغة ليس من ورائهِ إفساد لاني استعملتُ — رأوا من يقول — بدلاً من سمعوا من يقول — يزعمون اخذاً بالظاهر القريب ان رأى لا تقوم مقام سمع

ايها السادة والاخوة الكرام ان سرّ تفوّق اللغة العربية وانها من اشرف اللغات القديمة والحديثة وانها احق لغةٍ بان تحيا كما قال بعض علماء الاميركان المحققين هو لانها لغةٌ باب الاشتقاق والقياس فيها واسع جدًّا لا يضيق عن ان يسع العقل ان يدخل منهُ مهما طال قوامهُ واتسع صدرهُ بل كلٌّ من الاشتقاق والقياس فيها يفسح مجالاً للعقل ان يدخل منهُ الى باحات هذه اللغة الشريفة وان لبس قلنسوةً اطول من قلنسوة ابي دلامة او جُبة اوسع من جبة ممدوح ابي تمام الذي يقول فيهِ

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكتهِ رقاب المال

فيالله اذن من كثيرين ممن يدعون حبّ هذه اللغة الشريفة ولكنهم يحظرون على العقل ان يزورها في الاحايين حتى ولو كانت زيارتهُ الماماً واطلالاً من باب دارها الخارجي ولطالما كان قبل عهدهم في ايام الجاهلية وصدر الاسلام يزورها غير معارضٍ فيدخل كل مخدَع من مخادع مشتقّاتها وكل عطفةٍ من عطفات قياسها يأمر وينهى بما يقتضي لا يضيق ولا يُعنت

ايها السادة امَّا الآن وقد فششت كربي من بعض هؤُلاء الذين يحبون اللغة العربية بزعمهم ولكنهم يعملون على اماتتها ولا يعلمون فاتقدم الى بيان ما هو عليهِ الاشتقاق من الانساع في هذه اللغة السيدة بين اللغات وما يزيد اتساعهُ في غنى اللغة ويهوّن على الشعراء والكتاب في ابراز ثمرات عقولهم وايداعها في احسن قوالب النثر والنظم . والاشتقاق منهُ في الاسماء ومنهُ في الافعال فلنبدأ بالاشتقاق في الاسماء

ان للمصدر نيفًا وثلاثين صورة فيما اعلم ومن اقربها واكثرها استعمالاً الاوزان الآتية وهي وزن فُعْل وفَعْل وفِعْل وفُعال وفَعال وفِعال بدون التاء او بالتاء وفُعول وفُعُولة وفَعَل وفَعلان الخ . وكل هذه الصور تأتي ايضًا لاسم المصدر فضلاً عن غيرها من الصور الاخرى

ومثل المصدر الصفة فان لها من الصور ما يزيد عن صور المصادر او يساويها على الاقل ومن تلك الصور وزن فاعِل وفَعِل وفَعْل وفعلان وفعول وفعيل ومِفْعال ومِفعالة وفعّال وفعّالة وفاعول وفاعولة ويفعول ويفعولة ويفعَلة ويفعلي وفعيل وفعلعل وهلم جرًّا وهذه الاوزان هي

التي يسمونها بالسماعية فيكون مصدر هذا الفعل على وزن او وزنين او اكثر من هذه الاوزان ومصدر ذاك على وزن او وزنين اخرين وهلمّ جرًّا . وهكذا الصفة فانها تكون من هذا الفعل او هذا الفريق من الافعال على وزن فاعل او فَعل او فعلان وقد يكون لها صورتان او ثلاث صور او اربع وقد تبلغ من بعض الافعال الى الصور العشر وفي ذلك ما فيهِ من الغنى في المترادفات . وهناك ايضاً صور اخرى من باب السماعي للزمان والمكان واسم الالة والمصدر الميمي لا احتاج ان اطيل عليكم بذكرها

بقيت الصور القياسية للمزيدات فان لكل مزيد من مزيدات الافعال الرباعية والخماسية والسداسية صورة معينة لكل من المصدر على انواعهِ والصفة على انواعها واسم المكان والزمان . وقد يكون للمصدر صورتان قياسيتان كما هو معروف مشهور في وزني فعَّل وفاعل — مَن منا لا يعرف انَّ الفعل استعان مثلاً يأتي منهُ الاستعانة والمُستعان والمستعين والمستعان بهِ مصدراً ومؤكداً وميمياً واسم فاعل واسم مفعولٍ على الترتيب

ومن قبيل الاشتقاق في الاسم الابواب الآتية وهي باب المثنَّى والجمع المكسَّر والسالم وباب النسبة والتصغير . والبابان الاخيران يلحقان بالصفة فيزيدان من غنى اللغة المعنوي واما باب الجمع المكسَّر والسالم فيزيدان في مترادفات اللغة زيادة لا يعلم قيمتها المتعلم ويعلمها الشاعر او الناثر الساجع

نعم المتعلم يتبرَّم من ضوابط جمع التكسير التي وضعها الصرفيون لكثرتها وصعوبة حفظها غيباً ولكنَّ الشاعر الذي يعلم ان جمع ظلّ ظلال واظلال وظلول وأظاليل يستفيد من هذه المعرفة وايما فائدة فانهُ يمكنهُ ان يستخدم ظلال في قافية كقافية

بقائي شاءَ ليس هم ارتحالاً وحسن الصبر زمُّوا لا الجمالا

وظلول في قافية مثل قافية

في الخد ان عزم الخليط رحيلا مطر تزيد بهِ الخدود محُولا

واظلال في مثل قافية

شرفٌ ينطح النجوم بروقيهِ وعزٌّ يقلقلُ الاجبالا

وأظاليل في مثل

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيمٌ اثرها لم يفدَ مكبولُ

وقس على ظلال وأظلال وظُلول بحار وابحار وبحور فان صور الجمع المتعددة والمجموع واحد

تنزّل منزلة المترادفات بل المترادفات قلما تتساوى في المعنى ولذلك فقلما يتهيأُ للشاعر او للناثر ان يضع مترادفًا موضع صاحبهِ ولا يختلُّ المعنى شيئًا بخلاف صور الجمع المتعددة فان كل صورة منها يصح ان تنوب مناب صاحبتها وتوضع بدلاً منها من غير مخافة ان يختلّ المعنى المراد او يختلف عمَّا قصد لهُ بمقدار شعرة او ذرّةٍ

واذا علمتم هذا ان تعدُّد صور الجمع والمجموع واحدٌ ليس هو ثآليل في غصن الجموع العربية تشوّهُ كما يزعم بعض المتفيهقين المقلّدين من منظرهِ وتخشّن مسّهُ وتعوّج قوامهُ . بل هي غصينات الارز الجميل تزيد الغصن الاصلي جمالاً ورواءً وتجعل ظلّهُ النضير الرائع ظليلاً وارفًا

الاشتقاق في الافعال

في اللغة العربية اربع عشرة صورة وهي أَفْعَلَ وفَعَّل وفاعل وتفعَّل وتفاعل وانفعَلَ وافتعَلَ وافعلّ وافعالّ واستَفْعَلَ وافعوعل وفَعْلَلَ وتَفَعْلَلَ وافعَلَلَّ وكلٌّ منها تأْتي لعدَّة معانٍ . واشباع الكلام فيها لا يكفيهِ مجلَّد ضخم فانّي لي أَنْ اتخيَّلَ تخيُّلاً أَني استوعبت الكلام فيهِ بما يجلي لاذهانكم اهمية هذا الاشتقاق في العربية وانها من هذا القبيل تفوق كل لغة من لغات الغربيين والشرقيين لا استثني لغةً اصلاً ومع ذلك يزعم بعضهم انها لغة ميتة او انها شاخت وقاربت الهلاك . كان البعض من متحمّسة فتيان الاتراك يزعمون هذا الزعم ولا نلومهم لانهم يعرفون آداب اللغة الفرنساوية اكثر ممَّا يعرفون آداب لغتهم ولا نقول آداب العربية وتحمُّسهم الشديد كان للحالة الجديدة التي زعموا معها ان يوحّدوا اللغة في كل الولايات العثمانية فيصبح العثمانيون كلهم يتكلمون لغةً واحدة هي اللغة التركية كما يتكلم الفرنساويون الفرنساوية والاميركان سكان الولايات المتحدة الانكليزية . ذلك صوَّر لهم ما صور ممَّا زعموا معهُ هذا الزعم الفاسد او تزاعموهُ ولا نلومهم كما نلوم البعض او الكلّ من ابناء العربية ومحبّيها ممن يسمعون ان لم يكونوا يعرفون ذلك عن علم انَّ لغتهم الشريفة اوسع اللغات اشتقاقًا واكملها في ذلك حتى قال فيها بعض علماء الاميركان الاعلام كما المعنا سابقًا ونحبّ ان نكرّرهُ الآن انها اللغة الخالدة او اللغة التي هي احق اللغات بالحياة والبقاء . ومع معرفتهم هذه المعرفة يريدون ان يميتوا هذه اللغة الشريفة بسدّهم باب الاشتقاق وحظرهم استعمالهُ اللهم الاَّ فيما هو تافهٌ او عديم الجدوى ويؤدّي الى الخطإ . نلوم هؤُلاء لانهم يعظمون ما اشتُقَّ ويذكرونهُ ويحقّرون الاشتقاق وينسونهُ يعتبرون ما قيس ولا يعتبرون القياس . يحافظون على المولَّدات ولو كانت اجهاضًا او اصبحت هامًا وقداعيم ويهملون القوّة المولِّدة ويعملون على اماتتها فيا لله منهم

ماذا اخذت اللغة العربية وماذا اعطت

وصلت الآن الى موضوعي بعد ان مهّدت له هذا التمهيد الطويل العريض والواقف عليهِ معي وقد ماشاني كل الطريق خطوة خطوةً يدرك من غير عناء ان العربية لم تكن في حاجة الى غيرها من اللغات بفضل اتساع اشتقاقها وقياسيتّهِ ووضوح المعنى المراد ممّا اشتق من الالفاظ وفقاً له سواء كانت تلك الالفاظ افعالاً او اسماء فانّ من يعرف معنى القشعريرة يفهم حالاً الفعل المشتق منها اعني اقشعر وهكذا من يفهم معنى استحق فانهُ يفهم حالاً معنى المصدر واسم الفاعل والمفعول المشتقات منهُ قياسيا . ومن يعلم ان تميم علم لقبيلة من قبائل العرب وانّ بيروت علم لمدينةٍ يفهم من قولنا رجل تميمي او بيروتي انهُ من بني تميم او من اهل بيروت فهماً يتسارع الى الذهن كتسارع الصوت الى الاذن او النور الى العين . وكذلك من يفهم معنى قدّم وحسّن يفهم حالاً معاني مطاوعاتها تقدّم وتحسّن وهلمّ جرّا . وغاية ما اخذتهُ العربية عن غيرها من اللغات بعض الفاظ مفردة من باب الاسماء لا تتجاوز بعض المئين واكثرها من الاسماء الجامدة كخز وديباج واستبرق وترياق وفالوذج ممّا وجدوهُ عند غيرهم من امتي فارس والروم ولم يوجد عندهم . ولو كان يسعني المقام لعددت لكم تلك الاسماء المعروفة بالدخيلة او المعرّبة فانها لا تملأ اكثر من بضع صفحات في كتاب المزهر للامام السيوطي

واما علماء هذه الامة الذين ظهروا فيها بعد الفتوحات العربية الاولى ونقلوا العلم اليها من الفارسية او اليونانية او السريانية فلم يحتاجوا الاّ الى بعض اسماء حكمها حكم الالفاظ التي المعنا اليها سابقاً . وبالجملة نقول ان علماء العربية هم الذين اخذوا عن العلماء الذين جاوروهم من الفرس والروم والسريان دون العربية فانها لم تأخذ عن الفارسية ولا عن الرومية ولا عن السريانية ولنضرب لذلك مثلاً — ان علماء العربية اخذوا علم المنطق عن علماء اليونان اما رأساً او نقلاً عن السريانية ولكنهم لم يأخذوا الفاظ هذا العلم كما هي عن اليونان بل قالوا موضوع ومحمول وقضية وقياس واستنتاج ومقدّمة صغرى ومقدّمة كبرى ونتيجة والمقولات العشر والقول الشارح والتصوّر والتصديق وكلي وجزئي وقضية كلية . وقضية كلية مهملة . وقضية كلية مسوّرة . وهلمّ جرّا من مصطلحات هذا العلم

واخذ العلماء الغربيون هذا العلم عن اليونان كما اخذهُ علماء العرب اما راساً او عن اللاتينية واخذتهُ لغاتهم ايضاً عن اللغة اليونانية او اللاتينية لانهم قالوا سبجكت و براديكت للموضوع والمحمول وقالوا كتيغوري اي المقولات العشر وهلمّ جرّا اي ان لغتهم اخذت نفس

الحدود عن اللغة اليونانية بخلاف العربية فانها استغنت عن الفاظ تلك الحدود اليونانية بالفاظٍ من الفاظها ادّت معانيها تمام التأدية من غير صعوبة ولا التباس

وما قيل في المنطق يقال في علوم الفلسفة فانهم اي علماء العربية اخذوا هذا العلم عن غيرهم اما لغتهم فلم تحتج الى لغة القوم ورأت فيها من الالفاظ ما يوءدي معاني الفاظ ذلك العلم فقالوا موجود ومعدوم وعرض وجوهر وحال وكسر وانكسار وتاثر واثر وماهية وهوية ومقتضي ومانع ومعارض وقالوا الماهيات مجعولة بجعل جاعل وغير مجعولة والعقل الاول والمبدأ الفيّاض وغير ذلك من مصطلحات الفلسفة كثير . وانتم ترون ان كل هذه الالفاظ من صميم الالفاظ العربية والعارفون منكم هذه المصطلحات بالفرنساوية او الانكليزية يعلمون انّ اغلب هذه الالفاظ مأخوذة عن اللاتينية او اليونانية بل يعلمون ان علماء هاتين الامتين ما زالوا يوءلفون في اللغة اللاتينية الى عهدٍ قريب لعدم استطاعة لغاتهم اولاً ان تحمل هذه العلوم بنفسها بخلاف العربية فانها تحمَّلتها حالاً واصبحت تلك العلوم كانها موضوعة فيها ابتداء وكان من علماء اللاتين والجرمان انهم ترجموا في بادي امرهم اكثر تلك العلوم عن اللغة العربية

وهكذا كان الامر ايضاً في علوم الطبيعة كالطبيعيات والطب والكيمياء والفلك والنبات والحيوان فان اللغة العربية لم تحتج في كل هذه العلوم الاَّ الى الالفاظ التي تستعار استعارة لانّ مسمّياتها من نبات وحيوان لم تكن معروفة في البلاد العربية لانها لا تعيش فيها وتعيش في غيرها من البلدان فاخذوا الاسم باخذ المسمى وهكذا الحال فيها لو كان اللفظ المأخوذ اسماً لآلة مخصوصة صنعها صنَّاع تلك الامم قبل ان عرفها العرب والعربية بمئات من السنين

واما ما اعطتهُ العربية لغيرها من اللغات والامم فكثير ومن ذلك (١) انها اعطت حروفها الهجائية لملايين ملايين من الشعوب في بلاد الترك والهند وجزائر البحر فان المورو في جزائر الفيلبين يكتبون لغتهم بالحروف العربية لحد هذه الساعة

(٢) اعطت نفسها لكثير من الامم الذين تغلبوا على اهلها او تغلّب اهلها عليهم مئات من السنين فكانت لهم ما كانت اللغة اللاتينية لشعوب اوربا فان الاتراك والتتر والفرس ما زال علماؤهم يوءلفون موءلفاتهم في اللغة العربية الى عهد قريب ولا يزال كثيرٌ من علمائهم الى الآن يوءلفون في العربية فقد أهدي اليّ منذ بضع سنين موءلف تاريخي في العربية لزين الدين الرسولي احد علماء قاظان من روسيا

(٣) اعطت لغات الاتراك والتتر والفرس والاردو (احدى لغات الهند) المئات والالوف من الفاظ المعاني ومئات والوفاً من الجمل التامَّة بل اعطت اكثر هذه اللغات ولا سيما

التركية كل مصطلحات علوم اللغة والبيان والبديع والعروض واكثر مصطلحات العلوم والفلسفة حتى بدء القرن التاسع عشر وما بعده ايضاً

(٤) نفتخر انَّا اعطينا لغات اوربا الارقام العربية وكثيراً من اسماء المعاني والمصطلحات العلمية ولكنها قليلة كان اولى بنا الاضراب عن المفاخرة بها

(٥) واخيراً اشكر لكم ايها السادة والسيدات والاخوة الكرام لانكم احسنتم الاصغاء اليَّ كلَّ هذه الساعة وتابعتموني في مضايق هذا الموضوع لم تظهروا شكوى من اطالتي ولا تبرُّماً بخطابتي . وقد كنت احبُّ ان اتوسَّع في بيان — لماذا احتملت لغتنا العربية الشريفة في ايام العباسيين مثلاً علوم اليونان والفرس والسريان بدون ان يظهر عليها عجز او ضعف ولا تستطيع اليوم ان تحتمل علوم الاوربيين على ما يزعم الاكثرون مع ان هؤلاء كانوا يترجمون كتب العلم والفلسفة عنها منذ بضعة قرون . الاَّ اني لا ارى من اللياقة ولا الحكمة ان استنفد كل صبركم دفعةً واحدة فتكرموا اذن في الختام غير مأمورين بقبول مزيد شكري وامتناني ولكم الفضل اولاً وآخراً

اعتذر الى القرَّاء الكرام بما اعتذرت بهِ الى السامعين فاني اعتقد انَّ اغلبهم لا يحتملون ان يقرأُوا في هذا الموضوع فوق ما قد قرأُوا والسلام جبر ضومط

محاربة السل

تابع خطبة الاستاذ متشنيكوف

لم يبقَ شبهة في ان الانسان قد يعدى بالتدرُّن من البقر المصابة بهِ سواءٌ اكل لحمها او شرب لبنها. ولكن مسألة المناعة الطبيعية لم تزل مطروحة على بساط البحث على انها صارت من الامور المرجحة جدًّا حتى لا نأنف من عدها بين الحقائق العلمية التي يمكن الاعتماد عليها في محاربة السل . ولقد كان الاساس الذي تقوم عليهِ هذه المحاربة كون السل نقصاً في تغذية الجسم فكان المسلولون يعالجَون بما يزيد تغذيتهم فيرسلون الى البلدان الجنوبية الطيبة الهواء مثل مدايرا وومنتون والقاهرة ونحوها او الى الجبال ويبالغ في تكثير طعامهم مع مراعاة شروط الهضم

ولا شبهة في ان هذه الوسائل كانت تأتي بالفائدة احياناً ولكن الذين استفادوا منها وشفوا اقل جدًّا من الذين لم يستفيدوا بل زاد المرض تمكناً منهم . لما ذهبتُ الى مدايرا

كما تقدم لم يكن باشلس كوخ قد كُشف وكانت وسائل العلاج كلها مبنية على التغذية وتغيير الهواء وكنت ارى هناك كثيرين من المسلولين يموتون بالسل بعد ان كنت احسب انهم متقدمون نحو الشفاء

ثم لما كُشف ميكروب كوخ وعُلم ان السل مرض معدٍ دعت الحال الى تنويع العلاج . لم يعدل الاطباء عن التغذية وتغيير الهواء ولكنهم لجأوا ايضاً الى مضادات الفساد قصد امانة الميكروب بالكريوسوت والغويكول او الزيوت الاثيرية . لان كل ما يشار بهِ دواء للسل يعتقد بهِ الناس ويستعملونهُ فكثر استعمال المواد المضادة للفساد ثم اهملها اكثر الاطباء

وقد قضى كوخ الجانب الاكبر من حياتهِ العلمية في البحث عن دواء للسل . وكل احد يتذكر ما كان لاكتشافهِ التوبركولين سنة ١٨٩٠ من الوقع العظيم في النفوس . فقد ظُنَّ ان هذه المادة وهي مستخلصة من مستنبتات ميكروب السل تشفي من التدرن في كل درجاتهِ اينما كان مقرهُ ولاسيما من الذئب الاكّال . فاهتم الناس بالتوبركولين اهتماماً شديداً ثم اهملوهُ تمام الاهمال . والآن وقد مضى على اكتشافهِ عشرون سنة عرف الاطباء كيف يقدرونهُ قدرهُ تماماً من غير زيادة ولا نقصان فانهُ ليس دواء شافياً من السل ولكنهُ لا يخلو من الفائدة . فان الاطباء الذين اكثروا من معالجة المسلولين يقولون انهُ يفيد في السل الرئوي الذي لم ترافقهُ الحمَّى ومرَّ زمن وهو على درجة واحدة فيؤثر فيهِ تأثيراً لطيفاً ينتهي بالشفاء التام . ثم ان التوبركولين يفيد ايضاً في حوادث السل التي افاد فيها الهواء النقي والراحة ولكن بقيت الاعراض الموضعية على حالها فان استعمالهُ بضعة اسابيع او بضعة اشهر يزيل تلك الاعراض ولو كان قد مضى عليها سنة او سنتان او اكثر وهي على حالها ويقوّي الجسم على التخلص من الندوب التي تحدث في الرئتين .

وقد اجتهد كوخ في اصلاح الطريقة المستعملة لاستحضار التوبركولين فاستنبط سلسلة من المستحضرات في بعضها من مولَّدات مستنبت ميكروب السل في وسط سائل وفي البعض الاخر خلاصات من الميكروب نفسهِ . والاولى اكثر استعمالاً من الثانية وبعض الاطباء يستعمل النوعين معاً . وقد استُحضر ايضاً توبركولين خالٍ من المواد الالبيومينية وهو اقل فعلاً من التوبركولين العادي واكثر استعمالاً الآن . ومن ذلك نوع ازيلت المادة الالبيومينية منهُ بفعل بعض الفطريات فزال منهُ الفعل السام او قلَّ جدًّا . فاستعمل علاجاً للمسلولين ويقول الذي استعملوهُ انهُ كبير الفائدة

وحاول البعض اكتشاف انواع من المصل تشفي من السل كما اكتشف مصل يشفي من

الدفثيريا فجعلوا يطعّمون الحيوانات بميكروب السل او بالمواد المتولدة منهُ لكي يستخرجوا منها مصلاً شافياً فعالجوا الحيوانات اللبونة الكبيرة كالخيل والبقر بمستنبتات التدرُّن واستخلصوا منها اشكالاً من المصل ذات خواص مهمة · فاستخلص كلمت وغورين مصلاً من البقر التي طعاها حتى صارت تحتمل ٢٨٠ ميليغراماً من ميكروب السل من غير ان يؤَثر فيها· لكن هذا المصل لم يشفِ الحيوانات التي طعمت بميكروب السل على سبيل الامتحان بل زاد فعلهُ بها ولذلك لا ينتظر انهُ يشفي من السل ولكن يقول بعض الاطباء انهم رأَوا لهُ فائدة كبيرة · وغني عن البيان انهُ لا يمكن استعمال كل مصل على حدٍّ سوى

وقد قال رنون ان المصل المضاد للسل يفيد في ربع حوادث السل او خمسها فقط واكثر فائدتهِ في السل الحاد وفي الحالات الحادة من السل المزمن التي تنقلب الى حالات مزمنة يفيد فيها تغيير الهواء ونحوهِ من الوسائل العلاجية · وقد استحضر الدكتور جوسه مصلاً مضادًّا للسل قال انهُ يفيد بنوع خاص في الاولاد الذين ظواهر السل فيهم حادَّة جدًّا واجسامهم تحتمل العلاج بالمصل اكثر ممَّا تحتملهُ اجسام البالغين والشيوخ

وقد استعمل بعض الاطباء انواعاً اخرى من المصل مثل مصل مراجليانو ومصل مرمورك ومصل رُبل ومصل ركان وقالوا انها لا تخلو من الفائدة ولكن يقال بالاجمال ان استعمال المصل في علاج السل فائدتهُ قليلة محدودة · والآن يحاول البعض ان يمزجوا المصل بمحصلات ميكروب السل وبخلايا الخمير

وقد اقتفى بعض الاطباء خطوات فورلانيني واعتمدوا على تسكين الرئة المتدرنة بادخال غاز النيتروجين الى البليورا وذلك قبلما ثبتت فائدة تسكين الاعضاء اذا كانت مصابة بسل العظام والمفاصل· وقد شاعت طريقة ادخال الهواء الى تجويف البليورا Pneumo-thorax في علاج السل الرئوي

والآن يميل الاطباء الى مزج الاساليب القديمة بالمخترعات الحديثة للوصول الى النتائج المفيدة في علاج السل الرئوي ولذلك انشئت المصاحُّ في اماكن عديدة ليعتنى فيها بالمسلولين من طبقات الناس المختلفة وهي مباني فسيحة كثيرة النور مطلقة الهواء فيها اروقة كبيرة متجهة الى الجنوب يستكنُّ فيها المسلولون ساعات كثيرة كل نهار ويطعمون طعاماً كثيراً مغذيًّا والغالب انهم ينتقون من الذين لم يتمكن الداء منهم· وقد يعالجون ايضاً بالتوبركولين او انواع المصل وتدوم هذه المعالجة اشهراً او سنين · وكثيرون من الذين يعالجون بها يستفيدون منها ولكن بعضهم لا يستفيدون مطلقاً او يظهر انهم استفادوا ثم ينتكسون رغماً عمَّا عولجوا بهِ· ولذلك

قل الاهتمام بانشاء المصاح في المانيا بعد ان كانت الهمة مصروفة اليها . ومما يسوء ذكرهُ ان المسلولين الذين يخشى من انتشار العدوى منهم لا يُقبلون في اكثر تلك المصاح حيث يمكن فصلهم عن الاصحاء بل يُردُّون الى بيوتهم ليكونوا بؤرًا للعدوى او يوضعون في المستشفيات العادية الى جانب المرضى الذين لا سلَّ فيهم لكي يُعدوا منهم بسهولة

وكثيرًا ما اشار البعض بالجري على خطة مستشفى برمتن في لندن وانشاء اماكن مخصوصة للذين سلهم شديد والميكروب ينتشر منهم بسهولة ولكن لم يعمل باشارتهم في كل مكان مع ان فصل المسلولين عن غيرهم لا بدَّ من ان يقلل انتشار العدوى . ولم تقتصر مقاومة السل على انشاء المصاح بل شملت انشاء المواقي واول موقى انشئ لهذه الغاية هو الموقى المنسوب الى اميل رو والذي انشأهُ الدكتور كلمت في مدينة ليل منذ عشر سنوات . ثم انشئت مواقي كثيرة على مثالهِ في فرنسا وغيرها من البلدان . والغرض منها افادة الجمهور بمنع انتشار السل في الاماكن الكثيرة السكان ليس بمعالجة المسلولين بل بحمل اقاربهم على اتقائهِ وذلك بارشادهم الى تطهير منازلهم بمزيلات العدوى وتوزيع المباصق على المسلولين ليبصقوا فيها وتوزيع مضادات العدوى عليهم وبذل كل الوسائل الممكنة لمنع انتشار العدوى منهم . ولكن الناس لا يقبلون على هذه المواقي الا اذا اضيفت المساعدات المادية الى النصائح الطبية

وقد انشأ الاستاذ غرانشه معهدًا في باريس سنة ١٩٠٣ عملهُ التفتيش عن اولاد العيال التي اصيب واحد منها بالسل ونقلهم الى الارياف حيث يربون عند اناس اصحاء حتى لا تنتقل عدوى السل اليهم . وقد بدا من فوائد هذا المعهد ما دعا الى توسيع نطاقهِ

محاولة التطعيم لمنع السل

ان الوسائل التي استُعملت لمنع السل كثيرة لكن التطعيم احراها بالذكر . فان باشلس كوخ اكتُشف لما اكتُشف التطعيم بالمواد الميكروبية . فاهتمَّ العلماء في اول الامر باكتشاف طعم للسل ولكن اراهم البحث ان ميكروب السل يختلف عن غيرهِ من الميكروبات في انهُ قلما يقي الجسم الذي يفعل بهِ اول مرة من الفعل بهِ ثانيةً فأُسقط في يد الباحثين بعد ان اخذوا في هذا البحث بهمة رائدها الامل . ولذلك يجب علينا ان نسرَّ بما اكتشفهُ بهرنغ وهو ان ميكروب سل البشر يمكن ان يقي البقر من السل الذي يصيبها . ولم يستعمل هذا الاكتشاف حتى الآن لوقاية البقر ولكنهُ خطوة اكيدة من محاربة السل . وتستحيل تجربتهُ في البشر لانهُ لا بدَّ فيهِ من التطعيم بالميكروب نفسهِ وما من احد يستحلُّ ان

يطعم ولداً بميكروب وهو لا يعلم حق العلم ان التطعيم بهِ خالٍ من الضرر

محاولة وسائل اخرى

رأيتم من هذا البيان الوجيز مقدار اهتمام العلماء بانقاذ الناس من هذا الداء الوبيل مع اني لم اشر الى كل ما فعلوهُ من هذا القبيل

اول مؤتمر عامّ لمقاومة السل عُقد في برلين سنة ١٨٩٩ وقتما عقد مؤتمر السلم الاول في الهاج عاصمة هولندا . وترون فوائد مؤتمر السلم هذا مما هو جارٍ الآن في البلقان ! اما مؤتمر السل فالخطب النفيسة التي تليت فيهِ ارتنا ضعفنا امام هذا العدو الالد . وكنت حاضراً في هذا المؤتمر فتأثرت من عجز وسائلنا عن مقاومة ميكروب السل وقلت في نفسي أما من سبيل لمحاربتهِ باستنباط طريقة تتلف الشمع الذي يقيهِ من فتك الخلايا الجبارة . وكنت اعلم ان بعض الديدان يغتذي بالشمع على صعوبة هضمهِ . فحالما انفضّ المؤتمر جعلت ابحث عن المواد التي تساعد تلك الديدان على هضم الشمع لكي استعملها لمحاربة مكروب السل ولم اداوم البحث لاني لم ارَ من النتائج ما شجعني على المداومة ولكن غيري من الباحثين الذين هم اصغر مني سنًّا واظبوا عليهِ زمانًا طويلاً ولم يعودوا بطائل . وامتحنا بعض الخمائر والمصول التي تفعل بالمواد الدهنية فلم نفلح

وقد حاول البعض حديثًا ان يكتشفوا في املاح الراديوم علاجًا للسل . فاستعمل الدكتور رنون هذه الاملاح ثلاث سنوات واخبرني انها لا تؤَثر في الميكروب المستفبت ولا توقف السل في الحيوانات التي جُرب فيها . وان كان بعض المسلولين قد استفادوا منها فالفائدة ناتجة من فعلها باجسامهم او من فعل الوهم

الوقاية بالافعال الطبيعية التي تفعل بالانسان

وهو غير منتبه لها ويجب كشف هذه الافعال وتقويتها

ليس من الانصاف انكار النجاح الذي نجحتهُ محاربة السل ولا سيما في السنوات الاخيرة . ولكن لا شبهة ان صناعة الطب قد اعترفت بعجزها عن مقاومة جيوش ميكروباتهِ الجرارة

كم من مرة ترى الاطباء يدعون لينقذوا مسلولاً متألمًا فيقفون امامهُ حيارى مكتوفي الايدي . فلم يزل المجال واسعاً جدًّا للذين يريدون ان يخصصوا انفسهم لمحاربة هذا العدو الفتاك

مما يستحق امعان النظر ان الطبيعة تجد سبيلاً لشفاء المسلولين الذين عجزت عقول العلماء عن ايجاد سبيل لشفائهم . فان ميكروب السل منتشر حولنا في كل مكان وما من احد

الاَّ وقد دخل جسمهُ شيء منهُ ومع ذلك لا يموت بالسل الاَّ نحو سبع الناس او نحو ١٥ في المئة . واما الخمسة والثمانون في المئة الباقون فيسلمون منهُ . ومعلوم ان ذلك ليس ناتجًا عن ان اجسام هوءلاء كلهم غير معرضة للاصابة بهِ فان كل اجناس البشر البيض والصفر والسود معرضون للاصابة بهِ على حدّ سوى فنجاتهم منهُ سببها اكتسابهم الوقاية اكتسابًا . ولقد ذكرت ادلة كثيرة على وجود هذه الوقاية . ونشر الاستاذ رومر تجارب جُربت في الحيوانات فدلّت على انها قد تكتسب المناعة ولو كانت من اقبل الحيوانات للاصابة بالسل كخنازير الهند . فاذا فرضنا ان الانسان يكتسب الوقاية او المناعة بتطعّمهِ بميكروب السل وهو غير منتبه لذلك فمن المهم جدًّا ان نعرف كل الشروط اللازمة لاكتساب هذه الوقاية

اين هذه الميكروبات التي تُنتج هذه النتيجة العظيمة اين مقرها واين توجد . انَّ العلماء يعلمون ان ميكروب السل الذي حُسب انهُ من نوع واحد وقتما اكتشفهُ كوخ ليس نوعًا واحدًا في الحقيقة فان هناك ميكروب سل البشر وميكروب سل البقر وميكروبات اخرى من هذا القبيل . افلا يحتمل ان ميكروب سل البقر يطعّم الانسان فيقيهِ من سل البشر كما ان ميكروب سل البشر يقي البقر من ميكروب سلها . او ان تطعيم الانسان الطبيعي يتم بمقادير قليلة من ميكروب سلهِ فتقيهِ من فتك المقادير الكبيرة . هذه مسائل لا يمكن حلها الاَّ بعد التجارب المدققة

بعد رجوعنا من قفار روسيا اخذ الدكتور بورنه يدرس هذه المسأَلة درسًا مدققًا فالتفت اولاً الى الداء الخنزيري الذي هو مرض تدرُّني كالسل ولكنهُ الطف منهُ . ومن الغريب ان الباحثين قصروا بحثهم على سل البقر وسل الطيور ولم يلتفتوا الى هذا الداء مع ان الميكروبات التي استخلصها بورنه من تدرن المفاصل وتدرن العظام وتدرن الغدد ganglion كانت كلها من ميكروبات سل الانسان وقد أُخذت كلها من أُناس مصابين بالداء الخنزيري ولم يكن الداء شديداً فيهم ومع ذلك فعلت بخنازير الهند والقرود التي طعمت بها كما تفعل ميكروبات السل الرئوي . افنستنتج من ذلك ان ميكروب الخنزيري شديد الاذى مثل ميكروب السل الرئوي او نستنتج انهُ خفيف الفعل بالانسان ولو فعل هذا الفعل الذريع بالحيوان . ولا يمكن تحقيق ذلك بالامتحان لانهُ لا ينتظر امتحانهُ في الانسان فلا يحق لنا ان نقول ان ميكروب الداء الخنزيري خفيف الفعل . ولكن ميكروب السل الخفيف الفعل موجود في الطبيعة وقد اكتشفتهُ اللجنة الانكليزية المقامة لدرس السل ودرسهُ الدكتور بورنه باعتناء خاص

فان شابًّا في التاسعة عشرة اصيب منذ طفوليتهِ بالتدرُّن الجلدي في قدمهِ وساقهِ وركبتهِ

وكان سير التدرن بطيئاً جداً وربي ميكروبهُ من قطعة من جلدهِ فظهر انهُ من ميكروب سل البشر وانهُ خفيف الفعل حتى في اشد الحيوانات تأثراً كخنازير الهند وبعض انواع القرود

وقد اقتدى بورنه بغيرهِ من الباحثين ودرس الداء الخنزيري الذي يقع في الجلد والمفاصل والعقد اللمفاوية فلم يستطع ان يربي ميكروب السل فيها مع انهُ لا شك في وجودهِ فيها . وطعمت الحيوانات بالمتحصلات الخنزيرية فاصابتها منها اصابات طفيفة

ولذلك فقد يكون في الانسان ميكروبات سل خفيفة الفعل على درجات مختلفة عدا ميكروب السل الشديد الفعل . ويجب ان نفتش عن ضالتنا بين هذه الميكروبات الخفيفة الفعل اي عن الميكروب الذي يطعم الانسان تطعيماً طبيعياً فيقيهِ من السل . ويحتمل ان يوجد هذا الميكروب الخفيف الفعل بين ميكروبات السل الرئوي التي تضعف بخروجها من الانسان وبقائها مدة طويلة معرَّضة لفعل الهواء والنور

ويلاقي الانسان دواماً ميكروبات من ميكروبات السل على درجات مختلفة من القوة . ولما كانت العدوى تبتدئُ في سن الصبوة كما ثبت من مباحث بركه وجب ان نفرض انهُ حينما يبتدئُ الطفل يمشي ويلمس ما حولهُ ويضع اصابعهُ في فيهِ يدخل فاهُ إما الميكروب الشديد الفعل فيبتليهِ بالداء الوبيل واما الميكروب الخفيف الفعل فيكسبهُ الوقاية منهُ . والامر في الطبيعة موكول الى الصدفة فعلى العلم ان يحقق الاساليب التي يكون فيها الميكروب سليماً ويطعم الجسم بهِ تطعيماً

نُشرتْ ترجمة كوخ حديثاً فجاءت على غاية الطلاوة وفيها ادلة كثيرة على ان فتك السل قد قلَّ في كثير من البلدان الاوربية ولاسيما منذ اربعين سنة الى الآن . وقد رئي ذلك اولاً في انكلترا ثم ثبت في سكتلندا والمانيا والدنمارك والولايات المتحدة . وامتازت في ذلك لندن وبوستن وكوبنهاغن وهمبرج من المدن الكبيرة . فان سكان همبرج زادوا زيادة كبيرة في السنوات الاخيرة ومع ذلك نقص عدد الذين ماتوا بالسل فيها . ففي سنة ١٩٠٠ كان عدد سكانها ٦٩٨٣٦٣ وعدد الذين ماتوا بالسل فيها ١٤٢٦ وسنة ١٩١١ بلغ عدد سكانها ٩٢٤٣٢٩ وعدد الذين ماتوا بالسل فيها ١١٥٢ فقط . وينسب سبب ذلك الى الوسائل الصحية التي مدارها بنوع خاص على عزل المسلولين الذين إصابتهم شديدة وتطهير منازلهم . ولكن برلين وهي مدينة المانية اخرى والوسائل الصحية فيها على احسنها زاد عدد وفيات السل فيها بين سنة ١٩٠٣ و١٩٠٦ من ٢١ الى ٢٤ في كل عشرة آلاف من السكان . ولما راجع كوخ هذه الاحصاءات قال ان ما يعرف من عدوى السل لا يكفي لايضاح قلة

الوفيات ولا بدَّ من اسباب اخرى لهذه القلة . وقد عللها رومر بالتطعيم الطبيعي المستمر وانا من رأيهِ في ذلك . وعندي ان هذه الوقاية الحاصلة من طعم ميكروب السل المنتشر في كل مكان تفعل مع الوسائل الصحية في تقليل عدد الذين يموتون بهِ

فيحق لنا والحالة هذه ان نقول ان التطعيم الطبيعي فاعل مهم في مقاومة الامراض المعدية فقد ثبت ان كثيرين يوقون من التيفويد بما يصيبهم من وقت الى آخر من الاضطرابات المعوية الحادثة من حمى تيفويدية خفيفة تصيبهم فتقيهم من الاصابات الشديدة . فترى الناس يصابون بالتيفويد في الاماكن التي تنتشر فيها هذه الحمى بينما سكان تلك الاماكن لا يصابون بها كما ان اولاد الملوق يصابون بالسل في المدن التي يأتونها بينما اترابهم من الاوربيين يبقون سليمين منهُ

ولطالما عجب الناس من انقراض الجذام لاسيما وان المجذومين يجولون في اوربا من مكان الى آخر من غير ان يعدى بهم احد ولكن اذا نُقلوا الى بلاد لم يكن الجذام معروفاً فيها عُدي بهم سكانها . ويعجب الناس من دخول المجذومين الى مستشفى سنت لويس في باريس ولا يعدى بهم غيرهم من المرضى . وقد كانت باريس مباءة لهذا المرض ففقد قوة عدواهُ فيها مع انهُ معدٍ ولهُ ميكروب شبيه بميكروب السل

افلا يحتمل ان سكان المدن التي كانت مباءة للجذام اصيبوا بشيءٍ خفيف منهُ فوقوا بهِ . فان كثيراً من الامراض الجلدية لا يعرف سببهُ حتى الآن فالمرض المعروف باسم Mal de Morvan يصيب الاصابع ويشبهُ بعض اشكال الجذام حتى حسبهُ بعض الاطباء جذاماً خفيفاً واعتُرض على ذلك بان ميكروب الجذام لم يوجد فيهِ مطلقاً ولكن اكتشاف هذا الميكروب اصعب جداً من اكتشاف ميكروب السل لاننا نستطيع ان نطعم الحيوانات بميكروب السل ونستنبتهُ واما ميكروب الجذام فلا يستنبت ولا يمكن تطعيم الحيوانات بهِ ولذلك يصعب الاستدلال عليهِ

ان ما تقدم كافٍ للدلالة على ان اكتشاف الاساليب الطبيعية التي يكتسب بها الانسان الوقاية من الامراض المعدية بنوع عام ومن السل بنوع خاص هو من الاهمية بمكان عظيم . نعم ان صناعة الطب لم تألُ جهداً في استخدام النتائج العلمية لمعالجة السل ولكن مقاومة هذا الداء لم تزل بعيدة عن الوصول الى غايتها المطلوبة ولا بدَّ لها قبل ذلك من امور كثيرة علماً وعملاً . على ان النجاح الذي نجحناهُ حتى الآن يضمن لنا ان نوع الانسان سيتغلب في المستقبل القريب على هذا الكائن الميكرسكوبي الدقيق

الى طالب كرم الله وجهه

الى مالك ابن الاشتر رضي الله عنه

كتاب امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الى مالك

بن الاشتر في النصيحة من قبل التصوف

عهد امير المؤمنين

علي بن ابي طالب كرم الله

وجهه الى مالك بن الاشتر

صاحب السلطان

بايزيد بن محمد خان خلد ملكه

عهد الامام علي

وكتاب السلطان بايزيد الثاني

ذكرنا في الجزء الاخير من السنة الماضية ان الاوربيين والاميركيين يغالون بالكتب النادرة حتى يشتروا النسخة منها بالوف من الجنيهات إما لانها خطت منذ مئات من السنين او لانها طبعت عند اول اختراع الطباعة او لانها كانت للملك او لامير او لاحد العظماء . ولم تكد تلك المقالة تطبع حتى وقع لنا كتاب نفيس من كتب السلطان بايزيد الثاني الذي رقي الى عرش الملك سنة ٨٨٦ هجرية الموافقة سنة ١٤٨١ مسيحية وقد خط سنة ٨٥٨ فلم يخط لهُ خاصةً لكنهُ اقتناهُ ليستفيد منهُ على ما يظهر

والكتاب عهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب الى مالك بن الاشتر النخعي حين ولاهُ مصر . وهو آية في جمال خطهِ وانتساقهِ مذهب الحواشي والنجوم اسود الحبر صقيل الورق ورقهُ حريري او كتاني مما كان يصنع باليد و يصقل بالمصاقل طول الصفحة منهُ ١٩ سنتمترًا وعرضها ١٢½ وطول الكتابة فيها ١٢ سنتمترًا وعرضها سبعة وهي سبعة اسطر فقط في كل صفحة بالشكل الكامل

ولا نطيل في وصف هذه الاعراض لان غرضنا البحث في جوهر الكتاب

لا يخفى ان عهد الامام علي هذا وارد في نهج البلاغة . ونهج البلاغة كلهُ مظنون في نسبتهِ الى الامام علي و يقال انهُ من اوضاع الشريف الرضي وليس هذا محل البحث في ذلك ولكن هذه النسخة المخطوطة منذ نحو خمس مئة سنة تدلُّ ان البعض من كتَّاب العربية يستحلُّون ان يقحموا اقوالهم وآراءهم بين اقوال غيرهم وآرائهِ و ينسبوها اليهِ . ومن كان كذلك لا يكبر عليهِ ان يؤلف كتابًا و ينسبهُ الى غيرهِ مبالغةً في اكرامهِ او اثباتًا لغرض يقصدهُ . بل قد استحلَّ كتَّابنا ورواتنا سامحهم الله ما هو اعظم من ذلك فوضعوا الشيء الكثير من الاحاديث وجعلوها اركانًا تبنى عليها المعاملات كما استحلَّ الرواة قبلهم نظم الاشعار ونسبتها الى الجاهلية ليبيعوها من الخلفاء والامراء

وقد نشرنا في ما يلي بضع صفحات من هذا العهد كما هو في نسخة السلطان بايزيد التي عندنا وكما هو في نهج البلاغة المطبوع في مصر وذلك في حقلين متقابلين لاظهار ما في الثاني من الزيادات المقحمة فيهِ

ما في نهج البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما امر بهِ عبد الله عليٌّ امير المؤمنين مالك ابن الحارث الاشتر في عهدهِ اليهِ حين ولّاهُ مصرَ جباية خراجها وجهاد عدوّها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها

امرَهُ بتقوى الله وايثار طاعتهِ واتباع ما أُمر بهِ في كتابهِ من فرائضهِ وسننهِ التي لا يسعد احدٌ الاَّ باتباعها ولا يشقى الاَّ مع جحودها واضاعتها وان ينصرَ الله سبحانهُ بقلبهِ ويدهِ ولسانهِ فانهُ جل اسمهُ قد تكفَّل بنصرِ من نصرهُ واعزازِ من اعزَّهُ

وامرهُ ان يكسرَ نفسهُ من الشهوات ويزعها عند الجمحات فانَّ النفسَ أمارةٌ بالسوء الاَّ ما رحمَ الله

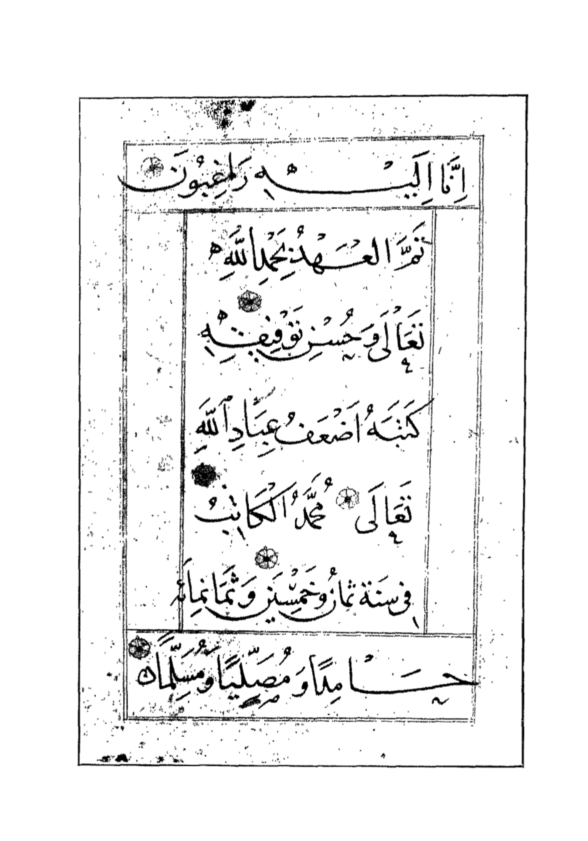
ثم اعلم يا مالكُ أني قد وجهتك الى بلاد قد جرت عليها دولٌ قبلك من عدلٍ وجورٍ وأنَّ الناس ينظرون من أُمورك في مثل ما كنتَ تنظرُ فيهِ من امورِ الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنتَ تقولُ فيهم وانما يستدلُّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنِ عبادهِ فليكن أحبُّ الذخائر اليكَ ذخيرةَ العملِ الصالح · فاملك هواكَ وشحَّ بنفسك عمَّا لا يحلُّ لك فان الشحَّ بالنفسِ الانصافُ منها فيما أحبَّتْ او كرِهت · وأشعرْ قلبك الرحمة للرعية والمحبَّة لهم واللطف بهم ولا تكوننَّ عليهم سبعًا ضاريًا تغتنمُ أكلهمْ

ما في نسخة السلطان بايزيد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما امر بهِ عبدالله علي امير المؤمنين مالك ابن الاشتر حين ولاهُ مصر جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها

امرهُ بتقوى الله وايثار طاعتهِ وان ينصر الله بيدهِ وقلبهِ ولسانهِ · فاملك هواك في ما تحب وتكره واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم والعفو عن هفواتهم



إنا إليه راغبون

تم العهد بحمد الله

تعالى وحسن توفيقه

كتبه أضعف عباد الله

تعالى محمد الكاتب

في سنة ثمان وخمسين وثمانمائة

حامدا ومصليا ومسلما

فانهم صنفان إما اخٌ لك في الدين او نظيرٌ لك في الخلق يفرُط منهم الزّللُ وتعرضُ لهم العللُ ويؤتى على أيديهم في العمدِ والخطإ . فاعطهم من عفوكَ وصفحكَ مثل الذي تحبُّ ان يعطيكَ الله من عفوهِ وصفحهِ فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوقَ من ولاّكَ وقد استكفاكَ امرهم وابتلاك بهم

ولا تنصبنَّ لحربِ الله فانهُ لا يدَيْ لك بنقمتهِ ولا غنى بكَ عن عفوهِ ورحمتهِ

ولا تندمنَّ على عفوٍ ولا تبجحنَّ بعقوبةٍ ولا تسرعنَّ الى بادرةٍ وجدتَ منها مندوحةً ولا تقولنَّ انى مؤمَّرٌ آمرٌ فأُطاعُ فانَّ ذلك إدغالٌ في القلب ومنهكةٌ للدين وتقرُّبٌ من الغير . واذا أحدث لك ما أنت فيهِ من سلطانك أُبهةً او مخيلةً فانظرْ الى عظم ملك الله فوقكَ وقدرتهِ منك على ما لا تقدرُ عليهِ من نفسك فإنَّ ذلك يطأمنُ اليك من طماحك ويكُفُّ عنك من غربكَ ويفيءُ اليكَ بما عزَبَ عنكَ من عقلكَ

اياكَ ومُسَاماةَ الله في عظمتهِ والتشبّهَ بهِ في جبروتهِ فانَّ الله يُذِلُّ كل جبّارٍ ويهين كلَّ مختالٍ

أنصفِ الله وأنصفِ الناس من نفسكَ ومن خاصة اهلكَ ومن لكَ فيهِ هوى من رعيّتك فانك الاَّ تفعل تظلمْ ومن ظلمَ عباد الله كان الله خصمهُ دون عباده ومن خاصمهُ الله ادحض حجتهُ وكان لله حرباً حتى

كما تحب ان يُفعَل بك . فانك فوقهم ووالي الامر عليك فوقك والله فوق مَن ولاّك

لا تندمنَّ على عفوٍ ولا تبجحنَّ بعقوبة ولا تسرعنَّ الى بادرة وجدت عنها مندوحة فاذا احدث لك ما كنت فيهِ من سلطانك ابهة فانظر الى عظم ملك الله تعالى فوقك وقدرتهِ عليك فان ذلك يطأمن عن طماحك ويكفُّ من غربك ويفيءُ اليك بما غرب عن عقلك

انصف الله وانصف الناس من نفسك وخاصة اهلك ومَن لك فيهِ هوًى من رعيتك فانك إن لا تفعل تظلم ومَن ظلم عباد الله كان الله خصمهُ ومن كان الله خصمهُ

ينزعَ و يتوبَ . وليس شيء ادعى الى تغيير نعمةِ الله وتعجيل نقمتهِ من اقامةٍ على ظلمٍ فانَّ الله سميعٌ دعوةَ المضطهَدين وهو للظالمين بالمرصاد

وليكن أحبُّ الامور اليك أوسطها في الحقِ واعمَّها في العدل واجمعها لرضى الرعية فإن سخط العامة يُجحفُ برضى الخاصة وانَّ سخط الخاصة يغتفرُ مع رضى العامة . وليس أحدٌ من الرعية أثقلَ على الوالي مؤُونةً في الرخاء وأقلَّ معونةً لهُ في البلاء وأكرهَ للانصاف واسألَ بالالحافِ واقلَّ شكرًا عند الاعطاء وابطأ عذرًا عند المنع واضعف صبرًا عند ملمات الدهرِ من اهل الخاصة . وانما عمادُ الدين وجماعُ المسلمين والعُدَّةُ للاعداء العامة من الامة فليكن صغوُك لهم وميلك معهم

وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندكَ أطلبهم لمعائب الناس فإنَّ في الناس عيوبًا الوالي أحقُّ من سترَها فلا تكشفنَّ عما غاب عنك منها فإنما عليك تطهيرُ ما ظهر لك والله يحكمُ على ما غاب عنك . فاسترِ العورة ما استطعت يسترِ الله منك ما تحبُّ سترهُ من رعيتك

اطلق عن الناس عقدةَ كل حقدٍ واقطع عنك سبب كل وترٍ وتغابَ عن كلِّ ما لا يصحُّ لك ولا تعجلنَّ الى تصديق ساعٍ فانَّ الساعي غاشٌ وان تشبَّهَ بالناصحين

ولا تدخلنَّ في مشورتك بخيلاً يعدلُ

ادخص جنةُ وليس شيءٌ ادعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمتهِ من اقامة على ظلم

وليكن احب الامور اليك اوسطها في الحق واعمها في العدل واجمعها لرضى الرعية فان سخط العامة يجحف برضى الخاصَّة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة

وليس احد من الرعية اثقل على الوالي موُنةً في الرضاء واقل معونة في البلاء واكره للانصاف واسأل بالالحاف واقل شكراً عند الاعطاء وابطأ عذراً عند المنع واضعف صبراً عند ملمات الدهر من اهل الخاصَّة وانما عمود الدين وجماع المسلمين والعدة للاعداء العامَّة من الامة . فليكن صغوك اليهم وميلك معهم

وليكن ابعد رعيتك منك واشناهم عندك اطلبهم لمعايب الناس فان في الناس عيوباً الوالي احق بسترها فلا تكشفنَّ عمَّا غاب عنك منها فانما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك

اطلق الناس من عقدة كل حقد واقطع عنهم سبب كل وتر وتغابَ عن كل ما لا يصحُّ

الساعي غاشٌ وان تشبَّه بالناصحين

ولا تدخلنَّ في مشورتك بخيلاً يعدل

بك عن الفضل و يعدك الفقرَ ولا جبانًا يضعفك عن الامور ولا حريصًا يزين لك الشرهَ بالجور فانَّ البخل والجبن والحرص غرائزُ شتى يجمعها سوء الظن بالله

ان شرَّ وزرائك من كان للاشرار قبلك وزيرًا ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة فانهم أعوان الاثمة واخوان الظلمة وانت واجدٌ منهم خير الخلف ممن لهُ مثلُ آرائهم ونفاذهم وليس عليهِ مثلُ آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالمًا على ظلمهِ ولا آثمًا على اثمهِ . أولئك أخفُّ عليك مؤونةً واحسنُ لك معونةً وأحنى عليك عطفًا واقلُّ لغيرك الفًا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك . ثمَّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحق لك واقلهم مساعدةً فيما يكونُ منك مما كرهَ الله لاوليائهِ واقعًا من هواك حيث وقعَ

والصق باهل الورع والصدق ثمَّ رضهم على ان لا يطرُوك ولا يبجحوك بباطلٍ لم تفعلهُ فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزَّة

بك عن الفضل ولا جبانًا يضعفك عن الامور ولا حريصًا يزين لك الشره بالجور فان البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله

شر وزرائك مَن كان قبلك للاشرار وزيرًا ومن شركهم في الاثام فلا يكوننَّ لك بطانةً فانهم اعوان الاثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممَّن لهُ مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليهِ مثل آصارهم واوزارهم ممن لم يعاون ظالمًا على ظلمهِ ولا آثمًا على اثمهِ اولئك اضف عليك مؤونة واحسن لك معونةً واحنى عليك عطفًا واقل لغيرك الفًا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك اقولهم بمر الحق واقلهم مساعدةً في ما يكون منك ممَّا كره الله لاوليائهِ واقعًا ذلك من هواك حيث وقع . والصق باهل الورع والصدق ورضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعلهُ فان كثرة الاطراء تحدث الزهو وتدني من العزَّة

ترى من ذلك ان الذين تطاولوا على صورة هذا العهد التي كانت متعارفة منذ خمس مئة سنة وزادوا فيها هذه الزيادات الكثيرة زادوها غير متعمدين ضررًا . ولعلنا لو وقع لنا نسخة خطت قبلها بخمس مئة سنة لرأينا في نسخنا من الزيادات الشيء الكثير حتى نصل الى النسخة الاولى التي نسبت الى الامام علي فلا نجدها ربع ما هي الآن . وسواءٌ كتب هذا العهد الامام علي نفسهُ او كتبهُ آخر ونسبهُ اليهِ فيبعد عن التصديق ان يكتبهُ مطولاً مسهبًا على الصورة التي نراهُ فيها الآن واهل ذلك العصر كان يعوزهم القرطاس حتى انهم كانوا يكتبون على الجلود والعظام . وما وجد مكتوبًا من عهدهم تراهُ غاية في الايجاز . والعهد في صورتهِ الحاضرة

لا يكتبهُ الاَّ رجل متأنق حرفتهُ صوغ الكلام لا امير مشغول بالحرب والجهاد كما كان الامام علي وقس عليهِ كل الخطب المنسوبة اليهِ والاشعار التي قيل انهُ نظمها

ولنأتِ الآن الى امر آخر لا بدَّ من ان يخطر على بال كل مَن يرى النسخة التي بين ايدينا وهو اقتناء السلطان بايزيد لها وما يمكن ان يكون قد ترتَّب على ذلك . فالظاهر ان السلطان بايزيد كان يعرف العربية ومعلوم انهُ كانت بينهُ و بين سلطان مصر حروب كثيرة وجهَّز مرةً اسطولاً كبيراً قصد فتح مصر بعد ان قهرتهُ الجنود المصرية في حلب. افلا يحتمل ان يكون قد رغب في الاستيلاء على الديار المصرية وتولية والٍ عليها كما ولَّى الامام علي مالك بن الاشتر من مطالعتهِ هذا العهد

كان السلطان بايزيد مسالماً قليل الرغبة في فتح البلدان فلماذا حاول فتح مصر . ذكر ابن اياس لذلك سبباً تافهاً قال والذي استفاض بين الناس ان سبب الفتنة بين السلطان (اي سلطان مصر)و بين ابن عثمان ان بعض ملوك الهند ارسل الى ابن عثمان هدية حافلة على يد بعض تجار الهند فلما وصل الى جدة احتاط عليها نائب جدة واحضرها صحبتهُ الى السلطان وكان من جملة تلك الهدية خنجر قبضتهُ مرصعة بفصوص مثمنة فطمع السلطان في تلك الهدية واخذ الخنجر فلما بلغ ابن عثمان ذلك حنق . . . ولم يكف عن تدويخ اطراف الممالك المصرية . وبعث ستين سفينة حربية مشحونة بالسلاح لمقاتلة الجنود المصرية فعصفت بها الرياح واغرقتها . هذه خلاصة ما ذكرهُ ابن اياس ولكن السبب الذي ذكرهُ للحرب تافه لا يعتد بهِ

وان صحَّ ان النسخة التي امامنا الآن نبهت السلطان بايزيد الى امتلاك مصر وجعلها من ولاياتهِ ليقيم والياً عليها يوصيهِ بما اوصى بهِ الامام علي مالك بن الاشتر فيكون لهذه النسخة شأن كبير في تاريخ هذا القطر

وسواء صحَّ هذا الفرض اولم يصح وسواء كان العهد للامام علي او كان لغيرهِ ونسب اليهِ وسواء وضع اولاً مختصراً ثم حُشي حتى بلغ ما بلغهُ في نهج البلاغة او وضع مسهباً من اصلهِ — فالنصائح التي فيهِ من ابلغ واحكم ما كتبهُ الحكماء والفلاسفة في كل عصر وما احراها ان تكون مرشداً لكل من ولي امر الناس

تاريخ طب العيون[1]

تمهيد

حاز الاستاذ بير "Beer" الالماني قصب السبق في البحث عن تاريخ طب العيون ونسج بعده الكثيرون على منواله . ولقد نشأ هذا الفن في العصور الغابرة الغامضة كما نشأ غيره من فروع الطب ولا بدع في ذلك فالحاجة ام الاختراع . ومن البديهي انهُ لما ارتقت مدارك الانسان الى درجة تمكنهُ من البحث والاستقصاء طفق يفتش عن طريقة يخفف بها أضرار ما كان يصيبهُ احياناً من الامراض واذ عسر عليهِ ذلك التجأ الى الكهنة المحفوفين بهالة الاوهام الدينية لانهم كانوا يمثلون العلم والمعرفة في تلك العصور فاختصوا بهذا الفن

ومن الصعب ادراك ما كان عليهِ طب العيون عند الشعوب المختلفة في العصور التي سبقت التاريخ لاسيما من كان منها حينئذٍ يتيه في ظلمات الهمجية كالامة الغالية التي لم يصلنا من اخبارها الاَّ القليل التافه فمن ذلك انها كانت تستعين بالتعاويذ والرقى لمعالجة عيونها وتستخدم بعض النباتات لكنها تنسب مالها من الفائدة الى الرسوم التي ترافق قطفها وقد عرفت هذه الامة نبات البنج واستخرجت منهُ سمًّا لسهامها فمن المحتمل ان تكون قد اهتدت الى تأثيرهِ في العيون لانهُ شديد واضح

اما المصريون القدماء فلا ينطبق عليهم ما ذكر آنفاً لان كهنتهم اطالوا البحث في العلوم الطبية ووضعوا فيها ستة كتب تسمَّى كتب هرمس وقد اطّلع عليها جالينوس في القرن الثاني للمسيح لكنها فُقدت بعد ذلك . وعثر في طيبة على بُردي يعرف ببردي ابرس يحتوي على بقية من هذه الكتب ومنها ما هو مختص بمعالجة امراض العيون ويستنتج من مطالعتهِ ان ابناء وطننا الاولين عرفوا الكثير من مكنونات هذا الفن ولا عجب في ذلك فبلادهم موطن الرمد الحبيبي واختلاطاتهِ الكثيرة . ولقد وصفوا من امراض العيون خرّاجها والشترة الداخلة والشترة الخارجة وزوغان الاهداب والشعيرة وورم الغدد الميبومية . ومن امراض الملتحمة احتقانها والرمد والحبيبات والظفرة والسرطان. ومن امراض القرنية البروز العنبي واستسقاء العين والارتشاح والانسكاب الصديدي في الغرفة المقدّمة والعتامات . ووصفوا ايضاً الالتهابات القزحية والمائية والسمادير وشلل عضلات العين والكمنة والغرَب لكنهم قصروا

---

(1) ملخص عن دائرة المعارف الفرنساوية لامراض العيون

تقصيراً واضحاً في معالجة هذه الامراض ولم يستعملوا لمداواتها الاَّ بعض العقاقير البسيطة كالنطرون والزنجفر والزنجار والاثمد وكبريتات الرصاص وحجر التوتيا والكمون واللبان والمرّ والطلع وعصير العروق الصفراء والخروع والسقمونية والبصل . وزعموا ان لروث الظبي والحرذون والتمساح والسلحفاة والاولاد فائدة كبيرة . وكانوا يذيبون الاكحال بالماء والعسل والبول والدم وشحم الحيوانات . اما العمل الجراحي الوحيد المشار اليهِ في بردي ابرس فهو نزع الاهداب

ولقد كان لاطباء العيون المصريين بين القدماء شهرة واسعة في جميع اقطار العالم . روى هيرودتس المؤرخ ان قورش ملك الفرس لما رمد ارسل الى اماز يس فرعون مصر يلتمس منهُ ان يبعث اليهِ بامهر طبيب رمدي فلبي فرعون طلبهُ واقام الطبيب المرسل في بلاط فارس وحمل قمبيز بعد موت قورش على محاربة بني وطنهِ فكان ذلك بدء مصائب مصر

ويرجع تاريخ الطب المصري الى العصور القديمة جدًّا لكن الكتب الموجودة منهُ (كابحاث شاركا وسوكرونا) اضيف اليها شروح عديدة في القرن الخامس قبل الميلاد واضاف اليها اليونان بعد ذلك كثيراً من معلوماتهم . ويتألف ما يختص منها بالرمد من شذرات من العلم اليوناني يكاد لا يعثر عليها القارىء لقلتها بالنسبة الى ما يملأ هذه الكتب من المقالات اللاهوتية الطويلة

اما اليونان فقد جاء في اساطيرهم ان خيرون اعاد البصر الى شبان الفينيقيين الذين اعماهم اميانور عقاباً لهم على دنسهم فهو اذاً اول الرمديين اليونانيين ولقد كان الطب عندهم في عصر بزوغ التاريخ بين ايدي الكهنة من نسل اسكولابيوس الذي تخرج على خيرون في خرافاتهم وكان هؤلاء الكهنة يمارسون صناعتهم في الهياكل ويطهرون المرضى بالصيام والاغتسال والدلك والتبخير (ثم تذوب الافاعي الانيسة عن اسكولابيوس بالاشارة الى الادوية التي ينبغي استخدامها) . ويؤلف العلاج غالباً من المسهلات الخفيفة والمقيئات كالجبس والشوكران ومن الفصد في الحوادث الشديدة الخطر ثم يقدم المريض هدية تناسب ثروتهِ

وقد وضع ارستوفانيس رواية هزلية تمثل هيكل اسكولابيوس حين شفاء بلوتوس من العمى ويستدلّ من تهكمهِ ان تلك المعالجة الكهنوتية لم تلبث ان قلّ رواجها وسقط اعتبارها في اعين الجمهور

واختصّ كهنة كل هيكل بوصفات طبية كثيراً ما كانوا يخطونها على جدران معبدهم ومن ذلك ما رواهُ آتيوس وهو ان صائغاً اهدى الى هيكل افسس وصفة كحل يشفي جميع امراض العيون . ولا بدّ ان هذا العلاج لم يكن يخلو من الفائدة احياناً اما بتأثيرهِ الادبي

في المريض لما لهُ من الشكل الديني واما بالدلك والتبخير والحمية والغسيل بالماء المثلج وغير ذلك مماَّ كانت تأمر بهِ المعبودات . واذا خاب الامل ولم ينل العليل الشفاء القوا عليهِ تبعة جهلهم وزعموا انهُ ضعيف الايمان

وقضى الرومان ستة قرون ولا اطباء بينهم فكان رئيس العائلة يعالج امرأتهُ واولادهُ وعبيدهُ وقطعانهُ وكانوا يستخدمون بعض الادوية كالخربق والسقمونيا والسذاب والابهل ويثقون بالتعاويذ والرقى ويعتمدون كثيراً على الكرنب ويستخدمونهُ لجميع الامراض مجرَّداً او ممزوجاً بالكمون ونيًّا او مطبوخاً وقد نسبوا اليهِ فوائد جمة وقالوا ان بول من اكلهُ يحتوي على مزاياهُ العظيمة فاذا دهنت العيون الضعيفة البصر بهذا البول اصبح بصرها حادًّا

وظهر طب اسكولابيوس وشعائرهُ في رومية نحو القرن الثالث قبل المسيح ولم ينتشر فيها الاَّ بعد ذلك بمئة سنة . وقد اخرجوا من نهر التيبر حجراً منحوتاً يستدل من قراءة ما كتب عليهِ ان جنديًّا ضريراً يسمَّى ڤاليريوس ابرس استشار هاتف الغيب فاوحى اليهِ ان يمزج دم ديك ابيض بالعسل ويركّب من ذلك مرهماً يدلك بهِ عينيهِ ثلاثة ايام فعمل بالنصيحة واستعاد بصرهُ واتى لكي يشكر الآلهة امام الجميع

الطب اليوناني وما يختص منهُ بالعيون

للطب اليوناني ثلاثة عصور يبتدىء الاول منها في القرن الخامس قبل المسيح حينما وضع بقراط كتابهُ بعد ان درس الطب درساً حقيقيًّا ولم يحفل بخزعبلات الهياكل وترهات الكهنة لكنَّ الاوهام الدينية والشرائع المدنية التي كانت تحرّم تشريح الاموات اعاقت تقدم هذا العلم حينئذٍ

والعصر الثاني هو عصر تملك اليونان مصر وقيامهم في الاسكندرية وانشائهم فيها المدارس الزاهرة والمكاتب العامرة وقد اجازوا لاطبائهم تشريح الجثث والعبيد والمجرمين الاحياء فتقدم الطب تقدماً عظيماً لكنَّ المؤلفات التي تحتوي على نتيجة تلك المباحث فقدت جميعها مع غيرها من كنوز العلم الغالية ولم يتصل بنا منها الاَّ ما رواهُ المعاصرون بعد ذلك

والعصر الثالث هو عصر انتقال مدرسة الاسكندرية الى رومية وقد انحطت فيهِ درجة الطبّ عن سابقهِ وكان بعض الاساتذة المشهورين يدعون بانهم يعلمون تلامذتهم هذا الفن في ستة اشهر فكثر الاطباء الجاهلون وسخر منهم جمهور المؤلفين وعاب ابلينيوس جشعهم وذم مارسالوس جهلهم وقال يخاطب احدهم « كنت بالامس طبيباً رمديًّا واصبحت اليوم سيافاً فلم تغير مهنتك لانك دائماً تفقأ العيون » وابتدأ الاخصاء حينئذٍ فكان هناك اطباء

البدن واطباء العيون واطباء الاسنان واطباء الآذان واطباء البصر وصنّاع العيون الزجاجية للتماثيل وللبشر . لكنّ رمديي ذلك العصر لم يتركوا من آثارهم الاَّ بعض الخواتم المربعة الزوايا المحفور على اوجهها الضيقة اسم الطبيب والكحل والداء الذي يفيد فيهِ . وكانت الاكحال حينئذٍ ارغفة صغيرة من عجينة رخصة يسمها الاطباء بخواتمهم الحجرية المذكورة آنفاً ثم ينشفونها ويحفظونها ويذيبون قطعة منها في لبن النساء او ماء المطر او البول او العسل حين الحاجة ويكحلون بها العين . ولم يتخطَّ زمن استخدام هذه الخواتم القرن الثالث بعد الميلاد

وقد وضع الرمديون القدماء مؤَلفات عديدة في طب العيون فقد اكثرها وما بقي لم يتصل بنا منهُ كتاب كامل قط ومن هذه المؤَلفات نبذة كتبها هروفيلون الخلقيدوني وهو من اهالي الاسكندرية الذين عاشوا في القرن الثالث قبل المسيح لا نعرف منها سوى اسمها ومنها نبذة في ثلاثة كتب وضعها ديموسثينوس الماسيلي Demosthène le Massilier من المتخرجين على الاسكندر الذي كان رئيساً لمدرسة اللاذقية في زمن طيباريوس لم يبقَ منها سوى بعض الشذرات التي نقلها جالينوس واوريباز وآتيوس في كتبهم . ومنها مؤَلفات جالينوس في تشريح العين وامراضها ترجمت الى العربية في القرن التاسع ثم استخرجت منها الى اللاتينية سنة ١٥١٢ واضيف اليها حواشٍ عديدة . ومنها كتاب سوارنوس وهو من معاصري جالينوس ونبذة اوريباز وهو من اطباء القرن الرابع ومؤَلفات اسكندر ترالیانوس Alexandre de Tralles وهو من الذين نبغوا في القرن الخامس

ولم يشر بقراط الى تشريح العين في كتابهِ الاَّ باختصار كثير لكنَّ اطباء الاسكندرية افاضوا في ذلك واوفوا البحث حقهُ فوصف روفس وجالينوس الجفون وصفاً دقيقاً وقالا انها تتركَّب من ثلاث طبقات الخارجة وهي جلدية والمتوسطة وهي غضروفية وتنتهي بالاهداب وبحويصلات صغيرة تفرز مادة دهنية (غدد ميبوميوس) والداخلة وهي امتداد من السمحاق يعرف بالملتحمة وسموا آماق العيون بالزوايا الكبرى والصغرى

اما المقلة فتتألف على زعم روفس من اربعة اغشية الاوَّل البشرة والثاني بياض العين Albuginea وهو شفاف في جزئهِ المقدَّم المسمَّى بالقرنية والثالث اكتشفهُ هيروفيل وسمَّى الجزء المجاور منهُ للقرنية بالعنبي والجزء الذي تحت البياض بالمشيمي لمشابهتهِ مشيمة الجنين والرابع يُدعى الشبكي ويسميهِ بعضهم بالعنكبوتي وغيرهم بالزجاجي نسبة الى السائل الذي يملأُهُ . وقد اشار جالينوس الى صلابة البياض واشتداد تحدُّب القرنية وقال ان الغشاء الثالث يحمل الاوعية المغذية للعين ويتفرَّع من طرفهِ المقدَّم زوائد دقيقة تشبه الاهداب

بعضها يفيد في التغذية والبعض الآخر يتمم مع الجزء الممتد من العصب البصري الرباط المحيط بالبلورية

وسموا انسان العين بالبؤبؤ وما يمتد من البؤبؤ الى القرنية بالقزحية وهي على زعم جالينوس جزء متمم للشبكية يلتصق بالبلورية ويثبتها . اما رطوبات العين فثلاثة . اولها البلورية وتعرف ايضاً بالعدسية وهي محاطة بغشاء يزعم بعضهم انهُ ناتج عن تكاثف طبقاتها العليا . وثانيها الزجاجية ودُعيت بهذا الاسم لمشابهتها الزجاج . وثالثها الرطوبة المائية ويسميها سلس هيپوشيما Hypochyma ويتولد العصبان البصريان من بُطيني المخ الجانبيين ويخرقهما قناتان صغيرتان ويتحدان عند التصالب ويتصل قناتاهما هناك ويرافق كلاً منهما وريد وشريان من الشباكي الداخلي ثم ينبسطان في العينين

ولكلّ عين سبع عضلات تندمج تحت الملتحمة في الغشاء الصلب اربعة مستقيمة واثنتان مائلتان مدوّرتان وواحدة كبيرة تبتدىء عند دخول العصب البصري في الحجاج ووظيفتها رفع العين وتدويرها معاً

وكان جالينوس اوّل واصفي الجهاز الدمعي وقد قال انهُ يتألف من غدّتين عليا وسفلى ومن ميزاب يب تحت الجفن عند الزاوية الكبرى وان وظيفتهُ افراز الدموع التي ترطّب العين وتصبّ في قناة تنتهي في الانف ويغطي فتحتها العليا جسم لحيم يعرف بالغديدة . اما كاسيوس فزعم ان الدموع تنسكب من الرطوبة المائية

وزعم سلس ان العدسية مركز البصر ومستقرّه وقد استمرّ هذا الخطأ الى بدء القرن السابع عشر ونسب جالينوس رؤيتنا الاشياء الى هواء العين Pneuma الذي يملأُ ما بين العدسية والقرنية وقال انهُ يأتي من المخ الى الحدقة بواسطة العصب البصري فيمدّدها وانهُ اذا اتصل بالاشياء الخارجة طرأ على العدسية تغييرات مطابقة للون الاشياء وهيئتها ومركزها. وتنطبع هذه التغييرات على المحفظة المؤخرة وهي على قوله امتداد من الشبكية كما تنطبع الصورة على المرآة ثم تنتقل بواسطة العصب البصري الى الدماغ

وليس ما ارتآهُ جالينوس الاّ توسعاً في نظريات افلاطون والفلاسفة الواقيين الاقدمين اما امبيدوكليس وابيقوروس فقد عرفا ان النظر يتأتى عن تأثير الاشياء المرئية في العين ووافقهما ارسطوطاليس على ما ذكرا وزعم ان النور يأتي من الاجسام تظهرهُ الحركة التي يكوّنها لون الشيء المنظور وان هذه الحركة تنتقل الى رطوبات العين الشفافة

وقد توسع رمديو الاسكندرية في درس حوادث البصر الحسية فكان بطليموس يعتقد

كسابقهِ اقلاديوس انا ننظر بخروج الاشعة من العين وان الالوان هي اوَّل الاشياء التي ندركها لانها العامل الحسيّ الخاص بالنظر وانها ملازمة للاجسام لكنها لا ترى الاَّ بواسطة النور . واننا نعرف بُعد الاشياء بما للاشعة البصرية من الطول ووضعها بما لهذه الاشعة من الترتيب وحجمها بما للزوايا المكتنفة اطرافها من الانفراج . وان الانسان لا يرى الشيء مزدوجاً لان الاشعة التي تقع على الاشياء المنظورة متطابقة الترتيب في جميع الاهرام البصرية بالنسبة الى محور كل من العينين فاذا تمكَّن من امالة احدى عينيهِ او اصابتهُ علة تسبّب ذلك كالحول اختلف الترتيب المذكور ورأى الشيء مزدوجاً ويكون هذا الازدواج متقابلاً في بعض الحوادث ومتصالباً في غيرها

وعرف بطليموس بعض الظواهر المختصة ببقاء الصورة في العين وضرب لذلك مثلاً نقطة على إطار يتحرك يحسبها الناظر دائرة وقال ان الانسان اذا حدَّق ببصرهِ في لون باهر ثم وجههُ الى اشياء اخرى اكتسبت ذلك اللون . ولاحظ ايضاً ان القرص المتحرك المقسم الى اجزاء مختلفة الالوان يظهر للرائي ذا لون واحد لكنهُ لم يعرف القواعد التي تعين ذلك اللون . ولقد خصص الجزء الخامس من كتابهِ بانكسار اشعة النور ووضع جداول يبيّن بها مقدار انحراف هذه الاشعة عند مرورها من الهواء في الماء او الزجاج على درجات مختلفة من الانحناء . اما الجزء المختص بالانكسار في الاجسام ذات السطح الكروي فقد فُقد لسوء الحظ و بات من الصعب الحكم في هل عرف القدماء العدسات المحدّبة والمقعّرة اولم يعرفوها . وذكر سينيكوس Sénèque ومكروبيوس Macrobe ان الاشياء المغموسة في آنية كروية من الزجاج مملوءة بالماء تظهر للناظر اكبر من حجمها الحقيقي لكنهما عزيا ذلك الى الماء وليس الى شكل الوعاء . وروى بلينيوس ان الاطباء كانوا يكوون مرضاهم بكرةٍ من البلور يعرضونها لاشعة الشمس وقال انهُ من السهل اضرام النار في الانسجة بهذه الطريقة . ولقد عثروا على بعض العدسات المحدّبة في الدماميس القديمة وفي بومباي وادعوا ان النحاتين كانوا يستخدمونها في الاعمال الدقيقة لكن لا دليل يؤيد هذا الزعم . اما العدسات المقعرة فتشير اليها زمرّدة نيرون الشهيرة لكنّ هذه الزمرّدة حديث خرافة بني على تأويلٍ باطل لفقرة مبهمة مما كتبهُ بلينيوس . و يستنتج من اعتبار الشارع الروماني قصر البصر في الرقيق عيباً مبطلاً للبيع انّ طريقة معالجتهِ بالعدسيات المقعّرة لم تكن معروفة حينئذٍ

الامراض

ذكر بقراط في اماكن مختلفة من كتابهِ نحو الثلاثين من امراض العين كالارماد واورام

الغدد الميبومية والخرّاج والظفرة والشترة الداخلة والشترة الخارجة وزوغان الاهداب وعدم انتظام البؤبؤ واتّساعهِ وضيقهِ وادرهاءه وضعف البصر والنظر الليلي والحول . اما وصف هذه الامراض فمبهم جدًّا لان المدرسة البقراطية لم يكن لديها كلمات اصطلاحية معينة . وبنى اطباء ذلك الزمن معالجتهم على مبدإ تحويل مجرى الاخلاط فاستخدموا لهذا الغرض الفصد والحجامة والمعطّسات والغرغرات الحادة واصطلحوا على طريقتين وحشيتين في الاحوال الخطرة الاولى تشريط الراس تشريطًا عميقًا والثانية كي اوعية ما حول الحجاج والظهر بالحديد المحمى او بالزيت الغالي . وقد اجاد سلس بوصفهِ امراض العين ثمَّ اضاف آتيوس و بولس الايجيني كثيراً الى ما ذكر

(امراض الملتحمة) قسم بقراط التهابات الملتحمة او الارماد الى جافة ورطبة وقال انها معدية وان لبعض فصول السنة تأثيراً فيها وذكر سلس الرمد الرطب والرمد الجاف والرمد الحبيبي وذكر ايضاً رمداً صلباً وعرّفهُ بان الطبيب لا يقدر ان يقلب جفن المصاب بهِ وقال انهُ قد يسبب الشترة الخارجة . وقسّم جالينوس ومن خلفهُ الرمد بحسب الشدّة الى خطر وخفيف و بحسب كمية الافراز الى رطب وجاف ووصف سڤيروس في القرن الثالث الرمد الحبيبي وسماهُ التراخوما

ويظهر من مطالعة كتاب بقراط ان النزلات الزكامية تُعدّ في مقدمة العوامل المسببة لامراض العيون و يتلوها تأثيرات الفصول والعدوى ولهذا كان من واجبات المريض تحويل مجرى الاخلاط بالطرق المذكورة سالفاً و بكشط الملتحمة قبل الالتجاء الى الادوية الموضعية

ولا تستعمل الاكحال في الاحوال الحادة و يدخل في تركيبها من النباتات الزعفران والمرّ وعصير الخشخاش ومن المواد المعدنية كثير من املاح النحاس والرصاص غير النقية وتمزج جميعها بالصفراء او لبن النساء

وقد اتبع سلس المعالجة البقراطية مع ما فيها من الشدة اما جالينوس فكان يُفضّل الكحادات والقطرات القابضة والمحولات . وانتقد سڤيروس Severus كي الاوعية الدموية وتشريط الرأس المذكورين آنفاً وقال انهما طريقتان وحشيتان . ونالت عملية كشط الاجفان حظوة لدى الاطباء زمناً طويلاً وحصر جالينوس وسڤيروس استعمالها في الحوادث التي لا يصاحبها تقرح في القرنية . ووصف سلس الرمد البثري وقال عن الظفرة انها تكون غالباً في الجهة الانفية من العين وانها قد تشفى باستعمال القطرات القابضة اذا كانت حديثة العهد لكنّ القديمة تستلزم عملية جراحية

(امراض القرنية) ذكر سلس دمل القرنية وقال انهُ يسبب قرحة قذرة مجوفة مزمنة وانهُ يترك نُدبة في العين و يولد احياناً البروز العنبي الذي يعالج جراحياً

ووصف جالينوس وآتيوس و بولس قروح القرنية بالتفصيل وقسموها الى صغيرة مستديرة طرفية وصغيرة عميقة وكبيرة عميقة والى قروح مغطاة بالنسيج الندبي . وسبق اولهم غيرهُ الى ذكر الانسكاب الصديدي في العين (Hypopion) وسمى الصغير منهُ بالظفر Onyx وكان يميزهُ بمراقبتهِ حين اهتزاز الرأس فاذا رآهُ يتبع حركة ذلك الاهتزاز ايقن صحة التشخيص وعالجهُ بشرط القرنية في جزئها الاسفل عند النقطة التي كانوا يسمونها بالاكليل

واذا انثقبت هذه القروح سالت الرطوبة المائية وظهر الفتق القزحي وقد قسمهُ بولس الايجيني الى صغير يشبه رأس الذبابة ويسمى Mikrokephalon والى كبير يشبه العنبة ويسمّى Staphyloma والى اكبر من هذا يظهر ناتئاً تحت الجفون وهو إمّا رخو او صلب

وتترك قروح القرنية بُقعاً بيضاء كان يسمها جالينوس بان يكويها بابرة حامية ثم يملأ الحرق بمزيج من العفص وقشر الرمّان مذابين بمحلول ملح نحاسيّ

(امراض رطوبات العين) اطلق بقراط في كتابهِ كلمة جلوكوزيس على جميع الامراض التي تعكّر السواد . ودلّ اطباء الاسكندرية بالغلوكوما على التلوّن الازرق الناتج عن رطوبة او جفاف البلوريه و بالهيپوخيما على تكاثف الرطوبة الذي بين العدسة والقرنية . اما سلس فقال ان هذه الهيپوخيما (المائية) تنتج عن جمود الرطوبة التي خلف الحدقة وامام البلورة وتقسم الى انواع مختلفة بعضها يؤثر فيهِ العلاج والبعض الآخر اما ان يستلزم عملية جراحية واما ان لا يفيدهُ شيءٌ . ويظهر ان الذين خلفوا سلس لم يضيفوا على وصفهِ هذا ولم يأتوا بأحسن منهُ لان فابريس داكا پندنت Fabrice d'Acquapendente من اطباء القرن السابع عشر كان ينصح زملاءهُ بمطالعة هذا الفصل

وقد وافق جالينوس ارسطوطاليس في الكلام على الغلوكوما وقال انها تنتج عن جفاف العيون وميزها عن المائية بزعمهِ ان العلة الاخيرة يسببها جمود الرطوبة المائية . واما الجلوكوما فليست سوى العدسة بعد ان جفّت جفافاً شديداً واكتسبت لوناً مبيضاً او شبيهاً بماء البحر . ولم يكن مؤلفو ذلك العصر يعرفون طريقة معالجة هذا المرض فقالوا انهُ غير قابل الشفاء . اما الكتاركتا او المائية فقد كان الاطباء الذين خلفوا سلس يفتتونها احياناً وينكّسونها احياناً اخرى ويظهر ان بعضهم كان يخرجها ايضاً كما سيأتي في الكلام عن الجراحة

(امراض الجفون) وصف سلس التهاب اطراف الاجفان وجربها والشعيرة والكلازيون

والاكياس الدهنية وذكر التصاق الاجفان بعضها بالبعض الآخر او بصلبة العين وقال ان ذلك يستدعي الجراحة وفرّق بين الشترة الداخلةوزوغان الاهداب واشار بعمليات جراحية كثيرة لمداواتهما . اما الشترة الخارجة فهي اما قابلة للشفاء واما مسببة عن الشيخوخة

(امراض زاوية العين الكبرى) اولاً الشوكة وهي درنة صغيرة تتولد احياناً عقب اجراء عملية الظفرة وتستدعي الاستئصال . وثانياً السيل او انسجام الدموع ويتأتى عن نزع الغديدة اثناء عملية الظفرة ايضاً . وثالثاً الغَرَب وقال سلسانهُ سور يخرج الصديد بلا انقطاع ولم يكن يعرف الجهاز الدمعي فكان يداوي هذا الداء باستئصال الورم وكي موضعهِ بالحديد المحمى . اما جالينوس ومن تبعهُ فقد ذكروا طرقاً عديدة لمعالجتهِ

(امراض المقلة) وصف سلس الجروح التي تصيب العين وقال انها قد تكون صغيرة فتسبب ورماً بسيطاً يداوى بدم اليمام والخطاطيف وقد تكون كبيرة فتؤدي الى خسارتها . واطلق كلمة جحوظ العين على غلغموني المقلة واورامها وقال ان معالجة هذا الداء تكون على الاغلب جراحية

(امراض عضلات العين) ذكر بقراط الحول في مجموعتهِ وقال انهُ يتبع الصرع ويكون وراثياً واطلق سلس اسم الانحلال العيني على شلل عضلات العين وعلى اهتزاز المقلة . وكان اور يباز يعالج هذا الداء بان يعلّق اشياء لامعة في الجهة المقابلة للعين الحولاء كي يجذب نظر المريض اليها

(ضعف البصر وخلل الانكسار) جاء في مجموعة بقراط ان ضعف البصر يتأتى عن استسقاء الدماغ او عن انسداد القناة الموصلةمن العين اليهِ وقسمهُ بلينيوس الى ثلاثة اقسام الاول يسببهُ الرمد والشيخوخة والوهن والثاني الغشاوة او العمى الليلي ولا يصيب النساء والثالث انتشار الحدقة وقد يبرأ منها المريض بشرب المياه المعدنية

ويرى جالينوس ان ضعف النظر ينتج من علة في العصب تسد المسام التي يمرّ بها الهواء البصري وان هذه العلة ترافق امراض الدماغ والمعدة لانهما يُصعدان حينئذٍ ابخرة سوداء تعكّر الرطوبة المائية

وذكر ارسطوطاليس عدم انتظام البصر وهو اول من اطلق كلمة (Myope) على قصيره وقال ان المصاب بهذا الداء تخزر عيناهُ حينما يحدّق نظرهُ في الاشياء وان الشيوخ يصابون بعكس ذلك فهم يرون الاشياء البعيدة ولكنهم لا يميزون الصور القريبة من العين

وزعم الاسكندر الافروديزي ان قصر البصر مسبب عن خفة الروح البصري وان

طولهُ ناتج عن كثافتهِ . وقال جالينوس ان من اسباب النظر الشيخوخي تكاثف رطوبات واغشية العين. اما معالجة هذين الداءين بالعدسات المحدَّبة والمقعَّرة فقد كانت مجهولة كما سيأْتي ولهذا قال سيانون (Suéton) وشيشرون وكرنيليوس نابس ان الواجب على الانسان اذا شاخ واراد المطالعة ان يأمر عبداً فيقرأ لهُ

العلاج

استعمل الاقدمون اكحالاً عديدة لمعالجة الارماد المختلفة واوصى سكر بونيوس لارجوس بالاكحال المستخرجة من عصير النباتات في بدء العلة لان المساحيق مهما دُقّت وسحِنت تفسّخ العيون. واشار بادخال الافيون في جميع المستحضرات العينية واثنى كثيراً على الاغسال السخنة ونقيع النباتات الحار

وكان الرمديون يكتمون تركيب اكحالهم فكابد سكر بونيوس المذكور آنفاً صعوبات شديدة في معرفة بعضها وهي غالباً مشكّلة من مواد كثيرة فكحل هرمون الذي ذكرهُ سلس مؤلف من احدى وعشرين مادة. اما الجواهر الفعالة التي كانوا يستعملونها فهي املاح من الرصاص والزنك والنحاس والحديد غير نقية وممزوجة بلبن النساء او البول او الصفراء او الربق . وذكروا فوائد عظيمة للحم ومرارة بعض الحيوانات والطيور والاسماك ولاسيما لحم الخطاطيف فانهم قالوا ان لهُ فعلاً خاصاً في البصر واعتمدوا كثيراً على التعاويذ واستخدموا المياه المعدنية وذكروا ان للمياه التي تحتوي على الحديد تأثيراً نافعاً جدًّا في العيون

الجراحة

لم يذكر بقراط في مجموعتهِ من جراحة العين الاَّ النذر اليسير فمن ذلك كيّ اوعية ما حول الحجاج والظهر وتشريط الجمجمة تشريطاً عميقاً ومنها ثقب القحف لتفريغ الماء المتجمع تحتهُ في بعض احوال ضعف البصر ومنها استخراج الصديد من داخل العين بشرطها شرطاً عميقاً ومنها استخراج رأس سهم مغروز في الجفن ومنها لمعالجة الشترة الخارجة خرز مرتبة على نظام خاص وشاملة لثنية من جلد الجفن المصاب ومنها كشط حُبيبات الملتحمة بقطعة من الخشب مغطاة بورقة من شجر التين وذرّ (كبريتات النحاس) المسحوق على السطح المكشوط بعد ذلك

وكان سلس اول من وصف جراحة العين وصفاً علميًّا ثم اضاف خلفاؤُهُ كثيراً الى ما كتبهُ (الشترة الداخلة وزوغان الاهداب) نقسم العمليات الجراحية الموضوعة لهذين المرضين الى اربعة اقسام

القسم الاول شتر شفر الاجفان ولذلك طريقتان · الطريقة الاولى يسبب بها الجرّاح اختناق قطعة افقية من الجلد الجفني إما بان يشملها ضمن خرز متينة محكمة الشدّ كما كان يفعل بقراط واما بان يدخلها في شق قصبة يربط طرفيها الواحد بالآخر بعد ذلك ربطاً متيناً واما بان يكويها مراراً عديدة بالجير المطفى والرماد لاسيما متى كان المريض جباناً· والطريقة الثانية يقطع بها الجراح القطعة الجلدية الافقية المذكورة آنفاً قطعاً ثم يخيط احد طرفي الجرح الى الآخر

والقسم الثاني نقل القطعة الجلدية الشاملة للاهداب وهاك طريقة بولس الايجيني · تُفصل الشفرة الجفنية طولاً الى صحيفتين تشمل المقدمة منهما الجلد والاهداب وجذورها· ثم يقطع الجزء المتوسط طولاً من هذه الصحيفة المقدّمة ويُخاط طرفا الجرح فتزحل القطعة الحاملة الاهداب الى الاعلى وتبقى هناك بعد الشفاء· وكان آتيوس يجوّف الغضروف الرسغي اثناء اجراء هذه العملية

والقسم الثالث ابادة اصول الاهداب الزائغة وذلك بان ينتفها الطبيب و يكوي اصولها بطرف مسبر متأجج حاد او ابرة مصفّحة محماة جدّاً

والقسم الرابع تحويل مجرى الاهداب بأن يولج الطبيب في خرم ابرة رفيعة طرفي شعرة امرأة او خيطاً دقيقاً جدّاً ثم يُدخل الهدب الزائغ في عروة الخيط و يمر بالابرة من الحرف الجفني الى ما فوق الاهداب ساحباً الخيط المذكور فيتخذ الهدب حينئذٍ طريقاً جديداً و يبتعد عن العين· ولم يستعملوا هذه الطريقة الاّ في الاحوال التي لا تجاوز بها الاهداب الزائغة الثلاثة عدّاً

(الشترة الخارجة) قسّم اليونان الشترة الخارجة الى تضخمية وندبية وقالوا ان كلتيهما تصيبان الاجفان السفلى فقط· وعالجوا الاولى منها بالطرق الآتية اولاً مسّ الجزء المتضخّم بالحديد المحمى او الجير او غيره من المواد الكاوية · ثانياً قطع الغشاء المخاطي المتضخم وكيّ ما تحتهُ بالحديد بعد احمائهِ الى ان يحمر وذر كبريتات النحاس على الجرح · وثالثاً قطع جزء مثلث من الجفن شامل لانسجتهِ جميعها وضم احد طرفي الجرح الى الآخر وهذه الطريقة الاخيرة تعرف بطريقة انتيللوس

اما الشترة الخارجة الندبية فوضعوا لها عمليتين الاولى عملية انتيللوس المذكورة آنفاً والثانية عملية دموستينوس وهي ان تشرط الندبة شرطاً هلاليا يتجه طرفاهُ الى الخد ويُقطع الغشاء المخاطي المتضخم او يترك ثم يملأ الجرح الهلالي بالنُسال كي لا يلتحم شفتاهُ

(استحالة اغماض العين) يتأتى ذلك عن ندبة معيبة في الجفن العلوي يُسببها خرّاج

او عملية رديئة لزوغان الاهداب . فإذا كان هذا العيب كبيراً استحال شفاؤُهُ اما اذا كان خفيفاً فيعالجهُ سلس بان يشق تحت الحاجب شقاً هلالياً يتجه طرفاهُ الى الاسفل و يبلغ الغضروف الجفني لكنهُ لا يشملهُ . ثم يملأُ الجرح المفتوح بالنسال لكي يمنع اتصال الاغشية الجلدية فيطول الجفن و يرتخي و يتيسر اغماض العين

(اورام الاجفان) تُشق الشعيرة وتعصر و يُشرّح الكلازيون بعد شقهِ من الغشاء المخاطي او من الجلد و ينزع الكيس بعد شق الجلد شقاً بسيطاً او بعد قطع جزء منهُ مناسب لحجم الورم ثم يخاط الورم

(الغَرَب) يُعالج الغرب بملاشاة الكيس الدمعي او بفتح طريق صناعي للدموع والصديد والعمليات التي اصطلحوا عليها لمعالجة هذا الداء ثلاثة

الاولى شرط الورم شرطاً افقياً يبتدأُ في النقطة البارزة منهُ المجاورة لاتصال الجفنين ويشمل باقي الخراج ثم يمنع الجرح من الالتحام و يكوى يومياً بالمواد المجففة

والثانية ملاشاة الكيس الدمعي ولها طرق مختلفة منها طريقة جالينوس الذي كان يشق الورم و يبعد حافتي الجرح ثم يستعمل مثقباً صغيراً مراراً عديدة لتمزيق الكيس و يدهن سطح الجرح اخيراً بمرهم نحاسي . ومنها طريقة سلس الذي كان يشق الجلد المغطي للورم ثم ينزع جدار الكيس المقدّم بعد جذبهِ بكلاّب صغير ويكوي الحفرة المفتوحة بالحديد الاحمر . ويستحسن آتيوس تغطية العين بسفنجة اثناء اجراء هذه العملية و يقول انهُ من الواجب كيّ الحفرة كيّاً تاماً شاملاً لجميع اجزائها اي اقاعها وجدرانها الجانبية ولاسيما الجدار الاعلى . وروى جالينوس عن ارشيجينوس Archigènes ان بعض الجراحين كانوا يدخلون في الفتحة الناتجة عن شق الخرّاج الدمعي قمعاً دقيقاً يسندونهُ الى العظم ثم يسكبون بهِ رصاصاً سائلاً فينال المريض الشفاء لكنهم لم يستعملوا ذلك الاّ في حوادث تسويس العظم

(كشط الاجفان) ذكرت هذه العملية لمعالجة الارماد في كتاب بقراط الذي كان يكشط الملتحمة الجفنية بقطعة من الصوف الخشن ملفوفة حول قضيب صلب . اما سلس فكان يفضّل الكشط بسطح ورقة التين الخشن او بمسبر او مشرط وتغطية الجرح بعد ذلك بمادة قابضة . ونهى جالينوس وسقيروس عن استخدام هذه العملية في الارماد التي يرافقها تقرّح القرنية واخترع لها بولس الايجيني آلة خاصة

(التصاق الاجفان) يقول سلس ان هذا المرض يشمل التصاق احد الجفنين بالآخر والتصاقهما بالعين . ففي الحالة الاولى كان يدخل طرف مسبرٍ عريض بين الجفنين و يفصلهما

الواحد عن الآخر ثم يضع ما بينهما النسال الى ان يدمل الجرح

اما في حالة التصاق الجفنين او احدهما بالصلبة فالطريقة التي كان يتبعها الاطباء وضعها هرقليدس التورنتي وهي ان تفصل الانسجة الملتصقة بمنتهى التحفظ كي لا يُزال شيء من العين او الجفن ثم تضمد العين باحد المراهم المستعملة لحبيبات الملتحمة. ثم يقلب الجفن يوميًّا لبسط المرهم ولمنع حدوث التصاق جديد و يوصى المريض ايضًا برفع جفنهِ مرارًا عديدة كلّ يوم. لكنّ سلس يزعم انهُ لم يرَ مريضًا واحدًا شفي بهذه العملية وان ماجوس الذي اجراها كثيرًا يوافق على رأيهِ

(الظفرة) وصف سلس عملية الظفرة كما يأتي. يبعد المساعد جفني العين المصابة و يمرّ الطبيب كلابًا صغيرًا تحت قمة الظفرة و يرفعها و يدخل تحتها ابرة قد ادخل بها خيطًا ثم يترك الكلاب و يرفع الظفرة بشدهِ طرفي الخيط و يفصلها عن العين بشرط متجنبًا جرح الزاوية و يضمد الجرح بالنسال المدهون بالعسل. ومن الواجب بعد ذلك مشاهدة المريض يوميًّا وفتح عينهِ وابعاد الجفنين. وقد اخترع آتيوس مشرطًا مخصوصًا لفصل الظفرة عن العين

(البروز العنبي) لمعالجة هذا الداء ثلاث عمليات

الاولى الربط البسيط وذلك ان يدخل الطبيب في قاعدة البروز ابرة قد اولج بها خيطين ثم يعقد احدهما في الاعلى والآخر في الاسفل و يشدهما بالتدريج كي يتيسر فصل هذا البروز او سقوطهُ بقطع الغذاء عنهُ

والثانية قطع البروز وترك حافتي الجرح سائبتين وذلك ان يفصل من اعلاهُ قطعة بحجم العدسة ثم يذر على الجرح مادة كاوية خفيفة كاكسيد الزنك

والثالثة قطع البروز وضمّ الحافتين وذلك ان يجتاز الطبيب قاعدة البروز بابرتين متقاطعتين على شكل صليب في كل منها خيط مزدوج ثم يقطع الجزء الاعلى من هذا البروز و يشد الخيطين و يعقدهما و يتركهما فيسقطان بعد التئام الجرح

(الصديد في الغرفة المقدّمة) (Hypopyon) عالج اليونان هذا الداء بطريقتين احداهما شق القرنية والاخرى بزلها. اما الشق فقد ذكرهُ بقراط وقال عنهُ جالينوس ما يأتي « كثيرًا ما اخرجنا الصديد مرة واحدة بشق القرنية فوق المكان الذي تجتمع فيهِ كل اغشية العين ويسمي البعض هذا الموضع بالقزحية ويدعوهُ البعض الآخر بالتاج »

واما البزل فقد كان آتيوس يجريهِ بان يثقب القرنية بابرة المائية على موازاة سطح القزحية المقدم في الاحوال التي يكثر بها تجمع الصديد في الجزء الاسفل من الغرفة المقدمة. واما الحوادث التي يتسبب بها الصديد عن قرحة بسيطة فيزعم ان لا داعي لبزلها لان هذا الصديد

يتحجر كلما تحسنت القرحة

(المائية او الكاتركتا) اصطلح اليونان على ثلاث عمليات لعلاج المائية

العملية الاولى التنكيس وهذا ما قالهُ سلس في وصفها · ينتظر الطبيب جمود العدسة فاذا تم ذلك قرَّر اجراء العملية وامر المريض بالحمية مدة ثلاثة ايام · ثم يأتي بهِ في صباح اليوم الرابع قبل ان يذوق شيئًا ويجلسهُ على مقعدٍ مواجهٍ للنور في غرفة كثيرة الضوء ويأمر احد المساعدين بان يغطي العين السليمة ويثبّت الرأس من خلف ويجلس الطبيب امام المريض واعلى منهُ قليلاً · ثم يأخذ ابرة حادة غير دقيقة ويدخلها في طبقتي العين الخارجتين عند منتصف المسافة بين سواد العين والزاوية الصدغية ويوجهها بلا خوف الى المائية التي يدفعها الى ما تحت البؤبؤ ثم يضغط عليها بشدّة كي تغوص في اسفل العين وتستعمل اليد اليسرى في عملية العين اليمنى واليد اليمنى في عملية العين اليسرى

والعملية الثانية التفتيت وقد ذكرهُ سلس قائلاً « اذا لم ينجح التنكيس وصعدت العدسة ثانية الى البؤبؤ فمن الضروري تجزئتها الى قطع صغيرة لا تضايق البصر كثيراً ويسهل ازالتها »

وذكر ابلينيوس ان بعض الرمديين يوسّعون الحدقة بالرتم قبل اجراء عملية المائية لكنّ الرتم الذي نعرفهُ لا يوسّع الحدقة فمن المرجح انهُ اراد نبات البنج الذي نصّ جالينوس على فعلهِ هذا

والعملية الثالثة الاخراج ودليلنا الوحيد على وجوده عند الاقدمين النصّ التالي من كتاب جالينوس « اذا لم يُفد العلاج مائية العين فاننا ننكسها وقد اقدم بعض الاطباء على اخراجها حسب الطريقة التي سأُفصلها في كتاب العمليات الجراحية » · لكنّ تآليف جالينوس الجراحية فقدت فلم يبقَ لدينا دليل آخر · ولا شك ان هذه العملية اهملت بعد مدّة قصيرة لان الاطباء الذين تبعوهُ لم يشيروا اليها

(عمليات المقلة) يشق سلس كرة العين المصابة بالفلغموني اما العيون الصلبة فانهُ يقطع منها الجزء البارز بمشرط حاد

(الآلات الجراحية) اكتشف في قبري فيرميوس سڤيروس وبولس سولنوس علبتان تحتويان على بعض الآلات الجراحية المزخرفة كمشارط ذات نصال متحركة ولها في اطرافها التي تلي اليد ادوات لفصل الاورام الجفنية وملاقط بسيطة ذات اسنان مثبتة ومراود لوضع المراهم في عيون المرضى وبعض الاحجار العينية والمساحج التي كانوا ينسبون لها افعالاً مدهشة

وانتقل طبّ العيون من اليونان الى العرب وسأذكر ما ادخلوهُ فيهِ في فرصة اخرى

[المقتطف] فقدت الورقة التي فيها اسم حضرة كاتب هذه المقالة فنرجو ان يتكرم بهِ

اصول التعليم الحديث

تمهيد

خضع التعليم لناموس الارتقاء العام كما خضع الانسان والعلم والتمدن فقد مرّت عليهِ ادوار تدرّج في اثنائها من ابسط حالاتهِ الى ما هو اسمى الى ان وصل الى ما هو عليهِ في هذه الايام . فما نراهُ اليوم في المدارس والكليات والجامعات من اصول التعليم الراقية ليس ابن يومهِ بل هو نتيجة ابحاث ومجادلات اشتغل بها العقل الانساني منذ ابتدأ التمدن الى اليوم

ولما كان تاريخ التعليم من الاهمية بمكان وكان على كل من اخذ على عاتقهِ القيام بهذه المهمة ان يقف على ذلك رايت ان آتي على تاريخ التعليم الحديث مع القاء نظرة عامة على تاريخ التعليم من اول امرهِ مستنداً في كل ذلك على ما كتبهُ كبار علماء التهذيب الذين هم العمدة في هذا الباب والكعبة التي يحجُّ اليها كل من اراد التوسع في هذا الموضوع (١)

لقد قسم العلماء ازمنة تاريخ التعليم الى ادوارٍ فسموا الدور الاول منها بالتعليم الابتدائي وهو لا يتجاوز حد « التقليد » كتقليد الصغار حركات من هم اكبر منهم سنًّا . وهذا الدور هو المعوّل عليهِ في كل امة لتعليم الاطفال غير ان المتوحشين الذين لم يكن عندهم مدارس اقتصروا عليهِ ولم يزيدوا شيئًا

ولقد مضى زمان كانت فيهِ هذه الطريقة ارقى طرق التعليم اذ كانت الطريقة الوحيدة المعروفة ولكن ذلك لم يلبث طويلاً حتى قام اناس من بين المتوحشين يعرفون اشياء لا يعرفها باقي اخوانهم ككلمات رمزية او اشارات تبعد الارواح الشريرة ولما رأوها نافعة لهم لم يبوحوا بها الا لاقاربهم واهلهم وهؤلاء هم الافراد الراقون او الكهنة الذين زادوا عليها الطقوس والرسوم وصاروا هم المعلمين وصارت بيوتهم المدارس فكان التعليم اذ ذاك محصوراً في فئة قليلة من الناس لا يتعداها الى سواها . فقويت هذه الفئة وقيَّدت افكار الناس ولعبت بهم كما شاءت مستندة في كل ذلك على السحر والكهانة والشعوذة

لما ارتقى الانسان وابتدأت تتألف الجماعات وسنت بعض النظامات السياسية ووضعت الحروف الهجائية واللغة الكتابية ظهر ان للفرد اعتباراً وشأناً خاصًّا اذ منهُ تتألف الجماعات

---

(١) قد عوّلنا في كتابة هذه المقالة على كتب اكثرها انكليزي منها

(1) The Cyclopedia of Education. (Monrœ)
(2) History of Education & Source Book (Monrœ).
(3) Davidson History of Education.
(4) Horn's Philosophy of Education.

وظهر ان الجماعة يجب ان تعرف ماضيها وتستفيد من اغلاطها وتسعى وراء كل واسطة لحفظ كيانها . فقام التعليم الشرقي وكانت العناية مصروفة فيهِ الى الامور الآتية (١) حفظ اللغات واصطلاحاتها (٢) تعليم الانسان نوعاً مخصوصاً من التعاليم السرية (٣) التسلط على الامة بذلك . ولكي تتسنى لهم هذه الامور وضعوا زمام التعليم في يد فئة قليلة من الكهنة الذين اتقنوا القراءة والكتابة وعرفوا كل النظامات والقوانين المسنونة . لكن ظهر تقصير التعليم الشرقي في اربعة امور (١) التشديد في اهمية اللغة (٢) تكريم الماضي (٣) عبادة الاسلاف (٤) تقييد شخصية الفرد بشخصية الجماعة . فترتب على ذلك النتائج التالية (١) اخضاع العقل للسان (اي اللغة) (٢) الحط من شأن الحاضر . فابتدأ العقل الشرقي حينئذٍ يخلق فردوساً بعد الموت وجنة بعد الانتقال من هذا الشقاء فكنت تراهُ تارة ينشد الاشعار مفتخراً بماضيهِ واخرى سابحاً في لجج الفلسفة مفكراً في مصيرهِ لكن قلما كان يهتم باصلاح حاضرهِ (٣) عدم الاعتماد على النفس

التعليم اليوناني

كان التعليم الشرقي الذي بدت نتائجهُ على اوضح حالاتها في الصين مبنيًّا على اخضاع الفرد والتسلط عليهِ . ثم قام التمدن اليوناني فاجتهد اليونان ان يحرّروا الانسان من كل تسلط غير مشروع ويقوّوا فيهِ عاطفة الفرديّة فيعرف نفسهُ انهُ كائن حر وان ليس لاحد ان يحرمهُ هذه الحرية . وقبل الوصول الى هذه الغاية تقلّب العقل اليوناني في ادوار كثيرة . ولم يتم ذلك لليونان الاَّ بعد اختلاطهم بالشعوب الاخرى فاخذوا يستبدلون نظاماتهم القديمة باخرى ارقى منها ترفع من شأن الفردية . ولذلك كان من همّ فلاسفة اليونان المتأخرين وعلى الاخص سقراط وافلاطون وارسطوطاليس ان يوفقوا بين القديم والحديث وان يضعوا اصولاً موافقة للتعليم فكانت نتيجة ذلك ان وضعت المبادئ التي بني عليها العلم الحديث نظاماتهِ وقوانينهُ . وبقي الميل الى تقوية شأن الفرد الى ان داستهُ اقدام الرومانيين

التعليم الروماني

مال فلاسفة اليونان الى الفلسفة النظرية فهاموا في عالم التصورات . اما الرومان فكانوا امة عملية فقوّوا التعليم العملي وجعلوا مقياس صلاحية الشيء منفعتهُ وتأثيرهُ ولهذا نظروا الى اليونان كامة ذات احلام ورؤًى كما ان اليونان نظروا الى الرومان كامة بربرية اعتمادها على القوة وليس فيها شيء من الشعور والتصور . وجعل الرومان البيت المدرسة الاولى منشأ التربية والعلم فيهِ تتأسس الفضيلة وتنشأ التربية الصحيحة . ولما كان جلّ اعتماد اليونان على الفلسفة النظرية لم يكن للعامة من شأن يذكر في امر التعليم بل بقي العلم محصوراً في طبقة مخصوصة منهم

بخلاف الرومان فقد كان لكل فرد من افراد الامة حظ وافر منهُ. وزها العلم وتقدم لما عظم شأن الرومان. ولكن لما اخذت الامبراطورية في الانحطاط وسرى السم في جسدها وتسلط البرابرة على القسم الغربي منها تأخر العلم تأخراً عظيماً وانحطت اخلاق الامة وفسدت تربيتها

ولقد ظهرت آراء الرومانيين في التعليم في ما سنُّوهُ من الحقوق والواجبات فكان للروماني خمسة حقوق بحسب ما سنّتهُ الشريعة الرومانية . (١) حق الوالد على ولدهِ . (٢) حق الرجل على امرأتهِ . (٣) حق السيد على عبدهِ . (٤) حق الحر على آخر في احوال تبينها الشريعة . (٥) حق الرجل على املاكهِ . فكان الحر ينال هذه الحقوق بالولادة . وبعد القرون الاولى من تأسيس رومية صار الانسان ينالها اذا تبنّاهُ رجل حر او نال الجنسية الرومانية

التعليم في القرون الوسطى

بعد ان استوى الملك قسطنطين على عرش المملكة الرومانية صارت الديانة المسيحية ديانة الحكومة الرسمية وانتشرت في كل المملكة وبعد ان كانت السلطة في يد الحكومة اخذت تتسرب شيئًا فشيئًا الى يد الكنيسة حتى صارت هي المرجع الاعلى في جميع الشؤون المدنية والكنسية . واخذت التعاليم الوثنية تتقلص امامها لانها جاءت بتعاليم جديدة روحية وتهذيب حقيقي عقلي الامر الذي لم يكن يتحقق في التعاليم اليونانية والرومانية . وكان في وسع كل رجل ان ينال حظًّا وافراً من هذا التعليم لانهُ كان مبنيًّا على الادبيات لا على العقل والذكاء كما كان عند اليونان . وقد كانت الديانة المسيحية في اول نشأتها على اتفاق تام مع التعليم المدرسي ولكن لما امتدت سلطتها الى جميع الاقطار جعلت تحتكر كل شيء وحرمت الانسان من التوسع في البحث والتعليم . فقام الرهبان وقضوا الجانب الاكبر من اوقاتهم في المطالعة والدرس والكتابة والتأليف . ولما احتاجوا الى المجادلات الدينية رأوا ان لا بدَّ لهم من علم المنطق والفلسفة وهكذا نشأت الفرقة المعروفة بالمدرسيين . ثم لما تولد في اوربا النظام الاقطاعي ورأى الناس انفسهم مضطرين الى حمل السلاح اخذ التعليم يتكيف بصورة اخرى فنشأ التعليم المدعو بالتعليم العسكري وهو ان يمرن الانسان نفسهُ على الشجاعة والفروسية ليتمكن من انجاد سيدهِ وقت الحرب . وبعد ان انقضى القرن الثالث عشر ظهرت التعاليم بمظهر جديد وكلها ترمي الى الضغط على العقل والحرية

زمن الاصلاح — هدم القديم ومحاولة البناء على اساس فلسفي

تقدم القول ان التعليم في القرون الوسطى كان يرمي الى الضغط على حرية الافراد والعقل فقيام النشأة الجديدة لمحاربة هذا الميل كان نتيجة طبيعية . ولقد وقف ابطال هذا

الدور حياتهم على محاربة سلطة الكنيسة والحكومة ونظام الهيئة الاجتماعية الذي ولدتهُ القرون الوسطى . اما الغايات التي وجهوا انظارهم اليها في كل تعاليمهم فهي (١) حقيقة الحياة فوافقت آراؤهم في ذلك اراء فلاسفة اليونان الذين اعاروا هذه المسألة جانباً عظيماً من الاهمية بخلاف ما كان عليهِ قادة الافكار في القرون الوسطى . (٢) عالم التصورات الداخلي والفرح في الحياة واللذة في المعيشة واعطاء الجمال حقهُ من الاهمية . وبديهي انهم لم يكونوا ينظرون الى ذلك من الوجهتين الدينية والفلسفية بل من الوجهة العالمية . (٣) الاشتغال بالامور الطبيعية فأدت الاولى الى درس آداب اللغتين اليونانية والرومانية والثانية الى اتقان الحفر والنقش والتصوير والثالثة الى الاكتشافات الجديدة . وخلاصة القول ان دور النشأة الجديدة وضع اساس التهذيب كما نراهُ اليوم وليست الادوار الثلاثة الآتية الا تكملة لهُ . اما اهم رجال هذا الدور فهم بتراركس وبوكاتشيو في ايطاليا . ويوحنا وريدولف ويوحنا ركلين في المانيا ورئيس هذه النهضة الاكبر اراسموس

دور الاصلاح

يختلف الدور السابق عن هذا الدور بروحهِ ونتيجتهِ . وما الاصلاح الاَّ نتيجة امتداد النشأة الجديدة في شمال اوربا حيث اجتهد المصلحون في اصلاح الكنيسة والهيئة الاجتماعية من الوجهة اللاهوتية . ويجدر بنا ان نذكر بعض الفروق بين الشعوب اللاتينية والجرمانية المعروفة بالطوطونية . فاللاتين كانوا يميلون الى درس الآداب الوثنية والجرمان الى درس الآداب المسيحية . اولئك اهتموا بالتهذيب الشخصي وهؤلاء بتهذيب المجتمع دينياً وادبياً . كان تمدن اللاتين مبنياً على التقاليد وتمدن الجرمان على الديانة المسيحية . عقل هؤلاء كان ميالاً الى الدين وعقل اولئك كان يسعى وراء المنفعة الذاتية . لذلك لم يكن ابتداء الاصلاح في المانيا ومعاضدة ملوكها للمصلحين بالامر الغريب

اما اهم ابطال الاصلاح فهم يوحنا كالفينوس (١٥٠٩ — ١٥٦٤) كان منهمكاً في حياتهِ بالمجادلات اللاهوتية ولم يُعر التعليم جانباً من الاهمية الاَّ في السنين الاخيرة من عمرهِ

يوحنا زونكلي . (١٤٨٤ — ١٥٣٢) . اعظم المصلحين في سويسرا . قوَّى التعليم الابتدائي . وكتب كتاباً في كيفية تربية الاولاد في الديانة المسيحية

مرتينوس لوثيروس (١٤٨٣ - ١٥٤٦) اعظم المصلحين بلا جدال ومصدر النهضة الالمانية . انحصرت تعاليمهُ في ثلاثة وجوه . ضد الحكومة — وضد الكنيسة — وضد التعليم الكنسي . والى القراء نتف من اقوالهِ في وجوب التعليم . « هب ان لا روح ولا سماء ولا جهنم

فهذا لا ينفي ان التعليم ضروري لقضاء الحاجات على الارض كما قال بذلك فلاسفة اليونان والرومان · العالم في احتياج الى رجال متعلمين ليسوسوا البلاد بالعدل والحكمة والى نساء متهذبات يربين اولادهن التربية الحسنة ويعتنين بامور بيوتهن» · انا اكره المدارس التي يقضي فيها التلميذ عشرين او ثلاثين سنة في تعلم امور لا اهمية لها · ان عالماً جديداً قد اشرق علينا وقد لبس كل شيء ثوباً جديداً فانا ارى ان يرسل الولد ساعة او ساعتين في النهار الى المدرسة ويقضي بقية يومهِ في البيت يتعلم صناعة لان الصنائع والعلوم يجب ان تسيرا جنباً الى جنب»

وقد علَّم ان الحكومة يجب ان تلزم الاهالي بارسال الاولاد الى المدارس كما انها تلزمهم بتأدية الخدمة العسكرية

فيليب ملانكثون (١٤٧٩ — ١٥٦٠) دُعي بمعلم المانيا ولم يطلق عليهِ هذا اللقب اعتباطاً اذ لم تبقَ مدرسة في المانيا الاَّ واتبعت خطتهُ في التعليم او مشورتهُ في القاء الدروس ولم يقم معلم مشهور الاَّ واخذ عنهُ · وقد الَّف كتباً مدرسية كثيرة كان يعتمد عليها في المانيا مدة طويلة · فالتعليم الابتدائي اذاً مديون للاصلاح

الدور المعروف بدور الفلاسفة الحقيقيين (اي المذهب القائل بحقيقة الاشياء)

كانت الحركة في القرن الخامس عشر شخصية وتثقيفية · وظهرت بالكتابات والحركات العسكرية · وفي القرن السادس عشر اصلاحية وادبية فظهرت في الدين والاجتماع · وفي القرن السابع عشر اتجهت نحو الفلسفة والمسائل العلمية ولذلك يمكننا ان ندعو هذا الدور بالدور العلمي

انقسم العلماء في هذا الدور الى قسمين الاول العلماء الحقيقيون المختصون بالعلوم الادبية اهمهم اراسموس وملانكثون والثاني الحقيقيون الاجتماعيون وهؤُلاء قللوا من اهمية المدارس وجعلوا اهم وسائط التعليم الارتحال في الارض والمعاشرة والاحتكاك مع الناس

ورافع علم هذا الرأي مونتانيه · وقد ظهر في هذا الدور فرنسيس باكون (١٥٦١—١٦٢٦) واضع الفلسفة الحديثة وهادم اركان الفلسفة القديمة · ولقد علَّم هذا الفيلسوف ان العلم لا يقوم بحفظ القواعد الصرفية والنحوية واستظهار بعض الكلمات ولا بالعلوم اللاهوتية بل بالعلوم الطبيعية فهي وحدها يجب ان تسود في الكون واليها يجب ان ترجع الفلسفة · فباقوالهِ هذه فتح باباً جديداً ومهد سبيلاً واسعاً للاكتشافات التي حدثت في القرن الثامن عشر والتاسع عشر

ولف كانك رنك (١٥٧١ — ١٦٣٥) كتب هذا العالم لممثل المملكة الالمانية في فرنكفورت ما يأتي :

« استطيع ان اعلم اللغة اللاتينية واليونانية باسلوبي الجديد في مدة قصيرة فيتدرب فيها التلميذ احسن مما يتدرب في مدارسنا الحاضرة . يجب ان تكون اللغة العامية — اي الوطنية — اساس كل علم ويجب ان يعلم التلاميذ الصنائع مع العلوم . يجب ان تسود في المانيا لغة واحدة ولهجة واحدة لاغير» . ولكن هذا العالم لم يصادف النجاح التام في حياته

اما مؤسس تاريخ التعليم الحديث فهو يوحنا عاموس كومنيوس (١٥٩٢ — ١٦٧٠) ويمكننا ان نجمع آراء هذا الفيلسوف بالتعليم في هذه الخلاصة

« القصد من التعليم هو التمتع بالسعادة التامة وهذه ينالها الانسان بقوة الارادة ومعرفة النفس وبالتالي معرفة كل شيء » وقال في التعليم ما يأتي :

« يجب على الانسان ان يفقه العالم جيداً ويضع كل قسم في مكانهِ دون اختلاط ولا امتزاج » . ولذلك نرى كلامهُ في كل كتبهِ المدرسية آخذاً بعضهُ برقاب بعض . ويجدر بنا ان نذكر القضايا التسع التي وضعها هذا العالم في التعليم

(١) كل ما يجب ان يُعرف يجب ان يُعلّم صريحًا للتلميذ لا بالرموز ولا بالامثال

(٢) يجب ان تلقى الدروس على طريقة تقربها من الافهام وليس على طريقة معقدة صعبة

(٣) كل ما يعلّم يجب ان يكون ذا نفع ومن الاشياء التي يستعملها التلميذ كل يوم والواقعة تحت حواسهِ

(٤) كل ما يعلم يجب ان يعلم بالرجوع الى طبيعتهِ الحقيقية واصلهِ اي بواسطة اسبابهِ وعللهِ

(٥) يجب ان تقدَّم مبادئ الاشياء العمومية في التعليم على التفصيلات والشروح الطويلة

(٦) كل شيء يجب ان يعلم مبتدأً من رتبتهِ ومركزهِ وعلاقتهِ بالاشياء الاخرى

(٧) يجب ان تعلم كل الاشياء بالتعاقب ولا يجوز ان يعلم اكثر من شيء واحد في وقت واحد

(٨) يجب ان لا يترك المعلم شيئًا قبل ان يفهمهُ التلميذ جيداً

(٩) يجب ان يدقق تمام التدقيق في الفروق التي تُرى بين الاشياء لكي تكون المعرفة حقيقية واضحة

وقد اشتهر هذا المعلم ايضاً بما وضعهُ من الكتب المدرسية حتى انها كانت الغاية في هذا الباب وفاقت كل كتب الذين تقدموهُ وعاصروهُ . والسبب في نجاحهِ انهُ كان معلماً فكتب ما كتب عن اختبار واستقراء . وقد ذكر انهُ يجب ان تكون المدارس نوعين

(١) مدرسة الاطفال . فكأنهُ اشار بذلك من طرف خفي الى بستان الاطفال (كنتركارتن) كما سيجيء (٢) المدرسة العمومية . ولم ينس واجبات الامهات فكتب كتاباً مهمًّا في التربية

الدور المعروف بالتمرين

كانت اهمية هذا الدور قائمة بامور ثلاثة . (١) ان العبرة ليست بالمواضيع العلمية التي يتلقنها التلميذ بل بالطريقة التي تتلى بها . (٢) ان الاسلوب الصحيح يرقي القوى العقلية الى درجة تستطيع بها ان تفهم المواضيع فهماً صحيحاً . (٣) ان العقل مركب من قوى كثيرة اهمها الذاكرة والادراك وان هاتين يجب ان ترقيا بواسطة التمرين العلمي . وقد صادفت هذه النظريات قبولاً من كل العلماء ولا يزال كثيرون منهم الى اليوم يؤيدونها بآرائهم

اما ممثل هذا الدور فهو يوحنا لوك (١٦٣٢ — ١٧٠٤) . كانت غاية هذا الفيلسوف في حياتهِ محبة الحق فقد قال ان الدليل الى الحق وكل عمل في الحياة هو الادراك القائم على التمرين العقلي . وقد وافق باكون ايضاً في ان كل معرفة تأتي من الاختبار . ولم يكن التهذيب عند لوك سوى عمل عقلي تكيفهُ العادة بواسطة التمرين وهذا لا تقوم بهِ الكتب وحدها بل يلزم لهُ التأمل والافتكار العميق . وقد ذكر في موضع اخر من كتاباتهِ ان القصد من التعليم هو الفضيلة والحكمة

وقال «ان العقل السليم في الجسم السليم» . فعبثاً يحاول الانسان ان يرقي عقلهُ مادام جسمهُ معتلاً واذا كان الجسد يستطيع ان يحتمل المشقات فالعقل لا يستطيع ان يحتملها» وقد وضع اساس الفضلية والاستحقاق في هذه الكلمات «ان يكون الرجل قادراً على انكار نفسهِ وشهواتهِ ويتبع ما يرشدهُ اليهِ عقلهُ ولو قادتهُ معدتهُ الى غير ذلك وهذا لا يقوم الاَّ بالسعادة وبالتمرين ولذلك رأى ان يُمنَع الاولاد من رغائبهم وهم في المهد وان يعلموا انهم لا يعطون شيئاً لمجرد رغبتهم فيهِ بل لانهُ موافق لهم» . وقد ذكر ان الغاية من التعليم ان يؤهل الشاب عقلهُ لفهم كل ما يلقى اليهِ من العلوم لا ان يتقن علماً واحداً فقط . اما اهم العلوم التي يجب ان يتلقاها التلميذ فهي الرياضيات لانها تمرن العقل . وقد قال في هذا الشأن «نحن خلقنا لنكون اذا اردنا مخلوقات مفكرة ولا يؤدي الى ذلك الاَّ العمل والتمرين . وقد خصصت بالذكر الرياضيات لانها واسطة للتمرين والممارسة . وبواسطتهما يتأهل العقل لفهم كل العلوم التي يشتغل بها»

هنا انتهى تاريخ التعليم القديم وسنأتي على تاريخ التعليم الحديث

بولس شحاده

غرائب العادات

عادات اهالي ملانزيا

تمهيد

يطلق اسم ملانزيا على مجموع كبير من الجزائر الى الشمال الشرقي من استراليا . اكبرها غينيا الجديدة وخلكيدونيا الجديدة وجزائر سليمان وفيجي وهبريدس وبسمارك

ويختلف سكان هذه الجزائر في اشكالهم ويحسبون كلهم من السود ولو كانوا متفاوتين لوناً من الاسود الفاحم الى الاسمر . ومتوسط قامتهم خمس اقدام وثلث قدم وشعرهم اسود مفلفل . ويتباينون كثيراً في ملابسهم فالرجال قد يقيمون عراةً او يلبسون فوطة صغيرة كالتبان والنساء يربطن مئزراً على احقائهنَّ او فوطة يسترن بها عورتهنَّ . وقلما يخرجن عراة من غير شيء من اللباس ولو لستر العورة ولا سيما بعد ما يراهقنَ

ويختلفون كثيراً في ما يلبسونهُ للزينة والغالب عندهم وضع الريش في رؤُوسهم ولبس قلائد من الصدف او اسنان الكلاب او الاثمار المقددة وعندهم الاقراط الكبيرة والاشناف والمناطق والاساور والخلاخيل . وكثيراً ما يزينون ملابسهم بالازهار او الاوراق الملونة

واذواقهم في الجمال مختلفة كثيراً فبعضهم يجعلون في زينة ابدانهم و بيوتهم وقواربهم وآلاتهم وادواتهم اشكالاً دقيقة الرسم قد تشبه صور الناس والبهائم والطيور والاشجار ولو كانوا في سائر امورهم على غاية السذاجة

والوشم شائع في اكثر هذه الجزائر وقد يشترك فيهِ الرجال والنساء او يختص بهِ النساء ولا سيما اذا جُعل علامةً للراهقة . وقد يكون شكل الوشم من مميزات القبيلة كالوسم في الانعام او يكون من مميزات الشيوخ او يكون علامةً على ان الرجل قتل قتيلاً فصار ممتازاً بين قومهِ . ويختلف شكلهُ حينئذٍ ليدل على ان القتيل رجل او امرأَة

ومما هو شائع بينهم من قبيل الوشم تشريط الجلد لتظهر الندوب فيهِ بعد برء الاشراط وهم يحسبون التشريط من الزينة او من المميزات

ويثقبون انوفهم وآذانهم رجالاً ونساء اما الانف فيثقبون ارنبتهُ وغاربيهِ واذا ثقبوا اعلى ارنبة الانف ادخلوا في خرقها قلماً او عظماً او صدفةً . واذا ثقبوا الاذن ادخلوا فيها قرطاً

او وسعوا الخرق وادخلوا فيهِ قرطاً كبيراً حتى تصير شحمة الاذن كالاطار لها او علقوا بها اقراطاً ثقيلة حتى تتدلى على الكتف كما رأيت في صورة الرجل التي نشرناها في الجزء الماضي

وكان اكل لحوم الناس شائعاً في اكثر هذه الجزائر لكنهُ بطل الآن الاَّ في ما ندر حيث لم تصل سلطة الاوربيين او يُفعل الآن خفيةً . وعندهم عادات كثيرة غاية في الغرابة ولاسيما ما يتعلق منها بادوار الحياة المختلفة كالولادة والزواج والموت وما اشبه

عادات الولادة

من اغرب عاداتهم في الولادة ان ينفس الرجل مع زوجتهِ ويمتنع معها عن الاطعمة التي تضرُّ بجنينها حسب اعتقادهم . وقد يمتنع الوالد عن رفع الاثقال وتسلُّق الاشجار والذهاب الى البحر لئلاَّ يصاب طفلهُ بأذى . وفي بعض الجزائر يمتنع الوالد عن الذهاب الى بعض الاماكن الدينية مدة شهر من الزمان بعد ولادة الطفل خوفاً عليهِ . وقد يضطر الوالدان الى اكل طعام مخصوص قبل ولادة الطفل لئلاَّ يؤْذى

وفي بعض الجزائر تذبح الذبائح للطفل حينما يصير عمرهُ ثمانية ايام لكي لا يصاب باذى . وفي بعضها يذهب والدهُ الى البحر حينما يصير عمرهُ عشرة ايام ويغسل ثيابهُ فيهِ ويرمي في طريقهِ قسياً صغيرة اذا كان الطفل ذكراً والياقاً من الياف النبات الذي يصنعون منهُ الحصر اذا كان انثى حتى ينشأ الذكر من الرماة المشهورين والانثى من صانعات الحصر . ولصناعة الحصر شأن كبير عندهم لان مآزرهم منها وهي من اعمال النساء خاصة ويتعاملون بها بدل النقود

واذا مات الطفل بعد ان اكل طعاماً ما امتنع والداهُ عن اكل ذلك الطعام بعد ذلك

وفي بعض الجزائر تقيم الوالدة وطفلها اذا كان بكراً في بيتها عشرة ايام بعد ولادتهِ واقارب زوجها يأتونها بالطعام ثم يطعمهم زوجها ويعطيهم حصراً فيضعون على رأس الطفل حصراً اخرى وحبالاً ممَّا تربط بهِ الخنازير دلالةً على انهم يكونون لهُ انصاراً يطعمونهُ ويعينونهُ اذا احتاج اليهم . وفي بعض الاماكن يُحتفل بولادة البكر احتفالاً حربياً فتهجم قبيلة الوالدة على بيتها حتى يضطر زوجها ان يرشيهم ويصرفهم عنهُ

ويحتفل بولادة ابكار الرجال العظام في بعض تلك الجزائر على الاسلوب التالي . يأتي ساحر او كاهن ويسحر طعام الوالدة ويذر الجير (الكلس) حولها لكي يطرد الارواح الشريرة عنها ويفرك بدنها بالجير وحينما يولد الطفل توقد نار كبيرة وتجيزهُ امرأة فيها وهي تقول أُقوَ واقتنِ كثيراً من الصدف (وهي عندهم بمثابة النقود) وارمِ المزراق وارشق

الحجارة بالمقلاع » . هذا اذا كان الطفل ذكراً واما اذا كان انثى قالت لها اكبري واقوي حتى تستطيعي العمل في الحقول . ويكون الساحر حاضراً فيضع يدهُ في دخان النار وهو قابض على قليل من الرماد ويلمس بالاخرى عيني الطفل واذنيهِ وصدغهُ وفاهُ لكي يقوى على الارواح الشريرة

واذا ولدت امرأة في اواسط جزائر بسمارك اجتمع رجال القرية في ناديهم ومع كلٍّ منهم غصن فيحرق ورقهُ ويكسر فروعهُ ويمسكها بيدهِ ويتلو واحد منهم بعض التعاويذ على قطعة من الزنجبيل ثم يقسمونها بينهم ويمضغونها ويتفلون على الاغصان ويمسكونها في الدخان وهم يفعلون ذلك لا ليدفعوا عن الطفل شراً بل لكي لا يجبنوا في الحرب ولا تفقد اسلحتهم قوتها

وفي جزيرة ارلندا الجديدة يُحتفل بولادة البكر بحرب تثار بين الرجال والنساء على سبيل المزاح فيتسلَّح الرجال بالعصي والنساء بالحجارة ويتراشقون ثم يولمون وليمة من الخضر ولحم الخنزير

وفي جزائر سليمان يبني النساء كوخاً من الاغصان للمرأة قبل ولادتها في مكان بعيد بين الحراج فتقيم فيهِ الى ان يولد طفلها . ولا يجوز ان يدنو من هذا الكوخ رجل ولا زوج المرأة نفسها ما دامت فيهِ ولا يرى الرجل طفلهُ قبلما يصير عمرهُ اسبوعين وحينما يولد الطفل يذبح النساء حيواناً ويرششن دمهُ عليهِ

وفي الجنوب الشرقي من غينيا الجديدة ترفع الوالدة طفلها حينما ترى اول هلال وتقدمهُ اليهِ معتقدة انهُ ينمو بذلك ويتكلم سريعاً

والكوانا من اهالي غينيا الجديدة يزينون الطفل متى صار عمرهُ ثلاثة اسابيع او اربعة وتحملهُ امهُ بعد ان تتزين ايضاً وتذهب بهِ الى بيت امها وتذهب معها اخت زوجها تمشي وراءها حاملة قدراً فارغاً ورمحاً ومئزراً ومشعلاً ومتى وصلتا جلستا تمضغان ورق الفوفل وللحال تأتي زوجة خال المرأة وتنزع عنها وعن طفلها زينتهما وتأخذ القدر والرمح والمئزر هدية لاقارب ام الطفل . ولكن يهدى الى المرأة وطفلها هدايا مثلها قبلما تغادر بيت امها

وفي اقليم مكيو من غينيا الجديدة يجتمع اهل القرية حول البيت الذي يولد فيهِ بكرٌ ويغنون الليل كلهُ وفي الصباح يذبح لهم والد الطفل خنزيراً او كلباً وليمةً ولكن اذا مات احد في القرية قبل ذلك لم تولم الوليمة

ويجتمع نساء الكوني حينما يولد بكر ويهجمون على بيت الوالدة بالحراب على سبيل المزاح . ونساء الفولو يجتمعن حينما يولد بكر ويهجمن على القرية متسلحات بالحراب والنبابيت

وهنَّ يرقصن ويرشقن حرابهنَّ ويختم الاحتفال بذبح خنزير وأكلهِ

واذا اشتدَّ المخاض على النفساء في جزائر طورس مضى زوجها الى البحر واقام في الماء الى ان يولد الطفل معتقداً ان اقامتهُ في الماء تخفف آلام المخاض عن زوجتهِ . واذا تعسَّرت الولادة استدعي الساحر فيضع عوذةً في البحر الى ان يولد الطفل او وقف والدهُ في الماء الى ان تبرد رجلاهُ

وحينما يولد ولد بكر في الجهة الشرقية من غينيا الجديدة توضع علامة في غمد ورقة من شجرة الموز يُنتظر حملها بعد شهر من الزمان وحينما تحمل تولم وليمة لاخوال الطفل يضاف اليها ثمر الموزة . ثم تولم ثلاث ولائم بين كل وليمة والتي تليها شهر . وتكون الوالدة قد مُنعت عن كثير من الاطعمة فيزول المنع عنها رويداً رويداً في هذه الولائم . ويرسل والد الطفل الى نادي القبيلة فيقيم فيهِ ستة اشهر يأكل طعاماً خاصاً واذا خالف ذلك هو او زوجتهُ وقع عقاب المخالفة على الطفل . ولا يسمح للوالد ان يرى طفلهُ في الشهر الاول بعد ولادتهِ ويبقى بضعة اشهر بعد ذلك وهو يجتنب الدنو من زوجتهِ او الاقتراب من مكان هي فيهِ اذا كان طفلها معها . ولا يجوز لهُ ان يلمس الطفل بوجه من الوجوه قبلما يصير عمرهُ خمسة اشهر الى ثمانية لاعتقادهم انهُ اذا لمسهُ بطل نموهُ او مرض او مات . وحينما يحين الوقت ليلمس الوالد ولدهُ تربط امهُ الاصداف حول معصميهِ ومرفقيهِ لكي يراها والدهُ ويدنو منهُ

وقتل الاطفال شائع في كل ملانزيا . والسفاح مباح في اكثر تلك الجزائر لغير العذارى ولذلك فالفتاة التي تلد قبلما تتزوج زيجة شرعية تقتل طفلها والاَّ اهينت او عوقبت بالموت

وقد تقتل المرأة طفلها الشرعي اذا كثر اولادها او كان الطفل ذكرًا وهي تطلب انثى او انثى وهي تطلب ذكرًا ولكن الغالب في بعض الجزائر ان يستحيا الصبيان كلهم ولا يقتل الاَّ البنات

واذا ولد لامرأة توأمان فالبعض يقتلون احدهما حاسبين انهما من ابوين مختلفين والبعض يستحيونهما ويفتخرون بهما . والطفل المشوَّه الخلقة يُقتل غالباً والبعض يستحيونهُ حاسبين انهُ ينشأ ساحراً

وقد تقتل المرأة طفلها لكي تربي خنزيراً وترضعهُ لبنهُ او تقتلهُ لانها لا تريد ان يكون لها طفل قبلما يكون عندها خنزير تولم بهِ وليمة او تقتلهُ تشاؤماً والغالب ان تعلن ذلك وتذهب الى البحر لترميهُ فيهِ فتتبعها احدى جاراتها العواقر وتنتشلهُ من الماء وتتبناهُ

تنشئة الاحداث

لاهالي هذه الجزائر عادات خاصَّة بتنشئة احداثهم اكثرها مرتبط بابتداء لبسهم الثياب وبلوغهم سن الرشد واطلاعهم على اسرار قبيلتهم

فالاولاد يتركون عراة الى السن الذي يباح لهم فيهِ ان يلبسوا الفوطة والمئزر فاذا حان ذلك زُيّن الولد وحلق شعر رأسهِ حتى لا يبقى منهُ الاَّ اكليل فاذا كان شابًّا ترك عاريًا الى ان يأتيهُ احد اقاربهُ بفوطة فيفرك بها حقويهِ ويتمم عليها ثم يربطها حول وركيهِ ثم يرقص ذووهُ وهم لابسون على رؤُوسهم ملابس تخفي وجوههم · وتكشف للشاب حينئذٍ اسرار قبيلتهِ · ويضرب رجل امامهُ ليرى ما يحدث لهُ اذا افشى شيئًا منها ويضرب على رجليهِ لكي تسرع خطواتهُ وعلى فيهِ لكي يصير جسوراً في كلامهِ

فالرجل من الرورو والمكيو من سكان غينيا الجديدة يذبح كلبًا او خنزيراً ويعطيهِ الى اخوال ابنهِ حتى يأكلوهُ ثم يرسل ابنهُ الى خالهِ وهناك تربط لهُ الفوطة من غير ان يحضر ابوهُ او احد من اعمامهِ · وعندهم عادات أُخرى يمتاز بها اخوال الرجل على اعمامهِ وهي تدل على انهم يحفظون انسابهم من جهة امهاتهم لا من جهة ابائهم والغالب ان الولد يربيهِ اخوالهُ لا اعمامهُ كانهُ تابع لبيت امهِ لا لبيت ابيهِ

واكثر النساء يلبسنَ مئزراً من لحاء الاشجار ولكن نساء المغولو لا يلبسنَ المئزر بل يكتفين بالفوطة · وحينما يلبس الفتى او الفتاة اول فوطة يحتفل بذلك احتفالاً كبيراً فيرقص اقاربهُ ويذبحون خنزيراً ويزينون الولد ويوقفونهُ على جثة الخنزير ويضعون اكليلاً من الريش على رأسهِ يتدلى طرفاهُ كالعذبتين على ظهرهِ

وعندهم رسم ثانٍ يقومون بهِ لتخويل الشاب حق الدخول الى النادي والسكن فيهِ حيث الرقص وذبح الخنازير واكلها ورسم ثالث لتخويلهِ استعمال الطبل والرقص في المواسم

ولكشف الاسرار والبلوغ رسوم متشابهة فانهم يكشفون اسرارهم للفتى حينما يبلغ اي يعلمونهُ ما يلزم لهُ كرجل وما تمتاز بهِ قبيلتهُ من الرسوم والعادات · ويقوم الكشف بوضع الفتى في مكان منفرد وباعمال اخرى تختلف باختلاف الاماكن ففي باتل باي من غينيا الجديدة يمرث الفتى ثمرة غير ناضجة من ثمر المنغو في اناء من قشر النارجيل ويمزجها بماء البحر ويشربهُ ثم يغسل الاناء بماء البحر ويشربهُ ويغوص في البحر ويسبح ويشرب منهُ ثم يشرب بعدهُ من لبن النارجيل غير الناضج

وفي جزائر انكوريت يوضع الفتيان في بيت خاص بعيد عن القرية حيث يوكّل بهم

احد الشيوخ و يُعَد لهم طعام خاص في القرية ويرسل اليهم و يجب ان لا يبل شعرهم بماء البحر ولا يصطادوا سمكاً ولا ينظروا الى امرأة . واذا جاء ابو فتى منهم وجب على ذلك الفتى ان يبعد عن البيت لكي لا يرى اباه . و يعلم الفتيان مدة اعتزالهم رسوم قبيلتهم وعاداتها ثم يعودون الى بيوتهم وعلى رأس كل منهم قفص كبير من الخشب فتولم لهم الولائم ومن ثم يباح لهم مضغ جوز الفوفل

واذا بلغ الفتيان سن الرشد في بعض الجزائر اولم اقاربهم لهم وليمة كبيرة وبينما هم جلوس يهجم عليهم رجال يشدون كتافهم . و يباح للفتيان حينئذٍ ان يفلتوا منهم اذا استطاعوا و يحاولوا قتلهم وللحال يدنو منهم احد رؤسائهم و يرمي على كل منهم سبحة من الصدف فمتى وقعت السبحة عليهِ ابطل المقاومة واركن الى السكينة . والذي يفلت منهم يخادعهُ احد الرجال ويرمي عليهِ سبحة الصدف فيسكن حالاً

ومتى قُبض على الفتيان كلهم أُرسلوا الى الغاب حيث تقام لهم اكواخ يعتزلون فيها ثلاثة اشهر الى ستة . ولا يجوز لهم ان يروا امرأة من اقاربهم كل مدة اعتزالهم واذا اتفق لاحد منهم ان رأى امرأة من اقاربهِ اضطر ان يعطيها كل ما يملك تعويضاً عن العار الذي لحق بها من رؤيتهِ اياها

ومتى انقضى زمان اعتزالهم أُخذوا الى بيوت على الشاطئ وأولم لهم اصدقاؤهم وليمة فتتم مكاشفتهم

ومن اغرب شعائرهم ما يتعلَّق منها بادخال الفتيان في الطرق السرية لان عندهم اسراراً يكاشفون بعض فتيانهم بها بعد ما يبلغون سن الرشد . ولهذه المكاشفة شعائر تختلف باختلاف البلدان والقبائل وتتفق كلها في ان الرجال المنتظمين في طريقة من هذه الطرق يجتمعون بعضهم مع بعض في اندية منفردة او ساحات مفروزة او محجوبة بالحجب والتمائم حتى لا يدخلها احد من النساء ومن غير اهل الطريقة ومَن فعل فعقابهُ الموت غالباً . وكل ما يعلم من امر المجتمعين انهم يصيحون و يصخبون و يقرعون آلات لها اصوات شديدة مزعجة تخيف السامعين . وكثيراً ما يلبس رجال الطريقة ملابس غريبة مخيفة تخفي وجوههم و يخرجون من انديتهم على هذه الصورة و ينهبون الجنائن والكروم و يتبعون النساء والاولاد الهاربين من وجههم و يضربون الرجال الذين يلتقون بهم ولاسيما الذين اهانوا طريقتهم بوجه من الوجوه . والغالب ان الشاب الذي لا يدخل طريقة من هذه الطرق لا يستطيع ان يعيش مع الشبان المنتظمين فيها ولا ان يتزوج

واشهر هذه الطرق طرق الدكدك وهاك وصف طريقة منها : — ناديها الذي يجتمع اعضاؤُها فيهِ ساحة كبيرة في غابة محجوبة عن النظر بوشيع يحيط بها من الانجم الشائكة والحصر المصنوعة من سعف النارجيل · ويكون في الساحة اكواخ توضع فيها ملابس الاعضاء التي يتخفون بها · والناس الذين ليسوا من اهل الطريقة يعرفون محل النادي ولكنهم لا يدنون منهُ خوفًا من ان تحل بهم نقمة اصحابهِ

واذا اريد ادخال الشبان في هذه الطريقة أُعلن ذلك اولاً بنداء يسمعهُ السكان كلهم ويؤْتى بالشبان الى النادي و يوقفون فيهِ حلقة فيدخل رئيس الطريقة الى وسطهم بلباس مزخرف وهو يصيح و يضرب الشبان بعصًى في يدهِ · و يحيط بالحلقة رجال من الطريقة يضربون بعصيهم والشبان يزعقون و يتوجعون · وتكون امهاتهم واخواتهم حينئذٍ في بيوتهنَّ يبكينَ وينحنَ · ثم يؤْتى الشبان بالطعام فيا كلون و يخلع الرئيس لباسهُ المزخرف و يأْمرهم ان يلبسوهُ الواحد بعد الآخر · ثم يشرع الجميع يرقصون معًا و يعلّم الشبان كيف يرقصون الرقص الخاص بطريقتهم و يحذّرون من افشاء الاسرار التي اطلعوا عليها · و يكون اقاربهم قد اعدوا لهم وليمة كبيرة فيشترك فيها أعضاء الطريقة كلهم · و يقيم الشبان ليلة ذلك اليوم في المرقص وفي الصباح يهدى اليهم لباس الدكدك فاذا كان المرقص قريبًا من البحر نزلوا في زورق مزخرف وساروا فيهِ حول الشاطىء وهم يصيحون و يطبّلون · ثم يعودون إلى المرقص يرقصون فيهِ ورؤساء الطريقة يضربونهم بعيدان كبيرة من القنا الهندي وهم يصيحون و ينحبون والنساء خارج المرقص يسمعن صياحهم فيشاركنهم باصوات مزعجة تصمُّ الآذان

و يجتمع اعضاء الطريقة في حلقة و يقف الرئيس في وسطهم ويفرق عليهم شيئًا من الاصداف التي يتعاملون بها كالنقود فيخلعون ارديتهم و يضعونها جانبًا و يكون اقاربهم قد اتوهم بالطعام فيأكلون و يشربون

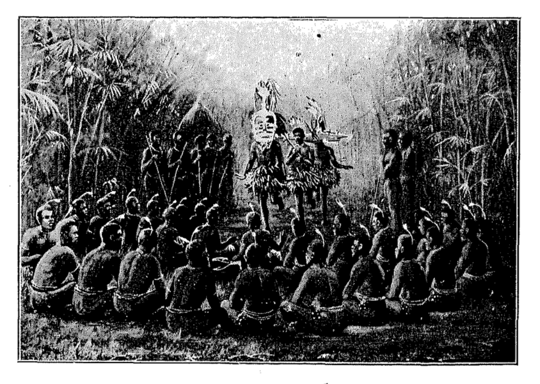
وفي اليوم التالي يشرع اعضاء الطريقة يجبون الجباية من السكان ويستمرون على ذلك الشهر والشهرين حتى يكادوا ينهبون ما عند كل احد غيرهم · وحينئذٍ يعلن الرئيس ان الدكدك مات وتجمع الاردية وتوضع في الاكواخ المعدة لها الى دكدك آخر

وفي جزائر بسمارك طريقة اخرى سرية اسمها طريقة الاجيات رئيسها ساحر كبير يستشيرونهُ في تطبيب مرضاهم ويعتقدون بهِ اعتقادًا عظيمًا و يقولون انهُ يتسلط على الارواح الشريرة بذرّ الكلس واكل الزنجبيل والرقى فيجعلها تغضب او ترضى وتقبض روح من يشاء · ولهذه الطريقة حرم سري يجتمع فيهِ اهلها لا يدخلهُ غيرهم ومن خالف ذلك فعقابهُ الموت ·



امرأتان بزينتهما

رجلان بزينتهما



حفلة كشف الاسرار لشابين

وداخل هذا الحرم معبد فيهِ تماثيل ساذجة من الحجر والخشب تشبه الناس والخنازير والتماسيح وكلاب البحر والطيور وغير ذلك من الحيوانات لا يدخلهُ الا رئيس الطريقة . والذين يدخلون الحرم اول مرة لكي ينتظموا في الطريقة يُعطَون الزنجبيل لكي يمضغوهُ ونبات الزنجبيل لكي يضعوهُ حول رقابهم ويمسحهم الرئيس بمسحة سحرية من الزنجبيل والجير والاَّ ماتوا

ومن طرقهم السرية طريقة اخرى يُطلَب من الفتيان حينما يراد انتظامهم فيها ان يغتسلوا في البحر ومتى خرجوا منهُ وجدوا رجال الطريقة قياماً في انتظارهم مختبئين فيهجمون عليهم وحينما لا يرى الفتيان سبيلاً للهرب يصعدون الى بيت مبني على رأس اعمدة طويلة فيجعل الرجال يهزون الاعمدة ثم يصعدون الى البيت ويهزونهُ حتى يظن الفتيان انهُ ساقط بهم لا محالة فيستعملون بعض الرقى والعزائم التي يكونون قد عُلّموها ويصرخون ويصخبون ثم يقفون في وسط البيت فيدعوهم الرجال واحداً واحداً ويسمونهم اسماء جديدة ويعطونهم جوز الفوفل ليمضغوهُ . ويعودون الى القرية وقد بني لكلٍ منهم بيت جديد فيسكن فيهِ خمسة اشهر الى ستة . والبيوت صغيرة لا يستطيع الفتى ان ينام فيها مستلقياً وما دام هناك فشرابهُ لبن النارجيل ولا يجوز لهُ ان يوقد ناراً ولا يجوز لامرأة ان تدنو من البيت . ومتى انقضت هذه المدة أُخرج الفتيان من هذه البيوت واعطوا طبولاً وزموراً وطعاماً كثيراً لكي يقووا ويسمنوا وتوضع الاساور على معاصمهم والخلاخيل في ارجلهم وهي من الخوص المضفور

ولا تكاد توجد جزيرة او قبيلة الاَّ ولها رسوم خاصة لمكاشفة الفتيان حينما يراد اطلاعهم على ما يعرفهُ غيرهم من رجال قبيلتهم كأنهم يقصدون ان يكون للرجل شأن يمتاز بهِ . اما البنات فاذا خُطبت احداهنَّ في صغرها لرجل ذي مقام بني لها كوخ صغير كالقفص ووضعت فيهِ لا تخرج منهُ الاَّ مرة في اليوم لتغتسل . وللكوخ باب صغير يدخل منهُ طعامها وقد تبقى فيهِ خمس سنوات

ومتى بلغت الفتاة سن المراهقة في غينيا الجديدة الالمانية وُشم بدنها وعلَّمها النساء ما يلزم لها ممَّا يتعلَّق بامر الزواج . وفي بعض الاماكن تزين بكل ما يمكن تزيينها بهِ من القلائد المصنوعة من اسنان الكلاب والخنازير واللؤلؤ وتوضع منطقة على حقويها ويقص شعرها وتقيم في ساحة القرية يوماً بعد يوم يراها الشبان حتى اذا راقت في عيني احد منهم خطبها وتزوج بها

آثار فلسطين (١)

يؤمل السائح ان يرى في فلسطين كثيراً من آثار الاسرائيليين و بقايا القصور التي كان ملوكهم يقيمون فيها حتى اذا جال في انحائها عجب لكثرة الآثار الباقية من عهد الرومان وغيرهم من الامم مع قلة الآثار اليهودية . ولعل السبب في ذلك ما كان من حرص الرومان على طمس معالم المدنية اليهودية واستبدالها بمظاهر التمدن الروماني . فانك لا ترى في الغالب الاَّ بقايا القنوات والطرق والجسور والحمامات والمراسح الرومانية

ولا يزال في بطن الارض كثير من الآثار المهمة يحول دون الكشف عنها مصاعب جمة كجهل الاهلين وكثرة النفقات وصعوبة الحصول على الاذن من الحكومة . زد على ذلك ان المعاهد الدينية تغطي اكثر البقع التاريخية المهمة وهيهات ان يسمح لاحد بان يقتلع منها حجراً او يثير ترابها

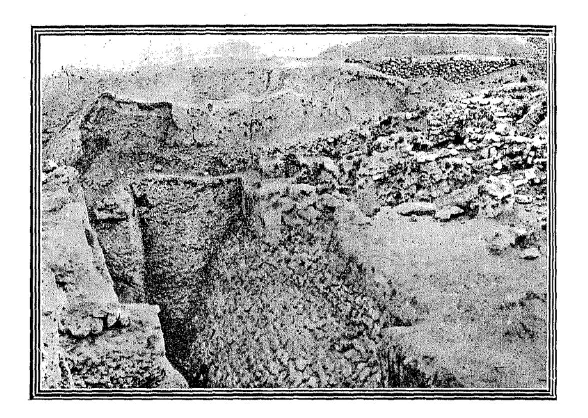
ولكن عزيمة العلم لا تثبطها المصاعب مهما تعددت وتنوعت . فقد كشف الباحثون في السنوات الخمس الاخيرة كثيراً من آثار اليبوسيين والكنعانيين والعبرانيين والرومانيين

اريحا

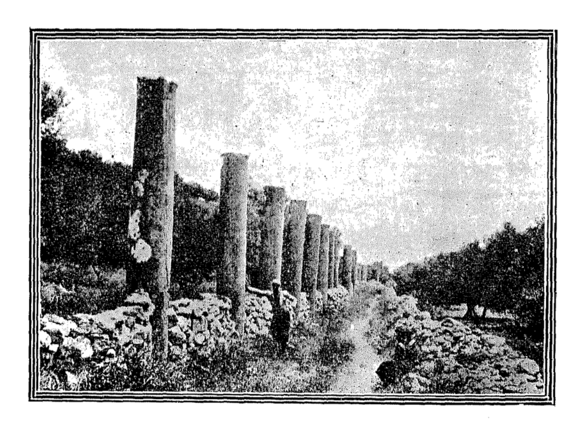
كشف الدكتور سلين النمسوي الذي ارسلتهُ احدى الجمعيات الالمانية موقع اريحا القديمة وهي المدينة التي تذكر التوراة سقوط اسوارها امام الاسرائيليين باعجوبة . ولم يحفر في الارض الاَّ ثماني اقدام حتى اتى على سورها القديم

وفي بناء هذا السور ما يدل على براعة البنائين في ذلك العهد . وهو ثلاثة اقسام فالقسم الاسفل مزيج من الحصى والتراب مدّ على الصخر مباشرة وعلوهُ اربعة اقدام . والقسم الاوسط مبني من حجارة صغيرة غير مهذبة ووجههُ الامامي غير عمودي بل مائل ويبلغ علوهُ عشرين قدماً وسمكهُ من ستة اقدام ونصف الى ثمانية اقدام والحجارة في اعلاهُ اصغر منها في اسفلهِ . وقد أُتقن بناؤُهُ وسدّ فيهِ كل ثقب يمكن للعدو المحاصر ان يستفيد منهُ . ويقوم القسم الاعلى او السور الحقيقي على هذا وهو مبني باللبن و يبلغ علوهُ في بعض الاماكن ثمانية اقدام ولكن يظهر انهُ كان اعلى من ذلك كثيراً

(١) معربة بتصرف من مقالة لهرولد شبسنون في مجلة سير العالم الانكليزية



سور اريحا



انقاض شارع في السامرة

وطول السور الاصلي نحو ٢٧٠٠ قدم ولكن لم يكشف منهُ الاَّ ١٣٥٠ قدماً . وفي الجهة الشمالية ثغرة كبيرة يظهر ان عدوًّا فاتحاً ثغرها

وقد استلفت هذا الاكتشاف الانظار اذ يحتمل ان يكون هذا هو السور الذي احاط بهِ يشوع بن نون برجالهِ . وحتى الآن لم يجزم في ان هذه الآثار بقايا مدينة اريحا القديمة لان في التوراة كلاماً صريحاً على ان يشوع احرق المدينة واخربها لكن هذه الاسوار لا يزال قسم كبير منها ماثلاً لم يصب بضرر كبير

ووجد في انقاض هذه المدينة سُرج وصفائح وكؤُوس وابر وعيارات واجران وارحية من البرنز والحجر . وبعض هذه الآنية متقن الصنع وبعضها لا يفضل ما كان يعملهُ الناس في اول عهدهم بالحضارة . وكُشفت بقايا بعض البيوت وارضها مطلية بالطفال ووجدت آنية فيها اجسام اطفال مطمورة في هذه المساكن وعُثر على كتابات عبرانية قديمة

وكُشف ايضاً قسم كبير من السور الداخلي من الجهة الداخلية وفيهِ ابراج منيعة على زواياهُ . ووجدت انقاض بيوت كنعانية خارج السورين على منحدر التلة الشمالي وبعضها متصل بالسور يذكّر المتأمل بوصف بيت راحاب الذي لجأ اليهِ جواسيس العبرانيين . ويفصل بين غرف البيوت جدران من الطين وفيها مواقد لا تزال ماثلة . وهناك مصرف للماء لا يزال على حالهِ الاصلية

ويظن ان هذا المنحدر بقي آهلاً بالسكان عامراً بالبيوت من نحو الفي سنة قبل الميلاد الى ما قبل ابتداء التاريخ المسيحي بقرون قليلة . وقد وجدت هناك خمسة سلالم كبيرة درجاتها من الحجر ويرجح انها اقيمت بعد ان خربت المدينة واصبحت الاقسام المرتفعة منها كروماً وبساتين

وكُشف على مقربة من ذلك المكان نحو خمسين بيتاً يظن انها كانت قرية مجاورة للمدينة ويظهر انها لم تقم الاَّ قبل الميلاد بنحو ٧٠ سنة . ولا يزال احد هذه البيوت ماثل الجدران وهو دار غير مسقوفة فيها مقعد للجلوس وغرفة طويلة ومطبخ لهُ باب يخرج منهُ الى الدار حيث لا يزال اناء الماء في مكانهِ

السامرة .

وكُشف في السامرة قصر الملك اخآب وهو اول قصر لملك يهودي وجد حتى الآن . ووجد فيهِ اشياء كثيرة منها قطع من الخزف وكتابات تحتوي كثيراً من الاسماء الواردة في التوراة كاليشع وآسا وناثان وعزا وشبا وابيعازر وورد فيها ذكر كرم يظن انها كرم نابوت الوارد ذكرهُ في التوراة

ويجدر بنا في هذا المقام ان نأتي بلمحة اجمالية عن تاريخ السامرة :— لما مات الملك سليمان نحو سنة ٩٣٠ ق م انقسمت مملكتهُ الى قسمين مملكة يهوذا ومملكة اسرائيل . فبقيت اورشليم قاعدة الاولى واتخذ ملوك الثانية مدينة شكيم (نابلس) عاصمة لهم

ثم انتقل ملوك اسرائيل من شكيم الى ترصة لعدم حصانة الاولى . ولما ملك عمري ترك ترصة وابتنى لهُ مدينة على اكمة تبعد ستة اميال عن شكيم ابتاعها بوزنتين من الفضة من رجل يقال لهُ شامر (ودعيت المدينة سامرة باسم شامر) واقام من حولها سوراً فاصبحت منيعة جدًّا

وارتفاع هذه الاكمة عمَّا يحيط بها من الاودية ٤٠٠ او ٥٠٠ قدم وتعلو عن سطح البحر نحو ١٤٠٠ قدم . وتطل على البحر المتوسط من جهة الغرب وعلى جبال واودية جميلة من الجهات الاخرى

وقد كان محيطها نحو ميلين وربع في ايام هيرودس الكبير الذي كان يقيم فيها ولا تزال آثار سورها ظاهرة . وفيها صهاريج كثيرة كان الناس يجمعون فيها ماء المطر اذ لا ينابيع في الاكمة ولكن على مقربة منها في الجانب المقابل من الوادي نبع ماء عذب . وتربتها جيدة كتربة الآكام التي حولها وينمو فيها الآن الزيتون والتين والحبوب

وبقيت السامرة قاعدة ملك اسرائيل الى ان فتحها الاشوريون سنة ٧٢٢ قبل الميلاد . واقام فيها اخآب بيت العاج وهيكلاً للبعل باشارة زوجتهِ ايزابل فاخربهُ ياهو من بعدهِ . وتوالت عليها غزوات كثيرة وخربت مراراً من عهد عمري الى عهد هيرودس . وبلغت ذروة مجدها وجمالها في ايام هيرودس الكبير الذي اقام فيها من سنة ٣٧ ق م الى سنة ٤ ق م

وجدد هيرودس بناءها وزاد في فخامتها واطلق عليها اسم سبسطية نسبة الى الامبراطور الروماني اوغسطس . وشاد فيها هيكلاً كبيراً وبالغ في تحصينها . وفيها رقصت سالومة امام هيرودس في قصرهِ ثم طلبت منهُ راس يوحنا بايعاز من امها بعد ان وعدها ان يعطيها ما تشاء

وكان اليشع النبي يقيم فيها وقد كان فيها لما اتاهُ نعمان السرياني . وجاءها النبي ايليا وبكَّت كهنة البعل

ولم يبقَ من هذه المدينة الزاهرة الاَّ اطلال وركام من الردم . وعلى منحدر الاكمة الشرقي قرية صغيرة يقال لها سبسطية لا يزيد سكانها على ٨٠٠ نفس

وسنة ١٩٠٨ نالت جامعة هارفرد الاميركية اذناً من الحكومة العثمانية في الحفر هناك وكان من شروط الاذن ان تعيد المكان الى حالهِ قبل الحفر . فكان القائمون على العمل

يكشفون جانباً من الآثار ثم يطمرونهُ بالتراب الذي يستخرجونهُ من قسم آخر بعد ان يصوروا ما اكتشفوهُ

واهم الآثار في سبسطية قصر على قمة الاكمة تشغل مساحتهُ نحو فدانين من الارض ولا شك في انهُ قصر عمري واخآب . والساف الاسفل من الحجارة في الاساس منزَّل في الصخر تنزيلاً حتى ان الصخر يحيط بهِ من جهات ثلاث وقد عثر فيهِ على اناء من الرخام عليهِ كتابة مصرية من عهد الملك اسوركون الثاني فثبت ان الآثار بقايا القصر الذي كان ملوك اسرائيل يقيمون فيهِ

و يظهر انهُ كان بناء فخماً ولا يزال شيءٌ من جدرانهِ ماثلاً و يتبين فيها نوعان من البناء الواحد اكثر اتقاناً من الآخر مما بعث على الظن ان اخآب زاد في قصر ابيهِ عمري واستخدم لذلك جماعة من البنائين الحاذقين

وعثر على ٧٥ قطعة من الخزف عليها كتابات بالخط العبراني القديم الذي يشبه الخط الفينيقي وقد خطت بالحبر واقلام القصب مما يبين طريقة الكتابة في ذلك العصر وفصل بين الكلمة والاخرى بنقط او خطوط فاصبحت قراءتها سهلة جداً . و يظهر ان هذه الكتابات كانت على جرار الزيت والخمر وفي كل منها تاريخ واسم المكان الذي اتي بالخمر او الزيت منهُ[1] وهذه بعض منها

في السنة العاشرة . من ابيعازر . لشمريو . جرة من الخمر المعتقة من آسا . من التل

في السنة العاشرة . لشمريو . من التل . جرَّة من الزيت الجيد

في السنة العاشرة . خمر من كرم التل . جرَّة من الزيت الجيد

في السنة العاشرة . من ساق . لجاديو . جرة من الزيت الجيد

و يذكر في اكثر الكتابات اسم صاحب الجرة ولكن بعضها خالٍ من ذلك فيرجح انها كانت للبلاط الملكي . ويرد فيها اسم « التل » او « كرم التل » كثيراً مما يدل على انهُ كان لهذا الكرم شأن كبير في تلك الايام وليس في التاريخ كلهِ اشهر من كرم نابوت اليزرعيلي الذي اغتصبهُ منهُ الملك اخآب ولذلك يرجح ان هذا الكرم هو المعني « بكرم التل »

وهناك اربعة انواع من البناء يهودي وبابلي و يوناني وروماني . ومن الآثار الرومانية سلم من الحجر عرضهُ ثمانون قدماً ينزل منهُ الى مذبح وبناء يظن انهُ كان هيكلاً اقيم اكراماً للامبراطور اوغسطس وجد فيهِ تمثال فقد رأسهُ واطرافهُ و يرجح انهُ تمثال قيصر وقطعة

---

(١) وقد ذكرنا كثيراً منها في الصفحة ٥١٨ من المجلد الثامن والثلاثين من المقتطف

نقود من ايام هيرودس استدل منها على ان هذه الابنية اقيمت في عهده

وفي جانب الاكمة الشرقي بقايا كنيسة رومانية كبيرة · ولا يزال هناك دكة على هيئة نصف دائرة وقد بنى عليها العرب وتظهر تحتها آثار معابد اقدم منها

وتمتد ثلاثة صفوف من الاعمدة من باب المدينة الغربي الى هذه الكنيسة في شرقي الاكمة · ولا يزال اكثرها في مكانهِ منتصباً او مائلاً ولكن تيجانها ذهبت كلها · والظاهر من الانقاض ان المدينة كانت اكبر من اورشليم كما هي داخل السور في يومنا هذا وانها كانت زاهية بالقصور والمباني الفخمة والابراج الشاهقة

ولدى الحفر حول الباب الغربي وجدت ثلاثة انواع من الآثار نوع روماني ونوع يوناني ونوع عبراني في طبقات يعلو بعضها بعضاً : وظهر من وضع الباب القديم انهُ كان يوصل الى قصر الملك وان الرومان غيروا فيهِ فاصبح يوصل الى محل الاجتماع في شرق الاكمة توًّا بالمرور في شارع الاعمدة المتقدم ذكرهُ

ولا يزال قسم كبير من الانقاض مطموراً في التراب و يؤَمل البعض ان يجدوا اشياء كثيرة ذات قيمة تاريخية وعلمية بمتابعة الحفر · وقد عثروا على غلاف كتاب من الاجر فيهِ جانب من اسم الشخص الذي ارسل اليهِ الكتاب فكان هذا باعثاً على احياء الامل بان توجد في الردم رسائل مما كان يستعمل في ذلك الوقت · والكتابة على الغلاف اشورية وهذه اللغة كانت مستعملة في المراسلات بين مصر وفلسطين في تلك الايام

القدس

وجدت في القدس مقاييس يهودية بالقرب من المكان الذي كان فيهِ بيت قيافا مما كان مستعملاً في ايام المسيح · ولهذا الاكتشاف اهمية كبيرة لان المقاييس اليهودية كان اكثرها مجهولاً لا يعرف بالتحقيق رغماً عن اجتهاد الباحثين

ومقاييس السوائل التي ورد ذكرها في التوراة هي اللج" والقب" والهين والبث" ويلحق بها الحمر لكنهُ كان في الغالب يستعمل في قياس غير السوائل · وقد وجدت هذه المقاييس كلها وكثير غيرها من مقاييس غير السوائل · واتضح ان المقاييس اليهودية تغيرت بعد السبي (سنة ٦٠٦ ق م)

وحلّت بذلك بعض المسائل الخلافية ففي المتحف البريطاني مثلاً كتابة اشورية يقال فيها ان حزقيا ملك يهوذا قدم لسنحاريب ثلاثين وزنة من الذهب وثمانمئة وزنة من الفضة وحجارة كريمة وعاجاً الخ تقدمة سلم وفي التوراة انهُ اعطاهُ ثلاث مئة وزنة من الفضة ·

وقد كان البعض يظنون ان سنحاريب بالغ في تقدير القيمة حبًّا بالجاه والافتخار . لكن ظهر الآن ان الوزنة الاشورية اصغر من الوزنة اليهودية فزال الاشكال وسهل التوفيق بين الروايتين

ومن الذين تولوا الحفر في القدس الكبتن باركر واهم الاغراض التي كان يسعى اليها معرفة موقع مدينة داود الاصلي واكتشاف قبر داود وتتبع القنوات التي تحت جبل عوفل

فالغرض الاول تم لباركر لانهُ وجد من الآثار ما يثبت لهُ ان المدينة التي اخذها داود من اليبوسيين كانت على جبل عوفل وهو لسان من الارض يمتد جنوبًا من الموريا والارض التي كان الهيكل مبنيًّا فيها . ووجد من قطع الخزف ما يدل على ان عمارة اورشليم بدأت قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة وليس بالف وخمسمائة سنة فقط كما كان يظن

في جبل الزيتون

حفر الرهبان الدومينيكيون في جبل الزيتون فاتوا على بقايا جدران الكنيسة التي اقامتها الامبراطورة هيلانة فوق المغارة التي جاء في التقاليد ان المسيح كان يعلّم تلاميذهُ فيها . وكانت هذه الكنيسة تعرف باليونا وقد هدمها الفرس في القرن السادس للميلاد ولم يهتدَ الى البقعة التي كانت فيها الاَّ بعد ان كشف عنها الدومينيكيون على ما تقدَّم ووجدوا المغارة نفسها

وسنة ١٩٠٧ حُفر في البقعة التي رُجم فيها اسطفانوس فاكتُشف اساس الكنيسة التي اقامتها الامبراطورة يودوكسيا في القرن الخامس للميلاد ووجد فيها لوح من الرخام عليهِ كتابة ويظن انهُ كان في مدخل الكنيسة . واقيمت كنيسة جديدة على اساس القديمة وهندستها وضعت فيها قطع الفسيفساء والآثار الاخرى التي عثر عليها في ذلك المكان

واكتشف باب في خان الزيت الى الشرق من كنيسة القبر المقدس يظن انهُ احد ابواب الكنيسة التي بناها قسطنطين او احد ابواب السور الذي كان يحيط بالمدينة . وقد اتخذ الذين يذهبون الى ان موقع القبر الحالي خارج السور القديم هذا الاكتشاف دليلاً على صحة قولهم

ونص الانجيل صريح على ان القبر كان خارج المدينة فلذلك كان فريق يقول ان القبر الحالي ليس قبر المسيح الاصلي لانهُ داخل المدينة . فاذا ثبت ان هذا الباب المكتشف من بقية السور الثاني لم يبقَ ريب في ان القبر الحالي كان خارج المدينة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

نجعة الرائد

حضرة العالمين الفاضلين منشئي المقتطف الاغر

نلتمس منكم ان تنشروا اقتراحنا الآتي في مجلتكم الزاهرة ولحضرتكم الفضل

لم يبقَ في ارباب الاقلام ومنتحلي صناعة الانشاء في هذه اللغة من لم يغالِ بما حوى كتاب «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد» لامام اللغة وفقيدها الشيخ ابرهيم اليازجي من نواصع التحقيقات و بدائع المترادفات لما بذل فيهِ رحمهُ الله من الاغراق في النظر وتحرّي من الصحة والاحكام في ترصيفهِ مما جلّى بهِ في حلبتي العلم والادب . وقد كان ختام عهدهِ قبيل ظهور الجزء الثاني من هذا التأليف النفيس حتى اذا ما عاجلهُ سهم القضاء قبل الشروع في تمثيل الجزء الثالث ووضعهِ بين ايدي الادباء والمنشئين عقد الأمل بالذين أُوتمنوا على اوراق هذه الذخيرة الوضاءة ان يتمّوا طبعها واذاعتها حرصاً على ما جدّد فيها المؤلف من عيون الكلام وقلائد البيان

ولما طال بنا عهد التطال اليهِ والخواطر هائمة للارتشاف من مناهلهِ اعلنّا امر استبطائهِ في مقتطف مارس من السنة الغابرة وندبنا لهُ من لغويينا الافاضل من يجمع شتاتهُ و يبرزهُ من حجب خفائهِ ليتهادى في حلة صنويهِ لما هو معلومٌ من ان مثل هذا التأليف انما يتولى احياءهُ من وقف نفسه لرفع منار اللغة وتوطيد شأنها فلم نلقَ من تلقّ هذا الاقتراح باسعافهِ وتنبّه لمنزلتهِ من المصنفين والكتّاب بل من اللغة والادب فأخفق بذلك فألنا وطاش سهمنا فكأنهُ قد سجل على هذه اللغة الشريفة الاّ ان تكون عرضة لطوارق الدهر مهشّمة الاوصال مشوّهة بضروب النكال ولم يبقَ الاّ ان يختم على اسفارها بقصائد التأبين والرثاء

غير ان الذي نتيقنهُ الآن من همم القيّمين بامر اللغة وادابها بعد استئنافنامثل هذا النداء ان لا تبلغ مقاضاتنا هذه محافلهم الأ ونجدهم قد نشطوا لسد هذه الثلمة اللغوية بل الدرّة اليتيمة تخليداً لمثل هذه الخدمة للغة التي تنطق بفضل المؤلف ما نطق عربيٌّ بالضاد وايذاناً بسمو منزلة هذا الاثر النفيس الذي لا ينفسهُ فيهِ منافس

بغداد يوسف يعقوب مسيح

عقرقوف اوقوفا

سيدي العلامتين

تصفحت العدد الاول من المجلد الثاني والاربعين من المقتطف وبينما انا اقتطف من ثمراتهِ الشهية . اذ وقع نظري على مقالة — الفلك عند العرب — فوجدت فيها من ضروب الحقائق ما ادهشني . ولما وصلت حين مطالعتي اياها الى ما جاء من تفسير المقتطف بعض غوامضها ومنها هذه العبارة — كتاب تنكلوشا البابلي القوفاني — فذكرت في شرحها لفظة — قوفاني — انها منسوبة الى قوفا وهي الآن قرية تسمى عقرقوف في بلاد ما بين النهرين عن غربي بغداد . . . الخ . على ان عقرقوف — على ما اعلم — لم تعرف في دور من الادوار باسم قوفا. وليس هناك قرية بل ارض قفرة فيها تل عظيم . وعقرقوف هذا لهُ شأن عظيم في التاريخ الكلداني . وهو بناء ضخم وصرح مشيد الاركان يبعد عن بغداد اربعة فراسخ من الجهة الغربية وهو تل فخم بني باللبن . ويرجع تاريخ بنائهِ الى الكلدانيين ملوك بابل القدماء وكان هذا التل الشامخ في عهد غضارة بابل وسامق مجدها صرحاً فخماً مبنياً في مدينة كانوا يسمونها دوركوريجليزو التي هاجمها احد ملوك الاشوريين «تغلث فلاسر» في نحو سنة ١١٣١ ق م وعلى هذا تكون المدة من تدوينها الى اليوم ٣٠٤٢ سنة فاذا زدناعليها انها بنيت ومصرت قبل هذا التاريخ ببضع مئات من السنين فيكون بناء هذا التل من نحوار بعة آلاف سنة اي من عهد الخليل مع ان الذي يراهُ لايخال انهُ يشاهد صرحاً من تلك الصروح الخالية

اما دور كوريجليزو فقد طمست معالمها وامحت رسومها فلم يبقَ منهااليوم الأ بقايا اطلال وخرائب تشير الى عظمتهاوتنطق بما كان لها في سالف الازمان من المكانة العليا والمنزلة الرفيعة من امهات المدن المنتظمة . ويقول العارفون ان هاتيك الاطلال وتلك الرسوم البالية لا تخلو من اثار قديمة يمكن بواسطتها الاستخبار عن حالتها الحقيقية فيما لو بذلت الهمة في التنقيب

عنها والمستقبل كشاف اذ هو لا يزال يكشف لنا ما هو مدفون في بطون الارض من العبر والمعجزات والآيات البينات . وارض عقرقوف من اجود اراضي العراق فهي مخصبة للغاية ومناخها لطيف وتربتها وافية بالمقصود . ومياهها غزيرة وخيراتها كثيرة . ويكفينا ان نستدل على جودة هذه الارض بما فاه بهِ المهندس الكبير السير وليم ويلكوكس في مجلس غاص باعيان العراق قال « اذا كان العراق اخصب قطعة في الكرة الارضية فان عقرقوف من اخصب البقعة العراقية » وهي الآن لا تخلو من مزارع تستفيد الحكومة من غلالها مبالغ جمة

وانت ترى مما تقدم ان عقرقوف من بقايا دوركوريجليزو على ان نسبة قوفاني الى عقرقوف جائز في اللغة العربية لان العرب اذا نسبت الى اسم مركب فالنسبة تكون غالباً للعجز كنسبتهم الى امرىء القيس « قيسي » والى عبد شمس « شمسي » والى معد يكرب « كربي » وقد ينسب الى الصدر باهمال العجز وقد ينسب الى الصدر والعجز معاً . وعلى ذلك شواهد كثيرة ليس هنا محل سردها . وما يقال في النسبة الاولى يقال في « عقرقوف » فانها كلمة مركبة من كلمتين وهما « عقر » و « قوف » والنسبة اليها قوفي على الطريقة الكلدانية وقوفاني على الطريقة الارمية كالنسبة الى لحيه لحياني وكالنسبة الى كلدة كلداني والى سورية سرياني هذا ما رأيتهُ في هذا الباب . وربك فوق كل ذي علم عليم

بغداد ابرهيم حلمي

الدور الجليدي

حضرات المحترمين اصحاب المقتطف الاغر

قرأت في المقتطف الاغر في الصحيفة السابعة من الجزء الاول من المجلد الثاني والاربعين (يناير ١٩١٣) هذه الجملة

« وظهر من بحث الدكتور سنلر ان العصر الجليدي مسبب من تغير وضع المجرة بالنسبة الى قطبي الكون ولذلك يعود الدور الجليدي كل ٢٦٠٠٠ سنة »

ولما كان ذلك متعلقاً بعلم الفلك العملي وان هذا الدور يعود كل ٢٤٥٠٠ سنة لا كما ذكرهُ جناب الدكتور فقد وجب بيان ذلك بعملية حسابية بسيطة فاقول

لمعرفة موضع قطب دائرة المعدل في زمن معلوم يقال

بما انهُ يتسبب من مبادرة الاعتدالين دوران قطب دائرة المعدل حول الدائرة الكسوفية

(تقريباً) في دائرة صغيرة بعدها القطبي يكون مساوياً لميل الدائرة الكسوفية فاذا رمزنا لمقدار الزمن الذي يدور فيهِ القطب دورة كاملة ويرجع الى وضعهِ الاصلي بالرمز ز (مع ملاحظة اهمال التغيرات الصغيرة في ميل الدائراة الكسوفية) لوجد مقدار ز من هذه المعادلة

١١ ٢٤و٥٠″ ز + ١١٣٤٠٠٠و٠″ ز٢ = ٣٦٠ × ٦٠ × ٦٠

= ١٢٩٦٠٠٠″

ومن هذه المعادلة يستخرج مقدار ز فيكون

ز = ٢٤٤٤٧ سنة

او بالاعداد المدورة حيث ان السبق لم يكن معلوماً بالضبط الكافي ان

ز = ٢٤٥٠٠ سنة

وهذا ما اردنا بيانهُ

احمد زكي
احد مدرسي العلوم الرياضية
بالمدارس الحربية سابقاً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نساء الخاصة ونساء العامة

وولادة الاولاد

لما كان الانسان على الفطرة كانت المرأة تعمل كالرجل او كانت الاعمال موزعة بين الرجال والنساء على السواء اولئك يحاربون ويصطادون وهؤلاء يربين المواشي ويستقين الماء ويهيئن الطعام واللباس فوق عملهن الطبيعي الخاص اي ولادة الاولاد وارضاعهم. وكانت قامة المرأة حينئذٍ مثل قامة الرجل طولاً وعرضاً ودماغها مثل دماغهِ حجماً ووزناً لان اعمالها تقويها وترقيها كما تقويهِ اعمالهُ وترقيهِ. ولا يزال هذا شأن المرأة بين اهل

البداوة الاَّ حيث حاد الرجال عن الفطرة وجاروا على المرأة وجعلوها من جملة مقتنياتهم · ولا يزال هذا شأنها ايضاً بين اكثر العامَّة حتى في اكثر البلدان حضارة فتجد امرأة الفلاح الاوربي الراقي تربي المواشي وتهيئ الطعام والشراب واللباس وتعمل كثيراً من اعمال الزراعة او تشارك زوجها فيها كلها · وامرأة الصانع تشاركهُ في صناعتهِ في المعمل الذي يعمل فيهِ او في غيرهِ · او تفتح حانوتاً تبيع وتشتري بينما زوجها يعمل في معمل وقد لا يزيد دخلهُ على دخلها · ولا تكفُّ مع ذلك عن ولادة الاولاد وتربيتهم فلم تنحط مرتبتها عن مرتبة الرجل لا جسماً ولا عقلاً الاَّ حيث زادت الثروة فترفَّهت او حيث دعت الحال الى احتجابها وانقطاعها عن الاعمال الشاقَّة لاسباب دينية او اجتماعية

اما الخاصَّة فاول شيء يفعلونهُ انهم يريحون نساءهم من الاعمال الشاقَّة لان ثروتهم تغنيهم عنها ولكن انتظام الرجال في الجندية وخروجهم للصيد والقنص على سبيل الفكاهة واشتغالهم بالمهام السياسية والتجارية كل ذلك يقوي اجسامهم وعقولهم واما نساؤُهم فلانهنَّ لا يمارسن شيئاً من ذلك ولاهنَّ مضطرات لعمل ما تعملهُ نساءُ العامة من استقاء الماء وتدبير الطعام وتربية المواشي والبيع والشراء يكتفين بالقعود في البيت والخروج الى النزهة وحضور الملاهي وما اشبه مما لا يقوي الجسم ولا يشغل العقل ولذلك تضعف ابدانهنَّ وعقولهنَّ ويقل نسلهنَّ او يأتي سقيماً فينقرض سريعاً · وبذلك يعلل انقراض نسل الاغنياء واهل الجاه ونحوهم من الذين لا تعمل نساؤُهم اعمالاً تقوي ابدانهنَّ وعقولهنَّ · او لا يعمل نساؤُهم هذه الاعمال ولا يعملها رجالهم ايضاً

وقد انتبه الناس الى هذه الامور في كثير من البلدان فجعل نساء الخاصة يخرجنَ للصيد والقنص كالرجال ويروضنَ اجسامهنَّ مثلهم ويتعاطينَ الاشغال العقلية ففزن بمجاراة الرجال ولكنهنَّ انفنَ من الحمل والولادة لما فيهما من المشقة والالم فحصلت الفائدة المطلوبة من الوجه الواحد ولم تحصل من الوجه الآخر · وستدعو الحال الى انقراض نسل اكبر الناس عقلاً واعلاهم همة فيؤَخر ذلك ارتقاء نوع الانسان ويقلل ظهور النوابغ فيهِ · ولا علاج لهُ الاَّ الرجوع الى الفطرة في جعل نساء الخاصة يعملنَ اعمالاً تزيل مشقة الحمل والولادة وفي اقناعهنَّ بالوسائل الادبية ان في ولادة الاولاد فخراً لهنَّ حتى تصير المرأة تفتخر بارضاع طفلها في المحافل العمومية كأنها تعمل اشرف الاعمال لا احقرها وادعاها الى الاخفاء كما تعتقد الآن اذ تعلوها حمرة الخجل اذا رآها احد ترضع طفلها فتغطي ثديها وصدرها وقد تغطي رأس طفلها ايضاً ولو فطس · وحتى تصير تفتخر بانها حامل فتظهر كذلك امام الاقارب والاباعد كما تفتخر اذا

كان في عنقها قلادة من نفيس الجوهر . وهل حجر الماس او حبة اللؤلؤ افخر واثمن من طفل تكوّنهُ المرأة وتخرجهُ للعالم سيداً للمخلوقات

كنا في صبانا نرى المرأة تفتخر بانها حامل وتفتخر بان لها طفلاً ترضعهُ وكان لباس النساء حينئذٍ مقوّراً من صدره يظهر الثديان منهُ كما تظهر العينان والاذنان والوجنتان وهل الثديان من المعايب حتى يجب اخفاؤهما وهما مصدر غذاء كل طفل ولولاهما ما كان احد منا في الوجود . ولكن تغيرت الازياء لسبب غير معقول فصار الحمل عيباً يحتال على اخفائهِ بكل واسطة ممكنة وصار ارضاع المرأة لطفلها من العيوب التي يجب اخفاؤها وضُيّق على الثديين حتى صارا عرضة لداء السرطان من كثرة الشد عليهما . عادات ضارّة وازياء شائنة تضعف النسل او تقرضهُ ولكن قلما ينفع الحث والانذار لان العادات لا تزول الاّ بضدها والزي لا يصلح الاّ بالزي

الزي يصلح الزي

لو جمع ما كتبهُ الاطباء في اضرار المشد بلغات مختلفة وما فاهَ بهِ الخطباء في هذا الموضوع لملأ مكتبة كبيرة كالمكتبة الخديوية . ومع ذلك فالمرجح ان النساء اللواتي تركن المشد اقتناعاً بما قالهُ الاطباء والخطباء قليلات جدّاً . ولكن ما عجز عنهُ الاطباء والخطباء فعلتهُ امرأة غيرت الزي فتغيَّر حالاً

رأينا قبيل كتابة هذه السطور صورة مدام باكن التي منحتها الحكومة الفرنسوية وسام لجون دونر وهي صاحبة محل ازياء النساء المشهور في باريس . وقد يكون الداعي الى منحها هذا الوسام انها عملت عملاً تجاريًّا واسعاً افاد فرنسا فائدة مالية كبيرة . ولكن صورة هذه السيدة باللباس اليوناني الذي صار الآن زيًّا متبعاً باهتمامها واهتمام امثالها من واضعات ازياء النساء تكفي للدلالة على انها افادت النساء فائدة صحية لا تقدَّر وفعلت ما عجز عنهُ الاطباء والخطباء فلا مشد يجعل خصر المرأة كخصر النحلة ويرفع ثدييها الى اعلى صدرها او يخفيهما بل ثوب بسيط يغطي الجسم ولا يضيق عليهِ وهناك الصحة والجمال ايضاً ولا يُصلح الزي الضار الاّ زي آخر نافع يبدل بهِ

شهادة الزواج

رأى بعض النساء الطبيبات في بلاد نروج سنة ۱۹۰۸ ان يطلبن من الحكومة اجبار

الخطيبين على ابراز شهادة طبية تجيز لهما التزوج من حيث السن ومن حيث الخلو من الامراض ٠ وقد كثر البحث في هذا الموضوع بين مصوّب لهذا الطلب ومخطيء له لكن حجج المصوّبين اقوى وابلغ ولاسيما من حيث الشهادة الطبية التي يجب على الخطيب ان يبرزها دلالةً على انهُ سليم من الامراض المعدية او التي تضرُّ بالنسل لانهُ اذا اخفى ذلك قبل تزوجهِ فلا بدَّ من ان يظهر بعدهُ فيتنغص عيش زوجتهِ ويتنغص عيشهُ معها ويستحيل الزواج الى شر مستديم

النساء والانتخاب في اميركا

اجازت ثلاث ولايات من ولايات اميركا الانتخاب للنساء في الانتخاب الاخير وهي اريزونا وكنساس واوريغون فصار عدد الولايات التي اعطت حق الانتخاب للنساء تسعاً ٠ اولها ويومنغ نالت النساء فيها حق الانتخاب سنة ١٨٩٠ وتبعتها كلورادو سنة ١٨٩٣ واوتاه وايداهو سنة ١٨٩٦ ووشنطون سنة ١٩٠٠ وكليفورنيا سنة ١٩١١ وكنساس واريزونا واوريغون سنة ١٩١٢ ٠ والمرجَّح ان حق الانتخاب سيعطى للنساء في سائر الولايات بعد عهد غير بعيد

تربية الاطفال

كل طفل يموت يحرم البلاد من رجل او امرأة وحرمان البلاد من الرجال والنساء ليس من الامور التي يجوز الاغضاء عنها وعدم الاكتراث لها ٠ وقد ارتاع المفكرون من اهل الغرب كثيراً لما رأوا عدد المواليد آخذاً في التناقص وبذلوا كل ما في وسعهم لتلافي هذا الامر ولكنهم تحققوا اخيراً ان خير الوسائل لصيانة الامة من التناقص والانحطاط ان يعتنى بالاطفال فان المحافظة على الموجود اولى من ايجاد المعدوم

لا يُنكر ان الطفل يكون في اول الامر عرضة لمخاطر كثيرة وذلك لضعفهِ وعدم اقتدار جسمهِ على مقاومة الآفات ولكن من المحقق ايضاً ان اكثر من نصف وفيات الاطفال ناتج عن جهل الامهات او عن اهمالهن

وقد نقص عدد الوفيات بين اطفال باريس في فصل الحر من ٣٥٠٠٠ الى ١٧٠٠٠ بعد اقامة معهد بودن (Budin) وفي هذا المعهد اطباء ومربيات يعاينون الاطفال الذين يؤتى بهم ويبذلون النصائح للامهات ويوصونهنَّ بما يجب اتخاذهُ من الوسائل ويلقون عليهنَّ الخطب في تربية الاطفال ٠ ولكل ام ان تأتي بطفلها الى هذا المعهد مرة في الاسبوع فيوزن

ويفحصهُ الطبيب ويزوّدها بما يلزم من الارشادات · وما يقال عن نقص الوفيات في باريس يقال عن نقصها في غيرها من الانحاء حيث أُقيمت المعاهد لارشاد الامهات فعملن بما أُمرن بهِ

واهم الامور التي ينظر اليها في تدبير الطفل النظافة والغذاء · اما من جهة النظافة فتوصى الامهات في تلك المعاهد بغسل الطفل كل يوم صباحاً وتأخذ احدى معاونات الطبيب طفلاً وتغسلهُ امامهنّ لكي يرين عياناً ما يجب ان يعملنهُ · وليست النظافة فوق طاقة احد فيعذر ان اهمل امرها · اما الطعام فيعين الطبيب نوعهُ وكميتهُ ولا يسمح بإرضاع الطفل غير لبن امهِ الاَّ في حالات خصوصية وذلك لما ثبت فعلاً من ان لبن الام الذي اعدتهُ الطبيعة لغذاء الطفل هو خير طعام لهُ

وقد لوحظ ان وفيات الاطفال قلّت كثيراً في باريس لما احاطت بها عساكر الالمان في حرب سنة السبعين مع ان الوفيات بين الكبار زادت لشدة الضيق وعدم الحصول على ضروريات الحياة · وحدث مثل هذا في مقاطعة لنكشير من بلاد الانكليز لما ثارت الحرب الاهلية في اميركا وتعطلت معامل النسج · ويقول المحققون ان سبب ذلك هو ان كثيرات من الامهات اللواتي كنَّ يعملن بشؤُون اخرى غير اطفالهنّ عدن الى ارضاعهم لما امتنع العمل وقلت الاطعمة

واللبن الذي اوجدتهُ الطبيعة لتغذية العجل الذي لهُ اربع معدات ويبلغ وزنهُ سبعين رطلاً لا يصلح غذاءً للطفل الذي ليس لهُ الاَّ معدة صغيرة في غاية اللطافة ولا يزيد معدل وزنهِ على سبعة ارطال · وقد اظهرت بعض الاحصاءات في بلاد الانكليز ان نسبة معدل الوفيات بين الاطفال الذين يغذون بالبان امهاتهم الى معدل الوفيات بين الاطفال الذين يغذون بلبن البقر كنسبة الواحد الى الخمسة عشر

ومن عادة بعض الامهات ان يقمطن الاطفال بطريقة تمنع الطفل عن كل حركة والحركة من لوازم الحياة والنمو · واقبح من ذلك إلقام الطفل قطعة من الثمار الصعبة الهضم كلما بكى وكثيراً ما يكون سبب بكائهِ تلبك معدتهِ فيزداد ما يشكو منهُ

ويجب ان يعرّض الطفل للنور والهواء المطلق وتعيّن لهُ اوقات الاكل والنوم ويغسل كل يوم ويحافظ على نظافتهِ ونظافة كل ما يأكلهُ او يلمسهُ ويسمح لهُ بالحركة لكي ينمو جسمهُ فيكون في البيت بمنزلة الزهرة من النبات ولا يحمل اهلهُ الهموم والغموم بانحراف صحتهِ وكثرة مرضهِ

فوائد منزلية

اذا كانت الفلينة كبيرة لا تدخل الزجاجة فانقعها قليلاً في ماء غالٍ فتلين ويسهل سد الزجاجة بها

اذا غسلت المناديل والصداري فضع في الماء الذي تشطفها بهِ اخيراً قطعة صغيرة من جذر السوسن فتصير رائحتها كرائحة البنفسج

اذا اسودت شبكة قناديل الغاز او البترول من الدخان وبطل سطعان نورها فلا تبدلها بغيرها بل رش عليها قليلاً من الملح الناعم فتعود كأنها جديدة

اذا اردت ان تفرش مشمعاً من اللينوليوم في غرفة ارضها بلاط فذر عليها اولاً من نشارة الخشب الناعمة ثم افرش اللينوليوم فيسلم من الرطوبة ولا يشتد بردهُ شتاء

اذا اردت ان تمنع شفافية الواح الزجاج فاذب قليلاً من الملح الانكليزي في كاس من البيرة القديمة وادهن اللوح بالمذوب فتتكون عليهِ قشرة بلورية جميلة تقلل شفافيتهُ

اذا اغليت مواد مختلفة في وقت واحد فتعذر عليك تحريكها كلها بالملعقة فضع في كلٍّ منها كرة نظيفة من الزجاج او الرخام فانها تتحرك بالغليان وتحرك السائل وتمنع احتراقهُ كما لو حركتهُ بملعقة

اذا عصرت الليمون الحامض فلا ترمهِ بل استعملهُ لتنظيف الاصابع من الدبوغ ومع قليل من الرمل لجلو الآنية النحاسية ولتنظيف الحلل ونحوها مما يلصق بها من الاوساخ والروائح الخبيثة

اذا رأيت صعوبةً في نزع فلوس السمك فضعهُ في الماء الغالي دقيقة فيسهل نزع فلوسهِ حالاً

العادة في تدفئة الفرش بزجاجات الماء السخن ان توضع الزجاجة بين الفراش والغطاء على بطنها وهذا خطأٌ والصواب ان تضعها قائمة على الفراش وتضع الغطاء فوقها فتسخن كل الهواء الذي بين الفراش والغطاء اي تسخن الفراش كلهُ

اذا وضع للكنار قطعة من الشحم في قفصهِ وهو يسلخ ريشهُ يأكل منها فتقويهِ وتحسن صوتهُ

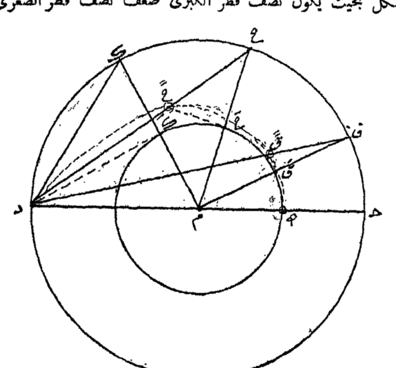


قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية

قرأت في الجزء الاول من المجلد الثاني والاربعين من المقتطف الاغر مسئلة قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية لحضرة اسكندر افندي باسيليوس الطالب بالمدرسة السعدية ولئلاَّ يعلق في ذهنهِ او ذهن احد قراء المقتطف الاغر ممن لم يدرسوا العلوم الرياضية العالية ان حل المسئلة صار ممكناً بواسطة المسطرة او ان الخط المنحني الناتج من تزحلق المساطر هو في غاية من الضبط حتى يستعمل كرقة بها يمكن تقسيم اي زاوية الى ثلاثة اقسام متساوية ولما كانت هذه الطريقة بها عيوب لعدم ضبط المنحني ضبطاً كافياً ولصعوبة العمل بواسطة المساطر وبما ان مثل هذا المنحني لا يمكن رسمهُ الاَّ بواسطة الهندسة التحليلية لتعرف خواصهُ قد بادرت بشرح الطريقتين الهندسيتين وهما اولاً — رسم هذا المسار نقطة فنقطة — ثانياً استعمال فرعي القطع الزائد في حل مسئلة قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية . وقبل البدء في العمل اذكر لمحة تاريخية عن البحث في حل الثلاث مسائل المعضلة الحل باصول الهندسة (اي بالمسطرة والبرجل) فاقول

مسئلة قسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية هي احدى المسائل الثلاث المعضلة الحل بطرق اصول الهندسة ويظهر من اشتغال علماء الرياضة في الازمان الغابرة لكي يصلوا لحل تثليث الزاوية وتضعيف المكعب وتربيع الدائرة بواسطة خطوط ذات خواص معلومة تساعدهم على الحل ان الرياضي الشهير منيا خيموس استاذ الهندسة في مدرسة بطليموس في القرن الرابع قبل الميلاد كان اول من اكتشف الثلاثة خطوط المعروفة بالقطاعات المخروطية وفي الحقيقة فانهُ بواسطة هذه المسارات الهندسية امكن حل مسئلتين من المسائل الثلاثة السالفة الذكر وهما تثليث الزاوية وتضعيف المكعب وسأشرح ذلك ان شاء الله تعالى في رسالة تالية افادة لقراء المقتطف الاغر . وانما اقصد الآن الفات نظر حضرة الطالب الى ان رسم المسار الهندسي المذكور في حلهِ وان كان وافياً بالغرض المقصود غير ان رسم المسار بطريق الاستمرار فيهِ عيوب لاتخفى على من درس اصول الهندسة التحليلية ولذلك لم

يستعمل الرياضيون في البحث عن المسارات الهندسية سوى الطرق الحسابية او الطرق الهندسية لكي يتحدد اتجاه المسار تحديداً تامًّا مهما كان نوعهُ. ولنأت هنا على كيفية رسم هذا المسار نقطة فنقطة بواسطة استعمال الدوائر فاقول ارسم دائرتين متحدتي المركز كما في هذا الشكل بحيث يكون نصف قطر الكبرى ضعف نصف قطر الصغرى



ثم ارسم من نقطة د احدى نهايتي القطر ﺣ د عدة من المستقيمات مثل د ق ، د ح ، د ك ، ٠٠٠٠٠ الخ فتقابل محيط الدائرة الكبرى في ق ، ح ، ك ، ٠٠٠٠٠٠٠ الخ ثم صل من نقط التقابل المذكورة المستقيمات ق م ، ح م ، ك م ، ٠٠٠٠٠ الخ فتقطع هذه المستقيمات محيط الدائرة الصغرى في النقط قَ ، حَ ، كَ ، ٠٠٠٠٠٠٠ الخ فاذا رسمت من هذه النقط المماسات قَ قً ، حَ حً ، كَ د ومدت حتى تتقابل مع د ق ، د ح ، د ك ، ٠٠٠٠ الخ في النقط قً ، حً ، ٠٠٠٠٠ الخ لكانت هذه النقط هي من نقط المسار الهندسي المطلوب فاذا وصلت هذه النقط بخط متصل لكان هو جزء المسار الهندسي المبحوث عنهُ وهو ﻫ قً حً د ولكي يكتفى بهذا الجزء يلزم ان لا تزيد الزاوية الواقعة بين ك د ، د ﺣ عن ٦٠°

احمد زكي
احد مدرسي العلوم الرياضية
بالمدارس الحربية سابقاً



زراعة التين

التين من الذ الاثمار ان لم يكن الذها كلها اخضر ويابساً ومطبوخاً بالدبس او بالسكر وهو ايضاً اكثرها غذاء ولا سيما اذا كان يابساً فاذا أُكل مع الخبز فهو ادام مغذٍ على طيب طعمهِ . وقد عني الناس بزرعهِ في هذا القطر وغيرهِ من الاقطار حول البحر المتوسط من قديم الزمان حتى يقال ان وطنهُ الاصلي فيها

وقد كتب الكتَّاب في زرعهِ من قديم الزمان وخير ما رأيناهُ فيهِ من كتب القدماء ما جاء في كتاب الفلاحة الرومية الذي ترجمهُ سرجس بن هليا قال : —

اعلم ان التين قد يغرس في الخريف وفي الربيع (قال قسطوس) قد خالفت ذلك وزرعتهُ في حزيران (يونيو) ابتداعاً مني لأنظر كيف حالهُ فعلق واطعم وسلم وحمدت رأيي في ذلك . واحق ما غرس فيهِ التين من المواضع البقعة الرقيقة من الارض القوية غير الندية والظاهرة الماء فان كثرة الماء والنداوة تضرّ بشجرة التين وثمرها . ورب من يسلك مسلكاً آخر في غرس التين فيعمد الى ما بدا لهُ منهُ فينقعهُ في اناء يومين وليلتين ثم يمرسهُ في ذلك الماء مرساً بالغاً ثم يعمد الى حبهِ الذي في جوفهِ فيخلطهُ باخثاء البقر الرطبة والسهلة ثم يطلي بذلك حبلاً من بردي ويدفن ذلك الحبل مستطيلاً في حفر مستطيل عمقهُ في الارض شبر ثم يردّ عليهِ التراب ويسقيهِ من ساعتهِ فانهُ ينبت ملتفاً متقارباً فيقرّ مكانهُ حتى يبلغ طولهُ ذراعاً ثم يقلع من ذلك الموضع ويغرس في موضع آخر الذي هو غايتهُ . وقد يغرس التين على هذه الصفة بان يعمد الى قضبان شجرة فتنقع في ماء وملح ثلاثة ايام او اربعة بلياليها ثم يغرس وان نقعت ايضاً في اخثاء بقر رطبة ثم غرست كان ذلك اوفق ورب من يجعل في اصل كل غرس من قضبان التين بيضتين او ثلاثاً من بيض الدجاج صحيحاً فانهُ يزداد بذلك نزل التين وثمرته واكثر ما يكون ذلك التين ثمرة اذا تقادم عهدهُ ورب من يعمد فيصلح موضع غرس التين برماد جوز او الدواء الذي يسمى بالرومية ساجون . وان سرّك ان يكثر حب التين وتقصر شجرتهُ فاغرس قضبانهُ منكسة تكون فروعها في الحفرة التي تغرس فيها واسافلها فوق ورب من يكتفي في غرس التين بحبهِ الذي في جوفهِ على ما تقدم

كيف يحتال في التين حتى يكون في التينة الواحدة الوان شتى من سواد و بياض وحمرة

اذا اردت ذلك فاعمد الى قضبان التين الثلاثة وضم بعضها الى بعض ضمًا شديدًا وعصب عليها بالبردي ساعة قطعها واغرسها جميعًا في حفرة واحدة واحش ما تواري الارض من اصولها ترابًا وارواث دواب واسقها واتركها حتى تعلق وتثبت فروعها ثم ضم فروعها النابتة بعضها الى بعض وعصب عليها تعصيبًا شديدًا واتركها حتى يلتصق بعضها ببعض ثم اقطع ما فوق الارض من هذا الغرس بعد عامين واغرسهُ في موضع آخر فانهُ يعلق و يختلف الوان ثمرتهِ وان تركتهُ ولم تقطعهُ كان ايضًا بتلك المنزلة الاَّ ان قطعهُ ازكى لهُ . ورب من يغرس التين المختلف الالوان غرسًا هو ايسر واهون من ذلك وذلك بان يعمد الى حب التين الذي يكون في جوفهِ و يأخذ من كل لون شيئًا منهُ و يخلطها و يجعلها في خرقة من كتان و يجعلها في حفرة في الارض عمقها اربع اصابع ثم تحشى تلك الحفرة ترابًا وارواث دواب وتتعاهدها بالسقي حتى تنبت ثم تقلعها من اصلها بعد عامين واغرسها في موضع آخر فانها تعلق وتختلف الوان ثمرتها

كيف يحتال للتين اليابس المجموع ان يسلم من العفن

وذلك انهُ اذا عمد الى ثلاث تينات يابسات فغمست في قار رطب ثم جعلت تينة منها اسفل الوعاء الذي يجعل فيهِ ذلك التين وتينة وسطًا منهُ وتينة في اعلاهُ سلم ذلك التين من العفن ومما يسلم بهِ التين اليابس المجموع من العفن ان يجعل في سلة من قضبان و يدلى في تنور بعد ان يفرغ من الخبز فيهِ وتذهب عنهُ سورة حرهِ فيقر معلقًا في ذلك التنور يمصهُ الحرّ بعض المص ثم يخرج من التنور و يبرد ويجعل في خوابي من خزف جديد . ومما يسلم بهِ التين من العفن ان يجنى باعوادهِ التي ينبت فيها و ينضح بماء وملح ثم يوضع في الشمس حتى يجف و يرفع في اوعية من خزف جديد و يطين ثم يوضع في الظل فانهُ يسلم بذلك من العفن

كيف يصان التين لكي يبقى غضًا الى الربيع

(قال قسطوس) اعلم ان للتين امرًا ليس لغيرهِ من رطب الثمار فانهُ ان لم يجن التين حتى يبلغ ابانهُ سقط عن شجرهِ فما يصان بهِ ان يعمد الى وعاء ويجنى التين باعوادهِ التي هو فيها ثم يوضع باعوادهِ في ذلك الوعاء وضعًا رفيقًا غير متقارب حتى لا تنال تينة اخرى ثم يسدّ فوق ذلك الوعاء بشمع و يجعل ذلك الوعاء بما فيهِ في وعاء شراب حتى يغيب فيهِ و يغمرهُ الشراب فانهُ لا يزال ما دام كذلك غضًا . ورب من يطلي التين بالعسل ثم يجعلهُ في وعاء غير متقارب حتى لا تنال تينة اخرى ثم يشدّ فوق ذلك الوعاء و يرفع فانهُ لا يزال كذلك غضًا وقد يجعل التين ايضًا اذا طلي بالعسل في اناء من زجاج

وفي كتاب الزراعة المصرية في الفصل الذي كتبهُ الاستاذ بونابرت في الاشجار المثمرة كلام مفصَّل عن زراعة التين قال فيهِ بعد الديباجة ان شجر التين كثير الحمل و يسهل زرعهُ و يبتدئ حملهُ باكراً ولا صعوبة في خدمتهِ ولذلك هو من الاشجار التي تستحق العناية. والتين اليابس من العروض التي يتَّجر بها فتصدر من بعض البلدان في جنوب اوربا وبلاد المشرق وافضلهُ التين الازميرلي وهو يصدر من مدينة ازمير

وينمو التين في كل انحاء القطر المصري ولاسيما في الفيوم وضواحي الاسكندرية . وتين الفيوم جيد و يرسل منها الى جهات القطر في شهور الصيف بمقادير كبيرة

وتحمل شجرة التين مرة واحدة في السنة من اوائل الصيف الى اوائل الخريف الاَّ التين الفيومي فانهُ يحمل مرة ثانية من نوفمبر الى دسمبر . ولا ييبس التين في مصر ولا يصدر منهُ شيء بل يؤكل كلهُ اخضر واشهر اصنافهِ في مصر ثلاثة السلطاني او تين سيدي جابر والفيومي والكمثري والاولان اسمران الى السواد والثالث ابيض

والكمثري اجود هذه الاصناف والطلب عليهِ كثير وهو يزرع في ضواحي الاسكندرية وكذلك السلطاني يزرع في ضواحي الاسكندرية وهو اكثر من الكمثري وثمرهُ اكبر حجماً من ثمر الكمثري . واما الفيومي فاكثر ما يزرع في مديرية الفيوم وهو ينضج قبل الصنفين الاخرين بنحو شهر لكنهُ دونهما نوعاً واصغر منهما حجماً ولهُ اهمية كبيرة في مديرية الفيوم لكثرة ما تبيع منهُ ولاسيما للقاهرة

الاراضي الصالحة لهُ — يجود التين في كل ارض ليست شديدة الخصب ولا تحتها طبقة رطبة وهو شديد النمو طبعاً فاذا كانت الارض خصبة كثرت اغصانهُ واوراقهُ وقل ثمرهُ . واجود الاراضي لهُ الارض الرسوبية القليلة التماسك القليلة الخصب . واما الارض السوداء الخصبة فلا تصلح لهُ لانهُ ينمو فيها جدًّا فتطول اغصانهُ وتكثر اوراقهُ وتكون اثمارهُ قليلة صغيرة الحجم غير طيبة الطعم

والتين اسهل الاشجار المثمرة زرعاً فيزرع من بزرهِ ويزرع بالترقيد وتنمو من اصلهِ فروع يمكن نقلها كالفسائل وزرعها وتقطع عيدانهُ وتزرع فتنمو وهذه افضل الطرق لزرعهِ . وتقطع هذه العيدان قبل ان تظهر اوراق الشجرة وتكون مما نما فيها في السنة السابقة ويفضل ان يكون طول العود ٣٥ سنتيمتراً وقطرهُ سنتيمترين ويجب ان يكون في ظرفهِ برعم قوي . وتزرع هذه العيدان او العقل في اوائل فصل الربيع اما في مكان الترقيدة او في البستان الذي يراد زرعها فيهِ مباشرة كما في الفيوم وحينما يزرع العود في الارض لا يترك منهُ فوق

الارض الاَّ جزءٌ صغير جدًّا لئلاَّ ييبس

الري — تروى شجرة التين بالاعتناء وهي تنمو من اوائل ابريل الى ان يبتدئ ثمرها ينضج وذلك كل ستة ايام او ثمانية او عشرة حسب حالة الهواء والتربة . واذا اهمل ريها مرةً واحدة قلَّ ثمرها لكن ريها في اغسطس وسبتمبر يضر بها ضرراً كبيراً . ولا تروى مدة سكونها من نوفمبر الى اواسط مارس او تروى ريًّا ضعيفاً جدًّا

التسميد — يجب تسميد التين لكي يكثر حملهُ واهل الفيوم يسمدونهُ كل سنة بالسماد البلدي قبل شهر مارس ويعزقون الارض بين الاشجار اكثر من مرة في اوائل فصل الاثمار ولا يزرع بين اشجار التين في الفيوم الاَّ ما لا يغطي مساحة كبيرة كالبصل والثوم واما في الاسكندرية فيزرعون بينها البطاطا الحلوة والبرسيم وانواع الخضر

التقليم — ولا يحسن الاكثار من تقليم التين لان الغصن المقلَّم تنبت منهُ فروع شديدة النمو قليلة الحمل ولكن اذا كثرت اغصان الشجرة واوراقها وقل حملها وجب ان تقلَّم وتنزع منها الاغصان الدقيقة التي تنمو حول اسفل الاغصان الكبيرة والفروع التي تنبت في اسفلها واذا زاد نموها وقل ثمرها وجب ان تقطع بعض جذورها

وتثمر شجرة التين باكراً ولكن لا يصير ثمرها وافياً بالمراد من باب مالي الاَّ متى صار عمرها اربع سنوات او اكثر وتبقى تحمل سنين كثيرة ويكون حملها على اكثرهِ وعمرها ١٣ سنة الى ١٥ سنة

ويبلغ ريع فدان التين الكبير الاشجار نحو ثلاثين جنيهاً في السنة

موسم القطن المصري

بلغ الوارد الى الاسكندرية من القطن حتى ٢١ فبراير ٧٠٨٤٤٥٩ قنطاراً وكان في العام الماضي ٦٤٣٢٢٨٨ قنطاراً فقط وفي الذي قبلهُ ٦٩٣٢٨١٨ قنطاراً فزاد عن عام ١٩١٠ نحو مئة وخمسين الف قنطار ولذلك لا عجب اذا بلغ الموسم سبعة ملايين وثلاثة ارباع المليون كما قدرتهُ مصلحة الزراعة اخيراً . لكن الصادر منهُ هذا العام اقل من الصادر سنة ١٩١٠ باكثر من مئة وخمسين الف قنطار ولذلك زادت المتأخرات في الاسكندرية نحو ثلثمئة الف قنطار عمَّا كانت عليهِ سنة ١٩١٠ وهذا النقص واقع في ما اخذتهُ اوربا منا اما ما اخذتهُ انكلترا فلا يزال على حالهِ تقريباً وما اخذتهُ اميركا زاد قليلاً ولعلَّ سبب النقص في ما اخذتهُ اوربا استمرار الحرب الناشبة الآن في البلقان بعد حرب ايطاليا

وقد زاد الوارد من بزرة القطن الى الاسكندرية وزاد الصادر منها الى اوربا اكثر من اربع مئة الف اردب

ولا تزال اسعار القطن والبزرة على ما يرام فلم ينقص سعر الكنترانات من القطن العفيفي عن ١٨ ريالاً ونصف ريال ومن العباسي عن ١٩ ريالاً الى ٢٠ او ٢١ ومن الينوفتش عن عشرين ريالاً الى ٢٢ . واسعار البزرة جيدة ايضاً من ٩٦ الى ٩٨

والخلاصة ان الموسم الاخير هو اكبر موسم جناهُ القطر المصري في مقدارهِ وفي ثمنهِ ايضاً والمرجح الآن ان ثمنهُ سيزيد على ٣٥ مليوناً من الجنيهات

زراعة القمح

تبلغ مساحة الاطيان التي تزرع قمحاً كل سنة في روسيا ٤٧ مليون فدان وفي فرنسا ١٦ مليون فدان وفي النمسا والمجر ١٢ مليون فدان وايطاليا احد عشر مليوناً ونصف مليون والمانيا نحو خمسة ملايين فدان وانكلترا مليوني فدان . ومتوسط غلة الفدان تختلف في هذه البلدان وغيرها فاذا زادت المساحة المزروعة قلّ متوسط محصول الفدان واذا نقصت المساحة زاد متوسط المحصول واكبر متوسط في بلاد الدنمارك حيث يبلغ ٤٢ بشلاً او اكثر من سبعة ارادب ونصف



(١) الخط العربي بحروف متقطعة

الاستانة . محمد افندي صبري نجيب الطاشوالي . كان احد ادباء العراق جميل الزهاوي كتب مقالة في موضوع الخط وادرجتموها في المقتطف في اواخر سنة ١٣١٥ ولكن ما من احد تناول هذا الموضوع بعدهُ ولا بد من انكم تسلمون ان مسألة الخط في غاية الاهمية وتستحق ان توضع على بساط البحث فعلى مَ لا ترغبون الباحثين في تناولها والبحث فيها

ج . ان العالم العراقي زهاوي زاده جميل صدقي افندي كتب في هذا الموضوع واستنبط حروفاً متقطعة للكتابة العربية . ولو كان ابناء العربية اميين لا كتابة عندهم لسهل عليهم ان يقتبسوا اي نوع كان من الكتابة ولنصحنا لهم حينئذٍ ان يستعملوا

الحروف الافرنجية كما ننصح للذين يحتاجون الى الابر ان يشتروا الابر الاوربية والذين يحتاجون الى الآلات البخارية ان يشتروها من اوربا او اميركا . اما وابناء العربية يكتبون بحروف شائعة في كل البلدان العربية وغير العربية وقد استعملها اسلافهم من قبلهم منذ اكثر من اثني عشر قرناً الى الآن فلا نرى موجباً لتغييرها على الاطلاق

وقد ظن البعض ان طبع الكتب بحروفنا اصعب من طبع الكتب بالحروف الافرنجية او بالحروف المنفصلة لكثرة انواعها اما نحن فاختبارنا الطويل في صناعة الطباعة ينفي ذلك. وظن غيرهم ان تعلُّم القراءة بها اصعب من تعلمها بالحروف المتقطعة وقد يكون ذلك صحيحاً ولكن وقت الطفل الذي يتعلم مبادئ القراءة ليس ثميناً الى حد يوجب تغيير حروف اللغة

وزعم البعض اقتصار الكتابة العربية على الحروف الصحيحة غالباً هو من عيوبها التي يجب اصلاحها بوضع حروف بدل الحركات ونحن نعدهُ من مزاياها لانها صارت بهِ كالكتابة المختزلة . وكيفما كانت الحال فترك حروفنا الآن وابدالها بحروف اخرى يكاد يكون ضرباً من المحال واذا كان لا بدَّ من هذا الابدال نخير ما تبدل بهِ الحروف العربية هو الحروف الافرنجية المستعملة في فرنسا وانكلترا وايطاليا واكثر اوربا واميركا . ولا يتعذر الاستدلال على مثل الثاء والحاء والخاء والذال بحروف افرنجية مقلوبة فتصير حروف مطابعنا مثل حروف مطابعهم تماماً ولكن زمن ذلك بعيد

(٢) الزلازل في بلاد اليابان

مصر . محمد افندي سالم . قرأنا في المقتطف مراراً عن حدوث زلازل كثيرة في بلاد اليابان ولم نقرأ فيهِ عن حدوث زلازل مثلها في البلاد المجاورة لها مثل كوريا فهل الزلازل لا تحدث فيها او ان اخبارها لا تبلغنا

ج . ان حدوث الزلازل قليل فيها واقدم زلزلة ذكر حدوثها في تواريخ كوريا حدثت سنة ٥٧ قبل المسيح ومن ثم الى الآن حدث فيها ١٦٧١ زلزلة ولكن الشديد منها ٥٩ فقط اما بلاد اليابان فجزائر بركانية والغالب في الجزائر البركانية ان اسافلها تكون كثيرة الكهوف فتخسف سقوفها من وقت الى آخر لشدَّة ما عليها من الضغط فترتج بخسوفها او تتكسَّر طبقاتها من شدة الضغط عليها فترتج ايضاً . اما القارات القديمة فقد توازنت اجزاؤُها من قديم الزمان فقلَّ تكسر طبقاتها

(٣) نفقات التعليم في انكلترا

ومنهُ . كم تبلغ نفقات التعليم في انكلترا

ج . بلغت نفقات مجلس المعارف في السنة التي نهايتها ٣١ مارس سنة ١٩١٢ في انكلترا وويلس ١٤٢٩٨٠٣٠ جنيهاً انفق منها ١١٧٧٥٣٩٠ جنيهاً على التعليم الاولي

و٧٥٨٥٢٥ على التعليم الثانوي و٥٨٧٢١٣ على التعليم الصناعي والفني و٥٧١١٤٣ على تعليم المعلمين والمعلمات . هذا ما انفقته الحكومة اما ما انفقته المجالس البلدية ونحوها فبلغ ٤٣٢٧٨٤٢ جنيهاً فجملة ما انفق على التعليم في سنة واحدة ١٨ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات . ولو انفق القطر المصري على هذه النسبة لبلغت نفقاته على التعليم خمسة ملايين من الجنيهات في السنة

(٤) عدد الجنود الروسية

ومنهُ . كم عدد الجنود الروسية وقت السلم وكم عددها وقت الحرب

ج . رأينا في آخر تقرير عن الجنود الروسية ان عددها وقت السلم في اوربا ٩٤٩ الفاً وهي مقسومة هكذا

المشاة	٦٢٧ ٠٠٠
الفرسان	١١٦ ٠٠٠
المدفعية	١٣٨ ٠٠٠
المهندسون	٠٣٤ ٠٠٠
ادارة التعيينات	٠٣٤ ٠٠٠

وعدد جنودها في اسيا ١٢٤ الفاً وهي مقسومة هكذا

المشاة	٨٣ ٠٠٠
الفرسان	١٤ ٠٠٠
المدفعية	١٥ ٠٠٠
المهندسون	٠٨ ٠٠٠
ادارة التعيينات	٠٥ ٠٠٠

واذا أُضيف الى هذين المجموعين القزاق وحرس الحدود بلغ مجموع الجيش العامل وقت السلم مليوناً واربع مئة الف نفس ومنهم ستون الفاً في تركستان و٢٨٠ الفاً في سيبيريا . والذين يبلغون سن القرعة كل سنة نحو مليون وثلثمئة الف نفس

اما عدد الجنود الروسية وقت الحرب فهو ٢٨٥٥ ٠٠٠ وعدد ضباطهم ٥٦ ٥٠٠ والمشاة منهم ١٧٩٢ ٠٠٠ والفرسان ١٩٦ ٠٠٠ ويضاف اليهم الرديف وهو ١٠٦٤ ٠٠٠ والرديف المحلي وهو مليونان . ولا يقل جيش روسيا وقت الحرب عن خمسة ملايين من الجنود المنظمة

(٥) قلة الانصاف

بغداد . رزق افندي عيسى . لماذا اذا غزا الغربي العباد ودمَّر القرى والبلاد يعدُّ بطلاً مغواراً وقائداً محنكاً . واذا فضَّل الشرقي اخاهُ في الدين والمذهب على غيره يستهجن فعلهُ هذا ويعدُّ جاهلاً متعصباً

ج . اذا دققتم البحث لم تجدوا الامر على ما ذكرتم تماماً فالحروب التي اثارها الغربيون منذ خمسين سنة الى الآن في اوربا واميركا واسيا وافريقية لم يثيروها عفواً بل كان لها اسباب دعت اليها ومن المحتمل بل المرجَّح انهُ كان يمكن الاستغناء عنها كالحرب بين فرنسا والمانيا والحرب بين الشمال والجنوب في اميركا والحرب بين انكلترا والحبشة وبين

اميركا واسبانيا وبين الجيوش المصرية وجيوش خليفة المهدي وبين انكلترا والبوير ولكن نتائج هذه الحروب ليست قبيحة الى الحد الذي تتصورونهُ ففرنسا غُلبت ولكن الجمهورية التي نتجت عن الحرب افادتها جدًّا وحرب اميركا حرَّرت العبيد وقوَّت الزراعة والصناعة والحرب بين انكلترا والحبشة وبين ايطاليا والحبشة لم تنجم عنها فائدة تقابل بخسائرها ولكن حرب اميركا واسبانيا افادت كوبا وجزائر فيلبين فوائد لا تقدَّر وكذا حرب مصر لاسترجاع السودان افاد السودان اعظم فائدة وافاد مصر ايضاً وحرب انكلترا مع البوير افاد البوير اخيراً كما يظهر من اعتراف بوثا اكبر قوادهم . وقواد هذه الحروب مثل ملتكي وغرانت وولسلي ودوي وكتشنر وربرتس يعترف بفضلهم كل الذين عاملوهم من انصارهم كانوا او من اعدائهم . وهذا كلهُ لا ينفي ضرر الحروب ووجوب الاستغناء عنها وبذل الوسع للحصول على فوائدها بالوسائل السلمية . ولا نرى ان من يفضّل ابن مذهبهِ على غيرهِ يرمى بالتعصب وانما يُرمى بالتعصُّب مَن يقتل غيرهُ او ينتهك حرمتهُ لانهُ ليس من مذهبهِ . واذا كرهتم ان يسمَّى ذلك تعصبًا فسمّوهُ ما شئتم فان التسمية لا تبررهُ ولا تغير جوهرهُ

(٦) كتاب جيولوجية سوريا

مونبليه . جبران افندي اسكندر كرما . ارجو افادتي عن كتاب يبحث بالتفصيل عن جيولوجية سوريا سواءٌ كان بالعربية او الافرنسية او الروسية او الانكليزية ومن اين يمكن الحصول عليهِ

ج . ربما يفي بغرضكم بالانكليزية رسالة الدكتور هل وعنوانها Hull, Memoir on the Geology and Geography of Arabia, Petraea, Palestine, and adjoining Districts (London 1886)

وفي الالمانية

M. Blanckenhorm, Beitrage zur Geologie Syriens (Cassel 1890)

وفي الفرنسوية

V. Cuinet, Syrie, Liban et Palestine (1896)

وهي تطلب من كل باعة الكتب الكبار

(٧) قيمة المنسوجات القطنية

الاسكندرية . احد القراء . كم قيمة المنسوجات القطنية التي صدرت من بلاد الانكليز وفرنسا والمانيا في السنة الماضية

ج . لم نطلع على تقرير السنة الماضية حتى الآن ولكن في تقرير سنة ١٩١١ ان قيمة المنسوجات التي صدرت من بلاد الانكليز ٩٠٥١٣٠٠٠ جنيه ومن المانيا ١٩٥٧٥٠٠٠ جنيه ومن فرنسا ١٣٥٤٠٠٠ جنيه وقيمة المغزولات من انكلترا ١٥٦٦٥٠٠٠ ومن المانيا ٢٩٦٠٠٠٠ ومن فرنسا ٦٤٥٠٠٠



غلاء الاراضي في المدن

اغلى ثمن بيعت بهِ اراضي البناء في مصر نحو ثمانين جنيهاً المتر المربع او نحو سبعة جنيهات القدم المربعة · ومنذ تسع سنوات بيعت قطعة ارض في مدينة لندن بمئتين وعشرة آلاف جنيه فبلغ ثمن القدم المربعة منها سبعين جنيهاً · وبيع في مدينة نيو يورك قطعة ارض طولها مئة قدم وعرضها ٢٥ قدماً بمئة واربعين الف جنيه فبلغ ثمن القدم المربعة منها ٥٥ جنيهاً وثمانية شلنات · ويملك دوق وست منستر اربع مئة فدان في وستمنستر بمدينة لندن يأخذ منها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات ايجاراً سنوياً وارل كادوغان يملك مئتي فدان يأخذ منها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات ايجاراً سنوياً · واكثر شارع السترإند في مدينة لندن لدوق نورفك وهو يأخذ ايجارهُ في السنة مليوناً ونصف مليون · وللورد نورثامبون ٢٦٠ فداناً في كلاركنول يبلغ ايجارها في السنة مليوناً ونصف مليون من الجنيهات · ولدوق بدفورد ٢٥٠ فداناً في اتنهام يبلغ ايجارها مليونين و٢٥٠ الف جنيه · وللورد هورد ده ولدن ٢٩٢ فداناً يبلغ ايجارها مليونين و٩٠٠ الف جنيه · وللورد بورتمان ٢٧٠ فداناً يبلغ ايجارها ١٨٩٠٠٠٠ · وكل هذه الاراضي موْجرة للبناء

اكبر محطات سكك الحديد وافخمها

ستفتح في مدينة نيو يورك هذا الشهر اكبر محطة لسكك الحديد في الدنيا وهي من الرخام طولها ٦٧٢ قدماً وعرضها ٣١٠ اقدام وارتفاعها ١٥٠ قدماً وهي كافية لان يمر فيها ثمانمئة قطر كل يوم ومئة الف راكب · وقد بلغت نفقات انشائها ٣٦ مليوناً من الجنيهات

اعادة نبض القلب بالكهربائية

يرى الدكتور ارلانجر انهُ اذا وقف نبض القلب ولم تنجع فيهِ الوسائل التي تستعمل عادةً تخير وسيلة ان يؤْخذ قطب ايجابي على هيئة الانبوب و يدخل عن يسار القص بين الضلعين الثالث والرابع حتى يلامس الياف القلب التي تصدر منها حركتهُ · ثم يدنى القطب السلبي من الجسم فتتقلص عضلات القلب و يعود الى عملهِ · فاذا ثبت

نفع هذه الطريقة واستعملت معها تهوية الرئتين الصناعية بواسطة الانابيب المدخلة الى الصدر فلا يبعد ان تعاد مظاهر الحياة الى بعض الذين يموتون قبلما يبتدئ الانحلال فيهم

تنقية مياه الشرب بخزنها

عُلم بالامتحان ان حفظ المياه مدة في حوض يزيل اكثر الميكروبات منها فانهُ وُجد في آخر شهر مارس الماضي في السنتمتر المكعب من مياه نهر التمس بلندن ٩١٥٥ ميكروباً ثم حفظ هذا الماء مدة ورشح فلم يبق فيهِ سوى ١٧ . ومن رأي الدكتور هوستون انهُ لا يحتمل ان يبقى في الماء ميكروب مرضي بعد حفظهِ مدة وترشيحهِ

خسائر الانواء

كان لاشتداد الانواء في العام الماضي فعل ذريع في السفن كبيرها وصغيرها مع ان التلغراف اللاسلكي سهَّل عليها معاونة بعضها بعضاً . وقد نشرت جريدة البال مال الانكليزية فصلاً مسهباً عما حلَّ بالسفن الانكليزية المؤَمن عليها عند محل لويد سنة ١٩١٢ فقالت ان قيمة الخسارة بلغت ٦٦٨٤٥٠٠ جنيه ولولا انتشال الذهب الذي كان في وسق السفينة دلهي والسفينة اوشيانا وتعويم السفينة رويال جورج لكانت الخسارة اكبر . اما هذه الخسارة فانقسمت على فصول السنة هكذا

من يناير الى مارس	١٧٨٨٠٠٠	جنيه
من ابريل الى يونيو	٣٠٤٠٠٠٠	«
من يوليو الى سبتمبر	٠٨١٣٥٠٠	«
من اكتوبر الى دسمبر	١٠٤٣٠٠٠	«

ولعلَّ الخسارة اكبر من ذلك لانها لم تعلم كلها حتى الآن . والسفن التي اصيبت ومحمولها من ٥٠٠ طن فصاعداً يبلغ عددها ٦٠٣١ تصادم منها ١٩٧٥ سفينة وارتطم ١٧٤٦ سفينة وايف من ثقل الامواج ١١٦٦ ولعبت النار في ٠٣٩٩ وغرق ٢٢٨ سفينة محمولها ٤٨٣١٥٨ طنًّا ٨٢ منها بريطانية و ١٤٦ لسائر الامم

زيت بيض السلاحف

كان السكان حول نهر الامازون في اميركا الجنوبية يستخرجون الزيت من بيض السلاحف يجمعون البيض في القوارب ويخبطونها بالعصي حتى تتكسَّر ويصبون عليها ماء فيطفو زيتها على وجههِ فيجمعونهُ وكانوا يتلفون كل سنة مئتي مليون بيضة لاستخراج زيتها فلما انتشر استعمال البترول عندهم ورخص ثمنهُ ابطلوا استخراج الزيت من بيض السلاحف فكثرت جدًّا وهم يربونها الآن كالمواشي لاجل لحمها . وتربَّى في اماكن اخرى في اميركا الشمالية وفي اليابان وتربيتها من الاعمال الكبيرة الربح

اكبر البواخر

صنع الالمانيون الآن باخرة سموها «الامبراطور» جعلوها اكبر البواخر التي صُنعت حتى الآن وآخرها كلها طولها من طرف الى طرف ٩٢٠ قدماً وعرضها ٩٨ قدماً وعمقها ٦٢ قدماً وارتفاع راس ساريتها عن قاعها ٢٤٦ قدماً وفيها تسع طبقات فوق حد الماء وثلاث مداخن اهليلجية الشكل طول كل مدخنة منها ٦٩ قدماً وقطرها الاطول ٢٩ قدماً والاقصر ١٨ قدماً وثقل دفتها ٩٠ طناً وتفريغ هذه الباخرة ٦٠٠٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ٧٠٠٠٠ حصان وينتظر ان تكون سرعتها ٢٢ ميلاً بحرياً ونصف ميل في الساعة او نحو ٢٦ ميلاً اعتيادياً. وقد جعل قاعها وجوانبها مزدوجة كلها حتى اذا اصطدمت بشيء او خرقها شيء لا تغرق كما غرقت التيتانك. وهي تسع ٤٢٥٠ نفساً من الركاب و ١١٠٠ من البحارة. وفيها من وسائل الراحة والترف ما لا مثيل لهُ الاَّ في قصور الملوك كالمراقص والمشاهد والجنائن والملاعب والمغاسل والحمامات وما اشبه

قلة المواليد

قابل الاستاذ ادورد روس بين ما كانت عليهِ المواليد من سنة ١٨٧٦ الى سنة ١٨٨٠ وبين ما صارت اليهِ من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٠٥ فوجد انها نقصت في كل البلدان التالية على ما في هذا الجدول

في زيلندا الجديدة	٣٥	في المئة
نيوسوث ويلس	٢٣	« «
انكلترا	٢١	« «
فكتوريا	٢١	« «
فرنسا	١٨	« «
المجر	١٧	« «
بلجكا	١٦	« «
اسوج	١٥	« «
المانيا	١٤	« «
ايطاليا	١٢	« «
سويسرا	١١	« «
الدنمارك	١١	« «
نروج	١٠	« «
النمسا	١٠	« «
ارلندا	٠٩	« «

وقد نقص عدد الاولاد الذين عمرهم اقل من خمس سنوات في بيوت الولايات المتحدة من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٩٠٠ اربعة وعشرين في المئة. الاَّ ان معدل الوفيات قلَّ ايضاً وقلتهُ اكثر من قلة معدل المواليد ولذلك فعدد السكان آخذ في الزيادة. وقلة عدد الوفيات ناتجة من التدابير الصحية ومقاومة الامراض والاوبئة والمجاعات فاذا وصلت هذه التدابير الى البلدان الشرقية الكثيرة

السكان كالصين والهند ولم يقل معدل المواليد فيها ملأَت شعوبها المسكونة بعد سنين قليلة

الاروسكوب AEROSCOPE

الاروسكوب آلة تصوير شمسي تصوّر الاشياء المتحركة صوراً متوالية فيكون منها صور متحركة للسينماتوغراف. استنبطها المسيو بروزنكسكي البولندي وهي صغيرة يحرك الغشاء (الشريط) فيها بقوة الهواء المنضغط ويمكن ان توضع فيها لفتان من الغشاء طول كل لفة منها ٣٠٠ قدم ومع ذلك لا يزيد وزنها على ١٤ ليبرة ويستطيع الانسان ان يستعملها وهو راكب على فرسهِ

الوقاية من التيفويد بالتطعيم

ابان الدكتور شانتمس في اكادمية العلوم بباريس ان البحّارة في اساطيل الحكومة الذين طُعّموا بالطعم الواقي من الحمَّى التيفويدية لم يصب بها احدٌ منهم واما الذين لم يطعموا فاصيب واحد من كلّ مئة نفس منهم

تسلق الفقم لجدران الجليد

كان يظن ان الفقم يثب من الماء الى اعالي جدران الجليد وثبة واحدة، وقد صوّرهُ بعضهم في بغتة سكوت بالآلة التي تؤْخذ بها الصور المتحركة فظهر انهُ يدني نابيهِ من الجليد ويحكهُ الى ان يحدث فيهِ خدشاً يمكنهُ التعلق بهِ ثم يحدث خدشاً آخر اعلى منهُ وهلمَّ جرًّا الى ان يصل الى اعلى الجدار

زراعة الاسفنج في البحر

اخذ البعض يزرعون الاسفنج في البحر فيأْخذون قطعاً صغيرة منهُ ويربطونها الى قطع من السمنت باسلاك النحاس المغشاة بالرصاص ثم يطرحونها في البحر حيث تنمو وتترك هناك سنة او سنتين الى ان يكمل نموها ثم ترفع وتزرع قطع اخرى مكانها. ويقال ان الاسفنج الذي يربى على هذه الطريقة افضل من الاسفنج الطبيعي لان الاخير يتمزق وتتقطع اليافهُ عند نزعهِ من الصخور فيتلف سريعاً

الحروف للكتابة الصينية

عقد جماعة من علماء الصين اجتماعاً بناء على دعوة من ناظر المعارف في بكين ليضعوا حروفاً هجائية تكتب بها لغات الصين المهمة فاتفقوا على ان يذيعوا اقتراحاً على العلماء قاطبة بان يتباروا في وضع الحروف ثم يختارون من بينها الحروف التي تفضل غيرها

الاستعاضة عن البترول بالبنزول

كثر استعمال البترول وقوداً حتى خشي من نفادهِ واخذ من يعنيهم الامر يبحثون عن نوع آخر من الوقود يقوم مقامهُ. وقد جرب البنزول فثبت ان فيهِ من القوة اكثر

مما في البترول . وقد اكتشف البنزول سنة ١٨٤٥ في الغازات التي تتصاعد من الفحم الحجري حين احمائهِ لتحويلهِ الى كوك . و يستخلص الآن بامرار هذه الغازات في سوائل تمتصها وتصعيد البترول منها بعد ذلك

اكبر جسر في العالم

وضع احد المهندسين الاميركيين خريطة جسر (كوبري) يصل بين مدينتي سان فرنسيسكو واوكلاند بالولايات المتحدة و يمتد فوق الخليج المعروف بخليج سان فرنسيسكو . وسيبلغ طول هذا الجسر تسعة اميال ونصف ميل وعلوهُ فوق الماء ١٨٠ قدماً . وقد قدّرت نفقاتهُ بستة وعشرين مليون ريال

السرطان واسبابهُ

نشر رجل يقال لهُ المستر رولو كتاباً في السرطان بحث فيهِ بحثاً استقرائياً واستنتج ان الاصابات بهذا المرض زادت كثيراً في الخمسين سنة الاخيرة في كل البلدان المتمدنة وانهُ قلما يصيب الذين طعامهم قليل بارد الأ اذا نشأت الاصابة عن اسباب خصوصية . و يرى ان شرب الماء الزلال يفيد في الوقاية منهُ . ومن الاطعمة التي تعرض الجسم للاصابة بهِ الاشربة الروحية واللحوم على انواعها اذا أكثر منها والاشربة والاطعمة الحارة اذا زادت حرارتها على حرارة الدم والاشربة الحامضة و بعض المواد الاخرى واهمها الزرنيخ . وقد دعم آراءهُ هذه باحصاءات وامثلة كثيرة

رجل الضفدع في التلغراف اللاسلكي

نزع الاستاذ لفقر الفرنسوي عضل رجل الضفدع الذي يمتد الى الحقو ووصلهُ بالمجرى الكهربائي في الآلة التي تقبل الرسائل اللاسلكية . ثم اثبت احد طرفيهِ بدبوس ووصل الآخر بخل يتحرك فيرسم علامات على ورق مخصوص . وقد قرأ بهذه الواسطة رسائل كانت ترسل اليهِ من برج ايفل وهو على ٢٣٠ ميلاً منهُ . غير ان رجل الضفدع تفقد خاصية التأثر بالكهربائية في مدة يسيرة وتصبح غير نافعة في التلغراف

نسيج لا يحترق

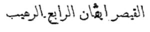
اكتشف الدكتور بركين الانكليزي طريقة يعالج بها الانسجة القطنية فلا تعمل بها النار . وطريقتهُ في ذلك تغطيس النسيج في احد مركبات الصودا مع الحامض القصديريك وتنشيفهُ ثم تغطيسهُ ثانية في كبريتات النشادر واحماؤُهُ الى درجة عالية بعد تنشيفهِ . ويقال ان الانسجة التي تعالج على هذه الطريقة تزداد نعومة ولا تخسر مزية عدم الاحتراق مهما تكرر غسلها . وسنصف طريقتهُ وكيف اتصل اليها في بعض الاجزاء التالية

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثاني والاربعين



الامير رورك





القيصر ايفان الرابع الرهيب

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثاني والاربعين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣٣١

دولة الروس

او ثلثمئة سنة على بيت رومانوف

احتفلت روسيا في الشهر الماضي بمرور ثلثمئة سنة منذ تبوَّأ عرشها اول ملك من بيت رومانوف . وهي جديرة بهذا الاحتفال لان كل ما تفتخر بهِ من مقومات العمران ونتائجهِ نشأ فيها او دخل اليها في زمن هذه الدولة فوق ما بلغتهُ من سعة الملك الذي قصَّر عنهُ الرومان في اوج عظمتهم

كان سكان مملكة الروس حينما تولاها ميخائيل رومانوف سنة ١٦١٣ وهو الاول من بيت رومانوف نحو عشرة ملايين من النفوس فزاد عددهم بالنمو الطبيعي والفتوح حتى بلغ الآن نحو مئة وسبعين مليونًا وقد تدرَّج في ذلك تدرُّجًا ولكن بخطوات الجبابرة سواء كان بالنمو الطبيعي او بالفتح كما ترى في هذا الجدول

سنة	عدد السكان		سنة	عدد السكان	
١٦١٣	١٠	ملايين	١٨١٥	٤٥	مليونًا
١٧٢٢	١٤	مليونًا	١٨٢٥	٦٠	«
١٧٤٢	١٦	«	١٨٥٩	٧٤	«
١٧٦٢	١٩	«	١٨٨٢	١٠٣	ملايين
١٧٨٢	٢٨	«	١٨٩١	١١٥	مليونًا
١٧٩٦	٣٦	«	١٨٩٧	١٣٠	«
١٨٠٦	٤١	«	١٩١٠	١٦٤	«

ولا يبعد ان يكون عددهم الآن اكثر من ١٧٠ مليونًا لان الزيادة السنوية اكثر من واحد في المئة

وكانت مساحة مملكة الروس حينما تولاها الملك ميخائيل الاول نحو مليون وربع من الاميال المربعة واكثرها قفار شاسعة لا ساكن فيها او فيها قبائل رحَّل فاصبحت مساحتها الآن ثمانية ملايين و٦٤٧ الفاً من الاميال المربعة ولا تزال فيها قفار شاسعة قليلة السكان ولا سيما في سيبيريا ولكن مساحة الارض زادت اقل من ستة اضعاف واما عدد السكان فصار سبعة عشر ضعفاً

ولم نقف على دخل الحكومة الروسية في عهد الملك ميخائيل لما كان عدد سكانها عشرة ملايين ولكن لما كان عدد السكان ثلاثين مليوناً سنة ١٧٩٠ كان دخل الحكومة ٤٥ مليون روبل او نحو سبعة ملايين من الجنيهات ولذلك نرجح انهُ لم يزد على مليونين او ثلاثة من الجنيهات سنة ١٦١٣ وهو الآن اكثر من ٢٧٠ مليوناً من الجنيهات اي انهُ زاد اكثر من مئة ضعف وهو لا يزيد كذلك الاَّ اذا زادت ثروة البلاد زيادة تناسبهُ

وقد رأينا ان نلخص تاريخ بلاد الروس في الصفحات التالية ونقتصر على ما فيهِ عبرة للباحث في تاريخ الامم فنقول

كانت بلاد الروس في سالف عهدها امارات صغيرة مستقلة ولا يعرف الآن من تاريخها حينئذٍ شيء الاَّ ما كتبهُ عنها راهب اسمهُ نسطور فقال ان القبائل التي كانت تسكن الغابات حول بحيرة المن وبحيرة لادوغا في الشمال الغربي من روسيا كانت تدفع الجزية لامراء جاءوها من بلاد روس (والمظنون ان بلاد روس هذه هي اسوج). وسنة ٨٥٩ طردت تلك القبائل اولئك الامراء ولكن قام النزاع بينها فعادت واستدعتهم اليها بعد ثلاث سنوات لكي يتولوا امرها. فجاء منهم ثلاثة اخوة وهم رورك وسنيوس وتروفر ونشأت منهم دولة في البلاد يقال ان كثيرين من امراء الروس الآن متسلسلون منها. واقام رورك قرب بحيرة المن وبنى هناك عاصمتهُ ومنها كان يأتي حراس ملوك القسطنطينية. وهو الملك الاول من ملوك الروس

ولم يكتفِ اولاد هؤلاء الامراء بالاستيلاء على القبائل التي استدعتهم بل دوخوا ما حولهم من البلاد قبل ان يمرَّ قرنان عليهم وجعلوا مقرهم مدينة كيف لانها كانت في سكة القوافل الذاهبة الى بلاد الروم والآتية منها. ثم غزوا تخوم الروم وتهدَّدوا القسطنطينية واخذوا اخت ملك الروم زوجة لواحد منهم فتنصَّر هو وشعبهُ. وصاهروا ملوك بولندا والمجر ونروج وفرنسا. لكن احوال البلاد الداخلية لم تكن منتظمة لان بيت رورك حسب البلاد كلها ملكاً لهُ فصار كل واحد من اعضائهِ يحسب ان لهُ قسماً منها فتجزأت الى امارات لا تجمعها جامعة الاَّ كون الامراء من بيت واحد وانهم تحت سلطة صاحب كيف ام مدائن الروس.

ولم تكن الخلافة في اولاد صاحب كيف بل كانت لاكبر الامراء سنًّا وكذا الحال في كل امارة من الامارات فينتقل الامراء من امارة الى اخرى فنشأت بينهم الخصومات والمنازعات. واخر امير من امراء كيف حفظ تقاليد السلف هو الامير يروسلاف الملقب بالعظيم الذي توفي سنة ١٠٥٤ و بعد وفاته كثرت المنازعات مدة ١٧٠ سنة وتمزقت المملكة كل ممزق واضطر كثيرون من السكان الى المهاجرة شمالاً فعظم شأن موسكو ونوفغورود وغيرهما من المدن الشمالية. وكثرت المنافسة بين هاتين المدينتين وكثيراً ما كان امراؤهما يتقاضيان الى السيف و يشترك معهما سائر الامراء. و بينما هم كذلك في خصام مستمر جاءهم التتار المغول في اوائل القرن الثالث عشر ودوّخوا بلادهم واقاموا فيها و بنوا لهم عاصمة في الجهة الجنوبية منها سموها سراي وضرب خاناتهم الجزية على امراء الروس. وقوي شأن امراء موسكو في هذه المدة لانهم عرفوا كيف يسترضون خانات التتار و يجمعون لهم الجزية من سائر الامراء. ثم قام منهم امير اسمهُ ديمتري دنسكوي حارب التتار وتغلَّب عليهم في معركة مشهورة فلقب امير روسيا كلها. ولكن بلاد الروس لم تخضع كلها لامير موسكو الأ في عهد ايڤان الثالث وابنهِ باسيليوس وحفيدهِ ايڤان الرابع الملقب بالرهيب كما سيجيء

ثم انقسمت مملكة التتار الى خانات صغيرة وجعل كلٌّ منها يناوئ الآخر فتغلب الروس عليهم بالسياسة و بمعاونة بعضهم على البعض الآخر حتى خلعوا نيرهم. وجعل امراء موسكو يوسعون تخومهم الى ان خضعت لهم امارات الروس كلها. ولقَّب هؤلاء الامراء انفسهم قياصرة وكانوا قد تنصروا وجاءهم الكهنة من القسطنطينية وعلموهم ادارة شؤون الملك فتشبهوا بقياصرة الروم في حسبانهم انفسهم مختارين من الله للسلطة على شعبهِ. حتى اذا انقرضت دولة الروم من القسطنطينية حسبوا ان حماية الكنيسة الارثوذكسية انتقلت اليهم. وعاشوا في قصورهم عيشة القياصرة والاحبار حتى طلب باسيليوس بن ايڤان الثالث من رؤساء الدين ان يخضعوا لهُ خضوعاً تاماً وعزل المتروبوليت وكان اكبر اسقف في الكنيسة الروسية. وذهب سيموند فون هربرستين سفيراً الى موسكو من قبل النمسا في ذلك العهد وقال انهُ ما من ملك في اوربا يطيعهُ شعبهُ اكثر مما يطيع الروس ملكهم وان في بلاط ذلك الملك من الابهة ما يقضي بالعجب وفي قصرهِ عدداً عديداً من الخدم والحشم والامراء ولهُ حرس من اولاد الاشراف بالحلل الفاخرة والاسلحة المفضضة

واقدر هؤلاء القياصرة ايڤان الرابع الملقب بالرهيب وقد توفي ابوهُ وهو حدث فكفلتهُ امهُ وادارت دفة المملكة بيد ضعيفة ثم سلمتها لبعض الاتباع. و يقال ان مخايل

النجابة بدت عليهِ في حداثتهِ . ويروى عنهُ انهُ جمع هؤُلاء الاتباع وهو حدث ووبخهم على اختلاسهم اموال الخزينة وظلمهم للرعية ثم امر بواحد منهم وهو الامير شوسكي ان يربط و يطرح للكلاب فمزقت بدنهُ وصار عبرةً لغيرهِ . لكنهُ لم يستطع ان يصلح احكام البلاد لصغر سنهِ لانهُ كان لا يزال في الثالثة عشرة من العمر فلما صار لهُ سبع عشرة سنة طلب من رئيس الاساقفة ان يتوجهُ قيصراً على روسيا كلها لا اميراً على موسكو كما كان يتتوج اسلافهُ وكان ذلك سنة ١٥٤٧

وحدث بعد بضعة اشهر ان شبت النار في موسكو وكادت تحرقها كلها وثار الغوغاء فقُتل عمُّ القيصر في ثورتهم فحسب ان ذلك عقاب لهُ عاقبهُ بهِ الله لتغاضيهِ عن شؤُون مملكتهِ فجعل ينظر في امورها كلها بمساعدة كاهن حسن الروية بعيد النظر اسمهُ سلفستر ورجل من الاتباع اسمهُ اداشف و بمشورتهما تمكن من تقييد سلطة الامراء والعدل في الرعية . وظلَّ على ذلك اربع عشرة سنة . ثم انتقل فجأَةً من اللين الى الشدة لسبب مجهول فحكم البلاد بيد من حديد اربعاً وعشرين سنة حتى لُقّب بالرهيب فقتل كثيرين من الخاصة والعامة عفواً ولما خاف غيرهم من الامراء شرَّهُ وهربوا منهُ والتجأُوا الى صاحب لثوانيا اوجس شرًّا من البقية فاستخدم كثيرين من الاعوان الذين لا يخالفون لهُ امراً حتى بلغ عددهم ستة آلاف ويقال انهُ زحف بهم على امارة نوفغورود وقتل من اهلها ستين الفاً و بينهم كثير من النساء والاولاد . ومن المحتمل ان الذين ذكروا ذلك بالغوا في عدد القتلى ولكن وُجد في دير مار كيرلُّس اسماء ٣٤٧٠ من القتلى الذين طلب من الكنيسة ان تصلي عن ارواحهم . وهناك صلاة يقال فيها اذكر يا رب نفوس عبيدك النوفغوروديين الذين عددهم ١٥٠٥ . ويقال في سجلات نوفغورود انهُ كان يقتل احياناً ١٥٠٠ نفس في اليوم الواحد

وجعل الروس في زمن ايفان الرابع ينتشرون في البلاد المجاورة لبلادهم كما يفعل سكان الولايات المتحدة الآن واضطروا ان يحاربوا سكانها الاصليين او يدفعوا مَن جاورها عنها فتألفت منهم عصابات مسلحة لهذه الغاية وهم القزاق الذين اشتهر اسمهم في تاريخ روسيا واكثر معيشتهم من مواشيهم وغزو البلاد التي حولهم وكثيراً ما كانوا يغزون المدن التي ينتظر منهم حمايتها كما يغزون القبائل التي يراد ان يحموها منهم . وخضع بعضهم لقيصر الروس و بعضهم لملك بولندا حسب البلاد التي اقاموا فيها الى ان صارت البلاد كلها لروسيا فصاروا من رعاياها

وكان امر خانات التتار قد ضعف على ما تقدم فاستولى ايفان على خانتي قازان واسترخان وضرب الجزية على البشكير وحارب اسوج وبولندا لكي يوصل روسيا بالبحر و يوسع تجارتها

ويجلب من اوربا الاسلحة والصنّاع لان ملوك اسوج وبولندا كانوا يحظرون على التجار المجيء بالاسلحة الى بلاد الروس كما يحظر الاور بيون اليوم جلب الاسلحة الى قبائل افريقية . قال احد ملوك بولونيا للتجارة الانكليز الذين كانوا يجلبون الاسلحة « ان الروس الذين هم خصومنا اليوم واعداء كل الامم الحرة غداً يجب ان لا يعطوا مدافع وقنابل ولا صناعاً يصنعون لهم الاسلحة » . وهذا ما دعا ايڤان الرابع الى بذل جهده للوصول الى السواحل البحرية . وكان جدهُ قد اتى بالصناع من البندقية فبنوا لهُ القصور والكنائس وسبكوا الاجراس والمدافع فحاول الاقتداء بهِ وجلب الصناع من المانيا فلم يفلح ولكن جاءهُ الفرج من حيث لم يكن ينتظر فان سفينة انكليزية كانت تحاول الوصول الى الصين بالسير في الدائرة الشمالية فوصلت الى مرفإ دڤينا في شمال روسيا وذهب ربانها الى موسكو فقابلهُ القيصر بالاكرام ومن ثم ارسلت انكلترا سفيراً الى روسيا واتصلت ربط التجارة بينهما . ولكن ميناء دڤينا في البحر الابيض الشمالي وهو يجلد اكثر شهور السنة فرأى القيصر ايڤان ان لا بدَّ لهُ من الاستيلاء على بلاد ليثوانيا فانتصرت لها بولندا واسوج فحاربهما ولم يفلح . ولما توفي خلفهُ ابنهُ ثيودور وكان ضعيف العزيمة على حسن سلوكهِ وكان لهُ صهر همام اسمهُ لوريس غودونوف فاستعان بهِ فوضع في روسيا نظام استعباد الفلاحين اي تقييدهم بالارض التي يعملون فيها فيباعون ويُشترون معها وجعلها بطريركية مستقلة عن بطريركية القسطنطينية

وتوفي ثيودور بلا عقب فخلفهُ صهرهُ بوريس غودونوف لكن الزمان لم يصفُ لهُ فحدث في البلاد جوع ووباء وثار عليهِ الخاصة والعامة وكان للقيصر ايڤان الرابع اخ اسمهُ ديمتري قُتل صغيراً فقام رجل وادعى انهُ هو ديمتري هذا ودخل روسيا بجيش من مسترزقة الالمان والبولنديين واستتبَّ لهُ الامر فيها بعد موت بوريس ولكن لم تمرَّ سنة حتى ثار عليهِ رجل من الاشراف اسمهُ باسيليوس شوسكي فقُتل في الكرملين ونودي بشوسكي قيصراً . ثم قام رجل آخر ادعى انهُ ديمتري ابن القيصر ايڤان واضطرَّ شوسكي الى التنازل لهُ بمساعدة ملك بولندا . ثم جعل ملك بولندا ابنهُ ملكاً على روسيا فرضي اهل موسكو بذلك على شرط ان يبقى مذهب البلاد الارثوذكسية ولكن ظهر ان ملك بولندا يريد الملك لنفسهِ لا لابنهِ وجاء اهالي اسوج برجل ثالث ادعوا انهُ ديمتري المقتول وحينئذٍ دبَّت النخوة الوطنية في نفوس الروس فنهضوا بقيادة رجل اسمهُ منين وامير اسمهُ بوشارسكي وطردوا كل المتطالبين الى مملكة الروس وجمعوا الجمعية العمومية واختاروا ميخائيل رومانوف قيصراً لهم وبهِ ابتدأت دولة رومانوف الحالية كما سيجيء

التهويل بابي الهول

ابو الهول تمثال كبير على ربع ميل من الهرم الاكبر من اهرام الجيزة الى الجنوب الشرقي منهُ لهُ رأس انسان و بدن اسد رابض. طولهُ ١٧٢ قدماً ونصف قدم وارتفاعهُ ٥٦ قدماً. لم يذكرهُ هيرودوتس المؤرخ على اسهابهِ في ذكر المنشآت المصرية ولكن ذكرهُ بلينيوس المؤرخ فقال « وامام الاهرام السفنكس وهو من آيات الصناعة ولكن امرهُ مكتوم لان لهُ في عيون السكان مقاماً دينياً وهم يعتقدون ان هرمس دفن فيهِ وانهُ أُتي بهِ من مكانٍ بعيد. والواقع انهُ منحوت من صخر طبيعي ولاحترامهم لهُ دهنوا وجههُ دهاناً احمر. محيط رأسهِ عند صدغيهِ مئة قدم وقدمان وطول يديهِ مئة وثلاث واربعون قدماً وارتفاعهُ من بطنهِ الى رأس الصل الذي فوق جبهتهِ اثنتان وسبعون قدماً »

وقال المقريزي في خططهِ « هذا الصنم بين الهرمين عرف اولاً ببلهيب[1] وتقول اهل مصر اليوم ابو الهول. قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلهو به صنم كبير من حجارة في ما بين الهرمين لا يظهر منهُ سوى رأسهِ فقط تسميهِ العامة بابي الهول و يقال بلهيب و يقال انهُ طلسم للرمل لئلا يغلب على ابليز الجيزة » انتهى ما نقلهُ المقريزي

وقال عبد اللطيف البغدادي في القرن السادس للهجرة بعد وصفهِ الاهرام ما نصهُ « وعند هذه الاهرام باكثر من غلوة صورة رأس وعنق بارزة من الارض في غاية العظم يسميهِ الناس ابا الهول ويزعمون ان جثتهُ مدفونة تحت الارض و يقتضي القياس ان تكون جثتهُ بالنسبة الى رأسهِ سبعين ذراعاً فصاعداً. وفي وجههِ حمرة ودهان احمر يلمع عليهِ رونق الطراءة. وهو حسنُ الصورة مقبولها عليهِ مسحة بهاء وجمال كأنهُ يضحك تبسماً. وسألني بعض الفضلاء ما اعجب ما رأيت فقلت تناسب وجه ابي الهول فان اعضاء وجههِ كالانف والعين والاذن متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة. والعجب من مصورهِ كيف قدر ان يحفظ نظام التناسب في الاعضاء مع عظمها. وانهُ ليس في اعمال الطبيعة ما يحاكيهِ »

و بقي بدن ابي الهول مطموراً بالرمل الى سنة ١٨١٧ حينما اخذ المسيو كافجليا احد الباحثين عن الآثار المصرية برفع الرمل عنهُ فاكتشف بين يديهِ مذبحاً من الغرانيت الاحمر

(١) واسم ابي الهول في اللغة المصرية القديمة « هو » يعنون بهِ الشمس الطالعة او شمس الافق او اله الصباح وتضاف اليه لفظة با او اب او بو ومعناها بيت او مكان او معبد فيصير بهواي بيت اله الصباح او مكانهُ او معبدهُ ولذلك فالكلمة التي قال المقريزي انها اسم ابي الهول هي الكلمة المصرية القديمة محرفة. وحبذا لو رجعنا اليها فترجمنا كلمة سفنكس بها فانهُ يسهل جمعها واضافتها كالاسماء العربية

وامام صدره صفيحة كبيرة من الغرانيت ارتفاعها ١٤ قدماً نقش عليها كيف ازال الملك تحتمس الرابع الرمل الذي كان يغمر بدنهُ . وفي اعلى هذه الصفيحة الرسم المرسوم في اعلى الشكل المقابل وفيهِ صورة هذا الملك يقدم الطيوب و يسكب السكائب لاسدين رابضين لكلٍّ منهما رأس انسان . و بين الاسدين كتابة هيروغليفية يقال فيها ما ترجمتهُ : « لقد سمحت ان ينتصب رامن خبروتحوتي مس خاخاو كالشمس على عرش الاله سب و يبلغ مقام الاله تم »

وفوق احد الاسدين كتابة يقال فيها « اني انصر سيد القطرين تحتمس الذي يطلع مثل الشمس » . وفوق الآخر كتابة اخرى يقال فيها « اني اعطي الحياة والقوة لسيد القطرين تحتمس الذي يطلع مثل الشمس » وتحت هذه الصورة كتابات هيروغليفية مفادها ان هذه الصفيحة اقيمت في اليوم التاسع عشر من الشهر الثالث من فصل شات في السنة الاولى من مُلك الملك . ثم يقال فيها « ان جلالتهُ كان مثل الطفل هورس بين الخلفاء وقد خرج للصيد متنزهاً في القفر الذي حول منف وفي طرقهِ الذاهبة شمالاً وجنوباً لكي يتمرن على رمي السهام التي رؤُوسها من نحاس فاصطاد الاسود والغزلان في الجبال وسار في مركبتهِ التي تجرها خيول اسرع من النسيم وكان معهُ اثنان من اعوانهِ ولم يعرف احد الى اين ذهب معها . ولما حان الوقت ليستريح خادماهُ ودَّ ان يقوم بفرض العبادة لهرمخت[1] في معبد صقر في العالم السفلي و يقدم تقدمة من الدقيق و يدعو للالهة ايسس سيدة السور الشمالي والسور الجنوبي ولسخت الخويسي ولست . وكان هنالك طلسم منذ الازل يمتدُّ الى كل البلاد حتى خرهوت حيث طريق الالهة الى اقصى السماء الغربي » الى ان يقول :— ان الملك كان يصطاد قرب الظهر فجلس يستريح في ظل ابي الهول فغلب عليهِ النعاس ونام وحلم لما بلغت الشمس الهاجرة ان الاله اباهُ جاءهُ وقال لهُ اني اجلسك على عرشي واملكك على شعبي واضع على رأسك تاجي الجنوب والشمال (الوجه القبلي والوجه البحري) فتصير لك كل البلدان التي تشرق عليها الشمس وتأتيك الجزية من اقاصيها وتعيش سنين لا تحصى ولكن الرمال تحدق بي وتغطيني فقل لي انك تفعل ما اطلبهُ منك وحينئذٍ اعلم انك ابني حقاً الذي يساعدني . ادنُ مني فاكون معك وارشدك » . والصفيحة مكسورة هناك لا تعلم تتمتها

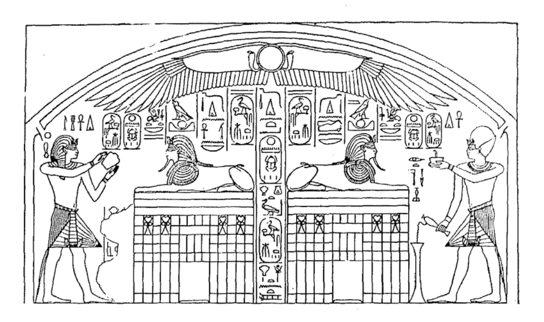
(١) والظاهر ان كلمة هرم العربية محرفة من كلمة هرمخت او هرمخس المصرية ومعناها شمس الافق التي كان هذا التمثال يرمز اليها . وما اكثر الكلمات التي نحسبها من صميم العربية وهي مصرية الاصل لان العربَ لم يعنوا بتدوين لسانهم الاَّ بعد ان اقاموا في هذا القطر مئاتٍ من السنين واختلطت لغتهم بلغة اهلهِ

ولكن يقال في الكتابة الباقية ان الملك خفرا هو الذي نحت ابا الهول وانهُ جعلهُ للاله تمو هرمخس او هرمخت

اي ان الكهنة الذين كانوا في زمن الدولة الثامنة عشرة قالوا لاحد ملوكها ان الملك خفرا باني الهرم الثاني هو الذي نحت ابا الهول وجعلهُ تمثالاً لتمو هرمخت واقنعوهُ لكي يزيل الرمال التي غطتهُ ففعل ونُصّب على عرش ابيهِ

وعادت الرمال فطمرت ابا الهول فرآهُ بلينيوس وعبد اللطيف البغدادي مطموراً والظاهر انهُ بقي كذلك الى عهد المسيو كافيجليا فازال الرمال عنهُ كما تقدم . ثم طمر ثالثة وبقي مطموراً الى عهد مريت باشا فازال الرمال ووصل الى الصخر ولم نسمع عنهُ شيئاً يذكر بعد ذلك الى الشهر الماضي فاذاعت الجرائد انهُ كُشف في جوفهِ هيكل كبير وفي اسفلهِ قبر الملك مينا اول الملوك المصريين . وقبل ان مكنتنا الفرصة من الذهاب اليهِ ورؤية ما كشف فيهِ جاءتنا جريدة السفير الانكليزية المصورة وفيها الصورة التي نقلناها عنها ونشرناها في صدر هذه المقالة تحت رسم الصفيحة المشار اليها آنفاً . ويقال في جريدة السفير ان الاستاذ ريزنر وجد رملاً في قمة رأس ابي الهول فحفرهُ ووجد تحتهُ قطعاً من الحجارة فاستخرجها واذا غرفة كبيرة في اعلى رأس ابي الهول طولها ٦٠ قدماً وعرضها ١٤ قدماً يوصل منها بسلم الى هيكل اكبر منها جدًّا كما ترى في الرسم ومن هناك ينزل سلم طويل الى بدن الاسد وفيهِ هيكل من اكبر الهياكل بالقياس على الهيكل الذي في رأسهِ . ومن رأي الاستاذ ريزنر انهُ كان يوصل الى هذا الهيكل من الاسفل وان الهيكل الذي في رأس التمثال هو قدس الاقداس بالنسبة اليهِ . وينزل منهُ بسلمين الواحد يصل الى فسحة هرمية فيها قبر الملك مينا والثاني الى الهيكل الذي بين يدي الاسد . ويقال هناك ان الهيكل الكبير واصل الى ما تحت بدن الاسد وفيهِ كثير من الاعمدة والنقوش المصرية والادوات الذهبية وهو لعبادة الشمس ويظن الاستاذ ريزنر ان هناك طرقاً توصل الى مدينة تحت الارض كانت مسكونة في غابر الزمن ثم سفت عليها الرمال وطمرتها ونسي امرها

ونشرت الاجبشين غازت في ٧ فبراير ما هو اغرب من ذلك جدًّا حتى جعلت المدينة التي تحت التمثال من الذهب الابريز وقد نشرت ذلك هي والسفير وسائر الجرائد كأنهُ من المكتشفات التي لا ريب فيها . والحقيقة انهُ تهويل بتهويل واخبار ملفقة لا اصل لها على الاطلاق . ثم ان قطر رأس ابي الهول نحو ثلاثين قدماً فكيف يصدق احد انهُ يسع هيكلاً طول غرفتهِ الامامية ستون قدماً ولكن الاكاذيب تروج اكثر من الحقائق



صفيحة تحتمس الثالث



الهيكل الذي زعموا انهُ وجد في ابي الهول

اصل الاسبوع

لقد كان القمر اول الاجرام الفلكية التي اجتذبت انظار الناس لكثرة تقلبهِ وغرابة اطوارهِ فانهم رأوهُ يبدو هلالاً ويكبر حتى يكتمل ثم يأخذ في التناقص الى ان يختفي كأنهُ حي لهُ عمر محدود نحو ٢٨ يوماً فاخذوا يقسمون الزمن الى شهور قمرية اي الى مدد متساوية حسب ظهور القمر واختفائهِ

ثم اهتدوا الى حساب السنين مما رأوهُ حولهم من توالي الفصول وخبوّ الحياة النباتية وتجددها وانتقال الشمس في الابراج . اما حساب الاسابيع فلم يهتدوا اليهِ الاَّ بعد زمن طويل وذلك لانهم لم يروا في الطبيعة حادثاً يتكرر في مدة اطول من اليوم واقصر من الشهر

ولا غرابة اذا بدأ الناس يقيسون الوقت بحركات القمر والشمس فانها منتظمة تجري على وتيرة واحدة لا تشذ عنها عدا عن ان القدماء نسبوا اليها ما يجري في الكون من الامور الخطيرة لما رأوهُ من بهائهما وامتيازهما على كل الكواكب

يتضح مما تقدم انهُ اذا اختلفت الامم في طول الشهر والسنة فلا يكون الاختلاف كبيراً لان المقياس الذي يقاس بهِ كلٌّ منهما طبيعي لا يتغير . اما الاسبوع فلا يتحدد عدد ايامهِ بحادث طبيعي كما تقدم ولم يكن لهُ اصل واحد عند جميع الامم ولذلك كان الاختلاف فيهِ كبيراً

فقبائل افريقية مختلفة في تقسيم الشهر الى اقسام فبعضها يجعل القسم منها ثلاثة ايام وبعضها اربعة وبعضها خمسة وبعضها اكثر من ذلك . ويتوقف عدد ايام الاسبوع عندهم في الاكثر على الاسواق التي يقيمونها . فالقبيلة التي تقيم سوقاً كل اربعة ايام يكون الاسبوع عندها اربعة ايام ايضاً . ومثل ذلك يقال في القبائل التي تقيم الاسواق كل خمسة ايام او ستة وهلمَّ جرًّا . والغالب عندهم ان يطلقوا على كل يوم من اسبوعهم اسم السوق التي يشهدونها ذلك اليوم . ففي لغات بعض القبائل في جوار الكونغو اسم الاسبوع مثل اسم السوق . والاسبوع عند اهل تبت والصين مؤلف من خمسة ايام يسمونها حسب العناصر وهي عندهم الحديد والخشب والماء والريش والتراب

غير انهُ لما كان الناس يقسمون الزمان اشهراً متساوية اخذ بعضهم يقسمون الشهر الى اقسام متساوية . فقسمهُ البعض الى قسمين وقسمهُ غيرهم الى اربعة او ستة وهلمَّ جرًّا فكانت

الاقسام الاكثر شيوعاً هي التي توافق اوجه القمر والقسم منها سبعة ايام . ولا يزال كثير من الناس يقسمون الشهر القمري الى ارباع الى يومنا هذا . ويتلو ذلك في كثرة الشيوع الاسابيع التي تقسم ايام الشهر الى خمسات او عشرات لان الانسان يعدُّ باصابع يدهِ او يديهِ كلما اراد العد او الحساب

وقد جاء في فصل كتبهُ الكولونل الس « ان الشهر عند اهالي ايبو في الاقسام السفلى من النيجر ثمانية وعشرون يوماً ويقسم الى سبعة اسابيع كل منها اربعة ايام . والاسبوع عند اهل الكونغو مثل اسبوع هؤلاء

وقال ده فاتيا ان اهل سوفالا في شرق افريقية يحسبون الشهر ثلاثين يوماً ويقسمونهُ الى ثلاثة اسابيع في كل منها عشرة ايام الاَّ انهُ ذكر بعد ذلك ان اليوم الاول من الاسبوع الاول عندهم عيد الهلال ولعلهُ اراد ان كلاً من الاسبوعين الاولين يتألف من عشرة ايام كاملة اما الاسبوع الثالث فينتهي بظهور القمر الجديد . وكان اليونان يجعلون الشهر ثلاثين يوماً ويقسمونهُ الى ثلاثة اسابيع في كل منها عشرة ايام. وقبائل الاَّهانتا في شاطئ الذهب يجعلون كلاًّ من الاسبوعين الاولين عشرة ايام والاسبوع الثالث ما بقي من الشهر القمري ويطلقون على الاسبوع الاول اسم أداي ويتفاءلون بهِ وعلى الثاني اجاين فو ويتشاءمون منهُ وعلى الثالث اديم ويعتقدون انهُ بين الاثنين لاسعد ولا نحس. واليوروبا من شاطىء الرقيق في غرب افريقية يحسبون الوقت ليالي واقماراً ويتألف القمر عندهم من ستة اقسام في كلٍّ منها خمسة ايام الاَّ السادس فانهُ يتألف من اربعة ايام وبعض اليوم . وقد كان اهالي جزيرة جاوى يقسمون الشهر الى ستة اقسام في كل منها خمسة ايام الى ان اتاهم العرب بالاسبوع المؤلف من سبعة ايام »

اما الاسبوع الذي شاع اكثر من غيرهِ فهو الاسبوع المؤلف من سبعة ايام ويرجح ان اول من وضع الحساب بهِ الكلدان ثم اخذتهُ عنهم سائر الامم في جملة ما اخذت من علومهم. وقد كان المصريون القدماء يقسمون الشهر الى اقسام كل منها سبعة ايام الاَّ انهم اخذوا اسماء الايام من الكلدانيين بعد بدء التاريخ المسيحي ومنهم اتصلت الى الرومان

وقد يستفاد من التوراة ان اصل الاسبوع من بدء الخليقة او من خروج العبرانيين من مصر غير ان يوسيفوس وغيرهُ من الكتبة يقولون انهُ ليس من اصل عبراني

وليس لدينا ادلة كافية على السبب الذي حدا بالكلدنيين الى جعل الاسبوع سبعة ايام ولعلهم قسموا الشهر القمري في اول الامر الى قسمين يبدأُ الاول منهما من ليلة ظهور القمر

وينتهي ليلة اكتمالهِ ومن ثم يبتدئ القسم الثاني وينتهي بظهور القمر الجديد ثم قسموا كلاً من هذين النصفين الى قسمين ايضاً اي قسموا الشهر القمري الى ارباع كما يفعل كثيرون حتى الآن

وذهب البعض الى ان الكلدان جعلوا ايام الاسبوع سبعة مثل عدد السيارات السبعة التي كانت معروفة عندهم واستدلوا على صحة ذلك باسماء الايام في الكلدانية فانها مثل اسماء السيارات غير ان ترتيب الايام لا ينطبق على ترتيب السيارات كما اورده الكلدان . فانهم رتبوا السيارات حسب البعد هكذا — زحل فالمشتري فالمريخ فالشمس فالزهرة فعطارد فالقمر . اما ترتيب ايام الاسبوع فكان هكذا — زحل فالشمس فالقمر فالمريخ فعطارد فالمشتري فالزهرة

ولكن وجدت كتابات كلدانية تدل على انهم كانوا يخصصون كل ساعة من ساعات النهار بواحد من السيارات و يطلقون على اليوم اسم السيار الذي تختص بهِ الساعة الاولى منهُ وعليهِ تكون الساعة الاولى من اليوم الاول لزحل والثانية للمشتري والثالثة للمريخ وهلمَّ جرًّا الى آخر السيارات فاذا انتهت اعيد الدور ثانية فتكون الساعة الثامنة ايضاً لزحل ومثلها الخامسة عشرة والثانية والعشرون. والساعة التاسعة للمشتري ومثلها السادسة عشرة والثالثة والعشرون . واذا توبع هذا النظام بدون انقطاع كانت الساعة الاولى من اليوم الثاني للشمس والساعة الاولى من اليوم الثالث للقمر وهلمَّ جرًّا حسب ترتيب السيارات كما وردت في اسماء ايام الاسبوع

وسواء كان الكلدان قد قسموا الايام الى سبعات لان عدد السيارات سبعة او انهم قسموها اولاً الى سبعات لاسباب اخرى ثم اطلقوا على كل يوم منها اسم واحد من السيارات فهم واضعو الاسابيع ومنهم اخذتها سائر الامم

واسماء الايام في العربية مشتقة من الاعداد فاليوم الاول يسمى الاحد والثاني الاثنين والثالث الثلاثاء وهلمَّ جرًّا الى السادس فيسمى الجمعة للاجتماع فيهِ للصلاة والسابع فيسمى السبت وهي لفظة عبرانية معناها الراحة . اما في الجاهلية فكانت لها اسماء غير هذه جمعها الشاعر بقولهِ

علمت بان اموت وان موتي بأَوهد او باهون او جبار
او التالي دبارِ او بواسيف بمونس او عروبة او شيار

ولم نرَ لاحد حتى الآن بحثاً في اصل هذه الاسماء وسنبحث عنهُ في فرصة اخرى

حمى مالطة

انتشرت هذه الحمى في القاهرة في السنين الاخيرة وقد شاهدت حوادث عديدة منها في الجيش و بين الاهالي فاحببت ان اذكر نتيجة اخباري مقتطفاً ايضاً شذرات من تقارير الاطباء الاختصاصيين[1] ولاسيما اعضاء اللجنة الملكية التي ارسلت من بلاد الانكليز الى جزيرة مالطة لدرس هذه الحمى اذ كانت متفشية في الجيش الانكليزي المقيم هناك

وصف مختصر

هي حمَّى تطول مدتها من بضعة اسابيع الى بضعة اشهر ويصحبها عرق غزير وامساك واوجاع عصبية وروماتزمية وورم في الخصيتين والمفاصل وتضخم في الطحال والكبد والوفيات فيها قليلة والنكسات متعددة و يصاحبها ايضاً ضعف دم زائد (انيميا)

تاريخها — جاء في كلام ابقراط عن الاوبئة وصف ينطبق تماماً على هذه الحمى · اما تاريخها الحديث فيرجع الى اوائل القرن الماضي حيث ورد ذكرها في تقارير رجال البحرية والحربية الانكليزية ولكنهم كانوا يعدونها من نوع الملاريا المتقطعة ويقولون انهُ يصاحبها اوجاع روماتزمية ولم يُفصل بينها وبين الملاريا الاَّ بعد حرب القرم اذ صاروا يعدونها نوعاً مستقلاً بذاته

ومن سنة ١٩٠٤ الى سنة ١٩٠٦ ارسلت الحكومة الانكليزية بعثات طبية الى جزيرة مالطة للبحث فيها بناء على طلب وزارتي البحرية والحربية لانها كانت متفشية في حامية تلك الجزيرة . واذا علمنا ان المريض بها لا يشفى الاَّ بعد مرور الاسابيع والشهور عرفنا مبلغ تأثيرها في اضعاف قوة الحامية التي يصاب ثلثها او ربعها بهذه الحمى · وقد توصلت اللجنة الانكليزية الى اكتشافات مهمة

اما كون هذه الحمى غير مقتصرة على مالطة فواضح مما يلي ففي جبل طارق حمى اعراضها تشابه هذه تماماً يصاب بها العساكر المقيمون هناك و يطلقون عليها اسم الحمى الصخرية · وفي قبرس وجزيرة كريت حمى تقرب منها . و بعض الاطباء الايطاليين وصفوا نوعاً من الحمى يشبهها كثيراً في نابلي وقطانيا (Catania) من جزيرة صقلية

وقد ذكر الدكتور باترسن ان هذا النوع من الحمى موجود في القسطنطينية حيث تدعى

(١) الاحصائيات المدونة هنا معربة عن مقالة للدكتور لابن نوطر

حمى القرى . وفي كريت يطلق عليها اسم حمى ايطاليا . و بالاختصار ان جمهوراً كبيراً من الاطباء ذكروا هذه الحمى وفصّلوا اعراضها . و يظهر من تقاريرهم انها منتشرة في كل سواحل البحر المتوسط وفي سواكن ومصوع على البحر الاحمر وعلى ضفاف نهر الدانيوب وفي الصين والهند وجزائر فيجي واميركا الشمالية وجزر الهند الغربية واميركا الجنوبية . فترى من هذا انها منتشرة في قسم كبير من المنطقة المعتدلة

ولم يعرف عنها شيء حتى نشر الدكتور بروس نتيجة ابحاثه عنها سنة ١٨٨٧

وقد كان الرأي الشائع انها تحدث من القذارة والسكن في المحلات الواطئة الرطبة . وهي تزيد صيفاً وتخبو شتاء

لم يوجد مكروب الحمى المالطية في غير الحيوانات ذات الدم الحار . والاعضاء التي وُجد المكروب فيها هي الطحال والكبد والكليتان والغدد اللمفاوية والغدد اللعابية والدم والصفراء ولكنهُ لم يوجد في الامعاء (الكبتن كندي)

وقد بحث اعضاء اللجنة الملكية المشار اليهم آنفاً بحثاً دقيقاً في الطرق التي بها ينتقل المكروب فحصوا الهواء الخارج بالتنفس فلم يجدوهُ فيهِ ولا في العرق ولا في البصاق ولا في القشور التي تحك من الجلد ولا في المبرزات ولكنهم وجدوهُ في البول فان الماجور هاروكس فحص بول ١٣ مريضاً ٣٩ مرة فوجد المكروب فيهِ كل مرة . ولم يجدهُ قبل اليوم الخامس عشر من ابتداء المرض ولا بعد اليوم الثاني والثمانين

وفحص الكبتن كندي بول ٦١ مريضاً فوجد المكروب في بول ٣٣ منهم ولم يعثر عليهِ الأ بعد ابتداء المرض بواحد وعشرين يوماً ولكنهُ رآهُ في البول في اليوم المئتين والتاسع والاربعين بعد ابتداء الحمى . ووجدتهُ انا في بول مريض في القاهرة في اليوم المئة والتسعين بعد ظهور العلة فيهِ

فيستدل من هذا على ان مكروب الحمى المالطية يبدأ بترك الجسم عن طريق الكليتين في البول من اليوم الخامس عشر الى ما بعد النقه . و ينتقل بواسطة اخرى وهي اللبن فقد اوضح الماجور هاروكس باجلى بيان ان لبن المعزى والبقر يحتوي على المكروب واذا كان الامر كذلك فليس ما يمنع وجودهُ في لبن الأم المريضة بهذه الحمى . وقد وجدهُ الدكتور جلمر في دم ٢٢ في المئة من المعزى والدكتور زاميت في دم ٥٤ في المئة منها

ولنأت الآن الى الطرق التي بها يدخل الجسم فقد بحثت اللجنة الملكية الانكليزية بحثاً دقيقاً في هذا الموضوع فثبت لها ان المرض لا ينتقل باللمس . ولم يقم دليل حتى الآن على انهُ

ينتقل بالغبار . وبحثت اللجنة في مياه الشرب والثلج والمياه الغازية المستعملة للشرب ايضاً فرأت انها لا تحمل مكروب الحمى

بقي مسألة اللبن والمرجح انهُ الواسطة الوحيدة لنقل العدوى فقد فحصوا اولاً دم المعزى على طريقة ڤيدال فوجدوا ان ٥٠ في المئة منها مصاب بهذه الحمى ورأوا المكروب في لبن عشرة في المئة منها وتبين لهم انهُ يبقى في جسم الماعز ثلاثة اشهر قبل ان تظهر عليهِ اعراض المرض او ان يحدث اي تغيير في اللبن نفسهِ . وقد سقوا قروداً من هذا اللبن على سبيل التجربة فظهرت عليها اعراض المرض والمرجح ان ما يصيب القرد يصيب الانسان ايضاً

اما كون العدوى تنتقل بواسطة البعوض او الناموس فلم يثبت الى الآن . ولكن الدكتور زامت ذكر انهُ عرَّض قرداً للسع بعوض قد امتص دم مصاب بالحمى فاصيب القرد بها

وتصيب الرجال والنساء والاطفال والشيوخ على حدٍّ سوى فهي تختلف بهذه المزية كل الاختلاف عن الحمى التيفويدية

ثم ان هذه الحمى تعدي بواسطة امتعة المريض وثيابهِ الملوثة ببولهِ المحتوي على الميكروب فقد فحص الماجور هاروكس ثياب العساكر المصنوعة من التيل الهندي والملاءات فوجد المكروب فيها بعد اليوم الثمانين من وقوع الاصابات والدكتور شو وجد المكروب في القمصان بعد اليوم السابع والثمانين . وعليهِ يجب الاعتناء بتطهير امتعة المريض تطهيراً كافياً

اما المكروب فسابح في الدم وهو نبات لا حيوان ويتحرك كمكروب الملاريا . ويظهر اما مستقيماً بشكل العصا او منحنياً او بهيئة عُقَد . واول من ذكرهُ الدكتور بروس (Bruce) سنة ١٨٨٧ وهذا الوصف مأخوذ عنهُ . ويتصل بعضهُ ببعض فتتكون منهُ سلاسل

اما مدة الحضانة فمختلف فيها . ولكن الدكتور تشارترس ذكر انهُ بعد دخول احدى الفرق الى قشلاق فاردالا (Vardala) في مالطة بستة ايام ابتدأت حوادث هذه الحمى تظهر في جنودها . والدكتور مارستن يقول ان مدة الحضانة عشرة ايام وذكر حادثتين تؤيدان قولهِ هذا . وفي بعض الحوادث تبدو اعراض الحمى بغتة ولكنها لا تظهر غالباً الاَّ بعد حدوث العدوى بوقتٍ طويل فلا نكون مخطئين اذا حسبنا مدة الحضانة بين ٦ ايام و١٥ يوماً وهذا رأي اكثر الباحثين

الاعراض العمومية — يسبق ظهور الحمى سوء هضم وصداع وبرد في الاطراف ووجع في الظهر وانحطاط عمومي ويصحب ذلك في اغلب الاحيان اوجاع في العضلات . وتظهر الاعراض في المعدة من بداية المرض وتستمر الى النهاية فيشعر المريض بغثيان

و يصيبهُ امساك او اسهال ويحس بالبرد وبأن الحمى تزداد يوميًا. واذا كانت الاعراض شديدة شعر بصداع شديد في مقدم رأسهِ وعافت نفسهُ الطعام حتى لا يعود يلتذ بشيء وتنقطع شهوتهُ للاكل بالكلية . ويحس دائمًا بحرارة وعطش وقلق ويستمر على هذه الحال اسبوعًا وفي اكثر الحوادث اسبوعين او ثلاثة . ثم يشعر بعد ذلك بانخفاض الاعراض قليلاً فيتوهم انهُ قد شفي فلا يلبث ان تعاودهُ الاعراض ثانيةً بعد يومين فيحصل لهُ غثيان او قيء وامساك او اسهال يشبه الدوسنطاريا ويخرج في مبرزاتهِ دم ومواد مخاطية وقلما تكون رائحتها كريهة

وفي هذا الوقت تشتد اوجاع العضلات ويظهر على المريض الضعف الشديد ويصير تضخم الطحال مؤلمًا باللمس وفي بعض الحوادث يكون التضخم في الكبد فيزداد الم المريض واحيانًا يجتمع الاثنان معًا . وفي بعض الحوادث تشتد الاعراض المذكورة آنفًا فيصل الصداع الى درجة يصعب احتمالها ويأخذ المريض بالهذيان ويصيب الرئتين احتقان ثم التهاب ونفث الدم . والاوجاع العصبية تصير بشكل روماتزم ويحدث ورم في المفاصل وانسكاب وربما التهب غشاء القلب الداخلي فيشتد الخطر على العليل ولكن هذه الحالة لا تكون الاَّ في الضعفاء والمصابين بامراض قلبية

الاعضاء الخصوصية

الجهاز الهضمي — تتناول الاعراض هذا الجهاز من الابتداء فيكتسي اللسان طبقة بيضاء ولكن اطرافهُ ورأسهُ تبقى محمرة وقد وُجد بالاختبار انهُ ما دام اللسان مكسوًّا بطبقة فذلك دليل على ان الاعراض لم تكتمل بعد . وسوء الهضم يرافق هذا المرض حتى النهاية . وكذلك الامساك الاَّ في حوادث قليلة يرافقها الاسهال

اعضاء التنفس — هذا المرض يضعف الرئتين ويتركها عرضة للامراض ففي الاسبوع الثاني او بداءة الثالث تظهر اعراض احتقان في الرئتين ترافقهُ نزلة شعبية خفيفة ويتحول احيانًا الى التهاب رئوي او داء الجنب مصاحب برشح مصلي في التجويف الصدري وفي اغلب الاحيان يكون ذلك على الجانب الايسر . وفي الحوادث الثقيلة يتخذ شكلاً مزمنًا وربما وجد مكروب السل سبيلاً الى الرئتين في هذه الاحوال

الدورة الدموية — القلب اول عضو يصاب بالعطب فيحدث فيهِ خفقان بأقل التأثيرات وتسمع الالغاط الدموية فيهِ ويسرع النبض ٨٠ و ٩٠ في الدقيقة ولكنهُ يكون اكثر من ذلك في الاحوال الشديدة الوطأة . واحيانًا يحصل رعاف ونزف من اللثة . ويقل عدد الكريات الحمراء من خمسة ملايين في المليمتر المكعب الى ٣ ملايين ونصف اما الكريات البيضاء

فتبقى على حالها ولا يحصل فيها نقص (الدكتور بروس)

الحرارة — ليس لها ضابط ولا تسير على وتيرة واحدة · ولا يمكن ان تؤخذ حرارة حادثة واحدة كانموذج يبنى عليهِ حكم عام

تبتدئ الحرارة بالارتفاع تدريجاً وتستمر اسبوعين او ثلاثة ثم تنخفض بضعة ايام فيظن المريض ان قد انتهى اجلها فلا تلبث ان تصعد ثانية · وتبلغ درجتها ١٠٢ و١٠٤ مساء و٩٩ و١٠٠ صباحاً بميزان فارنهيت وهكذا على التوالي · شاهدت حادثة ابتدأت اعراض الحمى فيها في اوائل شهر مايو سنة ١٩١٢ وكانت الحرارة خفيفة في بادئ الامر وابتدأت تشتد بعد اسبوعين فصارت ترتفع في المساء الى ١٠٠ ثم الى ١٠٢ و١٠٤ وتنخفض في الصباح الى ١٠١ و١٠٠ و بعض الاحيان الى ٩٩ ولكن لم تنزل الى الدرجة الطبيعية الاَّ نادراً واذا نزلت لا تلبث ان ترتفع في اليوم نفسهِ · وفي الغالب يبرد جسم المريض قبل ارتفاع الحرارة او يشعر ببرد في الاطراف فقط وربما لم يستمر البرد اكثر من بضع دقائق حتى ان بعض المرضى حالما يشعرون بالبرد في الاصابع يعرفون ان الحمى آتية وربما ارتفعت الحرارة مرتين في اليوم · هكذا كانت الحال مع كل المرضى الذين شاهدتهم والحادثة المذكورة آنفاً زالت الحرارة فيها عن المريض في ٢٤ اوغسطس (آب) فكأن الحرارة استمرت نحو ١١٥ يوماً بدون انقطاع وكنت آخذ الحرارة بنفسي كل يوم · و بعد ذلك باسبوع عادت الحمى ثانيةً ولكن ليس بالشدة الاولى فكانت ترتفع يومين او ثلاثة وتزول تماماً يوماً او اثنين · ثم ابتدأت تنخفض في الصباح وترتفع قليلاً بعد الظهر الى الليل و يعقبها عرق غزير وتزول لتعود في اليوم الثاني مدة شهر الى ان زالت بالكلية · وقد شاهدت حوادث في الجيش المصري كنا نحكم انها حمى مالطة من الاعراض ولكن لم نكن نثبت ذلك بفحص الدم وكانت مدتها تطول كثيراً · ولكن العسكري المصاب يُعطى إجازة فيشفى من الحمى بتغيير الهواء ولذلك تعذرت علينا مراقبة سير الحمى الى النهاية

المجموع العصبي — حالة الوجه والسحنة تميزان هذا النوع من الحمى ثم ان الاصفرار او التعب وفقر الدم وحالة الجسم العمومية تدل دلالةً واضحة على مقدار التلف الحاصل في الجسم وكلما طالت مدة المرض زادت هذه الاعراض وضوحاً · فالمريض يشعر دائماً بقشعريرة وارتجاف و يصير خجولاً هياباً يبكي لاقل الاسباب واحياناً كثيرة تضعف ذاكرتهُ فلا يقدر ان يسرد الحوادث بترتيبها على سابق عادتهِ · ولا ترجع قواهُ الى مجراها الطبيعي الاَّ ببطء

المجاري البولية — كثيراً ما يصاب المريض بالتهاب الخصية او ألم عصبي فيها ولا يظهر

الزلال في البول الاَّ نادراً وذلك في الحوادث التي سبقها التهاب في احدى الكليتين · اما كمية البول فتتراوح بين ٢٠ و ٢٥ اوقية في ٢٤ ساعة و يحتوي احيانًا على مواد فوصفاتية وليثية ومكروب المرض

الجلد — يظهر شحوب اللون واصفرارهُ في هذا المرض جليًا و يكثر العرق كما سبق الكلام واحيانًا يشعر المريض بحكة في الجبهة والوجه والبدن مع عدم وجود مسبب سوى الحالة العصبية المشار اليها · و يسقط الشعر في كل الاحوال ويبتدي سقوطهُ في الدور الثاني من المرض حينما تبتدي الاوجاع العصبية وتكون على اشدها

المفاصل — تحدث اورام واوجاع عصبية في المفاصل ويبتدي الورم احيانًا في الرسغ ومفاصل اليد واحيانًا في القدمين · واشد الآلام تكون في العصعص وما جاورهُ او في الاعصاب الخارجة من الفقرات القطنية وما جاورها · وفي هذه الاحوال يجتنب المريض التقلب من جانب الى جانب في الفراش لشدة الالم · عرفتُ مريضاً أُصيب بوجع في عرق النسا في الجانب الايمن مدة خمسة عشر يوماً و بعد ان زالت الاعراض ابتدأ الوجع في الجانب الايسر ودام شهراً وفي كل هذه المدة لم ينزل قط عن السرير حتى ولم يكن ينقلب من جانب الى جانب الاَّ بصعوبة كلية ومقاساة عذاب اليم · ومن لم يرَ مريضًا بهذه الحال لا يقدر ان يتصور عظم الالم · فالذي تنتابهُ الحمى تارة وتزول عنهُ اخرى يستريح قليلاً حينما تنخفض الحرارة اذ يمكنهُ القيام من السرير والمشي واما الذي تأتيهِ هذه الآلام بعد ان تكون الحمى قد انهكت قواهُ وحلت عزائمهُ فيصعب وصف حالتهِ · واحيانًا تظهر اورام على اطراف الاضلاع وغضاريفها وقد لوحظ ان هذه الاورام ظهرت في الذين لم يصابوا بالزهري الوراثي او ما شاكلهُ

التشخيص — لما كان مصل دم المريض بالحمى المالطية يتحد بالمكروب و يصيرهُ كتلةً واحدة (طريقة ڤيدال Vidal في فحص الحمى التيفويدية) كانت هذه الطريقة افضل الوسائل لتمييز هذه الحمى من غيرها

اما عدد الوفيات في هذه الحمى فقليل جدًّا فهو لا يزيد على اثنين في المئة والخطر يرافق الحرارة العالية المستمرة والاضطرابات الثانوية اي الاعراض التي تنتاب المريض اثناء وجود الحمى كالتهاب الرئة والتهاب غشاء القلب الداخلي · واذا زاد ضعف الدم كثيراً فقد يموت المريض من ضيق التنفس (سفكسيا)

العلاج — ليس في ما لدينا من الوسائل الطبية والادوية ما يوقف سير الحمى فيجب ان تكون المعالجة مبنية اذ ذاك على القواعد الصحية بحفظ قوة المريض لكي يتمكن من مقاومة

المرض وأن تعالج الاعراض حسب ظهورها · ففي بداية المرض اذا حصل امساك يعطى المريض مسهلاً خفيفاً ويجوز استعمال الحمَّام السخن اما بعد ذلك فتنحط قوة الجسم ولا تقوى على احتماله · واذا حصل غثيان او قيء يُعطى بعض نقط من الكلورودين او المورفين مع الحامض الكلورهدريك · اما الاسهال فيعالج بقابض نباتي فاذا لم يأتِ بفائدة وكان الاسهال مصاحباً بنزف دم فصبغة الحديد ويمكن ايضاً اعطاء الارجوت والارجوتين · وتعطى حقن الوفيون في حوادث الاسهال البسيطة وهذا مما يرتاح اليهِ المريض

الحرارة — اذا ارتفعت الحرارة بغتةً فاستعمال الماء البارد احسن ملطف لها · واذا كانت الحالة متوسطة فدهن المريض بالماء البارد او لفهُ بملاءة مبلولة ينفع كثيراً · اما في الاحوال الشديدة التي تكون الحرارة فيها عالية (فوق الدرجة الاربعين) فيجب غمس المريض في حمام بارد لتخليص حياتهِ · ويجب ان تكون حرارة الحمام على الدرجة ٦٨ بميزان فارنهيت وان يبقى المريض فيهِ ١٠ دقائق ويكرر هذا الحمام كلما ارتفعت الحرارة الى ١٠٣ (٣٩,٥) او اكثر — وفي هذه الحالة يجب ان تؤخذ الحرارة عدة مرات في اليوم — لكن اذا ظهرت علامات الضعف على المريض فيجب ان يرفع حالاً من الحمام وينشف ويلف بملاءة ناشفة ويوضع في الفراش · واذا ظهر ضعف في النبض يُعطى قليلاً من الكونياك والشمبانيا او اي منبه آخر وتوضع في الفراش زجاجات مملوءة بالماء السخن لتدفئة الاطراف · على ان الحمام المثلج لا يستعمل الاَّ اذا كان ارتفاع الحرارة لدرجة يخشى معها من الموت · ويستعمل ايضاً الانتبرين لتخفيض الحرارة ويُعطى بجرعات كبيرة كل ساعة او ساعتين فانهُ ينزل الحرارة بسرعة ويزيل الصداع والاوجاع التي تصاحبها ولكنها ترتفع ثانية حالما يزول تأثير الدواء· اما استعمال الكينا فلا يأتي بفائدة البتة فقد اعطي منها من ثلاث قمحات الى ثمانين قمحة يومياً ولكن بدون فائدة فلا تخفض الحرارة ولا تزيل الاوجاع او العرق · ويستعمل للاوجاع العصبية دهان الاكونيت او البلادونا · اما السليسلات ففائدتها قليلة وربما لم تأتِ بفائدة البتة

بقي مسألة التمريض اي الاعتناء بالمريض فانهُ احسن ما لدينا من الوسائل فالطعام يجب ان يُعطى عدة مرات في اليوم ويكره المريض على ابقائهِ في جوفهِ ويكون من النوع الخفيف المغذي كالمرقة واللبن · وقد يعاف المريض اللبن ويفضل الاطعمة الصلبة كالسمك والكفتة والبيض والزبدة وبعض الفواكه ولا بأس فيها اذا كانت المعدة قوية لان المريض يعاف اللبن اذا لم يقدم لهُ سواهُ في مدة طويلة

ثم ان المريض يشعر على الدوام بعطش زائد وجفاف في حلقهِ واحسن شيء يُعطى في هذه الحالة الكازوز فانهُ فضلاً عن نقعهِ العطش يسكن تهيج المعدة ولذلك ترى المريض يطلبهُ دائماً خصوصاً اذا كان مثلجاً . واما اذا كان المقصود نقع العطش فقط فشرب الليمونادة أفيد لان فيهِ فائدة اخرى جوهرية وهي منع الاسكربوط . وحالما تنتهي الاعراض الشديدة يمكن اعطاء المريض اكلاً متنوعاً فلا يقتصر على اللبن ولا يُعطى الاكل الاعتيادي الاَّ بعد زوال الحمى بنحو خمسة عشر يوماً

بقي ان المريض يجب ان يُعزَل في غرفةٍ منفردة وحده وخصوصاً في بداية الحمى وان تُطهَّر الامتعة والثياب والفراش والمبرزات . ولا يوضع المريض في الاسبتالية في غرفةٍ فيها مرضى آخرون لم يصابوا بالحمى المالطية . وبما ان معلوماتنا عن هذه الحمى ليست كافية في الوقت الحاضر فيجب ان نعتبرها معدية ونتخذ فيها نفس الاحتياطات التي تؤخذ في غيرها من الامراض المعدية . اما النقه من المرض فيستبعد ان يتم بدون تغيير الهواء . وبديهي انهُ لا يجوز ارسال المريض في بدء المرض بل حينما يبتدي دور النقه

استعمال المصل — استعمل الدكتور وَيْت التطعيم ولكن بدون فائدة تذكر وهو يقول انهُ وان كان التطعيم لا يجوز في وقت شدة المرض وارتفاع الحمى الاَّ ان فائدتهُ لا تنكر بعد ان تمضي على المرض بضعة شهور . واخبرني الدكتور تود مساعد مدير المعمل البكتريولوجي في القاهرة انهم استخرجوا في المعمل مصلاً ومادةً للتطعيم واستعملوا الاثنين في مقاومة المرض ولكن بدون فائدة تذكر . وذكر لي ان بعض الاطباء اشار باستعمال علاج ٦٠٦ وجربهُ للحمى فلم يحصل على نتيجة لان هذا العلاج يستعمل فقط في مقاومة الامراض التي تنشأ عن نوع الميكروب المعروف ببلازموديم Plasmodium كالملاريا والزهري وداء النوم ولكنهُ لا يفيد في الامراض التي يسببها مكروب نباتي كهذه الحمى

واستعمل الدكتور كندي مصلاً بجرعات قدَّر ما فيها من الميكروبات بمئة مليون ووجد ان احسن النتائج تأتي من حقن المريض دفعات متوالية بمقادير يحتوي كل منها على ٦ ملايين الى ٧ ملايين من المكروبات فتهبط الحرارة بسرعة وتزيد القوة المقاومة في الدم بزيادة قوة الاتحاد بين مصل الدم والمكروبات كما هو معروف عند جمهور الاطباء

اخبرني الدكتور كومنوس باشا نزيل القاهرة انهُ اكتُشف مصلٌ جديد في سويسرا يستعمل لهذه الحمى وهو ذو فائدة كبيرة في تخفيض الحرارة وازالتها واشار عليَّ باستعمال دواء جديد اسمهُ لَنتول (Lantol) يباع في انابيب صغيرة للحقن تحت الجلد فاستعملتهُ في

بعض الحوادث ولكن في اواخر الحمى فهبطت الحرارة حالاً ولم تعد ترجع ولكني لم استعملهُ في ادوار الحمى الشديدة . و بعض الاطباء يستعملونهُ الآن في الحمى التيفويدية

بقي مسألة واحدة وهي مسألة الوقاية . وانجع وسيلة لمحاربة هذه الحمى التي تطول مدتها وتشتد وطأتها مع عجز الاطباء عن شفائها هو الاحتياط لها والوقاية من عدواها . فعلى الافراد ان يقوّوا انفسهم باغلاء اللبن جيداً وعدم مخالطة المريض والاعتناء بتطهير البيت من الناموس ولكن واجب الحكومة يفوق كل واجب فان اللجنة الملكية لما ثبت لها ان معظم العدوى يأتي بطريق اللبن أعدمت كل الحيوانات المصابة ومنعت شرب اللبن المشتبه فيهِ وبذلك زالت الحمى من الجزيرة . وفي الامثال السائرة أن في الزوايا خبايا . وهذه الحمى من الخبايا التي في الزوايا فيحسن بحكومتنا السنية التي عوّدتنا ان نرى همتها الفائقة في المشاريع النافعة ان تشرع في فحص البقر والمعزى في العاصمة فما وجدت فيهِ المكروب يعدم او يفرز و يمنع بيع لبنهِ . والاَّ فاذا استمرت الحال على هذا المنوال فلا يبعد ان ينتشر هذا الداء انتشاراً هائلاً في السنين المقبلة . واذا اعتبرت طول مدة المرض والاوجاع التي يقاسيها المريض والتعب الذي يصادفهُ اهلهُ في مداواته وغسل ثيابهِ وتطهيرها واعداد الاكل اللازم مدة خمسة او ستة اشهر تجسّم امامك المرض بكل ما في وجههِ من القبح . ومتى رفع الاهلون صوتهم الى الحكومة فلا بد انها تجيبهم الى طلبهم وتخفف عنهم وطأة هذا الضيف الثقيل . هذا رأيي الخصوصي ولعلّ غيري ممن اختبروا هذا الداء اكثر مني يفيدوننا بواسع علمهم عن الطريقة المُثلى للوقاية منهُ ومكافحتهِ والسلام

الدكتور يعقوب زعرب

ادعاء الفهم للخيل

عني البعض بتربية الخيل وتدريبها على القيام باعمال تقتضي بعض الفهم كجمع الاعداد وضربها وحمل منديل من شخص الى آخر وما اشبه . وقد ذهب فريق ان للخيل عقلاً يقرب من عقل الانسان تدرك بهِ حقيقة ما تعملهُ وخالفهم آخرون فقالوا انها تعمل ما تعملهُ بتأثير مدرّبيها كأن تكون قد دُرّبت على ان ترفس الارض اذا بدت من المدرّب اشارة خاصة وان تكفّ عن ذلك اذا ابدى اشارة اخرى فتفعل ذلك والمدرب يرشدها باشاراتهِ عن قصد منهُ او عن غير قصد

واشتهر في اميركا جواد من هذا النوع يعرف بكنغ فايرو (الملك فرعون) وقد عُرض حديثاً على جماعة فيهم الاستاذ اوشيا وهو عالم مدقق يؤْخذ بقولهِ فرأينا ان ننقل بعض ما

كتبهُ في ذلك لما فيهِ من الفائدة والتفكهة قال : —

كنغ فايرو جواد ابلق صغير الجثة كبير الرأس حتى يخيل ان رأسهُ خلق لجواد آخر اكبر منهُ جسماً . تقدم مدربهُ الدكتور بويد فخاطب الحضور بكلام موجز اشار فيهِ الى كبر رأس الجواد وذكر المواقف العديدة التي ظهر فيها ذكاؤهُ وفطنتهُ وسرد اسماء كثير من مشاهير الرجال والنساء الذين شهدوا لهُ بالفهم . فكانت مقدمتهُ هذه توطئة هيأ بها عقول الحاضرين ليصدقوا ان كل ما يرونهُ من حركات الجواد صادر عن افتكار وفهم . واجتذب كبر رأس الجواد انظارهم واكثرُ الناس يتخذون كبر الرأس دليلاً على كبر العقل فلا بدع ان سلم البعض بصحة ما يدعيهِ الدكتور بويد قبل ان رأوا دليلاً غير هذا . والغالب ان الناس يتابعون الرجل المشهور في كل رأي يبديهِ من غير ان يحكّموا عقولهم في صحتهِ او بطلانهِ ولو كان ذلك الرجل لا يفقه شيئاً في الموضوع الذي ابدى رأيهُ فيهِ

وكان الدكتور بويد قد اعتنى قبل ذلك بترتيب الغرفة التي عرض فيها الجواد فاحضر لوحاً اسود وجعل الى يسارهِ رفاً يسع عشر مكعبات خشبية قد كتبت الارقام على وجهين من اوجه كل مكعب منها . فكتبتُ على اللوح الارقام الآتية

٨٥٧٦

٦٣٩٤

والتفتُ الى الجواد وقلت « يا كنغ اجمع هذه الارقام » . فتقدم المدرّب نحوهُ وقال « يا كنغ اجمع هذه الارقام . اعملْ ما أُمرتَ بهِ . تقدم الى الرف واجمع الرقمين الاولين . تقدمْ اسرع » . ثم التفت الى الحضور وقال « يظهر ان برد هذا اليوم قد أثَّر في كنغ فجعلهُ يتثاقل عن القيام بما يجب عليهِ . ولعلهُ لا يحرك ساكناً الاَّ اذا اضطررتهُ اضطراراً . وقلما الجأُ الى العصا الاَّ اذا اظهر عناداً غير عادي فاؤدبهُ واكرههُ على عمل ما آمرهُ بهِ » فاستمال بكلامهِ هذا فريقاً من الحضور فاعتقدوا ان الجواد لم يحجم عن اتيان ما امرهُ بهِ الاَّ لسوءِ خلقهِ او لعنادهِ لا لانهُ لم يفهم ما طُلب منهُ . وشغلهم ايضاً عن مراقبة حركاتهِ وكلماتهِ التي لا بد وان يكون فيها اشارات يدركها الجواد وظهر كأن بعض الحضور مالوا الى الجواد شفقة عليهِ من غضب المدرّب

وكنت واقفاً قريباً من الجواد اراقب حركاتهِ فلم يظهر منهُ حركة تدل على انهُ فهم شيئاً مع ان صاحبهُ يدعي انهُ يفهم كل كلمة . والتفتَ اليهِ ثانية وقال « لماذا لا تعمل ما طُلب منك بيّن لنا العدد الاول . حافظ على كرامتك . تقدم وبين لنا العدد الاول » . ثم رفع عصا

كأنهُ يريد ضربهُ بها فتقدم الجواد الى الرف حيث الارقام ولما وصل الى عدد العشرة قال لهُ المدرب « خذ العدد الاول » فرمى العشرة ورمى معها رقماً آخر ثم جمع الارقام المطلوبة على هذه الصورة : —كان يمر امام الارقام على الرف حتى اذا اقترب من الرقم المطلوب خاطبهُ المدرّب ببعض الجمل التي يكثر ترديدها كقولهِ « اعمل ما امرت بهِ » . فرمى كل ارقام المجموع غير انهُ كان في الغالب يرمي الرقم المطلوب ويتبعهُ بآخر لا علاقة لهُ بالمسألة

واخذ الحضور ينتقدونني لشكي في مقدرة الجواد وعدم مشاركتي لهم في ابداء الاستحسان كلما رمى رقماً . وكان في الحضور احد مخبري الجرائد فلقيني بعد ذلك وابدى لي عجبهُ من كثرة شكي وعدم تصديقي ومما قالهُ لي « لو كنت انا نفسي بدل الجواد لما قدرت ان آتي باحسن مما اتى بهِ » . ثم كتبت الارقام الآتية على اللوح الاسود

٧٥٩٢

٥١٣٨

وقلت للجواد « يا كنغ اطرح » فاتمَّ الطرح كما اتم الجمع الاَّ انهُ كان يرمي رقمين او ثلاثة وفيها الرقم المطلوب . ولم تظهر عليهِ علامات تدل على انهُ يفكر كما يظهر على الولد اذا كلفتهُ حل مسألة ولو بسيطة وكان مدرّبهُ يردد الكلمات والجمل التي ردَّدها عند حل المسألة الاولى . وحلَّ مسائل اخرى في الضرب والقسمة . واصعبُ مسألة حلها على زعم المتفرجين هي هذه « اذا كان ثمن الدزينة من البرتقال ٣٥ سنتاً فكم ثمن ٢٢٤ دزينة » وهي مما لا يقدر عليهِ كثير من الحاسبين من غير استعمال القلم

ومما لا بد من التنبيه اليهِ ان المدرّب كان يرى الارقام وان الجواد كان يمر عليها مرًّا من الطرف الواحد الى الطرف الآخر عوضاً عن ان يتقدم الى الرقم المطلوب توًّا . ولم اتمكن من تمييز كلمات المدرّب واشاراتهِ الخصوصية التي كان يؤَثر بها فيهِ الاَّ ان بعض الحضور قالوا انهُ كان يردد جملة خاصة عند ما يصل الجواد الى الرقم المطلوب وانهُ يرفس الارض برجلهِ اذا رآهُ تجاوز ذلك الرقم فيرجع اليهِ

ولم ارَ في وجه الجواد علامة تدل على انتباههِ للاعداد او الكلمات التي توجه اليهِ بل كان احياناً يحاول عض يدي وانا اكتب الارقام . وادار رأسهُ مرة الى نافذة ينظر منها الى الخارج كأنهُ لا يبالي بما نحن فيهِ . وكان المدرب يأمرهُ كل مرة بالتفكير في المسائل والاعداد قبل ان يبدأ بحلها لئلاَّ يضيع عليهِ الوقت . ولو صح انهُ يفعل ذلك ويحفظ النتائج في ذهنهِ الى ان يتقدم الى الجواب كما يدعي المدرب لفاق اكثر البشر في قوة حافظتهِ

وعرّفت كنغ بثلاثة من الحضور وذكرت له اسماءهم ثم جيء بخمس خرق مختلفة الالوان ووضعت على الرف . فقلت له خذ الخرقة البرتقالية اللون الى السيدة فلانة (وكنت قد عرفته بها) فاخذ المدرب يخاطبه ويردد عليه اوامره المعتادة الى ان اخذ الخرقة وذهب بها الى تلك السيدة . ومما عجبت له انه لم يُدِر نظره الى الاشخاص الذين كنت اعرّفه بهم ولا حدّق بهم كما يفعل من يتعرف بشخص جديداً لكي تبقى صورة وجهه في ذاكرته فيعرفه اذا لقيه ثانية . ومع ذلك كنا نذكر له اسم من عرّفناه به فيذهب اليه توًّا

وطلبت منه ان يهجي كلمة حصان بالانكليزية برمي قطع الخشب التي عليها الحروف المطلوبة من بين حروف الهجاء كلها فهجّاها ولكنه كان يرمي احرفاً اخرى مع الاحرف المطلوبة . وطُلب منه ان يهجي كلمات اخرى فهجاها كما هجّى هذه . ثم كتبت على اللوح « خذ قفازيّ (كفيّ) واعطها للسيدة فلانة » . فاخذ يدور حولي كأنه يفتش عنها وكانا في جيبي يتدليان الى الخارج ولكنه لم يأخذهما رغمًا عن ترديد المدرب جملته العادية « اعمل ما امرت به »

ولما انتهينا من ذلك طلبنا من المدرّب ورفاقه ان يخرجوا فسلمني الجواد واعتذر عنه قائلاً ان خلقه ساء بسبب البرد ونبّه الحضور الى ذلك فاقتنعوا بصحة قوله وابعد كثيرون منهم عنه خوفًا منه . ودفع اليّ المدرّب جريدة فيها اطراء لجواده ووصف اعمال قام بها في مدينة اخرى ومنها ان رجلاً طلب ان يختلي بالجواد في غرفة فما لبث ان خرج منها هاربًا بعد ان حنق الجواد عليه لقلة ايمانه . فكأنه اراد بذلك ان ينذرني بسوء العاقبة اذا لم اقلع عن شكي

واخذت افحص الجواد بنفسي فاعدت عليه اسئلة مثل الاولى فلم يحلّ واحدة منها بل لم يظهر منه ما يدل على انه فهم شيئًا من كلامي . وامرته ان يذهب الى اللوح الاسود ليرى ما كتب عليه من الارقام فبقي جامداً كأنه لم يسمع شيئًا . فكررت عليه الامر ودللته على اللوح وهددته بالعصا فاقترب منه . وفعل مثل ذلك لما سألته ان يذهب الى الرف الذي عليه المكعبات ويظهر نتيجة حسابه ولكنه كان يمر عليه من طرف الى طرف ولا يحرك رقمًا . وقلت له « اذهب الى السيدة فلانة » وكررت عليه ذلك بصوت عالٍ فاخذ يرفس الارض كانه فهم من كلماتي اني امرته ان يعدّ

ثم عاد المدرّب فرآه على هذه الحال فانتصب امام الحضور وقال « ان كنغ يلتقي احيانًا باناس لا يأتي بعمل ما على ايديهم ولكنه في الغالب لا يقصّر في اظهار براعته امام اكثر الناس » . فدعوت عند ذلك الاستاذ كولي وهو من الخبيرين بامور الخيل ورجلاً آخر معروف بالعلم والفضل ليمتحنا الجواد فلم يفلح معهما اكثر ممَّا افلح معي

واخذ الدكتور بويد يعلل ذلك بتأثير الشخصيات الغريبة في الجواد ويختلق له الاعذار. فاتفقنا معهُ على ان نمتحنهُ مرة ثانية على شرط ان افترح عليهِ انا ما يطلب من الجواد عملهُ ويأمرهُ هو بهِ لكي يمتنع تأثير شخصيتي فيهِ . ثم استحضرنا ارقاماً اخرى يمكن ترتيبها على الرف بطريقة تمكّن الجواد والحضور من قراءتها ولا يراها المدرب وفكّرنا في ان نعصب عينيهِ ليستقل الجواد في انتقاء اللون الذي يسأل عنهُ ومعرفة من نذكر اسمهُ لهُ ولكن لما حل الموعد المضروب لذلك ادعى المدرب ان الجواد مريض مع انهُ لم يمرض قط قبل ذلك . ووعد ان يعود الى عرضهِ في فرصة اخرى ولكن انقضت الشهور على موعدهِ ولم يرجع . ومع ذلك لا يزال الناس يعجبون من ذكاء كنغ وفهمهِ ويدعون انهُ يقرب من فهم الانسان

على ان كل من لهُ المام باخلاق الخيل يعرف انها تميز بين صوت الرضا وصوت الغضب من اصحابها. وفي الكلاب ايضاً مثل هذا التمييز. والطفل تبدو منهُ علامات تدل على انهُ يميز قليلاً من المعاني بعضها عن بعض قبل ان يصير قادراً على فهم شيء من الكلمات التي توجه اليهِ . ولسائقي المركبات الفاظ خاصة لزجر الخيل وايقافها وانهاضها والخيل تتأثر بها كأنها تفهمها . وبعض الجياد تروّض على اعمال خصوصية في المراسح فتعملها اذا رأت من مدربها اشارة او سمعت منهُ صوتاً . وكل فرس يفرق بين صاحبهِ والغريب اذا ركباهُ ويعرف سائسهُ بالنظر والشم

واقوى مظاهر الشعور في الخيل الخوف فلا تنسى شخصاً او شبحاً او مكاناً آلمها او اخافها. وهي شديدة الحذر فلذلك يسهل تدربها على اعمال خصوصية اذا سمعت من مدرّبها كلمة تعوّدت سماعها او رأت منهُ اشارة رأتها من قبل. وربما كانت كلمة « اعمل » مثلاً تدفع كنغ الى حركة مخصوصة كما ان اللفظة التي يزجر بها الحوذي الجواد تجعلهُ يسير فاذا بعُد عنهُ المدرّب وانقطعت عنهُ هذه الاشارات اصبح عديم الفهم كباقي الخيل

ويبذل المدرّبون جهدهم في ان يظهروا ان للخيل عقلاً يقرب من عقل الانسان فيدّعون انها تفهم معنى الكلام وتحل المسائل الحسابية وتميز بين الالوان وتفرق بين الاشخاص باسمائهم وصفاتهم اذا عرّفت بهم وهذا كلهُ يقتضي اعمالاً نفسية لم تتوفر لها ولو تمت لفرس ما لكان خارجاً عن حد الخيل . وتدريب الخيل على هذه الاعمال كتدريب الانسان على اقتصاص آثار الثعلب بحاسة الشم . ولا أُريد ان اجرّد الخيل عن كل مظهر يمكن ان يقال عنهُ انهُ نتيجة فهم ولكن فهمها غير فهم الانسان ويبعد عنهُ كثيراً . ولولا ان « فهم الخيل » يعود بالربح على مقتنيها لما رأينا احداً يدعي لها الفهم

اصول التعليم الحديث

التجربة على اساس علمي

الدور الطبيعي

ما اذنت شمس القرن السابع عشر بالزوال وانبلج فجر القرن الثامن عشر حتى استولى على الحياة العقلية والادبية جمود فتأسست عدة جمعيات في انكلترا وفرنسا والمانيا لمقاومة هذا الجمود غير انها لم تقوَ على ذلك · اما في فرنسا فان الكنيسة كانت قد وضعت قصاصاً صارماً لكل من يجرأُ على مقاومة سلطتها · ولقد كانت الامة الفرنسوية في اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر اكثر امم العالم تهذيباً وتمدناً · غير ان جمال باريس كان قائماً على الولايات التي كانت تئن وتضطرب تحت احمال ثقيلة من الضرائب وكانت قوة الملك قائمة على عبودية الشعب وغنى الاشراف يُتعب الامة · وكانت قوة الكنيسة مستندة على بعض القوانين والامتيازات الممنوحة لذوي السلطة والاغنياء · وبديهي ان الامة التي تكون هذه حالتها لا تلبث ان يثور ثائرها وينفجر بركانها فانهُ لم يبتدئ القرن الثامن عشر حتى قام قادة الافكار ينادون بحرية الفكر وتنويرهِ ثم بحقوق الامة المغتصبة وقصدهم من ذلك ان يطلقوا الفكر من عبوديتهِ ويؤسسوا حرية الافراد ويزيلوا الخوف المستولي على الشعب من جراء الاستبداد والظلم · غير ان فولتير واتباعهُ ذهبوا الى ان عامة الشعب لا يقبلون التهذيب ولا قدرة لهم على الافتكار وانهم لا يفرقون الأ قليلاً عن المتوحشين فلذلك يجب ان تكون الديانة لمثل هؤلاء ذات طقوس ورسوم وان لا ينالوا من العلم سوى الحظ القليل · ومن ثم يظهر ان الذين قاموا بهذه الحركة لم يقصدوا بها تهذيب الجماعات بل تهذيب فئة قليلة فظهرت فيهم محبة الذات من كل وجوهها ولا بدع فانهم خالطوا الاشراف وامتزجوا بهم فاثَّر بهم محيطهم كل التأثير

ولقد كانت القوة متجهة الى هدم سلطة الكنيسة وتقاليدها كما يظهر من انتقادات فولتير الموجهة اليها ولكن لم ينقض النصف الاول من القرن السابع عشر حتى انقلبت وجهة الانتقاد نحو الشرور الناجمة عن النظامات السياسية فغاية الحركة الاولى الهدم وغاية الحركة الثانية البناء · وزد على ذلك ان الفائدة من تلك كانت لافرادٍ قليلين والفائدة من هذه كانت لمجموع الامة · وكان فولتير رافع لواء الحركة الاولى وروسو قائد الحركة الثانية · ولما كان

الشعور الراقي قد بلغ في روسو مبلغاً عظيماً وكانت عواطفهُ تسيل رقة وحناناً نظر الى حالة الشعب الذي حولهُ فرأى ما هو فيهِ من العبودية والجهل والانحطاط وشاهد استبداد الاشراف والحكام وان الدين اقتصر على طقوس ورسوم يمارسها الانسان جعل همهُ ان يضع في الانسان ايماناً جديداً وفي الحياة فكراً جديداً وفي الهيئة الاجتماعية روحاً جديدة وان يؤسس الديانة في طبيعة الانسان . و بينا فولتير ينادي بملء صوتهِ ان الديانة وهم لا ينفع المتدين في شيء وان الكهنة اتخذوها وسيلة للكسب كان روسو ينادي ان الديانة الحقيقية هي الديانة الطبيعية التي يجدها الانسان في داخلهِ

ويجدر بنا ان ننظر نظرة عامة الى تاريخ روسو لكي نفهم تعاليمهُ التي جاء بها وذلك لان لحياة الكتاب علاقة كبيرة باقوالهم وآرائهم وتعاليمهم وقد تكون معيشة المرء الاولى ذات فائدة كبيرة لهُ في حياتهِ ومؤثرة فيهِ اعظم التأثير ومكيفة لاخلاقهِ ومبادئهِ

ولد روسو في جنيفا سنة ١٧١٢ حيث كانت تعاليم كلفينوس قد انتشرت واثرت في السكان فكنت ترى الطهارة في حياتهم والبساطة في معيشتهم والحرية في افكارهم على عكس ما كان الناس في باريس حيث القى روسو عصا ترحالهِ في الشطر الاخير من حياتهِ

ولقد تعلم مبادئ القراءة والكتابة في صغرهِ وكان فيهِ ميل شديد الى مطالعة الروايات فازدادت فيهِ حاسة الشعور والعواطف . ولما بلغ الثانية عشرة من عمرهِ مال كل الميل الى الملاهي والبطر ولم تمر عليهِ اربع سنوات اخرى حتى صار متشرداً تائهاً ولكنهُ لم يلبث ان طرأ عليهِ تغيّر فجائي وسببهُ في ما قيل « وجبة من الطعام اللذيذ وزجاجة من الخمر المعتقة عند بعض الكهنة » غير ان محبتهُ للطبيعة وعواطفهُ واختبارهُ كانت تنمو فيهِ على الدوام وهي التي تسلطت عليهِ وملكت افكارهُ . وهذا الاختبار قادهُ الى القول « ان الدين والادب لا يظهران في الولد من غير مرشد وان الانسان يستفيد من الطبيعة اكثر مما يستفيد من الكتب » . ولما بلغ الاربعين من العمر مال الى القيام بعمل جديد وهو ان يجعل في بلادهِ ثورة عامة لتحرير الفكر من الاوهام وتخليص الشعب من العبودية فقال « ان السعادة والحرية حقان طبيعيان لكل احد وان الحرية لا تختص برجل دون اخر وان النظامات والقوانين والشرائع انما وجدت لحفظ حقوق المرء وتحديد واجباتهِ ولهذا فان المعلم والحكومة واساليب التعليم (المعروفة حينئذٍ) سدٌّ كبير امام تقدم الامة وانها يجب ان تهدم »

خالط روسو الطبقة العالية فرأى الفساد ضارباً اطنابهُ هناك ورأى الحكومة وقوانينها الجائرة واستبداد مأموريها وشاهد سلطة الكهنة التي لا تقاوم ولا ترد وحالة الشعب السيئة

فتحركت فيهِ عواطفهُ فقصد ان ينقطع لخدمة مبدإٍ واحد — وهو تحرير الامة — مستنداً في ذلك « على ان في الانسان قوة تمكنهُ من البلوغ الى ما يسعى اليهِ » فكتب كتباً كثيرة في هذا الموضوع ليقرأها الخاص والعام · وعلى اقوالهِ في كتابهِ « اصل عدم المساواة بين الناس » قامت الثورة الفرنساوية وبنيت النظامات والقوانين الصحيحة · ولقد قال في هذا الشأن « ان الحكومة الحقيقية هي التي ينصرها الشعب ويؤيدها ويسند دعائمها بقوتهِ الهائلة وان الحكومة التي لا يرضى بها الشعب يجب ان تنحل » · ولم ينسَ روسو شأن الاولاد فكما انهُ اهتم بترقية الرجال اهتم في كتابهِ « اميل » بتعليم الاولاد وتهذيبهم

وقد سبقنا فقلنا ان روسو كان من محبي الطبيعة فوضع لها ثلاث معانٍ في كتابهِ السابق · الاول المعنى الاجتماعي · فقال التعليم يجب ان لا تكون دعائمهُ الجمعيات المختلفة ولا المدارس التقليدية التي لا معنى لها بل معرفة طبيعة الانسان معرفة صحيحة · فحقوق الانسان الوحيدة هي الحقوق المبنية على قوانين طبيعتهِ الخاصة فالرجل الطبيعي ليس هو الرجل البربري بل هو الرجل السائر بموجب الشرائع التي ترشدهُ اليها طبيعتهُ · الثاني المعنى الغريزي او الاحساسات الاولية والغرائز الطبيعية · فعندهُ ان التأثيرات الاولية تكيف الولد وتفعل ما لا نستطيع ان تفعلهُ الجمعيات والمدارس · ولذلك قال « ان العادة الوحيدة التي يجب ان نتمكن من الولد هي ان لا يدع عادة تتمكن منهُ » · والثالث الطبيعة الفاسدة · فاذا ملكت الانسان اخلاق فاسدة وجب عليهِ ان ينزعها بتعرفهِ ما حولهُ من الامور الطبيعية كالحيوانات والجبال والبحار والانهار والنباتات ولذلك قال « ان المدن قبور النوع الانساني »

ونادى ايضاً بالتعليم السلبي وهو لا يقوم بتعليم الولد مبادئ الحق والفضيلة بل بحفظ الولد من الرذيلة وصيانة عقلهِ من الخطإ · اما كيفية التعليم فقد فصلها في كتابهِ « اميل » على الطريقة الآتية

للتعليم من السنة الاولى الى الخامسة

خلاصة تعاليمهِ في هذا الشأن التنديد بالذين يحجزون حرية الطفل باللف والتقميط والربط وحبسهِ في البيت وزجرهِ عن الخروج الى الخلاء وعدم اطلاق الحرية لهُ ليتسلى بالالعاب الرياضية والتمارين التي تقوي جسمهُ ولذلك قال في هذا الشأن ما مؤداهُ ان الجسم الضعيف يحكم على صاحبهِ والجسم القوي يلقي اليهِ مقاليد طاعتهِ « الشهوات الشبابية لا تقوى الاّ في الاجسام الضعيفة ... الشر يتولد من الضعف فالولد لا يكون رديئاً الاّ لانهُ ضعيف فقوّهِ تجد انهُ يصبح صالحاً لان من يستطيع ان يعمل كل شيء لا يعمل عملاً رديئاً ....

اني ارى من العبث ان يتعلم الولد كلمات اكثر مما يتصور وان يتعلم ان يقول اكثر مما يقدر ان يفتكر ..»

التعليم من الخامسة الى الثانية عشرة

يجب ان لا ننسى هاتين النصيحتين «الاولى ان التعليم يجب ان يكون سلبيًّا والثانية «انهُ يجب ان يتوقف على النتائج الطبيعية فلذلك لا يجوز ان يرغم الولد على تعلم امور لا يستطيع ان يفهمها .... الطبيعة تطلب من اولادها ان يكونوا اولاداً قبل ان يصيروا رجالاً ... لا تلزم الاولاد بالقراءة ولو استطاعوا ذلك بل مرّن عضلاتهم وحواسهم واجسامهم ودع ارواحهم حرة تحلّق في الافق التي تشاء ان تحلق فيهِ . هذه هي نصيحتي» . فالتعليم عند روسو في هذه المدة من العمر انما يقوم بتمرين الحواس

التعليم من الثانية عشرة الى الخامسة عشرة

تكون قوة الولد في هذه المدة اكثر مما يحتاج اليهِ فيجب الانتباه لملاحظة الاولاد وترغيبهم في الاشياء التي يميلون اليها وقد قال في هذا الشأن «لنبعد من دروسنا الاولية كل الدروس التي لا توافق ذوقنا ولنقيد انفسنا بدرس الاشياء التي تقودنا اليها غرائزنا» . ولم يعطِ اهمية كبيرة للكتب في هذه المدة . وقد ذكر ان كتاب روبنصون كروزو احسن ما يستطيع الولد ان يقرأهُ اذ يتعلم منهُ اموراً كثيرة عن الطبيعة . وقد نبه الى وجوب الاعتناء التام والتدقيق بكل ما يتعلمهُ الولد وان لا ينتقل من موضوع الى آخر حتى يكون قد سبرغورهُ وادرك كنههُ وفهمهُ حق الفهم محققاً في ذلك المثل القائل «كل ما عليك ان تفعلهُ فافعلهُ بكل قوتك» لانك لا تحسن عملاً اذا لم تعتنِ بعملهِ

التعليم من الخامسة عشرة الى العشرين

حينما يبلغ الولد الخامسة عشرة من العمر يكون جسمهُ قد نما وعضلاتهُ قد قويت وعقلهُ واحساساتهُ قد تكيفت بحسب الصورة التي ارادها ولذلك ينبغي ان يلتفت الى قلبهِ ويكيّفهُ ... يكون الولد في ما مضى من العمر قد عاش لنفسهِ بنفسهِ تحت سلطة محبة الذات اما في هذه المدة فيجب ان يتعلم وان يعيش من اجل غيرهِ بالاتحاد مع الهيئة الاجتماعية جاعلاً محبة الاخرين القانون السائد على حياتهِ والكمال الادبي الغاية التي يسعى اليها ... ويمكننا ان نجمع خلاصة تعاليمهِ في هذا الموضوع في العبارات الآتية

«خلق الانسان لا ليعيش منفرداً بل ليعيش متحداً مع غيرهِ فيجب ان يهتم اذاً لتكون علاقاتهُ حسنة مع جميع الناس وان يقوي فيهِ محبة الاخرين . وهذا لا يستفيدهُ بالقراءة

الكثيرة بل بالاختبارات التاريخية والشخصية . ولا يكفي الانسان ان يمتنع عن عمل الشر بل عليهِ ان يعمل الخير ايضاً متيقناً ان روح السلام هو نتيجة التعليم

فاساس تعاليم روسو ان التهذيب يجب ان يكون عملاً طبيعيًّا لا اصطناعيًّا . فهو الرقي الداخلي لا الخارجي تفعلهُ الغرائز والعوائد الطبيعية . . هو الحياة نفسها . فهدم بذلك التقاليد القديمة القائمة بارغام الولد على الافتكار والعمل ضمن الدائرة التي تسن لهُ . وبينما كان الناس في ذلك الوقت لا ينظرون الى الولد الاّ حينما يستطيع ان يقلد البالغين في اقوالهم وحركاتهم جاء روسو وجعل للولد شأناً خاصًّا ففتح بذلك دوراً جديداً كان اساساً لهذا الترقي الذي نشاهدهُ الآن في اوربا واميركا

ولقد وصف روسو التعليم القديم بهذه الكلمات « ماذا نقول في هذا التعليم البربري الذي يضحي الحاضر على مذبح المستقبل المجهول والذي يضع في عنق الولد سلاسل من كل نوع فيجعلهُ بائساً ليوصلهُ الى سعادة وهمية لا يتمتع بها قط » فنقض بهذه الكلمات كل طرق التعليم القديمة المبنية على القصاص والتهويل والارغام واسّس طرق المحبة والحنوّ والحرية وجعل الاساس طبيعة الانسان نفسهِ . ولذلك قال يجب ان تكون الحواس هي القائد العام في حركات العقل الاولية . لا تضع بين يدي التلميذ كتباً يلهو بها بل ضع امامهُ العالم ولتكن الحقائق هي العلم الوحيد . الولد الذي يقرأ قبلما يفتكر يقرأُ فقط فهو بذلك لا يتهذب بل يتعلم الفاظاً . اياك ان تعلم الاولاد بالاشارات والرموز الاّ اذا تعذر عليك ان تظهر امامهم الامر المقصود بالذات لئلاّ يلهوا عن الحقيقة بالمجاز »

وغني عن البيان ان الادوار التي تلت ذلك كانت كلها مبنية على تعاليم روسو فمنهُ اخذ المصلحون ومن معين كوثرهِ استقوا فكان نبراساً منيراً اظهر جهالات الامم المتقدمة وخرافاتها ونقائصها في اساليب التعليم ونوراً انار الاجيال المستقبلة في ما سنهُ لها من النظامات والقوانين . غير ان تعاليمهُ لم يظهر تأثيرها في المدارس الاّ في الدور السيكولوجي . ففي فرنسا حيث كان لروسو النفوذ الاعظم كان لا بدّ من ثورة عامة وانقلاب عام في الافكار يعم جميع طبقات الامة لتحل تعاليمهُ محل التعاليم القديمة . وبالحقيقة فان الثورة الفرنسوية نجمت من البزور التي زرعها روسو في قلب الامة فقلبت النظام القديم في فرنسا واوربا جميعها

اما في انكلترا فلم يكن لتعاليمهِ تأثير كبير باديء بدء مع ان كثيرين من ابناء الامة الانكليزية شغفوا بها وبالمبادىء التي ظهرت في كتاب « اميل » . واما في المانيا فقد كانت التربة مستعدة لمثل هذه البزور فتلقتها بالقبول وقام يوحنا برنارد باسدو (١٧٢٣ — ١٧٩٠)

ونشرها في المدارس الالمانية وساعدهُ في ذلك ما نشرهُ من الكتب في هذا الموضوع حتى لم تخلُ دار في المانيا من كتبهِ . ولذلك قال عنهُ شلوتر «قد نجح باسدو في تغيير اساليب التعليم في المانيا الامر الذي عجز عنهُ روسو في وطنهِ الاصلي فرنسا»

وسنة ١٧٧٤ شيدت المدرسة المعروفة «بالفيلانثروبين» في ديسو لاجل هذه الغاية — اي التعليم حسب الطبيعة — وعلّمت ان الاولاد يجب ان يعاملوا كاولاد لا كشبان وان اللغات يجب ان تعلم بواسطة المحادثات لا بواسطة الصرف والنحو وانهُ يجب ان يكون للتمارين الرياضية والطبيعية المقام الاسمى في المدارس وان التعليم الابتدائي يجب ان يصحب بالصياح الامر الذي يرغب فيهِ الاولاد وان الولد يجب ان يتعلم حرفةً وان التعليم يجب ان يكون في اللغة الوطنية وان يصحب بالحقائق لا بالرموز بيت لحم بولس شحاده

بحث في اسباب السرطان

كتب الدكتور بشفورد وهو من الباحثين عن اسباب السرطان وعلاجهِ في المعهد الانكليزي المقام لذلك ان الاستاذ جونس فيجر الدنماركي كان يفحص بعض النوامي السرطانية النامية في معد الجرذان البرية فوجد فيها كثيراً من الديدان الخيطية Nematodes فظن ان بينها و بين النوامي السرطانية علاقةً ما . وكان الدكتور مري من اطباء معهد السرطان ببلاد الانكليز وقد وجد النوامي السرطانية في معد بعض الفيران سنة ١٩٠٨ فلما بلغهُ اكتشاف الاستاذ فيجر فتش عن هذه الديدان فيها فلم يجدها ولا وجدها فيها الاستاذ فيجر . اما الجرذان التي وجدت الديدان في سرطانها فجميعها من الاماكن التي تكون فيها الخنافس الاميركية المعروفة باسم بريبلانيتا اميركانا Periplaneta Americana . وقد علم ان الديدان الخيطية تقيم في ابدان هذه الخنافس في بعض اطوار حياتها . ووجد الاستاذ فيجر بعد البحث ان الديدان تعيش ويكتمل نموها في الاقسام العليا من القناة الهضمية في الجرذ وان بيوضها تخرج مع مبرزاتهِ التي تأكلها الخنافس (والخنافس التي تفعل ذلك هي النوعان المعروفان بالاميركاني والشرقي) . فتدخل البيوض جوفها وتنقف عن ديدان صغيرة تتسرب الى عضلات اطرافها والى القسم الامامي من صدرها حيث تتكوّر على هيئة التريخينا التي تكون في الخنازير

فاذا اكل الجرذ خنفساء في عضلاتها شيء من هذه الديدان دخلت الديدان جوفهُ

واقامت في غشاء الابيثيليوم في اسفل معدتهِ وقد تصعد الى مريئهِ ولسانهِ وفمهِ الاَّ انها لا تعيش في غير هذه الاقسام من القناة الهضمية . وقد أُطعم ٥٧ جرذاً اليفاً من الخنافس التي فيها من تلك الديدان فوجدت الديدان في معد ٥٤ جرذاً منها وظهر النمو السرطاني في سبع وبدت طلائعهُ الاولية في تسع وعشرين . ودُست بيوض الديدان في طعام الجرذان فلم تؤَثر فيها . واظهر البحث الميكروسكوبي ما يشبه النمو السرطاني الاصلي الذي نبَّه الاستاذ فيجر الى هذا البحث في سبعة جرذان . وثبت ان في ثلاثة منها نوامي ثانوية في اعضاء مختلفة واظهر فحص النسيج ان اربعة منها نوامٍ سرطانية جديدة

هذه اول مرة تمكن فيها الانسان من جعل السرطان يتولّد بواسطة الحيوانات الحلمية الحية . ويرى فيجر ان نشوءهُ يتوقف على وجود الديدان الخيطية ويستنتج مما يعرف من طبائع الديدان الاخرى التي تقرب منها ان فعلها يقوم بواسطة عصير سام ولكن ذلك لا ينفي امكانية وجود ميكروب صغير لا يرى بالميكروسكوب . وجميع الحقائق التي عرفت حتى الآن عن تركيب الانسجة السرطانية لم تكشف لنا عن سر نموّهِ . ومما يجب الانتباه لهُ انهُ لم يعثر على الديدان الاَّ في النوامي الاولية واما النوامي الثانوية فلم توجد فيها وهذا يبين ان الخلايا تكتسب قوة النمو فتنمو بعد ان تنبهها الديدان الخيطية للنمو

اما مرافقة الديدان للنمو السرطاني فقد عُرفت من عهد بعيد فقد رآها بورل وهالند في معهد باستور في حوادث السرطان في رئات الفيران وغددها اللمفاوية . وسنة ١٩٠٥ الفت بشفورد ومري الانظار الى مرافقة الدودة الوحيدة لسرطان الفار في المعى الدقيق . ونشر هالند فصلا في سرطان الضرع في الفيران ومرافقة نوع من الديدان الخيطية لهُ وكان يظن انهُ يفرز مواد سامة تسبب التهابات مزمنة ينشأ عنها تضخمات واورام غددية ونوامٍ سرطانية . وحتى الآن لم تعرف طبائع هذا النوع من الديدان بالتدقيق رغماً عن اجتهاد الباحثين في معرفة علاقتهِ بالداء . وظهر من ابحاث المستر شبلي والدكتور ليبر ان هذا النوع يختلف عن النوع الذي يعيش في القناة الهضمية

ويجب ان لا يعلق بالاذهان ان الديدان الخيطية هي المسببة للسرطان كما اذاعت الجرائد السيارة قبل ان تتثبت من الخبر. ولعلَّها تفعل مثل غيرها من الاسباب اي انها تهيج الجسم تهييجاً مزمناً يتولد منهُ السرطان مثل سائر الاسباب المهيجة ككسر العظام والبرافين والبتروليوم والقطران والزرنيخ والانيلين واشعة رنتجن والكي (في البقر) والتدخين بقصبة قصيرة والحرارة المستمرة . فان سائقي الآلات البخارية يصابون بالسرطان ذي الخلايا القشرية في مقدم

سوقهم وذلك لكثرة تعرّض الجلد هناك للحرارة · وقد تكون الاسباب نفسها معدية كالبلهارسيا في المثانة وميكروب السل عندما ينشأ السرطان في ندب من الندوب التي يتركها داء الذئب · وربما نشأ السرطان عن فعل حيوانات حلمية كالديدان

وذهب بورل ان الديدان هي التي تحمل المادة السامّة التي تولّد السرطان وقال غيرهُ انهُ لا بد لهذه الاسباب كلها من نقطة واحدة تتفق فيها وان نقطة الاتفاق بينها هي قابلية الخلايا الحية في الجسم للتكيّف والتغيُّر في بنائها وتركيبها وقوتها على النموحينما يتكرَّر تهييجها بنقلها من مكان الى آخر كما ثبت في معهد البحث عن السرطان باحداث الخواريج اذا عرضت للتهييج المستمر· الاَّ ان اكتشاف فبجر يقصر عن ايضاح سبب السرطان الحقيقي وكيفية تولده كما قصرت عنهُ كل النوامي الطبيعية الاخرى · وقد جرّب كثيرون ان يثيروا النمو السرطاني في الحيوانات بتعريضها للاسباب التي يظن انهُ ينشأ عنها في الانسان فلم يفلحوا الاَّ في اشعة رنتجن · والاسباب التي ينشأ عنها في نوع من الحيوانات اللبونة تختلف عن الاسباب التي ينشأ عنها في نوع آخر بل ان اسبابهُ تختلف في الحيوان الواحد باختلاف الاعضاء التي يصيبها · ولهذا الاختلاف اهمية كبيرة فلا بد من موالاة البحث فيهِ · ولاكتشاف فبجر اهمية من وجهتين الاولى انهُ افرز سبباً من اسباب السرطان الظاهرة عن الاسباب الاخرى والثانية انهُ اول من تمكن من اثارة النمو السرطاني بواسطة الحيوانات الحلمية · انتهى

هذا وقد علم من قديم الزمان انهُ اذا كان في فم الانسان سن مكسورة واعتاد فركها بلسانهِ واستمرَّ على ذلك يوماً بعد يوم وسنة بعد اخرى فقد يتولد فيهِ سرطان · وعلم ايضاً ان بعض الناس اصيبوا بسرطان الشفة في الجزء الذي يمسكون بهِ قصبة الدخان القصيرة ويستمرون على مسكها بضع ساعات كل يوم · وان الحمالين في بلاد الهند يصابون بالسرطان في المكان الذي يسندون عليهِ الحمل من ابدانهم · وهذه الحقائق مع ما ثبت الآن من احداث السرطان في بعض الحيوانات بواسطة الديدان الخيطية وفي الانسان بواسطة اشعة رنتجن تدل على ان التهييج المتكرر قد يولد النوامي السرطانية · ولكن هذا التهييج نفسهُ لا يولد هذه النوامي في كل الناس ولا في كل عضو من اعضاء الحيوان الواحد على حدّ سوى فلا بدَّ اذاً من فواعل اخرى تضاف الى فعل المهيجات او تعد السبيل لها · ولا تزال هذه الفواعل مجهولة ولكن الباحثين دائبون على البحث عنها و يبعد عن التصديق انهم لا يصلون الى ضالتهم عاجلاً او آجلاً · وقد يحتمل ان يصل اليها قبلهم مَن لا يبحث بحثهم ولا يُعنَى عناءهم « ويأتيك بالاخبار مَن لم تزودِ » ولكن البحث هو الطريق المشروع للوصول الى النتائج العلمية

عجائب الجراحة والبحث الحيوي

تمهيد

قرأنا للمستر هندرك مقالة مسهبة في مجلة عمل العالم الانكليزية جمع فيها خلاصة مباحث الاستاذ كارل Carrel وغيرهِ من الباحثين في طبائع الخلايا التي يتركب منها جسم الحيوان وكيفية نموها وتجددها وخلودها فرأينا ان نقتطف منها الحقائق التالية وبعضها مما سبقنا فذكرناهُ في بعض اجزاء المقتطف

ان الدكتور مجيتو Magitot وهو من اشهر جراحي باريس عمل منذ بضعة اشهر عملية جراحية غاية في الغرابة وذلك ان رجلاً دخل الجير (الكلس) الحي احدى عينيهِ فازال بصرها واحدث في قرنيتها (بياضها) ندبة كبيرة . ولو حدث لهُ ذلك منذ خمس سنوات لقُطع الامل من اعادة بصرهِ اليهِ لكن الدكتور مجيتو كان قد عالج رجلاً آخر مصاباً بالغلوكوما منذ بضعة اسابيع واضطر ان يقتلع عينهُ لكنهُ لم يطرحها كما كان الجراحون يفعلون قبل الآن بل غسلها بمحلول خاص ووضعها في اناء من الزجاج فيهِ من مصل الدم وسدَّهُ سدًّا محكمًا ووضعهُ في مكان مبرَّد بالثلج لكي تبقى فيهِ حيَّة . وهذا من الامور التي اكتُشفت حديثًا فقد اكتشف الدكتور كارل انهُ اذا نزع كل عضو من اعضاء الحيوان بل كل جزء من اجزاء اعضائهِ ووضع في مصل الدم بقي حيًّا وقد ينمو ويعمل عملهُ كما لو كان باقيًا في جسم الحيوان . فلما جاء الرجل الذي اعماهُ الجير الى الدكتور مجيتو كان قد مضى على العين الاخرى المقلوعة ثمانية ايام وهي عائشة في مصل الدم فنزع الندبة من العين التي اعماها الجير ونزع معها جزءًا من القرنية وعمد الى العين الاولى التي عندهُ وقطع من قرنيتها جزءًا يماثل الجزء الذي نزعهُ من العين العمياء ووضع هذا بدل ذاك اي رقَّع قرنية العين العمياء برقعة من قرنية العين التي كانت عندهُ فالتصقت الرقعة بالمكان الذي وضعت فيهِ بعد بضع ساعات . ولم تمض بضعة ايام حتى شفي الرجل تمامًا وعادت عينهُ تبصر كما كانت قبل ان وقع الجير فيها

والدكتور كارل المشار اليهِ آنفًا هو احد الاطباء الباحثين في معهد ركفلر بنيويورك وهو فرنسوي الاصل ولد في ليون منذ تسع وثلاثين سنة وهاجر الى اميركا منذ سبع سنوات وقد نال جائزة نوبل ومقدارها نحو عشرة آلاف جنيه لما ابتدعهُ في الجراحة فانهُ قطع الشرايين ووصلها ثانية من غير ان يترك في باطنها ندبًا يتجمع الدم عليها . وتمكَّن من نقل

الشرايين والاوردة من حيوان الى آخر بعد ان حفظها اياماً عندهُ كما حُفظت العين المشار اليها آنفاً . ونزع كلية هرة ووضعها في جوف هرة اخرى بدل كليتها فالتصقت بها وقامت مقام كليتها . ومن اجل هذه الاعمال وامثالها نال جائزة نوبل وصار يشار اليهِ بالبنان وقد ذكرهُ الاستاذ شيفر بالاطراء في خطبة الرئاسة التي تلاها في مجمع ترقية العلوم البريطاني وترجمناها ونشرناها في المقتطف

الحياة خارج الجسم

ولم يكن الدكتور كارل بأول من اكتشف ان الاجزاء الحية تبقى حية بعد قطعها من جسم الحيوان اذا وضعت في سائل تغتذي بهِ بل سبقهُ الى ذلك الدكتور روز هريسن استاذ التشريح في جامعة يابل لكن الدكتور كارل توسع في البحث فاخذ اجزاء صغيرة جدًّا من اعضاء الجسم الحي من الجلد والكبد والقلب والكلية والطحال والعظام والاوتار والغدة الدرقية وغمرها بمصل الدم ووضعها في مكان حرارتهُ مثل حرارة الجسم فبقيت عائشة فيهِ

تولد الاجزاء الحية خارج الجسم

ثم جعل يبحث في هذه القطع بالميكرسكوب فرآها تنمو امام عينيهِ تكبر خلاياها بما يدخلها من الغذاء وتتولَّد منها خلايا جديدة حتى يصير جرم القطعة عشرة اضعاف ما كان الى خمسين ضعفاً في برهة وجيزة . اي انهُ رأَى بعينهِ بواسطة الآلة المكبرة كيف تتولَّد دقائق الجسم الحي بعضها من بعض وتنمو . وهذا ممَّا لم يرهُ احد قبلهُ . فالدقائق العظمية تولّد دقائق عظمية مثلها والدقائق الطحالية تولد دقائق طحالية والدقائق الكلوية تولد دقائق كلوية والدقائق الكبدية تولد دقائق كبدية والدقائق القلبية تولد دقائق قلبية وهلمَّ جرًّا كما لو كانت هذه الدقائق باقية في مكانها في الجسم الحي . ووجد ان سرعة تولدها ونموها تختلف باختلاف سن الحيوان الذي قطعت منهُ فاذا كان صغير السن كان تولُّدها ونموها سريعين واذا كان كبير السن كان تولدها ونموها بطيئين

ولا تكتفي هذه الدقائق بالتولُّد والنمو بل تفعل افعال العضو الذي قُطعت منهُ . فان الدكتور كارل قطع قطعتين من قلب فرخ ووضعهما على لوح من الزجاج ممَّا يستعمل للبحث بالميكرسكوب وغذاها بمصل الدم فنمتا حالاً وبعد بضع ساعات جعلت كل قطعة منها تنبض نبضان القلب الحي لكن نبضانهما كان اسرع من نبضان قلب الانسان وكانت واحدة منها اكبر من الاخرى فجعلت الكبرى تنبض ٩٢ نبضة في الدقيقة والصغرى ١٢٠ نبضة واستمرتا على ذلك ثلاثة ايام ثم ابطأتا فانحطت نبضات الاولى الى ٤٠ في الدقيقة ونبضات الثانية الى

٩٠ في الدقيقة · وسبب هذا الابطاء انهُ تولَّد فيها مواد سامَّة اضعفت فعلها فغسلها ووضع لها مصلاً جديداً فعادتا الى سابق قوتهما بل زادتا عليها لان القطعة الصغرى صارت تنبض ١٦٠ نبضة في الدقيقة والكبرى ١٢٠ نبضة · وكانتا تنموان بسرعة كما يحدث في المرض المعروف بتضخم القلب · وحدث من نموها ان دنت احداها من الاخرى حتى التصقتا وصارتا قطعةً واحدة وصار نبضانهما واحداً · وقد تمكَّن من ابقاء قطعة من القلب حية تنبض ١٠٣ ايام واتفق حينئذٍ ان احد المشتغلين معهُ نزعها عن لوح الزجاج عن غير قصد منهُ ولولا ذلك لبقيت حيَّة الى ما شاء الله · وكانت تنبض ١٢٠ نبضة في الدقيقة لما نزعت اي انها نزعت وهي في عنفوان قوتها

رؤية السرطان وهو ينمو

وقد رأى الدكتور كارل ما لم ترهُ عين بشر قبلهُ وهو نمو السرطان · فان السرطان نموٌّ غير قياسي في جزءٍ من اجزاء البدن لسبب مجهول كما في سرطان المعدة وسرطان الثدي وسرطان الحلق وسرطان الدماغ · والخلايا السرطانية مثل سائر خلايا الجسم الذي ينمو السرطان فيهِ ولكن خلايا الجسم تتبع في نموها قياساً محدوداً فالخنصر لا يصير ابهاماً واليد لا تصير رجلاً والشفة لا تصير اذناً · وقلما تختلف النسبة بين اعضاء الانسان الواحد عمَّا هي في اعضاء الانسان الآخر · ولكن الخلايا التي يظهر فيها داء السرطان تنمو نموًّا فاحشاً لا قيد لهُ وقد بحث العلماء في هذه الدقائق بالميكرسكوب ليروا ما فيها ممَّا يوجب نموها السريع ولكن ما من احد منهم بحث فيها وهي تنمو فعلاً قبل الدكتور كارل فانهُ قطع قطعة صغيرة من سرطان امرأة مصابة بهِ ووضعها في مكان دافىءٍ فجعلت تنمو كأنها لم تزل في جسم المرأة فوضعها تحت الميكرسكوب وجعل يراقب نموها فرأى خلايا جديدة تتولد من الخلايا القديمة وتستدير اولاً ثم تصير بيضية الشكل ثم تستطيل ونموها هنا اسرع من نموها في جسم الانسان فانهُ اذا نُقل جزء من السرطان من حيوان وطُعِّم بهِ حيوان آخر لم يشرع في النمو الاَّ بعد ١٢ ساعة الى ٤٨ ساعة واما هنا فيشرع في النمو بعد نحو ساعتين

ووجد ان المصل الذي يغذى بهِ السرطان يؤَثر في نموهِ فاذا غذي من مصل دم الحيوان الذي قطع منهُ نما بسرعة حتى صار اكبر ممَّا كان عشرين ضعفاً واما اذا غذي بمصل حيوان سليم لم ينمُ بهذه السرعة · ووضع قطعة من سرطان في مصل حيوان آخر مصاب بسرطان مثلهِ فنمت فيهِ قليلاً او لم تنمُ مطلقاً وهذا يدل على ان مصل دم الانسان المصاب بالسرطان بقي حيوانًا آخر من ذلك السرطان كما ابنا غير مرة

الموت العام والموت الخاص

يراد بالموت العام في عرف العلماء الطبيعيين ما يراد بالموت في عرف غيرهم من العامة والخاصة اي زوال الشعور من الجسم. فاذا طعن رجل بخنجر نفذ الى قلبهِ وقع ميتاً لاحراك بهِ فنقول انهُ مات وهذا هو الموت العام في عرف علماء الطبيعة تمييزاً لهُ عن الموت الخاص لانهُ وان كان جسمهُ كلهُ قد مات موتاً عامًّا حسب الظاهر الاَّ ان كل عضوٍ من اعضائهِ على حدتهِ لا يموت حالاً بموتهِ بل يبقى جلدهُ حيًّا برهة طويلة او قصيرة وكذلك قلبهُ وكبدهُ ورئتاهُ وكليتاهُ وسائر اعضائهِ وكل اجزاء جسمهِ. ويمكن حفظ كل جزءٍ منها حيًّا كما تقدَّم بوضعهِ في مكان مبرَّد فيبقى حيًّا الى ما شاء الله ثم تظهر حياتهُ بالنمو اذا غذي بمصل الدم كما تقدَّم ويعمل حينئذٍ عمل العضو الذي قطع منهُ كما رأيت في القطع المقطوعة من القلب

الموت الطبيعي والموت العرضي

الرجل الذي يموت بطعنة خنجر موتهُ عرضي لانهُ مات بعارض عرض لهُ ولولا ذلك لبقي حيًّا ولكن الانسان الذي يعمّر عمراً طويلاً ويموت من الانحلال الطبيعي يقال انهُ مات موتاً طبيعيًّا . واكثر الناس يموتون موتاً عرضيًّا بعوارض تطرأُ عليهم وكذلك اكثر الحيوانات وقلما تكون هذه العوارض خناجر يطعنون بها او سهاماً ترمى عليهم ولكنها تكون ميكروبات صغيرة تسطو على اجسامهم كالاسود الضواري وتفتك بهم وهي التي تسبب الامراض المعدية على انواعها واشكالها . وقد لا نعلم كيف تميتنا ولكن لا شبهة في ان من يصاب بداء يميتهُ لا يموت حينئذٍ اذا لم يصب بذلك الداء او اذا عولج حتى شفي منهُ

وقد يموت الانسان من الشيخوخة فانهُ اذا تقدم في السن شاب شعرهُ وتغضن جلدهُ ووقعت اسنانهُ وضعف بصرهُ وقلَّ مضاء ذهنهِ وتعذَّر على الاطباء ان يجدوا علة لذلك غير الشيخوخة واخيراً ينقطع نفَسهُ ويضمُّ الى ابائهِ فيقال انهُ مات من الشيخوخة او مات موتاً طبيعيًّا . والمظنون ان سبب ذلك ان خلايا الجسم المختلفة تفرز في جملة مفرزاتها مادة سامة تميتها فاذا امكن نزع هذه المادة السامة من حولها تجدَّدت حياتها الى ما شاء الله ولذلك فالموت الطبيعي نوع من الموت العرضي كالموت بتجرُّع السم

بعض الاحياء لا يموت

من الاحياء الميكروسكوبية ما لا يموت ابداً في ما يُعلَم وهي الاحياء المؤلفة من خلية واحدة فانها تعيش العمر المحدَّد لها ثم تنقسم الخلية منها الى خليتين وتعيش كلٌّ منهما الى ان تشيخ وتنقسم الى خليتين وهلمَّ جرًّا ومن الاشجار ايضاً ما لا يموت حسبما يظهر كاشجار كاليفورنيا

الكبيرة فان عمر الشجرة منها الوف من السنين واذا لم يعرض لها عارض ما فليس ما يمنع بقاءها حية على الدوام

وقد وجد الدكتور كارل ان الخلية من خلايا الجسم الحي تعيش خارج الجسم كما تعيش فيهِ فتشبّ وتكتهل وتشيخ وتموت . فاذا قطع جزء من جنين الفرخ وغذي بمصل الدم نما بسرعة . ثم تضعف قوة خلاياهُ عن التوليد وتموت ولو كانت موقاة من كل الميكروبات وكان غذاؤُها وافراً . فلا تموت اذاً من مرض ولا من جوع بل من الشيخوخة او من سبب فيها يميتها . ولم يرَ هذا السبب حتى الآن لا بالعين ولا بالميكرسكوب لانهُ اصغر من ان يُرَى على ما يظهر ولكن يرجح انهُ مادة سامة تفرزها الخلية نفسها

خلود الخلية

ولكن لم يلبث الدكتور كارل ان اكتشف طريقة تفرق بها حياة الخلية خارج الجسم عن حياتها داخل الجسم . ولقد طالما بحث الناس عن واسطة لتجديد الشباب بما يسمَّى باكسير الحياة فلم يفلحوا حتى قال بعضهم ان اكسير الحياة وحجر الفلاسفة من قبيل الاوهام . فقد يخضب الشيخ شعرهُ فيسودّ ولكنهُ لا يستطيع ان يعيد غضارة جسمهِ وانتصاب قامتهِ وحدّة سمعهِ وجلاء بصرهِ . اما الدكتور كارل فرأَى انهُ يستطيع ان يجدد حياة الخلايا التي يتألف منها الجسم ويقيها من الموت ولكنهُ لا يستطيع ان يفعل بها ذلك وهي في الجسم بل لا بدَّ لهُ من فصلها عنهُ . فاذا تُرِك الفرخ حتى يحيا حياتهُ المعتادة عاش وكبر وشاخ ومات ولكن اذا قُطِّع جسمهُ قطعاً صغيرة وغذيت بالمصل ووقيت من الميكروبات والسموم المميتة عاشت الى ما شاء الله ولا ينقصها الاَّ ذاتية الفرخ

فالخلية من خلايا الجسم الحي اذا أُخرجت منهُ وتركت لذاتها عاشت وماتت خارجاً عنهُ كما تعيش وتموت وهي فيهِ ولكنها اذا لم تترك لذاتها بل وُقيت من العوارض الخارجية ومن السموم التي تتولد منها وتميتها بقيت حية على الدوام فاذا امكن ان توقى وهي داخل الجسم من السموم التي تتولد منها بقيت حيَّة هناك ايضاً

كيف توقى الخلايا من الموت

لما رأَى آثار الضعف والموت بدت على قطع اللحم التي كان يبحث فيها غسلها بمحلول يزيل ما تولَّد منها من السموم واضاف الى المصل الذي كانت فيهِ سائلاً يسمي العصار الجنيني فعادت خلايا قطع اللحم الى النمو كما كانت قبل ان تولاَّها الضعف . واستمرت على ذلك

مدة ثم ضعفت رويداً رويداً فاعاد غسلها وتجديد مصلها فعاد اليها شبابها . وكرَّر ذلك خمساً وتسعين مرةً فصارت في آخر الامر اقوى جدًّا مما كانت قبلاً . والدلائل تدلُّ على انهُ لو كرّر غسلها وتقوية مصلها لعاشت دواماً وصارت اقوى كثيراً ممَّا كانت في اول امرها اي ان حياتها تتجدَّد وتزيد بالوسائل الخارجية لا غير

هل يمكن تجديد الحياة في الجسم كلهِ

ثبت ممَّا تقدم ان خلايا جسم الحيوان يمكن ان توقى من الموت وتتجدَّد حياتها الى ما شاء الله وهي مفصولة عن جسم الحيوان فهل يمكن ان تتجدَّد حياتها وتوقى من الموت وهي غير مفصولة عنهُ اي هل يمكن ان يوقى الجسم كلهُ من الشيخوخة والموت . هل يمكن ان يصير جسم الانسان كجسم الشجرة التي يتجدد شبابها كل ربيع بعد ان تشيخ في فصل الشتاء . اذا التفتنا الى هذه المسألة نظريًّا لم نرَ ما يمنع هذا التجدد لان ما يصحُّ على بعض الاحياء قد يصحُّ على البعض الآخر ولكن العمل غير النظر . وقد ثبت للدكتور كارل ان السائل الذي يجدد حياة اجزاء الطحال لا يجدد اجزاء القلب والكبد وان الملح الذي يقوي اجزاء الجلد لا يقوي اجزاء غيرهِ من الاعضاء كأن لكل عضوٍ من اعضاء الجسم وسيلة لتجديدهِ تختلف عن الوسيلة التي تجدد غيرهُ فلا يمكن الجمع بينها حتى الآن

حياة الاعضاء خارج الجسم

لم يكتفِ الدكتور كارل ان اثبت ان خلايا الجسم يمكن ان تعيش وتنمو خارج الجسم بل اثبت ايضاً ان اعضاء الحيوان نفسها يمكن ان تعيش خارج جسمهِ فانهُ نزع من هرَّة كل اعضائها الداخلية قلبها ورئتيها وكبدها وكليتيها ومعدتها ومثيتها وامعاءها ووضعها في المحلول الذي كان يضع فيهِ الاجزاء الصغيرة من الاعضاء وللحال اخذت هذه الاعضاء تفعل فعلها المعتاد وتقوم بوظائفها . فاوصل الهواء الى الرئتين فجعلتا ترتفعان وتنخفضان اي تدخلان الهواء وتخرجانهِ كما في التنفس العادي . وجعل القلب ينبض ويدفع الدم في الشرايين وبقيت المعدة والامعاء تهضم الطعام كما كانت تهضمهُ وهو في جسم الهرَّة وقامت الكليتان والمثانة بعملها . اي انهُ فصل اعضاء الهرَّة الجوهرية عن دماغها ولحمها وعظمها وابقى هذه الاعضاء تعمل اعمالها كما لو كانت في جسمها وهي حية . ماتت الهرَّة موتاً عاماً ولكن اعضاءها لم تمت بل بقيت حية ترزق . وهذا اغرب ما عملهُ . وقد تيسَّر الآن لطلبة الطب ان ينزعوا اعضاء الجسم الباطنة عضواً عضواً ويروا اعمالها ويبحثوا في خواصها

بعض الجماجم المكتشفة حديثاً

ينقب العلماء عما خلّفهُ الانسان في طبقات الارض من الآثار للاستدلال منها على قدم عهدهِ ونوع معيشتهِ في سالف العصور وكيفية تدرُّجهِ في درجات الارتقاء والتقدم الى ان اصبح على ما هو عليهِ الآن . واكثر المكتشفات التي من هذا النوع اكتشفت في اوربا حيث جد الناس وراء العلم وحرصوا على اقتناء المعارف

واهم ما يعتمدون عليهِ في البحث عن قدم الانسان نوع طبقات الارض التي توجد آثارهُ فيها وانواع الادوات التي كان يستعملها والحيوانات التي كانت تعاصرهُ . ولا نتعرض هنا للبحث في هذه الوجوه انما نريد ان نأتي على ذكر اهم المكتشفات العظمية التي اكتشفت حديثاً ونقتصر منها على الجماجم لانها اهمها

سنة ١٩٠٨ اكتشف شونتساك الفك الاسفل من انسان في طبقات البليوسين العليا بالقرب من هيدلبرج في المانيا . ولا يظهر في هذا الفك النتوء الذقني . والتحام اللحيين من الامام فيهِ يقرب من التحامهما في الغورلاَّ الأَّ ان موءخرهُ اقرب الى موءخر فك الجبون . واسنانهُ اكبر منها في الناس في الوقت الحاضر الأَّ انها تظهر صغيرة بالنسبة الى كبر الفك نفسهِ . وفي موءخر كل لحي فسحة تسع ضرساً آخر زيادة على الاضراس النابتة فيهِ

وقد بريت الاسنان باستعمالها في المضغ حتى ظهرت مادتها التي تحت المينا فدل ذلك على ان صاحب هذا الفك كان بالغاً . وفي كل من الطواحن الأَّ الثالثة الى اليسار خمس نتوات . ويظن ان اسنان الناس في الوقت الحاضر تشبه هذه الاسنان وهم بين التاسعة والرابعة عشرة من العمر

والقسم الذي تنبت فيهِ الاسنان من هذا الفك اغلظ واطول مما هو في الشعوب الاوربية ويبلغ معظم ارتفاعهِ تحت الطواحن الاولبين والثانيتين واذا التقى على سطح مستوٍ ظهرت بينهُ وبين السطح ثلاث حنايا واحدة على كل من الجانبين واخرى في مكان الذقن تحت الثنايا تمتاز بانها قوس من دائرة قطرها اكبر من قطر الحنايا الذقنية في الاوربيين في الوقت الحاضر

وقد وجدت جماجم اخرى في الطبقات الوسطى والعليا من الدور الرابع في بلاد بلجكا والمجر وهي متوسطة بين هذه وبين جماجم الناس في الزمن الحاضر

ووجدت سنة ١٩٠٨ عظام انسان في مغارة بلاشابل اوسانت في فرنسا ومعها عظام حيوانات اخرى ادوات بسيطة مما كان يستخدمهُ الانسان في اواسط الدور الرابع . ويظن

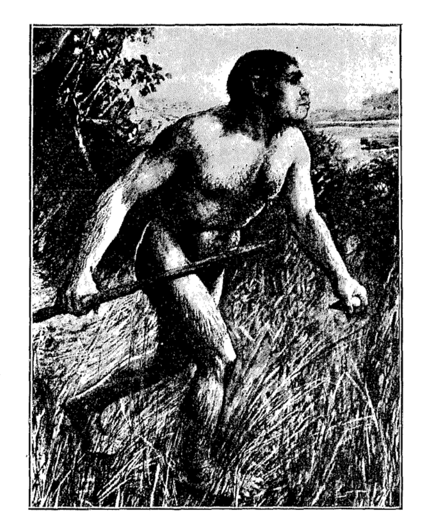
ان تلك المغارة كانت مدفناً لان العظام وجدت في حفرة قد ملئت بالتراب والعظام والظران . ومن العظام التي عثر عليها رجل جاموس اميركي كانت لا تزال عظامها متصلة بعضها ببعض مما يدل على انها وضعت في ذلك المكان قبل ان ينتثر اللحم عنها وان التراب الذي وجدت فيهِ لم يثر بعد ذلك . وعثر في المغارة ايضاً على موقدين وادوات بسيطة وليس فيها ادوات عظمية

ووجدت اكثر عظام الهيكل الانساني كالجمجمة والفك الاسفل و بعض الفقار وعظام الكتفين . وقد حقق انها عظام رجل متقدم في السن يبلغ طول قامتهِ متراً وستين سنتيمتراً وقحفهُ مفرطح دليلهُ (اي نسبة قطرهِ من جانب الى جانب الى قطرهِ من الامام الى الوراء) ٧٥ . ويظهر ان عضلات مؤخر عنقهِ المتصلة برأسهِ كانت قوية فيهِ وان حلقهُ كان طويلاً يكاد جانباهُ يتوازيان وانفهُ قصيراً افطس منضغطاً عند اتصالهِ بجبهتهِ . ومن مميزات فكهِ الاسفل كبرهُ وعدم وجود النتوء الذقني والحنية الذقنية فيهِ . وان رأسي اللحيين اللذين يليان الفك الاعلى لها قطر كبير من الامام الى الوراء

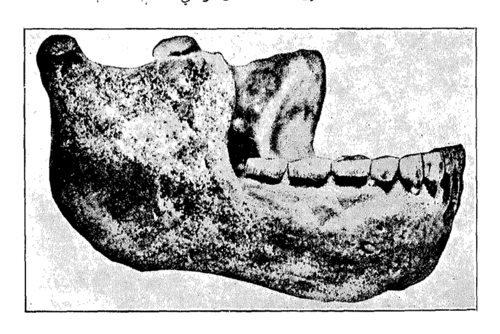
وقد قيس تفريغ القحف بقياس ما يملأهُ من المواد فظهر انهُ ١٦٢٦ سنتيمترا مكعباً وجماجم الناس اليوم لا تزيد على هذه الجمجمة في اقطارها الافقية من الجانب الواحد الى الجانب الآخر ومن الامام الى الوراء انما تزيدها في القطر العمودي من اسفل القحف الى اعلاهُ حتى يصبح تفريغ كل منها لا اقل من ١٨٠٠ سنتيمتر مكعب وقد يبلغ تفريغ بعضها ١٩٠٠ سنتيمتر مكعب . وقد قدّر تفريغ قحف بسمارك ١٩٦٥ سنتيمتراً مكعباً واقطار قحفهِ الافقية مثلها في باقي الناس . وتبين من فحص عظام الرسغين في الرجلين انها اقرب الى ما يقابلها في الحيوانات المتسلقة والحيوانات الشبيهة بالانسان مما هي عليهِ اليوم

ومن نحو اربع سنوات رأى المستر دوسن الانكليزي ظراناً (ادوات صوانية) في تراب كان الفعلة يردمون بهِ طريقاً فذهب الى المكان الذي احتفروهُ منهُ فرأى قسماً من جمجمة انسان . فبعثهُ ذلك على الحفر لعلهُ يأتي على بقية عظام هيكلهِ فوجد قسماً من الفك الاسفل وهو شبيه بما يقابلهُ في القرد . وتولى بعض العلماء تركيب جسم الانسان على ما يلتئم مع هذا الفك كما تصوّرهُ وهو حي وصوّرهُ على ما ترى في الرسم المقابل . وسمي هذا النوع من الانسان بانسان دوسن نسبة الى مكتشفهِ . اما الطبقة التي وجدت العظام فيها فهي طبقة البليستوسين التي تلي طبقة البليوسين (الدور الثالث) ولذلك رجح ان الانسان عاش في الارض قبل الدور الرابع

وقد قدّر تفريغ قحفهِ بالف سنتيمتر مكعب اي ان دماغهُ كان اربعة اخماس دماغ



صورة تخيلية للانسان الوحشي



الفك الاسفل من جمجمة انسان وحشي

الانسان في هذا العصر وضعفي دماغ ارقى انواع القرود وعظامهُ غليظة وعضلات صدغيهِ تمتد نحو قمة قحفهِ اكثر مما تمتد في كل القحوف التي وجدت حتى الآن · وفكهُ الاسفل يشبه الفك الذي وجد في هيدلبرج الأ انهُ اقرب منهُ الى فك القرد واقل غلظاً وتحدباً في مكان الذقن حتى يكاد يكون مستديراً · فهو شبيه بفك الشمبانزي من انواع القرود · واكتشفت اكتشافات اخرى تدل على ان الانسان كان منتشراً في اوربا وجزيرة جاوى وما بينهما من البلدان منذ نحو مئة الف سنة الى مليون سنة وانهُ كان على انواع مختلفة في ذلك العهد

الاخلاق (١)

ايها السادة والسيدات

لم يُخلق الانسان اميراً ولا كاهناً ولا سلطاناً ولا رئيساً ولا مرؤوساً · وما السيادة الاَّ للعقل · وما التفاضل الاَّ بالمآثر والمبرات · فلا ينبغي ان يُرفع امروءٌ على آخر و يُفضل بغير عقلهِ ونفسهِ وادبهِ واخلاقهِ · كلٌّ منا خُص بلقب من خالقهِ اشرف من القاب الملوك والسلاطين · ألا هو لقب « انسان » · ولكل منا حقوق طبيعية متساوية ملازمة غير متعدية لا يستحق ان يُدعى بشراً من ينام عنها او يُغضي على امتهانها · ولكل منا حقوق سياسية اجتماعية تنشأُ في حياتنا المدنية ومنها عارٌ علينا ان نسكت عمن يهتضمها من اولي الرئاسة والامارة

« وأرى ملوكاً لا تحوط رعيةً فعلى مَ تؤْخذ جزية ومكوسُ »

ولكل منا حقوق ادبية نفسية ليس فوقها غير سنَّة الله السائدة في الاكوان لا تخضع فيها لسواها — لسنة الله التي تنير في الانسان الضمير كما تنير في السماء الكواكب والنجوم — لسنة الله التي تقرن نور الشمس بنور اليراعة وقوس قزح بالوان الطاووس وزئير الاسد بصوت النبي وتغريد البلابل بقوافي الشعراء · فحقوقنا الادبية النفسية التي لا نخضع فيها لغير سنة الله انما هي برهاننا على وجود الله · ولا حق اثبت منها واعلى · قد أُلقى في السجن فاحرم حقوقي المدنية · وقد احرم قوتي وأُسام العذاب فتمتهن حقوقي الطبيعية · ولكن السجن والجوع والعذاب لا تذهب بذرة من حقوقي الادبية الروحية · انك اذا استطعت حبس

(١) خطبة الفيت في دار الكلية الامركية في بيروت في ٨ مارس (اذار) سنة ١٩١٣

نور الشمس او ايقاف ريح السموم او تقييد امواج البحار لتستطيع سلب حق من حقوق اخيك النفسية · ولكنها قد تُغفل فيهِ فتفسد فتضعف فتموت · وكذلك حقوقهُ المادية كلها. ولا حاجة لان اضرب لكم الامثال ايضاحاً · فحرية الحركة مثلاً من حقوقي الطبيعية وحرية التبعة من حقوقي السياسية · وحرية الفكر والضمير من حقوقي النفسية · وسياج هاتهِ الحقوق كلها الاخلاق بل الاخلاق الطيبة السليمة المجيدة السامية · فاذا أُفسدت الاخلاق في امة نامت تلك الامة عن حقوقها · واذا نامت عن حقوقها استبد حاكمها · واذا استبد حاكمها ساء حالها · واذا ساء حالها خربت ديارها · واذا خربت ديارها حق لامة يافظة ناشطة راقية ان تتولاها فتعمرها

ملك اساسهُ الجهل والسفه وقوامهُ الاستبداد والجور ومظاهرهُ الفقر والبؤْس والقذارة لهُ يوم من الدهر فيزول · امة لا تسمع فيها غير التأوه والانين والصراخ والشكوى لها يوم من الشقاء فيزول فيبعث الله من يحل قيودها · ويمسح دمعها · و ينعش بالعدل نفسها · وبالعلم يجدد قواها · كانت ايامٌ تباد فيها الامم · يبيدها الجهل او الوباء او المجاعة او الظلم او الحرب · واما اليوم فالامم تجدد شبابها لان المعارف والعلوم غير محصرة في فئة صغيرة من الناس · والاوبئة التي تساعد في افشائها الاضاليل يكاد العلم يستأصلها · وعاطفة في الامم الراقية شريفة تمدها اموال كثرت في البلاد المتمدنة لا تمكّن المجاعات من البشر · والحكومات الاستبدادية لم تعد تطاق · والحروب شبه حروب أَتلاً وجنكيزخان امست في خبر كان · فلا خوف على الامم اليومَ اذاً الاَّ منها وفيها · الخطر على حياتها في قلبها · في نفسها · في حكومتها · في الخاسئ المائت من علومها ومذاهبها وتقاليدها · في فساد اخلاقها واحكامها وشرائعها

« وجدت الشرعَ تخلقهُ الليالي كما خُلق الرداءُ الشرعيُّ »

فالاخلاق السليمة السامية المجيدة انما هي سياج حقوقنا كلها بل هي من اهم اركان الترقي والعمران · انها لنور العدل في الملك · ونور الايمان في الدين · ونور الصدق في العلوم · ونور الحياة الحقة في الامة · ولنا ان نسأل ما هو مصدر هاته الانوار المعنوية وما هي خاصتها وغايتها · و بكلمة اوضح ما هي الاخلاق · وما هي اصولها واسباب رقيها · وما هي عوامل الفساد فيها · و كيف تُصلح اذا فسدت في الامة ساجيب مختصراً عن كلّ من هذه المسائل ثم اقابل بين ما عُرف من اخلاق الغربيين لعلنا نهتدي الى الاخلاق الاسمى فنتخلق بها

١

الخُلق غير الطبع والمزاج . الخلق اطلاقاً ما يظهر من الفكر والنفس . والمزاج ما يظهر من الشعور . وفي القاموس الخُلق الطبع والسجية والمروءة والعادة والدين . فجاء في التحديد بين الطبع والدين ما قد يكون من اهم مظاهر الاخلاق واصولها . ففي الطباع والسجايا شيء من الوراثة التي ليست من بحثي الليلة . واما المروءة مثلاً نخلق في الناس . المروءة مظهر من مظاهر النفس بل صفة راسخة من صفاتها لا يحتاج صاحبها الى اجتهاد او تكلف في اظهارها . وكذلك الشجاعة والكرم والحلم . وكذلك الجبن والبخل والغضب . هذه اخلاق قد تكون خاصيتها معنوية ومادية معاً . قد تكون في كريات الدم وفي الجهاز العصبي وقد تتصل اسبابها بنجوم السماء . ان مزايا النفس السامية التي لا يأتي عليها كيل ولا قياس ليراها الناس فيقدرونها انما هي مادية روحية . ومصدر المادة فيها لم يزل غامضاً نوعاً كمصدر الروح . اما المتطرفون من علماء النفس وعلماء المادة فعلى غير هذا الرأي . على انهُ لا ينكر ان مزايا النفس في بعض احوالها كالكهرباء لا تعرف الاَّ بمظاهرها . ففي الخلق العظيم المجيد شيء من طبع البربري واشياء من سجية النبي الالهية . واما الخلق العظيم عند السالكين اي الإعراض عن العالم والاقبال على الله تعالى بالكلية فتلك مسئلة اخرى اجيء بعدئذٍ على ذكرها

ولهذه المزايا النفسية علم هو علم الاخلاق او علم السلوك الّف علماؤُنا فيهِ مجلدات قلّت فائدتها على كثرتها . وقد تستغربون قولي ان في علم الاخلاق عندنا ما يفسد الاخلاق السليمة السامية . كان العرب في صدر الاسلام وفي الجاهلية يقوّمون المعوج في اميرهم بحد السيف . كانوا يقولون للظالم المستبد : اما ان تعدل واما ان تعتزل . ويعملون بما يقولون . فجاء بعدئذٍ من علّموا علم الاخلاق بمقتضى الحكمة العملية فقالوا : « ادفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيهِ وكف لسانك عن سبهم » و « لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليهِ ولكن الثقة بالله » وكثيرة في كتبنا العربية امثال هذه الحكمة العملية التي قلما تراعى الحقيقة فيها . وضعت لتقييد المظلوم وتأييد الظالم . فافسدت اخلاق الاثنين

اما الحكمة الخلقية فبينها و بين الحكمة العملية تفاوت عظيم وفي تراجم النوابغ من رجال التاريخ مثال حي لهذا التفاوت . خذ ايًّا منهم كيوليوس القيصر مثلاً اولوثيروس اوكرمول او نپوليون الاول . نوابغ السيف والروح بل الملك والدين . كل خطير النفس رفيع الاهواء بعيد الهمة كانت شرعتهُ الحكمة الفطرية في ما نالهُ من جسيم الامور الى ان صار سيداً في الناس وربّ ملك في العالم . فوارس من فوارس السماء اوقدوا في الناس مشعال الحرية

والحقيقة فملأُوا البلاد نوراً ظنوهُ نورَهم فرفعوا انفسهم الى مقام الآلهة واتخذوا الحكمة العملية سيفاً لتعزيز شؤُونهم وتنفيذ مآربهم. وفي الشرق حتى اليوم ملوك وامراء لا يستحقون ان يكونوا عبيداً لاولئك النوابغ الابطال يرفعون انفسهم الى مقام الالهة ويكلفون الناس التجبير والسجود

«ومن شر البرية ربٌ ملك يريد رعيةً ان يسجدوا لهُ»

الاخلاق قوى كامنة في النفس تؤَثر فيها الحوادث والاشياء فتظهر عفواً لغرض اوليّ هو ارتياح النفس واطمئنانها · ولا يطمح صاحبها باديءَ بدء الى معالي المجد او الشهرة او الغنى او السيادة · خذ الغربي في امة فسدت حكومتها · فهو يناهضها في الدرجة الاولى طوعاً لحكم ضميرهِ فتطمئن نفسهُ · ورغبةً باصلاحها ثانياً فتصان حقوقهُ · واذا انتبع عملهُ اصابهُ في الدرجة الثالثة منهُ بعض النفع والفائدة· فيغرهُ اذ ذاك الكسب وتستهويهِ السيادة فيصبح وا اسفاهُ سياسياً شرعتهُ الحكمة العملية · اما الشرقي في مثل حالهِ فقد يتمثل باقوال الحكماء التي ذكرت شيئاً منها ويستعيذ من الظالم بالله · اذا وقف الغربي عند الدرجة الثانية من عملهِ كان عملهُ شريفاً مجيداً · واذا تعداها كان عملهُ مشوباً مشيناً · وفي كلا الحالين يظل احسن من ان «ندفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا ننازعهم فيهِ» · عظم الهمة والجرأَة الادبية ومناهضة الظلم والظالمين اخلاق غربية · والتصون والتقية والاستسلام الى الاقدار اخلاق شرقية

«نشكو الزمان وما اتى بجنايةٍ ولو استطاع تكلماً لشكانا»

٢

قلت ان الاخلاق مزايا راسخة في النفس تظهر في مظاهر شتى لغاية اولية هي ارضاء النفس واطمئنانها · كالاستسلام الى الاقدار مثلاً عند الشرقيين · او السعي في مناهضتها عند الغربيين · او الهرب منها عند السوريين · لننظر الآن في اصول الاخلاق وعوامل التربية فيها· اذا اجلنا الطرف في عالم الحيوان رأينا فيهِ امثلة من العمل والصناعة ورقي الحواس قلما نشاهد مثلها في الانسان ولكننا لا نرى فيها عامل الرقي حيًّا ثابتاً دائماً · فالنمل مثلاً لم يرتقِ في عملهِ منذ مدحهُ سليمان الحكيم — كأنهُ مثل الانسان يضرُّ بهِ الاطراء — ولا النحل ارتقى في صناعة العسل ولا البلبل في فن الانشاد· ومهما بالغ الانسان في تربيتها تظل الغريزة فيها واحدة وتبقى قواها محدودة · وفي الانسان شيءٌ ادبي روحي ثابت لا تؤَثر فيهِ الحوادث

والاشياء . الانسان مدني بالطبع وسيبقى مدنيًا . وفيهِ فطرة خير لا يضعفها نكد الدنيا ولا يزيلها البؤس والاستعباد . وفيهِ عاطفة الحب حية ابدية . وفيهِ نزعة الى المجد والعلى هي اكليل اهوائهِ العالية كلها . وفيهِ مزية سامية الهية تحبب اليهِ ما هو ثابت دائم ازلي فيتعجب من مظاهرها في النمل والنحل والطيور ويأخذهُ الخشوع والتهيب عند ما يشاهدهُ منها في نظام الكواكب والافلاك . وعندي ان هاتهِ الخاصية البشرية الالهية التي تتساوى اصلاً في الناس البدو منهم والحضر وتتفاوت فرعًا انما هي المصدر الخفي لما ينشأ فينا من الاخلاق فتتباين وتتفاضل عملاً بسنَّة الالفة والانفراد . فخلق النساك هو واحد في الهند وفي جبل آثوس لا يتغير . والوفاء في الكلاب لا يظهر الاَّ في مرافقتها الانسان . واخلاق البدو من العرب كانوا او من زنوج اميركا هي واحدة . وما يصح في البدوي يصح في القبيلة . وما يقال في الرجل المتمدن يقال في الامم المتمدنة . اي انها لا تفضل بعضها بعضًا ادبًا واخلاقًا ولكنها تختلف في ذلك اختلاف عاداتها وتقاليدها وشرائعها . حرية الافرنسي الجمهوري مثلاً لا تفوق حرية الانكليزي الملكي . وليست اخلاق الانكليز بافضل من اخلاق الفرنسيس . بل الامتان تستويان في الفطرة البشرية السامية كما تتساوى افرادها ولا تختلفان الاَّ ظاهراً وعرضاً كما تختلف الطيور في ريشها ولونها وكما تختلف في شكلها اوراق الاشجار — لا يفوتنكم ان موضوعي الاخلاق لا الطباع — اما النزعة الشديدة الى العلم . والطموح الى المآثر العالية . والصبو الى استطلاع ما وراء الاشياء الى اكتشاف اسرار الطبيعة ليستخدم ما فيها من القوى الكامنة في سبيل الرقي والعمران — رقي الانسان وعمران البلاد — فهذه كلها من المزايا الراسخة اليوم في روح المدنية الجديدة ولا فضل لامة على اخرى الاَّ بما احرزتهُ من جسيم الامور في مضمار الفكر والبحث والعمل وبما اكسبها نوابغها من مجد في سبيل الانسانية ومفخرة . وهذه السجايا الشريفة في الامم انما هي نتيجة الاخلاق السامية في افرادها العاملين . وهي السبب ايضاً في ما قد يكون اسمى منها في ابنائها الآتين

يقال ان الانسان ابن الاحوال اسير الحوادث خاضع لاحكام الزمان مقود بزمام القضاء . وقد يكون الحيوان وما في البشر من الحيوان كذلك . اما الانسان — وفي كل جماعة وكل امة تجدهُ — فهو فوق الاحوال والجوع والحوادث . وهو في الاحايين يتغلب على القضاء . فيكتشف بلاداً جديدة . ويغير خريطة العالم . ويذلل العناصر . ويسوق الى غرضهِ سنن الاكوان . ويهدم الهياكل ويؤسس الاديان . يزعزع الممالك ويبيدها . ينفخ في الامم

المائتة روح الحياة . الانسان حر في ارادتهِ وعملهِ وفكرهِ . مهيمن على نفسهِ . مالك زمام الحوادث التي ترفع بهِ الى ما فوق اصطلاحات الجموع واحكام الناس . ولو لم يكن كذلك لكان اعتقادنا بالله باطلاً . ولو لم يكن كذلك لكانت اخلاق البشر كغرائز الحيوان لا يعمل بها ناموس النشوء الحي ولا تؤَثر فيها عوامل الارتقاء الثابتة

يقال ان سر السعادة في تكييف اميالنا لتوافق الاحوال التي نحن فيها لا في تكييف الاحوال لتكون لنا سلّماً الى تشوقاتنا البعيدة وامالنا العالية . وقد يكون هذا سر النجاح في التجارة وفي السياسة لاسر السعادة . وقد يوافق الصيرفي والاسكاف والبقال . ولكن الانسان المدرك ما فيهِ من قوى الاكوان الكامنة الناظر الى اليد العلوية التي ترصع الافلاك بالنجوم وتخط فيها الاسرار وتنصب منها للنفس البشرية محجة انوارها لا تنطفئ — الانسان الذي لا يعيش ليومهِ ولنفسهِ فقط يرى ان عليهِ ان يسعى ابداً سرمداً في ترويض عقلهِ للفكر وارادتهِ للعمل وشعورهِ لما رقّ ودق في الحياة . علينا ان نجاهد في سبيل العلم الذي هو اساس ملك الانسان في الدنيا وفي الآخرة

هذه الارض موطئ قدمي الله وموطئ قدمي الانسان . ما فيها ينبغي ان يكون طوع ارادتهِ خاضعاً لفكرهِ عاملاً بمشيئتهِ . البخار والكهرباء والاثير درجات في الفكر والاكتشاف تؤَدي الى درجات في سماء النفس فوقها . من كان يحلم في الماضي ان قوة كامنة في الفضاء يتمكن الانسان من تسخيرها لتحمل انباءهُ من قطر الى قطر . التلغراف اللاسلكي اليوم . والتلفون اللاسلكي غداً . و بعد غد ان شاء الله نخاطب بعضنا بعضاً بواسطة النفس التي هي آلة الفكر الكهربائية . اضغاث احلام . ولكن احلام السلف واوهامهم هي اليوم حقائق راهنة

اجل سادتي . ان هذه الارض وهي ذرة في فضاء الاكوان بما فيها من قوات ظاهرة وكامنة و بما فوقها وحولها من العجائب والاسرار انما هي موضوع مساعي الانسان الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية . «ان الوجود لسر مكشوف» كما قال الشاعر الالماني الشهير . ولا يرى منهُ و يدرك غير ما نستطيع استخدامهُ والانتفاع بهِ . وما يرى و يدرك لا يذللهُ غير العقل . ولا يعمل العقل الاّ حرًّا مشجعاً . ولولا هذه الحرية وهذا الاقبال على العلم في البلاد العامرة الراقية لما اتصلنا الى ربع ما نحن فيهِ ممتعون من ثمار العلوم والصناعات . وان حب العلم وتشجيع العاملين بهِ لمن ثمار الاخلاق الشريفة السامية

٣

ها قد عدنا الى اصول الاخلاق بعد ان انتقلنا قليلاً الى بعض نتائجها . اجل ان اصول الاخلاق لفي هذه النفس الخالدة القلقة السامية المتيقظة النازعة الى استطلاع انباء ما وراء الطبيعة لاصلاح شؤون المجتمع ولرفع شأن الافراد فيه والجماعات . والاخلاق في نشوئها ونموها وتنوعها خاضعة مثل مظاهر الكون لعوامل خارجية طبيعية واجتماعية . ولكن طيب شذاها لا يتغير على تنوع عوامل الرقي فيها . غصن ورد تزرع نصفهُ في تربة حارة في اقليم حار ونصفهُ الآخر في تربة باردة في اقليم بارد فلا يتغير في وردهما غير الحجم واللون . اما شذا الوردتين بل نفسهما بل خلقهما فهو واحد في الحالين . هذا في النبات . وفي السياسة اذا تغيرت الاحوال تتغير مبادئ السياسيين واما فضائل النفس فهي واحدة في كل مكان وزمان . والنفس الكبيرة السامية لا تعمل فيها الحوادث ولا تفقدها الاحوال فضيلة واحدة من فضائلها . على ان مسلكها قد يتغير في الناس و يتنوع فتكسبهُ الاحوال شيئاً من روحها وطبيعتها . قال ابن خلدون « الانسان ابن عاداتهِ ومألوفهِ لا ابن طبيعتهِ ومزاجهِ » والاصح انهُ ابن الاثنين

من الباحثين في طبائع البشر والعمران اناس يقولون ان عوامل الهواء والشمس تغير في جوهرها تغييراً بيناً . ومن هؤلاء العلماء منتسكيو وابن خلدون . اما ظاهر تأثير الهواء والشمس في الاجسام كما نشاهدهُ مثلاً في الوان البشر وريش الطيور . رأيت في احد متاحف لندرا نوعاً من الطير من فصيلة واحدة بعضهُ من اقليم بارد و بعضهُ من اقليم حار ولا يختلف في سوى لون الريش في الطيرين . اما تأثير الاقليم في الاخلاق البشرية ففيهِ نظر . يقول منتسكيو ان الجبن خُلق في سكان البلاد الحارة وان الشجاعة من اخلاق سكان البلاد الباردة . ولكن الرومانيين قديماً (سكان ايطاليا الحارة) غلبوا السكسونيين (سكان بريطانيا الباردة) فتأملوا . وعندنا في العرب شاهد آخر . كان عرب البادية احسن خلقاً وارق نفساً من اهل البلدان المتمدنة التي احتلوها وسادوها ناهيك بشدة بأسهم وشجاعتهم . فاذا كان صحيحاً ما يقول ابن خلدون ومنتسكيو ان الحر يذهب بالبأس والمنعة وهما من الاخلاق الجيدة في الناس لِمَ لَمْ يؤثر قديماً في الرومانيين ولِمَ لَمْ يؤثر في العرب ؟ أوَليست شجاعة الامم المعنوية الروحية فوق شجاعتها المادية ؟ قد فات ابن خلدون هذا . وما قولنا في الحبش وهم جيران العرب يسكنون في منطقة واحدة ولا يفصل بين الامتين غير البحر فاين منهم بأس العرب ومنعتهم ؟ واين آدابهم واين شعرهم ؟ فهل تشقي الشمسُ قوماً

وتسعد قوماً ؟ وهل كان الاقليم محابياً في امة متحاملاً في اخرى ؟ وها كم مثالاً آخر من بحث ابن خلدون في تأثير الاقاليم في الاخلاق وصف السودانيين بالخفة والطيش وشدة الطرب ونسب ذلك كما فعل منتسكيو بعده الى هواء بلادهم وشمس الاقاليم الحارة . وقد كتب تسيتوس المؤرخ الروماني فصلاً في الشعوب الالمانية القديمة الذين استوطنوا البلاد الشمالية الباردة فوق نهر الدانوب فوصفهم كما وصف ابن خلدون السودانيين بالميل الشديد الى اللهو والطرب فقال «انهم في ايام السلم لفي هرج ومرج دائماً قائمون» ولم ينسب المؤرخ الروماني ميلهم هذا الى العوامل الطبيعية . اخلاق القبائل في امور كثيرة هي واحدة كما قلت ولا تختلف باختلاف الاقاليم كما يظهر مما تقدم . اما اذا كانت طبيعة الفرح والسرور انتشار الروح الحيواني كما يقول ابن خلدون وطبيعة الحزن انقباضهُ وتكاثفهُ فتكون الحرارة سبب الاولى ويكون البرد سبب الثانية . ولكن هذا نظر سطحي . فالالمانيون القدماء كانت تغلب فيهم كما قال المؤرخ الروماني طبيعة الفرح والسرور واهل اوربا الشمالية اليوم وهم من سليلة اولئك الاقوام تغلب فيهم طبيعة الحزن والكآبة . وهواء تلك الاصقاع اليوم هواؤها منذ الفي سنة واقليمها واحد لم تتغير فيهِ شمسهُ وسماؤُهُ . فما السبب في تغير طباعهم ياترى ؟

لم اكن لاستوقفكم عند هذا البحث لو لم تكن قد أتهمت سماؤُنا نحن السوريين بجمود طباعنا . فقال الاوروبيون ان لطيف هوائنا وجميل جونا لما يدعو الى الجمود والخمول . ومعاذ الله ان تكون هذه السماء الجميلة سماؤُنا امّ هاته الآفات في ابنائها . وانما هنالك عوامل اخرى مدنية ودينية وادبية غير عوامل الشمس والهواء والبرد والحر

الاخلاق كما قلت مزايا راسخة في النفس تعمل في اظهارها الاحوال الاجتماعية في الدرجة الاولى . ومن هذه العوامل الاجتماعية العادات والتقاليد والشرائع والاديان . فهي تعمل في اصلاح الاخلاق كما تعمل في افسادها

وها كم مثالاً من ترهات امة شرقية مما لم نزل نحن في بعضها . كان للتتر ايام جنكيزخان قوانين واحكام سخيفة يراعونها و ينزلونها منزلة الشرائع الالهية . ومن اغربها ان من يرمي سكيناً في النار يُعد مجرماً قصاصهُ الشنق وكذلك من نام على سوط او ضرب حصاناً برسنهِ او كسر عظماً على عظم آخر — ولكنهم وان احترموا مثل هاته الترهات من الاحكام لم يروا في نكث العهد عيباً ولا في السرقة والنهب والقتل ذنباً . فالاحكام السخيفة والشرائع الباطلة

افسدت اخلاقهم فامسوا لا يعرفون من الخير والشر غير ما اجازهُ الحاكم او ابطلهُ ·
والشرائع الباطلة في امة لا تعرف غير اميرها سيداً تذهب بحرمة النواميس الطبيعية والالهية · ناهيك عمَّا لها من التأثير الخبيث في روابط الالفة وفي الجامعة الوطنية

«ان الشرائع القت بيننا إحنًا   واودعتنا افانين العداوات»

ليس الذنب اذاً ذنب سمائنا وهوائنا · بل هي الشرائع كما قال المعري ولم تزل كما كانت في ايامهِ تعيث بالعقول وتفسد في الاخلاق

«كم وعظ الواعظون منا   وقام في الناس انبياء»
«فانصرفوا والبلاء باقٍ   ولم يزل داؤك العياء»

٤

اما عوامل التربية في الاخلاق فعديدة اذكر اهمها واذا حصرت النظر في اوربا فلأن مدنيتها خلاصة مدنيات العالم جمعاء · في الاعصر الخالية عند سقوط الدولة الرومانية كان الدين المسيحي العامل الوحيد في تلطيف اخلاق البرابرة هناك · ولكن الفساد الذي اعترى ادعياءهُ بعد ذاك تفشى في البلاد وعم شعوبها فخيمت عليهم ظلمات امرها في التاريخ مشهور · وكلنا نعلم ما كانت فيهِ تلك الامم من الجهل والخرافة والخمول يوم اشعل العرب مشعال العلوم في بغداد فاتصل نورهُ بالاندلس وشع منهُ اشعة في صوامع الرهبان في اوربا · فالرهبان اول من اشتغلوا في احياء العلوم في بلاد لم يكن ليسمع فيها غير قرع الزماح وصليل السيوف · وللحروب الصليبية فضل في تدميث اخلاق الاوربيين وتلطيف اذواقهم · ونظام الاقطاعات الذي لا يرى فيهِ بعض المؤرخين غير الجور والعسف والاستبداد ربَّى في العامة اخلاقاً شريفة اهمها الوفاء والصدق واسس في الاسر الاوربية سيادة المرأة · والنهضة الاصلاحية الدينية حررت نفس الانسان من قيود السلطة المطلقة · والثورة الانكليزية الاولى اعطتهُ حجة بحقوقهِ · والثورة الافرنسية الشهيرة متعتهُ بها وعلمتهُ التودُّد والاعتدال · وهناك عوامل اخرى عديدة كاكتشاف اميركا واختراع الطباعة واحياء الفنون والصناعات مما هو من نتاج العقل الذي يجلو مظاهر الاخلاق ويشحذها

ولا يفوتنا ان نذكر بعض الفلسفات الاوروبية وفضلها في تهذيب الاخلاق كالفلسفة الاستقرائية التي احياها ديكرت في فرنسا وباكن في انكلترا فلقَّنت الاوربي حكمة الريب

وعودتهُ ان يسأل « كيف ولماذا » في كل عقيدة ومذهب وتعليم · وحبَّبت اليهِ البحث العلمي والتمحيص · ثم الفلسفة الكالية الالمانية التي غذّت عقلهُ ونفسهُ · ثم الفلسفة الانكليزية العملية التي غذّت جسدهُ فاشتد ساعدهُ وصحت عزيمتهُ · وفي هاتهِ الفلسفات كلها ترى ان المقام الاول في العمل انما هو للارادة · فالارادة اذا ضعفت في المرء ضعفت فيهِ فضائل النفس والعقل والجسد كلها · والارادة مثل كل الجوارح فينا ينميها الترويض وتعززها الممارسة · وهل تظنني مغبونًا اذا حرمت نفسي قليلاً مما اعتدتهُ من اساليب الراحة والرفاه او عملت عملاً صغيراً استثقلهُ متعمداً في ذلك لا إماتة نفسي بل ترويض ارادتي للعمل ؟ فاذا مرّ عليَّ سنة وانا كل يوم اعزم عزماً مهما كان صغيراً وانجز العمل بهِ استطيع ان اقول مع الفيلسوف كَنْت « عليَّ ان افعل اذن لي ان افعل » اذ ما الفائدة من هذه الافكار الجميلة افكارنا ومن هذه الخيالات السامية ومن هذه الاخلاق الفاضلة الجيدة اذا كنا لا نروّض انفسنا لها ونعمل بها عازمين حازمين لينتفع بها الناس ولينتفع بها الوطن

ولا انكر ان الضرورة في الاحايين تغير من اخلاق الناس فتحسنها او تفسدها · ضاقت مدينة اثينة على سكانها ايام مجدها · والارض المجاورة لم تكن خصبة فقلت المواشي وعزت فاغفل الناس الاضحية · فافتى الحكماء · ان هدية تهدى الى الآلهة لخير من ثور يذبح لها · فاتخذ الاثينيون الفتوى سنة لانهم كانوا اشد من الآلهة حاجة الى اللحم · وكان هذا سبب اعتدالهم وحكمتهم · حتى ان الناس بعدئذٍ وقد نسوا او جهلوا الاسباب قالوا ان الاثيني ارقى في خلقهِ الديني من سواه · ومثل هذا في التاريخ امثلة عديدة لامور صغرت اسبابها وكبرت نتائجها

اما عوامل الرقي الفلسفية والفنية التي ذكرتها فقد لا تلزم لتهذيب الاخلاق في القبائل البدوية وقد تحرم منها امة وتكون اخلاقها سليمة كامة العرب في صدر الاسلام · ولكن الملك اذا اتسع وتعددت فيهِ المساعي والنزعات قام في ظلهِ من مظاهر الابهة والجلال والنفوذ والاقتدار ما لا تسلم عواقبهُ و يسلم الملك منها اذا حُرم عوامل الرقي الخلقية والعلمية والفلسفية والفنية · ولنا على ذلك شاهد من الدول الشرقية الماضية ومن الدولة العثمانية اليوم · ولكن بحثنا الليلة في الاخلاق لا في السياسة ستأتي البقية

امين الريحاني

ركوب الهواء

لا نزال بعيدين عن الزمن الذي يستخدم فيهِ ركوب الهواء للنقل والانتقال لكنهُ آتٍ كما اتى استخدام البخار . اما الآن فاستخدم في الحرب للاستطلاع والارهاب وفي السلم للنزهة والمباراة باقتحام الاخطار . وقد وقفنا على ما كتبهُ اثنان ركبا الهواء منذ عهد قريب الاول في الحرب والثاني في السلم ووصفا ما شاهداهُ وشعرا بهِ ادق وصف فرأينا ان نعرّب بعض ما قالا

ركوب الهواء في الحرب

قال الطيّار الرومي توما افيموف الذي كان مع جيش البلغار وطار فوق ادرنه في اوائل الحرب ما خلاصتهُ

كنتُ في مصطفى باشا في الثامن عشر من اكتوبر (١٩١٢) وكان الهواء ساكناً حارًّا كأنَّ الفصل غير الخريف . فجعلت انا ورفاقي نعدُّ محرك الاروبلان ونركّب اجزاءهُ بعضها مع بعض وجعل الجنرال يدور حولهُ من وقت الى آخر وهو يتكلم معنا في امر الاستطلاع . ثم طلب مني ان اطير فوق ادرنه لكي اقف على احوالها وارمي فيها بعض المنشورات المطبوعة باللغة التركية وقد وعد فيها المحصورين بالمعاملة الطيبة ان هم سلموا لهُ . ولم اكن مستعدًّا لهذا الاستطلاع ولا كانت معي النظارات التي اقي بها عينيَّ ومع ذلك وعدتهُ ان افعل ما طلب . وكان معنا اروبلانان من نوع بلريو احدها قديم ركبتهُ مراراً والآخر جديد لم اركبهُ من قبلُ فاخترت القديم لاني قطعت بهِ مسافات شاسعة وعرفت اطوارهُ فجلست فيهِ وودَّعت الذين حولي وادرت الآلة وسلمت نفسي للهواء فارتفعت رويداً رويداً على مهل وكان النسيم عليلاً حتى كاد يتولاَّني النعاس

ومرَّت تختفي البيوت والحراج والآكام وصغرت الخيام حتى صارت نقطاً على بساط الغبراء فالتفت الى البارومتر واذا انا لم اعلُ غير ٦٠٠ متر فقلت في نفسي لقد شاخ هذا الاروبلان وضعف عن الطيران . وخفت ان لا يعلو بي عن ذلك الحد فتبلغني بنادق العثمانيين وجعلت احاول الارتفاع وهو لا يطيع لي امراً الى ان أُسقط في يدي فسلمت امري للتقادير . وكان جمال الطبيعة يختلب الالباب فنظرت الى ما حولي يمنة ويسرة وكأني سمعت صوت البنادق ودوي المدافع وملاك الموت من خلالها يحصد الارواح ودماء القتلى تصبغ اديم الارض وانين الجرحى يمزق كبد السماء لا مَن يرثي ولا مَن يغيث . هنا تتبارى الامم ويمحق بعضها بعضاً لكنني لم اكن اسمع في الحقيقة شيئاً لان صوت الآلة ومقاومة الهواء صمَّا اذنيَّ . الارض تجني

قلقة مضطربة والسماء فوقي ساكنة هادئة وانا بينهما كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ

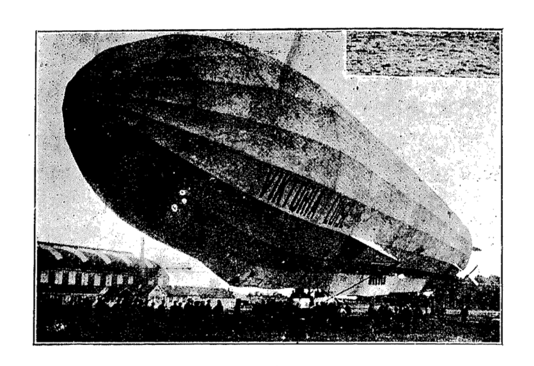
هناك ادرنه وهذا نهرها. واما حصونها ومعاقلها وخيام جنودها فلا تزال على خمس كيلومترات مني وانا على ٩٠٠ متر فوق وجه الارض فلا ازال في موقع الخطر ولكن ليس تحتي الآن سوى خنادق البلغار . ثم ارتفعت الى ١٣٠٠ متر وهذا ايضاً لا يكفي وقد فرغت حيلتي ورأيت ان لا بدَّ لي من الدنو من المدينة ولو بقيت على ثلاثة كيلو مترات منها فجعلت ادور حولها وانا اقترب منها رويداً رويداً فمررت فوق بعض الثكنات ورأيت الجيوش تستعرض فصوبوا بنادقهم اليَّ ورأيت الدخان خارجاً من افواهها ولكنني كنت ابعد من ان يصل اليَّ رصاصها فابعدت عنهم واختفى دخان بنادقهم

ثم خطر لي ان آلتي قد تقف فاقع بين هؤُلاء الجنود فالتفتُّ اليها ورأيتها دائرة دوراناً منتظماً فاطمأَن بالي

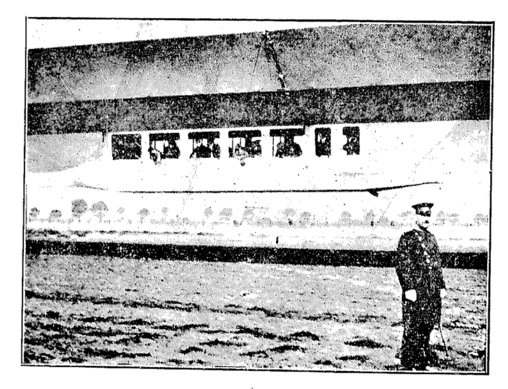
الى الآن لم اصل الى ما فوق المدينة نفسها ولكن لا بدَّ من ان اطير فوقها وارمي المنشورات فيها فتأهبت لذلك ووجهت الاروبلان اليها ولم يكن الاَّ القليل حتى صرت فوقها تماماً فرأيت بيوتها تحيط بها الحدائق واخرجت رزمة من المنشورات ورميت بها فنزلت معاً ثم تفرقت وللحال جعلت البنادق تطلق عليَّ فخرقت رصاصة جناح آلتي الايمن فخفضت الرافعة خمس درجات لكي ازيد سرعتها ورميت رزمة ثانية من المنشورات ثم رزمة ثالثة واذا برصاصة خرقت الجناح الايمن على قدمين مني ورأيت الدخان ينفجر تحتي وعلمت اني رميت بمدفع رشاش . ورأيت بعد ذلك قاع الطيارة مخروقاً بالرصاص وثلاث قنابل بلغارية سقطت في الطابية . فابعدت عن المدينة ووصلت الى مخيم البلغاريين و بعد ثلث ساعة بلغت مصطفى باشا سالماً

ركوب الهواء في السلم

لما صنع الكونت زبلن الالماني بلونهُ المسيَّر وطار بهِ الى ابعاد شاسعة وعاد الى المكان الذي طار منهُ حسب كثيرون انهُ حلَّ مسألة ركوب الهواء ولم يبقَ امامهُ الاَّ التوسُّع والاتقان . ثم لما سقط ذلك البلون وعصفت بهِ الرياح قال الاكثرون انهُ قضي على مراكب الهواء التي من نوع البلون ولم يبقَ لركوب الهواء الاَّ الطيارات المعروفة بالاروبلان سواءٌ كانت من ذوات السطح الواحد او من ذوات السطحين . ولكن عزيمة الكونت زبلن لم تضعف بفشلهِ الاول فصنع بلوناً بعد آخر واستعان بالآلات المحركة التي استنبطت حديثاً لتسيير الاوتوموبيل والاروبلان فنجح نجاحاً باهراً



بلون زبلن



مركبة بلون زبلن والركاب يطلون من كواها

وقد ركب احد الادباء البلون المعروف باسم فكتوريا لويزا من بلونات زبلين وسار بهِ من مدينة دوسلدرف بالمانيا الى مدينة برلين عاصمتها مسافة اربع مئة ميل ووصف سفرتهُ بهِ قال

يظهر ان الرغبة في ركوب البلون شديدة جدًّا فلا يجد الانسان مكانًا فيهِ ما لم يوصِ عليهِ قبل يوم السفر بثلاثين يومًا . وكان ميعاد قيام بلوننا من دوسلدرف الساعة الرابعة والدقيقة الثلاثين صباحًا فوصلت الى المكان الذي يطير منهُ قبل الميعاد بساعة ولكنني رأيت الركاب قد ازدحموا فيهِ وكان ربانهُ يدور حولهُ وهو لا يزال في بيتهِ وطياروهُ يتفقدون آلاتهِ المختلفة وحبالهُ وطبقاتهِ

وكان الركاب ثلاثة وعشرين نفسًا فلما جلسنا في اماكننا بدت علينا كلنا امارات الاهتمام بما نحن مقدمون عليهِ . ورُفعت المرساة فارتفع رأس البلون ومخر بنا في الجو بقوة آلاتهِ الرافعة والدافعة حتى اذا بلغنا حدًّا معلومًا من الارتفاع استوى البلون في سطح افقي وسار بنا سيرًا منتظمًا كأنهُ قطر من قطار سكة الحديد لا يرتفع ولا ينخفض ولا يميل يمنة ولا يسرةً . وكانت الريح تهبُّ جنوبًا بشرق واما نحن فكنا سائرين شمالاً كما يستدل من حركة القمر . وعلونا فوق الضباب وكان يغطي وجه الارض وفوق النيران التي كانت السنتها تندلع من افواه مداخن المسابك وكنا اعلى من ان تصل الينا لكننا سررنا بالابتعاد عنها والسير فوق السهول والهضاب . وكنا نقطع اربعين ميلاً في الساعة والبلون يسرع اكثر من ذلك عند الاقتضاء فقد بلغ متوسط سرعتهِ في سفرة اخرى ٩٤ ميلاً في الساعة

ووصلنا فوق مدينة بريمن قُبَيل الساعة السابعة فرأينا زُمر العمال آتين الى المعامل فنظروا الينا على غير اكتراث لكثرة ما شاهدوا هذا البلون وامثالهُ . وكنا من وقت الى آخر نرى تحيتنا رجلاً يردُّ تحيتنا بمثلها . اما في الارياف ومزارع الفلاحين فكان الناس يقفون وينظرون الينا مسرورين وكانت المواشي تخاف منا اذا رأتنا كأننا قضاء مبرم او طائر كبير آتٍ لاختطافها فتقف اولاً تحدق بنظرها الينا ثم تفرُّ لا تلوي على احد

ووصلنا الى فوق مدينة همبرج الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين فدرنا حولها وكنا نسمع لغط سكانها وآلاتها فوق صوت آلاتنا . وسرنا من هناك نحو برلين جنوبًا بشرق وعند الظهر صرنا فوق وادي الالب ومدَّت لنا حينئذٍ موائد الطعام فتغدينا غداء فاخرًا شوربا ومقبلات وروستو وخضر مطبوخة وسلطة وجبنًا وشربنا القهوة . وكان غداؤنا كالعشاء في تنوُّع اشكالهِ ولكنهُ لم يطبخ على نار بل طُبخ على الحرارة المتولدة من آلات البلون . ونام اكثرنا القيلولة بعد

الغداء وكنا نشعر ان الهواء نقي منعش يصلح للعمليات الجراحية من غير تطهير

وقبيل الساعة الثالثة مررنا فوق برج التلغراف اللاسلكي بنوان الذي يتراسل مع اماكن تبعد عنهُ ثلاثة آلاف ميل وكان في بلوننا جهاز لهذا التلغراف فتراسل هو والبرج ولكن الركاب لم يعرفوا ما دار بينهما

واستمر البلون سائراً بنا الى ان وصل الى مقرهِ في برلين قبيل الساعة الرابعة نخفض رأسهُ كأنهُ ينوي النزول على العمّال الواقفين في انتظارهِ لكي يمسكوهُ بحبالهِ . وهنا لقينا الصعوبة الوحيدة التي صادفتنا في هذه السفرة . فان ثقل البلون نقص نحو طن بما حرق من وقودهِ فخفّ ولما قلّ دوران الآلات المحركة ارتفع في الجو قبلما تمكن العمال من استلام الحبال التي ينزلونهُ بها حتى اذا بلغ الف قدم في الارتفاع أُطلق منهُ جانب من الغاز فثقل وعاد الى الهبوط والآلات المحركة تسددهُ الى المكان الذي يراد نزولهُ فيهِ . وبعد قليل استلمت آلة زمامهُ وانزلتهُ الى الارض فخرجنا منهُ على الرصيف المعد لنزول ركابهِ . انتهى

فهنا بلون يسير اربع مئة ميل اي نحو اربعة اضعاف المسافة بين القاهرة والاسكندرية يركبهُ ثلاثة وعشرون راكباً ما عدا ربانهُ وخدمهُ وفيهِ موائد للطعام وكراسي مبسوطة للقيلولة وكل لوازم الراحة ولا يشعر ركابهُ بشيء من التعب . والاجرة الآن نصف شلن عن كل ميل ولذلك فالسفر فيهِ لا يزال من انواع الترف التي لا يستطيعها الاَّ الاغنياء . ويشترط في وسائل النقل والانتقال حتى تعمّ ان تكون رخيصة او تكون درجات للاغنياء والفقراء . ولكن ما هو خاص بالاغنياء اليوم لا يبعد ان يصير عامًّا لجميع الناس غداً

وفي المانيا نوع آخر من البلون المسيَّر اسمهُ بلون بارسفال وهو كثير الاستعمال فيها مثل بلون زبلن او اكثر وقد صادف ربانهُ الكبتن ستلنج مرة زوبعة اذاقتهُ المر وهاك وصف ما عاناهُ منها قال

سار البلون ضد الريح مع ان سرعتها كانت ٢٥ ميلاً في الساعة لكنني علمت اننا ملاقون المشاق حتماً ولم يكن الاَّ قليل حتى دخلنا نوءًا كهربائيًّا فاشتدت العاصفة حتى اوقفتنا عن سيرنا . ابتدأت ونحن على ٣٠٠ قدم فوق الارض ثم انصبّ المطر علينا كالوابل الهتون فزاد بهِ ثقل البلون . واستحال علينا ان نغالب العاصفة فخفضتهُ لان سرعة الريح تقل قرب سطح الارض ولكن الدنو من الارض لا يخلو من الخطر فقد كان على يميننا قرية ببيوتها وعلى يسارنا غابة باشجارها وامامنا اكمة مرتفعة فاضطررنا ان نسير في طريق سوي لا نعرج يمنة ولا يسرة . وكلما وقفت الريح لحظة وثبنا بالبلون وثباً وكدنا مرة نصطدم بصوار من البقر كان مجتمعاً بعضهُ

مع بعض لينجو من عصف الرياح وكانت سرعتها قد بلغت ٤٥ ميلاً في الساعة

ولا تسل عمَّا اصاب الركاب من الاضطراب حتى عزمت ان انزل بالبلون حيث كنا اذا لم تسكن الريح قبل الليل . و بعد جهاد ساعتين هجعت قليلاً فعاد البلون يسير وئيداً ثم اسرع قليلاً وكنا لا نزال على ستين قدماً فوق سطح الارض وهو موقف لا يخلو من الخطر لما يحتمل ان يصطدم بهِ من الاشجار والبيوت ولكنني لم اجسر ان ارتفع اكثر من ذلك خوفاً من العاصفة

ثم زاد هجوع الريح فعلونا الى ٢٢٠ قدماً فوق الارض ووصلنا الى مدينة اوغسبرج عند الغسق فنزلنا هناك وتركنا البلون معرضاً للامطار والرياح الليل كلهُ لكنها لم تضر بهِ ضرراً يذكر ثم ركبناهُ في الصباح وطرنا بهِ الى مقرهِ . انتهى

وطول البلون الاول الموصوف ههنا اي فكتوريا لويزا ٤٨٦ قدماً وعرضهُ ٤٦ قدماً وفيهِ ثلاث محركات من نوع ديزل قوتها معاً ٤٥٠ حصاناً ويمكن تسيير البلون بها ٥٠ ميلاً في الساعة اذا لم تكن الريح شديدة . واذا وقف محركان منها لسبب من الاسباب فالمحرك الثالث وحدهُ يكفي لتسيير البلون ضد الريح ولو كانت سرعتها ٢٧ ميلاً في الساعة . وفي كل بلون من بلونات زبلن جهاز للتلغراف اللاسلكي فيستخبر بهِ عن حالة الهواء امامهُ حتى اذا علم انهُ ملاقٍ عاصفة تجنّبها

والظاهر ان في الجوّ مجاري وانهراً وتيارات كما في البر والبحر وقد جعل ربانو البلونات يبحثون عنها الآن حتى يستخدموا النافع منها ويتجنبوا الضار . قال القبطان هيكر ربان البلون فكتوريا لويزا انهُ صادف الريح في الربيع الماضي تعصف عند سطح الارض عصفاً شديداً وكانت سرعتها ٣٠ ميلاً في الساعة فارتفع ١٨٠٠ قدم فوجد الهواء ساكناً لا يتحرك فارتفع الف قدم فوقها فوجد ريحاً سرعتها ١٥ ميلاً متجهة في الجهة التي كان يقصد السير فيها . واتفق مرة انهُ صادف زوبعة في طريقهِ واعلمهُ التلغراف اللاسلكي حينئذٍ انهُ اذا حاد خمسين ميلاً ابعد عنها ففعل ونجا منها

وغرف هذا البلون مثل غرف افخر الفنادق في اثاثها وتدفئتها وفيها كتب وجرائد ومقاعد للاستلقاء . والمجال على الركاب اوسع ممَّا هو في مركبات السكك الحديدية ذات الكراسي وفي اماكن الغسل ماء بارد وماء سخن . واصحاب هذه البلونات في المانيا شركات تجارية غرضها الربح ويقال ان ربحها غير قليل فهي تحرص عليهِ وتهتم باصلاح البلون لزيادتهِ . ومتى صارت الاعمال تجارية فلا بد من ان تنتشر ويكثر استعمالها

كيف نشأ القمر

ان مسألة نشوء القمر من اعوص المسائل التي اشتغل بها علماء الفلك وحقهم ان يشتغلوا بها لانهُ اقرب الكواكب الينا و ينتظر منا ان نعرف من امره اكثر مما نعرف من امر غيره من اجرام السماء. ولا نريد بهذه السطور ان نلتفت الى الامور العويصة التي يختلف فيها علماء الهيئة مما يصعب فهمهُ الاَّ على من يتابع ابحاث الفلكيين الدقيقة في حركات الاجرام السموية وتأثير بعضها في بعض . بل نكتفي بايراد اشهر الآراء الحديثة في اصل القمر معتمدين في ذلك على فصل للعالم هريسون نشرهُ في مجلة المعرفة الانكليزية

القمر خالٍ من الحياة مَن رأى سطحهُ الكثير الحزون والوهاد لا يسعهُ الاَّ ان يحكم انهُ كان في سالف عهدهِ كثير الاضطراب . واذا نظرت اليهِ بالتلسكوب عجبت من الوحشة المخيمة على ارجائهِ ولم يسعك الاَّ ان تسأل عن اصل ما فيهِ من الجبال الشاهقة والاودية العميقة وعما انقضى عليها من الدهور وهي على هذه الصورة . ثم ننتقل الى مسألة المسائل وهي كيف تولَّد هذا النير وما هو اصلهُ وما سبب دورانهِ حول الارض ومتابعتهِ لها . وهو اقرب الاجرام الفلكية منا ومع ذلك ترى الآراء في اصلهِ متضاربة والحقائق المعروفة عنهُ التي يعتمد عليها في الوصول الى معرفة تكونهِ متناقضة اكثر من كل الحقائق المعروفة عن بقية اعضاء النظام الشمسي . غير ان هذا التناقض والتضارب مما يزيد الرغبة في البحث

واهم الآراء في اصل القمر رأيان الواحد ان اصلهُ سيار صغير اقترب من الارض فجذبتهُ او امسكتهُ واسرتهُ والثاني انهُ قطعة من الارض انفصلت عنها بقوة التباعد عن المركز الناتجة من سرعة دورانها على محورها . وقبل ان نبدأ بالكلام على هذين الرأيين لا بد من ايقاف القارئ على الرأي الشائع عن اصل السيارات وتكون النظام الشمسي

ذهب لابلاس الرياضي الشهير الى ان النظام الشمسي كان في الاصل ضباباً سديمياً او غازاً نورهُ ساطع من شدة الحرارة . فشعت حرارتهُ في الفضاء فتقلص وانفصلت منهُ حلقات تقطعت وتكونت منها السيارات و بقي قلب السديم يتقلص الى ان تكونت منهُ الشمس كما نراها الآن

ثم قام بعد لابلاس علماء غيروا بعض وجوه هذا الرأي على ما يطابق الحقائق التي اكتشفوها . فقد وجدوا ان لا موجب للقول بان السديم الاصلي كان شديد الحرارة كما قال لابلاس اذ يمكن ارجاع ما في الشمس والسيارات من الحرارة الى تقلص السديم فان ذلك

التقلص كافٍ لتوليد ما بقي فيها من الحرارة وما خسرتهُ بالاشعاع حين تقلُّصها · ثم يبعد ان تكون سرعة السديم في دورانهِ بلغت حدًّا كافيًا لانفصال الحلقات عنهُ · ولو سلمنا انها انفصلت على هذه الصورة لوجب ان تكون دقيقة جدًّا والاَّ زادت سرعة اقسامها الخارجية على سرعة اقسامها الداخلية ونشأ عن ذلك اختلال في توازن القوة فيها · وتزداد سرعة دوران السديم تدريجًا كلما تقلَّص وصغر حجمهُ مما يوجب انفصال حلقات كثيرة منهُ يبعد بعضها عن بعض مسافات متناسبة اي ان الابعاد بين اجزاء نظامنا الشمسي يجب ان تكون على نسبة مخصوصة · وكذلك لو سلمنا بان السيارات نشأَت من تقلص هذه الحلقات لوجب ان يكون بين السيارات تناسب في الثقل اكثر مما بينها · وزد على ذلك انهُ قد اكتشفت سُدُم كثيرة وليس بينها واحد تظهر فيهِ حلقات ذات مركز واحد كالحلقات التي فرضها لابلاس

وذهب العلماء مذاهب اخرى في تكون النظام الشمسي احدها رأي التصادم الذي قال بهِ الاستاذ بكرتن وشرحناهُ في العام الماضي

لنرجع الى ما وراء العهد الذي رجع اليهِ لابلاس ونبحث عن اصل السديم الذي تكلم عنهُ · ويظن ان السديم نشأ عن اقتراب نجم من الشمس التي كانت جسمًا مظلمًا في ذلك الوقت · وليس من الضروري ان يكون قد اصطدم بها فان وجود الاجزاء المختلفة من كل من الجرمين اي الشمس والنجم الذي دنا منها على ابعاد مختلفة عن مركز القوة المشترك بينهما كافٍ لان يفكّك اجزاءها بعضها عن بعض وان يمزقهما الى قطع صغيرة

ولا بد لهذه القطع من اتخاذ واحد من ثلاثة طرق الاول ان تبعد عن النظام الشمسي فلا تعود اليهِ والثاني ان تقع على الشمس والثالث ان تدور حول الشمس في فلك اهليلجي · ولو كانت الشمس سائرة في الفضاء على خط مستقيم ولم يعرض للقطع عوائق تغير مجراها لسارت كلها في الطريقين الاول والثاني فقط · الاَّ انهُ لا بد من ان يكون بعض هذه القطع اصطدم بالبعض الآخر او عرضت لهُ قوة خارجية غيرت مجراهُ فاخذ يدور حول الشمس وتكوَّن منهُ النظام الشمسي في عهدهِ الاول · وما بقي من القطع فاما انهُ وقع على الشمس فزاد حرارتها او انهُ ذهب في الفضاء فلم يعد الينا

ولعل الشمس كانت تدور على محورها قبل ان دنا النجم منها واحدث ذلك التفريق وليس من طريقة اخرى يعلل بها دوران اكثر المواد المتفرقة في جهة واحدة · وذلك لا يمنع ان يكون قسم كبير منها اتخذ وجهة تخالف هذه · ثم ان هذا الاختلاف في وجهة الدوران جعل بعض المواد يصطدم بالبعض الآخر فنشأَت عن هذا الاصطدام مراكز قوة جديدة · ولما كبرت

هذه المراكز جذبت اليها القطع القريبة منها فجعلتها تدور حولها . ثم اصطدم بعض هذه القطع الدائرة حول المراكز بالبعض الآخر فضعفت قوتها واقتربت من المراكز تدريجاً الى ان لصقت بها . ومن البديهي ان قطع الشمس الاصلية جمعت اكثر من غيرها من هذه القطع لانها كانت اقرب الى المركز الاصلي وتزيد سائر المراكز بثقلها

ويمكننا ان نتصور النظام الشمسي يتكون من هذه القطع المتطايرة التي يزيد بعد بعضها عن بعض كلما بعدت عن المركز . وبقيت هذه القطع يصطدم بعضها ببعض فينشأ عن تصادمها نور وحرارة وكانت اكثر الاصطدامات واشدها بالقرب من الشمس . ومع ان كلاً من هذه القطع كان يسير في طريق خاص لا بد وان يكون معظمها جارى الشمس في جهة دورانها على محورها وان الجاميع التي تألفت منها وكانت تدور على نفسها كانت كلها في مستوى واحد هو المستوى الذي اتى بهِ النجم نحو الشمس . فيكون منظر النظام الشمسي عندئذٍ مثل منظر السدم التي نراها بالتلسكوب وتصوَّر في المراصد على الالواح الفوتوغرافية

ومما يجدر ذكرهُ ان كلاً من السدم التي نراها يتألف من نواة يمتد منها نتوان كلٌّ في جهة تخالف جهة الآخر على خط مستقيم . ولا نعلم سبباً ينتج مثل هذا الا المد اي ان يعمل بالسديم جرمان غريبان فيجذبانهِ كلٌّ في جهة كما تفعل الشمس والقمر بالارض اذ ترفعان ماء البحر في جهتيها . ولو كان ظهور النتوئين ناتجاً عن قوة التفرق بسبب الدوران لظهرت نتوات اخرى في نقط مختلفة من محيط السديم او لو كان مسبباً عن قوة انفجار لوجب ان يظهر مثلها ايضاً في جهات مختلفة من النواة

هذا هو الرأي الحديث في تكون النظام الشمسي ويختلف عن رأي لابلاس في انهُ يجعل اصل السيارات من قطع دارت في قرص اهليلجي حول مركز عمومي بينما لابلاس يجعل اصلها كرة من الغاز شديدة الحرارة تدور على نفسها . ويفضلهُ ايضاً في انهُ يتتبع الدور الذي جرى عليهِ تحول المادة من نجم الى سديم ومن سديم الى نجم وهذا مما يهون على العقل تصديقهُ وتصورهُ كما يسهل عليهِ تصور اللانهاية للدائرة او الحلقة ويصعب عليهِ تصورها للخط المستقيم

ويجب ان لا يظن احد ان هذا الراي كافٍ لتعليل نشوء النظام الشمسي وانهُ يلتئم مع جميع الحقائق المعروفة بل انهُ لا يفضل غيرهُ الاَّ في ان الاعتراضات عليهِ اقل منها على غيرهِ . واذا سلمنا بصحة هذا الراي لم يصعب علينا تصور نشوء السيارات واقمارها بتجمع القطع الصغيرة واجتذابها لما يدنو منها من القطع الاخرى . ويمكن تتبع ذلك الى نشوء

الجاميع الكبيرة التي تجذب هذه الجاميع الصغيرة اليها مع بقائها جميعها خاضعة لجاذبية الشمس ويستحيل ان يمسك جرم فلكي جرماً آخر ويجعلهُ يدور حولهُ بدون واسطة قوة خارجية . ومن الامثلة على ذلك دنو المذنبات من النظام الشمسي . فان سرعة المذنب تزداد كلما دنا من الشمس بسبب جاذبيتها ولكنهُ اذا دار حولها واخذ بالابتعاد عنها لا تؤَثر في خفض قوتهِ الاَّ بقدر ما اثرت في زيادتها فيغادر المذنب النظام الشمسي بالسرعة التي اتى بها كأنهُ لا اخذ ولا اعطى . لكن اذا دنا من احد السيارات فقد يتغير مجراه بسبب جذب السيار لهُ فياخذ بالدوران حول الشمس . وقد يتم ذلك بطريقة اخرى وذلك بان يمر المذنب في مادة تعيقهُ فيخسر بعض قوتهِ ويصبح اسيراً للشمس لا يقدر على الافلات منها . اما في الحالة الاولى فان القوة التي تؤَثر في الجرم فتمكن الشمس منهُ قد تؤَثر فيهِ ايضاً فتبعدهُ عنها

فلا بد اذاً من وجود مادة تعيق سير الاجرام لكي يتم امساكها على هذه الطريقة . وقد رجح الاستاذ سي اكبر انصار هذا الراي وجود هذه المادة اذ من المحقق ان الغازات التي تولدت عند تكون النظام الشمسي بقيت مدات طويلة من الزمن قبل ان اتحدت بالقطع الجامدة او تجمعت حول العوالم بصورة جو لها وهذا يمكن السيار من امساك قمر اذا دنا منهُ . ويؤَثر وجود هذه المادة ايضاً في شكل فلك القمر فيقرب من الدائرة لان الدائرة تحيط بمساحة اكبر من المساحة التي يحيط بها اي شكل آخر اذا كان طول محيطهِ مثل طول محيطها . وعليهِ فان الجرم لا يصرف من القوة في دورانهِ حول مساحة معلومة اذا كان فلكهُ حولها دائرة مثل ما يصرفهُ اذا كان لفلكهِ شكل آخر

وتمتد قوة جذب الارض الى تسع مئة الف ميل الى كل جهة منها فاذا دنا منها جرم على هذه المسافة جذبتهُ واسرتهُ . وبعد القمر عنها لا يزيد على مئتين واربعين الف ميل وفلكهُ في الدوران حولها لا يختلف عن الدائرة كثيراً فيمكن تعليل بعدهِ وشكل فلكهِ بانها جذبتهُ اليها فدار حولها . ومثل ذلك يقال في اقمار جميع السيارات الاَّ قمري المشتري وزحل الخارجيين فانهما لا يسيران في فلك مستدير حول سياريهما

وكان زحل يؤْخذ مثالاً على نشوء السيارات وكانت حلقاتهُ تحسب غازاً في ايام لابلاس ولذلك ظن انها تؤَيد رأيهُ . ولكن ثبت من بعدهِ ان هذه الحلقات مؤَلفة من قطع صغيرة وبقي البعض يظنون انها قمر في حالة النشوء الى ان اثبت روش الرياضي الفرنسوي انهُ لا يمكن لقمر ان يبقى على مسافة قطر وخمسي القطر من السيار لشدة الجذب على هذه المسافة . فان كان في النظام الشمسي مادة منتشرة تعيق سير الاجرام فمن المحتمل عندئذٍ ان يقترب

القمر من سياره فيتمزق قطعاً صغيرة . وعليهِ فحلقات زحل مثال على نهاية عالم لا على نشوئهِ
فالقول بان الاقمار اجرام فلكية دنت من السيارات فامسكتها بقوة الجذب قول معقول ولولا تناقض بعض الحقائق المعروفة عن قمرنا لما اختلف اثنان في ان هذا الرأي يصح عليهِ. وان لم يكن قمرنا جرماً غريباً دنا من الارض فامسكتهُ بقوة الجذب ترجح انهُ قسم منها انفصل عنها كما قال انكساغوراس الفيلسوف اليوناني منذ سنة ٥٠٠ ق. م . ومما يؤيد هذا القول ان حجمي الارض والقمر يقربان الواحد من الآخر فالنسبة بينهما كنسبة واحد الى واحد وثمانين . واذا تركنا نبتون وقمرهُ (وهذا مشكوك فيهِ) فان اكبر قمر بالنسبة الى سيارهِ هو قمر زحل الاكبر والنسبة بينهما كنسبة واحد الى اربعة آلاف وسبعمائة . فاختلاف قمرنا عن بقية الاقمار من هذا القبيل يرجح ان لهُ اصلاً غير اصلها . وليس في ذلك ما يمنع ان تكون الارض قد امسكتهُ على كبرهِ بالنسبة اليها اذا دنا منها وهو يسير في مادة تعيق سيرهُ

اما المذهب القائل بان القمر جزء من الارض انفصل عنها بقوة التباعد عن المركز فقد لخصناهُ عن الاستاذ بكرنج الاميركي في المجلد الثلاثين من المقتطف حيث قلنا « ان القمر انفصل عن الارض حيث الاوقيانوس الباسيفيكي فلما طار الى الفضاء أُطبق الماء من كل جانب ليملأ الفراغ الذي احدثهُ انفصال القمر فكان الاوقيانوس المذكور . وكان القمر في بدء امرهِ اهليلجياً بسبب شدة جذب الارض لهُ وعلى خطر التجزوء اجزاء صغيرة ولكنهُ عاد فجمع اطرافهُ وصار كما يرى الآن وهو اكبر تابع من التوابع المعروفة بالنسبة الى متبوعاتها

« ومن رأيهِ انهُ لما انقدَّ القمر من الارض وافلت الى الفضاء نشأ عن ذلك انفصال اميركا عن اوربا فكان الاوقيانوس الاتلنتيكي وان ذلك جرى ايام كانت الارض مائعة او شبه مائعة . فان فعل المد حينئذٍ — وماؤهُ الصخور المصهورة — ودوران الارض على محورها جعلا شكل الارض كشكل الكمثراة وما زالت عنقها تدق وتضمر حتى انفصل رأسها فكان القمر

« وليس ذلك ختام الامر بل ان القمر لا يزال يتقهقر ودورة الارض على محورها تبطئ والنتيجة اطالة اليوم الارضي حتى يعادل الوقت الذي يدور القمر فيهِ حول الارض وحينئذٍ يرينا القمر وجهاً واحداً ونريهِ وجهاً واحداً من ارضنا و يظهر ساكناً لا يتحرك في كبد السماء »

ويقال الآن ان هذا المذهب يصدق اذا كان الفضاء فراغاً تاما خالياً من كل المواد التي تعيق سير الاجرام السموية فيهِ ولكن اذا لم يكن فراغاً تامًّا قوي الاعتراض على هذا المذهب وترجح عليهِ المذهب الثاني الذي يفسر وجود القمر حول الارض بانهُ نجم صغير من النجيمات الكثيرة دنا من الارض فاجتذبتهُ اليها فدار حولها



الملك جورج المتوفى



الملك قسطنطين ملك اليونان

ملكا اليونان

الملك جورج الاول

كان الملك جورج الاول ملك اليونان سائرًا في شوارع سلانيك على جاري عادته عصر الثامن عشر من هذا الشهر ومعهُ ياورهُ الكولونل فرنجوليس فدنا منهُ رجل من البهال فجأةً واطلق عليهِ الرصاص من مسدَّس فارداه. والموت على هذه الصورة اقل الميتات المًا ولكن الجناية من افظع الجنايات واشدها ايلامًا للنفوس .

نحن في حرب مع اليونان لكن الحرب لا تمنع الباحث الاجتماعي من ابداء الاسف الشديد على اغتيال ملكهم لان اغتيال الملوك يقوض دعائم العمران فتمسي الناس فوضى ومن مشاركتهم في الحزن الشديد عليهِ لانهُ كان ملكًا دستوريًّا محبوبًا من شعبهِ شديد الرغبة في ترقيتهِ

كانت بلاد اليونان في سالف عهدها مهد العلم والفلسفة ولم تزل تعاليم فلاسفتها نبراسًا يستضاء بهِ . واعرف الناس بفضلهم ابناء العربية فترى علماءهم لا ينفكون عن الاطناب في مدح الفلسفة اليونانية والعلم اليوناني والتنويه بفضلها ولكن اخنى الدهر على تلك البلاد كما اخنى على غيرها من البلدان الشرقية حتى كاد يلاشي آثار اهلها الاولين كما كاد يلاشي سكانها حتى لم يبقَ منهم حين استقلوا الاَّ نحو نصف مليون من النفوس . وقد استقلوا سنة ١٨٢٨ وجعلت بلادهم حينئذٍ جمهورية ونُصب عليها رئيس اسمهُ كبودسترياس فاستبدَّ بالحكم استبدادًا اسخط الشعب فقاموا عليهِ وقتلوهُ وفشت الفوضى في البلاد . وكانت دول اوربا كارهة ثورة اليونان حاسبة انها فرع من الثورة الفرنسوية وانها اذا لم تقمع خيف من امتداد شررها الى كل البلدان فيقوم الناس على ملوكهم ويقتلونهم . ولكن المتعشقين للآداب اليونانية والفلسفة اليونانية والصناعة اليونانية من الاوربيين والاميركيين اضطروا حكوماتهم الى الانتصار لليونان والاخذ بيدها فاتفقت انكلترا وفرنسا وروسيا سنة ١٨٣٠ على جعلها مملكة مستقلة تحت حمايتهنَّ وضمنَّ لها قرضًا مقدارهُ ستة ملايين من الجنيهات والظاهر ان ضمان هذا القرض اسكت الماليين الذين ساءهم انفصال اليونان عن الدولة العلية فتركوها وشأنها .

وعُرض عرش اليونان حينئذٍ على غير واحد من امراء اوربا فلم يقبل بهِ الاَّ البرنس

فردرك لويس ابن ملك بافاريا وكان عمرهُ ١٦ سنة فسمي الملك اوتو الاول وجُعل لهُ وصيٌّ الماني الى ان بلغ سن الرشد سنة ١٨٣٣ وكان هذا الوصي من اهل الاستبداد فكرههُ اليونان وعزلهُ الملك واستقلَّ بالملك ٢٩ سنة . ولكنهُ جرى على طرق الاستبداد ايضاً فخلعهُ مجلس النواب اليوناني سنة ١٨٦٢ وعرض عرش اليونان على البرنس البرت دوق ادنبرج فلم يقبلهُ فطلبت الجمعية اليونانية العمومية من الحكومة الانكليزية ان تختار لها ملكاً فاختارت ابن ملك الدنمارك اخا ملكة الانكليز وامبراطورة روسيا ولم يكن ابوهُ قد صار ملكاً فسمي جورج الاول وقطع لهُ ١١٢٥٠٠٠ فرنكاً في السنة وقطعت لهُ كلٌّ من بريطانيا وفرنسا وروسيا ٤٠٠٠ جنيه فوقها فصار المال المقطوع لهُ نحو ٥٢٠٠٠ جنيه او نحو نصف المال المقطوع لخديوي مصر . ولم تكتفِ انكلترا باختيارهِ وقطع المال لهُ بل اعطت اليونان الجزائر اليونانية التي كانت لها

ولما اختير للملك جعل شعارهُ « قوتي حب شعبي لي » وبذل جهدهُ حتى يجمع شعبهُ على حبهِ وكان يمشي في الشوارع من غير حرس كما يفعل ابوهُ وكثيراً ما كان يقف امام دكاكين بعض الباعة ويخاطبهم في شؤُونهم . وقد حاول الفوضيون اغتيالهُ غير مرة فلم يفلحوا والذي اغتالهُ اخيراً ليس منهم على ما يظهر

ويروى عنهُ انهُ كان ماشياً وحدهُ ذات ليلة من ليالي الشتاء المظلمة سنة ١٨٨٢ فرآهُ احد الحراس وناداهُ فلم يجبهُ فاطلق عليهِ الرصاص فمرَّت الرصاصة لصق كتفهِ فاستدعى ذلك الحارس في اليوم التالي وقلدهُ نشاناً بيدهِ لانهُ لم يتغاضَ عن القيام بما يطلب منهُ

وقد اخذ على نفسهِ لما نصب ملكاً ان يردَّ الى بلاد اليونان مجدها السالف ولكنهُ وجد اتمام ذلك اصعب مما قدَّر ولا سيما لما قامت في البلاد عصابة من اللصوص سنة ١٨٤٩ واختطفت اثنين من سياح الانكليز وواحداً من السفارة الانكليزية وواحداً من السفارة الايطالية وطلبت فكاكهم مبلغاً باهظاً والعفو عمَّا فعلت ولما لم تُجب الى طلبها قتلت هؤُلاء الرجال فقامت اوربا وقعدت لهذه الفعلة الشنعاء ورأى الملك حينئذٍ ان لا بدَّ من تأديب اللصوص وقاطعي الطرق فتعقبتهم الجنود واوقعت بهم حتى خلصت البلاد من شرهم

وكان كثير الاشتغال بمهام مملكتهِ وصفهُ احد الكتَّاب فقال ان حب الشغل خلق راسخ فيهِ فتراهُ في مكتبهِ باكراً كل صباح حتى في ايام الشتاء . ويقابل زوارهُ وكل من يمرُّ في اثينا ويطلب مقابلتهُ مرتين في الاسبوع فيجدهُ الذين يقابلونهُ واوراق المملكة امامهُ ينظر فيها

وقصر مملكة اليونان في اثينا من افخر قصور الملوك فيهِ قاعة للرقص ليس اكبر منها في قصر اخر بناه الملك اوتو وانفق عليهِ نصف مليون من الجنيهات وفيهِ من الصور والتماثيل والتحف ما يندر وجوده في غيره وقد علّق فيهِ الملك جورج صور الرجال الذين كان لهم اليد الطولى في تحرير اليونان وترقيتها يونانيين كانوا او اجانب اعترافاً بفضلهم ومن اشهرهم لورد بيرون الشاعر الانكليزي الطائر الصيت . وكان واسع الخبرة جدًّا يقابل زواره ويدعهم يفيضون في الكلام معهُ حتى يستفيد من اخبارهم . ويراقب دواوين حكومتهِ وثكنات جيشهِ بنفسهِ وكثيراً ما يذهب اليها ماشياً وليس معهُ الّا رجل واحد او رجلان . والغاية التي كان يرمي اليها نجاح اليونانيين في بلادهم وتحرير الذين لا يزالون منهم خاضعين لدولة اخرى حتى يضم شتاتهم ويعيدهم مملكة كبيرة عزيزة الجانب

وقد اقترن بالاميرة اولغا ابنة الغران دوق قسطنطين اخي قيصر روسيا السابق ورزق منها ستة اولاد خمس صبيان وابنة . والملكة اولغا من نوابغ النساء تتكلم الانكليزية والفرنسوية والروسية والايطالية واليونانية والالبانية وكثيراً ما تلبس اللباس اليوناني القديم . وقد منحها عمها قيصر روسيا رتبة اميرال لشغفها بالملاحة وهي الامرأة الوحيدة التي اعطيت هذه الرتبة . واشتهرت في بلاد اليونان باعمال البر والاحسان فانشأت من مالها الخاص مدرسة لتعليم الممرضات وجمعت من الاغنياء مالاً انشأت بهِ مستشفى للفقراء

الملك قسطنطين

هو اكبر اولاد الملك جورج ولد سنة ١٨٦٨ ودرس في ليبسك وانتظم في الجيش الالماني وانتقل الى برلين واقترن بالاميرة صوفيا ابنة الامبراطور فردرك وشقيقة امبراطور المانيا الحالي فهو زوج اخت امبراطور المانيا وابن خال قيصر روسيا وابن خال ملك انكلترا . وقد اعتنقت زوجتهُ المذهب الارثوذكسي كما اعتنقهُ هو لان قانون البلاد يقضي ان تكون الارثوذكسية مذهب ملوكها بعد الملك جورج الاول الذي سُمح لهُ ان يبقى على المذهب البروتستانتي . وهو يشبه في شكلهِ وملامحهِ جدهُ الغران دوق قسطنطين الروسي ويعرف من اللغات الانكليزية والفرنسوية والالمانية واليونانية والروسية والدنماركية . وقد اشتهر في الحرب الاخيرة بادارتهِ الحربية فعسى ان تسعد بلادهُ في ايامهِ وتعود عرى الصداقة الى التمكن بينها وبين البلاد العثمانية

المكاتب الحربي

لم يعنَ الجمهور بامر مكاتبي الجرائد الذين يرافقون الجيوش الى ساحات القتال كما عُنوا بامرهم في الحرب الحاضرة بين الدولة العلية ودول البلقان لان الملازم وغاز مكاتب جريدة الرخسبوست النمسوية نشر من الاخبار والتفاصيل ما لا حقيقة لهُ على الاطلاق فاضطرَّ المكاتبون الآخرون الى تكذيبهِ واستعرت نار الجدال في الجرائد والمجلات . ثم كتب المستر بنت مقالة في مجلة القرن التاسع عشر لام فيها المكاتبين الذين رافقوا الجيوش العثمانية فردَّ عليهِ المستر جورج بلتشر في تلك المجلة . وقام المستر وليم مكسول مكاتب الديلي ميل وهو من اشهر مكاتبي الجرائد الحربيين وانشأ مقالة بديعة في مجلة القرن التاسع عشر ذكر فيها كثيراً ممَّا يعانيهِ مكاتبو الجرائد وما حدث لهُ ولغيرهِ في الحروب الاخيرة حرب السودان وحرب البوير وحرب اليابان والحرب الحاضرة فرأينا ان نعرّب اكثر ما جاء في مقالتهِ قال

هذه اول حرب حدثت منذ سنة ١٨٥٤ مُنع مكاتبو الجرائد من حضور معاركها . وتركيا ودول البلقان محقون في هذا المنع ولا لوم عليهم فان مكاتب الجريدة في الزمن الغابر كان يكتب ما يشاهدهُ ويرسل بهِ الى جريدتهِ فلا يصل اليها وينشر فيها الاَّ بعد ان تمرَّ ايام على ما رآهُ وكتب عنهُ فلا يستفيد المتحاربون منهُ ولا يضرون بهِ . اما الآن فرسائل المكاتبين ترسل وتنشر في اليوم الذي ارسلت فيهِ ويطَّلع عليها الخصمان فلا يستطيع احد منهما ان يخفي عن خصمهِ ما يريد اخفاءهُ عنهُ فصار المكاتب من هذا القبيل جاسوساً يتجسس احوال الجيش ويطلع خصمهُ عليها وما من قائد يريد ان يعرف خصمهُ شيئاً عن جيشهِ . وغرض القواد الذين يرمون اليهِ هو قهر خصومهم لا تسلية قراء الجرائد

وقد كان مكاتبو الجرائد في العهد الماضي قلالاً منتخبين اما الآن فصاروا كثاراً وهم من كل طبقات الناس . ومنهم من يتبرَّع لمكاتبة الجرائد تبرُّعاً من غير اجرة حبًّا باقتحام المخاطر او رغبة في مشاهدة المعارك الحربية . وكثيرون منهم لا يعرفون كيف يكتبون او كيف يصفون وهم يحسبون ان مجرَّد الاقرار على كونهم من مكاتبي الجرائد يجعلهم اهلاً لمكاتبتها . وهذا يذكرني بما قالهُ احد كبار المحررين لصاحب جريدة . فان هذا كان يحيك البسط ثم انشأ جريدة واستخدم ذلك المحرر لتحريرها وكتب يوماً مقالة واعطاها لهُ لينقحها فتأفف المحرر من تنقيحها لركاكتها فاعتذر صاحب الجريدة عن ذلك بقولهِ اني قرأت مقالات كثيرة

فحسبت اني صرت قادراً على كتابة مثلها . فقال لهُ المحرر وانا دست على بُسُط كثيرة ولم يخطر على بالي قط اني صرت قادراً على عمل البسط

وقد زاد عدد المكاتبين بتوالي الحروب حتى صار سيلاً جارفاً فقد كنا في ام درمان ستة عشر حتى قال لنا اللورد كتشنر اننا صرنا كافين لتأليف فرقة في الجيش ولكن المكاتبين المتمرنين لم يكونوا سوى ستة ومنهم فرنك رودس الذي جرح وهربرت هورد بن ارل كارليل الذي قتل . وكنا كثاراً في حرب البوير ايضاً وصرنا جيشاً جراراً في حرب الروس واليابان وبعضنا تطوع للمكاتبة تطوعاً غير طالب اجراً ولا شكوراً . وقبل ان خرجنا من اليابان قاصدين كوريا طلب ٥٦ منا مرافقة الجيش وهم ٣٣ من مكاتبي الجرائد الانكليزية و ١٧ من مكاتبي الجرائد الاميركية واثنان من مكاتبي الجرائد الفرنسوية واثنان من مكاتبي الجرائد الالمانية واثنان من مكاتبي الجرائد الايطالية . وكان بيننا من مكاتبي الجرائد الانكليزية تجار وكتّاب ومعلمون وباعة وجنود ثم زاد عددهم لانهُ كان يأتينا فوج جديد مع كل باخرة وبينهم سيدة اميركية واخرى سويسرية

اما المكاتبون الذين رافقوا الجيش البلغاري فلا اعلم عددهم ولا الامم التي ينتسبون اليها لانهُ سُمح لي بمغادرة صوفيا قبل وصولهم ولكنهم لم يكونوا اقل من مئة وكان بعضهم ضباطاً في الخدمة فادعوا ان لهم امتيازاً على الملحقين العسكريين لانهم مكاتبون وامتيازاً على المكاتبين لانهم ضباط . واكثرهم لم يكونوا مستعدين لهذا العمل لا بالمال ولا بالاختبار بل كانوا يحسبون ان الحكومة البلغارية والامة البلغارية تعنيان بامرهم لانهم جاؤُوا لخدمتهما

وتختلف معاملة الامم للمكاتبين الحربيين اختلافاً كبيراً ففي حرب ام درمان صرّح اللورد كتشنر انهُ لا يريد ان يكون معهُ احد من مكاتبي الجرائد مع انهُ هو نفسهُ كان مكاتباً لجريدة الستندرد ولكن توسَّط لورد روزبري في الامر فسمح اللورد كتشنر بقبول المكاتبين وبذل جهدهُ في تسهيل مهمتهم . وقد سهل مراقبة ما كتبوهُ لانهُ لم يكن هناك الاَّ جيش واحد وكان الرقيب السر فرنسيس ونجت

وفي حرب البوير كانت المراقبة على المكاتبين عسيرة لكثرة الجيوش وتفرقها . وكانت منوطة بلورد ستنلي الذي هو اليوم لورد دربي فحتم ان لا يكتب المكاتب اكثر من رسالة في الاسبوع ولا يرسل فيهِ المصور اكثر من صورة

وقد قيل ان اليابانيين استعملوا من الوسائل ما يمنع مكاتبي الجرائد من مرافقة جيوشهم . ولكن ذلك غير صحيح ولا اعلم ان امةّ من الامم اعتنت بامر المكاتبين ووضعت

لهم قوانين معقولة كالامَّة اليابانية . وكانت قوانينها ترمي الى قبول المكاتبين الاكفاء دون المتطفلين على هذه الصناعة . وقد سهَّلت لهؤلاء الاكفاء رؤية كل ما يمكن رؤيتهُ من المعارك الحربية وراقبت ما كتبوهُ مراقبة معقولة فلم تحذف منهُ شيئاً يجوز نشرهُ . واختارت المكاتبين وحددت عددهم وكان على المكاتب ان يأتي بشهادة من سفارتهِ انهُ اشتغل بالصحافة سنة على الاقل وانهُ صالح لان يكون مكاتباً حربيًّا واذا وقع خلاف بين السفير والمكاتب احيلت المسأَلة على الحكومة التي ينتمي اليها ذلك المكاتب لتحكم فيها . وبعد البحث والتدقيق اجيز لستة وخمسين مكاتباً بمرافقة الجيوش اليابانية فرافق الجيش الاول ١٦ مكاتباً ٨ منهم انكليز و ٦ اميركيون وواحد فرنسوي وواحد الماني . والجيش الثاني عشرون مكاتباً ١١ منهم انكليز و٦ اميركيون وواحد فرنسوي وواحد الماني وواحد ايطالي والجيش الثالث عشرون مكاتباً ايضاً ١٤ منهم انكليز و ٦ اميركيون

وأُمر هؤُلاء المكاتبون ان يبقى كلٌّ منهم مع الجيش الذي خرجت قرعتهُ معهُ ولا ينتقل الى سواهُ . واتفق ان مكاتباً اميركيا مشهوراً لم يرضهِ هذا التقسيم فاقنع مؤَلفاً اميركيًّا معروفاً ومصوراً انكليزيًّا مشهوراً بالاحتجاج على ذلك فكان الجواب لهم ان جاءهم ضابط من اركان الحرب وقال لهم سيقوم قطر من هنا الى اليابان بعد ساعة ويجب ان ترجعوا فيهِ الى طوكيو فكان كما قال

اما البلغار فلم ينتقوا المكاتبين كما فعل اليابانيون بل اجازوا اولاً مرافقة الجيش لكل احد مع ان اثنين من قوادهم اعترضا على ذلك ولكن البلغاريين خافوا ان يغيظوا المكاتبين فيسوّد هؤُلاء سمعتهم في جرائدهم ويثيروا شعوب اوربا عليهم

وحاول البلغاريون قسمة المكاتبين الى قسمين لكي يرسلوا قسماً بعد آخر فاعترض القسم الذي اريد تأخيرهُ اعتراضاً شديداً اخاف البلغاريين فسمحوا لهم ان يسافروا كلهم من صوفيا الى مقر الجيش في وقت واحد وهم نحو مئة. وهناك دبَّت الحمية في رؤُوس بعضهم فامتازوا على غيرهم ولو سرًّا وسمح لعشرة منهم ان يرافقوا الجيش الثالث وهم الكولونل رنكن مكاتب التيمس والمستر فرنك فكس مكاتب المورننج بوست وانا مكاتب الدبلي ميل وثلاثة من الروس اثنان منهم ضابطان كانا دائماً بلباسهما العسكري الرسمي واربعة من الفرنسويين اثنان منهم من الضباط . ولم يكن من شعوب المحالفة الثلاثية في معارك قرق كليسه ولولو برغاس وشطلجه غير مكاتب واحد . وقد ادعى المكاتب وغنر النمسوي انهُ كان مع الجيش الثالث ودوَّن افعالهُ كلها تدوين المؤَرخ المحقق مع انهُ لم يكن في ذلك الجيش احد من المكاتبين النمسويين

وقد منع المكاتبون النمسويون والالمانيون من مرافقتهِ عن قصد لكي لا يروا الاساليب التي يجري عليها البلغار في حروبهم

وكنت من المكاتبين الذين اتيح لهم ان يرافقوا الجيش (الاوردي) الذي يختارونهُ فلما وصلت الى مصطفى باشا لم يسمح لي القائد بمرافقة جيشهِ مع ان جوازي صريح . وكان هذا القائد لطيف المعشر وقد دعاني للطعام معهُ ولكنهُ ابى عليَّ مرافقة الجيش حتماً مع ان جوازي ممضيٌّ من رؤسائهِ وقال ان لا بدَّ لي من البقاء في مصطفى باشا . ثم جاء الفرج من حيث لا ينتظر فانهُ جاء استاذان الواحد من المدرسة الحربية والآخر من جامعة صوفيا وكانا مكلفين بمراقبة ما يكتبهُ المكاتبون وأُمرا بمرافقة الجيش الاول والجيش الثاني اللذين كانا سائرين نحو شطلجه والشقة بعيدة والسير فيها شاق ولم يجدا مطية يركبانها . وكان معي ومع الكولونل رنكن اوتومو بيل فاتفقنا معهما على ان نأخذهما معنا اذا اذن لنا في مرافقة الجيش فصدر الاذن حالاً . وكانت سفرة كثيرة المشاق ذقنا فيها الامرَّين ولما وصلنا الى قرق كليسه فارقنا الاستاذان وغاص اوتوموبيلنا في وحول ياني فتركناهُ هناك

وقبل ان خرجنا من قرق كليسه دخلتُ حصونها وبحثت عمَّا جرى فيها . ولم يكن فيها احد من مكاتبي الجرائد حين احتلالها فكتب المكاتبون ما اخبرهم بهِ البلغاريون واشاروا اليها كأنها حصن كبير منيع قال اركان الحرب الامبراطوري الالماني انهُ لا يؤْخذ في اقل من ثلاثة اشهر . وقالوا ان البلغار اسروا منها اربعين الفاً ومئات من المدافع وما لا يقدَّر من الميرة . اما انا فكتبت ان قرق كليسه لم تكن محصنة وان ليس فيها الاَّ طابيتان قديمتان وليس فيهما مدفع من المدافع الكبيرة وكل ما فيهما بعض المدافع الصغيرة التي تنقل مع الجيش . فقرأ الرقيب تلغرافي وقال لي لماذا لا تكتب كما كتب اخوانك فقلت لهُ ولماذا تسمح لهم ان يرسلوا الى جرائدهم هذه الاكاذيب . وكان الرقيب من اساتذة المدرسة الحربية فتبسَّم وقال اننا لسنا مسؤولين عمَّا يكتبون ولا شأن لنا الاَّ منع انتشار الاخبار التي تضرُّ بنا واما الاخبار التي تفيدنا ولا تضرنا فلا نطالب بمنعها ولو كانت كلها اكاذيب

وقد اخبرني الكولونل جوستوف بتفاصيل واقعة قرق كليسه فاذا الذي حدث هناك حدث بعيداً عنها على اميال منها وليس لهُ شأن كبير واما قرق كليسه فلم تطلق فيها بندقية

ولا يخفى ان المكاتبين الذين يرافقون الجيوش ايام الحرب مضطرون ان يعرضوا كل ما يكتبونهُ على الرقيب وهو حرٌّ ان يحذف منهُ ما يشاء او يمنع ارسالهُ مطلقاً والمكاتبون يتعهدون كتابةً بالعمل بهذا القانون لكن بعضهم يحتال بكل واسطة ممكنة لمخالفتهِ . وكثيراً ما

تنشر الجرائد تلغرافات تدَّعي ان الرقيب لم يطّلع عليها وهذا اخلال بالعهد · ولكن الرقباء قد يغالون في تعنتهم فيحرجون المكاتب · و بعضهم لا يستحقون الاَّ كل مدح مثل الجنرال داف في لادي سمث والسر فرنسس ونجت في السودان ولكن غيرهم لا يستحقون هذا المدح ومنهم رقيب في السودان كان يعبث برسائلي حتى لا يبقى منها شيئًا واخيراً خطر لي ان اطرئهُ فكتبت رسالة اعتنيت بكتابتها وجعلت عبارتها منسجمة حتى يتعذَّر حذف كلمة منها وجعلت مدحهُ في وسطها · فشرع يقرأها والقلم الازرق في يدهِ وهو يضرب على الكلمة بعد الاخرى الى ان وصل الى المدح فوقف هناك وقال لا بأس بارسالها بعد حذف كلمات قليلة منها · فقلت لهُ إما ان تُرسل كلها او تُحذف كلها · فقال اذن لا بد من اطلاع اللورد كتشنر عليها · فأُرسلت ولم اعد اجد منهُ ما كنت اجد اولاً

لما رُفع الحصار عن لاديسمث في حرب البوير منع الرقيب كل اشارة الى الجنود والبطريات فكتبتُ التلغراف الآتي وارسلتهُ وهو هذا « لم يسمح لي بذكر اسماء الارط التي دخلت لاديسمث · هذا ما اقرَّ عليهِ الرقباء الذين اقامهم الجنرال بلَّر وهم يدَّعون مثل بعض رجال السياسة انهم ارفع من ان يقرأُوا جريدة و يعتقدون ان الجهل قد اعمى البوير حتى انهم لا يعرفون اسماء الارط التي مرَّ عليهم اربعة اشهر وهم يصدونها · واذا لم أُتهم بمخابرة العدو فاني اقول ان القوَّة التي انقذت لاديسمث كانت مؤلفة من رجال ومدافع وخيل »

وكانت مراقبة اليابانيين في حربهم مع الروس دقيقة جدًّا ولكنها كانت تجري على طريقة معقولة فكان الرقيب جنديًّا واسع الاختبار ومعهُ اثنان من اساتذة المدرسة الحربية ولم يمضِ وقت طويل حتى صرنا معهم على تمام الصداقة كاننا اخوان

وقد حذا البلغاريون حذو اليابانيين فاقاموا اساتذة المدارس للمراقبة ولكن شتان بينهم و بين اساتذة اليابانيين في علمهم وسعة اختبارهم · وقد اختاروهم ظنًّا منهم انهم عارفون باللغات الاجنبية فكانت النتيجة ان اكثرهم كانوا لا رأي ولا شجاعة فلم يسلم تلغراف منهم مهما كان خاليًا من كل ما يحظر ارسالهُ · واذا ذُكرت فيهِ المدافع او البنادق اصابتهم منهُ هزة وقشعريرة · وكثيراً ما كانوا يجمعون المكاتبين في مكان واحد و يطلبون من كلٍّ منهم ان يقرأ ما كتبهُ على رفاقهِ · ولكن كان بينهم رقيب او اثنان من افضل الرقباء

ورجال الحرب اسهل مراساً من غيرهم فان الجنرال ديمتريف والكولونل جوستوف رئيس اركان حربهِ بذلا جهدهما ليساعدانا و يسهلا مهمتنا حينما وصلنا الى شطلجه وسمحا لنا ان نشاهد مواقع الجيش · ولما ابتدأ القتال في ١٧ نوفمبر دعينا لمرافقة الجنرال ديمتريف واركان

حربهِ ولكننا لما عدنا في المساء منعنا من ارسال التلغرافات وتعشينا تلك الليلة مع الضباط. وكتبت تلغرافاً بالفرنسوية وعرضتهُ على الكولونل جوستوف وتوسلت اليهِ ان يسمح بارسالهِ فسمح لي وارسلتهُ ولكن عبثت بهِ الايدي في الطريق فاتلفتهُ ولم يصل ما بقي منهُ الى لندن الاَّ بعد عشرة ايام

واصعب ما يلاقيهِ المكاتب الحربي الوصول الى بيت التلغراف لانهُ قد يكون بعيداً عنهُ مئة ميل ويتعذَّر عليهِ استعمال تلغراف الجيش لانهُ يكون مشغولاً بالمراسلات الرسمية حتى ان الكولونل جوستوف لم يستطع ان يرسل تلغرافاً الى زوجتهِ ويصلهُ الرد منها في اقل من شهر

ورفض اليابانيون في اول الحرب ارسال رسائل المكاتبين بتلغرافهم الحربي ثم سمحوا بارسال ١٢٠ كلمة كل يوم توزع على المكاتبين او يتناوبونها وكذا كانت الحال في حرب البوير وكنا نرسل الرسائل وقت حصار لاديسمث مع سعاة الهوتنتوت وندفع اجرة الرسالة للساعي عشرين جنيهاً الى خمسين وكنت احياناً ارسل اربع نسخ من الرسالة الواحدة مع اربع سعاة لكثرة ما كان يؤسر منهم واكتب لعامل التلغراف على كل واحدة منها ان يرسل التي تصل اليهِ اولاً ويهمل الباقيات. واتفق مرةً ان الجنرال جوبر امسك الساعي واخذ الرسالة منهُ وارسل اخبرنا ان الرسالة المرسلة الى جريدة الستندرد في بلاد الانكليز ستنشر في جريدة الستندرد في بريتوريا. فارسلت نسخة اخرى من تلك الرسالة ووضعتها في ظرف كتبت عليهِ الى الجنرال جوبر ان لا حاجة لهُ بها لان صورتها عندهُ. وأُسر الساعي ولكن الرسالة ارسلت الى لندن وردَّ لي الجنرال جوبر الظرف وعليهِ توقيعهُ ولم يزل عندي حتى اليوم

ولم ينفك البوير عن ظرفهم ومزاحهم حتى في ساعة الحرب ففي يوم عيد الميلاد اطلقوا على لاديسمث قنابل كتبوا عليها « A Merry Christmas » (وهي عبارة المعايدة عند الانكليز في عيد الميلاد)

وامتازت حرب البلقان بتضييقها على المكاتبين فصمتوا ولم يكتبوا شيئاً ولما رأى الملازم وغنر مكاتب الرخسبوست النمسوية ان قرَّاء الجرائد لا يصبرون على هذا الصمت جعل يختلق الاخبار ويرسلها الى جريدتهِ ويصف معارك حدثت في الحراج حيث لا معارك ولا احراج وانهراً جارية من الدماء حيث لا انهر ولا دماء وعبر بمخيلتهِ اميالاً من الوحول حتى وصل الى شطلجه ثم جعل يصف المعارك التي حدثت فيها قبل ان أُطلقت فيها بندقية بايام حتى عجب اصحاب الجرائد في لندن وباريس وبرلين من بلادة مكاتبيهم مع الجيش البلغاري ومع الجيش التركي مع ان الاطرش في الاستانة كان يجب ان يسمع اصوات المدافع التي

ذكرها الملازم وغنر . ونشرت احدى الجرائد في ١٥ نوفمبر ان جيش البلغار اخترق قلب الجيش العثماني في شطلجه بعد معركة دامت اربعة ايام ونُشر هذا الخبر في لندن قبلما ابتدأت الجنود البلغارية بالهجوم بيومين . وكتب مكاتب التيمس الى جريدتهِ حينئذٍ يقول ان كل المعارك التي وصفها مكاتب الرخسبوست في شطلجه لم تقع الاَّ في مخيلتهِ

وكل المعارك التي حارب فيها البلغاريون (قبل الهدنة) ثلاث اولاها المعركة التي حدثت قرب قرق كليسه من ٢٢ الى ٢٣ اكتوبر والثانية معركة لولو برغاس و بنار حصار من ٢٨ الى ٣١ اكتوبر والثالثة معركة شطلجه من ١٧ الى ١٨ نوفمبر . واما ادرنه فقصد البلغاريون من اول الامر ان يحصروها لا ان ينازلوها و يحاربوها

ولم يحسن البلغاريون معاملة مكاتبي الجرائد بل اخذوا اجور التلغرافات منهم ولم يرسلوها او ارسلوها بعد ان ضاعت فائدتها والفرق بينهم و بين اليابانيين شاسع كما ترى من القصة التالية

استدعاني الجنرال فوجي رئيس اركان حرب الجنرال كيوروكي بعد واقعة شاهو وسلمني تلغرافًا فيهِ « طوكيو في ٨ دسمبر من الجنرال موراتا الى الجنرال فوجي نودُّ ان يبقى المستر مكسول مكاتب الستندرد مع الجيش ولكن اصحاب جريدتهِ طلبوا ان يرجع الى بلادهِ هربًا من كثرة النفقات فأُجيبوا ان قوانين الجيش تمنع خروجهُ منهُ لكن اصحاب جريدتهِ خاطبوا السفير هياشي في لندن في ارجاعهِ . ونحن لا نستطيع ان نمنعهُ من الرجوع فانظر في الامر واجبني باسرع ما يمكن »

فلما قرأت هذا التلغراف قلت انهُ لم يبلغني قبل الآن انني استدعيت ولا اجبتُ بما نُقل عن لساني فقال الجنرال فوجي ان استدعاءك وصل اليَّ وانا اجبت بان قوانين الجيش تمنع رجوعك . فقلت ولكن اذا اردتُ الرجوع فلا احد يستطيع منعي . فقال الامر كما قلت ولكننا نريد ان تبقى معنا ولما كان الداعي لرجوعك هو النفقة فاذا اردت البقاء فنحن نقوم بنفقاتك وندفع راتبك واجرة تلغرافاتك

فقلت اني لا اريد ان اكون اجيراً لكم . فقال « أَلا تود ان ترى سقوط بورت ارثر » . فتاقت نفسي الى البقاء لانني حضرت حصار لاديسمث من اولهِ الى آخرهِ ووددت ان ارى نهاية هذه الحرب بسقوط بورت ارثر فوقفت افكر في الامر . فقال لي لك ان تذهب الى بورت ارثر اذا اردت وتعود الينا بعد سقوطها . فخطر لي حينئذٍ ان اعرّج على بكين وسألتهُ هل يباح لي ذلك فوقف كأَنهُ ارتاب في الامر فقلت لهُ اني اعدك باني لا ارسل تلغرافات

منها الى جريدتي . فقال لا اعتراض على ذهابك الى بكين ولا على ارسالك التلغرافات منها

وقمت في الصباح قاصداً بورت ارثر فودعني الجنرال كيوروكي وهو يدعو لي بسلامة الذهاب والاياب ووصلت بورت ارثر وشاهدت نسف الحصن الاخير من حصونها والهجوم على السور الصيني ودخلت المدينة على الجنرال فوجي وجنوده ورجعت الى طوكيو مع الاميرال ورن والجنرال سمرنوف اللذين فضّلا الاسر في اليابان على ان يعدا بان يقيما في روسيا ولا يحاربا

وسألني الجنرال فوجي ذات يوم لماذا لا ادنو منهُ حينما تكون رحى الحرب دائرة. فقلت لانهُ اذا دنا مكاتب من قائد اوربي وقت الحرب طردهُ طرداً . فقال ادنُ مني كلما رأيت سيكارة في فمي ولا تخف . وكثيراً ما كان يشرح لي تفاصيل المعارك الحربية شرحاً بالغاً اقصى الفائدة واذا قُطع الكلام لسبب من الاسباب عاد اليهِ بعد ايام وابتداهُ من حيث انقطع كأنَّ ذاكرتهُ لا تنسى شيئاً



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

عقيدة التوحيد

جاء في مقتطف يناير سنة ١٩١٣ صحيفة ٩٣ تحت تعدد الالهة ما نصهُ

ام دوما : محمود افندي الناظر . كان قدماء اليونان يقولون بتعدد الآلهة ويقولون ان للجمال الهاً وللنور الهاً وللحرب الهاً . فكيف ذلك مع انهُ كان فيهم فلاسفة مفكرون : —

الجواب : يظهر لنا ان التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى عقيدة التوحيد . فاذا لم تكن هذه العقيدة قد وصلت الى الناس بالهام الهي فيكون وصول بعضهم اليها تحكماً لا موجب لهُ لانهُ كما يصح عقلاً ان يكون في العالم اله واحد يصح ان يكون فيهِ الهان او ثلاثة

او اكثر — سمعنا مرة عالماً من اكابر العلماء يبرهن على وجوب وحدة الخالق بقولهِ اذا وجد الهان فيستحيل ان يكونا متساويين في كل شيءٍ واذا اختلفا في القوة تغلَّب احدهما على الآخر ولا شاءُ فيبقى الهٌ واحد. فقلنا لهُ كيف تثبت المقدمة الاولى وهي قولك انهُ يستحيل ان يكونا متساويين في كل شيءٍ. فقال هاتوا لي شيئين متساويين فقلنا ان الجوهر الواحد من الذهب او الفضة يماثل الجوهر الآخر وهب انهما مختلفان فاحدهما لا يلاشي الآخر. فوجم كأن هذا المثل لم يخطر على بالهِ قبلاً. ولذلك يرجح علماء الاديان الآن ان عقيدة التوحيد وصلت الى الناس بالهام الهي. انتهى

ولما كانت عقيدة التوحيد من اهم العقائد التي كلف الله بها عبادهُ حتى قال كثير من علماء الكلام ان الشخص البالغ العاقل مكلَّف بها ولو لم يكن شرع اكتفاء بدلالة العقل واوَّلوا قولهُ تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) بأن المراد من الرسول العقل وكانت هذه المقالة التي بالمقتطف تنافي ذلك وتباينهُ وجب ان نبين الحق من الباطل في هذا الموضوع دفعاً لما عساهُ ان يلتبس على العوام في هذه المقالة فنقول:

تضمنت هذه المقالة اموراً — الاول ان عقيدة الوحدانية انما تصل الى الناس بالهام الهي لا بالعقول — الثاني. ان التفكير وحدهُ لا يكفي للوصول الى تلك العقيدة والأكان وصول بعض الناس الى تلك العقدة دون بعض تحكماً: الثالث. ان العقل كما يصحُّ عندهُ ان يكون الاله واحداً يصح عندهُ ان يكون متعدداً وكل ذلك باطل

اما الاول فلانهُ لو كانت عقيدة التوحيد انما تصل بالالهام لا بالعقول والافكار لما صح ان يكلف الله بها عبادهُ لانها على هذا الاعتبار ليست مقدورة للعبد وليس في وسعهِ الاتيان بها ولا خفاء في بطلانهِ — لا يكلف الله نفساً الاَّ وسعها

واما الثاني فلأَنهُ لم يقل احد ان الموصل مطلق الفكر حتى يلزم من وصول بعض الناس بهِ دون بعض تحكم بل الفكر الصحيح المستوفى الشرائط المبينة في علوم الحكمة ولم يخالف في افادة النظر الصحيح العلم اليقين الاَّ من شذ من السمنية عباد الاوثان القائلين بالتناسخ زعموا انهُ لا يفيد العلم مطلقاً لا في الالهيات ولا في غيرها والاَّ شرذمة من المهندسين في خصوص الالهيات زاعمين ان المقصود فيها الاخذ بالاليق والاولى. والبرهان قائم على بطلان هذين المذهبين واثبات ان الفكر الصحيح يفيد العلم مطلقاً في الالهيات وغيرها وانهُ متى حصل النظر الصحيح لزم حصول العلم — والدليل على افادة النظر الصحيح للعلم انا نعلم بالضرورة ان من علم لزوم شيءٍ لشيءٍ كلزوم طلوع الشمس لوجود النهار وعلم مع ذلك وجود الملزوم علم وجود

اللازم وان علم مع ذلك نفي اللازم علم نفي الملزوم · ومن علم ان العالم ممكن وان كل ممكن لهُ سبب علم ان العالم لهُ سبب فثبت ان النظر الصحيح يفيد العلم مطلقاً في الالهيات وغيرها·

والدليل على لزوم العلم للنظر الصحيح وعدم انفكاكهِ عنهُ ان من علم ان العالم متغير وان كل متغير ممكن اذا استحضر هاتين المقدمتين ولاحظ ترتيبهما استحال ان لا يعلم ان العالم ممكن

واما الثالث فلأن التعدد في الالوهية مستحيل لما سنبينهُ ومن البديهي ان العقل لا يصدق بوجود المستحيل بل لا يتصورهُ الاَّ بضرب من التشبيه او على وجه النفي فلا يصح قولهُ ان العقل كما يجوّز ان يكون الاله واحداً يجوّز ان يكون متعدداً

فالحق ان تلك العقيدة وصلت الى الناس بنظر العقل الصحيح وفكرهِ الثاقب في آيات الله ومصنوعاتهِ الدالة على وحدانيتهِ : ففي كل شيء لهُ آية تدل على انهُ الواحد : وانما اختلفت الناس في تلك العقيدة لاختلاف انظارهم بالصحة والفساد فمن تجرد عقلهُ عن غواشي الوهم واعمل فكرهُ في تحصيل المقدمات الصادقة ورتبها ترتيباً صحيحاً وصل الى تلك العقيدة الصحيحة ومن غاب على عقلهِ الوهم والخيال قادهُ ذلك الى مقدمات وهمية وترتيب فاسد فتكون نتيجتهُ باطلة ولذلك استدل الحكماء الفلاسفة اليونانيون وغيرهم والمتكلمون جميعهم على تلك العقيدة بالادلة العقلية وهم اساطين الكلام وقادة الانام مجوزين الاستدلال عليها بالادلة النقلية ايضاً وردوا على مخالفيهم في تلك العقيدة مفندين ما استدلوا بهِ من الادلة الفاسدة

لو فرض الهان صانعان قادران على الكمال بالفعل او بالقوة لامكن بينهما تمانع بان يريد احدهما حركة جسم والآخر سكونهُ فلنفرض ذلك التمانع واقعاً لان الممكن هو الذي لا يلزم من فرض وقوعهِ محال لذاتهِ والاَّ لكان ممتنعاً لا ممكناً ولا شك ان كلاًّ من الارادتين وتعلقيهما ممكن في نفسهِ ولا تضاد بينهما بل بين المرادين : فلا يقال اذا اراد احدهما الحركة كان السكون مستحيلاً : فلا تتعلق بهِ ارادة الآخر على ان المفروض توجه الارادتين معاً لا متعاقباً واذا تمانعا فإما ان يحصل مرادهما معاً فيلزم ان يكون الجسم متحركاً ساكناً في آن واحد وهو محال واما ان يحصل مراد احدهما فالذي لم يحصل مرادهُ يكون عاجزاً فلا يكون الهاً : واما ان لا يحصل مراد واحد منهما فيرتفع الضدان المتساويان للنقيضين وهو باطل ويلزم عجز كل منهما فلا يكونان الهين

فثبت ان امكان التعدد مستلزم لامكان التمانع المستلزم للمحال فيكون محالاً : وهذا الدليل المتقدم يسمى برهان التمانع · وللمتكلمين ايضاً برهان آخر يسمى برهان التوارد تقريرهُ :

لو وجد الهان قادران على الكمال مستجمعان شروط الالوهية لامتنع وجود شيء من العالم وامتناع وجود شيء من العالم باطل — اما المقدمة الثانية فدليلها المشاهدة — واما المقدمة الاولى فدليلها انهُ لو وجد الهان مستجمعان شروط الالوهية لكانت نسبة المقدورات الى كل منهما واحدة لان المقتضي للقدرة الذات والمصحح للمقدورية الامكان . فتكون قدرية كلٍ عامة لجميع الممكنات . وحينئذٍ فاذا فرضنا مقدراً معيناً يراد وقوعهُ فاما ان يقع لكل واحد منهما استقلالاً في آن واحد وهو باطل للزوم اجتماع المؤثرين المستقلين على اثر واحد بالشخص وهو محال بالبداهة وان وقع بكل منهما متعاقباً لزم عليهِ تحصيل ما هو حاصل وهو باطل بالبداهة واما ان يقع باحدهما فيلزم الترجيح بلا مرجح وهو محال ايضاً واما ان لا يقع فيلزم عجزهما . فثبت انهُ لو وجد الهان قادران على التمام مستجمعان شرائط الالوهية لامتنع وجود شيء من العالم . وعلمت ان امتناع وجود شيء من العالم باطل بالمشاهدة . فثبتت وحدانية الاله واستحالة التعدد . ولم نتعرض لاحتمال ان يقع المقدور المعين بمجموع القدرتين الالهيتين لظهور بطلانهِ بقولهِ قادران على الكمال

وللوصول الى عقيدة التوحيد بنظر العقل الصحيح لم يخالف فيها الاَّ الثنوية دون الوثنية فانهم لا يقولون بوجود الهين واجبي الوجود ولا يصفون الاوثان بصفات الالوهية وان اطلقوا عليها اسم الالهة بل اتخذوها على انها تماثيل للانبياء او الزهاد او الملائكة واشتغلوا بتعظيمها على وجه العبادة توصلاً بها الى ما هو اله حقيقة . قال تعالى حكاية عنهم (ما نعبدهم الاَّ ليقربونا الى الله زلفى) فعدهم من المشركين لقولهم بتعدد المستحق للعبادة لا لقولهم بتعدد واجب الوجود — واما الثنوية فقالوا نجد في العالم خيراً كثيراً وشرًّا كثيراً والواحد لا يكون خيّراً شريراً بالضرورة . فلكل منهما فاعل على انفرادهِ — وقد ردَّ عليهم بانهُ ان كان المراد بقولهم لا يكون الواحد خيّراً شريراً انهُ لا يوجد واحد يكون ذا خير كثير وشر كثير منعناهُ . اذ لا مانع من ان يكون الفاعل واحداً منهُ الخير الكثير والشر الكثير — ولو سلمنا ان الواحد لا يكون خيّراً شريراً بهذا المعنى — لا نسلم انهُ يلزم ان يكون للخير اله وللشر اله لان الخيّر ان قدر على دفع شر الشرير ولم يدفعهُ فهو شرير وان لم يقدر على دفعهِ فهو عاجز ولا يكون الهاً : وان كان المراد بالخيّر من يغلب خيرهُ على شرهِ والشرير من يغلب شرهُ على خيرهِ صح ان الواحد لا يكون خيّراً شريراً بهذا المعنى لكن لا يلزم من كون فاعل الخير والشر واحداً ان يكون ذلك الواحد خيراً شريراً بهذا المعنى فلا يفيد ابطالهُ لانهُ ليس بلازم حتى ينفع ابطالهُ ويثبت التعدد

وما تمسك بهِ صاحب تلك المقالة من انهُ سمع عالماً يبرهن على وجوب وحدانية الخالق وانهُ جادلهُ في ذلك البرهان حتى اسكتهُ لا ينتج ما ادعاهُ من ان عقيدة التوحيد انما تصل بالالهام الالهي : لان عجز هذا العالم عن اقامة البرهان الصحيح لا يقتضي عدم وجود البرهان في ذاتهِ الذي اهتدى اليهِ الكثير من الناس ولا ينافي ان ذلك العالم وصل بفكرهِ الى تلك العقيدة وان عجز عن التعبير عنهُ بعبارة صحيحة امام من نازعهُ في ذلك

هذا ولقد كان يكفي في الجواب عن السؤَال بأن قدماء اليونان يقولون بتعدد الالهة ومنهم فلاسفة مفكرون ان يقال ان الفلاسفة المفكرين من اليونان وغيرهم وصلوا بافكارهم الى تلك العقيدة كما هو مدون في كتب التاريخ والفلسفة : ووجود فلاسفة مفكرين في امة وصلوا بافكارهم الى عقيدة لا يلزم منهُ ان تكون امتهم على منهجهم في تلك العقيدة اذ كثيراً ما نجد عوام الامة مخالفين لعلمائهم في العقيدة

نسأل الله ان يوفق عبادهُ للسداد والصواب في معتقداتهم واعمالهم انهُ وليُّ التوفيق

محمد ابو الفضل

شيخ علماء الاسكندرية

[المقتطف] لقد رحَّبنا بهذا البيان الوافي واننا ننشرهُ مع الشكر لحضرة منشئهِ الاستاذ الفاضل . وما قال بهِ حضرتهُ قال بهِ كثيرون من علماء اللاهوت . وقد قال البروتستانت منهم « ان لجميع الناس شيئاً من المعرفة بالله اي لهم معرفة بوجود كائن سرمدي هم متعلقون بهِ ومسؤُولون لهُ » . وفي اصل تلك المعرفة ثلاثة اقوال الاول انها غريزية والثاني انها نتيجة عقلية والثالث انها ناشئة عن اعلان خارجي متصل الى كل الاجيال بالتقليد واصح هذه الاقوال الاول » . وقالوا ايضاً « ان الاعتقاد بوحدانية الله هو اعتقاد جنسنا الاصلي ثم لما حاد البشر عن ذلك مالوا الى عبادة الخليقة . . فتطرَّقوا الى عبادة الشمس والقمر والنجوم والنار والهواء والماء ثم شخَّصوا تلك القوى الطبيعية والَّهوها وهكذا انتشر بينهم الاعتقاد بالهة كثيرة » . ولعلماء اللاهوت وعلماء الاديان كتب ممتعة ومناظرات كثيرة في هذا الشأن . ولكن ماذا نجد اذا تركنا ما يقولهُ زيد وعمرو والتفتنا الى ما يعلمهُ قراءُ هذه السطور انفسهم فالاستاذ الفاضل موشّي برد الرد السابق يعرف مئات من العلماء فهل يعرف ان كثيرين منهم وصلوا الى عقيدة التوحيد باستدلالهم العقلي على نحو ما بيَّن . اما نحن فلا نعرف واحداً بين المئات الذين عرفناهم وعاشرناهم منذ خمسين سنة الى الآن وصل الى هذه العقيدة بالاستدلال العقلي . ويقال ان ثلاثة او اربعة من فلاسفة اليونان وصلوا اليها بهذا الاستدلال ولكننا

فحصنا بعض الادلة التي بني عليها هذا القول فلم نجدها مقنعة · ويظهر لنا ان كثيرين من الذين ينظرون في هذه المواضيع بتقوى خالصة يميلون الى الاعتقاد بان خالق الكون لم يخلق الناس ويتركهم ويبعدهم عنهُ بل لا يزال متصلاً بهم يلهمهم ويرشدهم · « والخلق لم يخلقوا سدًى ولو لم تكن اعمالهم بالسديدة »

وبعدُ فقد قام في هذا العصر علماء محققون بحثوا في اديان البشر بحثًا تاريخيًّا استقرائيًّا فجمعوا كل ما عُرف عن اديان المصريين والاشوريين والبابليين والصينيين والهنود واليونان والرومان وقبائل افريقية واستراليا واميركا والجزائر وغيرهم وبوَّبوا ذلك كلهُ لكي يستدلوا منهُ على كيف اتصل الناس الى عقائدهم الدينية · فظهر من بحثهم واستقرائهم ان الناس عاشوا الوفًا من السنين وهم يعتقدون بالهة كثيرة وحتى الآن لا يزال اكثر من نصف البشر يعتقد ان في الكون اكثر من اله واحد · ولهؤلاء العلماء آراء كثيرة في كيف اتصل الناس الى عقيدة التوحيد وهذه الآراء مبنية على البينات التي وجدوها في تاريخ الاديان المختلفة وشعائرها · والذين قالوا منهم ان عقيدة التوحيد جاءت الناس بوحي الهي هم اشدهم انتصاراً للاديان المنزلة واقلهم انتصاراً للاديان الطبيعية · ولهم كلهم في ذلك كتب كثيرة مبنية على الاستقراء العلمي كما تبنى احكام القضاة على البينات وشهادات الشهود والقرائن · الاَّ ان النتائج العلمية التي نستنتجها اليوم نبنيها على ما نعرفهُ اليوم من المقدمات او المعلومات وقد نعرف غداً ما ينفيها وينتج نتائج اخرى فنضطر الى ترك النتائج الاولى وقبول النتائج الثانية · مثال ذلك ان اكل اللحم محسوب من الوسائل التي تقوي الناقه من مرض فاذا اثبت الاستقراء الآن ان اكل اللحم يضعف الناقه ولا يقويهِ بشهادة اكثر الاطباء اضطررنا الى التسليم بذلك ولم نعد نصف اكل اللحم للناقهين · ومثالهُ ايضًا ان الفصد كان يوصف للشفاء من الحمَّى وكان الشفاء يحدث بعدهُ غالبًا فاذا ثبت الآن بالاستقراء ان الشفاء لم يكن ناتجًا عنهُ اي عن الفصد بل عن سبب آخر وان الفصد يضرُّ ولا ينفع لزمنا التسليم بذلك الى ان يثبت غيرهُ وقيسوا عليهِ كل النتائج العلمية

اعجوبة

حضرات اصحاب المقتطف المحترمين

عندنا بقرة ولدت عجلاً منذ شهر تقريبًا وهو اعجوبة من اعاجيب الزمان ففي جانب اذنهِ عرق يشبه الليمونة في الحجم وفمهُ اشبه بخرم في الجهة اليمنى ولسانهُ مدلًّى منهُ وشفتهُ

العليا اقصر من السفلى ومن يوم ولادتهِ الى الآن لم يرضع من امهِ بل يدخل اللبن من خرم فمهِ

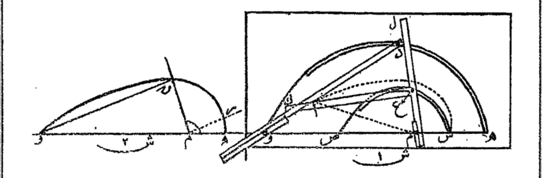
حنا معوض بمغاغه

كاتب مقالة طب العيون

جاءنا من حضرة الدكتور الياس ابرهيم الصليبي طبيب العيون انهُ هو الكاتب للمقالة التي نشرناها في مقتطف مارس في تاريخ طب العيون



قسمة الزاوية الى خمسة اقسام



شكل ١ عبارة عن سطح من الرق فيهِ الخط المنحني هـ د و لقسمة الزاوية الى ثلاثة اقسام (وسبق ذلك في عدد يناير) ورسم موازي لهذا المنحني ثم قطع الجزء الذي بين الخط المنحني وموازيهِ · وفي هذا الشكل ايضاً الخط المنحني س ع ص المبروز والمقطوع ما بينهُ وبين موازيهِ عبارة عن المسار الهندسي لمنتصفات المستقيمات الواصلة من م (التي هي في ثلث هـ و) الى الخط المنحني هـ د و

وتُحرك في م المسطرة م ل وعليها عمودي في ع المسطرة المثبتة ع ك ونقطة ع مبرشمة بمسمار يمرُّ بالبرواز س ع ص اعني متى تحركت المسطرة م ل تكون نقطة ع على المنحني س ع ص دائماً اي على المسار الهندسي لمنتصفات المستقيمات الواصلة من م الى المنحني هـ د و

وتحرك ايضاً في و المسطرة ود التي طرفها د مبرشم بسمار يمر بالبرواز وتكون نقطة د دائماً على المحيط هـ د و متى تحركت المسطرة ود

فاذا كانت المسطرة م ل متكئة دائماً على المسطرة ود في د فانهُ اذا وصل من نقطة تقابل العمود ع ك مع و د (ولتكن تلك النقطة ا) الى م كانت زاوية م ا و اربعة امثال زاوية م و ا لان

زاوية م د ا = ضعفي زاوية م و د (لان المحيط هـ و د لتقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام)

وزاوية م د ا = زاوية د م ا (لان ا ع عمودي على منتصف د م)

وعليهِ فزاوية م ا و = ضعفي زاوية م د و = اربعة امثال زاوية م و ا

وتكون الزاوية الخارجة س م ا منقسمة الى قسمين احدهما اربعة امثال الآخر اعني الى خمسة اقسام

وكذلك اذا تحركت المسطرتان م ل ، و د متكئة احداهما على الاخرى في نقطة د دائماً فان نقط تقابل ع ك مع و د ترسم خطًّا منحنياً مبتدئاً من و ومنتهياً عند انطباق ع م ، و د ، هـ م بعضها على بعض في نقطة س التي هي منتصف هـ م وتكون نقطة م بالنسبة الى س و في خمسهِ لان م و ضعفا هـ م و هـ م ضعفا س م وتكون كل نقطة على هذا المنحني اربعة امثال الزاوية الحادثة بين م و والضلع الموصل من و الى تلك النقطة وتكون الزاوية الخارجة لها منقسمة الى قسمين احدهما اربعة امثال الاخر اعني الى خمسة اقسام متساوية

وعليهِ يمكن رسم رقة (ش ٢) محيطها هذا الخط المنحني س ا و وقاعدتها س و ونقطة م معينة في خمس س و وتصلح هذه الرقة لتقسيم اية زاوية الى خمسة اقسام متساوية

فمثلاً لتقسيم زاوية مثل هـ م ق (شكل ٢) الى خمسة اقسام نضع الرقة بحيث يقع خمسها (نقطة م) على رأس الزاوية فيقطع محيط الرقة ضلعي تلك الزاوية في ق ، هـ وامتداد هـ م في و ثم نصل ق و فتكون زاوية م ق و اربعة امثال زاوية م و ق وتكون زاوية هـ م ق منقسمة الى قسمين احدها اربعة امثال الاخر . فنرسم م ر موازياً الى و ق فتكون زاوية ق م ر اربعة امثال زاوية هـ م ر اعني ان زاوية هـ م ر خمس زاوية هـ م ق

وسننتهي في العدد المقبل بعمل رقة واحدة لقسمة اية زاوية الى ثلاثة اقسام او خمسة اقسام ولقسمة القائمة الى سبعة اقسام ايضاً

اسكندر باسيليوس
طالب بالمدرسة السعدية



ارشادات في زرع القطن

نشرت مصلحة الزراعة الارشادات التالية لمساعدة المزارعين في الوجه القبلي على تحسين الطرق التي يتبعونها في زراعة القطن وارشادهم الى الطريقة التي يتحصلون بها على قطن جيد مثل الذي ينتج من احسن اراضي الوجه البحري

ويجب على العمدة ان يقرأ هذا المنشور في كل قرية من قرى الوجه القبلي التي يزرع فيها القطن وان يدعو المزارعين لسماعهِ

١ — ارشادات عامة

اذا قارنا بين زراعة القطن في الوجهين القبلي والبحري لا بد وان ندرك في الحال ان اراضي الوجه القبلي لا يعتنى بخدمتها العناية الكافية كما يعتنى عادة بخدمة اراضي الوجه البحري وهذا اهم الاسباب في حصول الفرق بين المحصول في الوجهين المذكورين فمثلاً من المعتاد ان مزارعي الوجه القبلي يزرعون الارض مباشرة بعد خلوها من الزراعة السابقة دون حرثها حرثاً جيداً ومن المعتاد ايضاً انهم يقطعون احطاب القطن عوضاً عن تقليعها بجذورها كما انهم لا يحرثون الارض حراثة جيدة كما هو الضروري بل يبذرون بذور الفول او القمح مع وجود حطب القطن في الارض

وقد اعتاد بعضهم ايضاً زراعة القطن بعد الفول ليتحصل على محصول الفول بدريًّا حتى يتمكن من زراعة القطن ولكن الارض باستمرار زراعتها على هذه الحالة تأخذ في الضعف وتفقد جميع قواها وتصبح غير قادرة على مساعدة نموّ القطن الجديد كما هو حال العامل الذي يشتغل على الدوام بدون راحة

وهناك امر آخر تجب ملاحظتهُ عند قطع احطاب القطن في نهاية الموسم بدون تقليعها بجذورها وحراثة الارض وهو ان هذه الجذور تنبت بين نبات الفول او القمح وتأخذ مقداراً عظيماً من الغذاء الموجود في الارض مع ان هذا الغذاء نافع للقمح او الفول فاذا تغذت بهِ تلك الجذور لا يستفيد منها المزارع شيئاً

وليس الضرر قاصراً على هذا فقط بل من المعروف ان اعظم ما يصيب القطن في الوجه

القبلي هو دودة اللوز وهذه تتغذى اثناء فصل الشتاء بالاوراق الخضراء التي تنبت في القطن او التيل او الباميا فتتكاثر وتفتك بالقطن في فصل الخريف فالمزارعون الذين لا يقلعون جذور القطن او التيل او الباميا التي تنبت اثناء الشتاء يقدمون بذلك لدودة اللوز غذاء في حين انهم اذا قلعوا هذه الجذور يسهل عليهم اماتتها جوعاً

فاذا بحثنا عن سبب فتك دودة اللوز بزراعة القطن بمديرية المنيا هذه السنة بعد ان ظهر ان المحصول فيها كان عظيماً لغاية نهاية الجمعة الاولى وجدنا ان المزارعين في تلك المديرية هم الذين ساعدوا الدودة على هذا الفتك وذلك باعطائها غذاء كافياً لها اثناء فصل الشتاء بتركهم جذور القطن تنبت عوضاً عن تقليعها

فمصلحة الزراعة ترشد المزارعين الى ما يأتي —

اولاً — تقليع جميع جذور القطن والتيل والباميا عقب انتهاء الزرعة مباشرة وابادة الاوراق او اللوز بواسطة احراقها او دفنها في الارض بدلاً من تركها غذاء لدود اللوز

ثانياً — حراثة الارض حراثة تامة وتفكيك اجزائها سواء كان الزرع الذي سيعقب القطن قمحاً او فولاً

ثالثاً — عدم زراعة الفول قبل القطن خصوصاً لانهُ يبقى في الارض مدة طويلة فلا يتيسر خدمتها وحراثتها كما يجب في الوقت المناسب لزراعة القطن بدرياً

والامر بخلاف ذلك في زراعة البرسيم لانهُ يمكن حراثتهُ عند ضرورة اعداد الارض لزراعة القطن

٢ — الحراثة

يراعى دائماً قبل زراعة القطن حراثة الارض ثلاث او اربع مرات في اتجاهات مختلفة لخلط اجزاء الارض بعضها ببعض وتنعيمها لايجاد محل لائق للبذرة وبعد حراثة الارض جيداً على هذه الحالة يجب تزحيفها بالزحافة بحيث لا يبقى فيها ادنى مدر « قلقيل »

٣ — تخطيط الارض والمسافات بين النباتات والزراعة

تعمل الخطوط لزراعة القطن على مسافات بحيث تكون اربعة خطوط في كل قصبة في الارض الجيدة وخمسة في كل قصبة في الارض الضعيفة ويجب ان تعمل تلك الخطوط بحيث تكون متجهة دواماً من الشرق الى الغرب حتى تكون الجهة القبلية معرضة لضوء الشمس طول النهار وفي هذه الجهة الدافئة يجب ان توضع البذور لوقايتها من الرياح الشمالية لانها اذا وضعت في الجهة البحرية كانت معرضة لتلك الرياح ويكون هذا سبباً في ان النبات يتغير

لونهُ الى السمرة ويضعف ويجب ان توضع البذور في حفر تُعمل في الجهة القبلية على ثلثي المسافة بين اسفل الخط وقمتهِ ويوضع في كل حفرة مقدار ثماني بذور الى اثنتي عشرة بذرة وتكون الحفر بعيدة عن بعضها بمسافات من ٤٠ الى ٤٥ سنتيمتراً وفي الاراضي الضعيفة من ٣٠ الى ٣٥ سنتيمتراً

ويبتدأ في زراعة القطن في الوجه القبلي في شهر فبراير او في اوائل شهر مارس لان الزراعة المتأخرة عن هذا الوقت تصاب بدودة اللوز التي تشتد وطأتها عادة في شهر اكتوبر

٤ — الخف

ان جودة نوع القطن تتوقف على عملية الخف فانهُ في جميع انواع البذور يوجد نوع يقال لهُ « الهندي » مختلط بها وهذا ينتج نباتاً قويًّا جدًّا ولكن قطنهُ من صنف رديء للغاية ويمكن تمييز بذرة الهندي بسهولة اذ لا يوجد عليها شعر كما انها مدببة عند طرفها كسن الابرة

وليس في الامكان تنقية جميع بذور الهندي قبل الزراعة ولكن من السهل جدًّا تمييز نباتات الهندي الصغيرة عند ما تأخذ في النمو فيمكن للزارع اثناء عملية الخف استئصالها والتحقق من ان غيطهُ لا يحتوي الاَّ على نبات القطن الذي هو من النوع الجيد

ان المزارع اذا تأمل في نبات القطن الحديث عند ما تظهر عليهِ ورقتان او ثلاث يرى في بعضها نقطة حمراء في محل اتصال الساق بالورقة وتمتد تدريجيًا بصفة خطوط حمراء على الساق فعند الخف الذي يلزم ان يكون من اربعين الى خمسين يوماً بعد الزراعة يجب عليهِ ازالة جميع الشجيرات التي تكون فيها هذه العلامة الحمراء حتى ولو ظهر لهُ ان هذه الشجيرات هي الاقوى والاصح كما هو الواقع

وينبغي ترك شجرتين فقط في كل حفرة وهاتان الشجرتان يجب ان تكونا خاليتين من تلك العلامة الحمراء

٥ — تنقية الحشائش والعزيق

في كل غيط حشائش مختلفة تنمو بنفسها فمثل هذه الحشائش يجب معاملتها كما تعامل الفيران التي توجد في مخازن الحبوب فاذا لم تعدم هذه الحشائش باسرع ما يمكن فانها تأخذ غذاء القطن بالكيفية التي يأخذ بها الفار حبوب الفلاح

ويجب تقليع هذه الحشائش قبل السقية الاولى وقبل ان تغور جذورها في الارض التي تحتوي على الغذاء المخصص لنبات القطن فبعد السقية الاولى التي تكون من ٣٠ الى ٤٠ يوماً بعد الزراعة يجب عزق الارض بالفأس وتكسير اجزائها بقدر ما يمكن لانها اذا تركت حتى

تجف وتتشقق بعد سقيها يتبخر كثير من الماء الذي اخذهُ النبات و يفقد

اما اذا تكسرت قشرة سطحها بالعزيق فان الرطوبة تبقى في الارض مدة طويلة والمزارع الذي يقوم بهذه العملية تماماً لا يخشى على قطنهِ من قلة المياه

٦ — الري

يجب ان يكون ري القطن خفيفًا بحيث لا تصل المياه الى جذور النباتات الاَّ بالرشح فاذا كان الري غزيراً وخصوصاً في وقت تكوين اللوز فان كثيراً منهُ يتساقط و يتسبب عن ذلك عجز في المحصول وفضلاً عن ذلك فان المياه الغزيرة تسبب سرعة نموّ الاوراق وتساعد على انتشار دودة القطن

ومن المفيد جدًّا في المزارع التي يقوى نموّ القطن فيها حتى تطول شجيراتهُ كما في الوجه القبلي ان تطوش الشجيرات بان تقصف الاطراف الغضة « الطرية » من قمم الشجيرات وهي الاطراف المعروفة بأنها « سواق الشجرة » فيقف النموّ في الاغصان السفلى و يكثر الطرح فيجود و يكبر المحصول

وتعمل هذه العملية في نهاية شهر يوليه تقريبًا

٧ — الجني

تجب العناية بفصل قطن كل جمعة على حدتهِ لان اول جنية من القطن يكون قطنها احسن القطن ثم تنحط درجتهُ اذا وضع زمنًا طويلاً في مخزن صغير او اذا خلط بالجمعات الاخرى التي ربما تكون ملوثة بشيءٍ من دودة اللوز

٨ — بل القطن بعد جمعه

يحصل الغش في جهات كثيرة بواسطة بلّ القطن بعد جمعه ظنًّا من المزارع بانهُ يربح شيئًا من زيادة وزن القطن ولكن الذين يشترونهُ يسهل عليهم معرفة هذا الغش فضلاً عن ان هذا البل يؤدي الى تعفن تيلة القطن وتلفهِ فالمزارع الذي يعمل هذه العملية انما يخسر في الحقيقة من حيث يريد الكسب لان المشترين لا يدفعون لهُ الاَّ ثمنًا بخسًا لرداءة الصنف فضلاً عن استنزال جزء من وزنهِ في نظير البل بالمياه

هذا والمأمول ان المزارعين الذين يرغبون زراعة القطن يقرأُون هذه الارشادات بمزيد العناية و يتبعونها واذا كانت هناك بعض نقط تحتاج الى بيان فان مفتشي مصلحة الزراعة مستعدون لمساعدة من يرجو منهم المساعدة

مدير عموم
مصلحة الزراعة

المشملة (الاكي دنيا)

المشملة شجر مثمر وطنهُ الاصلي بلاد اليابان ومنها انتشر في الهند والصين وملقّا واستراليا ووصل الى هذا القطر والقطر الشامي · ويقال انهُ أُدخل الى القطر المصري سنة ١٨٣٢ وانتشرت زراعتهُ في الجنائن المصرية اولاً لجمال منظرهِ لا لطيب ثمرهِ · وفي كتاب الزراعة المصرية ان ثمر ما يزرع منهُ في القطر المصري حامض غير جيد اما نحن فرأينا منهُ في بعض حدائق القاهرة شجراً لا اطيب من ثمرهِ فانهُ حلو الطعم جدًّا وفيهِ نكهة عطرية وكان لونهُ برتقاليًا ولكن الحديقة التي رأيناهُ فيها كانت متروكة من غير ري مدة طويلة فلعلَّ كثرة الري تقلل حلاوتهُ

واشجار المشملة صغيرة لا يزيد ارتفاعها على ستة امتار واغصانها غليظة واوراقها كبيرة ثخينة اسفلها كثير الزغب الضارب الى السمرة وازهارها بيضاء عطرية تجمع معًا والثمر اصفر برتقالي بيضي الشكل طول الثمرة منهُ من سنتمترين الى اربعة وفي الثمرة منهُ نواة كبيرة او نواتان او اكثر والنوى صقيل رقيق القشر في لبهِ شيءٌ من المرارة · وينضج ثمرهُ في الربيع واوائل الصيف

ويزرع من بزرهِ الجديد في القصاري وينقل الى البستان متى صار عمرهُ ثلاث سنوات ويجعل البعد بين الشجرة والاخرى اربعة امتار ويقال انهُ يمكن تطعيم السفرجل بهِ

نتائج حماية الفلاح

بين الخير والشر حد ضيق اضيق من سم الخياط بل كثيراً ما يلتبس الخير بالشر والشر بالخير او يكون احدها تطرّفًا في الاخر · نقول ذلك على اثر ما نراهُ من اهتمام الحكومة المصرية ببقاء الاطيان للفلاحين وحمايتهم فان البلاد زراعية لا تنجح الاَّ اذا كانت اطيانها موزعة على كثيرين من الفلاحين · والفلاح الذي يملك فدانين لا غير يستغلُّ من كلٍّ منهما اكثر ممَّا يستغلُّ من الفدان الواحد صاحبُ الف فدان او مئة فدان · فاذا توزعت الاطيان على كثيرين من الفلاحين زادت الثروة العمومية · فاهتمام الحكومة ببقاء الاطيان لصغار الفلاحين حميد جدًّا · ثم ان الفلاح في الغالب غير متعلم فيسهل غشهُ ولا بدَّ للحكومة من حمايتهِ اذا شاءت حفظهُ وتأمينهُ على حقوقهِ

هذه امور نافعة لا يماري فيها ولكن بين الخير والشر حد ضيق جدًّا كما تقدَّم فان الذين حاولوا حماية الفلاحين في اوربا نشروا بينهم المبادئ الاشتراكية التي كادت تقوض دعائم

العمران الاوربي لولا ما فيهِ من الوسائل الرادعة لتطرُّف المتطرفين · ونحن نخشى ان ما تفعلهُ الحكومة الآن لحماية الفلاح المصري يفضي الى اوخم العواقب في المستقبل · ففي العام الماضي سنَّت قانونًا لم تراعِ فيهِ اعتراض المعترضين من اعضاء مجلس الشورى مع ان اعتراضهم وجيه مبنيٌّ على اختبارهم الطويل · ورجال الحكومة الذين خالفوهم واسكتوهم ليس لهم من الاختبار عشر ما لاولئك · وايضاحًا لذلك نضرب المثل التالي

استأجر زيد فدانين بعشرين جنيهًا وزرع احدهما قمحًا استغلَّ منهُ ستة ارادب وخمسة احمال من التبن وبرسيمًا كفى بقرتهُ وباع منهُ · وزرع الفدان الآخر قطنًا فاستغلَّ منهُ ستة قناطير وكانت الاسعار مرتفعة فباعها بثلاثين جنيهًا فاوفى الايجار ومان بيتهُ باردبين من الحنطة وباع اربعة بخمسة جنيهات فبقي معهُ من ثمن القطن والقمح والتبن سبعة عشر جنيهًا فاشترى جاموسة ونعجةً وثيابًا لهُ ولعائلتهِ · ولم يغبن المالك لانهُ استوفى ايجار طينهِ تمامًا

وفي العام التالي استأجر ذلك الفلاح ذينك الفدانين بعشرين جنيهًا ايضًا وزرع اولها قطنًا والثاني قمحًا وبرسيمًا فاستغلَّ من القمح اربعة ارادب فقط واكلت الدودة القطن فلم يبلغ محصول الفدان سوى قنطارين باعها بثمانية جنيهات فلم يتوفر لهُ من ثمن القطن والقمح سوى عشرة جنيهات اي نصف الايجار المطلوب منهُ · افلا يجوز للمالك ان يحجز على الجاموسة ويبيعها ويأخذ ثمنها · القانون الذي وضعتهُ الحكومة يمنع ذلك ولكن المستأجر اشترى هذه الجاموسة بما زاد من ريع الاطيان في السنة الاولى فهل يجوز لهُ ان يتمتع بهذه الزيادة وحدهُ ويترك للمالك الخسارة من ظهور الدودة وهبوط الاسعار · اوليس من القواعد المرعية ان الذي لهُ الغنم عليهِ الغرم

ورُبَّ معترض يقول ان المثل الذي ذكرتموهُ نادر الوقوع لانهُ يندر ان يزيد مع المستأجر الصغير من ثمن المحصولات زيادة تذكر وان مصادرة المالكين للمستأجرين بالحجز على مواشيهم وبيعها اكثر وقوعًا · فنجيب ان اختبارنا لا يؤيد ذلك بل ان المالكين اعقل مما يظنهُ سم واضعو هذا القانون وهم يفتشون عن المستأجرين ويرغبونهم بكل واسطة ممكنة ويشترون لهم المواشي من مالهم لكي يساعدوهم على خدمة اطيانهم وكثيرًا ما يشترون لهم التقاوي والسماد · ولا يفعل ما يناقض ذلك الاَّ المالك السخيف العقل القليل التدبير الذي لا بدَّ من ان تتضعضع احوالهُ عاجلاً او آجلاً وتنزع اطيانهُ منهُ او المالك الذي رأى في اطيانهِ مستأجرًا كسولاً فاسد الاخلاق واراد التخلُّص منهُ

ويظهر لنا ان النتيجة اللازمة عن هذا القانون ستكون تقليل ريع الاطيان وثروة البلاد

لانهُ اذا رأى المالكون صعوبة الحصول على حقوقهم من المستأجرين ابطلوا التأجير وجعلوا يزرعون اطيانهم وسيَّة ويستخدمون الفلاحين بالمياومة . والفلاح الذي يعمل لغيره لا يعمل نصف ما يعملهُ لنفسهِ فتكون النتيجة زيادة نفقات الزراعة وقلة المحصول. وقولنا هذا مبني على اختبارنا فان المالك اذا كانت اطيانهُ قليلة واعتنى بزرعها وخدمتها بنفسهِ واستأجر لها العمال وراقبهم نهاراً وليلاً استغلَّ منها كما يستغل الفلاحون اذا استأجروها منهُ او اكثر . ولكن اذا كانت اطيانهُ كثيرة وتعذَّر عليهِ ان يراقب زرعها وخدمتها بنفسهِ كما هي الحال مع اكثر اصحاب الاطيان الواسعة (واطيانهم اكثر من نصف اطيان القطر) فالمرجح بل المؤكد ان محصولها يقلُّ عمَّا يحصل منها لو كانت مؤجرة لعدد كبير من الفلاحين

ويقال مثل ذلك عن العقبات التي يراد وضعها الآن في سبيل التأجير خوفاً من ان يغبن المستأجر بالتوقيع على عقد غير مشروع او خوفاً من ان ينكر امضاءهُ . وتعريض العقود للمعاملات الرسمية يؤخر زمن التأجير ويجعل الفلاح يعتقد انهُ مهضوم الحقوق فيمتنع عن الاستئجار في الوقت المناسب فتبور الارض او يتأخر الزرع عن مواعيد الري او يضطر المالك الى زرع ارضهِ وسيَّة فيقل ريعها وتكثر نفقاتها

وكيفما كانت الحال لانرى من الحكمة ان يغير نظام معاشي (اكونوميك) في بلاد دفعةً واحدة ولا يحسن تغييرهُ في البلاد كلها في وقت واحد ولا قبل ان تقوم الادلة الكافية على وجوب هذا التغيير وحينئذٍ يعمل بالتغيير في مركز واحد او مديرية واحدة على سبيل التجربة فاذا نجحت هذه التجربة عُمّم المشروع رويداً رويداً والاَّ عُدل عنهُ

هذه نصيحتنا لرجال حكومتنا فعسى ان ينظروا فيها بعين التروي وهم لا ينكرون علينا اننا قضينا اكثر من اربعين سنة ونحن ندرس هذه المواضيع وامثالها

موسم القطن الاميركي

اصدر قلم الاحصاء في الولايات المتحدة تقريرهُ الاخير عن محصول القطن الاميركي في العام الماضي يوم ٢٠ مارس الجاري وقد جاء فيهِ ان المحصول كلهُ بلغ ١٤٠٧٦٤٣٠ بالة اي كما كان يتوقعهُ تجار القطن فلم يحدث اصدارهُ تأثيراً في الاسواق على الاطلاق

هذا وسيتوقف سير اسعار القطن من الآن فصاعداً على مساحة الاراضي التي تزرع قطناً والتبكير في الزراعة . ولم يبدأ بالزراعة الى الآن الاَّ في القسم الجنوبي الاقصى من منطقة زراعة القطن في الولايات المتحدة



منسوجات قطنية لا تحترق

لا يخفى ان الصوف والحرير يصعب حرقهما واما القطن فتضطرم فيهِ النار سريعاً لان الصوف والحرير من نوع اللحم والجلد واما القطن فمن نوع الخشب ولذلك تحترق الثياب القطنية بسهولة واما الثياب الصوفية والحريرية فلا تحترق . وينسج من القطن نسيج لهُ زغب فيدفئ كالصوف على رخص ثمنهِ ولكنهُ سريع الالتهاب جدًّا فاذا دنت منهُ شمعة مشتعلة التهبت حالاً . وكل احد يعلم كيف تشتعل الناموسيات (الكلات) حالاً اذا أُدنيت منها شمعة مشتعلة . وقد كان اشتعالها سبباً لموت الاستاذ كربنتر الفسيولوجي المشهور

الاَّ ان الاستاذ پركن الكيماوي الكبير استنبط طريقة لحفظ المنسوجات القطنية من الاشتعال وقد تلا خطبة في هذا الموضوع في اواخر العام الماضي شرح فيها كيف اتصل الى هذا الاكتشاف بعد تجارب كثيرة فاقتطفنا منها ما يأتي قال الخطيب :—

قيل ان الرومانيين حاولوا حفظ بيوتهم الخشبية من الاحتراق بتغطيس خشبها في الخل والطفال الناعم . وهذه الطريقة تقلل احتراق الخشب ولكن يرجح انها لم تستعمل الاَّ قليلاً لغلاء الخل في تلك الايام . وقد فتشتُ في كتب الاقدمين عن الطرق التي استعملت لمنع احتراق الخشب واقدم ما عثرتُ عليهِ من هذا القبيل تاريخهُ سنة ١٦٣٨ للميلاد حينما نشر نيقولا سباتيني رسالة ذكر فيها الحاجة الى اصلاح ادارة المشاهد وبنائها في ايطاليا مبيناً مقدار الخطر من احتراق خشبها ودهانها والمنسوجات التي تستعمل لستائرها ومناظرها وثياب الممثلين والممثلات فيها واشار بان تمزج الادهان التي تدهن بها بالطفال والجبس ولكنهُ لم يقل شيئاً عن حفظ الثياب من الاحتراق

وسنة ١٧٣٥ اشار بعضهم باستعمال مزيج من الشب والبورق والحامض الكبريتيك لهذه الغاية . وسنة ١٧٤٠ اشار آخر في مقالة تليت في اكادمية ستكهلم بمزيج من الشب الابيض والزاج . وجاء في الانسكلوبيذيا الصناعية المطبوعة سنة ١٧٨٦ ان المزيج من الشب الابيض والزاج والملح يقي الخشب ونحوهُ من الاحتراق

ولما احترق المشهد الوطني في مونخ سنة ١٨٢٣ جُرّبت تجارب كثيرة قصد وقاية الخشب من النار فدُهن سقف المشهد الجديد مراراً بسلكات الصودا والطباشير . وهذا الدهان بقي سنين كثيرة وهو لا يمنع احتراق الخشب ولكنهُ يمنع امتداد النار فيهِ بسرعة عند اول اشتعالها فيسهل اطفاؤُها . ووجد بعد ذلك ان بعض الاملاح مثل املاح النحاس والامونيوم تقاوم الالتهاب وافعلها كلها كلوريد الزنك وهذا الملح يلصق بالياف الخشب . وكل الالياف التي تتشبع بهِ اذا جفت توقى من الالتهاب . وهو مضاد للفساد ولذلك يحسن ان يدهن بهِ خشب المستشفيات والاماكن العمومية . ولكن ليس غرضي الكلام على الاساليب التي يوقى بها الخشب من الالتهاب بل على المواد التي توقى بها المنسوجات القطنية ولا تزول عنها ولو غُسلت

لقد عُرف منذ عهد طويل ان بعض الاملاح يقي المنسوجات فاذا غُسل ثوب ثم شطف بمذوب الشب الابيض او نشي بنشاء مشبّع بالشب الابيض قلت قابليتهُ للاشتعال ولكن الشب يغبّر الثياب واذا غسلت زال عنها فتجب اعادتهُ كلما غسلت.

ومما اشير بهِ لمنع اشتعال الثياب مزيج مؤلف من ثلاثة اجزاء من سلفات الامونيوم وجزئين من كلوريد الامونيوم وجزء من كبريتات الالومنيوم في اربعين جزءا من الماء فاذا غسل الثوب ثم غطس في هذا المزيج او نشي بنشاء مشبع بهذا المزيج صار احراقهُ عسيراً ولا يظهر عليهِ شيء كالغبار ولذلك كثر استعمالهُ للستائر التي يخشى احتراقها ولكن اذا غسل النسيج المعالج بهذا المزيج زال عنهُ وعاد كما كان قبل معالجتهِ . وكل المواد التي استعملت لمنع اشتعال الثياب تذوب بالماء فتزول بالغسل فيجب اعادتها بعد كل غسل وذلك يقتضي نفقة كبيرة فلا يمكن الاعتماد عليهِ ولا سيما في بيوت الفقراء . ولا بدَّ من ان تنشف المنسوجات قبل تغطيسها في المزيج الذي يقيها من الاشتعال

واقوى المواد على مقاومة الاشتعال طنجستات الصوديوم ولكنهُ سريع الذوبان في الماء فاذا غُسلت الثياب بعد معالجتها بهِ زال عنها حالاً . وقس عليهِ كل الاملاح التي قيل انها تقي من الاشتعال ولذلك اهتممت باكتشاف مادة تقي المنسوجات فتبقى موقاة ولو غسلت. وكان الغرض اولاً اكتشاف مادة تقي الفلانلّت اي الانسجة القطنية الكثيرة الزغب فان زغبها يجعلها كفانلا الصوف من حيث التدفئة ولكنهُ يعرضها للاشتعال بسهولة ولذلك كثرت حوادث احتراق الناس بها حتى خاف ناسجوها من ابطال استعمالها وطلبوا مني ان اكتشف لهم اسلوباً يقيها من الاشتعال . والمادة التي تقي هذه المنسوجات من الاشتعال يجب

ان لا تقلل متانتها ولا تعرضها للترطب ولا تكسوها طبقةً من الغبار ولا توءَثر في الوانها ولا تكون سامَّة ولا ضارَّة ويجب ان تكون الوقاية ثابتة لا تزول بالغسل ولو غسلت الثياب خمسين مرة او اكثر. ويجب ان تكون رخيصة الثمن اي يجب ان يصير القطن الذي يعالج بها مثل الصوف تماماً في عدم قابليتهِ للاشتعال وفي رسوخ هذه الصفة فيهِ رسوخاً لا يزيلها الغسل والاغلاء مهما بالغ الغسالات بهِ وهذا يظهر في اول الامر ضرباً من المحال . ومع ذلك اهتديت الى المادة المطلوبة ولكن بعد ان جرَّبت التجارب في اكثر من عشرة آلاف قطعة من المنسوجات ستأتي البقية

تمويه المعادن بالبلاتين

ادهن المعدن الذي تريد تمويههُ بمزيج من بورات الرصاص واكسيد النحاس وروح التربنتينا وعرّضهُ لحرارة درجتها من ٢٥٠ الى ٣٣٠ فيكسى بقشرة من الرصاص ثم ادهنهُ ببورات الرصاص واكسيد النحاس وزيت اللاوندا وبعد ذلك ادهنهُ بمذوب كلوريد البلاتين وعرضهُ لحرارة درجتها ٢٠٠ فقط فيكتسي قشرة لامعة من البلاتين . والنفقة قليلة جدًّا

تلوين النحاس بلون البلاتين

نظف ادوات النحاس الاحمر جيداً وغطسها في مغطس موءَلف من عشرين اوقية من الحامض الهيدروكلوريك وسبع اواقي ونصف من الحامض الزرنيخيك واوقية وربع من خلات النحاس واترك الادوات في هذا المغطس حتى يصير لونها مثل لون البلاتين

تمويه الفضة بالبلاتين

ضع قليلاً من البلاتين في ماء الملوك اي المزيج من الحامض النيتريك والحامض الهيدروكلوريك الذي يستعمل لاذابة الذهب واتركهُ في مكان حارٍ اياماً حتى يذوب وحينما يذوب بخّر السائل بحرارة معتدلة حتى يصير قوامهُ مثل قوام العسل واضف اليهِ قليلاً من الماء فاذا دهنت الفضة بهذا المذوب اكتست قشرة من البلاتين

الصاق النحاس بالخشب

ادهن صحيفة النحاس بالحامض النيتريك المخفف من الجانب الذي يراد الصاقهُ بالخشب حتى يخشن واضف الى الغراء قليلاً من الغليسرين والجبر الناعم ثم سخن صحيفة النحاس وادهنها بهذا الغراء والصقها بالخشب فتلتصق بهِ جيداً

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة الانكليز وتربية الاولاد

نقلاً عن مجلة المجلات الانكليزية

ملكة الانكليز الحالية اقترن بها الملك جورج الخامس سنة ١٨٩٣ وكان اذ ذاك دوق يورك (وهو لقب يطلق على الابن الاكبر لولي عهد الانكليز) فوجهت همها الى الاعتناء بمملكتها البيتية فاحسنت سياستها . ولم تأنف من مباشرة مهام البيت بنفسها ولا وكلت شيئاً منها الى الخدم يتمونهُ كما يشاؤُون بل كانت تطلع على ما يعملون وتدربهم على اتمام ما يطلب منهم عملهُ كما يجب ان يعملوهُ وهي لا ترى في ذلك غضاضة في كرامتها او حطة من مقامها

وقد قال فيها احدهم « كيفما نظرت اليها رأيتها ربة بيت تعتني بثياب اولادها وطعامهم ولا يفوتها شيء من دقائق ذلك ولا تعدل عن الترتيب والنظام في اتمام احقر الامور »

وهي كثيرة الاهتمام بشؤُون اولادها تطلع على كل كبير وصغير من امورهم . وقد اجتهدت ان تكون على وفاق تام مع مربيتهم بعد ان بذلت عنايتها في انتقائها وهذا ما يجب على كل ربة بيت ان توجه اهتمامها اليهِ . ولها عناية خاصة بتوسيع مداركهم وقد وكلت اليهم امر تزيين غرفهم الخاصة تحت مراقبتها

وترى ان التنزه في العراء واللعب في الهواء المطلق ضروريان للاولاد . وكانت مدة اقامتها في يورك تخرج باولادها كل يوم نحو الساعة العاشرة قبل الظهر ولا تمتنع عن ذلك الاَّ اذا اشتدَّ المطر والبرد . وكثيراً ما كانت تشاركهم في العابهم فتسابقهم في الجري او تعلمهم العاباً جديدة . واذا خرجت بهم لا تصطحب احداً الاَّ المربية احياناً

وقد حدث مرة انها خرجت بابنها الاكبر ولم يكن قد اتم الرابعة من عمرهِ فما ابعدا اكثر من ميل حتى تعب فاخبرها انهُ اعيا عن المشي . فاخذتهُ على ذراعيها وعادت بهِ مشياً الى البيت

ولما كثرت عليها الاشغال عينت يوماً في الاسبوع تنقطع فيهِ لشؤُون اولادها فلا تقابل

احداً فيهِ ولا تلتفت الى عمل آخر · وكانت في ذلك اليوم تخرج بهم للنزهة في عربة قبل الظهر ثم تجمع اعضاء العائلة جميعهم فتحضر لهم الشاي بعد الظهر وتقوم على سكبهِ وتقديم الحلوى بنفسها لا تسمح لاحد ان يشاركها في ذلك · الاَّ انها اضطرت ان تعدل عن هذا بعد ان صار سكنها في لندن لكثرة ما يتطلب منها ومن زوجها من الاشغال والمقابلات الرسمية التي لا يجوز خرقها فاخذت تختلي باولادها ساعة من الزمن كل يوم لا يمنعها عن ذلك الاَّ غيابها عن المدينة

وقد زرعت في افئدتهم حب الاحسان والاشفاق على المعوزين وعلمتهم ان يعملوا بايديهم كل يوم شيئًا يخففون بهِ بؤس الفقراء · ولكل منهم عيد ميلاد تهدى اليهِ فيهِ الهدايا ويتقدَّم هو بنفسهِ لتوزيع الهدايا والصدقات على الفقراء الذين من سنهِ

وقد روت احدى مربياتهم حادثة عن اكبرهم قالت « اصابهُ مرض طفيف فلما شفي منهُ كان قليل الصبر يتأثر لادنى سبب فقلت لهُ لا يليق بسموك الملكي ان تكون قليل الصبر لهذا الحد · انظر الى ما انت فيهِ من النعيم · لك ابوان يحبانك وبيت جميل تاوي اليهِ وفراش وطيء تنام عليهِ وكثير من اللعَب تتسلَّى بها · وهل علمت انني كنت قبلك مربية ولد لا اب ولا ام لهُ وانهُ كان يعيش في غرفة قذرة في حي يكثر فيهِ الازدحام · ولم يكن لهُ فراش يلقي جنبهُ اليهِ فينام على الارض ولا مخدة يسند رأسهُ عليها فيستعيض عنها بلفة من الجرائد القديمة · ولم يكن عندهُ لعبة يتسلى بها »

فاجاب « لم اعلم قبل ان من الاولاد من ليس عندهُ لعبة فهل اعطيه بعض لعبي »

فقلت « اذا كنت تستغني عن بعض لعبك التي قد تعبت منها فهجرتها فانا متأكدة ان ذلك الولد المسكين يسر كثيراً اذا سمحت لهُ ببعضها »

فاجاب « ماذا تعنين · قلت اني اريد ان اهب ذلك الولد هبة وانت تقولين اسمح لهُ ببعض اللعب التي مللت اللعب بها · وامي تقول ان الهبة هي ما اعطيناهُ للغير على حاجتنا اليهِ وتعلقنا بهِ لا ما استغنينا عنهُ فتركناهُ لهم · لا لا ساعطيهِ بعض لعبي الخاصة التي احبها»

ثم انهُ برَّ بوعدهِ واهدى الى الولد بعض لعبهِ · وهذه القصة تدل دلالة واضحة على المبادئ التي تغرسها تلك الام في صدور اولادها وعلى انها تعرف كيف تفعل ذلك لكي يأتي بالتأثير المطلوب

ومما يجدر ذكرهُ ان عائلتها كانت كلها في يورك كانها جسم واحد لا يتجزأ فاينما رأيت واحداً منها رايت الكل · الاَّ ان الاب كان يتخلف عنها احيانًا اذا خرجت للنزهة وكثرت عليهِ الاشغال

اما تهذيب الاولاد العلمي فلم تكلهُ للعلمين بلا قيد ولا شرط بل كانت تعين بنفسها طريقة التعليم التي يجب اتباعها . وقد اختارت لهم ما يسمى بجنينة الاولاد وهم صغار فكانت توعز الى المعلمين باستعمال الادوات التي تنتقيها وعلى الكيفية التي ترسمها لهم . ومما يؤثر عنها ايضاً ويجب على جميع المعلمين ان يقتدوا بها فيهِ انها لم تسمح باطالة الدروس بل جعلتها قصيرة لا تستغرق وقتاً طويلاً فهي توافق في ذلك آراء علماء التربية الحديثين في ان الدروس الطويلة تضر بالصغير اكثر مما تنفعهُ اذ تحمّل قواهُ العقلية ما لا تطيق

وكانت ترسل اولادها مع معلميهم ومربياتهم الى جنينات الحيوانات والمعارض والاماكن التاريخية . ولا تلبسهم الا الالبسة البسيطة ولا تضع بين ايديهم الا ادوات اللعب التي يميل اليها الصغار ويسهل عليهم اللعب بها من دون ان تنكسر او تتفكك اجزاؤُها

ويقوم على تدريبهم على الرياضة البدنية جندي اسكوتلندي فيوصيهم بانتصاب القامة ويمرنهم بعض التمارين غير العنيفة . وكلهم يحسنون الركوب على الدراجة وامتطاء الجياد

والملكة معروفة بالورع والتقوى ويظهر تدينها في آدابها واعمالها لا في عقائدها وحماسها الديني المجرد . وقبل ان ارتقت الى العرش لم يكن يفوتها اسبوع واحد لا تحضر فيهِ اجتماعاً دينياً فتذهب الى الكنيسة هي وزوجها واولادها جميعاً ويختلطون بعامة الناس لا يترفعون عنهم في شيء . وتقرأُ كل يوم فصلاً من الكتب المقدسة لا يمنعها عن ذلك مانع . وقد غرست في بنيها فضائل جمة كحب الغير وضبط النفس

ولها التفات خاص الى خدمها وهي تعتقد ان على كل ربة بيت ان تبذل ما في وسعها لكي تجعل ساعات الفراغ عند خدمها اوقات سرور وهناء

ولا تحب لعب الورق وتبغض القمار كما يبغضهُ زوجها لكنها تميل الى المشي كما يميل هو الى الالعاب الرياضية . وهي صناع اليدين تحسن الحبك بالابرة وقد عُرف عنها ذلك وهي في بيت ابيها فكانت اذا اجتمعت بصديقاتها تستأذن فتاتي بعدتها وتأخذ تحبك الجوارب او غيرها . ويروى عنها انها كانت تردد هذه الكلمات كثيراً « كم اتمنى لو يعطى لي نصف الوقت الذي تضيعهُ البنات في البطالة لا يعملنَ فيهِ شيئاً »

فهي ام في المحل الاول ثم امرأة وربة بيت في باقي الوجوه . ولما رافقت زوجها في سياحتهِ حول العالم اعدلها آلة للصور المتحركة في اليخت الملكي فكانت كلما حنَّت الى اولادها تُعرَض عليها صورهم وهم يلعبون او يتنزهون او يعملون . ولما دخل ابنها الاكبر المدرسة الحربية البحرية أُعدلها بيت في بعض الجزر الصغيرة لكي تكون قريبة منهُ

هذه هي الام الحنون على عرش الممالك البريطانية وليس منظرها على العرش والتاج المرصع يزين مفرقها باجمل او باهيب من منظرها وهي في بيتها تحمل ولداً من اولادها على ظهرها وعلائم الصحة والنشاط والسرور بادية على وجههِ

ترياق السموم

كثيراً ما يأكل الانسان او يشرب شيئًا سامًّا فيقف الذين حولهُ مغلولي الايدي لا يدرون ما يجب ان يفعلوا حتى يصل الطبيب . وقد يتفق ان الطبيب يبطئ فلا يصل الاَّ بعد ان يقضي المسموم او بعد ان يتمكن السم منهُ ويصبح تخليص حياتهِ ضربًا من المحال فيجدر بكل احد ان يعرف شيئًا عما يجب عملهُ في مثل هذه الاحوال

اذا كان السم من الحامض الفنيك او الكبريتيك او الهيدروكلوريك او النيتريك او النيتروهيدروكلوريك او الكريوزوت او صبغة اليود او الفصفور فاعطِ المسموم زلال بيضة ممزوجًا بالماء خفقًا وملعقة صغيرة من الخردل في الماء السخن . وان دخل الحامض الكبريتيك او النيتريك او الهيدروكلوريك الى الجوف فاعطِ المسموم شيئًا من الجير (الكلس) مع اقل ما يمكن من الماء . واليك اهم السموم واعراض التسمم بكل منها مع الترياق الذي يوقف فعلهُ

الحامض الاكساليك واكسالات البوتاسا : اقل ما يقتل منها درهم واحد . اعراض التسمم بهما حرقة في الحلق والمعدة وقيء وتشنج وخدَر . ترياقها الطباشير او المغنيسيا المحلولة بالماء

الامونيا والبوتاسا والصودا : اعراض التسمم بها تورم اللسان والفم والحلق وبعض الاحيان تضيق في المريء . ترياقها الخل والماء

كلوريد الزئبق (السليماني) : اقل ما يقتل منهُ ثلاث قمحات . يحس المسموم بهِ بطعم حامض معدني وتضيق في حلقهِ ومعدتهِ ويصحب ذلك غثيان وقيء . وترياقهُ زلال البيض النيء ومخهُ مع اللبن وقد يُلجأُ الى عجين الدقيق اذا لم يوجد البيض

خلات الرصاص : اعراض التسمم بهِ تضيق في الحلق والمعدة وتشنج البطن المصحوب بالالم وازرقاق حول اللثة . ويعالج بكبريتات الصودا او المغنيسيا ومقيء كبريتات الزنك

سيانيد البوتاسا : اذا دخل الجوف نثلاث قمحات منهُ تميت ومن اعراضهِ انقطاع الحس وضيق وابطاء في التنفس واتساع بؤبؤ العين وانطباق الفم وتشنج عضلاتهِ ولا يعرف لهُ ترياق خاص وينفع في حوادث التسمم بهِ صب الماء البارد على الرأس والعنق

اما اذا اصاب جرحًا او سحجًا في الجلد فيرافقهُ الم حاد و يعالج بكبريتات الحديد

بيكرومات البوتاسا : اذا دخل الجوف سبب المًا وتهيجًا في المعدة وقيئًا و يجب اعطاء المسموم بهِ بعض المقيئات والمغنيسيا والطباشير . واذا اصاب سحجًا في الجلد سبب تقرحًا موءلمًا

نيترات الفضة (حجر جهنم) : وهو مهيج جدًّا وينجع فيهِ ملح الطعام تعطى من بعده المقيئات حالاً

الحامض النيتريك : درهمان منهُ يميتان وابخرتهُ قتالة واعراض التسمم بهِ تأ كُّل القصبة والتهاب سريع حاد و ترياقهُ بيكربونات الصودا او كربونات المغنيسيا والطباشير

الحامض الهيدروكلوريك : اربعة دراهم منهُ تميت وينجع فيهِ ما ينجع في الحامض النيتريك

ستأتي البقية



باب التقريظ والانتقاد

مناهج الادب

الطبعة الرابعة

اذا طبع كتاب علمي ادبي باللغة العربية اربع طبعات متوالية فذلك اكبر تقريظ لهُ . وهذا شأن الكتاب الاول من مناهج الادب الذي وضعهُ حضرة الاداري الغيور امين بك واصف مدير الجيزة فانهُ طُبع حتى الآن اربع طبعات . والغرض الذي وضع لهُ تدريس علم الاخلاق لصغار الطلبة على طريقة السوءال والجواب المتبعة في مدارس فرنسا اي على اسلوب يجعل التلميذ يبحث عن حقيقة الاخلاق و يستعين بالاستاذ على ما لا يستطيع فهمهُ بنفسهِ . ولا بدَّ من ان تنفد هذه الطبعة سريعًا لان نظارة المعارف قررت استعمال الكتاب في المدارس الابتدائية والثانوية فعسى ان يصلح حضرة المؤلف ما اوردهُ في الصفحة السادسة والسبعين حيث قال الاستاذ «كان الاقدمون منذ نيف واربعة آلاف عام يعيشون جماعات منفصلاً بعضها عن بعض يقضون نهارهم في اصطياد ما بهِ يتغذون ومنهُ يرتدون ثم يلجأون بالليل الى الكهوف والمغاور فرارًا من اعتداء الحيوان المفترس » الخ فان هذا القول يصدق على اهالي اوربا لا على اهالي مصر وسورية والعراق لان هؤُلاء كانوا منذ اربعة

آلاف سنة بل منذ خمسة آلاف سنة ممالك متحضرة ذات مدن حصينة وقرى عامرة فاما ان يُغيَّر نسق الجواب او يخصص بسكان اوربا

ويلي هذا الكتاب كتاب ثانٍ يحوي الجزء الثالث والرابع من مناهج الآدب وهما في النظام الاداري والاقتصاد السياسي بدأهُ بكلام عام في اصول القانون قال فيهِ « يجب ان تكون القوانين الخاصة بنظام البلاد مدونة الاصول الاساسية بعد موافقة الامة عليها بحرية تامة » . الاَّ انهُ قال بعَيْد ذلك ما يستفاد منهُ ان اول من اعلن حقوق الانسان هو الامة الفرنسوية في ثورتها الكبرى سنة ١٧٨٩ ولكن لا شبهة في ان الانكليز سبقوا الفرنسويين الى شيءٍ من ذلك في اجبارهم ملكهم يوحنا على اعطائهم الدستور (المغنا كارتا) سنة ١٢١٥ اي قبل الثورة الفرنسوية بخمس مئة و٧٤ سنة وذلك الدستور هو « الحجر الاول في بناء القانون العام » فحبذا لو اشار حضرة المؤلف اليهِ او الى ما هو اقدم منهُ واعلق بنا وهو عهد الامام علي الى مالك بن الاشتر النخعي لما ولاهُ على مصر . ولا شبهة في ان النظام الذي وضعهُ اعضاء الجمعية الدستورية الفرنسوية اوفى واتم من « المغنا كارتا » من كل وجه وقد احسن المؤلف في ادماج بنودهِ في كتابهِ وفي ما بناهُ عليهِ من الاحكام

ويلي ذلك كلام مفصل يشمل نظام الحكومة المصرية بكل فروعها ومبادئ الاقتصاد السياسي وهي الجزء الرابع من الكتاب

Introduction to the Study of English Literature.

تمهيد لدرس آداب اللغة الانكليزية

وضع هذا الكتاب المستر سنفنس وجمع فيهِ زبدة آداب اللغة الانكليزية وتاريخها من اقدم عهدهِ الى الآن قاصداً بهِ افادة من يتعلم الانكليزية من ابناء هذا القطر فاحسن في الوضع والاختيار وجمع في ١٢٨ صفحة صغيرة زبدة ما يرى في مجلدات ضخمة . ومما يمتاز بهِ هذا الكتاب على كتب الاداب الانكليزية ان فيهِ اشارات الى ما يقابل مواضيعهُ في كتب الادب العربية وقد اصاب المؤلف في اكثر هذه المقابلات كما ترى في اشارتهِ الى حماسة الجاهلية عند ذكرهِ الاشعار الحربية واشارتهِ الى الدخيل من الفارسية واليونانية عند ذكرهِ ما دخل الانكليزية من اللاتينية واليونانية والى انتشار العربية وقت الفتح عند ذكرهِ انتشار الانكليزية الآن واشارتهِ الى ترك علامات الاعراب في اللغة العامية عند ذكرهِ ترك تغير آخر الكلمات الانكليزية في العصر المتوسط واشارتهِ الى لغة قريش والاخذ

بها عند ذكره تفوق لغة وكلف وتشومر وككستون الى غيرها من اللهجات الانكليزية .
وتزيد هذه المقابلات في المصطلحات البيانية والبديعية بنوع خاص والكتاب من هذا القبيل كبير الفائدة جداً

A New Practical Grammar of the Modern Arabic of Egypt.

اجرومية جديدة للعربية المصرية

وضع هذا الكتاب حضرة سقراط بك سبيرو صاحب القاموسين العربي والانكليزي والانكليزي والعربي وهو وهما في العربية المصرية المحكية الآن في هذا القطر. وهو لازم للذين يقصدون ان يتعلموا التكلم بالعربية المصرية من الانكليز ولا يقتصر على انالتهم غرضهم ولكنهُ يفيد ايضاً من شاء البحث في ما صارت اليهِ العربية المصرية وما كان يمكن ان تبقى عليهِ لولا المطابع والجرائد . ومن ظنَّ انها لا تصلح للكتابة والانشاء فليقرأ الابيات التالية من هذا الكتاب

للقط والفار حكايه	الفتها من فنوني
يا ناس يا أهل الدراية	في عرضكم اسمعوني
القط راح يوم يصطاد	والصيد يعتاز صناعه
انحاش في فخ صياد	جوا شرك يا جماعه
برهه وفار الخلا فات	شاف الاسير في حباله
لما رآهُ وسط لفات	آمن الموت وجاله
لما رآه وسط الشباك	قال له عفارم عفارم
يا هل ترى مين رماك	يا عز يا إبن غانم
قال لهُ القط انا غلبان	اقرض بسنك حبالي
وبعدها خش الاوطان	من القطط لا تبالي
يا فار يا عز الاحباب	يابو نجايد طويله
فك الشرك وافتح الباب	واعمل معايَ جميله
قال لهُ جميله بغدَّار	ما في الجميله منافع
احنا سمعنا مثَلْ سار	ماشي وفي الناس شايع

مسكين من يطبخ الفاس ويريد مرق من حديده
مسكين من يصحب الناس ويريد من لا يريده

والكتاب مطبوع في مطبعة المقتطف على نفقة لوزاك وشركاهُ بلندن

Luzac & Co.
64, Great Russell Street,
London.

مقاومة المواد

يسرنا اقدام متخرجي مدرسة المهندسخانة الخديوية على تأليف الكتب المفيدة التي قرنت فيها القواعد العلمية بالتطبيقات العملية كهذا الكتاب فقد قال مؤلفهُ انهُ تصفح كثيراً من المؤلفات المفيدة في هذا العلم انكليزية وفرنسوية ليستعين بها على الجزء العلمي اما ما يختص بالجزء التطبيقي فقد عوَّل فيهِ على المعاملات المختلفة والاثقال النوعية الخاصة بمواد القطر المصري الذي وصل اليها كبار المهندسين بالتجارب في الاعمال المصرية

والكتاب مسهب في بابهِ موضح بالاشكال والرسوم المختلفة وقد فتشنا فيهِ عن حساب المباني الجديدة التي تبنى الآن بالخرسانة المسلحة فلم نعثر على بحثٍ وافٍ فيها فيحسن بالمؤلف ان يضيف فصلاً مسهباً في هذا الموضوع الى الطبعة الثانية من كتابهِ لانهُ سيكون للخرسانة المسلحة شأن كبير في المباني. وكذلك نود ان يلحقهُ بفهرس مرتب على حروف الهجاء لتسهل مراجعة ما تراد مراجعتهُ فيهِ ويلحقه ايضاً بمعجم الكلمات الاصطلاحية وما يقابلها بالانكليزية او الفرنسوية حتى يسهل على من يريد التوسُّع في هذه المواضيع ان يقرأ عنها في الكتب الاوربية

مطبوعات جديدة

« المدنية والاسلام » تأليف محمد افندي فريد وجدي طبع على نفقة امين افندي هندية

« المرأة المسلمة » ردٌّ على كتاب المرأة الجديدة تأليف محمد افندي فريد وجدي . طبع على نفقة امين افندي هندية

« شعراء العصر » الجزء الثاني لواضعهِ محمد افندي صبري طبع بمطبعة هندية

« النظام والاسلام» تأليف حضرة الشيخ طنطاوي جوهري من اساتذة مدرسة دار العلوم وهو الطبعة الثانية على نفقة امين افندي هندية

« فلسفة العمر »كتاب فلسفي اخلاقي ادبي يبحث في احوال الانسان في ادوار عمرهِ الاربعة نقلهُ عن الافرنسية حضرة الكاتب الاجتماعي صالح بك حمدي حماد

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ثروة فرنسا

مصر · امين افندي محمد · كم مقدار ثروة الفرنسويين وكيف عرف ذلك

ج · قدّرت منذ خمس سنوات بنحو ٩١٠٠ مليون جنيه · وحسب ذلك على هذه الصورة : — بلغت قيمة التركات حينئذٍ نحو ٢٢٠ مليون جنيه وقيمة الهبات ٤٠ مليون جنيه والجملة ٢٦٠ مليون ومتوسط عمر الانسان في فرنسا ٣٥ سنة فهذه التركات والهبات هي جزءٌ من ٣٥ جزءاً من ثروة السكان فتكون الثروة كل ٢٦٠ × ٣٥ اي ٩١٠٠ مليون جنيه

(٢) ثروة الالمان

ومنهُ · كم ثروة الالمان

ج · قدرت ثروة الالمان سنة ١٩٠٩ بنحو ١٨٠٠٠ مليون جنيه وقدّرت سنة ١٨٩٦ بنحو ١١٠٠٠ مليون جنيه

(٣) ثروة الانكليز

ومنهُ · كم مقدار ثروة الانكليز

ج · قدّرت منذ ثلاث سنوات بعشرين الف مليون جنيه وهي تزيد نحو ثلثمئة مليون جنيه كل سنة فتقدَّر الآن بنحو ٢١ الف مليون جنيه

ومنهُ · وكم مقدار دخلهم السنوي

ج · نحو الفي مليون جنيه فيكون متوسط دخل كل نفس منهم ٤٤ جنيهاً ومتوسط دخل كل بيت فيهِ خمسة انفس ٢٢٠

(٤) ادرنة

ومنهُ · يقال ان ادرنه كانت عاصمة العثمانيين فهل ذلك صحيح ومتى كان ذلك

ج · نعم كانت عاصمة العثمانيين من سنة ١٣٦٦ الى سنة ١٤٥٣ او نحو تسعين سنة

(٥) عدد سكان ادرنة

ومنهُ · كم عدد سكانها

ج · نحو ٨٣ الفاً وعدد سكان الولاية كلها مليون و٢٨ الفاً

(٦) بعدها عن الاستانة

ومنهُ · كم البعد بينها و بين الاستانة

ج · نحو ١٣٧ ميلاً

(٧) عدد سكان يانينا

ومنهُ . كم عدد سكان يانينا

ج . يقال ان ليس فيها الآن اكثر من عشرين الفاً ولكن كان عدد سكانها في زمن علي باشا الارناؤُطي اكثر من اربعين الفاً وسكان الولاية كلها الآن نحو ٥٢٧ الفاً

(٨) الخضوع للدول

ومنهُ . هل تظنون ان اهالي هاتين الولايتين يخضعون للبلغار واليونان كما كانوا خاضعين للعثمانيين او يثورون عليهم و يخلعون نيرهم

ج . ان فريقاً كبيراً من سكان ولاية ادرنه بلغار ومن سكان يانينا يونان فالاولون يرحبون بحكومة البلغار والآخرن بحكومة اليونان . وفوق ذلك فان خضوع الشعوب لا يتوقف على الجنسية وحدها بل على حسن الحكومة ايضاً فالحكومة التي تهتم بشؤُون الرعية واصلاح امورها يخضع لها شعبها عن طيب نفس ولو لم يكونوا من جنسها

(٩) كيفية الوقاية من السل

مصر . لبيب افندي نعمان ظبشي جاء في خطبة الاستاذ متشنيكوف عن محاربة السل المنشورة في المقتطف ان للسل ميكروباً ضعيف الفعل اذا أُصيب بهِ الانسان تطعم بهِ فيقيهِ من الداء . فما الذي يفعلهُ ذلك الميكروب بعد اختلاطهِ بالدم حتى يتطعَّم بهِ الجسم وكيف لو هاجم الميكروب القوي الجسم بعد ذلك لا يصاب بالمرض

ج . يظهر من خطبة الاستاذ متشنيكوف ومن كل ما يُعلم من امر الوقاية في الامراض المعدية ان الجسم يتغلَّب على ميكروب المرض اذا كان الميكروب ضعيفاً او اذا كان قليلاً . وهذا امر طبيعي لان نسبة الميكروب المرضي الى الجسم السليم كنسبة العدو الذي يهاجم مدينة حصينة اليها فاذا كان عدد جنود العدو قليلاً ودخلوا المدينة تغلبت حاميتها عليهم وقتلتهم وكذلك اذا كان عدد جنود العدو كثيراً ولكنهم كانوا ضعافاً منهوكين من التعب او المرض فان حامية المدينة تتغلب عليهم . اما تعليل الوقاية اي كيف يوقى الجسم بدخول الميكروب القليل او الضعيف اليهِ فمختلف فيهِ فقد قال البعض انهُ يكون في الجسم بعض المواد اللازمة لمعيشة الميكروب المرضي وهي قليلة جدًّا فيهِ فتتناولها الميكروبات الاولى منهُ فلا يبقى صالحاً لمعيشة غيرها . وقال غيرهم ان الميكروب القليل الذي يتغلب عليهِ الجسم يبقي في الجسم مادة سامَّة لذلك الميكروب عينهِ كما ان الاجسام الميتة من اكثر الاحياء هي سمٌّ لما كان من نوعها فاذا دخلت الجسم ميكروبات اخرى من ذلك النوع وجدت فيهِ هذا السم فاماتها . وقال آخرون ان خلايا الجسم التي تحارب الميكروبات القليلة وتتغلَّب عليها تعتاد محاربة تلك الميكروبات فتقوى على محاربة الميكروبات الكثيرة . وقال

غيرهم غير ذلك . وكل هذه الاقوال من باب التعليل لامر واقع وهو الوقاية ولكن لم يكشف سببهُ الحقيقي حتى الآن ويراد بالسبب الحقيقي الشيء الذي بهِ تحصل الوقاية فعلاً وبدونهِ تزول فاذا وُجد بالامتحان ان في الجسم اثراً من الفضة وان ميكروب الدفثيريا مثلاً لا يعيش في جسم الحيوان الاَّ اذا كان فيهِ شيءٌ من الفضة وانهُ يتناولها كلها من الجسم فلا يبقى فيهِ شيءٌ منها واذا اعيدت الى الجسم عاد ميكروب الدفثيريا الى المعيشة والنمو فيهِ فحينئذٍ يثبت ان الوقاية تنتج من ان ميكروب الدفثيريا اذا دخل الجسم بمقدار قليل او ضعيف حتى لم يستطع التغلب عليهِ تناول منهُ الفضة التي فيهِ فلا يعود الجسم صالحاً لنمو ميكروب الدفثيريا فيهِ

(١٠) القصيدة الهندية

مصر . الدكتور حامد ابرهيم . منذ ثاني عشر سنة او عشرين سنة تقريباً نشرتم في مقتطفكم قصيدة زاهرة تحت عنوان القصيدة الهندية اتذكر مطلعها وهو

ارالكِ في يقظة من لوعة الالم
اني شبيهك مكلوم فعي كلمي

وقد حاولت كثيراً ان اعثر على الجزء المنشورة فيهِ فلم يتيسر لي ذلك فارجو ان تتكرموا علينا باعادة نشرها لانها على ما اتذكر من ابلغ القصائد التي قرأتها

ج . ان القصيدة التي تشيرون اليها واردة في مقالة مسهبة لحضرة الوجيه الخواجه ديمتري خلاط موضوعها «كلام عن الشعر الهندي» نشرت في مقتطف يوليو سنة ١٨٨٨ اي منذ ٢٥ سنة والقصيدة طويلة ملأت خمس صفحات من المقتطف فاذا شاء حضرة ناظمها ان نعيد نشرها فعلنا ذلك في الجزء التالي

(١١) ثقل الارض

مصر . الخواجه سمعان بطرس نجار طالعت في مقتطف مارس ١٩١٣ سؤالاً عن معرفة ثقل الكرة الارضية واجابتكم عن هذا السؤال ولكنني ارى ان الجواب لم يكن وافياً لاننا لو عرفنا حجم الكرة الارضية بقي امامنا عوارض كثيرة وهي اولاً ان ثقل الماء يختلف عن ثقل التراب ثانياً ان طبقات الارض مختلفة نوعاً وثقلاً نوعياً ثالثاً ان سطح الارض مختلف ففيهِ سهول وجبال واودية فما قولكم في هذه الامور

ج . يراد بثقل الارض النوعي متوسط ثقل مادتها المؤلفة من مواد ثقيلة ومواد خفيفة على اختلاف انواعها . واما الجبال والاودية فلا تؤثر في شكل الارض وحجمها تأثيراً يذكر لان اعلى جبالها لا يبلغ ارتفاعهُ ستة اميال وقطر الارض نحو ثمانية آلاف ميل فاذا اخذتم ليمونته كبيرة مستديرة قطرها عشرة سنتمترات وسطحها مبرغل قليلاً كما يكون البرتقال عادة ففيهِ ارتفاعات علو كل

منها عشر المليمتر اي ارق من ورق المقتطف فنسبة هذه الارتفاعات الى جرم الليمونة اكبر جدًّا من نسبة اعلى جبال الارض الى جرم الارض

(١٣) الحركة الدائمة

ومنهُ . سمعنا ان العلماء يبحثون عن الحركة الدائمة فهل يمكن الاهتداء اليها

ج . كلاً ما دمنا نستعمل المواد التي يحتك بعضها ببعض والتي لها ثقل اي تجذبها الارض لان كلاً من الاحتكاك والثقل يزيل بعض القوة فتضعف رويداً رويداً

(١٣) عطر الورد

نوڤو اورزدني . الخواجه خليل اسطفان حاولت ان اخرج روح الورد بالسبيرتو لكي يصير كماء الورد الذي يستخرج في سوريا فلم افلح جيداً فارجو ان تخبرونا كيف يستخرج وباي طريقة

ج . الطريقة المتبعة في سورية لاستخراج ماء الورد لا يستعمل فيها السبيرتو بل الماء فقط والظاهر انكم تريدون استخراج عطر الورد لا ماءهُ وهذا يستخرج باخراج ماء الورد كما يستخرج عادة في سوريا ثم يصب الماء في انية مكشوفة ويترك في الليالي الباردة حتى يطفو عطر الورد على وجهِ الماء فيجمع عنهُ بريشة طائر

(١٤) الملح في الافران

ومنهُ . رأيت مرة احد الخبازين يبني فرنًا وكان يضع تحت بلاطهِ ملحًا فسألتهُ ما المنفعة من وضع الملح فاجابني جوابًا مبهمًا فتكرموا علينا بتعليل ذلك

ج . ان الملح موصل غير جيد للحرارة اي انهُ اذا احمي لا يبرد بسهولة بل يبقى سخنًا زمنًا طويلاً فيوضع تحت بلاط الفرن حتى اذا سخن يبقى سخنًا زمنًا طويلاً ويبرد رويداً رويداً ويبرد البلاط معهُ رويداً رويداً لانهُ اذا برد بسرعة لم يعد صالحًا لخبز الخبز وخيف ايضًا من تشققهِ

(١٥) مرض الاسنان في برازيل

برازيل . الخواجه يوسف توما الزين . ما سبب كثرة مرض الاسنان في هذه البلاد فان الكبار والصغار يشكون منهُ . ويقول بعضهم انهم اخذوهُ من سكان البلاد الاصليين ويقول غيرهم انهُ من اكل الحلوى التي يطعمونها للاولاد بكثرة منذ الصغر ولكننا نرى ان الزنوج اولاد البلاد اسنانهم قوية وجميلة واما البيض فعشرون في المئة فقط اسنانهم طبيعية والباقون اسنانهم صناعية فما سبب ذلك

ج . ان ضعف الاسنان من نتائج التمدن في كل عصر لان المتمدنين يكثرون من وقاية الاطفال الضعاف ومن طبخ الاطعمة فيعيش الاولاد الذين كانوا يموتون في عصر التوحش لقلة غذائهم فتكون اسنانهم ضعيفة ثم يزيد ضعف الاسنان لقلة استعمالها لان الطعام المطبوخ يغني عنهُ . راجعوا مقالة العمران وحفر الاسنان في مقتطف اغسطس الماضي



اغتيال الملوك

كان اغتيال الملوك شائعاً في الازمنة الغابرة حتى قلّما مات ملك حتف انفهِ · وقد قلّ الآن ولكنهُ لا يزال كثيراً جدًّا في جنب من يغتال من سائر الناس · وهاك اسماء بعض الملوك ورؤساء الحكومات الذين اغتيلوا في الخمسين سنة الماضية وتواريخ اغتيالهم

لنكان رئيس الولايات المتحدة قتل في ١٤ ابريل ١٨٦٥ والقيصر اسكندر الثاني في ١٣ مارس ١٨٨١ وغرفيلد رئيس الولايات المتحدة في ١٠ سبتمبر ١٨٨١ وكارنو رئيس جمهورية فرنسا في ٢٤ يونيو ١٨٩٤ وناصر الدين شاه ايران في ١ مايو ١٨٩٦ وامبراطورة النمسا في ١٠ سبتمبر ١٨٩٨ وامبرتو ملك ايطاليا في ٢٩ يوليو ١٩٠٠ ومكنلي رئيس الولايات المتحدة في ٣ سبتمبر ١٩٠١ واسكندر ودراجا ملكا سربيا في ١١ يونيو ١٩٠٣ وكرلوس ملك البرتغال وبكرهُ في ١ فبراير ١٩٠٨ وجورج ملك اليونان في ١٨ مارس الجاري

موتمر التاريخ

سيجتمع في مدينة لندن موتمر عام للتاريخ فيحضرهُ نواب عن اكثر امم الارض وتستغرق جلساتهُ ستة ايام من ٣ الى ٩ ابريل ويخطب فيهِ كثير من الاساتذة ورجال العلم المشهورين

فهم الحشرات

وصف المستر فردرك انوك في الجمعية الميكروسكوبية الملكية ببلاد الانكليز زنبوراً من الزنابير التي تنخر سوق الاشجار وتبني بيوتها فيها وقال انهُ رأى في بيت واحد منها آثار ٢٧ فراشة من فراش يندر وجودهُ في بلاد الانكليز حتى انهُ لم يرَ منهُ في اربعين سنة الاَّ فراشة واحدة · وكان هذا الزنبور يقطع سوق الفراشة وجناحيها قبل ادخالها بيتهِ

المادة الصفراء في الحيوان والنبات

جمع الدكتور اشر الاجسام الصفراء من مبيضات عشرة آلاف بقرة واستخلص منها نحو نصف غرام من المادة الملونة ولدى البحث ثبت لهُ انها من نوع المادة الملونة في الجزر واوراق النبات وتقرب كثيراً من المادة الملونة في البطاطس · واظهر غيرهُ ان المادة الملونة في دقيق الحنطة من نوعها ايضاً

بعوض جديد وسلحفاة جديدة

اكتشف عالم يقال لهُ المسيو لاهيل نوعاً جديداً من البعوض في توكومان من بلاد الارجنتين يحمل عدوى الملاريا وسماهُ انوفلس توكومانس

واكتشف ايضاً نوعاً من السلحفاة عند مصب نهر لابلاتا لون ظهرهِ واعلى رأسهِ وما حول عينيهِ اسود لامع ولونهُ ابيض ناصع في اقسامهِ السفلى كالبطن والفك الاسفل . وفوق عينيهِ قوسان ابيضان

اشعة النور

التى الاستاذ ملكان خطبة في مجمع تقدم العلوم الاميركي ذهب فيها الى ان اشعة النور تسير في الفضاء في خطوط من القوة ولا تنتشر فيهِ انتشار التموجات . ووافق ايضاً على رأي الاستاذ بلانك ان سير قوة النور في هذه الخطوط اشبه بسير جواهر فردة منها بجرى متصل ولكن هذا القول لا يتفق مع كثير من الحقائق المعروفة عن تعارض الاشعة

حكاية هندية

يتناقل الهنود حكاية عن الملك سيفي انهُ رأى مرة باشقاً قد انشب اظفارهُ بحمامة فخلّصها منهُ ثم عوّضهُ منها قطعة لحم اجتزها من بدنهِ ودفعها اليهِ . وقد عثر بالامس في وادي سوات في الشمال الغربي من بلاد الهند على لوح من الحجر عليهِ نقوش تمثل هذه الحادثة . ولهذا الاكتشاف اهمية كبيرة في تحقيق التقاليد الهندية والبوذية ويظن البعض ان هذه الحكاية وصلت الى اوربا وسمعها شكسبير الروائي الشهير فبنى عليها القصة المشهورة عن شيلوك في رواية تاجر البندقية

كلف الشمس

ينتظر بعض الفلكيين ان يعود دور كلف الشمس قريباً فيبتدئ في شهر مايو المقبل . ولكن الكلف التي ظهرت اخيراً تأخرت عن ميعادها نحو اربع سنوات فلا يمكن الجزم بابتداء الدور هذه السنة

السكر من نشارة الخشب

يصنع السكر من نشارة الخشب بفعل الحامض الكبريتيك والمادة السكرية التي تحصل منهُ تستعمل علفاً للخيل بدل الحبوب فتغذيها وتقويها وهي تحتوي انواعاً مختلفة من السكر واليافاً خشبية سهلة التفتت

اثمن السجاجيد

يقال ان عند رجل من اهالي براغ سجادة أُعطي بها ٢٤٠٠٠ جنيه فلم يبعها وان عند المستر مورغان المثري الاميركي المشهور بساطاً ثمنهُ مئة الف جنيه

رائحة التراب

لا يخفى انهُ تتضوع من بعض الاتربة رائحة طيبة اذا بُلّت بالماء وقد بحث الدكتور رولند الالماني في هذا الموضوع وارتأى ان هذه الاتربة واكثرها من الطفال انحلت من الصخور القديمة بفعل الميكروبات ولا تزال اجسام تلك الميكروبات الميتة ممتزجة بها وهي سبب رائحتها

رأس الاسد للينابيع

لا يخفى ان اكثر الينابيع التي يتدفق الماء منها الى الفساقي ونحوها يكون فيها صورة رأس اسد يخرج الماء من فيهِ ويقال في سبب ذلك ان فيضان نيل مصر يبتدئ حينما تكون الشمس في برج الاسد فجعل المصريون القدماء رأس الاسد ميزابًا تنصب منهُ المياه في بيوتهم وجنائنهم واقتدى بهم اليونان والرومان وشاع ذلك بعدهم

المطر والزلازل

ابان الاستاذ اوموري الياباني وهو من اكبر الثقات في مراقبة الزلازل ان الزلازل تكثر في بلاد اليابان في السنين التي يكثر فيها وقوع المطر والثلج في شمال بلاد اليابان وتقل في السنين التي يقل فيها وقوع المطر والثلج · كأن كثرة المطر والثلج تزيد الضغط على ارض جزائر اليابان فتخسف طبقاتها او سقوف كهوفها فتهتز من انخسافها

البيض وقتل الميكروبات

امتحن احد الاطباء قوة البيض في التطهير فثبت لهُ انهُ يقتل انواعًا كثيرة من الميكروبات من جملتها ميكروب حمى التيفويد وعليهِ فان الذين يتخذون البيض ضمادات للجراح والحروق محقون في عملهم هذا

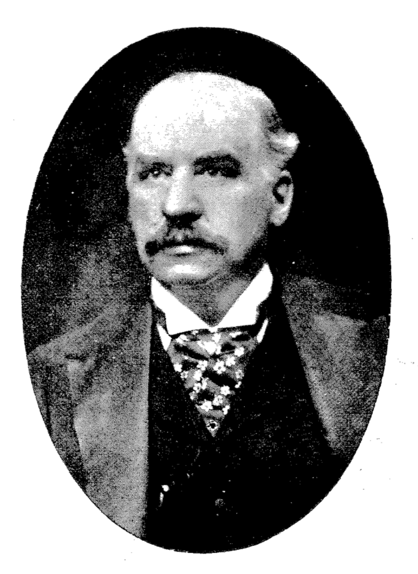
عيد لفنستون

احتفل في لندن في ١٩ مارس الماضي بمرور مئة سنة على ولادة لفنستون الرحالة الافريقي المشهور · وتلا السر هري جنستن خطبة وصف فيها اعمال لفنستون وقال ان مَن يمعن نظرهُ في كتبهِ واعماله يجد انهُ اعظم كل الرجال الذين جابوا افريقية · واقوالهُ واراؤُهُ التي نشرها منذ خمسين سنة او ستين سنة نقرأُها الآن فنجدها حديثة · وهو الذي وضع العبارة المشهورة The Cape to Cairo (اي مد سكة من رأس الرجاء الصالح الى عاصمة الديار المصرية) وقد كتبها سنة ١٩٤١ وكان مد هذه السكة من الاغراض التي يسعى اليها · وما افاد بهِ علم الجغرافية ونوع الانسان سيبقى بين اعظم الاعمال التي عملت من قديم الزمان الى الآن

اصلاح خطأ

ورد في آثار ترمسعيا من عدد فبراير اسم فهدي افندي والصواب فيض الله افندي العلمي

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثاني والاربعين



بيربنت مورغان



المرشال ولسلي

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثاني والاربعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٤ جماد اول سنة ١٣٣١

رجل السيف ورجل المال

ولسلي ومورغان

قضى في الشهر الماضي رجلان عظيمان رجُل سيف ورجل مال . وما كل رجل سيف يُترجَم في المجلات ولا كل رجل مال يُعنىَ الكتَّاب بذكرهِ . لكن الفقيدين فاقا الاقران . المرشال ولسلي اصلح الجندية الانكليزية فاستحق مقاماً سامياً بين قواد الجيوش وبذلك يبقى اسمهُ مذكوراً . وبيربُنْت مورغان ألَّف بين الشركات المتناظرة فقلَّت نفقات العمل وكثر ربح العمال فصار لهُ المقام الاسنى بين اغنياء الارض . و يشترك هذان الرجلان في انهما لم ينبغا من العدم كاكثر المشاهير بل جرى كلٌّ منهما في خطة والدهِ ولكنهُ فاقهُ بمراحل كثيرة فوالد ولسلي كان ضابطاً في الجيش ووالد مورغان كان صرافاً كبيراً

المرشال ولسلي

Field Marshal Viscount Wolseley

قال احد مترجميهِ « ان تاريخهُ هو تاريخ الجيش الانكليزي بعد دوق ولنجتون » ولعل ذلك اعظم مدح يمدح بهِ قواد الجيوش

ولد في الرابع من شهر يونيو سنة ١٨٣٣ فتوفي في الثمانين من عمرهِ . وابوهُ الماجور غارنت ولسلي من نسل الانكليز الذين هاجروا الى ارلندا منذ سنين كثيرة و بلغوا مراتب الاشراف فيها . درس في دبلن عاصمة ارلندا وانتظم في الجيش وعمرهُ ١٩ سنة وحضر حروب بزما والقرم والهند والصين والاشنتي ومصر والسودان وابلى فيها كلها بلاء حسناً بل فعل ما هو خير من ذلك وهو انهُ اخمد بعض الثورات بالتهديد من غير حرب كما حدث في حملتهِ على ريل في كندا سنة ١٨٧٠ وهو قائد الحملة التي تغلبت على عرابي في التل الكبير وكانت

الحد الفاصل بين العهد القديم والعهد الحديث في تاريخ هذا القطر. وقد اشرنا الى ذلك حينما وقفنا اول مرة امام التل الكبير وقلنا

مدافن المفتدينَ الاهل والوطنا ولا ضريحًا ولا لحداً ولا كَفَنَا
ايعلمُ القومُ ممَّن زرعهُ نضِرٌ والنيل يسقيهِ لا منًّا ولا ثمنا
والعدلُ والكل في قسطاسهِ شرَعٌ لا يظلَمون بهِ سرًّا ولا علنا
أنَّ الدماء التي التلّ الكبير سقت محت مظالم قاوى عهدُها الزمنا

والذين تتبعوا الثورة العرابية من اولها الى آخرها ظهر لهم ان الجيش الانكليزي نزل في الاسكندرية اولاً وناوش جيش عرابي في ضواحيها ولما رأى انهُ لم ينل منهُ منالاً انقلب الى الاسمعيلية. ولكن الحقيقة غير ذلك فان خطة السير الى القاهرة بطريق الاسمعيلية هي الخطة الاولى التي اشار بها ولسلي بتقرير وضعهُ في ٣ يوليو سنة ١٨٨٢ لانهُ كان يعلم صعوبة الزحف من الاسكندرية على القاهرة من الجهة الغربية بطريق وردان لان الرمال هناك ناعمة تعيق سير الجنود ففضَّل ان يكون السير من الشرق بطريق الاسمعيلية والزقازيق لان الرمال هناك خشنة غير متخلخلة. وقد ناوشت جنودهُ الجنود المصرية في ضواحي الاسكندرية وكفر الدوار من باب التعمية. ووصل هو الاسكندرية في ١٥ اغسطس ثم اقلع منها في ١٩ منهُ واحتلَّ ترعة السويس في اليوم التالي وجعلها قاعدة لاعمالهِ وكان قد استدعى بعض الجنود الهندية لنجدتهِ فلما وصلت سار بها الى القصاصين في ٩ سبتمبر واخرج منها الجنود المصرية التي أرسلت اليها لمقاومتهِ فيها ولما اكتمل جيشهُ هناك وهو نحو ستة عشر الفاً زحف بهِ على التل الكبير فاستولى عليهِ في نحو نصف ساعة من الزمان. ووصل فرسانهُ الى القاهرة ظهر اليوم التالي. وتمَّ النصر لهُ كما قدَّر ولم يُقتل من رجالهِ سوى ١٠ من الضباط و٧١ من «الانفار» وجرح منهم ٤٣ ضابطاً و٥٢٣ نفراً. ولما عاد الى انكلترا اعطتهُ الحكومة الانكليزية ثلاثين الف جنيه هبةً وأُعطي رتبة جنرال وجُعل من اشراف المملكة

ولا يمكن الحكم البات بما كان يمكن ان تكون حال الديار المصرية الآن لولا مجيء ولسلي اليها وفوز جنودهِ فيها ولا هذا محل النظر في ذلك

لكن فوزهُ في حروبهِ وابلاءهُ في خصومهِ لا يميزانهِ على غيرهِ من القواد الكبار وانما الذي امتاز بهِ اصلاحهُ للجندية الانكليزية فاولاً وضع كتاباً صغيراً عدَّد فيهِ ما يجب على الجندي فاتخذهُ الجنود وضباطهم دليلاً في اعمالهم وقد مضت السنون وهذا الكتاب يطبع سنة بعد اخرى و يعتمد عليهِ الجنود والضباط كانهُ احد لوازمهم فيستفيدون منهُ اكبر فائدة

وثانياً اعان المستر كاردول وزير الحربية الانكليزية في اصلاح الجندية بوجه عام . فان المستر كاردول جُعل وزيراً للحربية سنة ١٨٦٨ وللحال اهتمَّ بتقوية شأن الجيش البريطاني بجمعهِ في بريطانيا وطلب من المستعمرات ان تقيم الجيوش لنفسها وجعل مدة الخدمة ١٢ سنة فقط تقضى السنوات الخمس او الست الاخيرة منها في الرديف وكان ولسلي قد اشتهر بانهُ اقدر القواد الاحداث فاستعان بهِ على اجراء ما يريدهُ من الاصلاح . وكانت وظائف الضباط تباع وتشترى علناً فالغى ذلك ووجد في الغائهِ مشقة عظيمة لان مجلس الاعيان لم يصادق على قرار مجلس النواب في هذا الشأن ففشلت الوزارة ولكنها جعلت الملكة تؤيد الالغاء بامر خاص . ثم اعاد تنظيم الجيش وجعلهُ فرقاً خاصة وجعل انواعهُ كلها تابعة لنظارة الحربية وانشأ قلم المخابرات سنة ١٨٧٣ فصار لهُ الشأن الاكبر في الادارة الحربية . وللوزير كاردول الفضل الاول في هذه الاصلاحات لانهُ اول من انتبه لها ولانهُ استعان بالجنرال ولسلي على تحقيقها ولكن فضل ولسلي فيها لا ينكر لانهُ كان الفاعل الاكبر في اقتراحها واجرائها

وكانت وفاتهُ في ٢٥ مارس ودفن في ٣١ مارس في كنيسة مار بولس مدفن عظماء القواد

بيربنت مورغان

Pierpont Morgan

اما بيربنت مورغان فمعروف عند كثيرين من سكان هذه العاصمة لاسيما وانهُ اقام فيها هذا الشتاء قبل ان ذهب الى رومية حيث وافتهُ منيتهُ ظهر الحادي والثلاثين من شهر مارس الماضي . وقد ترجمناهُ منذ احدى عشرة سنة وقلنا فيهِ ما يأتي

« هو رجل رزين قليل الكلام . يجلس في مكتبهِ حيث يدير اشغالهُ الكثيرة مفصولاً عن الكتاب الذين في خدمتهِ بفواصل من الزجاج حتى يراهم ويروهُ واذا دخل عليهِ وزير قابلهُ كما يقابل جمهور السماسرة والتجار سواءٌ بسواءٍ . يختار في حديثهِ الكلمات الوجيزة اللفظ الكبيرة المعنى مثل كلمة نعم وكلمة لا و يلفظ الكلمة منها نبراً لفظ رجل باتّ الحكم غير متردد . ولا تبلغ ثروتهُ الآن ثروة ركفلر ولا ثروة كارنجي ولكنهُ اقدر منهما على ادارة الاعمال وسلطتهُ اعظم من سلطتهما . وقد اثريا اكثر منهُ لان جانباً كبيراً من ثروتهما اتاهما عفواً بنمو البلاد وازدياد الطلب على البترول والحديد واما هو فانمى ثروتهُ بجدهِ وحسن نظرهِ في العواقب

«كان ابوهُ صانعاً عند فلاَّح ثم صار كاتباً عند بائع منسوجات و بقي كذلك الى ان صار عمرهُ ٣٨ سنة وخطر لهُ حينئذٍ ان يشتغل مستقلاًّ ففتح بنكاً صغيراً في مدينة بوستن واشتهر باجتهادهِ واستقامتهِ فاتسعت اشغالهُ رويداً رويداً وصار من اعرف الناس بالاسواق المالية في الدنيا كلها فوثق بهِ معاملوهُ ثقةً تامةً لانهُ كان يخلص النصح لهم ولا يدعهم يضاربون مضاربات تعود بالخسارة عليهم · واقتصر على ما يسمَّى باشغال البنك القانونية وزادت اشغالهُ بازدياد ثقة الناس بهِ حتى صار لهُ المقام الاول بين الماليين فزار بلاد الانكليز وكانت شهرتهُ قد سبقتهُ اليها وتعرَّف فيها بالمستر بيبدي المشهور بغناهُ ومبرَّاتهِ فقدرهُ بيبدي قدرهُ وعرض عليهِ ان يشاركهُ في اعمالهِ المالية فزادت تلك الاعمال نجاحاً وجرى على اسلوب الانكليز في استثمار المال و بذل جهدهُ في حمل الانكليز على الثقة بالبيوت المالية الاميركية فزادت الثقة بين نيو يورك ولندن ورسخت على قواعد متينة فكثرت بسببها المعاملات المالية · ولما عاد الى نيو يورك سنة ١٨٧٧ قوبل باحتفال عظيم واولم لهُ كبار الاغنياء وليمة فاخرة اعترافاً بفضلهِ عليهم و يقال ان ثروة الذين حضروا تلك الوليمة كانت نحو مئتي مليون جنيه

« ونشأ المستر مورغان صاحب الترجمة في كنف ابيهِ وتدرَّب عندهُ على المعاملات المالية وتوفي ابوهُ سنة ١٨٩٠ فاستقلَّ بادارة اعمالهِ ووسَّع نطاقها بهمتهِ واشتهر باصالة الراي والحزم في الاعمال · قيل جاءهُ رجل يملك منجماً كبيراً من الفحم الحجري وقد صمم على بيع المنجم لهُ باغلى ثمن لانهُ كان في حاجة شديدة اليهِ · وجعل يحدث نفسهُ بما يقولهُ وما يجيبهُ المستر مورغان بهِ حتى لم يبقَ عندهُ ريب في ان البيع يكون صفقة رابحة جدًّا لهُ فدخل مكتب المستر مورغان واخبر الكتبة باسمهِ وجلس ينتظر الى ان عيل صبرهُ واخيراً خرج مورغان اليهِ وقال انني ادفع في المنجم كذا وكذا من الريالات فان كنت تقبل فامضِ صك البيع · قال ذلك وعاد الى مكتبهِ فامضى الرجل البيع ولم يفه بكلمة

« وقال احد السماسرة جئتهُ يوماً لاقترض منهُ مليوناً من الريالات على ضمان ولم اكن اعرفهُ ولا كان يعرفني فتفرَّس في وجهي لحظة من الزمان ثم نظر الى الورقة التي كتبت فيها اسماء الضمانات وقال « نعم » واشار الى احدِ شركائهِ ليدفع اليَّ المال المطلوب · فامضى في ربع دقيقة عملاً ماليًّا كبيراً قد لا تستطيع دولة كبيرة ان تمضيهُ في اسبوع

« واكبر الاعمال المالية التي اشتهر بها ضم الشركات بعضها الى بعض حتى تزول المناظرة من بينها وتقلَّ نفقاتها وتزيد ارباحها · من ذلك ضم ثمانٍ من شركات الفولاذ (الصلب) وجعلها شركة واحدة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه · واهم هذه الشركات شركة كارنجي وكان لكارنجي

في شركتهِ ٨٥٠٠٠ سهم يساوي السهم منها ٣٠٠ جنيه فجملة ما يمتلكهُ فيها ٢٥ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات فاتفق معهُ اولاً على بيع اسهمهِ للشركة العمومية واخذ اسهم جديدة بدلاً منها تساوي اربعين مليونًا من الجنيهات وريعها السنوي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات ولما تمَّ لهُ ذلك لم يتعذَّر عليهِ ان يبدل اسهم بقية المساهمين في الشركات السبع الاخرى باسهم جديدة من الشركة العامة. وكان رأس مال هذه الشركات السبع ١١٢ مليون جنيه واذا اضيفت اليها شركة كارنجي بلغت قيمة اسهمها كلها نحو ١٧٠ مليون جنيه فلما جعل اسهم الشركة الجديدة ٢٢٩ مليون جنيه رفع قيمتها نحو ستين مليون جنيه وكان هذا الرفع حقيقيًّا لا وهميًّا لان ارباحها زادت مليونين ونصف مليون من الجنيهات بزوال المناظرة وبتقليل نفقات الادارة كما سيجيءُ. وغنيٌّ عن البيان انهُ تناول اجرتهُ من هذا العمل الكبير ولم نقف على مقدارها ولكنها لا تقلُّ عن بضعة ملايين من الجنيهات ذلك كلهُ وهو لا يعرف شيئًا من عمل الفولاذ

«وقد تدرَّج الى هذا العمل العظيم وهو تأليف شركة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه بعمل آخر يقاربهُ في عظمتهِ وهو ضم خمس شركات من شركات سكك الحديد التي في الجهات الشمالية الشرقية من اميركا رأس مالها مئة مليون جنيه فانهُ ابتاعها الواحدة بعد الاخرى ووحَّدها ووفَّر ارباحها بتقليل نفقاتها. ثم ضمَّ الشركات التي في الجهات الجنوبية وبعض الشركات التي في الجهات الغربية فصار المتصرّف المطلق في اجرة النقل وثمن الفحم الحجري وبلغ ربحهُ من ذلك كلهِ ما اشرنا اليهِ قبلاً. ذلك انهُ ورث عن ابيهِ مليونين من الجنيهات فصيرها ثلاثين مليونًا في بضع سنوات. ولم تكفهِ اميركا بل قصد انكلترا وابتاع بواخر بعض الشركات التجارية لكي لا يبقى الاميركيون معتمدين على الانكليز في نقل بضائعهم

«وهو من كبار المحسنين دفع ٣٠٠ الف جنيه لبناء مستشفى الولادة في نيويورك و ٢٠٠ الف جنيه لدار البحث البيولوجي في جامعة هارفرد و ١٠٠ الف جنيه لانشاء مدرسة للتجارة في نيويورك وستين الف جنيه لبناء دار الاسقفية فيها وخمسة آلاف جنيه لانارة كنيسة مار بولس في لندن بالنور الكهربائي

«ولهُ ولع شديد بجمع التحف ابتاع صورة من تصوير غاينسبرو المصور الانكليزي بثلاثين الف جنيه وهي المعروفة بصورة «دوقة ديفنشير» وابتاع صورة أُخرى من تصوير رفائيل بنحو مئة الف جنيه وهو اعظم ما دفع ثمن صورة واحدة في ما نعلم. وكلما اتى الى اوربا ذهب الى فرنسا واقام ايامًا في نورمندي يزور الفلاحين في بيوتهم ويبتاع منهم اشياء صغيرة باثمان باهظة يرى

لوحاً منقوشاً عند امرأة فلاَّحة فيقول لها بكم تبيعين هذا اللوح فتقول ليس للبيع فيقول لها كم يساوي فتقول لا يساوي شيئاً فيقول ولكني اريد ان اشتريهُ فتقول لهُ لقد اخبرتك يا موسيو انهُ ليس للبيع فيضحك ويقول لها هذه الف فرنك فهل تعطينيهِ بها فتأخذها وهي لا تصدق ما ترى بعينيها ٠ انتهى »

ويقال ان التحف التي جمعها من صور وبسط وادوات ذهبية وفضية وما اشبه تساوي عشرين مليوناً من الجنيهات

ولا يعلم مقدار ثروتهِ تماماً فالذين يبالغون فيها يوصلونها الى اربعين مليوناً من الجنيهات والذين يبخسونها يحطونها الى عشرة ملايين ٠ ولكن ان اختلف المقدرون في تقديرها فهم لا يختلفون في ان اصحاب الف ومئتي مليون من الجنيهات وضعوا اموالهم كلها في يدهِ ليتولَّى ادارتها فهو من هذا القبيل اقدر مالي قام في الدنيا حتى الآن

لما حدث الضيق المالي سنة ١٩٠٧ اشتدَّ في نيويورك حتى هدد البلاد بخراب عام وجعل الذين عندهم اسهم وسندات يعرضونها للبيع ولا مَن يشتري لقلة النقود المتداولة ٠ وطلب بعضهم ان يستقرضوا ويدفعوا فائدة بمعدل ستين في المئة في السنة فلم يجدوا من يقرضهم فذهب المستر طوماس رئيس بورصة نيويورك الى المستر مورغان وطلب منهُ ان يفرج ضيقة الناس وهاك ترجمة ما قالهُ في هذا الصدد منقولاً عما شهد بهِ في العام الماضي امام قاضي التحقيق قال « قلت للمستر مورغان لقد عزَّت النقود واعضاء جمعية البورصة يحتاجون الى خمسة ملايين من الجنيهات ٠ وبعد ما تذاكرنا بضع دقائق قال نعم ستُعطَون خمسة ملايين فعدت الى البورصة وقلت لاعضاء الجمعية ان النقود ستأتينا حالاً ٠ وبعد خمس دقائق جاءت النقود وزالت الازمة فان البنوك التي يتولى المستر مورغان ادارتها فتحت ابوابها وللحال انخفضت الفائدة السنوية الى ستة في المئة ثم الى ٣ في المئة »

وهذه ليست اول ازمة فرَّجها ففي سنة ١٨٩٣ اشتدَّ الضيق على خزينة الحكومة الاميركية لكثرة صدور الذهب من البلاد وخيف من وقوف الاعمال فرأس لجنة من الماليين واشترى ما يساوي ١٢ مليون جنيه من سندات الحكومة دفع ثمنها ذهباً فانفرجت الازمة حالاً

والبنك الذي انشأهُ هو وشريكهُ طوماس منذ ثلاثين سنة كان رأس مالهِ مئة الف جنيه فبلغت ارباحهُ في هذه الثلاثين سنة ١٨ مليوناً من الجنيهات اي ان الجنيه الواحد ربح ١٨٠ جنيهاً

قوات الدول البحرية

اصدرت نظارة البحرية الانكليزية مساء ٢٠ مارس الماضي احصاءً رسميًا بما كان لكل من انكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا وايطاليا والنمسا والولايات المتحدة واليابان — وهي الدول البحرية الكبرى — من السفن الحربية في اول يناير الماضي مغفلة فيهِ ذكر البوارج والطرادات المدرعة التي مضى على تاريخ انزالها الى البحر اكثر من عشرين سنة . وهذا بيان ذلك

بوارج مبنية — لانكلترا ٥٥ ولفرنسا ٢١ ولروسيا ٩ ولالمانيا ٣٣ ولايطاليا ٩ وللنمسا والمجر ١٣ وللولايات المتحدة ٣٣ ولليابان ١٧

بوارج تحت البناء — لانكلترا ١١ ولفرنسا ٧ ولروسيا ٧ ولالمانيا ٧ ولايطاليا ٥ وللنمسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ٤ ولليابان بارجة واحدة

سفن خفر السواحل — ليس لانكلترا والمانيا وايطاليا والنمسا والمجر واليابان سفن من هذا الصنف ولفرنسا ست منها ولروسيا واحدة فقط وللولايات المتحدة تسع سفن

طرادات مدرعة — لانكلترا ٣٤ ولفرنسا ٢٠ ولروسيا ٦ ولالمانيا ٩ ولايطاليا ٩ وللنمسا والمجر ٤ وللولايات المتحدة ١٤ ولليابان ١٣ وليس لاحداهن طرادات من هذا الصنف تحت البناء

طرادات مدرعة نصف تدريع — لانكلترا ثمانية من هذه الطرادات تحت البناء وليس لسائر الدول شيءٌ منها لا مبني ولا تحت البناء

طرادات محمية من الدرجة الثانية — لانكلترا ٣٨ عدا عن طرادات تستخدمها لقضاء مصالح مستعمراتها . ولفرنسا ٤ وليس لروسيا سفن منها ولالمانيا ٣٠ ولايطاليا ٢ وللنمسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ١٥ ولليابان ١٣

طرادات محمية من الدرجة الثانية تحت البناء — لانكلترا ٧ ثلاثة منها تبنى للخدمة البحرية في استراليا ولالمانيا ٤ ولايطاليا طراد واحد ولروسيا طرادان وليس للولايات المتحدة واليابان سفن منها تحت البناء

طرادات محمية من الدرجة الثالثة — لانكلترا ١٥ ولمستعمراتها طراد واحد ولفرنسا ٥ ولروسيا طرادان ولالمانيا ١١ ولايطاليا ١١ وللنمسا والمجر ٣ وليس للولايات المتحدة سفن منها ولليابان اربعة طرادات من هذا الصنف

طرادات محمية من الدرجة الثالثة تحت البناء — لايطاليا اربعة طرادات وليس لسائر

الدول سفن منها تحت البناء

طرادات غير محمية — لانكلترا ٥ ولالمانيا ٤ وللنمسا والمجر ٣ وللولايات المتحدة ٣ ولليابان اربعة وليس لفرنسا وروسيا وايطاليا سفن منها

طرادات غير محمية تحت البناء — لانكلترا طرادان وليس لسائر الدول سفن منها تحت البناء

كشافات — لانكلترا ٨ ولايطاليا كشافة واحدة وللولايات المتحدة ٣ وليس لسائر الدول شيء منها

كشافات تحت البناء — لايطاليا كشافتان وليس لسائر الدول شيء منها تحت البناء

سفن طوربيد — لانكلترا ٢٨ ولفرنسا ٤ ولروسيا ٣ وليس لالمانيا شيء منها ولايطاليا ٣ وللنمسا والمجر ١١ وللولايات المتحدة سفينتان ولليابان ٣ سفن

سفن طور بيد تحت البناء — لانكلترا سفينة واحدة وليس لسائر الدول شيء من ذلك تحت البناء

مدمرات — لانكلترا ١٩١ منها ثلاث لاستراليا ولفرنسا ٧٣ ولروسيا ٩٦ ولالمانيا ١٢٤ ولايطاليا ٢٣ وللنمسا والمجر ١٢ وللولايات المتحدة ٤٦ ولليابان ٥٩

مدمرات تحت البناء — لانكلترا ٣٨ ولفرنسا ١١ ولروسيا ٩ و٣٦ اوصت بها ولم يبدأ ببنائها بعد ولالمانيا ٩ ولايطاليا ١٠ وللنمسا والمجر ٦ وللولايات المتحدة ٤ وليس لليابان شيء من ذلك تحت البناء

نسافات من الطرز الجديد — لانكلترا ٣٦ نسافة وليس لسائر الدول نسافات من هذا الصنف

نسافات عادية من جميع الاصناف — لانكلترا ٧٣ ولفرنسا ١٦٦ ولروسيا ٢٦ ولالمانيا ٨٠ ولايطاليا ٧٧ وللنمسا والمجر ٧٠ وللولايات المتحدة ٢٢ ولليابان ٥٠

غواصات — لانكلترا ٦٥ ولفرنسا ٧٣ ولروسيا ٢٩ ولالمانيا ١٨ ولايطاليا ١٢ وللنمسا والمجر ٦ وللولايات المتحدة ٢٥ ولليابان ١٣ غواصة

غواصات تحت البناء — لانكلترا ٢٢ اثنتان منها لاستراليا ولفرنسا ٨ ولروسيا ٨ ولالمانيا ١٤ (وقد يمكن ان تكون قد اوصت باكثر من ذلك) ولايطاليا ٨ وليس للنمسا والمجر شيء منها تحت البناء . وللولايات المتحدة ٢٢ منها ثمان لم يشرع في بنائها بعد ولليابان غواصتان اثنتان . هذا وقد اوصت روسيا ببناء اثنتي عشرة غواصة قريباً

الاخلاق

(تابع ما قبلهُ)

٥

قد اتضح لكم اذاً ان العوامل الاجتماعية تؤَثر في الاخلاق مثلما تؤَثر عوامل الاقليم اي الحر والبرد في الحيوان وفي ما هو حيوانيّ في الانسان . بقي علينا ان ننظر خصوصاً في ما يحط الاخلاق ويفسدها فتخمد في سبيل المجد والعلى ولا ينشط صاحبها الى نصرة ما فيهِ اقامة حق او ارهاق باطل . ولا يطمح الى مأثرة ولا تسمو الى منقبة همتهُ . بل يغضي على الضيم خاملاً وقد رئم المذلة والاستعباد . وان عبداً لعاداتهِ الذميمة لكمثل عبد الحكومة الاثيمة . ففي الغرب كما في الشرق مذاهب وعقائد وتعاليم تذهب بالبأس والمنعة والشجاعة والاباء فتطفئ في المرء نور الضمير . وتخدر منهُ الحس والشعور . وتقعد فيهِ الارادة الاَّ في سبيل الاباطيل والمنكرات . احقاً ان الغاية القصوى من الحياة ان ينجح الانسان في عملهِ مهما كان وكيفما كان ؟ على رسلك ايها المتكالب في سبيل المال العابث بما في الحياة من جوهر الكمال . ان في الحقول وفي الحراج وفي المناجم ما في السماء وفي البحار وفي النفس البشرية من جمال . لا يوزن منهُ للتجار ولا يكال . وانت ايها الزعيم زعيم العمال . سمعت اناساً يقولون انك تتاجر بالفقر والفقراء فتمسي غنياً . وانتم ايها البائسون المؤْمنون بمن لا يصدقون يشحذون فيكم الغرائز ويغرون عليكم الاسياد . والى غاياتهم على بؤْسكم يسيرون

« وما انخفضوا كي يرفعوكم وانما رأوا خفضكم طول الحياة لهم رفعا »

وسيدي صاحب الدولة والرتب العالية ان دستورهُ « كتاب الامير » رأيناهُ يتخذهُ دستوراً لاعمالهِ واقوالهِ . (« وكتاب الامير » لمكياڤلي ايها السادة يعلم الكذب في السياسة والمكر والغدر والسفسفة والرياء)

قال الكردينال ريشليو في وصيتهِ السياسية ان الحاكم لا ينبغي ان يولي صاحب الشرف والوجدان . وفي كتبنا العربية التي تعلم الملوك والسوقة السلوك كثير من هذا . وان نصيحة ريشليو لتذكرني بما قالهُ عمر عند ما عزل زياد بن ابي سفيان قال زياد : لمَ عزلتني يا امير المؤْمنين أَلعجز ام لخيانة ؟ فقال عمر : لم اعزلك لواحدة منهما ولكنني كرهت ان احمل فضل عقلك عن الناس

فالشرف والكياسة والذكاء والوجدان عيوب في صاحب السياسة غربيًّا كان او شرقيًّا الاَّ اذا استخدمت في المصانعة والكذب والمكر والخداع

على ان الشرقيين قد لا يرون في مدنية اوربا غير آفات افضتُ فيها في خطاب لي سبق فينفرون منها بل ينبذون من اجلها المدنية كلها زاعمين ان فيها مالا يوافق حالهم وشؤُونهم وطباعهم . ولعمري ان ما فسد في تلك المدنية لا يوافق احداً من الناس لا شرقيين ولا غربيين . وفي اوربا واميركا كثيرون من ذوي الرصانة والحصافة نوابغ في العلوم وفي الفنون وفي الآداب يحملون على ما في مدنيتهم من الموبقات والمنكرات . واكثرها آفات ظاهرة تعرف الحكومة كيف تتأثرها لتصلحها او لتستأصلها . واما في الشرق فآفات المدنية خفية دقيقة يصعب على العلماء معالجتها ويعجز في سبيلها الحكام . الغربي بما فطر عليهِ من حب الحرية والجهر بالامور يجرأُ على عمل قد يكون مخالفاً سنن العدل المصطلح عليها ولا يخفي قصدهُ عن الناس بل يسير اليهِ في رائعة النهار و يعززهُ بحجة عقلية او سياسية . وقد يكون مجرماً مع ذلك او فوضويًّا . اما الشرقي فنفسهُ كتاب من الاسرار مختوم لا يعلم منهُ الاَّ ما نقش على الختم — « اللطف . المجاملة . المصانعة . الاستسلام . » — تحدث الشرقي في اجل الامور او في احقرها وتطلق لنفسك العنان في النصح او النقد او التقريع فيهز رأسهُ مؤمناً محبذاً — اي نعم — تمام — الحق معك — هذا صحيح — حبذا والله — ثم يذهب في شأنهِ ثابتاً في خلالهِ

اخواني . في كل اخلاقنا الكريمة الشريفة ما وجدت خلقاً يقارن الجرأة الادبية والحرية الادبية . شعوب وامم تفرقوا مذاهب وهم في حاجة الى التفاهم قبل كل شيءٍ . ومفتاح التفاهم التصريح بمقاصدنا وغاياتنا . التصريح بما تكنهُ افئدتنا مما يختص بشؤُوننا الاجتماعية والدينية . اما هذه الحرية السياسية التي ترفع في الجرائد وفي الاندية عقيرتها فليست صافية من شوائب التقية والتعصب والمخاتلة . لم يزل هذا الشرقي شرقيًّا مسلماً كان او مسيحيًّا . فيقف مثلاً امام الحاكم مكتفاً مزرراً و يتأدب تأدباً لا يمنعهُ من الغيبة والنميمة عند ما يخرج من الديوان . و يظهر ان سبَّ الحاكم سرًّا خلق قديم من اخلاق الشرقيين . لذلك قيل في الامثال . « ادفع اليهم ما طلبوا من الظلم ولا تنازعهم فيهِ وكف لسانك عن سبهم »

على المرء ان يدفع الحجة بالحجة والظلم بالحق واذا اقتضى الامر فبالتمرد والعصيان . فيكون التمرد اذ ذاك حقاً والعصيان واجباً . عليهِ ان يطالب ابداً بحقوقهِ المهضومة مهما

كانت . فاذا نام عن صغيرها لا يستطيع صيانة كبيرها . ولكن الشرقي لوفرة ادبهِ او لكبر نفسهِ او لشدة ورعهِ يُغضي على الضيم ويعود الى الله . وقد يتأوه في سرهِ ويشكو الزمان . والحق يقال ان في الناس حتى في الغرب كثيرين مثل الشرقيين يسكتون ولا يعارضون ما زالت تجارتهم رائجة وما زالوا على شيء من العيش رغدٍ هنيء . ولا بد للتجار اصحاب الذراع والميزان من المجاملة والمكايسة فالحضارة تنبه في الانسان غرائز لا اثر لها في فطرة اهل البادية . وحبذا اخلاق العرب . حبذا البأس والمنعة وعزة النفس والمروءة والاباء والشهامة والوفاء . ولكن الاحكام الشرقية والتقاليد الدينية والمذاهب السياسية ذهبت باكثرها

« في كل جيل اباطيل يدان بها   فهل تفرَّد يوماً بالهدى جيلُ »

ترانا لا نأتي عملاً لا يكون منصوصاً عليهِ في كتب الدين . ولا نخطو خطوة لم يخطها قبلنا اجدادنا . ولا نقول في مشاكل الحياة قولاً لا نستطيع اسنادهُ او اسناد مثلهِ الى احد الائمة الكبار . ولا يمسُّنا ضر او خير الاَّ منهُ تعالى . فنتوه في جهلنا قائلين : انا لله ! ونتربع على بساط المذلة صارخين : انا لله ! ونركب مطية الجبن والعجز متأوهين : انا لله ! وتحل بنا سبع ضربات مصر فنصرخ مبتهلين : والحمد لله والشكر لله !! جميل هذا التناهي في الورع والتقوى . جميل هذا الصبر والاستسلام . ولكنَّ امماً في المغرب اراحوا الله من صراخهم وشكواهم فافلحوا . سادتي . خلق الله الطير ليطير بجناحيهِ لا ليتمرغ بهما في اوحال اليأس ويكسرهما على صخرة الايمان . وجناح النفس والعقل في الشرقي لم يزل والحمد لله سليماً ولكنهُ مكبل مقيد . قيدتهُ القناعة والاستسلام . قيدتهُ عقيدة القضاء والقدر . قيدتهُ الاحكام الظالمة . قيدتهُ السيادة الدينية المطلقة . قيدتهُ الطاعة العمياء . قيدتهُ التقاليد والخرافات . بل قيدتهُ المرأة في قيودها . حلوا قيود المرأة الشرقية فتحل قيود الشرق كلها تدريجاً

ومن غريب سجايا الشرائع والاحكام انها تحرر جيلاً من الناس وتستعبد آخر . كانت عقيدة القضاء والقدر قديماً من اكبر عوامل النصر في الاسلام وهي اليوم من اكبر العوامل في تأخر المسلمين . والشريعة التي حررت المرأة من احكام الجاهلية وعاداتها جعلها بعض ائمتها اليوم نيراً على المرأة لا يطاق . الشريعة التي تقبلها امرأة العصر الخامس لا تقبلها امرأة العصر العشرين . والتي تقبلها امرأة اليوم قد ترفضها امرأة الغد . وهذا هو ناموس الترقي الحي الدائم الذي يخدع المتشرع والمصلح والحكيم . سنن الادب والسياسة انما هي من عقل الانسان وانما هي التي ابقت عقل الانسان في قيود الجهل والعبودية زمناً طويلاً . على المرء اذاً ان يكون

متيقظاً عاملاً ناشطاً مفكراً فلا يقبل اليوم من الشرائع التي سُنت لاجداده مالا يوافق حالهُ ولا يساعدهُ في ترقية نفسهِ وعقلهِ بل في ترقية قواهُ الحيوية والروحية كلها . عليهِ الاَّ يكون ممن

« عاشوا كما عاش آباءٌ لهم سلفوا واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا »

« فما يراعون ما قالوا وما سمعوا ولا يبالون من غيّ لمن سجدوا »

ومن سعى سعياً جميلاً في تكييف الاحوال لتوافق نزعات النفس السامية ولتحقيق آمال الفكر العالية كان من الصالحين المقربين من الآلهة . وما يعترضنا في طلب الحقيقة وفي تعشق صورة الكمال من جهل وتعصب وتقاليد وخرافات فمن الشيطان لا من الله . وعلينا ان نناهضها لنذللها ونستأصلها تماماً

قال إمرسون : « النفس الخالدة هي التي ترى الخلود في كل شيءٍ وتساعد في تكوين العالم » . وفي النفس مرآة الهيئة تنعكس فيها صورة الكمال . وكل فكر جميل يصقلها وكل فكر خبيث يشوهها . علينا اذا ان نهجر اميالنا السيئة وآمالنا الباطلة ونزدريها اذا اعترضت الفكر الجميل في سيرهِ وسعيهِ وجدهِ . ان ارادة الانسان اذا ادركها وروّضها لعظيمة . ومتى بدأ يقول « علي ان افعل اذن لي ان افعل » كما قال الفيلسوف كَنت ويقرن بالعمل قولهُ يتدرّج الى السيادة المطلقة في ممالك الحيوان والنبات والاثير وفي ما فوقها للنفس من ملك لا يحد

ولكل منا دائرة اجتماعية صغيرة يستطيع ان ينير فيها مصباح الفكر والحب والارادة . ولكل منا سلسلة حوادث يتألف منها المهم في حياتنا الاصطلاحية فيستطيع ان يكيّفها لتوافق ما نما من افكارنا وما سلم ورقّ من شعورنا . هذا اذا كانت لنا ثقة بانفسنا فنعزز بالعمل الارادة فينا

ولا بد من سقوط كل عقيدة من شأنها ان تبقي الانسان في ضعفهِ وجهلهِ وخمولهِ . ولا بد من اضمحلال مذاهب وتعاليم ركنها الاول من الوهم والخرافة . ولا بد من نسخ كل شريعة لا يقرها العقل ولا يخضع لها الضمير . وما نهض بالاوروبيين من مهامهِ الجهل والهمجية والاستعباد غير تحررهم من خزعبلات السياسة والاحكام من قيود الخرافات والاوهام

في جزيرة جاوى نوع من الشجر لا ينمو في ظلهِ نبت ولا يعيش حيوان . شجرة في جذعها واغصانها سم يسم تربتها وظلالها فتراها وما حولها من الارض الجدباء كانها واحة

في قلب البادية . هذه لعمري شجرة الخرافة تزرع في النفس فتسم الفضائل والاخلاق . وتمتد ظلالها الى العقل والى القلب فتفسد فيهما الفكر والشعور . شجرة جذعها من الخوف وسمها من الجهل واغصانها من الاوهام وثمارها وان كانت كبيرة جميلة فكتفاح سدوم قلبها رماد وكبريت . متى يتقلص ظلك في الشرق ايتها الشجرة السامة المهلكة . متى يستأصلك العلم من انفس الشرقيين . ومتى يُطرد الذين يرعونك بالتربية ويتاجرون بسمك وثمارك ؟

« نكذب العقل في تصديق كاذبهم والعقل أولى باكرام وتصديق »

اولئك الذين يتاجرون بتفاح سدوم يفسدون في الناس عقيدة الايمان الحقة . الايمان سر القوى البشرية من عقلية وروحية وادبية . الايمان الحي الصادق يحرك صاحبهُ الى المفاداة بالنفس والنفيس في سبيل الحق والشرف والعدل والحب والمجد والعلى . وفي سبيل العلوم التي تحبب هذه الفضائل الى الناس . وفي سبيل الفنون التي تحيي فيها صورة الكمال . قديمًا كان النبي الكاتب الشاعر في الناس . وما كان ليتهيب الموت اذا اعترضهُ في سبيلهِ . فيسجل كلمتهُ على اعداء الحق بل اعداء الله ولسان حالهِ يقول على الدنيا السلام . فاين شبه الانبياء في ادباء هذا الزمان وشعرائهِ . تراهم يتزلفون الى ذوي السيادة ويصانعون صونًا لمصلحة او جرًّا لمغنم . اما الايمان فميت في صدورهم . فالأديب الذي يفادي بسعادتهِ في سبيل ادبهِ . والسياسي الذي يفادي بمنصبهِ في سبيل وطنهِ . والعالم الذي يفادي بحياتهِ في سبيل علمهِ . ان هؤلاء وان عدوا من الكافرين لمن اجمل الناس ورعًا واصحهم اعتقاداً واصدقهم دينًا . ذلك لان ايمانهم بالله وبالحري بما في النفس البشرية من القوى الالهية الكامنة لحي صادق مجيد . المجد الله يا هذا . كن عادلاً محبًّا منصفاً آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر عاملاً في تحقيق امل واحد من آمال النفس السامية . فانَّ في اقتدائك بالمقربين منهُ تعالى تمجيداً كافيًا لاسمهِ

٦

عقائد في الشرق واضاليل تفسد العقول والاخلاق فما الذي يصلحها ؟ لا اقول قول منتسكيو ان على الحاكم ان يستخدم القانون لينبه من انامهم الدين او بالحري الاعتقادات الدينية الباطلة التي تعزو الاشياء كبيرها وصغيرها الى قضاء لا يرد فالعقائد الفاسدة لا تزيلها غير العقائد السليمة . والقانون لا يجرأ على اقتلاع شجرة الخرافة من اصولها لان ذوي المصلحة الذين يتاجرون بسمها وثمارها كثيرون . فالعلم الصحيح وحدهُ ينبه من خدرتهُ التقاليد

والخرافات . وينعش منهُ النفس والجسد . اما القوانين والاحكام فتعجز عن اصلاح ما افسدتهُ من الاخلاق

ان عصرنا لهو عصر البحث والنقض والتمحيص . واذا كانت لا تسود هذه الروح روح الزمان الراقية في آدابنا واديانا وسياساتنا واجتماعياتنا لا تصطلح اخلاقنا ابدًا ولا تفك قيود العقل والنفس فينا

في كل الفلسفات الادبية القديمة والحديثة ما وجدتُ اصلح من فلسفة الرواقيين واسمى . منشئها زينون اليوناني . فان فيها من المنبهات العقلية والمقويات الروحية ما لا نجدهُ صافيًا في الحقائق التي نلقنها اليوم . فلسفة الرواقيين تعلمنا الواجب الذي لا يتعدى العمل بهِ اللازمَ المفيد . وتعلمنا الصبر على الشدائد وعظم الهمة . وتعلمنا ان ننظر الى السرور والحزن بعين هادئة وقلب مطمئن . وتشدد العزيمة فينا فتحصّن النفس من طوارئ الدهر وتُعدّها لنوائب الزمان . وتحبب الينا الفضيلة حبًّا بها لا حبًّا بجنات تجري من تحتها الانهار . لمذهب الفيلسوف زينون الفضل الاكبر في عظمة رومية وبأس ابنائها . بل هو مهد رجالها العظام من قادة وسياسيين وفلاسفة وقياصرة . لو حكم عليَّ بالتمذهب لما اخترت غير الرواقية مذهبًا

لا انكر ان ماضي الشرق غنيٌّ بالنوابغ العظام . بالذين تفردوا ذكاءً وروحًا واخلاقًا فنظموا الشعر واشترعوا الشرائع ووضعوا التعاليم فكانوا اعلامًا يهتدي الناس بها . ولكن المعلمين منبهون مرشدون . والانبياء الى الطرق القويمة هادون . على ان « الانسان لم يُخلق ليقاد بالزمام » بل فطر على ان يهتدي بمصابيح العلم والحرية فالعلم ينير الحوادث ودلائلها والحرية تمكنهُ من الاستفادة بها فكرًا وعملاً

ان في كل قوم حكمة ولكل زمان سياسة وفي كل حال تدبيرًا يبطل الاخير منها السابق لها . ان تعاليم كنفوشيوس السياسية تغاير الشرائع الدستورية التي تأسست عليها اليوم جمهورية الصين . وفلسفة بوذا الاجتماعية لتقوض في ظل الاحكام الانكليزية

وفي الشرقيين من ادركوا هذا من عظم خلقهم وكبر قصدهم وبعدت همتهم . واننا لنرى شيئًا من هذا الادراك السامي حتى في المتفردين بالتوحش من الفاتحين . رجل رجلاهُ في الدم وفي رأسهِ شيءٌ من السماء نظر الى السماء وقال : اذا كان الله في كل مكان لِمَ لا نعبدهُ في اي مكان كان . ففي اشواك نفس جنكزخان الذي هدم الجوامع واعتنق الاسلام وردة جميلة من ورد الحقيقة السامية . وان كلمتهُ لتذكرني بما اخبرناهُ القديس اوغسطينوس عن العالم الوثني الشهير في زمان فكتورنيوس فانهُ اخبر احد اصحابهِ يومًا انهُ اهتدى الى الدين

المسيحي فقال صاحبهُ لا اصدق حتى اراك في الكنيسة · فقال فكتورنيوس وهل الجدران تجعل المرء مسيحيًا · الحقيقة تتجلى في الاحايين للبربري تجليها للفيلسوف

وانا لنجد في الشرق اليوم في اي مدينة كانت اناسًا تساموا عقلاً وخلقًا ولكن خاصة اخلاقهم لازمة غير متعدية

بين ان الغربيين اذا سمت اخلاقهم صحت منهم العزيمة وبعدُ القصد فيعملون بما اوتوا من المواهب لخير الناس · وانا لنرى هذا الفرق في حكمتنا وحكمتهم كما قلت · واز يدكم من ذلك مثالاً · جاء في بعض الكتب ان الرجل الفاضل الرشيد لا ينبغي ان يُرى الاَّ في مكانين اما مع الملوك مكرمًا واما مع النساك متعبداً · هذه حكمة الشرق · انما الفاضل الرشيد من لا يُرى لا مع الملوك مكرمًا ولا مع النساك متعبداً بل في معمعان الحياة عاملاً · هذه حكمة الغرب · فالزهد والانقطاع عن الدنيا كالاخلاد الى نعيم العيش كلاهما يورث الخمول والخبال · واذا سمت عواقبهُ فلا يربّي في صاحبهِ غير الفضائل السلبية · وها كم قصة تمثل ما اريد

التقيت مرة في الطريق على شاطىء البحر بدرويش اسمهُ الشيخ عبدالله وهو من السالكين طريقتهُ مولوية · فاخبرني انهُ وصل الى سوريا منذ خمسة عشر يومًا قادمًا من الحجاز ماشيًا وقضى في الطريق خمس عشرة سنة · واخبرني انهُ جاء سوريا ليزور فيها قبر احد الاولياء في نواحي طرابلس

« تركتَ ضياء الشمس يهديك نورها وتبعت في الظلماء لمحة بارقِ »

على انهُ بان لي بعد ان حدثتهُ في طريقتهِ واحوالهِ — ولي نزعة الى استطلاع اخبار هؤلاء الدراويش — ان الحاج عبدالله على شيء من العلم وانهُ في سلوكهِ وقنوتهِ لمن الصادقين · ولم يطلب مثل اكثر اخوانهِ صدقة لوجه الله · ولكنني عند مصافحتي اياهُ مودعًا وضعت في يدهِ قطعة من نحاس هذه الدولة فقبلها شاكراً · وسرت في طريقي اتأمل من جاء ماشيًا من الحجاز — وقضى خمس عشرة سنة في الطريق — ليزور قبر ولي من الاولياء

« أرسلت غربك تبغي الماء مجتهداً وما علا الغرب لما خانك المرس»

وكنت وصديق لي نقصد يومئذٍ عمشيت لنزور فيها قبر ولية من وليات البر والحجى هي هنريت رنان اخت الفيلسوف الافرنسي الشهير · فكنا والحاج عبدالله سويين من هذا القبيل لكلانا مزار تحركنا اليهِ عاطفة الورع والتقوى · ولكن هذا غير ما ابتغي من القصة · في اليوم الثاني ونحن عائدون الى بيروت — وكانت السماء يومئذٍ ماطرة — تراءى لنا خيال اسود على حجر الى جانب الطريق فاقتربنا منهُ واذا بهِ الحاج عبدالله يستريح تحت المطر من

عناء السفر — وهؤلاء الدراويش لا يخافون الزوابع والرياح — فحدثناهُ ثانية وقدم اليهِ رفيقي شيئاً من المال — وهذه النكتة — فرفضهُ قائلاً : « لم يزل معي والحمد لله مما تفضلتم بهِ البارحة » . القناعة كنز لا يفنى ولكنهُ كنز لا يعمّر البلاد

خُلق الحاج عبدالله ما يسمونهُ في لغة المتصوفين خلقاً عظيماً لانهُ اعرض عن العالم واقبل بكليتهِ على الله تعالى . ولا اظنكم تجهلون ما في هذه الطريقة طريقة السالكين والنساك من تعطيل الحواس الظاهرة والكفران بالذات . وان السالك ليقتل ارادتهُ ويخلد الى السكون الذي يولّد الخمول والكسل . وفي الهند عند البراهمة غرائب من اساليب الكسل والخمول . عقيدة البوذي مثل عقيدة المتصوفين في نتائجها وفي بعض اصولها . والغاية القصوى منها اتحاد المرء والمبدإ الاولي الدائم مبدإ اللاشيء اي العدم الازلي . فالبوذي يغمض طرفهُ ويقول : اني جزء من هذا اللاشيء الازلي لا نهاية لهُ . وفي قتلي الارادة واستئصالي الرغائب والآمال الدنيوية من صدري افوز على النفس فيتم اتحادي بالظلمة الازلية الابدية . وهي تدعى عندهم « نرڤانا » والمتصوف يدعوها جمع الجمع اي العزة الالهية واذا سئل البوذي ما هي « نرڤانا » . اجاب : اني حين اغمض طرفي واعود الى نفسي مردداً أُم أُم اظفر بها . أُم أُم ! — الله الله ! قد يُسعد النسك صاحبهُ ولكنهُ يخرب العالم

مثل هذه العقائد اصولها في اوحال العادات والخرافات وفروعها في سماء النظريات والاوهام لا تربي في المرء اخلاقاً سامية مجيدة . يتعدى خيرها ولا يلازم صاحبها وينحصر فيهِ . ومن سخيف تقاليدها مثلاً ما نراهُ متبعاً عن البراهمة فعلى البرهمي الاَّ ينظر الى الشمس عند شروقها وغروبها . ولا يطأ حبلاً رُبطت بهِ بقرة ولا ينظر الى امرأتهِ حين تأكل او تعطس او تتثاءب . ولا يلبس لطعام الظهر غير ثوب واحد . ولا يستحم عرياناً . وغيرها من آداب السلوك المستغربة المضحكة . حتى انهُ في ازالة الضرورة نراهُ مقيداً بخرافات بوذية . فقد حُظر على البرهمي ان يزيل ضرورة على الرماد او في حقل مفلوح او على ربوة خضراء او على وكر نمل ابيض . وغير هذه من الاوهام التي ينزلونها منزلة النواميس الطبيعية بل الالهية . وهم مع ذلك اصحاب تجلة وكرامة محترمون في قومهم مؤَلهون فلا غرو اذا كانوا متقاعدين متخاذلين خاملين لا يعملون عملاً مفيداً . الجلالة والوقار والكسل قلما ينفصل بعضها عن بعض . وكل امة يغلب في شعبها وهم الابَّهة والجلالة . تستنيم الى الضعة . ويخمل منها الحس . ويكثر فيها الكسل

هؤلاء نساك الروح رهبان الشرق براهمة ومتصوفون يهربون من الحياة ويزدرونها .

اما نسَّاك العقل فاليكم خبرهم . في المغرب اليوم عصبة الفلاسفة المتفردين الذين يعرفون الاحكام ولكنهم لا يقرونها ولا يتعرضون لها مباشرة . يعيشون في حقولهم بعيدين عن ضجيج المدن والناس مستقلين مطمئنين لا يتطلبون شهرة ولا مجداً . يعيشون على الفطرة الاولى من الوجهة الجسدية وعلى ارفع ما اتصلت اليهِ العلوم والحكمة من الوجهة العقلية والروحية والمعنوية . ترى احدهم بدوياً في غرائزهِ وطباعهِ حضرياً في مزاجهِ واخلاقهِ . اميراً وفلاحاً في وقت واحد . وكثيرون من هؤلاء في الولايات المتحدة في البر لا في المدن. يعيشون في عزلة عن الناس كل في دائرتهِ كالنجوم في حبكها وتشعُّ انفسهم اشعة الالفة الحقيقية التي تربط كل دائرة باختها . ولكل منهم مهنتان مهنة سماوية نسكية قوامها الآية : «على الارض السلام و بالناس المسرة» ومهنة دنيوية زراعية قوامها الفكر والعمل. فيحرث احدهم الارض ويربي المواشي «و يقطر عربة افكارهِ بالكواكب السيارة كما قال امرسون»

وقد زرت احد هؤلاء الكبار مرة في بيتهِ فلقيتهُ عند وصولي قدام باب الاصطبل حاملاً جراب قمح يطعم منهُ الدجاج . وبعد ايام دعيت الى مأدبة في المدينة جمعت من رجال العلم والادب اشهرهم هناك وكان صديقي هذا رئيسها وقطب دائرتها. فتأملوا هؤلاء النساك نساك العقل . نساك الفلسفة . لا يستنكفون عن العمل المفيد مهما كان زرياً ولا تأخذهم اوهام الابهة وخزعبلات الوقار والجلالة . وقد لا تعجبكم اخلاقهم او بالحري سلوكهم . فهم لا يحفلون بما لُقِناهُ في الشرق من المجاملة والمصانعة في الضيافة. ولا يحسنون من اللطف الشرقي الالف باء . ولكن صدقاً في اقوالهم . وحرية في اعمالهم . وجرأة في حريتهم . تقرّبهم الى الفطرة البشرية الاولى التي لا تعرف القهر والضغط فيسترسلون مع الطباع ولكنهم يستعملون في ذلك الفكرة والتمييز . والفطرة الاولى اقرب الى الخير على ما فيها من غلاظة وسماجة لبعدها عما ينطبع في نفوس اهل المدن من سوء الملكات وقبيح العادات وفاسد الاصطلاحات. وهذا ما يحمل ذوي الالباب والحصافة اليوم الى السكنى في القرى او التنسك في البرية

ذلك مبلغ نساك العلم والادب . وتلكم طريقتهم النسكية الفلسفية . ناسك الروح يعطل الحواس منهُ لوهم فيهِ ان ذلك يقرّبهُ من ربهِ . وناسك العقل يهذبها ويرعاها ابداً بالتربية ليقترب من نفسهِ فيعرفها . شعارهُ بساطة العيش مع سمو الادب. فيقرن لذة الحراثة بلذة التأمل ولذة التأمل بلذة العمل . ناسك الروح يبعد عن الناس ليقترب من الله . وناسك العقل يعتزل الناس ليقترب من الناس فيعيش طبق فلسفتهِ و بموجب علمهِ فيصير

اهلاً لان يخدم الناس وينفعهم . فما قولكم بالناسكين ناسكنا وناسكهم واي منهما اقرب الى الله

وهاكم مثالاً آخر من اخلاقنا الكريمة التي قلما تفيد . في لبنان يكثر الشحاذون ومنهم نساء من العرب يستعطين ليعيّشن اولادهن ورجالهن ! ومن هؤلاء البائسات بدويتان استوقفتاني يوماً فادهشني امرهما . بعد ان جاءتهما الخادمة بشيء من الدقيق جلستا على الدرج قدام الباب وفتحت كلٌّ جرابها . فاخذت البدوية الصغيرة واسمها حسنى تفرغ من جرابها الملآن في جراب رفيقتها الفارغ . فسألتها السبب في ذلك . فقالت : هي ضرتي ياسيدي ورجلنا يؤثرني عليها ويضربها ضرباً اليماً اذا عادت المساء وجرابها فارغ فاشاطرها ما معي لارد عنها الضرب . فعجبت لكرم اخلاقها ولكنني اسفت لما ربيتْ عليهِ من الذلة والاستكانة والاستسلام . فهي لا تستطيع ردع زوجها المتوحش الاَّ بهذه الحيلة الجميلة . ولو حاولت ردعهُ ساعة غيظهِ لضربها ايضاً . حبذا شهامة مقرونة بالقوة والعصيان . لحم الضبع يلزم لهُ اسنان الكلب . وانهُ ليحق لمثل هذه المرأة ان تهجر زوجها ولبارَكها الله لو فعلت

وهاكم قصة اخرى تمثل ما اريدهُ بالاخلاق اللازمة والمتعدية . مرَّ اعرابي بعجوز فطلب منها طعاماً . فجاءتهُ ببضع حيَّات مشوية وبكوز من الماء الملح فاستغرب ذلك وسألها السبب . فقالت هذا كل ما عندنا في هذا الوادي . فتعجب الاعرابي وسأل العجوز كيف تقيم هناك تأكل الحيات وتشرب الماء الملح . فقالت وكيف تكون بلادكم . فوصف لها بلاداً فيها دور رحبة واسعة وثمار يانعة لذيذة ومياه غزيرة عذبة . فقالت العجوز : وهل يكون لكم من سلطان يحكم عليكم ويجور في حكمهِ . فقال الاعرابي : قد يكون ذلك . فقالت آكلة الحيات : اذاً والله يكون ذلك الطعام اللطيف والعيش الظريف مع الجور والظلم سمَّاً ناقعاً وتعود اطعمتنا مع الامن درياقاً نافعاً . حكمة العجوز بليغة وجميل إباء نفسها . ولكن ذلك لا يردع السلطان عن غيهِ ولا يكبحهُ عن جورهِ وظلمهِ

اجل ان شهامة البدوية حسنى وقناعة الحاج عبد الله وعزة نفس العجوز آكلة الحيات لفضائل كلها جميلة ولكنها سلبية ملازمة . شريفة اخلاقهم روحية . ولكن شيئاً كهربائياً لينقصها . مثل هذه الاخلاق في الشرقي لا تؤهلهُ لمناهضة الظلم والظالمين لانها غير مقرونة بادراك النفس ما لها من الحقوق وما عليها . وقد يصح ان نقول ان في مثل هذه الاخلاق الشريفة نوراً وليس فيها دم . الشرقي يهرب من الظلم معتصماً بالله — « لا تجعل سلاحك على من ظلمك الدعاء عليهِ ولكن الثقة بالله » . فالهرب الى البرية من الظالم جبانة .

والهرب الى الله من الحياة كفران بالحياة و بباريها . نفس الحاج عبد الله جميلة ولكنها ضالة . ونفس العجوز أبية ولكنها مستسلمة . ونفس حسنى البدوية كريمة ولكنها خامدة خاملة . فحيلتها لا تزيل شراسة الخلق في زوجها . وكان ينبغي لها ان تنفق وضربتها لتهجرا مثل هذا البربري . فان خفاشاً في كهف لخير منهُ

اقول وحقًّا ما اقول ان الشرقي يظل شرقيًّا قاعد الهمة . عاجز الرأي . خامد الطباع . متخاذلاً مستسلماً . قانعاً من زمانهِ بالضعة والذل . اذا كان لا ينفض عن نفسهِ غبار السنين من الكسل والخمول ولا يكسّر قيوداً من التقاليد والخرافات والعادات قيدت منهُ العقل والنفس والجسد

الانسان الذي خلقهُ الله على صورتهِ تعالى ومثالهِ اذا تقيد في كل اعمالهِ واقوالهِ وافكارهِ لا يبقى فيهِ شيء من صنعة الله حر جميل . الفكر انهضوا بهِ من قبور التقاليد . النفس حرروها من خزعبلات الاوهام . الجامعة ارفعوها على الحكومة والحكام . الاخلاق روضوها للعمل المفيد . ان اخلاقنا الروحية لرأسُ مال كبير في حياتنا الجديدة . علينا اذاً ان نستخدمهُ لخيرنا وخير الشرق بل لخير الناس اجمعين . وان من لا يرجو من هذه الحياة خيراً لهو غالباً ممن لا يستأهلون الخير ولا ينالونهُ . كلمات اليأس لا يزيل تردادُها اليأس . التأوه والانين لا يصلحان الشؤون بل يوهنان القوى و يورثان الخبال . لنعوّدْ انفسنا ترداد كلمات الامل والرجاء . فانها وان كانت مبنية على وهم مستحب او فكرة طائشة لتعودنا في الاقل العمل . وتوقظ فينا النشاط . وتشحذ منا الارادة . ان املاً اردده في نفسي كل يوم لا يلبث ان يملكها فيدفعني الى العمل لتحقيقهِ . المريض لا يشفيهِ الانين . والشقوة لا يزيلها الاستسلام الى الاقدار . لنبرهن خطتنا في امور الدنيا والآخرة على عقلنا . ولنبرهن قوتنا على خطتنا . ولنبرهن اعمالنا على هذه القوة فينا . وحبذا الشرقيون والغربيون لو اخذ بعضهم عن بعض مما هو جميل في اديانهم صحيح في آدابهم . سامٍ في فنونهم . سليم في عاداتهم . سديد في عقائدهم . عادل في احكامهم وشرائعهم . فالحق يقال ان خلاصة آداب الشرق والغرب بل خير ما في الاثنين ممزوجاً موحداً انما هو الدواء الوحيد لامراض هذا الزمان الاجتماعية والدينية . فالغربي عندئذٍ يعود الى الله والشرقي يرفع عنهُ بعض اثقالهِ

امين الريحاني

اصول التعليم الحديث

الدور السيكولوجي

هذا الدور ممتزج امتزاجاً كلياً بالدور الفسيولوجي والقلمي حتى ان الانسان قلما يستطيع ان يميز بينهما · ولقد نشأت هذه الادوار كلها من الدور الطبيعي كما تقدم القول · على ان الفرق بين هذه الادوار يدرك بدرس خصائص كل دور على حدة ولذلك فاننا نستطيع ان نجمع خصائص الدور السيكولوجي بما يأتي —

كان هم هذا الدور ان يرقي مبادئ الدور الطبيعي ولذلك جعل قواعده الاولية

(اولاً) ان التعليم ليس هو التقدم الخارجي القائم بمعرفة اللغات والانشاء معرفة سطحية بل هو اظهار القوى المغروسة في الطبيعة الانسانية · فعمل الدور السيكولوجي اذاً ان يضع هذه الافكار في صور عملية ويدخلها الى المدارس فعلاً

(ثانياً) الاجتهاد في التوفيق بين التعليم القديم اي التعليم بالكد والسعي وبين التعليم الجديد اي التعليم لاجل المنفعة

(ثالثاً) ان التعليم يجب ان يكون اساسهُ ترقية قوى الانسان بواسطة الملاحظة والاختبار

(رابعاً) السعي لاصلاح طرق التعليم في المدرسة وتهذيب المعلم ليتسنى لهُ ان يقوم بوظيفتهِ حق القيام

(خامساً) الشفقة على التلميذ ومراعاة اقتدارهِ العقلي ومنفعتهِ الخاصة

(سادساً) الاهتمام بالتعليم الابتدائي الامر الذي لم يفطن لهُ المصلحون الاولون حتى كومينيوس نفسهُ

(سابعاً) القصد من التعليم ارتقاء الفرد ولذلك قال بستالوتسي كلمتهُ المشهورة « ان التعليم هو ارتقاء جميع قوى الانسان على السواء »

(ثامناً) ما دام القصد من التعليم ارتقاء الفرد فينتج من ذلك اذاً ان كل فرد في العالم يجب ان يرتقي بحسب اقتدارهِ العقلي واستعدادهِ الطبيعي

ولقد كان للدور السيكولوجي وجهتان الاولى عملية وقوادها بستالوتسي وهربرت

وفربيل والثانية منطقية وقوادها كنت وفكتي وشلنك وهكل . ونحن انما نبحث هنا في الوجهة العملية لا غير

لا ريب انهُ من الخطإ ان ننسب الى بستالوتسي كل الاصلاح التعليمي الذي حدث في القرن التاسع عشر. لان بستالوتسي لم يكن سوى موفق بين اراء روسو وجامع بين تعليميهِ الايجابي والسلبي كما تقدمت الاشارة اليهِ . زد على ذلك ان كل المبادئ والتمارين والتعاليم المنسوبة اليهِ انما قام بها تلامذتهُ بعد ان اخذها هربرت وفربيل وزادا عليها لتعمقهما في الفلسفة ولتوسعهما في العلوم . فبنيا على اساسهِ بناء ثابتاً لم يستطع بستالوتسي نفسهُ ان يقوم بهِ . فتعاليم بستالوتسي اذاً لم تكن كاملة بل كانت الجرثومة التي بُني عليها الاصلاح الحديث . ولذلك يجدر بنا ان ندرس حياة هذا المصلح العظيم لنستطيع ان نفهم المبادئ الاصلاحية التي قام بها

هنري بستالوتسي (١٧٤٦ — ١٨٢٦)

شغف هذا الرجل منذ حداثتهِ بالتعاليم التي وضعها روسو في كتابهِ « اميل » وصار ميالاً الى الثورة بكل قواهُ . وبعد ان كان عاقداً نيتهُ ان يُسامَ قسيساً ترك ذلك واشتغل بالفلاحة حسب الطرق الزراعية الحديثة . ولما لم ينجح في عملهِ حوَّل مدرستهُ التي كان قد فتحها قبل ذلك الى مدرسة للاولاد المتشردين . وقادهُ عقلهُ في تعليم ابنهِ الى المساوئ والمحاسن التي وضعها روسو في كتابهِ « اميل » المار ذكرهُ . ومن هنا ابتدأ عملهُ العظيم . وكان اول شيء عملهُ انهُ وضع كتاباً سماهُ « جورنال الاب » اودع فيهِ كل اختباراتهِ في تعليم ابنهِ

ومن سنة ١٧٧٥ — ١٧٨٠ شاد مدرسة لتعليم الفقراء وادخل اليها بعض الصنائع ايضاً كغزل القطن وحياكتهِ وقد ذكر ان العلم والصناعة يجب ان يسيرا جنباً الى جنب ولكن لما لم يكن في استطاعتهِ ان يقوم بذلك اخفق مسعاهُ وذهب مشروعهُ ادراج الرياح

ومن سنة ١٧٨٠ — ١٧٩٨ اكبَّ على الكتابة والتأليف لانهُ كان متشرباً محبة الثورة وكان الفكر الاساسي الذي دارت عليهِ كتاباتهُ « ان الاصلاح الاجتماعي والسياسي يقوم بالتعليم الذي يصلح الفرد ادبياً وعقلياً » . وكان اهم كتبهِ رواية « ليونارد وغرترود » . وقد قصد في هذه الرواية ان يصور حياة القرويين البسيطة والتغيير العظيم الذي استطاعت غرترود المرأة الجاهلة البسيطة ان تحدثهُ في القرية . فانها باجتهادها وثباتها وصبرها في تهذيب اولادها قدرت ان تنقذ زوجها ليونارد من الكسل والسكر . وقد كان

لهذه الرواية دويٌّ عظيم في القرى المجاورة فاثرت في اخلاق السكان تأثيراً كبيراً واحدثت اصلاحات شتى في كثير من القرى . وصار الكل يرون ان للولد حقًّا على الوالد فهو مسؤُول عن تربيتهِ وتعليمهِ وتهذيبهِ . وفي سنة ١٧٩٨ طرأ على بستالوتسي تغير عظيم فانهُ رأى ان اصلاح الهيئة الحقيقي انما يقوم باظهار نقائصها بطريقة عملية فاخذ على نفسهِ امر التعليم . فهذا الرجل الذي لم يمارس هذه المهنة حتى بلغ الخمسين من العمر والذي خاب في كل عمل قام بهِ قبل ذلك الوقت صار لهُ من السلطة ما لم يكن يحلم بهِ اعظم مصلح في القرن التاسع عشر . والسبب في ذلك ان آراءهُ وافكارهُ كانت كلها نتيجة اختبارهِ .

كان بستالوتسي معلماً في قرية من قرى سويسرا تدعى ستانز وكانت مدرستهُ تجمع عدداً كبيراً من الايتام الذين قتل اباؤُهم في الحرب . فبين هؤُلاء الايتام القيت بزرة الاصلاح الاولى ومنهم خرجت ونمت . ودُعي في السنة التالية ليكون مساعداً في قرية بركدورف فوضع هنا اساس «علم الاشياء» قصد بهِ تثقيف العقل لا معرفة الشيء لذاتها . كما قال كوميفيوس وغيرهُ من المصلحين . ثم اخذت الحكومة مدرستهُ على نفقتها فتسنى لهُ ان يختبر اساليب التعليم مدة اربع سنوات متتابعة مع المعلمين ومع التلامذة

وكان عمل بستالوتسي الاعظم ان يبين اساس التعليم الابتدائي اي ما هي المعرفة اللازمة للولد وكيف يجب على الولد ان يتعلم وما هي الاساليب اللازمة لذلك . فلذلك وضع سنة ١٨٠١ كتابهُ «كيف علمت غرترود اولادها» جواباً عن المسائل المار ذكرها . ولم يمضِ على تلك المدرسة مدة حتى اقفلت بسبب الاختلافات التي وقعت بين مديريها ومعلميها . فاضطر بستالوتسي ان ينتقل الى ايفردن حيث تابع اختباراتهِ

التأثير الذي نتج عن تعاليم بستالوتسي

وضع بستالوتسي امامهُ غاية واحدة فوجه اليها كل قواه وهي ان القصد من التعليم هو اصلاح الهيئة الاجتماعية وهذا الاصلاح يجب ان يتناول كل فرد من افراد الهيئة ليس من الوجهة الدينية بل من الوجهة الاجتماعية لان لكل فرد مهما كان فقيراً حقًّا في ان يهذب نفسهُ ويرقي مداركهُ على قدر ما يستطيع . ولقد ذكر في كتابهِ «كيف تعلم غرترود» ما يأتي .

«ان اوربا باتباعها اساليب التعاليم الشائعة فيها الآن قد وقعت في خطاء عظيم لا بل قد اوشكت ان تجني على نفسها . فهي من الجهة الواحدة قد وصلت الى اسمى درجة من العلوم والصنائع ولكنها من الجهة الاخرى قد فقدت اساس التعليم الطبيعي القائل بتعليم جميع الناس على السواء»

« ولست ارى قسماً من العالم ارتفع الى هذه الدرجة وسقط هذا السقوط الهائل كاوربا فقارنتا والحالة هذه تشبه تلك الصورة التي مثلها لنا الانبياء رأسها من ذهب ولكن القوائم التي يقوم هذا الرأس عليها من الخزف . فاوربا بتعاليمها هذه قد جردت الشعب من المحبة والحكمة والعواطف وقوّت فيهِ عدم المحبة والايمان والاوهام والخرافات والطريقة التي اراها لسد هذا الخلل هي ان نترك التعليم السطحي ونجتهد في ترقية التعليم العقلي ومصدر المعرفة الحقيقية »

اما معنى التهذيب الجديد فقد شرحهُ بما يأتي

« التعليم الصحيح يشبه شجرة مغروسة عند مجاري المياه والبذرة الصغيرة التي تحتوي على كل خصائص الشجرة مخبوءة في التربة . والرجل اشبه بتلك الشجرة فاننا نرى في الولد تلك القوى المستورة التي تظهر في حياتهِ . . . . . تهذيب الانسان نتيجة ادبية لاغير »

فالتعليم عندهُ هو اظهار كل قوى الانسان اظهاراً طبيعيًّا متناسقاً متتابعاً

نظر بستالوتسي فرأى ان في كل فرد بزوراً من القوى العقلية يستطيع ان ينميها ويرقيها اذا وجد من يهتم بهِ ويأخذ بيدهِ . وان التعليم في ذلك الوقت كان مقتصراً على تلقين الولد بعض الصور والتراكيب الصرفية والنحوية وبعض القطع الانشائية واللغات الميتة وقليل من الرياضيات فقال يجب ان يتناول التعليم شيئاً اعظم من ذلك اي اظهار القوى الكامنة في الانسان وتهذيبها لكي تكون صالحة للعمل بنفسها

ولكي نفهم حالة التعليم في زمن بستالوتسي علينا ان ننظر الى المعلمين في ذلك الوقت فقد كان بعضهم من العساكر الذين اصابتهم بعض العاهات في الحروب ومن الارامل وحراس القرى وصناع القرميد وامثالهم من الذين لم تكن مهنهم تقوم بمعيشتهم فاتخذوا التعليم واسطة للمعيشة لا لتقدم الامة وارتقائها . ولقد شرح دسترورك الطريقة التي كان المعلمون يتبعونها في مدارسهم بما يأتي

« كان كل ولد من الاولاد يقرأ وحدهُ اذ لم تكن الطريقة التي يتعلم بها جميع التلاميذ في وقت واحد معروفة حينئذٍ فكان كل تلميذ يأتي الى حيث يجلس المعلم فيلقنهُ المعلم حرفاً ويعيدهُ التلميذ من بعدهِ وهو لا يزال يكررهُ حتى ينطبع في ذاكرتهِ ثم يأخذ المعلم كلمة ويبتدىء يلقن التلميذ حروفها حرفاً حرفاً الى ان يتعلمها . هذه هي الواسطة التي كان يتعلم بها اولاد المدارس القراءة ولا يخفى ما فيها من المشقة والصعوبة وطول المدة التي كان يحتاج اليها التلميذ ليتعلم قراءة خالية من كل معنى . وكان التلاميذ يستظهرون آيات كثيرة من الكتاب المقدس حتى انهم كانوا يستطيعون ان يتلوا المزامير كلها غيباً في نغمة واحدة وعلى نسق واحد مما دلَّ

على انهم لم يكونوا يفهمون شيئاً مما يسردونهُ وقس على ذلك الاسئلة والاجوبة ولهذا فقد كان التلميذ يخرج من المدرسة وهو لا يكاد يفهم شيئاً مما قرأهُ . هكذا كانت مدارسنا في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر »

فالعمل الذي قام بهِ بستالوتسي عظيم جدًّا ولم يكن لينجح لولا انهُ مارس مهنة التعليم بنفسهِ وتوسل الى الاسلوب الصحيح القائم بتحليل كل شيءٍ الى ابسط حالاتهِ وغرس معناهُ الحقيقي في ذهن التلميذ بواسطة الملاحظة والاختبار والتجربة

ولقد جمع مورف احد تلامذة بستالوتسي مبادىء التعاليم البستالوتسية بما يأتي

(١) الملاحظة هي اساس التعليم (٢) اللغة يجب ان تقترن بالملاحظة (٣) وقت التعلم ليس وقت الانتقاد والقصاص (٤) يجب ان يبتدىء التعليم في كل فرع من ابسط حالاتهِ الى ان يصل الى اصعبها (٥) لا يجوز للعلم ان ينتقل من موضوع الى آخر قبل ان يفهمهُ التلميذ حق الفهم (٦) غاية التعليم هي الارتقاء العقلي لاعرض العقائد الدينية (٧) يجب أن يحترم المعلم شخصية التلميذ (٨) يجب ان تكون نتيجة التعليم اظهار قوى الانسان لا وضع قوى فيهِ (٩) القوة يجب ان تقترن بالمعرفة والذكاء بالتعلم (١٠) يجب ان تكون المحبة اساس العلاقة بين المعلم وتلميذهِ (١١) غاية التعليم العظيمة يجب ان تكون التهذيب

هذه هي القوانين التي اتبعها بستالوتسي في مدرستهِ فاقبل التلامذة عليهِ ايّ اقبال واشتهر اسمهُ في كل الاقطار ولهذا نعتهُ الجميع « بالاب بستالوتسي » لما طبع عليهِ من الحنو والشفقة والمحبة لجميع تلاميذهِ على السواء .

الطريقة الهربرتية

بنى هربرت تعاليمهُ على تعاليم بستالوتسي غير انهُ خالفهُ في الامور التالية

(١) كانت غاية بستالوتسي العظمى ان يهذب القوى العقلية في التلميذ ولكنهُ لم يُظهر كيف يحدث هذا الترقي العقلي فبيَّن هربرت ان الترقي العقلي يقوم بما يدعونهُ « العمل الادراكي » (٢) اظهر بستالوتسي ان اهم الدروس المدرسية يجب ان يكون « درس العالم الطبيعي » (الطبيعيات) واما هربرت فقال ان اهم الدروس يجب ان يكون « درس العالم الادبي » (الادبيات)

بعد ان تهدم منهُ جانب كبير ثم احاطوهُ بسور على شكل الزريبة او الصيرة مما اعتادوا ان يروه في معيشتهم الرعائية

(٣) جعل بستالوتسي الاهمية الكبرى لدرس الجغرافية والحساب ودروس الطبيعة واما هربرت فجعلها للغات والادب والتاريخ

(٤) اعلن بستالوتسي ان قصدهُ هو التعليم السيكولوجي ولكنهُ رفض الفلسفة العقلية القديمة ولم يذكر اسلوبًا اخر عوضًا عنها . وبالجملة فان هربرت رقّى تعاليم بستالوتسي و بناها على المنطق والفلسفة الامر الذي لم يهتم لهُ بستالوتسي

بولس شحاده

الآثار المصرية

مقبرة طرخان

اصدرت المدرسة الانكليزية التي تبحث عن الآثار المصرية تقريرها السنوي وفيهِ ذكر الآثار التي اكتشفت سنة ١٩١٢ . واهمها مقبرة على ٣٥ ميلاً الى الجنوب من القاهرة وفيها من الآثار ما يرجع عهدهُ الى ايام الدول الاربع الاولى وآخر دولة سبقتها في مصر وعُثر فيها على نحو ٦٠٠ قبر تشغل مساحة كبيرة في الصحراء ما عدا القبور التي اخربت قديمًا وهي تزيد على هذه عدًّا . وتعرف هذه المقبرة بمقبرة طرخان وهو اسم القرية المجاورة لها وتعد من اهم المكتشفات التي يرجع عهدها الى اوائل عصر التاريخ . وليس الى الشمال منها في جميع مصر آثار تحاكيها في القدم

وعرف عصر هذه المقبرة ومبلغ قدمها من شقف الخزف التي وجدت فيها فقد وجد في بعض القبور شقف من عهد ملكٍ حكم قبل مينا وفي آخر شقف اخرى من عهد نارمرمينا . وكبر هذه المقبرة وقدمها يدلان على انهُ كان في تلك الجهة مدينة كبيرة قديمة في نواحي القرية المعروفة بكفر عمار . وقد قامت هذه المدينة قبل مدينة منف وقبل عهد الملك مينا بقرون قليلة . ويظن انها بنيت اولاً لتكون قاعدة الملك في الوجه البحري قبل مدينة منف ثم عدل عنها في العصر الذي ابتدأ فيهِ بناء الاهرام . وفي هذه الآثار دليل على ان ملوك ابيدوس بسطوا سلطانهم على تلك الجهات . ومن القبور ما يرجع عهدهُ الى عصر الدولة السادسة والدولة الحادية عشرة والدولة الثانية عشرة . ويظهر ان تلك البقعة هجرت واوحشت من السكان بعد ذلك حتى عصر الدولة الثالثة والعشرين

ومن اغرب الاثار التي وجدت في هذه المقبرة قطع من الخشب والثياب القديمة التي لم تبلَ على كرور الايام . فقد وجدت قطع من نسيج الكتان لاتزال على جدتها ولونها كانها لم

تنزع من نول الحائك الآ بالامس . ولا يزال كثير من التوابيت متماسك الاجزاء وهي مصنوعة من خشب السنط . وترى العوارض في سقف القبر والاعمدة التي تدعمها باقية في مكانها الذي وضعت فيهِ

ولا اثر لمساكن الناس في تلك البقعة كلها لكن اتضح ان بعض التوابيت مصنوع من الواح الخشب التي كانت البيوت مبنية بها . وهذا يؤيد رأي الاستاذ بيتري ان الناس كانوا اولاً يبنون بيوتهم بالواح الخشب ثم استعاضوا عنها بمواد اخرى للبناء لكنهم بقوا ينقشونها من الخارج و يقطعونها على هيئة الالواح . وعلى اطراف الالواح التي وجدت ثقوب لكي يمكن شد بعضها الى بعض وقد عمل الفناء في بعض تلك الالواح من الوجه الواحد والنار من الوجه الآخر وهذا يبعث على الظن ان البيت الذي اخذت منهُ احرق اولاً ثم صنعت التوابيت من اخشابهِ

وعثر على توابيت كثيرة محبوكة من العيدان والقصب كما تحبك السلال ومنها واحد صبر على غيَر الدهر ولم يصب باذًى ولا ضرر حتى ان البراعم لا تزال على عيدانهِ . وقد نقل الى القاهرة على الاكف لئلاَّ يصيبهُ ضرر في الطريق . وعثر ايضاً على اطباق ونعوش مصنوعة من الخشب و يختلف بعضها عن بعض في الشكل ولا يزال اكثرها سليماً لم يفقد شيئاً من متانتهِ . وتقوم النعوش على ارجل تنتهي في الغالب بما يشبه ارجل الثيران في اسفلها . واتصال الجوانب بعضها ببعض على الزوايا يختلف في البعض منها عمَّا هو في البعض الآخر حتى ان منهُ خمسة او ستة انواع . وحتى الآن لم يعثر على شيء مثل هذا لا في قبور الملوك ولا في المدافن الاخرى

ومما عثر عليهِ ايضاً كثير من قطع الخزف ونحو ثلاثمئة من الصحون والآنية الرخامية وكاس عليها صورة الاله فتاح وهي اول صورة لهُ عثر عليها . ووجد قليل من الادوات النحاسية رغماً عن ان القبور نبشت مراراً في الازمان الغابرة لاستخراج ما فيها من الجواهر . و يظهر على احدى الجرار رسم الحيوان المعروف بالزيبرا ومقدمهُ ومؤخرهُ ظاهران جليًّا . وكشفت قطع موسومة بخاتم الملك نارمرمينا وخاتمهِ على هذه القطع اربعة اشكال لم نعرف من قبل فالاول يحتوي على اسمهِ كاملاً هكذا نارمرزا والثاني خاتم مزارع النخيل والثالث خاتم حديقة الزهور والرابع خاتم الفيوم العظيم وفيهِ صورة التمساح المقدس وصفوف من التماسيح في ماء البحيرة المتموج

ومن تلك الآثار مغرفة من العاج تشبهُ حوضاً في شكلها وعليها صفوف من الحيوانات

على كل جانب واخرى مثلها لها مسكة متعرجة بشكل الصل الملتوي . وقد ثبت ان عبادة الجعل كانت شائعة في ذلك العصر من علبة صغيرة على هيئة الجعل ولا يزال غطاؤها في مكانهِ يمسكهُ الخيط الذي كانت تعلَّق بهِ . ومن تلك الآثار ايضاً ما هو احدث عهداً من هذه كلها ولا يقل عنها اهمية فقد عثر في قبر روماني هناك على خاتم كبير وعقد من الذهب

وقد قام على الحفر الاستاذ بيتري والمستر الفرسون وتلامذة المدرسة الاثرية المستر مكي والمستر وينريط والمستر انجلباخ . وانضم اليهم مدة المستر لورنس من الباحثين في كركميش وكانت مسز بيتري ترسم صور الآثار بيدها

في منف وهليو بوليس

مضى على المدرسة اربع سنوات وهي تتابع الحفر في موقع مدينة منف وقد بدأت السنة الماضية في الحفر في موقع هليو بوليس القديمة — ويتعذر الحفر في هذين المكانين الاَّ بعد ان يقل الماء في النيل

وعثر المستر مكي في منف على تمثال من الرخام على شكل ابي الهول وهو سليم ولولا بعض التشقق بعوامل الطبيعة لكان وجههُ تام الاجزاء ظاهر الملامح مثلما كان يوم نصبهِ . وهو اكبر تمثال من نوعه طولهُ ٢٦ قدماً وعلوهُ ١٤ قدماً ووزنهُ ٨٠ طناً . وليس عليهِ اسم انما يرجح انهُ من عصر الدولة الثالثة عشرة او الدولة التاسعة عشرة اي انهُ نصب نحو سنة ١٣٠٠ قبل الميلاد . وكان لما كشف عنهُ ملقى على احد جانبيهِ بين التمثالين الكبيرين ويظهر انهُ بقي في ذلك المكان مدة طويلة . وسينصب ثانية فتجتليهِ انظار المتفرجين كما تجتلي غيرهُ من آثار منف البديعة

ووجد عند الباب الشمالي من هيكل فتاح تمثال آخر يشبههُ وهو من الصخر المحبب الاحمر ويزيد طولهُ على ١١ قدماً وعلوهُ على ٧ اقدام وعليهِ كتابة لرعمسيس الثاني . وقد امحى وجههُ فلا يظهر منهُ شيء ولا يزال سائرهُ سليماً . وبالقرب منهُ تمثال الاله فتاح وتمثال رعمسيس الثاني محفوران في الصخر المحبب وهما منتصبان ووجهاهما كاملان لم يتغير فيهما شيء انما عملت الفئرَ عملها باقسامها السفلى . ونقشها متقن ويعدان من احسن ما صنع في عهدهما وعلى هامة كل منهما اكليل كبير من الريش وحجمهما يقارب حجم الانسان الطبيعي . وسيرسلان الى متحف في كارلسبرج في كوبنهاغن ببلاد الدنمارك لان ذلك المتحف يقوم بنفقات الحفر وثقلها لا يزيد على ٩ طنات . وكان على مقربة منهما تمثال كاتب تغطيهِ الكتابة ولكنهُ بدون راس . وكشف في ذلك المكان ايضاً اي عند الباب الشمالي عن

عتبة قديمة مطمورة في الردم من ايام امنمهات الثالث فاستدل من ذلك على ان امنمهات بنى ذلك الباب وهذا يؤيد قول هيرودوتس فانهُ ذكر ان باني الباب الشمالي هو مويرس وهو الاسم الذي اطلقهُ اليونان على هذا الملك · واتضح من ذلك ان هيرودوتس اعتمد في رواياتهِ على مصادر يوثق بها فانهُ اصاب ايضاً في نسبتهِ اقامة التمثالين الكبيرين والرواق الجنوبي الى رعمسيس

اكتشافات هليو بوليس

قام الاستاذ بيتري والمستر انجلباخ بكشف اولي في موقع هليو بوليس استعداداً للحفر في المستقبل وقد ثبت لهما ان المكان خلا من السكان بعد الفتح الفارسي سنة ٥٢٥ ميلادية · ويرجع عهد الآثار في الطبقات العليا الى القرن السادس قبل الميلاد كما استدل من قطع الخزف · اما الآثار من عهد البطالسة والرومان والعرب فتكاد تكون معدومة · ويظهر ان هليو بوليس كانت سدًّا في وجوه الفاتحين الشرقيين في طريقهم الى منف فرأى الفرس ان يخربوها ويتخلصوا منها

وكان طول حرم المعبد ثلاثة ارباع الميل ويحيط بها سوران ضخمان اقيما في عهد الدولة التاسعة عشرة ويبلغ ثخن كلٍّ منهما ٤٠ الى ٥٠ قدماً ويمكن تتبعهما من جميع الجهات · وعلى الزاوية الغربية الشمالية طابية ضخمة من اللبن لكن المقبرة التي هناك واستعمال الارض في الزراعة حالا دون اكمال البحث عنها · واعجب اثر اكتشف هناك طابية تشبه الطابية التي اكتشفها الاستاذ بيتري في تل اليهودية سنة ١٩٠٦ ونسبها الى ملوك الرعاة وهي مثلها في الشكل والحجم وضخامة الجدران قطرها نحو ١٣٠٠ قدم · وليس لها باب والبقية الباقية من الجدار في الجهة المقابلة للمسلة تعلو ١٢ قدماً عن مساواة قاعدة المسلة

آثار الرعاة

يحول استعمال الارض للزراعة دون تتبع الطريق التي كانت ترتفع تدريجًا الى ان تعلو السور في اليهودية وقد وجد تحتهُ قطعة كبيرة من الصخر عليها نقوش تبين انها اخذت من انقاض معبد فظهر من ذلك ان هذه القلعة اقيمت بعد عهد المملكة القديمة · والسور الذي بني في ايام الدولة التاسعة عشرة يحاذي جدران هذه الطابية · ومن هذا يستدل انها بنيت بين عهد الدولة السادسة والدولة الثامنة عشرة · وليس في جميع آثار المصريين والطوابي التي اقاموها شيء يشبهها فلذلك وجب ان تكون اقيمت على عهد الرعاة او عهد الغزاة البرابرة قبلهم · ولا يبعد ان يكون الرعاة حلوا في المعبد الذي بني في ايام الدولة الثانية عشرة بعد ان تهدَّم جانب كبير منهُ ثم احاطوهُ بسور على شكل الزريبة او الصيرة مما اعتادوا ان يروهُ في معيشتهم الرعائية

واستوُجر حقل بالقرب من المسلة وحفر فيهِ الى الطبقة الرملية واهم الآثار التي اكتشفت هناك بقايا مسلة نصبها تحتمس الثالث ثم غيَّر رعمسيس الثاني الكتابة التي تغطيها . واكتشف ايضاً باب الهيكل الشرقي وكتابات من ايام عشرة ملوك مختلفين وهذه اول مرة حفر فيها في هليو بوليس ولا شك انهُ اذا توبع الحفر فيها تكتشف آثار مهمة كثيرة

المجاعات في الهند (١)

لا ينكر احدٌ ان اسعار المآكل في العالم قد ارتفعت ارتفاعاً كبيراً وقد تناول العلماء المفكرون اسباب هذا الغلاء فلم يصلوا الى حقيقة يُقطع بها بل لكلٍ منهم آراء ومذاهب تختلف باختلاف العوامل والاحوال . اما كلامي هذه الليلة عن الهند فليس من قبيل تدبر الاسباب التي ترفع اسعار المآكل بل البحث عن اسباب المجاعات التي تنتاب البلاد الهندية من حين الى آخر فتجهز على الالوف وتترك بعض الاماكن فيها خراباً يباباً

وتاريخ المجاعات في العالم قديمٌ جدًّا وقلما خلت منهُ امةٌ شرقية كانت او غربية وذلك لاسباب عديدة منها ان معرفة الانسان بالانتفاع من الطبيعة كانت قاصرة جدًّا ووسائل النقل معدومة حتى ان انكلترا التي تتقلب الآن في النعيم والرفاه كانت مهد المجاعات والامراض والمصائب . وقد اجتاحتها المجاعات مراراً عديدة كما يظهر في البيان التالي

القرن الحادي عشر	حدث فيهِ	مجاعتان
« الثاني عشر	١٥	مجاعة
« الثالث عشر	١٣	«
« الرابع عشر	١٦	«
« الخامس عشر	٩	مجاعات
« السادس عشر	١٥	مجاعة
« السابع عشر	٦	مجاعات
« الثامن عشر	٧	«
« التاسع عشر		ضائقتان

وكانت المجاعات فيها هائلة وعمومية حتى ان الاهالي اضطروا الى اكل لحم الخيل

(١) خطبة القيت في جمعية حلقة الادباء في المدرسة الكلية في ٦ شباط

والكلاب والفيران والقطط والانسان ٠وكانت جثث الموتى تشاهد في البيوت وفي الشوارع وفي الحقول حتى تعذَّر على الاحياء دفن الموتى وقد حدث مثل هذه المجاعات في مصر وما بين النهرين وفي الهند وغيرها

وبعد هذه التوطئة ارجع الى الكلام عن المجاعات في الهند واليك تاريخها قبل الحكم الانكليزي

في القرن الحادي عشر	مجاعتان
« « الثالث «	مجاعة واحدة
« « الرابع «	ثلاث مجاعات
« « الخامس «	مجاعتان
« « السادس «	ثلاث مجاعات
« « السابع «	حتى سنة ١٧٤٥ اربع مجاعات

اما تحت الحكم الانكليزي فحدث في القرن الثامن عشر من سنة ١٧٦٩ الى سنة ١٨٠٠ سبع مجاعات وفي القرن التاسع عشر ٣١ مجاعة

وهذه المجاعات كانت مخيفة وخصوصاً ما حدث منها في القرن التاسع عشر ففي الربع الاول منهُ حدث ٥ مجاعات مات بها مليون نفس وفي الربع الثاني خمسمئة الف وفي الربع الثالث حدث ست مجاعات مات بها خمسة ملايين من النفوس وفي الربع الاخير حدث ثماني عشرة مجاعة مات بها ٢٦ مليونًا

واصحاب الخبرة والرأي يقولون ان اسباب كثرة المجاعات في الزمن الاخير ثلاثة — كثرة السكان وقلة المطر وقلة الحبوب فلنبحث عن السبب الاول وهو كثرة السكان فنقول

مساحة الهند بالنسبة الى المسكونة ١/٥٠ يعيش فيها ١/٥ الجنس البشري وبعض الاماكن فيها مزدحم بالسكان ازدحاماً كثيراً لكن البلاد ليست اكثر ازدحاماً من غيرها كما ترى من الجدول التالي وقد ذكر فيهِ عدد السكان بالنسبة الى الميل المربع في كل من البلدان التالية

في بلجكا	٥٨٩	في ايطاليا	٢٩٣٫٤٧
في هولندا	٤٥٤	في المانيا	٢٩٠٫٤
في انكلترا وويلس	٤٠٥٫٦	في الصين	٢٦٦
في اليابان	٣١٧	في الهند	٢١١

فان كان ازدحام السكان هو السبب في المجاعات وجب ان تكون المجاعات في بلجكا

وهولاندا وانكلترا والمانيا اكثر منها في الهند لانها اقل منها سكاناً والقسم المزدحم منها هو بنغالا والمجاعات لا تنتابهُ الاَّ قليلاً

فالسبب في كثرة المجاعات ليس اذاً ازدحام السكان — فهل هو قلة المطر ؟ إن كثيرين من العلماء يقولون بهذا الرأي ومنذ عهد قريب القى اللورد مورلي خطاباً في انكلترا اشار فيهِ الى ان السبب الاكبر في مجاعات الهند قلة المطر فاذا اجتاحت البلاد المجاعات فلا يكون هو المسئول عنها اذ لا يمكنهُ ان يجري ما اجراهُ النبي ايليا على جبل الكرمل

ولم يعلم في تاريخ الهند ان الاهالي شكوا من قلة المطر لان الهند اكثر البلدان مطراً فقد تمطر في بعض الاماكن منها في يوم واحد قدر ما تمطرهُ في انكلترا في السنة كلها . والذين درسوا احوال المجاعات واسبابها يقولون انهُ اذا كان معدل المطر في بلاد ما عشرين عقدة فلا خوف على تلك البلاد من المجاعة . وقد لوحظ في سني المجاعات ان متوسط المطر في بلاد الهند كلها كان يزيد على عشرين عقدة ففي سنة ١٨٦٥ — ١٨٦٦ حين حدثت المجاعة الشديدة في اوريسا بلغ المطر فيها ستين عقدة وسنة ١٨٧٦ في المجاعة التي اجتاحت بومباي بلغ متوسط المطر خمسين عقدة وفي مجاعة مورس سنة ١٨٠٧ بلغ ٦٦ عقدة

وزد على ذلك ان البلاد ملأَى بالانهار والينابيع والمجال واسع للري الصناعي وقد اشار الى ذلك الماجور فيليب فيسن في رسالة لهُ عن المجاعات في الهند فقال ان المياه غزيرة في الهند لا ينقصها الاَّ همة لتوزعها على الحقول فتكفي كل نفس وهذا لا يتسنى الاَّ بالري الصناعي

اما السبب الاخير وهو قلة الحبوب فكثيرون يعتقدون صحتهُ والطرق المستعملة في الزراعة قديمة والفلاح جاهل والري مفقود ولكن الهند من البلدان الغنية بالحبوب فقمحها لا يفوقهُ الاَّ القمح الروسي والاميركي وذرتها وحمصها مشهوران وفي اشد مجاعاتها هولاً كانت غلاتها تفوق ما يحتاج اليهِ شعبها

وقد وجد في سنين المجاعات حين كان الناس يموتون بالالوف ان الهند كانت ترسل قمحها الى العالم ففي سنة ١٨٩٩ الى ١٩٠٠ اصاب الهند مجاعة شديدة وفي تلك السنة اصدرت قمحاً تعادل قيمتهُ ١٢ مليوناً من الجنيهات ومتوسط ما يصدر من الهند من مواد الطعام يبلغ ثمنهُ عشرين مليوناً من الجنيهات كل سنة . و يقال ان السبب الاكبر في المجاعات راجع الى تصدير القمح الهندي والدقيق الى انكلترا

وان كانت قلة الحبوب وسائر مواد الطعام في البلاد هي سبب المجاعات فلماذا لا تحصل

مجاعات في البلاد الانكليزية او في المانيا فان مواد الطعام التي تنتج في كل منهما لا تكفي سكانها ثلاثة اشهر

قال احد القسوس في خطاب القاهُ في انكلترا ان لمجاعات الهند اسباباً لا يمكنني ذكرها

وقال المستر دادابهي احد الاعضاء السابقين في البرلمنت الانكليزي ان بهظ الضرائب واصدار الحنطة من البلاد هما السبب في هذه المجاعات

ولعلَّ السبب الاكبر لمجاعات الهند هو ثقل الضرائب وتصدير الحبوب وعدم وجود الري

انتهى نقلاً عن الانكليزية بتصرف نجيب ملحم نصار

حساب العقود

هو احد فروع علم الحساب ويراد بهِ معرفة الاعداد من الواحد الى العشرة آلاف باوضاع خاصة في عقود الاصابع العشرة ولم اجد من عني بهِ في هذا العصر والظاهر انهُ عرف عند العرب قبل معرفتهم الارقام الهندية

وقد ذكرهُ صاحب كشف الظنون في جملة فروع علم الحساب فقال « ومنها علم حساب العقود اي عقود الاصابع وقد وضعوا كلاًّ منها بازاء اعداد مخصوصة ثم رتبوا لاوضاع الاصابع احاداً وعشرات ومئات والوفاً ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الالوف فما فوقها وهو عظيم النفع للتجار لاسيما عند استعجام كل من المتبايعين لسان الاخر وعند فقد آلات الكتابة والعصمة عن الخطاء في هذا العلم اكثر من حساب الهواء · وكان هذا العلم يستعملهُ الصحابة رضي الله عنهم كما وقع في الحديث في كيفية وضع اليد على الفخذ في التشهد انهُ عقد خمساً وخمسين يعني ان النبي صلى الله عليهِ وسلم عقد اصابع اليد غير السبابة والابهام وحلق الابهام معها وهذا الشكل في العلم المذكور دالٌّ على العدد المرقوم فالزاوي ذكر المدلول واراد الدال وهذا دليل على شيوع هذا العلم عندهم » · انتهى

ثم رأيت المقتطف قد ذكر في مقالة الارقام الهندية انهم لجأوا الى الاستعانة بالاصابع على العد والحساب ولم يشر الى هذا الحساب · وكنت رايت كلاماً لبعض الافاضل شرح فيهِ هذا العلم و بين كيفية اوضاع عقود الاصابع للدلالة على الاعداد فاحببت ان اتحف بهِ قراء المقتطف مع بعض تصرف في الترتيب لا غير قال : — ان القدماء وضعوا ثماني عشرة صورة من اوضاع الاصابع الخمس اليمنى لضبط الواحد الى تسعة وتسعين ومثلها من اوضاع

الاصابع الخمس اليسرى لضبط المائة الى تسعة آلاف ووضعاً واحداً لعشرة آلاف فيضبطون بتلك الاوضاع من الواحد الى عشرة آلاف

فجعلوا الخنصر والبنصر والوسطى من اليمنى لعقود الآحاد اي من الواحد الى التسعة ومن اليسرى لعقود آحاد الالوف التي هي من الالف الى تسعة آلاف وجعلوا السبّابة والابهام من اليمنى لعقود العشرات اي للعشرة الى التسعين ومن اليسرى لعقود المئات اي للمائة الى التسعمائة وتفصيل ذلك

اوضاع اليمنى

١ (للواحد) تثني الخنصر بوضع رأس الانملة قريبة من اصل الاصبع

٢ تثني البنصر كذلك

٣ تثني الوسطى كذلك

٤ ترفع الخنصر وتعقد البنصر والوسطى

٥ ترفع البنصر مع الخنصر وتثني الوسطى

٦ تثني البنصر فقط

٧ تثني الخنصر فقط

٨ تثني الخنصر والبنصر

٩ تثني الخنصر والبنصر والوسطى

وفي هذه الثلاثة تبسط الاصابع على الكف مائلة اناملها الى جهة الرسغ لئلا تلتبس بالثلاثة الاول

١٠ تضع رأس ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام ليصير الاصبعان كحلقة مدورة

٢٠ تضع ظفر الابهام تحت طرف العقدة التحتانية من السبّابة التي تلي الوسطى بحيث يظن ان انملة الابهام اخذت من اصل السبابة والوسطى وان لم يكن لوضع الوسطى مدخل في ذلك لكون اوضاعها متغيرة بعقود الاحاد

٣٠ تضع رأس انملة السبابة على طرف ظفر الابهام الذي يليها ليصير وضع السبابة والابهام كهيئة القوس مع وترها ويجوز ان يعرض للابهام انحناء ايضاً

٤٠ تضع باطن انملة الابهام على ظهر العقدة التحتانية من السبابة بحيث لا يبقى بينهما فرجة اصلاً

٥٠ تجعل السبابة منتصبة وتضع الابهام على الكف محاذياً للسبابة

٦٠	تأخذ ظفر الابهام بباطن العقدة الثانية للسبابة كما يفعلهُ الرماة
٧٠	تأخذ الابهام منتصباً وتضع على رأس انملتهِ باطن انملة السبابة او عقدتها الثانية بحيث يبقى تمام ظفرهِ مكشوفاً
٨٠	تأخذ الابهام منتصباً وتضع على مفصل انملتهِ طرف انملة السبابة
٩٠	تضع رأس ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام

اوضاع اليسرى

١٠٠	تثني الخنصر من اليد اليسرى بوضع رأس الانملة قريبة من اصل الاصبع
٢٠٠	تثني البنصر كذلك
٣٠٠	تثني الوسطى كذلك
٤٠٠	ترفع الخنصر وتعقد البنصر والوسطى
٥٠٠	ترفع الخنصر والبنصر وتثني الوسطى
٦٠٠	تثني البنصر فقط
٧٠٠	تثني الخنصر فقط وتكون مبسوطة على الكف وانملتها مائلة الى جهة الرسغ
٨٠٠	تثني الخنصر والبنصر كذلك
٩٠٠	تثني الخنصر والبنصر والوسطى كذلك
١٠٠٠	تكوّن حلقة مستديرة بوضع ظفر السبابة على مفصل انملة الابهام
٢٠٠٠	تضع ظفر الابهام تحت طرف العقدة التحتانية من السبابة ممَّا يلي الوسطى
٣٠٠٠	تضع رأس انملة السبَّابة على طرف ظُفر الابهام ليصير من ذلك شبه قوس مع وترها ولو عرض للابهام انحناء لا يضر
٤٠٠٠	تضع باطن انملة الابهام على ظهر العقدة التحتية من السبابة بحيث لا يبقى بينهما فرجة اصلاً
٥٠٠٠	تجعل السبابة منتصبة وتضع الابهام على الكف محاذياً للسبابة
٦٠٠٠	تجعل ظفر الابهام بباطن العقدة الثانية من السبابة كما يفعلهُ الرماة
٧٠٠٠	تأخذ الابهام منتصباً وتضع على رأس انملتهِ باطن انملة السبابة او عقدتها الثانية بحيث يبقى تمام ظفرهِ مكشوفاً
٨٠٠٠	تضع على مفصل انملة الابهام وهو منتصب طرفَ انملة السبابة
٩٠٠٠	تضع ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام

١٠٠٠٠ تضع طرف انملة الابهام على طرف انملة السبابة بحيث يصير الظفران متحاذيين

وبالجملة ان العقود الثمانية عشر في اليمنى تضبط باوضاعها المذكورة هنا من الواحد الى التسعمائة والعقود الثمانية عشر في اليسرى تضبط ايضاً باوضاعها التي تشبه اوضاع اليمنى شبهاً تامًّا من الالف الى التسعة الآلاف والوضع المفرد في اليسرى او في اليمنى يدل على عشرة آلاف فاذا كان عقد البنصر بوضع رأس الانملة على اصل الاصبع يدل في اليمنى على (الاثنين) فعقده كذلك في اليسرى يدل على (المائتين)

واذا كان وضع رأس ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الابهام رمزاً للتسعين في اليمنى فهو كذلك رمز للتسعة آلاف في اليسرى وهكذا

النبطية احمد رضا

[المقتطف] اسماء الاصابع على ترتيبها خنصر بنصر وسطى سبابة ابهام

الفلاحون والملّاك في اوربا

وكيف يستدينون المال

الفلاح عنوان ارتقاء البلاد وانحطاطها يشقى معها ويسعد بها فلا عجب اذا فاق الفلاح الاوربي غيره في انشاء النقابات والبنوك التي تسهّل عليهِ استدانة المال وتكفيهِ شر المرابين

ولا يصعب على صاحب العقارات الواسعة ان يشتري الاسمدة والآلات الزراعية ويقوم بكل ما يلزم لاطيانهِ ولكن الفلاح الصغير الذي لا يملك الاَّ افدنة قليلة قلما يجد من يأتمنهُ على مالهِ فلا بد لهُ من اغراء اصحاب الاموال بدفع الربا الفاحش الذي يذهب بالقسم الاكبر من ريعهِ

ولما رأى الفلاحون الاوربيون انهم صائرون الى الخراب لا سيما بعد انشاء السكك الحديدية وتسهيل نقل الحاصلات الزراعية من بلاد الى أُخرى حتى صارت الحاصلات الاجنبية تباع في اسواقهم باثمان لا يمكنهم بيع حاصلاتهم بمثلها اجتمعوا وتآلفوا وانشأُوا من النقابات والبنوك ما يسهّل عليهم استدانة المال بفوائد قلما يتوفق التجار الى الاستدانة بمثلها. ولا بدع في ذلك فان ما يصعب على الفرد لا يصعب على الجماعة . وبلغت اصواتهم ايضاً آذان حكوماتهم فسعت الى مساعدتهم اشفاقاً على اراضيها ان تبور وعلى فلاحيها ان يمسهم الشقاء . وللاستاذ بريس احد اساتذة جامعة اوهيو الاميركية فصل في هذا المعنى كتبهُ عبرة

لاهل الولايات المتحدة الاميركية ونحن نقتطف منهُ ما فيهِ عبرة لاهل الشرق لكي يروا ثقة الغربيين بعضهم ببعض وتناصرهم على اجتلاب الخير واجتناب الضير

قسم الاستاذ بريس الاموال التي يستدينها الفلاح الاوربي الى ثلاثة انواع · النوع الاول الاموال التي ترصدها الحكومة لهذا الغرض · والنوع الثاني الاموال التي يوفّرها الفلاحون واهل الارياف ويجمعونها في صناديق التوفير · والنوع الثالث الاموال التي تستلفها نقاباتهم وتؤمّنها برهن الاراضي

ولكل حكومة نظر يختلف عن نظر غيرها في تقديم المال للفلاحين · فالحكومة الفرنسوية تعطي البنوك الزراعية اموالاً لا تأخذ عليها فائدة وقد بدأت بذلك سنة ١٨٩٤ · وسنة ١٩١٠ بلغ راس مال البنوك التي انشأتها على هذه الطريقة ٧١ مليون فرنك وبلغ ما قدمتهُ لها من المال ٤٠ مليون فرنك · وقد حذا حذو الحكومة الفرنسوية في ذلك كثير من ولايات النمسا · اما في المانيا فانشأت الحكومة بنوكاً مركزية في المدن الكبيرة تقدم لها المال وتأخذ عليهِ فائدة ٣ في المئة وهذه البنوك المركزية تمد البنوك الزراعية التي تسلف الفلاحين بما تحتاج اليهِ من المال · وقد بلغ رأس مال البنك البروسي المركزي ٧٥ مليون مارك (٣٧٥٠٠٠٠ جنيه) كلها من الحكومة لكن هذا البنك لا يقتصر على تسليف البنوك الزراعية بل يسلّف النقابات والبنوك التي تعمل على ترقية الصناعة · وفي المانيا فريق يرى ان تحتفظ الحكومة باموالها وانهُ يمكن مساعدة الفلاحين بطرائق اخرى تفضل هذه

وللبنوك التي تجمع الاموال من النوع الثاني (اي التي يوفرها الفلاحون) منفعة فيانها تعوّد اهل الارياف توفير المال وتجمعهُ منهم ثم تدينهُ للفلاحين بفوائد قليلة · وفي المانيا وحدها ١٦ الف بنك من هذا النوع يبلغ راس مالها ١٥ مليون جنيه كلها مما وفرهُ اهل الارياف واودعوهُ فيها . وهذه البنوك تبقي مال كل مقاطعة فيها فيستفيد اهلها منهُ · اما المال الذي يودع في فروع البوستة او في صناديق التوفير الاخرى فيذهب كلهُ الى خزائن البنوك في المدن فلا يستفيد منهُ الفلاحون واهل الارياف

اما استدانة المال بواسطة النقابات التي ترتهن املاك الفلاحين وتضمن مال الدائن فبدأ في المانيا سنة ١٧٧٠ ولكن لم يستفد منهُ الفلاحون كثيراً الا في السنين المتأخرة · وقد بلغ المال المستدان على هذه الطريقة في المانيا ٢٠٠ مليون جنيه لا تتجاوز فائدة المئة منها ثلاثة او اربعة

الفلاح في ولاية سكسونيا البروسية

موقع هذه الولاية في اواسط المانيا والوسائط التي تسهّل على فلاحيها استدانة المال كثيرة ولذلك نسهب في الكلام عليها وللقارئ ان يقيس بها الولايات الاخرى

ولاية سكسونيا (وهي غير مملكة سكسونيا) كثيرة السكان مساحتها ٩٧٥٠ ميلاً مربعاً وسكانها ٣٠٨٨٠٠٠ نفس فيصيب الميل المربع منها نحو ٣١٦ من السكان. وتربتها جيدة جدًّا يجود فيها البنجر الذي يستخرج منهُ السكر وفلاحوها اهل جد ونشاط ويستخدمون احدث الوسائل لحرث الارض وزيادة خصبها وهذا مما يدفعهم الى استدانة المال. ومتوسط ثمن الفدان فيها ستون جنيهاً ومتوسط الثمن في المانيا كلها ثلاثون جنيهاً. ولفلاحيها طريقتان في استدانة المال فاما ان يرهنوا املاكهم لنقابة الرهون العقارية واما ان يلجأوا الى بنوك التعاون الزراعي

نقابة الرهون العقارية

ظهرت اول نقابة على هذا الشكل سنة ١٧٧٠ اذ اتفق اصحاب الاراضي في شرق المانيا ان يكونوا عصبة واحدة يعاون بعضهم بعضاً على استدانة المال وضموا املاكهم كلها في رهن واحد امنوا بهِ ما يستلفونهُ من المال فقويت ثقة المتمولين بهم فصاروا يعرضون المال عليهم بفوائد قليلة جدًّا ويمهلونهم في ايفائهِ ما شاؤُا فرأَت ذلك الطبقة الوسطى من الفلاحين واقتدت بهم

اما الفلاحون في ولاية سكسونيا فلم يقوموا بشيءٍ من هذا الا سنة ١٨٦٤ ولكن حرب سنة السبعين لم تمهلهم كثيراً فعطلت الاشغال واوقفت الاعمال ولم تستأنف نقابتهم اعمالها بجد ونشاط حتى سنة ١٨٨٠. وتبلغ ديون الفلاحين في تلك الولاية الآن ٤١ مليون جنيه منها ١١ مليونًا تضمنها النقابة ولا يزال الدين الذي تضمنهُ آخذاً بالازدياد وانواع الديون الاخرى تتناقص ولكن لا ينتظر ان يأتي يوم تصبح فيهِ مرجع الفلاح الوحيد في استدانة المال لان كثيرين من الفلاحين يستدينون من انسبائهم واصدقائهم

كيف تأتي نقابة الرهون العقارية بالمال

هذه النقابة عبارة عن انضمام الفلاحين وتعاونهم على استدانة المال ولا غرض لها غير ذلك فاذا زاد دخلها على نفقاتها لا توزع الزيادة على الاعضاء بل تضيفها الى المال الاحتياطي. ويشترط في من يريد الانضمام اليها من الفلاحين ان يملك من الاراضي ما يدفع عنهُ اربعة جنيهات ونصف جنيه او اكثر ضرائب للحكومة

وقد وافقت الحكومة البروسية على قوانينها وناطت امر مراقبتها والسهر عليها بنظارة الزراعة . والنقابة حرة في ان تنتخب من يريدهُ الاعضاء لادارة شؤُونها والقيام باشغالها ولكن لا بد من موافقة الحكومة على انتخاب موظفيها الكبار . وطريقتها في تسليف الفلاح ان ترتهن اطيانهُ ثم تصدر سنداً بقيمة الرهن وتبيعهُ وتعطي ثمنهُ للفلاح . ولا تسلف فلاحاً اكثر من ثلثي قيمة اطيانهِ

وتختلف سندات النقابة عن غيرها من السندات في اربعة امور. اولاً ان كل سند منها تضمنهُ النقابة بكل ما عندها من عقار ورهون ولا ينفرد في ذلك الفلاح الذي ينتفع بهِ وحدهُ . ثانياً انهُ يمكن بيعهُ وشراؤُهُ من دون تجيير . ثالثاً انهُ لا يستحق في ميعاد معيَّن . رابعاً ان ليس للدائن ان يجبر النقابة على ايفائهِ دينهُ واسترجاع السند وللنقابة ان تجبرهُ على استيفاء مالهِ وارجاع السند اليها . فلها مثلاً ان تدفع قيمة السند بعد اصدارهِ باشهر قليلة ولها ان تؤَخر ذلك ما شاءَت ولكنها لا تصدر من السندات ما تزيد قيمتهُ على قيمة الرهون التي لديها

واشغال النقابات التي من هذا النوع تسير على غاية الضبط والدقة ولاصحاب الاموال ثقة قوية بها حتى انهم يفضّلونها على غيرها . ولا يفضلها في الاسواق المالية الاَّ سندات الحكومة ولكن هذه قد تهبط اسعارها اذا خاف الناس من نشوب حرب اما تلك فقد ترتفع عند ذلك لان عقار الفلاح ضمان ثابت لا يؤَثر فيهِ اضطراب الامن وانقلاب الحكومة

اما معدل الفائدة فيختلف في بعضها عما هو في البعض الآخر . فهو في البعض ٣ في المئة وفي البعض ½ ٣ وفي البعض ايضاً ٤ في المئة. وللفلاح الخيار في ان يستدين على معدل الفائدة الذي يفضلهُ الاَّ ان اسعار السندات تختلف باختلاف الفائدة. فالسند الذي فائدتهُ ٤ في المئة اغلى من السند الذي فائدتهُ ٣ فقط . مثال ذلك اذا اراد الفلاح ان يستدين مئة جنيه فاذا تعهد بدفع ٤ في المئة فائدة سنوية اعطاهُ صاحب المال ٩٠ جنيهاً واخذ منهُ سنداً قيمتهُ مئة جنيه . اما اذا تعهد بدفع ٣ في المئة فلا يعطيهِ الاَّ ٨٠ جنيهاً فقط ويأْخذ منهُ السند الذي قيمتهُ مئة جنيه

وفي شهر يوليو سنة ١٩١٢ كانت اسعار هذه السندات كما يلي

السند الذي فائدتهُ	٣ في المئة سعر مئتهِ	٨١
«	½ ٣ « «	٩٠
«	٤ « «	٩٩,٨

وكانت سندات الحكومة التي فائدتها ٤ في المئة تباع مئتها بمئة عند ذلك اي ان الفرق بينها و بين سندات الجمعية من النوع الاخير عشران في المئة او اثنان في الالف

فالفلاح الذي استدان الف جنيه في يوليو سنة ١٩١٢ بفائدة ٣ في المئة استلم منها ٨١٠ جنيهات فقط واصبح مديناً بالف يدفع عنها كل سنة ٣٠ جنيهاً والذي استدان الفاً بفائدة ٣ ½ في المئة استلم منها ٩٠٠ جنيه واصبح مديناً بالف يدفع عنها ٣٥ جنيهاً كل سنة والذي استدان الفاً بفائدة ٤ في المئة استلم منها ٩٩٨ جنيهاً واصبح مديناً بالف جنيه يدفع عنها ٤٠ جنيهاً كل سنة

واذا تحسنت السوق المالية دفع الفلاح ديونهُ القديمة واستدان غيرها بشروط اخف من الاولى اما اذا عزَّ المال وارتفعت الفوائد فليس لاحد ان يضطرهُ الى ايفاء دينهِ او زيادة ما يدفعهُ من الفائدة السنوية

النقابة المركزية

وسنة ١٨٧٣ أُلّفت نقابة مركزية في برلين لكي تضم النقابات التي من هذا النوع وتروّج سنداتها في بورصات العالم الكبيرة لكنها لم تصل الى الغرض المطلوب اذ هبط سعر هذه السندات لما كثرت في بورصة برلين . وكل من اصحاب الاموال يفضل ان يشتري سندات النقابة المختصة بولايتهِ لانهُ يرى سيرها ويثق بها اكثر مما يثق بغيرها . وتبلغ قيمة السندات التي اصدرتها نقابة الرهون العقارية لولاية سكسونيا ١١ مليون جنيه كما تقدم وليس منها في ايدي المتمولين خارج تلك الولاية الاَّ ما قيمتهُ خمس هذا المبلغ[1]

استهلاك السندات

واستهلاك هذه السندات تدريجي الزامي على المدبون ولا يزيد المبلغ المقرر للاستهلاك كل سنة على ¾ في المئة ولا ينقص عن ½ في المئة من قيمة السندات الاصلية تستوفي النقابة

---

(١) [المقتطف] وتبلغ قيمة كل السندات المتعامل بها الآن في بروسيا ٣٠٩٢٤٩٢٥٤٥ ماركاً او نحو ١٥٤ مليون جنيه اي ان بروسيا وعدد سكانها اكثر من اربعين مليوناً لا تزيد ديون الفلاحين فيها على ١٥٤ مليوناً من الجنيهات . ومساحة الارض الزراعية والكروم والجنائن في المانيا كلها ٦٥ مليون فدان ومساحة المروج والمراعي ٢١ مليون فدان ومساحة الحراج والغابات ٣٥ مليون فدان وسائر الاراضي ١٢ مليون فدان والجملة ١٣٣ مليون فدان ثلثاها على الاقل في بروسيا اي نحو ٨٤ مليون فدان فيخص الفدان منها اقل من جنيهين وعلى هذا القياس يجب ان لا يكون دين الفلاحين في مصر اكثر من احد عشر مليوناً من الجنيهات

¼ في المئة زيادة عليهِ لكي تقوم بنفقاتها . فاذا كانت فائدة السند ٤ في المئة والمبلغ المقرر للاستهلاك كل سنة ¾ في المئة استوفت النقابة ¼ في المئة فوق ذلك فيصبح ما يدفعهُ الفلاح كل سنة ٥ في المئة لا غير من قيمة السند . ولهُ فوق ذلك ان يوفي السند كلهُ او ان يوفي قسماً منهُ اي وقت اراد . وفي الغالب لا يمضي على السند ٢٥ سنة الاَّ و يستهلك كلهُ . واذا استهلك من السند عشرهُ حق للفلاح ان يستدين ايضاً فيمكنهُ بهذه الطريقة ان يبقى منتفعاً بكل ما تخوّلهُ اطيانهُ ان يستلفهُ من المال

وقد قسمت النقابة ادارة الولاية الى اقسام صغيرة لها في كل منها وكيل يقوم مقام الوسيط بينها و بين الفلاحين فلا يضطر الفلاح الى الذهاب الى المركز اذا اراد استلاف المال ولا يضطر عمال النقابة ان يأتوا الى مزرعة الفلاح كلما كان لهم شأن معهُ

شركات التعاون الزراعي

نقابات الرهون العقارية عون كبير للفلاح الالماني لكن بعض الفلاحين لا يملكون اطياناً او يملكون ما لا يخوّلهم حق الانضمام اليها . وقد يحتاج الفلاح ايضاً الى شيءٍ من المال لستة اشهر او تسعة اشهر لشراء البذار والمواشي والاسمدة ويمكنهُ ان يوفي ذلك من ثمن موسمهِ فليس من مصلحتهِ في مثل هذه الحال ان يرهن اطيانهُ للنقابات فلا بد اذن من سد هذا الخلل

في اواسط القرن التاسع عشر قام في غرب المانيا رجل يقال لهُ ريفسن دعا الفلاحين الى تأليف شركات تعاون تنشئ بنوكاً تقوم بهذا الغرض . وللبنوك التي انشئت حسبما اشار ريفسن اربع مميزات (الاول) ان الفلاحين الذين يؤلفون الشركات يضمنون ديونها جميعهم وان كلاًّ منهم يضمن بكل املاكهِ (والثاني) ان كلاًّ منها يسلّف الفلاحين الذين من مقاطعتهِ ولا يسلّف سواهم ابداً (والثالث) انها لا توزع ارباحاً على الاسهم بل تدفع للذين يودعون اموالهم فيها اربعة في المئة فائدة سنوية وما زاد من دخلها على ذلك اضافتهُ الى المال الاحتياطي فيها و (الرابع) انها لا تدفع اجوراً لمستخدميها الاَّ للكاتب الذي يضبط الحسابات ومن بقي من الموظفين في الشركة والبنك ينتخبهُ الاعضاء فيقوم بالخدمة تبرعاً

ولهذه البنوك منافع كثيرة وهاك مثالاً من اعمالها . اذا اراد فلاح ان يحفر مصارف في ارضهِ فمجلس ادارة البنك من جيرانهِ واصدقائهِ فينظر في ذلك فاذا رأى ان انشاء المصارف يفيد الارض اعطاهُ المال اللازم لذلك وكان جيرانهُ كلهم اعواناً لهُ لانهُ يشتغل

بالهم فان حبطت مساعيهِ خسروا هم . وان لم يرَ المجلس فائدة من انشاء المصارف منع المال عنهُ ونصحهُ بالاقلاع عن رأيهِ

والبنك يمهل الفلاح في ايفاء دينهِ اذا امحل موسمهُ او طرأَ عليهِ ما اقعدهُ عن العمل اضطراراً . وقد انشئ كثير من هذه البنوك في جميع البلدان الاوربية لكنها تختلف بعضها عن بعض وتتكيف في بعض الجهات لكي تلائم احوال الفلاحين وحاجاتهم

البنوك الزراعية في ولاية سكسونيا

الفرق الاكبر بين هذه البنوك والبنوك التي انشئت حسب مشورة ريفسن هو انها تحدد المبلغ الذي يضمنهُ كل من الاعضاء . فالفلاح الذي يملك من الاطيان ما قيمتهُ خمسة آلاف جنيه لا يرضى ان يجعلها كلها ضماناً للبنك الذي لا يكون لهُ فيهِ من الحقوق اكثر من جارهِ الذي لا تزيد قيمة املاكهِ على مئتي جنيه . فمنعاً لذلك رأَت هذه البنوك ان تجعل القيمة التي يضمنها كل من الاعضاء معادلة لحصتهِ في البنك لا لاملاكهِ الخاصة

وغرض هذه البنوك تسهيل استلاف المال على الفلاحين لا تشغيل الاموال والحصول على الربح . وفي سكسونيا ٦٦٠ بنكاً منها ولكل بنك نحو مئة عضو . وقد ينضم بعضها الى بعض فتقيم لها جمعية عمومية او بنكاً مركزيًّا مشتركاً بينها . وفي مدينة هال بنك يدعى البنك التعاوني المركزي لا يشترك فيهِ الاَّ هذه البنوك الزراعية المتفرقة . وفيها ايضاً شركة لشراء الغلال وبيعها واخرى تدعى اتحاد الشركات التعاونية وهي بمنزلة الرقيب على الشركات والبنوك المشتركة فيها تنظر في حساباتها ومعاملاتها وتنبهها الى اماكن الخلل

ولهذه الشركات والبنوك منافع كبيرة غير المنافع المالية فانها توسع مدارك الفلاحين وتقربهم بعضهم من بعض . واذا كانت من النوع الذي انشئ حسب مشورة ريفسن جعلت كل فلاح في القرية يتمنى النجاح لكل فلاح آخر لان خسارة الواحد خسارة للكل . وقد شهد كثيرون انها عامل كبير في الردع عن السكر والاسراف والحث على الاجتهاد . فاذا تطوح الفلاح في شرب المسكرات مثلاً او توانى عن اصلاح مزرعتهِ علمت الجمعية انهُ صائر الى الخراب لا محالة فانذرتهُ فان لم يرتدع اجبرتهُ على ايفاء ديونهِ

هذه خلاصة ما كتبهُ الاستاذ بريس فعسى ان يكون فيهِ مرشد للذين يهتمون الآن بانشاء النقابات الزراعية في القطر المصري

جمعية الهلال الاحمر المصرية

بقلم احد اطبائها

قامت جمعية الهلال الاحمر المصرية بخدمات جليلة للعثمانيين في حربهم مع ايطاليا في طرابلس الغرب . وما شبَّت نار الحرب البلقانية حتى قام اعضاؤُها برئاسة الامير محمد علي باشا وجمعوا مالاً طائلاً وارسلوهُ الى تركيا لتنشئ بهِ مستشفى في ادرنه

ولا بدع ان هزت الاريحية معاطف المصريين لاعانة اخوانهم العثمانيين فالروابط الدينية التي تربط الفريقين متينة جدًّا ولا اظنني مخطئًا اذا قلت ان هذه الحرب في نظر الفلاح المصري دينية اكثر منها سياسية — اي انهُ لا يعرف انها نتيجة سوء الادارة العثمانية في القرون الماضية

ولما اتسع نطاق الحرب رأت جمعية الهلال الاحمر المصرية ان ترسل الى ساحات القتال بعثات مجهزَّة بجميع ما يلزم لاسعاف الجرحى . فارسلت لهذا الغرض اربع بعثات طبية وكان كاتب هذه السطور في البعثة الثانية واليك بعض ما قامت بهِ هذه البعثات وبعض ما شاهدتهُ في الحرب الحاضرة

كانت البعثة الاولى مؤلفة من مستشفي ميدان وسبعة اطباء اكثرهم من اطباء الجيش المصري السابقين فلم يكن ما انتدبوا لهُ امراً جديداً لديهم وكانت مجهزَّة بجميع اللوازم وفيها ستون رجلاً يعينون الاطباء و يعتنون بالدواب وامور النقل وغيرها وسبعون بغلاً لنقل الاثقال . ولما وصلت الى الاستانة أُرسلت حالاً الى خطوط العثمانيين الامامية فضربت خيامها بالقرب من چتالجه

و برد الهواءُ وكثر المطر بعد عقد الهدنة حتى لم تعد الخيام التي اعدتها البعثة تصلح لإيواء الجرحى والمرضى فاقيم لها سقيفة من الخشب في خادم كوي (وكانت اذ ذاك المركز العمومي لقيادة الجيش العثماني) . وقاست ما قاساهُ سائر الجيش العثماني من قلة الاطعمة . والحق يقال ان تقصير الموكلين بارسال المؤُنة للجيش هو السبب الاكبر في فشلهِ . فقد رأينا ضباطاً قضوا ثلاثة ايام لم يذوقوا فيها طعاماً واخبرنا بعض الجنود انهم بقوا ثمانية ايام او تسعة بلا قوت في واقعة لولو برغاس وبعدها . وفي چتالجه نفسها وهي على ٢٥ ميلاً فقط من الاستانة لم يكن للجنود ما يكفيهم من القوت . واليك حادثة صغيرة يظهر منها ما وصل اليهِ

الضباط انفسهم . ركب بعض رفاقنا من الاطباء المصريين ذات يوم القطر الذي يسير من خادم كوي الى الاستانة واتفق ان كان معهم في المركبة التي كانوا فيها ثلاثة ضباط عثمانيين . فلما قام القطر بهم اخرج احد هؤلاء الضباط كسرة من الخبز اليابس فاقتسمها هو ورفيقهُ . فما كان من الضابط الثالث الذي لم يكن الاثنان الاولان يعرفانهِ على ما يظهر الأ ان رجاهما ان يعطياهُ قطعة منها يتعلّل بها . فمدّ اليهِ الضابط الاول القطعة التي بقيت لهُ لكي يكسر منها كسرة صغيرة لكنهُ بقي ممسكها بكلتا يديهِ لئلا يكسر منها اكثر من نصفها. فلما شاهد اطباؤنا ذلك بادروا الى تقديم الطعام للضباط مما كان معهم فاكلوا وشبعوا بعد ان كانت قد انقضت عليهم شهور لم يأكلوا طعاماً مثل ذلك

ولقي رجال البعثة الاولى كل حفاوة وترحيب من الضباط العثمانيين الذين رأوهم وسمح لم ان يروا خطوط التحصين في چتالجه كلها ولم يسمح بذلك للبعثات التي تلتهم لانهُ حظر الذهاب الى حصون چتالجه لا سيما بعد ان قضى طبيبان انكليزيان يوماً كاملاً يجولان فيها ويصوّرانها بدون استئذان . ولما علم ارباب الامر انهُ يسهل على الغريب الوصول اليها وتصويرها شددوا في عدم السماح لاحد بالدنو منها

وكانت البعثة الثانية (وكاتب هذه السطور منها كما تقدم) مؤلفة من مستشفى فيهِ مئتا سرير ولا ينقصهُ شيء . وكنا قد اتينا من مصر بكل ما يلزمنا من اسرة وكتان وثياب للجرحى وطاولتين للعمليات الجراحية وكل ما يلزم المستشفيات وادوية ورفائد وجهاز لاشعة رنتجن وعدة للفحص البكتريولوجي وآنية للطبخ وكل ما يحتاج اليهِ الاطباء والممرضات من الاثاث وزاد كافٍ لإطعام البعثة والجرحى الذين تعتني بهم مدة شهرين . واكثرنا من الزاد لانهُ كان قد بلغنا ان الناس يموتون جوعاً في الاستانة وذلك صحيح ولكن لم يكن سببهُ قلة الاطعمة في المدينة بل كثرة اللاجئين اليها واختلال الاحوال فيها . وقد كفانا احتياطنا للامر مؤونة السعي للحصول على الاطعمة

اما رجال البعثة فكانوا مزيجاً من الاوربيين والمصريين فقد كان مديرها طبيباً المانياً سبقت لهُ خدمة كجراح في البحرية وكان كاتب هذه السطور الانكليزي الوحيد فيها . ومن بقي من الاطباء وهم خمسة فمصريون وواحد منهم مختص باشعة رنتجن . ثم انضم الينا طبيب وبكتريولوجي وعشر ممرضات من الالمان امدتنا بهم جمعية الصليب الاحمر . وكان معنا ٢٥ من الاعوان للمستشفيات وطباخ وحلاّق ونجار . وبعض هؤلاء الاعوان كانوا في طرابلس الغرب ويحسنون التركية والعربية فكانوا لنا تراجمة حتى تعلمنا من التركية ما

يكفينا . وكان بعض المصريين يحسنون الالمانية والفرنسوية والانكليزية فلم يصعب علينا التفاهم مع من انضم الينا من الالمان

وأُعطينا مدرسة في مكان يعرف ببكلر بك على العدوة الاسيوية من البسفور بالقرب من القصر المحجور فيهِ على السلطان السابق عبد الحميد فحوَّلناها الى مستشفى عالجنا فيهِ كثيراً من الجرحى . ومن الذين عالجناهم كثيرون من الذين اصيبوا بجراح من رصاص البنادق او قنابل شرابنل وغيرهم ممن اضرَّ بهم الصقيع . وقد شاهدنا جراحاً غريبة نشأَت عن رصاص البنادق . ومن المعلوم لدى الجراحين العسكريين ان الرصاصة تسير في الجسم غالباً في طرق لا تخطر على البال . وقد شاهدنا جرحاً من هذا النوع في جندي اصابتهُ رصاصة عند كتفهِ اليسرى فنفذت في القسم الاسفل من عنقهِ الى ان استقرت في الغدة الدرقية الى يمين القصبة ولم تؤْذِ الاوعية الدموية ولا غيرها مما في العنق . وقد يصعب تصديق ذلك ولكننا شاهدناهُ بانفسنا . ولا تقلُّ هذه الحادثة في غرابتها عن حادثة الرصاصة التي اصابت احد الجنود في الحرب التي ثارت في جنوب افريقية عند ترقوتهِ ثم استقرت في عقب قدمهِ الايمن

وكان في سان ستفانو نحو خمسة آلاف من الجنود المصابين بالكولرا والدوسنطاريا ولم يكن لهم مأوى ولا ملجأ ولا طبيب يعتني بهم فارسلت بعثتنا فريقاً منها لاسعاف المأمورين العثمانيين الذين كانوا يهيئُون لهم المأوى فاقاموا لهم احدى عشرة سقيفة كبيرة من الخشب في موقع جميل على اكمة تطل على بحر مرمرا . وكانت تسعة من هذه السقائف ملاجئ يسع كل منها ستين مريضاً وجعلت الثنتان الباقيتان محجراً للناقهين يحجر عليهم فيهِ خمسة ايام قبل ان يسمح لهم بالخروج . فان كان الناقه من صف الجند النظامي وكانت حالتهُ تمكنهُ من العودة الى الجيش اعيد اليهِ ثانية وان كان من صفوف الجيش الاخرى سمح لهُ في الغالب بالعودة الى بيتهِ

وكان على مقربة من هذه السقائف مستشفى لجمعية الصليب الاحمر الانكليزية يسع نحو ١٥٠ سريراً ويتألف من تسعة بيوت بنيت برب الورق Papier Mâché فكانت دافئة واسباب الراحة متوفرة فيها

وعلى مقربة من ذلك المكان مدرسة يونانية وضع فيها اربعون سريراً وكان فيها قبل ذلك عندما بدأَ تفشي الدوسنطاريا والكولرا ٤٠٠ مريض ينامون على الارض لا غطاء ولا

وطاء . وكان بالقرب من محطة السكة الحديدية اربع سقائف من الخشب جُعلت لايواء الذين لم تثقل عليهم وطأة المرض

واقام بكتريولوجي بعثتنا معمله البكتريولوجي في سان ستفانو واثبت وجود جراثيم الكولرا ثم استلم ادارة المعمل بعد ذلك بكتريولوجي مصري مشهود له بالكفاءة . اما نحن الذين كنا نعالج المرضى فرأينا ان حوادث الكولرا لم تكن اكثر مما تكون عادة عند تعبئة الجيوش العثمانية وان الدوسنطاريا والجوع والبرد لم تكن اقل منها فتكاً . ولما اشتد الحر في نوفمبر بلغ عدد الوفيات كل يوم سبعمئة في الفرق المرابطة في الخطوط الامامية وثلاثمئة في سان ستفانو ثم قلَّ عدد الوفيات لما برد الهواء

وكنت موكلاً باحدى السقائف الخشبية الكبيرة التي على الاكمة ووجدت في عملي لذة وفائدة . ومما زادني رغبة في العمل انني كنت اعمل ما عمله ابي قبلي منذ خمس وثلاثين سنة اذ خدم الجيش العثماني بطبهِ في الحرب الروسية العثمانية

وعلى مقربة من سان ستفانو نصب اقامهُ الروس ذكراً لضباطهم وجنودهم الذين قتلوا في تلك الحرب (١٨٧٧ — ١٨٧٨) وخمسة عشر الفاً من الروس فتكت بهم الكولرا لما كان جيشهم هناك

وكانت البعثة الثالثة مؤلفة من ١٢ طبيباً مصرياً لمقاومة الكولرا فانقسمت الى فريقين فريق قام على العناية بمستشفى فيهِ اكثر من الف فراش في مكان يعرف بمال تبه وفريق اقام في سان ستفانو . ولما استؤنفت الحرب اقيم في سان ستفانو مستشفى صغير للجرحى

وكان الامن مستتباً في الاستانة ولم يظهر من مسلميها اقل عداء لمسيحييها ولا عدوا هذه الحرب حرباً دينية ومن المؤكد ان معظم الجنود لم يحسبوها دينية ايضاً . ولكن مظهر المدينة كان يدل على الحرب فلا ترى في الاسواق الاَّ جنوداً وضباطاً ولا تأتي الساعة السابعة مساء حتى تبطل كل حركة . وحُظر على الناس الخروج بعد الساعة العاشرة واغلقت محال الاجتماعات العمومية الاَّ في بيرا (حي الاوربيين) حيث بقي مشهد او مشهدان يعرضان الصور المتحركة وقاعة موسيقية يتردَّد اليها المكاتبون الحربيون الذين بقوا في الاستانة

ومما يذكر بالاسف كثرة الحرائق في الاستانة فلم يكن ينقضي اسبوع الاَّ وتشب النار في جهة منها فتلتهم مئتي بيت او ثلاثمئة ورجال المطافئ هناك على جانب كبير من الشجاعة والاقدام ولكن اكثر البيوت من الخشب ووسائط استحضار الماء تكاد تكون معدومة وللقارىء بعد هذا ان يتصور النتيجة

وبعد ما حدث انقلاب الوزارة ظهرت روح جديدة في الشعب والجيش . فاخذ الناس يؤلفون فرق المتطوعين وبدأ الجيش بالمران والمناورات وكان قد اهمل ذلك من قبل . وكنت ترى كل من تلقاهُ واثقاً بالنصر للجيش العثماني يؤمل انهُ يهزم جيوش البلغار ويسترد منهم تراقية ويرفع الحصار عن ادرنه . وكل ما اشيع عن اختلاف الضباط واقتتالهم بعضهم مع بعض عارٍ من الصحة . وكانت اميالنا مع العثمانيين فكنا نرى ان شروط الصلح شائنة لهم مع انهُ ربما كان عقد الصلح خير ما تعملهُ الحكومة في الاحوال التي وصلت اليها

وكان لسان حال كل واحد يردد دعاء احد كتاب الانكليز الذي قال مخاطباً انكلترا « ان كان قد دنا القضاء عليك فليكن ذلك القضاء شريفاً . وان كان لا بدَّ من غرقكِ فليكن في الدم والنار ولتجرّي معكِ اكثر من شعب واحد يشاركك في سقوطكِ . واضرع الى الله ان يكفيك عار ميتة بطيئة تصل بكِ قبل الانقراض الى حالة تمسين فيها هزءًا وسخرية لاعدائك الذين لا يسعهم على حسدهم وبغضهم لكِ الاَّ ان يخافوك ويجلّوك رغماً عن انوفهم »

وحاول انور بك ان ينزل بار بعين الف جندي الى البر في رودستو (وهي متوسطة بين غاليبولي وچتالجه) او بالقرب منها لكي يفصل بين جيشي البلغار في غاليبولي وچتالجه . وطُلب من جمعية الهلال الاحمر المصرية ان تجهّز مستشفى لهذه الحملة فاعددت عدتي انا وطبيبان مصريان لكي نلحق بها وهيأنا مستشفى يسع مئتي جريح واعددنا ما يلزم من كتان وثياب للجرحى وطاولات للعمليات الجراحية وزاد يكفينا اسبوعين قبل ان تبدأ المؤُنة بالوصول الينا وصولاً منتظماً . الاَّ ان انور بك لم يفلح في عملهِ هذا لسوء الحظ فذهبت اتعابنا سدًى

وكانت البعثة الرابعة مؤلفة من باخرة حوّلت الى مستشفى تجول في بحر ايجه لنقل جرحى العثمانيين من سلانيك الى ازمير واعانة العثمانيين البائسين الهاربين من وجه البلغار

وبلغتنا اخبار كثيرة عن الفظائع التي ارتكبها البلغار واخشى ان تكون صحيحة . وقد قيل انهم قتلوا كل رجل تركي التقوا بهِ ولم يحجموا عن التعرض للنساء

ولجأ الينا في سان ستفانو صبي تركي عمرهُ نحو ست سنوات اذ لقي من عنايتنا بهِ ما لم يلقهُ من ادارة البوليس وكان يتكلم التركية جيداً مما يدل على انهُ من عائلة راقية لكن اباهُ وامهُ قتلها البلغار ثم تبنّاهُ احد الاطباء المصريين واتى بهِ الى مصر

وقد اقتصرت في ما تقدم على ذكر القليل من الامور التي رأيتها والتي سوف تبقى في ذاكرتي ما دمت حيًّا

الفقر والفقير (١)

ايها السادة

في الارض سؤال لم تزل تُلقيهِ اطماع الناس في كل عصر من عصور الحياة ولا تصيب لهُ جواباً مقنعاً لان الطمع ليس لهُ طبيعة محدودة فهو يسأل سؤالاً غير محدود و يريد بطبيعتهِ جواباً غير محدود . هذا السؤال احد ثلاثة هي حقائق الانسانية الضالَّة عن الانسان نفسهِ في غيب الله . يقول ما هي الروح التي تعطي الحياة . وتقول آمالهُ ما هو الموت الذي يستلب هذه الحياة . وتقول اطماعهُ وما هو الفقر الذي يجمع للروح بين الموت والحياة ؟

كذلك نتساءل ما هو الفقر . على انهُ ما غيرَ الفقر سؤال في كل نفس انسانيةٍ معنىً من جوابهِ ولا غير الفقر قبر الاماني الذي لم يخلق الله نفساً من النفوس الاَّ ولها ميتٌ من الأمل في ترابهِ . بلى واذا كان في لغات الافواه لفظ خالد فإنما هو الفقر . واذا كان في هواجس القلوب معنى خالد فانما هو خوف الفقر . واذا كان للدموع الانسانية مصب واحد تلتقي اليهِ من جهات الارض فانما هو بين شاطئين ان جاز أن يكون احدهما الحب فان من المحقق ان احدهما الفقر

ان هذه الارض لتصبح في كل يوم ولا يمكن ان يقال بحق ان فيها عملاً انسانياً عاماً غير طلب المال فأَحرِ بها ان تمسي في كل يوم ولا يمكن ان يقال ان فيها معنى انسانياً عاما غير راجع الى الفقر . ويقولون انها تدور حول قرص الشمس وهو قول فلكي او سماوي يصح اطلاقهُ على الارض كهيئتها يوم خلقها الله او على الاقل كما خلقها . اما الحقيقة الارضية فانها تدور حول قرصين قرص اللهب وقرص الذهب . ويا لله وللفقير . انهُ دائماً في الجهة المظلمة

الفقر متى القيتهُ سؤالاً عاد اليك بجواب نفسهِ لانهُ فصل من كل عمر كالشتاء فصل من كل سنة . وليس في الناس جميعاً من يصدق اذا ادعى انهُ لا يعرف الفقر غير اثنين لا خير فيهما : غنيٌّ جنَّ من فرط الغنى وفقير جنَّ من فرط الفقر . فالاول لا يعرف الفقر في جنونهِ لانهُ جنَّ بغيرهِ والثاني لا يعرفهُ لانهُ جنَّ بهِ ولكن من هو الفقير ؟

من هو هذا الكائن الضعيف الذي احاط بهِ الجهل حتى انهُ ليجهل نفسهُ . واينما اتجه اشاح عنهُ الناس بوجوههم فلوَوا رؤُوسهم وصعَّروا خدودهم وامالوا اعناقهم حتى كأَن

(١) خطبة الفاضل مصطفى افندي صادق الرافعي في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا في ٦ ابريل سنة ١٩١٣

كل رأس في التواء عنقهِ من الشموخ والاستكبار يمثّل علامة استفهام اقيمت في وجه هذا المسكين او علامة انكار

من هو هذا الحي الذي تنكرت لهُ الدنيا حتى صار فيها كأنهُ نوع شاذ من الخلق يقوى على كل شيء حتى الطبيعة ولكنهُ يضعف عن شيء واحد وهو الغنيّ فقضت عليهِ شرائع الاجتماع ان ينفق من حياتهِ اضعاف ما يكسب لحياتهِ . فهو اذا كدح في العمل طوال يومهِ فقوت هذا اليوم عليهِ كثير، واذا لم يجد ما يطعمهُ الجوع فاطعمهُ من جسمهِ فذلك عليهِ يسير، واذا ذاب في الشمس وجمد في البرد فهو عند الاغنياء ذو طبيعتين لانهُ فقير!

من عسى ان يكون هذا القويّ الذي يختصمهُ المجتمع كلهُ ويخشى ان يرتفع فيكون «قاضياً» عليهِ، ويأخذهُ اليوم بالجناية وهو الذي اوحاها بالامس اليهِ، ومن هذا الذي يرى المجتمع انهُ اذا قُدّر للشريعة ان تُلحد في قبر فلن تُدفن الاَّ في هاوية من مطامعهِ، واذا حكم الله على عصرٍ من عصور الجبابرة بالشنق فلا تكون المشنقة بجذعها وحبالها الاَّ من ذراعيهِ واصابعهِ؟

من هو الذي يجفُّ ريق الارض لو جفَّ عرقهُ من ترك العمل، ويخيب املهُ مع ذلك في كل غنيّ وهو نفسهُ للاغنياء اكبر اسباب الامل . يُدِلُّون عليهِ بالغنى ولولا أنَّ في فضتهم عنصراً من دمعهِ القيم لما وجدوا لها قيمة، ولولم يكن في ذهبهم روح من دمهِ الكريم لما عُدَّ افضل المعادن الكريمة

ذلك ايها السادة هو المدرج في اكفان النسيان، الذي ليس لهُ في الناس الاَّ منكر ونكير، ذلك هو البائس في بني الانسان، الذي يكثر عليهِ القليل ويقل منهُ الكثير، ذلك هو المتناقض في نفسهِ حتى لا يصغر ان يقال فيهِ صغير ولا يكبر ان يقال كبير، ذلك هو الذي يشبه ان يكون عملهُ حركة فلكية في الارض لآلة الغنى . ذلك كلهُ هو الفقير

يا لله ما تحمل الارض انساناً واحداً لا يخشى عادية الفقر ولا يتعوذ بالله منهُ ولا يرى يومهُ في هذه الارض كأنهُ الآخرة قبل الموت يقوم الفقير بين حسابها، وعذابها، ويستعيذ برحيمها، من جحيمها، ويفرُّ من امهِ وابيهِ، وصاحبهِ ونبيهِ، ويضع في ميزانها آمالهُ، فلا يزن الاَّ اعمالهُ، ويستصرخ كل من يمرُّ بهِ فلا يسمع الاَّ قائلاً يقول نفسي نفسي، ويذكر كل انسان بمودتهِ وكل انسان هنالك قد نسي او انسي، فينظر فاذا هو في الناس ضائع حتى لا يعرف لهُ محلاً، ومنفرد حتى لا يجد بينهم لشخصهِ ظلاًّ، واذا هو بالسماء وقد التهبت باقدارها حتى كأنها في عينهِ جمرة من البرق الخاطف واذا الارض قد ثارت باهلها كرماد

اشتدت بهِ الريح في يوم ٍعاصف ، فان اقبل على الناس فرّوا من اماكنهم كأنهُ زلزلة تمشي وان استصرخهم نفروا كأن في صوتهِ فزع الرعد القاصف . يالله لا تحمل الارض الأمن يعرف هذا من الفقر بل اشد منهُ ثم يبقى الفقير كأنهُ مسئلة مجهولة في حساب الناس لا همَّ لهم فيها الأ كثرة الطرح والضرب ثم الغلط في النتيجة ... وتنحاز طبائع الناس كلها في جهة والفقير وحدهُ في جهة حتى لا يرى هذا المسكين في العالم على سعتهِ غير اثنين هو واستبداد الغنى

ترى اين تكون شرائع الآداب إذن . هل هي في ضمائرنا ام هي في كتبها . ام صار الحق كلهُ انسانيًّا بحتًا لي عليك ولك عليَّ وليس لله علينا شيء . وفصلنا انفسنا من السماء وقطعنا الروابط التي كانت تربطنا بها ونبذناها فرثَّت ثم رثَّت فاذا هي على اجسام الفقراء تلك الاسمال البالية

ايها السادة : الحقوق متى صارت انسانية محضة ليس فيها لله شيء فكل درهم يوضع في يد الانسان يجعل فيها عقلاً يحكم على عقلهِ وكل رغيف يستقر في معدتهِ يخلق فيها ضميراً يستبد بضميرهِ . فينفصل الانسان من الله و يبتعد عنهُ بمقدار ما يقرب من الغنى . وحسبهُ يومئذٍ في اعتبارهِ بعيداً جدًّا عن الله ورحمتهِ ان يقال ان بينهُ و بين ربهِ مسافة الف دينار ... ذلك بان عدل الله يقضي ان يكون للفقير ثروة وانما الجزء المهم من هذه الثروة هو الاحساس في ضمائر الاغنياء . والادلة على هذه القضية (قضية الحقوق الانسانية) كثيرة تفوت الحصر لان كل مرابٍ جمع مالهُ من السُّحت والربا انما هو في نفسهِ دليل عليها . وليس احد اخيب رجاءً ولا احق بان يخيب ممَّن يسأل المرابي احسانًا لوجه الله فان الذي لا يعرف الله فيما يأخذ كيف يعرف الله فيما يعطي

لماذا نرى جفاة الاغنياء يخشون من الفقر على انفسهم فقط ولا يخشون منهُ على الفقير؟ اظنهم يقولون ان في الارض شيئين بمعنىً واحد . قبور الاموات في باطنها واكواخ الفقراء على ظاهرها . وليس من فرقٍ بينهما في النسيان لانهُ يشملها جميعًا وانما الفرق بينهما في حاليها المتناقضتين . هذا قبر ميتٍ وهذا كوخ حي . نعم صدقوا و برُّوا وقالوا حقًّا . اليسوا جُفاة القلوب غلاظ الاكباد . والاَّ فما هو الفرق بين موت منسيٍ كموت الغريب وحياة منسيَّة كحياة الفقير الأ على الفرق الذي لا يبالي بهِ هؤلاء الاغنياء حين يكون لاحدهم ظاهر حي وضمير ميت

واظن اولئك الجفاة يقولون : اننا نرى الفقير لا يملك في الارض شيئاً بل هو الحارس على قطعة من ارض الله يطوف حولها يومهُ . ففقر فلان التاجر الغني مثلاً ليس هو في الحقيقة ان لا يصيب القوت ولا يجد المأوى كغيرهِ من الفقراء وانما هو المتاجرة في الآمال. بعد الاموال . وقبض الريح . بعد قبض الربح . واستقبال الابواب والجدران . بعد استقبال الاصحاب والجيران . وهلمَّ من هذا الباب الذي يُفتح من جهة الغنى على سائر الجهات الثلاث للحياة البائسة وهي الفقر والمذلة والألم . وانما هو رجل ككلّ رجال المال متى خرج المال من يد احدهم خرج اسمهُ من افواه الناس وحبهُ من قلوبهم ويكون من اهل السعادة لو خرج هو ايضاً من الدنيا . . .

قُتل الانسان ما اكفرهُ . لو ان غنيًّا فقد جبلاً من الذهب واصاب رغيفاً لكان ذلك ايسر في مذهب الانسانية من ان لا يجد البائس المعدم رغيفاً يمسك بهِ الرمق ويقيم منهُ باباً حاجزاً يمنع الجوع ان يُدخل اليهِ الموت او يخرج منهُ الروح . ولكن مصيبة الانسانية في اهلها ان الله لم يخلق الاَّ صنفاً واحداً من الناس على ان كل انسان يظن انهُ ذلك الصنف الواحد . فالغنيّ حين يتصور الفقر وهو لا يزال في غناهُ لا يتصور الاَّ اختلال نظام الاقدار. واضطراب حركتي الليل والنهار . بعد ان يهوي كوكب سعدهِ الذي يصاغ من كل ذرة من اشعتهِ دينار . . . . ولا يرى بهذا الفقر الاَّ ان نقمةً هابطةً من السماء ولعنةً صاعدة من الارض قد التقتا عند رأسهِ الشامخ في جو كبريائهِ فاصطدمتا بهِ فاذا هو مُكِبٌّ لليدين وللفم عند اقدام الناس واذا هو فقير

هذا هو الفقر في اوهامهم ولكنهُ فقرهم فقط . . . اما سائر الناس فهم عندهم اهل باطل ودعوى . ينتحلون الفقر ويدعونهُ ليعادوا نعمة الغنيّ بالحسد فالجوع فقر والمرض فقر والتعب فقر والضجر فقر واشتهاء ما ليس لهم فقر وقلة الاصحاب فقر وحتى لو ان احدهم سخطتهُ زوجهُ لنسب ذلك الى الفقر وبالجملة فكونهم ليسوا كالاغنياء هو الفقر . فاذا كان الفقر كل شيء فما هو الشيء الذي يسمى الفقر ؟

من اجل ذلك ايها السادة يخشى الاغنياء من الفقر على انفسهم وهم انفسهم لا يخشون منهُ على الفقير . لان هذا الفقير عندهم قد اصبح شخصاً آخر لا صلة لهم بهِ فهو يكذب على الحوادث والحوادث تكذب عليهِ وجزاء سيئتهِ سيئة مثلها . فاذا انخدعوا لهُ فبمقدار ما يتعجبون من سخافتهِ واذا اعطوهُ كان المعطاء سخيفاً بمقدار ما ينخدعون . ولا ينظرون لاثر

الله عليهِ ولكن لاثرهِ على نفسهِ اذ الحقوق عندهم حقوق انسانية فهيهات ان يختلج في نفس احدهم ان لو شاء الله لوضعهُ في ثياب هذا الفقير ولوضع الفقير في ثيابهِ. اتردُّ مثل هذا الغنيِّ الجلف الى الدين ؟ انهُ لهو الدين . اترده الى الانسانية ؟ فمن هو اذن اذا لم يكن من صميم الانسانية وعين اهلها بل انسان هذه العين . اما الحق فاذكر امواله تعلم ان « الحق في يده » . . . هكذا هكذا يعطي المال اهلهُ حتى فضائل غيرهم ويسلب الفقر اهلهُ حتى محاسن انفسهم

ايها السادة : لا بد من صلة معنوية بين جميع الناس على ما يكون بين الانسان والانسان من التباين والاختلاف في كل شيء حتى بين الاخوين تلدهما الام الواحدة وهما معها اتفقا في الحياة ومظاهرها فانهما لا بد مفترقان افتراق الثديين اللذين ارتضعا منهما الحياة . فما عسى ان تكون هذه الصلة العامة بين الناس ؟ تقول الشرائع ان الصلة التي تجمع الناس بعضهم ببعض هي العدل . وتقول العلوم انها العقل . وتقول الآداب انها شيء من العدل والعقل يكوّن الانسانية في الضمير . وتقول الحياة انهُ سبب الانسانية وهو الرحمة . ثم يرعد صوت الهي يقصف من جهة السماء التي هي مصدر العدل والعقل والانسانية والرحمة فيصيح بكل ما في هذه الاشياء من القوة ويقول كلا . بل هو سبب الرحمة ومظهر الانسانية وكمال العقل وفضيلة العدل وهو الفقر

من الذي وُلد وفي يدهِ قطعة من الذهب ومن الذي مات وفي يدهِ تحويل على الآخرة ؟ لقد وسعت الخرافات كل شيء الاَّ هذا فما لنا نتحد في البدء والنهاية ثم نختلف في الوسط ؟ ذلك لان بدءنا من طريق الله ونهايتنا في طريق الله ولكن الوسط طريق بيوتنا ومصانعنا وحوانيتنا وبكلمة واحدة طريق بعضنا الى بعض . . . وحيثما التقى الانسان بالانسان فإما ان تلتقي المنفعة بالمنفعة والاَّ فالمنفعة بالمضرة فلا بد من انتفاع احدهما او كليهما . ومن ثمَّ يقول البخلاء ما الذي ننتفع بهِ من رحمة الفقير . او لا يكفيهِ اننا لا نرزؤهُ شيئًا واننا نُفْضِل عليهِ فنعتدُّ الدرهم الذي نمسكهُ عنهُ كأنهُ درهم اخذناهُ منهُ و بذلك لا يضرنا ولا ننفعهُ بشيء ومن جهة اخرى يكون قد نفعنا ونفعناهُ بلا شيء . . .

قاتل الله البخل وقبحهُ فما هو الاَّ حرص على المنفعة يشبه عبادة الوثنيين لكل ما توهموا فيهِ المنفعة . وان كان للحواس نوع من الكفر بالله ، فكفر اليد في امساكها ، وان الله لرحيم اذ لم يعاقب البخلاء بما يعاقبون بهِ الناس . فليس بين كل بخيل و بين الهلاك الاَّ ان ينقل الله

الامساك من يدهِ الى جوفهِ ... على ان البخل اذا لم يكن بقية من الوثنية القديمة بعينها فهو على كل حال نقص من الايمان لان الله وعد المحسنين والمتصدقين ثواب ما انفقوا مكافأة على فضيلة الاحسان التي هي في الحقيقة فضيلة الاحساس . ثم ان يخلف عليهم ما انفقوهُ اضعافاً مضاعفة إذ المحسن لا يجود بدراهمهِ على الله ولكنهُ يقرضهُ اياها قرضاً حسناً متى وضعها في يد الانسانية الفقيرة . فمن امسك عن الاحسان بخلاً فانما يشك في وعد الله والاَّ ففي قدرة الله والاَّ ففي الله نفسهِ . فأكبر البخل عند اكبر الكفر واصغرهُ عند اصغرهِ ، ويوم يخرج الايمان من قلوب الاغنياء تخرج ارواح الفقراء من اجسامهم فيموتون بالجوع وبالعُرْي وبالمرض وغيرها وكلها مظاهر متعددة لسبب واحد هو في الحقيقة كفر الاغنياء كفراً في الضمير لا كفراً في اللسان

من هنا ايها السادة لا تجدون الفقر في اي عصر من العصور الاَّ بعض الخلل في نظام الاجتماع الانساني كما ان البخل بعض الخلل في نظام النفس الانسانية . والفراغ الذي يجدهُ الفقير في بيتهِ انما هو موضع النعمة التي بخل بها الغنيّ وهو في الحقيقة موضع التفكك او الكسر في الآلة التي تديرها شريعة الاجتماع

الانسان انما خلق اجتماعياً وهو بشخصهِ لا قيمة لهُ ولا منفعة الاَّ حيث يكون شخصهُ جزءاً من مجموعٍ لأن اليد الواحدة في الجسم ولو كانت يد ملك وكان فيها زمام العالم فانها لا يفارقها عيب اختها المقطوعة

وكل خلل في النظام الاجتماعي فانما مردُّهُ الى طغيان بعض الافراد وجنوحهم الى ان تكون شخصية الواحد منهم من الكِبَر والعظمة بحيث توازن المجموع كلهُ . بَيْدَ أن هذه الموازنة الفردية متى اتفقت كانت إخلالاً بالموازنة الاجتماعية لانها تجعل كل حركة من هذا الفرد زلزلة في المجموع كالثقل في احدى كفتي الميزان ان خفَّ سقطت الكفة الاخرى وان ثقل شالت وهو السقوط الى فوق ...

والموازنة الاجتماعية لا تتهيأ الاَّ اذا تطبَّعت قوى المجموع فاندفقت في تيار واحد الى جهة معينة . ولكن الموازنة الفردية لا تستقيم الاَّ اذا جاءَت من عكس هذه الجهة فتصدّ قوة المجموع وتبقى دائماً ذات قوة على صدها . ومن اراد الغلبة فان ضعف خصمهِ يعطيهِ منها اكثر مما تعطيهِ قوة نفسهِ ولا يكون ضعف المجموع الاَّ من حَصْر الشخص العظيم قوة عقلهِ ونفسهِ وضميرهِ في هذا السبيل الفردي لتكون منهُ الشخصية الهائلة التي تشبه ما كان في تاريخ الوثنية من شخصيات الآلهة وأنصاف الالهة

وقد اضطر الناس لذلك من عهد اجتماعهم على نظام او شريعة الى ابتداع الوسائل للتوفيق بين قوة الفرد وقوة المجموع حتى لا يستشري الداء في الموازنة الاجتماعية فيفسدها و يوقع في نظامها الخلل ولكيلا تكون خيرات المجموع كلها في معدةٍ واحدة وحتى لا يبقى الناس ارقاماً يعدهم الغني المستبد كما يعد دراهمهُ لانهم ثروتهُ الحية . . . غير ان هذه الوسائل على اختلافها لم تكن ولم تزل الى عهدنا عهد الاشتراكية العلمية الاَّ ثورات هي مهما كانت فانها اشبه شيء بجموح الحيوان اذ يحمى انفهُ فيجمح ثم يسترسل في جماحهِ ثم يشتد حتى يعتزَّ صاحبهُ على رأسهِ و يملك نفسهُ منهُ ثم ماذا ؟ ثم يسكن مكرهاً بعد ان جمح راضياً فان لم يسكنهُ الألم من صاحبهِ اسكنهُ التعب من نفسهِ . لان التخلص من شيء في فطرة الانسان لا يكون بالتخلص من انسان بعينهِ كالحرية إنْ لم تكن في نفوس الشعب المستعبَد لم ينفعهُ كل ما يتمثلهُ من الآمال عند سقوط المستبدِّ وزوال عهدهِ فان هذه الآمال الجميلة انما هي بعض الهواء النقي الذي يتنفسهُ تاريخ الحرية المستعبدة ملءَ رئتيهِ حين ينبعث من الحركة التي يحدثها ذلك السقوط

ومن هذا ايها السادة ترون ان الانسان لا يعيش فرداً ولكنهُ حين يموت يموت فرداً . فاذا رأيتم فقيراً منبوذاً من المجتمع منفرداً عنهُ لا يساهمهُ في عملهِ ولا عيشهِ بل كأنهُ يعيش في بقعة مجهولة من فؤادهِ فاعلموا ان اهمال ذلك الفقير انما هو نوع من القتل الاجتماعي

ههنا قاتل ومقتول لم يأخذ القاتل بحق من الحقوق ولا ثأر لنفسهِ ولا قتل بيدهِ . اما المقتول فانهُ لم يُقتَل في اثم اجترحهُ ولا هو جنى على نفسهِ الضعف الشديد الذي بلغ منهُ حتى جعل اهمال القويّ إياهُ كأنهُ حكم عليهِ بالقتل . فترى على من تكون هذه التبعة وهي بالتحقيق ليست على القويّ لقوتهِ ولا على الضعيف لضعفهِ ؟

هناك اثنان رجل في الماء وآخر على الشاطئ فاما الذي في الماء فليس بينهُ و بين الموت غرقاً الاَّ نفَس واحد مبتلّ يتسلَّل بالماء من حلقهِ الى رئتيهِ وهو يرى بعينهِ الموت دائباً في حفر قبرهِ المائي فليس الموج المتناثر حولهُ الاَّ ما تثيرهُ يد جبار الموت من تراب ذلك القبر وتحثوهُ في وجههِ بنزق وغضب . بعيدٌ عن الاحياء حتى بَعُدَ عن ان يكون لهُ قبرٌ بينهم ولا صلة بينهُ و بين الحياة الارضية الاَّ نظرات ذلك الرجل القوي الذي يلوح في عين الغريق كأنهُ صخرة على الشاطئ لها قوة وليس لها ارادة ولا يد . ولكن هذا الذي يشعر بصلابة الارض تحت قدميهِ و يشعر بصلابة يدهِ وعضلاتهِ يشعر ايضاً بمعنًى من الصلابة

في قلبهِ . وقد جاءَ الى الشاطئ ليتنفس تلك النسمات التي يتنهد بها صدر السماء فتكون ارواحاً للامواج تبعث فيها حركة الحياة . ما لهُ ولهذا المنظر ؟ سواد يطفو على الماء كأنهُ هنة من المتاع او حذاء قديم او ريش طائر او رأس رجل يغرق وما دفعهُ هو الى الماء فيكون حقًّا عليهِ ان يستنقذهُ ولا كان الغوص من صناعتهِ فيعمل في اخراجهِ ليخرج معهُ اجر عملهِ وهو قويٌّ ولكنهُ قويٌّ لنفسهِ لا للضعفاء وقد جاءَ ليروّح عن نفسهِ . وانقاذ الغريق عمل آخر . اخذ فيما جاءَ لهُ وما زال يتنفس ملء صدرهِ من الهواء ومن زفرات الانسانية ومن لعنات ذلك الغريق حتى آن لهُ ان ينصرف وترك الرجل يغرق وهو يقول لا بأس ان ينقص عدد اهل الارض واحداً فهم كثير . ترى على من تكون هذه التبعة ايضاً ؟

اذا اردتم ايها السادة ان تعرفوا ذلك فانكم تستطيعون ان تحققوهُ بدون ان تكونوا شرطة او قضاة او اهل قانون او فلسفة ولكن بان تكونوا من ذوي الانسانية فقط . فان الانسانية لا ترى في الارض الاَّ الضمائر وما هذه الاجسام الاَّ ادوات صناعية ركبت هذا التركيب لتصلح لحياة الضمير . فالرجل قد مضى بريء اليد و بريء القوة و بريء العقل اذ هو لم يقتل ولم يجنِ على القتيل ولم يخذل لقتلهِ ولكن الانسانية حين تنادي الضمائر باوصافها فتقول ايها الطيب وايها الكريم وايها الشقيُّ وايها السافل تقول لضمير هذا الرجل ايها القاتل

اذا لم يقرّ الاغنياء لانفسهم بالضمائر ولم يلحقوا بها التبعات التي تناسبها فهل هم في ذلك الاَّ كالمجانين لا تقر لهم الشرائع بالعقول وتخرجهم من تبعة ما يجنُون على العقلاء لانهم مجانين . وكيف ترون ذلك الغنيّ الفظّ الذي يهرُّ في وجوه الفقراء ويصيح بهم كأنهُ ينبحهم بلغة كلبية . . . ولا ينفتأُ يقذفهم بالالفاظ الجافية المؤلمة كما يقذف المجنون بالحجارة . . . واذا اعطاهم فانما يعطيهم بقبضة فارغة . . . وهو لا يوقّر الاَّ من فوقهُ كأنهُ لا يرى في الدنيا كلها اسفل من نفسهِ . . . ولا يبالي الاَّ بمن يطمع فيهِ كأنهُ جالس في (مكتب احد المخدِّمين) وقد تساوى في الدناءة والكلف بالدنيا وقذارة الطباع ظاهرهُ وباطنهُ كأنَّ ضميرهُ لبسهُ مقلوباً . . . وصار امر رضاهُ وغضبهِ واحساسهِ وحيائهِ موقوفاً على ما يكون من امر المعاملات كأن اخلاقهُ ليست في نفسهِ ولكنها في ايدي الناس . . . . أليس مثل هذا الغنيّ الدنيء رجلاً عاقلاً ؟ بلى انهُ لاعقل من كل من يمدحهُ ولو كان اكبر علماء الاقتصاد ولكنهُ مجنون الضمير بحيث لا يعقل الاَّ بحواسهِ

ستأتي البقية

القصيدة الهندية

لما اطَّلع حضرة الوجيه الخواجا ديمتري خلاط على السؤَّال المنشور في مقتطف ابريل كتب الينا يقول « لم يسعدني الحظ بمعرفة الدكتور حامد ابرهيم لكن الانشاء يدلُّ على ادب الانسان كما يدلُّ العبق الطيب على الريحان فارجو اجابة طلبهِ واعادة نشر القصيدة في العدد التالي من المقتطف » · فاعدنا نشرها وتركنا الشرح المسهب الذي جعلهُ حضرة الناظم تمهيداً لها وهو حري بمطالعة كل من يود ان يعرف شيئاً عن الشعر الهندي

اراكِ في يقظة من لوعة الألمِ … اني شبيهك مكلومٌ فَعي كَلِمي
أُصغي ولا تعجبي مما أُصبتُ بهِ … اني سعيتُ الى حتفي على قدمي
وقد حصدتُ ثمارَ الوجد يانعةً … لمَّا زرعتُ بزور الضرّ والنقم
وهكذا الذنب مشفوعٌ بنقمتهِ … وصاحب البرّ لن يُشقى ولم يُضمِ
تبًّا لهـا ساعةً لمَّا نفيتُ بها … راما نفيتُ الكرى معهُ فلم انمِ
انَّ الجنون فنونٌ كيف حيلةُ من … شام ابنهُ نورهُ أُطفاهُ ثمَّ عَمِي
إني سلكتُ سبيل الغيّ عن عجلٍ … ضللتُ فيهـا شبيه العِير والبهم
وقد ملأت كؤُوس اللهو مترعةً … رشفتها فشربتُ السمَّ في الدسمِ
حاكيتُ طفلاً رأى حبلاً فمدَّ لهُ … عُنقاً فكان بهِ لحماً على وضَمِ
سلطانةَ الهند لمَّا كنتِ يافعةً … وكان فيك هيامي غيرَ مكتتمِ
كنتُ امرءًا قاعداً عن هم سلطنةٍ … خليّ بالٍ شجيّ الحبّ والنغمِ
والقلب في فرحٍ والجسم في مرحٍ … والخصمُ في ترحٍ والاهلُ في نعمِ
وكنت من شغفي في حب فاتنتي … أهيمُ للقنص في الآجام والأكمِ
فذات يوم تأبَّطت الكنانةَ وال … قوس الموتَّر يصمي طائر الرَّخمِ
واذ وجدتُ مليكَ النور منهزماً … والليل اقبلَ مع اقيالهِ الدُّهمِ
اممتُ نهر السرايو علّ ذا ظمإٍ … من الاوابد يأتي الماء في أَممِ
لبثتُ مختلياً للقنص مرتصداً … حتى سمعتُ اناء في المياهِ رُمي
حسبتُ خرطومَ فيلٍ جاء مستقياً … صوَّبتُ سهمي وُقيتِ ساعةَ الوهمِ
اطلقتهُ فسرى والشؤْمُ يحملهُ … على غرابٍ بجنح البين ملتزمِ
اصاب سهميَ لا فيلاً ولا اسداً … بل ناسكاً ناطقاً من خيرة الاممِ
القى اناء الى الماء القراح لكي … يملاهُ منهُ فأُسقي من إنا العدمِ

سمعتُ أنَّةً يشكو اذى ألمٍ وصاحَ من حرَقٍ "يا خائض الاجمِ
حلَّتَ ما حرَّم العقلُ السليم بهِ فالصيد في الليل مثل الصيد في الحرمِ
إن كنتَ عامداً قتلي ليس من سببٍ يبرىءُ القتل في شرع لذي ذُممِ
يا نهرُ يا نهرُ ما هذا المصاب فقد وجدتُ حرَّ الردى في مائك الشبمِ
ولستُ أبكي على فقد الحياة فقط أمي كذاك أبي في حالة الهرمِ
أبكي فراقهما اذ كنتُ عونهما عند الشدائد والاحزان والسقمِ
فمن يعولهما بعدي وضيفهما ضيفُ العمى بئس ضيفاً غير محتشمِ"
تفتَّتت كبدي من ذا العويل وذي الشكوى فبتُّ كسكران وذي لممِ (١)
لم أدرِ هل طبَّقت ارضٌ عليَّ أم انقضَّت عليَّ من الاعلى كُرَى (٢) الرُّجمِ
فسرتُ نحو مهبِّ الصوت مصطحباً قهراً كلا الراجفين (٣) الهول والندمِ
وجدتُ ملقى صريعاً في المياه فتى على محيَّاهُ سيما الفقرِ والشيمِ
لمَّا رآني اليهِ مقبلاً وبدا وجهي كبحرٍ بموج الغمِّ ملتطمِ
رنا اليَّ بلحظٍ كاد يحرقني شرارهُ بلهيب الحزن مضطرمِ
وقال لي " يا كميًّا قد فتكتَ بمن نحو القريب ونحو الله لم يصمِ (٤)
أرشتَ سهماً وكان السهم مصرعهُ ثلاث قتلي تباعاً خلف بعضهمِ
أين الفدا أين نسكي ما انتفاعي بهِ وقد قُتلتُ بلا ذنبٍ ولا أثمِ (٥)
قد كنتُ قرَّة عين الوالدين غدا ابي تعيساً فقيد الرشدِ والحُلمِ
وما انتفاع أخي الدنيا بعيشتهِ اذا استوت عنده الانوار بالظلمِ (٦)
اقصرْ عناك فان تطلب معالجتي اخفقتَ والموتُ داءٌ محبطُ الهممِ
والمرءُ كالغصنِ ان قُدَّت ارومتهُ بالفاس مات واضحى مطعم الضرَمِ
لكن اذا كنتَ ترجو الآن مغفرةً لدى إلهٍ رحيمٍ باذخ الكرَمِ
فسرْ الى والدي من ذي السبيل وسلْ منهُ السماح وقل يا كامل الشيمِ
أتيتُ معترفاً فيما اقترفتُ وقد رضيتُ حكمك يا خصمي ويا حكمي
عسى اعترافك يقصي عنكَ ادعيةً عليك هطَّالةً بالشؤم كالديمِ
قف لا تسرْ وحديد النصل يلذعني كحيَّةٍ قنعت باللدغِ والسممِ (٧)"

(١) اللمم الجنون (٢) جمع كرة (٣) الراجف الحمى برعدة (٤) يعيب (٥) تضمين مصراع بيتٍ لصفي الدين الحلي (٦) ايداع بيت المتنبي مع تصرف في معناهُ (٧) السم قبل الادغام

انزعهُ من كبدي وارفع اذيّتهُ فليس يفعل غير النخس والالمِ
سللتهُ من فؤادٍ خافقٍ المًا فسال منهُ دما داعي جماد دمي
واستسلم الروح في شرخ الصبا فسرت الى العُلا وانا في ارض ذي سَلَمِ (١)
مُصفرٌّ وجهٍ ومحمرٌّ العيون ومسودٌّ م الجبين ومزرقٌّ اللمى وفي
منَ الكآبة قد خيط اللسان بهِ والأذنُ صمّت فمن للبكم والصممِ
لما صحوتُ من البلهِ الملمّ ومن خطبٍ مهولٍ يدقّ العظمَ باللحمِ
يمّمتُ مثوى أبيهِ حاملاً بيدي وعاءهُ فوجدتُ الشيخَ في الخيمِ
مع القرينة أمّ الظبي واأسفي كلاهما من تداعي العمر كالرُّممِ
توهمَ الشيخُ في وقع الخطى خطا وخالني يانداتا صاح عن زعمِ
" يا يانداتُ لما ابطأتَ يا ولدي ودأبُ عدوك كالسيّارة الرسُمِ (٢)
وانتَ تعلمُ أنّ الانسَ مفترقٌ عنّا اذا كنتَ معنا غير ملتئمِ
فانتَ روحٌ لنا راحٌ لراحتنا ريحان نسمتنا لولاك لم ندمِ
هاتِ الإناء وقرّبْ انني ظمئٌ إليك كالماء رطبٌ بالدنوّ في
مالي اراك بعيداً صامتًا بجفا وانتَ لي دائمًا بالطوع كالقلمِ "
فغام وجهي وصال الرعد في بدني وسال دمعي كطلّ الغيث منسجمِ
واشبهتْ حالتي فلك العُباب متى من وطأة الريح لم يهدأ ولم يعمِ
وطّنتُ نفسي على ردّ الجواب لهُ فقلتُ يا من بغير الزُهد لم تهمِ
لستُ ابنك الفاضل المشهور بل رجلٌ يا سيدي داثراتا فارسٌ وكمي
قصدتُ قنصاً وحظي راكبٌ زُحلاً فالنحس رافق سيري غير منفصمِ
وفي مهاوي الجوى القيتُ وا أسفي سأصرف العمر طرًّا غير مبتسمِ
وبعد فاتحة التأسا رويتُ لهُ حديثَ فاجعتي فازورّ كالحجمِ (٣)
وقام يزأر مثل الليث مختبطًا والأمُّ باتت من اللأواء كالصنمِ
ظلاً صريعين من مفعول صاعقةٍ يشيبُ منها اشتعالاً اسود اللممِ
فريثما خمدت نيرانُ حزنهما آلا لحال بعقد الرشد منتظمِ
وايقنا بوجودي واقفًا وجلاً وما جُهلتُ لدى ذي حكمةٍ فهمِ
فقال والدهُ « إعلم بانك لو ما جئت معترفًا بالقتل والهدَمِ (٤)

(١) ارض الشوك (٢) السريعة الوخد (٣) جمع احجم اي شديد حمرة العينين (٤) هدر الدم

وتائباً في براءٍ عن تعمُّدهِ لصرتَ في الحال كالصفوان والحممِ
لانَّ برهم مَن بالوج مسكنهُ يهوي بأدعيتي من حالق القممِ
فقرّ بالأسحي سيداً ملكاً ولستُ منكَ بمقتصٍّ ومنتقمِ
لكن خذ النصح مني لا تُصب احداً من برهميين تهلك (١) فاستفد حكمي
والآن خذ بيدي مُرْ بي مع امرأتي الى قتيل ذليلٍ كان ذا شممِ
حتى نودعهُ والقلب نودعهُ امانةً فوفاهُ غير منصرمِ
هيَّا بنا لعزيزٍ كان مصرعهُ ضمنَ الكبود مثيرَ الغم والسأمِ
قد كان عكازنا ملجا مخاوفنا مصباحَ ظلمتنا من أحسن الخدمِ
هيَّا نُعانقهُ نطوي غدائرهُ (٢) نزورهُ قبل ياما (٣) قابض النسمِ
مرنا أقودهمُ والحزن شاملنا حتى وصلنا وكانت فكرتي بهمِ
فمذ دنوا من فتاهم ولولوا وبكوا حتى دوى الأفقُ رعداً من دويهمِ
واحدقوا واحاطوا في مقبّلهِ كما تحاط خصور الناس بالحزمِ
ثم تلا النعيُ قالت امهُ ولدي جئنا إليكَ لما يا روح لم تقمِ
وما تعوّدتُ منك الصدَّ في طلب وما أجبتَ ندائي غيرَ بالنعمِ
قد كان حبّك لي عشقاً بلا عذلٍ وقد رضعتَ هيامي غيرَ منفطمِ
فهل رضيتَ النوى قل لي أعن مللٍ جلّت صفاتك لا ارميها بالتهمِ»
وضمّ والدهُ منهُ كواهلهُ وصاح يا مهجتي إنا لديك شمِ
قبّلْ وعانقْ وصافحْ بُسْ وحيِّ وقفْ إسلمْ وسلّمْ وسلْ سالِمْ وعشْ ودُمِ
بالله دع ذا الجفا عاشرتنا بصفا والطبع منك الوفا قولاً بلا قسمِ (٤)
فمن يؤانسنا ان غبتَ يا ولدي ومَن يصلّي لنا في ارخم الزنمِ
ومَن يقينا من الفقر الملمّ بنا والجوعُ ضارٍ قتولٌ غير ذي رُحمِ
ومَن نارقب في الليل البهيم وفي ألصبح المنير ويجلو ظلمة الغشمِ
يا زهرةً ذَبُلتْ قبل الاوان ويا غصناً نضيراً ذوى ليتَ الفدا بدمي
أتحسب العيش بعد النأي محتملاً فالجورُ فاضَ وغاض الصبرُ فاحتكمِ
لا ريب انك غادٍ للعلاء لكي تلقى ذوي الفضل والآداب والحكمِ

(١) في مذهب الهنود من قتل برهمياً هلك (٢) عادة الهنود ضم شعر الميت (٣) ياما الاله القابض الارواح (٤) اي انك لا تحتاج في الوفاء الى القسم فمتى قلت فعلت

الى مقامِ معد الأُلى قعدوا عن الملاهي وقاموا في زكاتهمِ

نظير يايا وناهوسا [1] اللذين هما بالبرّ اشهر من نارٍ على علمِ

من كان مثلك لا يهوي لهاويةٍ فانها منزل القاتول ذي الجرمِ

ما انجز الوالدان النعي حتى بدا فتاها رافلاً في حلة النعمِ

وراكباً من جياد الخيل مركبةً تروم أُفق الفضا مرخيّة اللجمِ

ويائدات جليسٌ فوق مقعدها مفترّ ثغرٍ نظيم الدر مبتسمِ

يقول يا والديّ الصبر فاجتنبا هذا الاسى وانظراني ما اريق دمي

وما قتلتُ ولكن قد حييتُ بذا امرُ الالهِ قضى [2] من سالف القدمِ

انا سبقتُ وانتم لاحقون الى دار الضيا هرباً من منزل الظلمِ

ثم ارتقى صعداً بالبشر ملتثماً ككوكب بشعاع النور ملتثمِ

فبعد ان غاب عن مرآهما صرخا ها رزقنا افليس الرزق بالقسمِ

وصلّيا وعليهِ استمطرا سحباً من الرضى المعتلي بالقدر والقيمِ [3]

عقيب ذلك مال الشيخ ملتفتاً نحوي وسيماؤهُ تشفت عن الاضمِ [4]

وقال تب لولي الامر عن زللٍ واعدل بصيدك بين الذئب والغنمِ

ستفقد الابن مثلي تبتلي بجوى يحكي اذاهُ اذا حرّ الوطيس حمي

وتشتكي مرّ طعم البين عن ولدٍ مستكمل الحب من كل العيوب حمي

وحشرجت نفسهُ مع نفس زوجتهِ وغادراني جسمين بلا نسمِ

فبتُّ في هذه الآجام منفرداً وبين اجيافهم [5] كالابله الوجمِ [6]

اقول من وجل الانباء مرتعشاً يا نفس توبي وبالاحسان فاعتصمي

ثم انثنيت الى داري اطارد من فكري النبوة او ترديد ذكرهمِ

حتى بليت بما يضني فواحرقي وأُلبس البين جسمي مطرف السقمِ

بئس الحياة فتاة لا ثبات لها فقدت منها رجائي منتهى عشمي [7]

وقد طسمت [8] اتخاماً من زخارفها والموت ينشا عن الافراط والتخمِ

دنت وفاتي ايا زوجي وها نفسي يضيق بالصدر تصعيداً فلا تلمي

أُقررت بالذنب فاعفي جاءني اجلي فأجعل العفو منك حسن مختتمي

---

(١) هما من قدماء امراء الهند المشهورين بالتقوى (٢) الهنود يعتقدون بالقضاء والقدر (٣) رضى الوالدين ثمين جداً (٤) الحقد والغضب (٥) الجميع عائد الى الثلاثة (٦) الصامت عن عي ورعدة (٧) طمعي (٨) طسم افرط من الاكل والتخم

دولة الروس

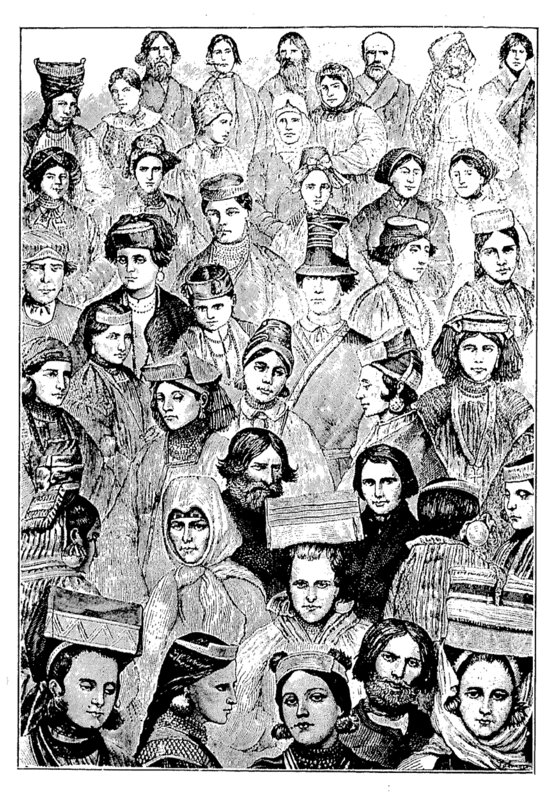
اوردنا في الجزء الماضي خلاصةً مختصرة من تاريخ امراء الروس وقياصرتهم من اول عهدهم الى زمن ميخائيل رومانوف الذي تولى سدَّة الملك سنة ١٦١٣ وهو الاول من دولة الروس الحالية · وقد رأينا ان نورد الآن خلاصة اخرى من تاريخ البلاد نفسها اي من اخبار الملوك والسكان وعاداتهم واعمالهم الدالة على درجتهم من الحضارة

الروس من امم مختلفة الاجناس والازياء كما ترى من صورهم في الصفحة المقابلة واستمرُّوا على ازيائهم القديمة او عادوا اليها في زمن التتار واحتفظوا بها الى ان اضطرهم القيصر بطرس الاكبر الى تغييرها واقتباس الازياء المتبعة في اوربا

وامراؤُهم تمثلوا بملوك اوربا وصاهروهم حالما تنصروا فالامير ياروسلاف زوَّج اختهُ ماريا لكزمير ملك بولندا وابنتهُ اليصابات لهرولد الشجاع ملك نروج وابنتهُ حنة لهنري الاول ملك فرنسا وابنتهُ انستاسيا لاندراوس ملك المجر وتزوج ابنهُ الاول بابنة هرولد ملك انكلترا وابنهُ الثاني بابنة ملك بولندا · وبلغت مدينة كيف في عهدهِ مبلغًا عظيمًا من العمارة حتى ماثلت القسطنطينية وكان فيها اربع مئة كنيسة وكثير من المباني الفاخرة وكان التجار يقصدونها من هولندا والمجر والمانيا

لكن العمران الذي رسخت اصولهُ في ذلك العهد تقلص ظلهُ بعد ما دوَّخ التتار البلاد ثم اقتدى السكان بهم رويدًا رويدًا حتى صاروا مثلهم وصارت ممالك اوربا تعدُّهم من الامم الشرقية المتوحشة · وكاد اتصالهم باوربا ينقطع في القرن السادس عشر والسابع عشر بعد ان أحكمت ربطهُ في القرن الحادي عشر والثاني عشر · فصار قياصرة الروس مثل خانات التتار وسلاطين الترك يتصرفون برعاياهم كأنهم من ممتلكاتهم والرعايا يمرغون جباههم بتراب اقدام ملوكهم كما يقال في المصطلحات التركية ويحسبون انفسهم عبيدًا ارقاء لملوكهم وقامت العبودية عندهم مقام الطاعة

وتعذَّر على قياصرة الروس في اول الامر ان يذلوا امراء البلاد لشدَّة انفتهم وعزَّة نفوسهم فمنعوا اعاظمهم من التزوج لكي ينقطع نسلهم · وكانوا اذا اراد القيصر ان يتزوج يجمعون لديهِ اجمل العذارى ليختار لهُ زوجة منهنَّ ويقال ان العذارى اللواتي أُتي بهنَّ الى واسيلي ايفانوفتش بلغ عددهنَّ ١٥٠٠ فاختار منهن ٥٠٠ ثم اختار من هؤُلاء ٣٠٠ فمئتين فمئة فعشرًا واخيرًا اختار واحدة من العشر وتزوج بها وللحال قرَّب اباها واعمامها فصاروا وزراءهُ



اشكال الروس وازياؤهم

واعوانهُ واهل شوراه ُ. و بديهي ان الوزراء والاعوان الذين خرج الامر من يدهم لم يكونوا ليصبروا على الضيم فاحتالوا بكل واسطة لاغتيال الزوجة التي نالهم منها الخسف ولذلك قلما كانت زوجة القيصر تعمر طويلاً والغالب انها كانت تمرض فجأة وتموت بما يدسُّ لها من السم

وكانت اعمال الوزراء والاعوان في الحرب والقضاء واما دواوين الانشاء فكانت لاولاد القسوس والتجار لان الامراء كانوا يترفعون عنها. وكان القيصر مضطراً ان يرسل الى امرائهِ واعوانهِ ما يحتاجون اليهِ من الطعام والشراب يومياً. وكانت ادارة قصرهِ مقسومة بين مئات من الامناء كامين الكؤوس الذهبية والفضية وامين الملابس وامين العقاقير وامين الاسطبل وامين البزاة وامين الصيد وامين الماجنين وامين الاقزام وامين الدباب وامين الكلاب وما اشبه

وكان القياصرة تجاراً يحتكرون البضائع التي منها ربح كبير كالانسجة الحريرية والذهبية والفراء وقد يغتصبونها من اصحابها بارخص ثمن او بلا ثمن و يبيعونها باغلى الاثمان و يحتكرون البضائع الواردة الى البلاد ويضطرون الاغنياء الى ابتياعها ويضربون الضرائب على الممتلكات والنفوس . ومع ذلك لم يبلغ مجموع الضرائب كلها في عهد بوريس غودونوف سوى مليون ومئتين وثلاثة وعشرين الف روبل . وكثيراً ما كان القيصر يغضي عن الواحد من وزرائهِ واعوانهِ حتى يبتز كل ما يكنهُ ابتزازهُ من اموال الرعية ثم يفتك بهِ فجأة وياخذ اموالهُ كلها . اي ان الحال كانت في روسيا كما كانت في بلاد التتار وفي القطر المصري زمن المماليك

وكان اكثر جيش المملكة من الفرسان وهو مؤلف من الحرس الخاص وفيهِ ثمانية آلاف فارس وفرسان الاشراف وعددهم ثمانون الفاً وفرسان الاحرار وهم نحو مئتي الف و يضاف الى ذلك فرسان القزاق والدن والترك والتتار والبشكير. اما المشاة فكانوا قلالاً في جنب الفرسان

وكان لباس الفرسان مثل لباس المشارقة واسلحتهم مثل اسلحتهم وكان القيصر نفسهُ يخرج الى الحرب بالرمح والقوس والنبال

اما ابهة الملك فلم يفق احدٌ قياصرة الروس فيها فكان سفراؤهم يؤمرون بالظهور في اعظم المظاهر وافخمها واذا وفد سفير من دولة اجنبية الى روسيا قوبل بالاجلال والاكرام من حين دخولهِ البلاد وقُدمت لهُ ولاتباعهِ المركبات والميرة وسير بهِ في اغنى الولايات واخصبها واكثرها سكاناً وطُلب من السكان ان يقابلوهُ في كل مكان وهم بافخر ملابسهم وحينما يصل الى موسكو يعطى قصراً من قصور القيصر ويرسل اليهِ الطعام من مائدتهِ . والمقابلة الاولى التي يقابلهُ القيصر بها تكون في القصر المجزع . والبهو الذي يقابلهُ فيهِ مزادن بالآنية الذهبية والفضية ويكون القيصر جالساً على عرش سليمان والتاج على رأسهِ

والصولجان في يده. وتحت العرش اسود صناعية تزأر كالاسود الطبيعية ارهاباً للسفير وحوله الحرس الملكي بالقفاطين البيضاء والفؤوس الفضية والاشراف بحللهم الفاخرة ورؤساء الكهنة بملابسهم البسيطة فيسأله القيصر عن سلامة الملك الذي ارسله وعما لقيه في سفره. واذا لم يسر به صار القصر الذي خصصه لسكناه سجناً له لانه لا يسمح لاحد ان يزوره او يكلمه حتى يضطر ان يعود الى بلاده

وكان سكان البلاد غير الاشراف مقسومين الى الفلاحين والتجار والفلاحون ثلاث طبقات الفلاحون العبيد اي الذين يؤسرون في الحرب ويستعبدون او الذين يبيعون انفسهم او يبيعهم غيرهم للاستعباد واولاد العبيد. والفلاحون المرتبطون باراضي الاشراف. والفلاحون الاحرار اي الذين يحق لهم ان ينتقلوا من املاك رجل الى املاك رجل آخر

والتجار هم سائر الناس والظاهر انهم كانوا كلهم غرباء في اول الامر لان معنى اسمهم الغرباء. وصادرات روسيا كثيرة من الجلود والفراء على انواعها والشمع والعسل والقنب والزيت والسمك المقدد ولكن ظلم الولاة وابتزازهم المال من الرعية صرف السكان عن التجارة فتعاطاها غيرهم من الغرباء

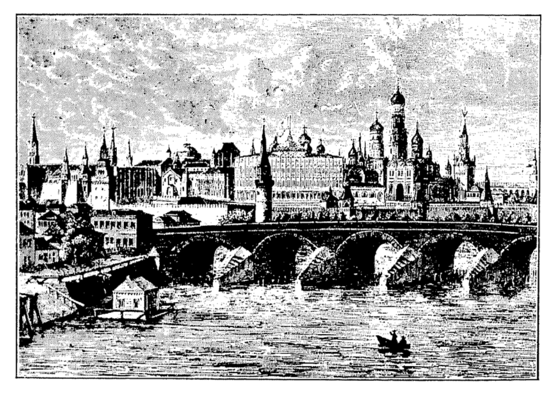
وهناك فريق آخر وهو العبيد الذين في بيوت الامراء فانه كان عند كل امير مئات منهم رجالاً ونساء مشترين او مولدين وقلما كان امير يسير من مكان الى الآخر الاَّ بموكب كبير. فاولاً تسير امامه المركبات والفرسان ليدفعوا الجموع من الطرق ثم اناس مسلحون يحيطون به ثم جيش من الخدم والحشم وهؤُلاء عبيد ارقاء يبيعهم اسيادهم ويشترونهم ويسومونهم انواع العذاب لاقل سبب وكثيراً ما يبيعون الرجل ويتركون زوجته عندهم او يبيعون الزوجة ويتركون زوجها او يبيعون الاولاد ويتركون امهم او يبيعون الوالدين ويتركون اولادهم

وكان تحجب النساء قديماً عندهم من قبل مجيء التتر فزاد تمكناً واعتُبرت الزوجة كبعض ممتلكات الزوج ويحق له ضربها كما يضرب جواريه. وفي وصايا الكاهن سلفستر ينصح الزوج ان لا يضرب زوجته بعصاً غليظة جداً ولا بقضيب له رأس من حديد ولا امام خدمه بل على انفراد. وكانت اقوى النساء تقف امام زوجها ليضربها ولا تمانعه مهما كان ضعيفاً وهي قوية. ذكر هبرستين ان امرأة روسية تزوجت رجلاً غريباً فحسبت انه يكرهها لانه لم يكن يضربها

وكانت المرأة تقيم في خدرها وهي في البيت حتى لا يراها احد وتسبل نقاباً على وجهها حينما تخرج. ومن نظر الى زوجة القيصر عُدَّ نظره اليها خيانة وعوقب عقاب الخائنين.



باب مار نقولا



كرملين موسكو

ولم يسمح للنساء بالذهاب الى الكنائس لاجل العبادة بل كنَّ يعبدنَ في بيوتهنَّ وكنَّ مع ذلك يتبرجنَ ويكتحلن ويزججن حواجبهنَّ . قال الرحالة بتري اتفق لما كنت في روسيا ان تزوج احد الامراء بامرأة جميلة جدًّا فابت ان تتبرج مثل غيرها فاغتاظ نساء الامراء منها وجعلن ازواجهنَّ يشكونها الى القيصر كمزدرية بعادات البلاد فامرها بان تتبرج مثلهنَّ . وكان الرجال يلبسون الجبب الطويلة ويطلقون لحاهم ولا يحلقونها كامم اوربا حتى قال القيصر ايفان الرهيب ان حلق اللحية خطية مميتة لا تطهرها كل دماء الشهداء لانها تتلف صورة الوجه الذي خلقهُ الله

وحُرّم على الناس لعب الورق والشطرنج والغناء ولو في مدح ابطالهم القدماء وحرّم عليهم ايضاً الرقص والخروج للصيد بل حرّم عليهم المزاح وهم على موائد الطعام لئلاَّ تهرب منهم الملائكة ويأتي بدلاً منها الشياطين . لذلك ولتحجب النساء لم يبقَ في روسيا شيءٌ من الانس بل صارت البلاد كلها كأنها صومعة من صوامع الرهبان . لكن هذا التقشف الظاهر لم يمنع السكر والفجور فشاعا في البلاد حتى كان الكبار والصغار والرجال والنساء ينطرحون في الشوارع سكارى ولم يستثن الكهنة من ذلك فانحصرت اسباب البهجة والسرور في السكر حتى صارت كلمة سكر وكلمة فرح مترادفتين . وقد حذَّرهم احد الوعاظ من السكر بقوله « اتعدون السكر فرحًا يا اصدقائي اتعدونهُ سروراً حسب شريعة الله . السكر يبعد عنا الملائكة الذين يحرسوننا ويسر الشياطين . السكر ذبيحة للشيطان فيقول ان ذبائح الوثنيين لم تسرهُ نصف ما سرهُ سكر المسيحيين . الخمر حلال وشربها غير محرّم وقد اعطاناها الله ليفرّحنا . وآباء الكنيسة لم يحرموا الخمر ولكن يجب ان لا نشرب حتى نسكر »

وكانت ملاهيهم مقصورة على مجالس الهاذرين والرواة فلم يخلُ منهم قصر ولا دير . وقلما كان الاغنياء ينامون الاَّ وواحد يقصُّ عليهم قصة . وكان عند ايفان الرهيب ثلاثة من هؤلاء الرواة يتناوبون حول فراشهِ ليطرفوهُ باحاديثهم حتى ينعس وينام

وكانوا يعتقدون بالسحر والتنجيم وبكل خرافات الامم التي حولهم . ويثقون بالعوذ والرقى اكثر مما يثقون بعقاقير الاطباء . بل كثيراً ما كانت صناعة الطب بلية على صاحبها لانهُ اذا لم يشفِ المريض عُدَّ ساحراً وعوقب عقاب السحرة . من ذلك ان طبيباً يهوديًّا قُتِل على مشهد من الناس في عهد ايفان الثالث لان القيصرة ماتت وهو يطببها

الاَّ ان ايفان الرهيب على ما اشتهر بهِ من القسوة كان من محبي المعارف ومثيري النهضة الادبية في روسيا وهو الذي ادخل الطباعة اليها وفي عهدهِ طبع مستسلافتس وفيودورف

اعمال الرسل والسواعي ولكنهما اضطرا ان يغادرا البلاد لانهما اتُّهما بالكفر

وكان لسقوط القسطنطينية في يد الاتراك شأن كبير في عمران روسيا كما كان لهُ شأن كبير في عمران اوربا كلها لان كثيرين من صنَّاع الروم هربوا الى بلاد الروس وهرب اليها تلامذتهم الايطاليون فبنوا فيها المباني الفاخرة من الكنائس والقصور حتى بلغ عدد كنائس موسكو الفاً وستمائة كنيسة وكلها بالقباب المذهبة والمفضضة

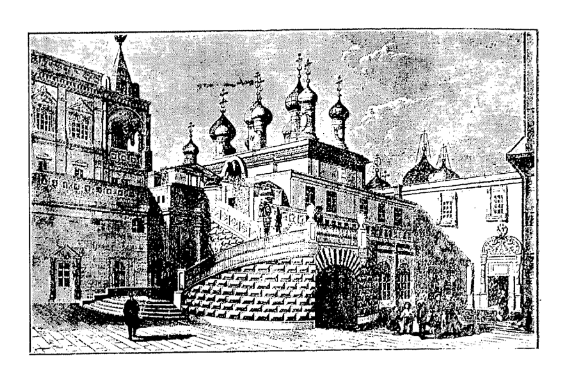
وكانت موسكو مبنية من الخشب ولذلك شبَّت النار فيها مراراً وحرقتها عن آخرها فلما جاءها البناؤُون من الروم والطليان جعل القياصرة يبنون قصورها وكنائسها بالحجارة المنحوتة فبنوا الكرملين من حجارة بيضاء وجعلوا لسورهِ شرفات دقيقة كالاسنان واقاموا فيهِ ثمانية عشر برجاً لحمايتهِ وجعلوا لهُ خمسة ابواب كبيرة ابدعوا في تنوع اشكالها منها باب المخلص وقد بني سنة ١٤٩١ بناهُ بيترو سولاريو الميلاني · ومنهُ يدخل القياصرة حينما يأتون موسكو اول مرة · وباب القديس نيقولا وقد بني في ذلك الوقت وباب الثالوث بني في القرن السابع عشر

وفي الكرملين كثير من الكنائس والقصور والاديرة واشهر كنائسهِ كنيسة صعود السيدة التي يتوَّج فيها القيصر وقد بناها البرتو فيورافنتي الايطالي وهو الذي بنى المباني الفاخرة لقزما ده مديشي وفرنسيس الاول ملك فرنسا وجيان غليزو الميلاني والباباسكستوس الرابع · وقد التقى بهِ سفير ايفان الثالث في البندقية واستدعاهُ الى روسيا فبنى هذه الكنيسة على اسلوب بديع جدًّا وغطى اعمدتها بالذهب الابريز

ومنها كنيسة ميخائيل رئيس الملائكة وقد بنيت سنة ١٥٠٥ وفيها قبر ايفان الرهيب وولديهِ · وكنيسة الصعود وفيها قبور القياصرة وبرج ايفان وقد بني سنة ١٦٠٠ وارتفاعهُ ٣٢٥ قدماً ولهُ قبة مذهبة وفيهِ ٣٤ جرساً

وابدع مباني موسكو كنيسة واسيلي المطوَّب بناها ايفان الرهيب سنة ١٥٥٤ تذكاراً لاخذهِ قازان وبانيها مهندس ايطالي ويقال ان ايفان فقأ عينيهِ لئلاَّ يبني كنيسة اخرى مثلها وهي المرسومة في الشكل المقابل والنظر اليها يغني عن وصفها ولا تقتصر غرابتها على التفنن في شكلها بل هي ملونة بالوان كثيرة زاهية كأَنها طاووس او طائر من طيور الجنة · وجرس موسكو المشهور صُبَّ في ذلك العهد وثقلهُ ٢٨٨ الف رطل اي ١٣١ طنًّا

ولم يكتفِ هؤُلاء الصنَّاع ببناء الكنائس وصب الاجراس بل بنوا الحصون وصبوا المدافع فاستعزَّت بهم روسيا الى ان استردت مقامها بين الدول الاوربية الكبرى كما سيجيء



القصر المجزع

كنيسة القديس واسيلى

تمثالا الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات

— رفع الستار عنهما —

الساعة الرابعة بعد ظهر الجمعة الواقع في ١١ ابريل كان ميعاد رفع الستار عن تمثالي المرحومين الدكتور كرنيليوس فان‌ديك والدكتور يوحنا ورتبات . وما ازف الوقت المعين حتى كان منتدى المدرسة الكلية الكبير حافلاً بطلبة دوائر المدرسة العليا وفي مقدمتهم فريق من فضلاء الاجانب والوطنيين وجلس على منبر المنتدى الرئيس الشيخ الدكتور دانيال بلس واساتذة المدرسة واعضاء المؤتمر الطبي الثاني وهم نيف وثلاثون طبيباً من ابناء الكلية

ووضع التمثالان على الجهة اليمنى من المنبر تمثال الدكتور فان‌ديك يجلله العلم الاميركاني وتمثال الدكتور ورتبات يجلله العلم الانكليزي ونشر على الارغن الكبير العلم العثماني

وعند حلول الوقت انتصب الدكتور بورتر الرئيس العامل في غياب الرئيس بلس واشار الى الدكتور مور الذي كان جالساً بازاء التمثالين ان يرفع الستار عنهما وما كاد يسقط الستار حتى نهض جميع الحاضرين اجلالاً وصفقوا طويلاً لظهور التمثالين ثم جلسوا واستأنف الدكتور بورتر الكلام فقال

« كنا نود كثيراً لو تمكن جناب الدكتور يعقوب صرّوف ان يحضر بيننا بالذات بالنيابة عن متخرجي المدرسة الذين قدّموا لها هذين التمثالين على انهُ قد تكرّم فأرسل الينا خطاباً يشير الى ذلك ليتلى في هذه الحفلة وقد سألنا احد اعضاء المؤتمر الطبي المجتمعين معنا جناب الدكتور اسكندر مشاقه ان ينوب عن الدكتور صرّوف بتلاوته »

فوقف عندئذٍ الدكتور مشاقه وتلا خطاب الدكتور صرّوف وهذا هو : —

ايها الفضلاء

انتدبتني اللجنة التي اهتمت بعمل هذين التمثالين من ابناء المدرسة الكلية المقيمين في القطر المصري وسائر الاقطار لكي انوب عنها في تقديمها الى عمدة مدرستنا لتحتفظ بهما تذكاراً خالداً لاستاذينا المرحومين الدكتور كرنيليوس فان ديك والدكتور يوحنا ورتبات اللذين علّما وعملا والّفا وصنّفا ووعظا وارشدا مدة تنيف على خمسين سنة كانا فيها مثال الفضيلة والتقوى ونبراس العلم والهدى وآية في نصرة الحق والقيام بالواجب

واني آسف جدّاً لانني لم اتمكن من الحضور بنفسي للقيام بهذا الفرض المقدّس ولذلك رأيت ان اعرب عن غرض اللجنة بهذه الكلمات والتمس منكم الصفح عمّا ترونهُ فيها من الاشارة

الى نفسي لان تلميذ الدكتور ڤان ديك والدكتور ورتبات لا يستطيع في مثل هذا الموقف ان يتجنَّب الاشارة الى علاقته بهما لشدَّة ما كان لسيرتهما من التأثير في تلامذتهما

لما عُرض على ابناء المدرسة الكلية المقيمين في القطر المصري ان يختاروا تذكاراً لاستاذينا الكريمين قالوا ان الغرض من اقامة التذكار انما هو نفع الاحياء من تلامذتهما ومريديهما بعد اظهار شكرهم لهما على ما نالوهُ ونالتهُ البلاد كلها منهما . واي شيء انفع لنا نحن الاحياء من ان نتذكر سيرتهما الفاضلة واي شيء انفع للذين يأتون بعدنا من ان يتذكروا اعمال الذين كانوا من اعظم اركان النهضة العلمية والادبية في بلاد المشرق . وهل مثل صورة الوجه لتذكر اعمال صاحبهِ — الوجه الذي هو مرآة النفس ومجلى الاخلاق . فاجمعوا على جعل التذكار تمثالين يمثلان وجهي الفقيدين

العمران ايها السادة والسيدات بناء فخم اشتغل بتشييدهِ الوف والوف الوف منذ اخذ الناس ينطقون لكنهم لم يتساووا في ما فعلوهُ بل كان منهم المجلُّون الذين عمل الواحد منهم اكثر ممَّا عملتهُ الوف . هؤُلاء هم قادة الافكار ونبراس الهدى والمعلمون الذين جمعوا ثمار الاختبار ولم يكتفوا بجمعها والتمتُّع بها بل بسطوها على موائد عصورهم وحثوا الناس على مشاركتهم في الانتفاع بها مثل سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وكنفوشيوس وبطليموس وجالينوس والغزالي والرازي وابن سينا وابن رشد واسحق نيوتن وفرنكلين وباستور واستر ومئات غيرهم

ومن اول مقوّمات العمران واخص ميزاتهِ حفظ الاختبار والبناء عليهِ و بذلك صارت معارف الناس كتاباً متصل الفصول يبتدئ التالي منها حيث انتهى الاول وسلسلة محكمة الحلقات من امسك بالحلقة الاخيرة منها كأنهُ امسك بها كلها

ومن اشرف خلال الانسان وادلها على شرف نفسهِ الاعتراف بفضل المحسنين اليهِ المتفضلين على ابناء نوعهِ . فتذكار المعارف والاعتراف بالعوارف دعامتا العمران وهما اللذان اقاما التماثيل للفلاسفة المتقدمين والمتأخرين ولقادة الجيوش ورسل السلام . فعسى ان تشيع بيننا هذه العادة الحميدة وان نحسن الاختيار فلا نجمع بين الغث والسمين فنضيع الفائدة المقصودة

وكتلميذ لاستاذينا الكريمين وصديق لهما حتى المات اسمحوا لي ان اشير الى بعض مزاياهما التي يجب ان لا تبرح من اذهان ابناء المدرسة الكلية وكل محبيها والتي يراد ان يذكرنا هذان التمثالان بها

الدكتور ڤان ديك مثال العلم والتدقيق . واللطف والدعة . ومحبة الحق والمجاهرة بهِ .

وخوف الله وعمل الخير

مثال العلم والتدقيق — الطب وفروعهُ . الرياضيات وما بني عليها . الطبيعيات ومتعلقاتها . العربية وآدابها . واللغات الحية والميتة التي عرفها مع لغتهِ الانكليزية

وقع لي منذ مدة كتابان من كتبهِ احدهما كبير ضخم دقيق الحروف . قانون ابن سينا المطبوع في رومية العظمى منذ ٣٢٠ سنة فحسبت انني وقعت على كنز ثمين وجعلت اقلّبهُ واذا الدكتور ڤان ديك قد قلّبهُ بل درسهُ قبلي وابقى فيهِ آثار علمهِ وتدقيقهِ بما ترجمهُ فيهِ من الكلمات الطبية بما يرادفها في اللاتينية او اليونانية . والكتاب الثاني صغير الحجم جدًّا كأنهُ صُنع ليوضع في الجيب تذكرة وهو دفتر بعضهُ بخطهِ وبعضهُ بخط اليازجي استاذهِ في العربية وكلهُ قصائد مشهورة ومقاطيع شعرية كتبها ليستظهرها

ولو تصفحنا كتبهُ الرياضية والطبيعية والدينية والادبية لوجدناها كلها على هذا النسق . واحرِ بمؤلف الباثولوجيا والتشخيص الطبيعي والعروض والقوافي والجبر والهندسة والكيمياء والفلك ومترجم التوراة وابن حور ان يكون اماماً في كل العلوم

مَن مِن اخواني الذين كانوا في هذه المدرسة لما كنت فيها تلميذاً ومدرساً لا يتذكر الدكتور ڤان ديك في مرصدهِ او في المستشفى وفي حلقة التدريس او دار الطباعة وفي مكتبتهِ او حديقتهِ وعلى منبر الوعظ او دكة الخطابة — حياة كلها همة ونشاط وعمل نافع وخير عميم

اما لطفهُ ودعتهُ ففي غنى عن الوصف . مَن مِنْ كل معارف الدكتور ڤان ديك لا يتذكَّر ذلك اللطف وتلك البشاشة ذلك الانس وتلك المحاضرة . الامثال الفكاهية والاشعار الحكمية . لا اعرف خاطراً احضر من خاطرهِ . كأنَّ امثال العرب وفكاهات العامَّة عالقة كلها بذهنهِ ترد الى لسانهِ كلما اقتضتها الحال . وليس امثال العرب فقط وجوامع كلمهم بل امثال الانكليز واليونان والرومان . لم ينطق بلساننا اجنبي افصح من الدكتور ڤان ديك ولا اعرف احداً كان اسرع منهُ خاطراً او اقوى ذاكرةً او ابش وجهاً او اكثر دعةً . اذا قابلتهُ بعد ان غبتَ عنهُ السنين الطوال قابلك باشّاً وذاكرك في ما كان يذاكرك بهِ ويلذُّ لك سماعهُ كأنك كنت معهُ بالامس . يزورهُ الملوك والامراء والزؤساء كقضاء فرض وهو ينادي خادمهُ « بيا اخي فلان » لا عن تدنٍّ بل عن دعة ولين عريكة لانهُ كان قويًّا على الاقوياء لا يهاب احداً ولا يتزلف الى احد ولا يخاف في الحق لومة لائم

كان يحبُّ الحق ويجاهر بهِ واذا رأى احداً مرتدياً ثوب الرياء لم يخفِ عنهُ غيظهُ منهُ ولو كان من اكبر الكبراء

وكان خوف الله نصب عينيهِ والنظر الى عظمة الخالق دليلهُ في ارصادهِ الفلكية واشغالهِ الطبية ومواعظهِ الدينية

وعمل الخير يشهد لهُ بهِ الذين علَّمهم على نفقتهِ والذين طبَّبهم مجاناً والذين اعطاهم ثمن الدواء والغذاء والذين كانوا يعيشون من احسانهِ

ان رجلاً مثل الدكتور فان ديك لحقيق بان يكون قدوةً لكل احد في كل شيء. في العلم والتدقيق في اللطف والدعة في محبة الحق والمجاهرة بهِ في خوف الله وعمل الخير

واستاذنا الثاني الدكتور ورتبات تلميذ استاذنا الاول وشريكهُ وصديقهُ جاراهُ في كل شيء ونسج على منوالهِ ولم يختلف عنهُ الاَّ في ما يدعو اليهِ اختلاف المزاج . لم يبلغ مبلغهُ في العلوم الرياضية والطبيعية فلم يؤلّف فيها ولا رصد الافلاك ولا حلَّل نور الشمس ولكنهُ جاراهُ في العلوم الطبية وفاقهُ في بعضها ولا تزال الاعضاء التي شرَّحها واظهر ادق عروقها وانسجتها في معارض المدرسة الطبية دليلاً على تفوُّقهِ في علم التشريح . وابقى في العربية كتابين علميين جليلين كتاب التشريح وكتاب الفسيولوجيا عدا الكتب الصحية التي وضعها للجمهور

الدكتور فان ديك غربي استشرق والدكتور ورتبات شرقي استغرب . كما امتلك الاول ناصية العربية كأَنها لغتهُ التي ولد فيها امتلك الثاني ناصية الانكليزية . رأَيت الدكتور ورتبات اول مرة في مدرسة عبيه منذ ثمان واربعين سنة فوعظ بالعربية بلغة فصحى ووعظ في ذلك اليوم عينهِ بالانكليزية بلغة لا تقلُّ عنها فصاحة كما قال ابناؤُها . وقد ابقى من الكتب في اللغتين ما يشهد لهُ بطول الباع فيهما

تراهُ باديءَ بدءٍ فتظنهُ عبوساً شديد المراس ولكنك لا تلبث ان تكلمهُ حتى تراهُ من افكه الناس حديثاً والينهم عريكةً كأَنَّ الانس والبشاشة تجسما فيهِ ولو لم يدلَّ وجههُ عليهما . اختار لسكناهُ بيتاً في بيروت لهُ حديقة واسعة ملأَها ببديع الازهار والرياحين وكان يعمل فيها بيديهِ ومهَّد فيها ساحة للالعاب الرياضية كنت تراهُ فيها يلاعب الشبان كأَنهُ واحد منهم

كان الحق بغيتهُ ومعبودهُ ولكنهُ لم يكن شديد الوطأَة على اصل الشر كما كان استاذهُ الدكتور فان ديك بل كان يلتمس لهم الاعذار . وقد سرَّتهُ الكلمة العامية « ليصطفلوا » فقال ان اصلها « ليفتصلوا » وكان يقولها كلما رأَى خللاً في قوم يتعذَّر عليهِ اصلاحهُ

وكان خوف الله نصب عينيهِ دائماً وطالما جعل موضوع مواعظهِ « ايها الشاب اذكر خالقك في ايام شبابك » . او « التقوى لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة »

اما عمل الخير فلم يفقهُ فيهِ احد . اخبرني رجل اثق بصدقهِ قال دعوتهُ لمعالجة زوجتي وكان

داؤُها مزمنًا فجعل يعودها مرةً كل يوم وانا ادفع اليهِ اجرة العيادة يومًا فيومًا . وثقل ذلك عليَّ لضيق ذات يدي فقلت لهُ يومًا الا يمكن جعل الزيارة مرةً كل يومين فنظر اليَّ مفكرًا وقال لي ما عملك وكم راتبك فاخبرتهُ فجاءني في اليوم التالي ومعهُ كل النقود التي اخذها مني واوجب عليَّ استرجاعها و بقي يعود زوجتي و يعالجها و يجلب لها الدواء الى ان شفيت ولم يأخذ مني غرشًا

وكان يربأ بنفسهِ ان يرى نفعًا ولا يشرك غيرهُ فيهِ فلم يطلع على مقالة مفيدة في اللغة الانكليزية الاَّ ودَّ نقلها الى العربية وكثيرًا ما كان يترجم المقالات بنفسهِ او يشير عليَّ بترجمتها ونشرها في المقتطف . ومن هذا القبيل الامثال العربية التي ترجمها الى الانكليزية والامثال الانكليزية التي ترجمها الى العربية وغرضهُ من ذلك نشر الفوائد والنفع للناس لا الفائدة لنفسهِ

وخلاصة القول انهُ والدكتور فان ديك صنوان متماثلان في العلم والتدقيق واللطف والدعة ومحبة الحق وخوف الله وعمل الخير

فهذان التمثالان ايها السادة والسيدات يمثلان لكم ذينك الفاضلين اللذين اسسا مع رصيفهما استاذنا المرحوم الدكتور بوست القسم الطبي من هذه المدرسة وهو لا يقل عنهما علمًا وتدقيقًا وقد يفوقهما همة واجتهادًا . ولهما ولهُ الفضل الاكبر في هذه النهضة العلمية الادبية في بلادنا الشرقية . وعسى ان يكون النظر الى هذه التماثيل الثلاثة والى التمثال الرابع السابق لها تمثال رئيسنا الاول الدكتور بلس اكبر محرّض لتلامذة المدرسة الكلية على الاقتداء باساتذتهم في كل ما هو صالح نافع يعقوب صرُّوف

ثم وقف الدكتور بورتر وخاطب الحاضرين بالعربية فقال

« يجب عليَّ بالنيابة عن رئيس المدرسة الغائب وعن العمدة وعن دائرة الامناء في اميركا وعن سائر اصدقاء المدرسة الكلية ان اقبل هذين التمثالين اللذين يمثلان لنا وجهي ذينك الاستاذين الفاضلين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات وان أُقدم للدكتور صرُّوف ولسائر رفقائهِ الذين اشتركوا باقامة هذا الاثر الجميل مزيد الشكر لاجل هذه التقدمة الجليلة التي تليق بذينك الرجلين العظيمين اللذين كانا من موسسي مدرستنا الطبية ومن اركان نجاحها مدة سنين عديدة

ويسرنا ما قالهُ الدكتور صرُّوف في خطابهِ البليغ ان الغرض من تقديم هذه الهدية للمدرسة الكلية انما هو تخليد ذكر ذينك الاستاذين العظيمين ونفع الذين يأتون بعدهما امثالنا لكي تظل رؤْية وجهيهما باعثًا لنا على اقتفاء آثارهما والنسج على منوالهما . هذا فضلاً عما في هذه الهدية من دلائل محبة المتخرجين واكرامهم لاساتذتهم وللمدرسة امهم "Alma Mater" التي ربتهم

وغذّت عقولهم بلبان العلم والمعرفة وجهزتهم للعمل والجهاد في هذه الحياة لمنفعة الناس

واسمحوا لي ايها السادة ان اقول كلمة شخصية في هذا المقام بالنظر لكوني مع رئيس المدرسة الاكرامي الدكتور دانيال بلس آخر من تبقّى في هذه المدرسة من الاحياء ممن عاصروا واشتغلوا مع المرحومين صاحبي هذين التمثالين. جئت الى هذه المدرسة شابًّا من زهاء ثلاث واربعين سنة فكنت انظر الى ذينك الاستاذين كما ينظر الابن الى ابيهِ واطلب منهما النصح والارشاد كما يطلب التلميذ نصح معلمهِ وارشادهُ. ولذلك فاني استطيع ان اقدّر قدر الكلام الذي قالهُ فيهما الدكتور صرُّوف وفي مزاياهما الشهيرة فقد استفدت منهما فوائد عظيمة كما استفاد هو وسائر تلامذتهما . واني احسبهُ من مسرّات حياتي وبركاتها في هذه الدنيا انّي وُفّقت ان تعرّفت بالمرحومين الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات وكنت شريكاً لهما في خدمة هذه المدرسة فاكرّر الشكر والثناء على حضرات المتخرجين الذين ذكروا مدرستهم واساتذتهم بهذه الهدية الثمينة وفيها ما فيها من دلائل المحبة والاكرام

بقي عليَّ كلمة خاتمة اقولها بالنيابة عن عمدة المدرسة . يعلم البعض منكم انهُ لما استقال المرحوم الدكتور فان ديك من منصبهِ كاستاذ في المدرسة الكلية سنة ١٨٨٣ استاء لذلك عدد من تلامذتهِ وخصوصاً من صف المنتهين في الدائرة الطبية فخرجوا من المدرسة واكملوا دروسهم في غير الكلية ونالوا شهاداتهم من المكتب الطبي في الاستانة فبمناسبة هذا الاحتفال قررت العمدة ان تضم اسماء اولئك الطلبة الى اسماء رفقائهم مخرّجي سنة ١٨٨٣ بحيث يصبحون من الآن فصاعداً في عداد مخرجي الدائرة الطبية في المدرسة الكلية . وهذه هي اسماؤُهم مع حفظ الالقاب : — اسكندر بارودي . جرجي باز . سليم جريديني . باخوس الحكيم . ابرهيم صيلبي . حبيب كحيل . ابرهيم مطر . انطون نوفل . فؤَاد شهاب . ابرهيم ثابت »

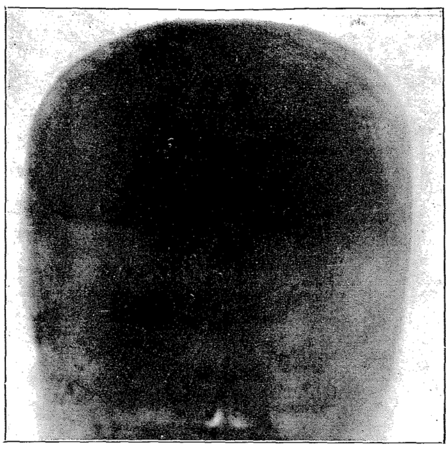
ثم تكلم الدكتور بورتر بالانكليزية بملخص ما قالهُ لفائدة الذين لا يفهمون العربية

وقبل الختام نهض الدكتور سليم بك جلخ واثنى على فكرة العمدة وشكر لها قرارها بشأن المتخرجين الاطباء ورجا ان يكون قرارها هذا شاملاً ايضاً الصيادلة [1] الذين خرجوا في ذلك العهد للسبب نفسهِ ثم وقف الجميع وانشدوا نشيد الكلية وكان ذلك خاتمة الحفلة

وفي اليوم التالي نُقل التمثالان الى قاعة الاستقبال العمومية في بناية ضودج وسيبقيان هناك اثراً خالداً يمثّل حاسّات من قدموها واحترامهم لذينك الاستاذين الكريمين اللذين خدما العلم والبلاد خدمة يندر مثالها

بولس الخولي

(١) علمنا بعد الحفلة ان قرار العمدة يشمل الصيدليين انطونيوس منسي واسبير بدون رزق الله



قطعة الرصاصة السفلى كما ترى مواجهة



قطعتا الرصاصة كما تريان من جانب

رصاصة في المخ

طالما نسمع ونقرأ عن غرائب سير الرصاص الذي يطلق من عيارات نارية في جسم الانسان واعضائهِ الحيوية وخروجها او بقائها فيهِ بدون ان تسبب ادنى ضرر او تأثير في الجسم · ومن هذا القبيل اذكر حادثة شاهدتها بنفسي اخيراً فانها لا تخلو من فائدة وفكاهة للقراء

منذ خمسة اشهر تقريباً حضر الشاب (٠٠٠) ماشياً مسافة نصف ساعة من منزلهِ الى اجزاخانة الهلال في الموسكي للمعالجة وهو يشكو من دوخان وألم في رأسهِ من دخول رصاصة في قمتهِ من مسدس اطلق عليهِ خطأً في الليلة السابقة · فبعد الكشف على الجرح وجدت اثر نزف دموي شديد على الرأس والجبهة وحيث لم اتمكن في الاجزاخانة من فحص الجرح مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة ضد العفونة كما ينبغي اخبرتهُ ان يتوجه للعيادة وعند حضورهِ فحصت محل الاصابة وتحققت بالمجس وجود جرح ثقبي عمقهُ نحو ٣ سنتي خارقاً فروة الرأس والجمجمة والاغشية والمخ · وعند ادخال المجس حصل نزف شديد وكان المخ مكشوفاً في محل الجرح والاغشية ترتفع وتنخفض مع ضربات القلب وحصل لهُ اغماء قليل فاكتفيت حينئذٍ بتطهير الجرح جيداً وربطهِ بدون ان اقف على حقيقة الحالة وعلى محل وجود الرصاصة · وبما ان المريض لم يقبل نصيحتي بوجوب دخولهِ الى احد المستشفيات ليكون تحت المراقبة ولاجراء عملية جراحية لرفع العظم الضاغط على المخ واستخراج الرصاصة عند ظهور علامات اذا امكن عالجتهُ مدة يومين او ثلاثة في منزلهِ الى ان تمكنت من ايقاف النزف ثم فضلت اخذ رسم الجمجمة باشعة رونتجن على ادخال المجس ثانية للاستدلال على محل الرصاصة · وبعد اخذ الصورة وجدت ان الرصاصة قد انكسرت عند دخولها الى قسمين القسم الواحد وهو الاصغر بقي عند فم الجرح والقسم الثاني وهو الاكبر خرق عظم الرأس والمخ وبقي داخلهُ كما يظهر جلياً من الرسمين المقابلين · فاستخرجت القطعة التي عند فم الجرح مع قطعة عظم منفصلة من الجمجمة بواسطة تكبير الجرح قليلاً وسحبها بالجفت فقط واما القسم الثاني من الرصاصة فلا يزال للآن داخلاً في مخ الشاب المذكور مع ان الجرح قد شفي تماماً · ومما يستحق الذكر ان في كل هذه المدة لم يظهر اقل علامة عصبية كتشنج او شلل وما اشبه وهو الآن يتعاطى اشغالهُ كالعادة بتمام الصحة والرصاصة داخل مخه · وهذا مما يثبت انهُ ليس في مقدم المخ وظيفة مهمة

الدكتور هلال فارحي



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءِ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

بحث لغوي في كلمة مَهْيَم

من المشهور ان اللغتين العبرية والعربية شقيقتان لتقاربهما لفظاً ومعنىً وكما اننا نفسر كلمات عبرية من العربية كذلك الكلمات العربية التي لا نعرف اصلها نبحث عنها في العبرية

فاحدى هذه الكلمات هي كلمة « مَهْيَمْ » فقد اختلف اللغويون فيها وخلاصة اقوالهم هي : اولاً انها كلمة يمانية ثانياً انها كلمة مركبة ثالثاً ان اول من قالها هو ابرهيم الخليل اي انها عبرية ولقد صدقوا كما سنبين

اننا نجد انهُ لما كان الاسرائيليون في دارهم اذا ارادوا الاستفهام عن امر لم يكونوا ينتظرون وقوعهُ في تلك الاونة كانوا يستعملون جملة مركبة من ثلاث كلمات « ما هيُّومْ مِيَّامِيمْ » ترجمتها ما اليوم من الايام اي ما حدث اليوم خلافاً عن الايام قبل هذا (وفي رواية اخرى « ما يوم مِيوما يِمْ » اي ما حدث اليوم خلافاً لليومين قبل هذا والمعنى واحد)

ومن المعلوم ان الاسرائيليين اليمانيين يلفظون الضمة المبسوطة (0) مثل الفتحة بامالة قليلاً على انها اقرب الى الفتحة منها الى الضمة فبناء عليهِ يكون لفظ هذه الجملة عندهم مَهْيَمْ او مَهْيَمْ مِيامِيم وهم يروونها بلفظ الرواية الاولى المذكورة . فسمعها العرب اليمانيون والفوها وانما اقتصروا على مهيم واسقطوا كلمة مياميم ايجازاً وتخفيفاً . فمن راجع الاحاديث النبوية التي وردت فيها كلمة مهيم يرى انها استعملت في الظروف المناسبة لمعناها بالعبرية

ولاتمام الفائدة نقول انهُ اذا كانت الجملة الاستفهامية المذكورة تستعمل لامور تحدث نهاراً فقد نجد جملة مثلها مستعملة لحوادث الليالي وهي في سفر اشعيا ٢١ : ١١ : وحي دومة اليَّ هاتفٌ من سعير[يا] حارس ما من ليل ؟ [يا] حارس ما من ليل ؟ اي ما حدث الليلة خلافاً لسائر الليالي ؟

اسحق بنيامين يهودا I. B. Yahuda



البرتقال في كليفورنيا باميركا

بدأت زراعة البرتقال في كليفورنيا (وهي احدى الولايات المتحدة الاميركية) في القرن الثامن عشر لما اتاها الرهبان الفرنسيسكان وانشأوا فيها مراكز لتعليم الهنود الاميركيين ونشر الديانة المسيحية بينهم . فان بعض هؤلاء الرهبان اتى ببزر البرتقال من اسبانيا فزُرع في الحدائق حول الكنائس فنبت وجاد

وبقي البرتقال مدة طويلة لا يزرع الأَ في الحدائق حتى رأى بعض الفلاحين ان يغرس بستاناً كبيراً منهُ في البقعة التي بنيت فيها مدينة لوس انجلس بعدئذٍ . ثم جاءت مصلحة الزراعة الاميركية بفسائل من نوع من البرتقال عثر عليهِ على ضفة نهر الامازون في اميركا الجنوبية فطعمت منهُ الاشجار الاخرى فاتت بثمار طيبة الطعم وكثرت زراعتهُ . ولما انشئت السكك الحديدية التي تصل غرب الولايات المتحدة بشرقها كثر الطلب على برتقال كليفورنيا واتسع نطاق زراعتهِ حتى اصبح دخل الولاية منهُ كل سنة نحو ستة ملايين من الجنيهات

الأَ انهُ كثيراً ما تسطو الحشرات القشرية على البرتقال فتلصق بجذع الشجرة واوراقها وثمارها فتلحق بها ضرراً كبيراً . واكثر ما تصيبهُ هذه الضربة في ساحل البحر حيث تكثر الرطوبة في الهواء . ولاصحاب البساتين في معالجتها طريقتان تقوم احداها برش الشجرة المضروبة بالمواد السامَّة والاخرى بتبخيرها بها والطريقة الثانية تفضل الاولى . وهي المستعملة الآن في القطر المصري

فاذا ارادوا تبخير شجرة عمدوا الى خيمة كبيرة فجللوا بها الشجرة ثم اتوا بسيانيد البوتاسيوم ومزجوهُ بالماء والحامض الكبريتيك في صحفة وتركوها تحت الملاءة . فتتصاعد من الصحفة أبخرة الحامض الهيدروسيانيك فتتخلل اوراق الشجرة واغصانها وتقتل الحشرات

واذا حان قطاف البرتقال اتى رجال يحسنون هذه المهنة فيأخذ كل منهم مقراضاً مخصوصاً وكيساً يعلقهُ بعنقهِ ثم يرقى الى الثمار على سلّم فيقطفها بقرض اعناقها التي تعلق بها ويجمعها في الكيس . ثم تجعل في صناديق يسع كل منها نحو ٥٠ رطلاً وتنقل في عربات

الى حيث تهيأ لارسالها الى الولايات الشرقية . ويعتنى بنقلها كثيراً لئلا ترضّ لان البرتقال اذا لم يرضّ بقي مدة طويلة لا يدب فيهِ الفساد

وعند ما يصل الى المكان الذي يهيأ فيهِ للشحن يجعل في آلة ذات فُرَش تمسحهُ وتزيل الغبار عنهُ الاَّ ان بعضهُ يحتاج الى الغسل فيغطس قبل ذلك في الماء فيغسل ثم يمر على الفرش فتنظفهُ جيداً . ويعرض بعد ذلك لاشعة الشمس حتى ينشف ويقسم الى اصناف حسب حجمهِ وجودتهِ . ويستعينون على كل ذلك بآلات حديثة تعمل الآلة منها في اليوم ما يعملهُ خمسون رجلاً

وبعد ان يقسم كذلك يلف بالورق ويرتّب في الصناديق التي يشحن بها . ويقوم على لفهِ بنات تلف الواحدة منهنّ ما يملأ ثمانين او تسعين صندوقاً كل يوم . ويجعل في كل صندوق من ٦٤ برتقالة الى ٣٦٦ ثم يسمَّر غطاؤُهُ باعتناء لكي لا يرضّ الثمر ولا يضغط عليهِ ويكتب على الصندوق عدد ما فيهِ من البرتقال وصنفهُ

وليس من البرتقال الاَّ نوع واحد ينضج في الصيف وهو النوع المعروف بالبلنسي ويجنى من يونيو الى اكتوبر . اما باقي الانواع فيبدأ بقطفها في دسمبر ولا ينتهي منهُ الاَّ في يونيو الاَّ ان معظم موسمهِ يجنى من يناير الى مارس

وقد شاهدنا برتقال كليوفورنيا في معرض باريس سنة ١٩٠٠ فاذا هو من اجود انواع البرتقال شكلاً وطعماً

ومن الولايات الاميركية التي يجود فيها البرتقال ايضاً فلوريدا وقد قدّرت مساحة الارض التي تصلح لزراعتهِ فيها بعشر آلاف ميل مربع او اكثر من ستة ملايين فدان . وبرتقالها لذيذ يفضل برتقال كاليفورنيا طعماً الاَّ ان برتقال هذه اكبر حجماً

وفي هذه الولاية بستان من اقدم بساتين البرتقال في اميركا فيهِ نحو ٥٠ شجرة اعتنى بهِ اولاً رجل انكليزي نزل الولاية سنة ١٨٣٧ فهذب اشجاراً برية من البرتقال وطعمها . ويقدَّر دخلهُ باكثر من ثلاثمئة جنيه كل سنة ومعدل حمل كل من اشجارهِ من الفي برتقالة الى خمسة آلاف

ولما بدأت عمارة فلوريدا كان فيها كثير من حراج البرتقال البري فظُن اولاً انهُ اصلي فيها لكن ثبت بعد ذلك ان الاسبانيين حملوهُ اليها من اسبانيا قبل ذلك العهد . والفلاحون هناك يزرعون النارنج ويطعّمونهُ برتقالاً

وسنة ١٨٦٨ اتي الى فلوريدا بفسائل البرتقال الصيني فانتشرت منها الحشرة المعروفة

بالحشرة القشرية وعمت جميع اقسام الولاية وقد خفّت وطأتها الآن بعد ان اكتشفت طريقة اماتتها بغاز الحامض الهيدروسيانيك كما تقدَّم

كيف بدأت زراعة الذرة

لتاريخ الذرة ونشوئها اهمية في نظر المؤرخ والفيلسوف لا تقل عن اهميتها في نظر علماء الزراعة والنبات وذلك لانها من الحبوب الزراعية التي مكَّنت الانسان من التحضر وقد بحث العلماء عن اصلها اكثر مما بحثوا عن اصل غيرها من انواع النبات الزراعية

وطريق العالِم في تحقيق اصل النبات هي ان يجمع ما يقدر على جمعهِ من الحقائق المعروفة فيوفّق بينها و يبني عليها حكمهُ . واذا اعوزتهُ الادلة الصريحة فكثيراً ما يلجأ الى ما يلجأ اليهِ القضاة احياناً فينظر في قرائن الاحوال و يبني احكامهُ عليها . واذا كثرت القرائن التي تدل على صحة الحكم زاد ثبوتهُ اذ يبعد ان تتفق قرائن كثيرة في دلالتها على صحة شيء مالم يكن ذلك الشيء صحيحاً

واذا بدا للعالِم من القرائن ما لا يلتئم مع غيرهِ وجَّه عنايتهُ اليهِ ووالى البحث عنهُ حتى يتبيّن لهُ سبب الاختلاف . وكثيراً ما يكون حل المسألة النهائي منوطاً بمعرفة اسباب التناقض بين الحقائق المعروفة

مثال ذلك جاء في اقاصيص اهل ايسلاندة وهي جزيرة الى الشمال من بلاد الانكليز ان جماعة من اهل الشمال اتوا شواطئ اميركا الشمالية حوالي سنة ١٠٠٠ ميلادية . ولم يعرف في اي قسم من اقسام اميركا نزلوا ولكنهم وصفوا السكان الذين رأوهم بانهم قصار القامة قباح الهيئة لهم عيون كبيرة وخدود عريضة ويركبون زوارق من الجلد . وهذا الوصف ينطبق على الاسكيمو . ولكن جاء في تلك الاقاصيص ايضاً انهم رأوا شجر الموسر وشاهدوا الحنطة نامية في البرية من نفسها وملأوا قواربهم من كبوش الخمر الناضجة في فصل الربيع . فقال البعض ان كبوش الخمر التي ذكروها هي العنب والحنطة التي تنمو من نفسها هي الرز البري وشجر الموسر هو الجرمشق . والتناقض في هذا الكلام ظاهر فان الخبيرين بعلم الانسان يؤكدون ان الاسكيمو لم يرحلوا قط جنوباً الى حيث تنمو الانواع المذكورة من النبات وعلماء النبات يقولون ان العنب والرز البري لا ينبتان في الشمال الشرقي من اميركا فضلاً عن ان العنب لا يثمر في الربيع

فذهب البعض ان تلك الاقاصيص ملفقة لا صحّة لها وذهب آخرون ان الاسكيمو

رحلوا جنوباً الى ان دنوا من المكان الذي بنيت فيهِ مدينة بوسطن وقال غيرهم ان اولئك المكتشفين انما رأوا الهنود سكان اميركا الاصليين وان كان الوصف الذي اوردوهُ لا ينطبق عليهم تماماً . لكن جاء بعد ذلك الاستاذ فرنالد فبيّن ان وصف اجناس النبات التي ورد ذكرها في تلك الاقاصيص ينطبق تماماً على اجناس تنمو الى الشمال من نهر سانت لورنس فزال بذلك الاشكال وظهر ان اقاصيص اهل الشمال تبين حقائق صحيحة يمكن الاخذ بها

اذا اراد نباتي ان يعرف الموطن الاصلي لجنس من النبات التفت اولاً الى النوع البري منهُ ويبحث عن الاماكن التي ينمو فيها وقلما تخطئ طريقتهُ هذه . ولكن من اجناس النبات ما لا ينمو بريًّا فيسدُّ هذا الباب في وجههِ فيعمد عندئذٍ الى طريقة اخرى وهي ان يرقب النبات في نموهِ ونشوء اعضائهِ ويقابل بينهُ وبين غيرهِ لعلهُ يعثر على جنس يقرب منهُ ولو كان حبل القرابة طويلاً

ومن الابواب التي يطرقها ايضاً في البحث عن اصل جنس من النبات مقابلة بقاياهُ المتحجرة والنظر في ما يطلق عليهِ من الاسماء في اللغات المختلفة لان من ينقل نباتاً من بلاد الى اخرى لم يُعرَف فيها من قبل ينقل اسمهُ ايضاً . ولا يعتدُّ بهذا الامر ولا يبنى عليهِ حكم الاَّ اذا امكن تأييدهُ بقرائن اخرى . وسنطرق هذه الابواب جميعها في بحثنا عن اصل الذرة وكيفية نشوئها

يرجح ان الذرة لا تنمو برية ولو وجد منها نوع بري لما خفي عن عيون الباحثين المدققين لاسيما وانها من اجناس النبات المشهورة وهذا مما جعل تعيين موطنها الاصلي صعباً . ذهب كثيرون انها نقلت من اميركا الى سائر البلدان وخالفهم آخرون فقالوا انها كانت تزرع في العالم القديم قبل اكتشاف اميركا مستندين في ذلك بالاكثر على بعض الادلة التاريخية . واسم الذرة الشائع بين سكان الولايات المتحدة مايز (Maize) مأخوذ عن اصل هندي اميركي الاَّ انهُ لم يشع الاَّ بعد سنة ١٥٧٠ . وتعرف في لغات اوربا باسماء تشعر بان اصلها من البلدان الشرقية فالانكليز يسمونها بالقمح الهندي (Indian corn) والفرنسويون بالقمح التركي (blé de Turquie) . وتعرف في مصر بالذرة الشامية لكن الذرة ليست قمحاً ولا هي هندية ولا تركية ولا شامية والنسبة الى البلدان لا تكون دائماً صحيحة فالديك الذي يسمَّى في مصر بالديك الرومي يسمَّى في سورية بالديك الحبشي وعند الانكليزي بالتركي وعند الفرنسويين بالهندي . وقد قال الفونس دي كندول ان الذرة كانت تعرف بالقمح الروماني في مقاطعتي اللورين والفوزج من فرنسا وبالقمح الصقلي في مقاطعة تسكانا من

ايطاليا و بالقمح الهندي في صقلية و بالقمح الاسباني في مقاطعة البيرنه . والترك ينسبونها الى مصر (مصر بوغدايي)

ولم يرد للذرة اسم في السنسكريتية ولا في العبرانية ولم يعثر لها على اثر في النقوش والكتابات المصرية . وقد وجد احدهم سنبلة منها في قبر في طيبة ولكن لا شك في انها وصلت الى ذلك المكان في الازمان المتأخرة اذ لا يعقل ان يكون المصريون عرفوا هذا النبات وقاموا على زراعتهِ ثم اغفلوهُ في نقوشهم التي لم يغفلوا فيها نوعًا من انواع النبات التي عرفوها . ومن الثابت انها لم تعرف في اوربا قديمًا ولكن البعض كانوا يظنون انهُ أُتي بها من الشرق في القرون الوسطى . ومن القائلين بذلك بونافوس وقد كان اكبر من كتبوا في هذا الموضوع في بدء القرن التاسع عشر وتابعهُ بعد ذلك كثير غيرهُ . واكبر دليل اعتمدوا عليهِ في قولهم هذا وثيقة كتبت سنة ١٢٠٤ ورد فيها ذكر حبوب اتي بها من الاناضول وقدمت لمدينة انسيزا في ايطاليا وظن ان الحبوب المذكورة هي الذرة نفسها ولكن ظهر ان الوثيقة من اوضاع المتأخرين الملفقة

فلم يبقَ عند ذلك للقائلين بان الذرة من اصل شرقي دليل يعتمدون عليهِ الأ صورة في كتاب صيني خط ما بين سنتي ١٥٧٨ و١٥٩٧ وتمثل تلك الصورة نباتًا يقرب من الذرة وقد كتب في اسفلها اسم الذرة في الصينية . ولكن البرتوغاليين اتوا الصين سنة ١٥١٦ اي قبل كتابة الكتاب المذكور بنحو ستين سنة فلا يبعد ان يكونوا هم اوصلوا الذرة اليها. ومما يؤيد ذلك انهُ لم يرد لها ذكر في كتابات الصينيين التي لم يغفلوا فيها ذكر شيء

فسكوت الشرقيين عن ذكر الذرة في كتاباتهم القديمة دليل واضح على انها من اصل اميركي . وقد انتشرت زراعتها بعد اكتشاف اميركا بسرعة غريبة ولو كانت في الشرق قبل ان يؤتى بها من اميركا لوجب ان يعرف نفعها ويعتنى بزراعتها قبل ذلك التاريخ بكثير

وليس من ينكر ان الذرة كانت تزرع في اميركا بكثرة عندما اكتشفها الاوربيون وقد كانت اهم الحاصيل التي يعتمد عليها هنود اميركا ولها اسماء في كل لغاتهم . ويستدلُّ على قدمها واهميتها عندهم من ادخالها في اكثر شعائرهم الدينية . ووجد منها شيءٌ كثير في قبور الهنود الاميركيين وفي هياكل المعبودات في المكسيك كما وجدت الحنطة والشعير في القبور المصرية . ويجب ان لا يفهم من هذا ان الاميركيين بدأُوا بزراعتها لما بدأَ المصريون بزراعة الحنطة والشعير فان عصر التمدن في المكسيك وبيرو متأخر كثيرًا عن عصر التمدن المصري القديم . الأ ان انتشار زراعتها في اقسام كثيرة من اميركا وكثرة انواعها المستعملة في

الزراعة تبعث على الظن انها عرفت من زمن طويل · وقد عثر دارون على متحجرات منها ممتزجة مع الصدف على قسم من شاطئ بيرو باميركا الجنوبية وقد ارتفع ذلك الشاطئ الآن ٨٥ قدماً عن مساواة البحر

يظهر مما تقدم ان موطن الذرة الاصلي اميركا ولكن اي اقسام اميركا هو ذلك الموطن · نعرف من طبائع هذا النبات انهُ يجود في البلدان الحارة فيجب ان نبحث عنهُ في حالتهِ البرية في سهول الاقسام الحارة ونلتمسهُ في السهول لان النبات الذي لا يعمّر الاَّ سنة واحدة لا ينمو في الحراج والغابات · وقد كفانا علماءُ النبات عناء البحث الكثير اذ قد مضى عليهم نحو من ثلاثمئة سنة رادوا فيها السهول جميعها ولم يدعوا نباتاً الاَّ وصفوهُ وشرحوا طبائعهُ · ولم يعثروا على نوع بري من الذرة الاَّ انهم عثروا على نبات يقرب منها في المكسيك وغواتيمالا وهو النبات المعروف بالتيوزنت (teosinte) ولذلك ترجح ان سهول المكسيك وغواتيمالا هي موطن الذرة الاول

والذرة انواع كثيرة تعد بالمئات والبعض منها يختلف عن البعض الآخر اكثر مما يختلف التيوزنت عن انواعها القريبة منهُ · وعلماء النبات يجعلون التيوزنت من جنس نباتي مستقل عن جنس الذرة وذلك لا يمنع ان يكون الجنسان نشأا عن اصل واحد لا يختلف عن كل منها الاَّ قليلاً

واكثر انواع الذرة تكون الحبوب فيهِ عارية من الغلاف والاستغناء عن الغلاف درجة من درجات نشوئها · واذا لُقحت الانواع الخالية من الغلاف من بعض الانواع من ذوات الغلاف اتى النسل مغلَّف الحبوب قريباً من التيوزنت لا يفرق عنهُ الاَّ في امور قليلة · ويمكن تلقيح الذرة بالتيوزنت والتيوزنت بالذرة فيأتي النسل قويًّا منتجاً

واكبر فرق بين الذرة والتيوزنت هو ان ازهار الاولى تنبت ازواجاً على شماريخ ملتحمة بعضها ببعض اما زهور الثانية فتنبت ازواجاً على شماريخ ذات عقد وتكون منفصلة بعضها عن بعض · فلا يختلفان اذن الاَّ في امرين مهمين فقط وهما تفرع الشمروخ وكثرة الحب

وقد تتفرع سنبلة الذرة الى فرعين او اكثر وربما كان ذلك رجوعاً الى الاصل الذي نشأت عنهُ · وقد اظهر تلقيح الانواع بعضها من بعض ان تفرُّع السنبلة صفة وراثية في بعضها فقدتها الانواع الزراعية · اما كثرة الحب فلا تزال حتى يومنا هذا تزداد في الانواع التي يعتني بها المربون ليعرضوها في المعارض حتى عرضت سنابل فيها من ١٨ الى ٢٤ صفاً من الحبوب · ولم يكن شيء من ذلك في الذرة التي كان الاميركيون الاصليون يزرعونها

فليس بين الذرة والتيوزنت فرق كبير ويمكن تلقيح احدهما من الآخر . وهذا يثبت القرابة بينهما ويبعث على الظن انهما نوعان من جنس واحد او جنسان نشأا عن اصل واحد

ولا يجتمع البيض واللقاح في الزهرة الواحدة في الذرة بل يكونان في زهرات مختلفة من النبات الواحد وهذه الصفة راسخة في كثير من الفصيلة النجيلية (والذرة منها) والازهار التي تكون فيها البيوض تنبت على سواعد قصيرة تنمو في آباط الاوراق اما الازهار التي تحتوي على اللقاح فتنبت في رأس النبات بهيئة الشعر . والسواعد التي تنبت في اطرافها السنابل اغصان قصيرة جداً حتى ان المسافات بين عقدها لا تزيد على ثمن العقدة طولاً . والاغلفة التي تكتنف الحب هي اوراق هذه الاغصان لكنها تكيفت واختلفت عن باقي الاوراق لكي تقوم بوقاية الحب . ويظن ان هذه الاغصان كانت في الانواع الاصلية من الذرة طويلة بحيث تصبح سنابل الحب النابتة عليها محاذية للشعر

ولكن هل نقدر ان نثبت ان الذرة كانت في اول امرها مثل غيرها من الفصيلة النجيلية (اي الاعشاب القائمة على قصل) تجتمع في الزهرة الواحدة منها البيوض واللقاح . لم يحاول احد حتى الآن ان يجد نوعاً منها تظهر فيهِ هذه الصفة لكن اذا مررت بحقل خصب قد جادت فيهِ الذرة رأيت نباتات كثيرة قد نبتت فيها الحبوب الصغيرة في الشعر وقد ترى ايضاً زهرات اللقاح نابتة بين الحبوب . وهذا يدل دلالة صريحة على ان الزهرة الواحدة كانت تجمع بين البيوض واللقاح في العصور السالفة

فاذا جمعنا هذه الحقائق وضممنا بعضها الى بعض امكننا الرجوع بافكارنا الوفاً من السنين الى الزمن الذي كانت الذرة البرية تنمو فيهِ في سهول المكسيك واميركا الوسطى . وكانت اذ ذاك طويلة يزيد ارتفاعها على ارتفاع اكثر الانواع من الفصيلة النجيلية وتحمل حبوباً صغيرة في رؤوس اغصانها . ثم تكيفت ازهارها بمرور العصور فاصبح بعضها يحمل البيوض وبعضها يحمل اللقاح . ثم ظهر نوع منها قصرت اغصانهُ كثيراً ونمت اوراقها وتكيفت حتى احاطت بالحب ووقتهُ من الطيور وبعض الحيوانات . فراق منظر هذا النبات بعض هنود اميركا وثبت لهم نفعهُ فاعتنوا بهِ ومن ذلك الوقت بدأت زراعة الذرة واخذت انواعها تتكاثر حتى اصبحت تعد بالمئات . ولا شك ان الاميركيين الاصليين اظهروا من العقل والفطنة في انتخاب انواع الذرة اكثر مما اظهروا في تجارتهم بها مع الاوربيين الذين وطئوا بلادهم اولاً اذ كانوا يبيعونهم اكداساً منها مقابل ما لا قيمة لهُ من الخرز وقطع الزجاج .

انتهى من مقالة للاستاذ ادورد ايست من اساتذة جامعة هارفرد باميركا

النيتروجين في الزراعة

تتألف انسجة النبات في الاكثر من مركبات الكربون والهيدروجين والاكسجين . ويركب النبات هذه المركبات لنفسهِ من اكسيد الكربون الثاني والماء وتساعدهُ حرارة الشمس على ذلك . لكن لا بد لهُ ايضاً من مواد اخرى تدخل في تركيبهِ واهمها النيتروجين والفصفور والبوتاسا وهو يتناولها كلها من الارض بجذورهِ . ويذهب جانب كبير منها في الثمار والحبوب وسائر الحاصلات الزراعية فلا يعود الى الارض ثانية . ونتيجة ذلك تناقص هذه المواد الى ان تمسي غير كافية لنمو النبات فلا بد اذن من ايجاد طريقة تبقيها في الارض على النسبة الكافية

والنيتروجين اهم هذه المواد واهم مصادرهِ النيترانات الطبيعية التي توجد في بلاد شيلي و بيرو و بوليفيا في اميركا الجنوبية وكبريتات الامونيوم الذي يتولد عند عمل الكوك وغاز الاستصباح من الفحم . ويقدَّر ان النيترانات الطبيعية التي في اميركا الجنوبية ستنفد بعد مدة تتراوح بين ثلاثين سنة ومئة سنة ونفقات استخراجها آخذة بالازدياد في الوقت الحاضر . اما كبريتات الامونيا التي تتولّد عند عمل الكوك والغاز فقليلة لا يمكن استعمالها لتسميد الارض بكميات كبيرة . ولا يحتاج الناس الى كميات كبيرة من الكوك والغاز لكي يصبح ما يتولّد حين صنعها كافياً لذلك ولا الفحم رخيص ليستغنى عنهُ لاستخراج الامونيا

فاكثر النيتروجين المستعمل الآن يأتي من النيترانات التي تستخرج في اميركا الجنوبية ويبلغ ثمن الرطل منها في اميركا واوربا نحو قرش ونصف وهو ثمن غالٍ لا يمكن معهُ ان يعم استعمال الاسمدة النيتروجينية بالمقادير اللازمة . ولذلك اهتم بعض العلماء بايجاد طرق تمكن من الانتفاع بنيتروجين الهواء

ولا يقتصر البحث في الانتفاع بنيتروجين الهواء على الطرق الكيماوية فقد اشترك فيهِ علماء النبات ايضاً فثبت لهم ان بعض المكروبات التي تعيش على جذور النباتات القرنية كالفول مثلاً تولّد من نيتروجين الهواء مركبات يستطيع النبات ان ينتفع بها

وقد علّل خصب الارض اذا تناوبت عليها المزروعات اي تبدّل نوعها من سنة الى اخرى بفعل هذه المكروبات . فاذا زُرعت حنطة قلت كمية المركبات النيتروجينية فيها ثم اذا زرعت فولاً بعد ذلك نمت هذه المكروبات على جذور الفول وعوضتها عما خسرتهُ من مركبات النيتروجين في السنة السابقة

ومن اوضح الادلة على ذلك ما جرى في جزيرة كراكاتوي من جزر ملقا . ففي هذه الجزيرة بركان ثار سنة ١٨٨٣ فيبّس كل نبات فيها وغطاها بطبقة عالية من الرماد . وليس في هذا الرماد شيء من مركبات النيتروجين التي يمكن للنبات ان يغتذي بها ولذلك ظن اولاً ان الجزيرة امست جدباء لا ينمو فيها نبات . ولكنها ما لبثت ان اكتست حلة خضراء ثبت لدى التحقيق ان القسم الاعظم منها من النباتات القرنية التي تتناول النيتروجين من الهواء بواسطة ميكروبات تعيش على جذورها

وهنا مجال واسع لعلماء النبات وعلماء الاحياء عموماً للبحث عن انواع المكروبات التي تفعل هذا الفعل وعن الانواع التي تنتفع المزروعات بها. وربما ادى البحث الى معرفة بعض الانواع التي يمكن تربيتها في التربة فتجعلها جيدة صالحة للزراعة عموماً او لكل نوع من المزروعات على حدة

لكن بحث علماء النبات وعلماء الاحياء اذا لم يأتِ بالنتائج المطلوبة فبحث علماء الكيمياء قد اتى بها فانهم اكتشفوا طرقاً للقبض على نيتروجين الهواء وتوليد الحامض النيتريك ومركباتهِ منهُ وعلى هذه الكيفية يصنع الآن السماد الاسود المركب من النيتروجين والجير الذي يراد عملهُ بقوة انصباب الماء من شلال اصوان . وقد قلنا سابقاً ان الاسمدة النيتروجينية اما ان تكون قاعدتها الحامض النيتريك او الامونيا اي الغاز المركب من النيتروجين والهيدروجين. وكما تمكَّن الكيماويون من تركيب الحامض النيتريك من نيتروجين الهواء واكسجينهِ تمكنوا الآن من تركيب الامونيا من نيتروجين الهواء وهيدروجين الماء على اسلوب تجاري اي على اسلوب قليل النفقات حتى تكون الامونيا رخيصة يمكن استعمالها سماداً وذلك بان يمزج النيتروجين النقي بالهيدروجين تحت ضغط شديد ويمر مزيجهما على حديد محمّى الى درجة ٥٠٠ — ٦٠٠ فتتولد الامونيا منهما وقد انشئ معمل في المانيا لعمل الامونيا على هذه الصورة

والخلاصة ان خصب الارض لم يعد من المسائل الغامضة ولا مما يتوقف على ما يمكن ان يتولد فيها من الميكروبات النافعة ولا على ما يتفق وجودهُ في بعض الاماكن من الاسمدة الطبيعية بل صار عملاً صناعيًّا متوقفاً على ما تصنعهُ المعامل

القطن ونقص محصول الفدان

ادَّعى بعض الباحثين في الزراعة المصرية ان محصول الفدان من القطن آخذ في النقص المتوالي وخافوا ان يأتي زمن لا يعود محصول الفدان يفي بنفقات زرعهِ . ولا شبهة في انهُ وقع شيء من النقص ولكنهُ غير مطَّرد ولا هو مما يدعو الى الخوف الشديد ولا هو مقصور

على القطن ولا على القطر المصري ولكن يظهر انهُ يشمل كل انواع الزراعة اذا اتسع نطاقها في بلاد من البلدان سريعاً كما حدث في اميركا فان مساحة الارض التي زرعت قطناً فيها سنة ١٩٠٩ زادت ٣٢ في المئة على مساحة الارض التي زرعت قطناً سنة ١٨٩٩ ولكن المحصول لم يزد ١٢ في المئة وكان متوسط محصول الفدان سنة ١٩٠٧ و١٩٠٨ و١٩١٠ و١٩١١ فيها اقل من متوسط محصول الفدان سنة ١٨٩٧ و١٨٩٨ و١٩٠٠ و١٩٠١ مع شدة الاعتناء هناك بالزراعة

اما متوسط محصول الفدان في القطر المصري فكان في كل من السنوات العشر الاخيرة كما ترى في هذا الجدول

السنة	مساحة الاطيان المزروعة قطناً	مقدار المحصول	متوسط محصول الفدان
١٩٠٢	١٢٧٥٦٧٧	٥٨٣٨٧٩٠ قنطاراً	٤٫٥٨ قنطاراً
١٩٠٣	١٣٣٢٥١٠	٦٥٠٨٩٤٧ «	٤٫٨٨ «
١٩٠٤	١٤٣٦٧٠٩	٦٣١٣٣٧٠ «	٤٫٣٩ «
١٩٠٥	١٥٦٦٦٠٢	٥٩٥٩٨٨٣ «	٣٫٨٠ «
١٩٠٦	١٥٠٦٣٩١	٦٩٤٩٣٨٣ «	٤٫٦١ «
١٩٠٧	١٦٠٢٢٢٤	٧٢٣٤٦٧٤ «	٤٫٥١ «
١٩٠٨	١٦٤٠٤١٥	٦٧٥١١٢٥ «	٤٫١٢ «
١٩٠٩	١٥٩٧٠٥٥	٥٠٠٠٧٣٧ «	٣٫١٣ «
١٩١٠	١٦٤٢٦١٠	٧٥٠٥٠٧٢ «	٤٫٥٧ «
١٩١١	١٧١١٢٤٠	٧٣٨٦٣٢٨ «	٤٫٣١ «

والذي نقص متوسطهُ حقيقةً نقصاً يعتدُّ بهِ هو موسم سنة ١٩٠٩ وسبب نقصهِ معلوم وهو فتك دودة القطن حينئذٍ فتكاً ذريعاً فانها فعلت تلك السنة اشد مما فعلت في غيرها من السنين وكذلك سنة ١٩٠٥ فان فتك الدودة كان شديداً فيها . فاذا اعتبرنا ذلك ظهر لنا ان خصب الارض لم يقلّ عمّا كان منذ عشر سنوات قلّة يعتدُّ بها . وقد كان متوسط محصول الفدان ٥٫٦٠ سنة ١٨٩٦ و٥٫٨٠ سنة ١٨٩٧ ولكن لا دليل على ضبط المساحة حينئذٍ بل لا يبعد انها كانت اقل من الحقيقة بنحو مئة الف فدان لانها زادت فجأةً سنة ١٩٠٠ نحو ثمانين الف فدان لغير سبب معلوم يدعو الى هذه الزيادة . وعليهِ فمتوسط محصول الفدان من القطن في القطر المصري يكاد يكون واحداً منذ نحو ١٥ سنة الى الآن

﴿ مغازل القطن ومتأخراتهُ ﴾

تقرير قلم احصاء اتحاد غزالي القطن

مرصود لاول مارس سنة ١٩١٣

	مغازل تقدير مغازل القطن	مخزونات في المعامل				
		اميركي	هندي	مصري	مختلف	مجموع
انكلترا	٥٥٥٧٦١٠٨	٣٢٦٠٣٤	٨٥٣٧	١٢٦٣٩٩	٣٢٩٩٧	٤٩٤٣٦٧
المانيا	١٠٩٢٠٤٢٦	٢٦٤٨٨٢	٤٧١٥٢	٣٧٨٠٠	٢٠٤٤٦	٣٧٠٢٨٠
روسيا	٨٩٥٠٠٠٠	٦١١٣٦	٥٧٨١	١٦٣٣٢	٤١٥٤١٠	٤٩٨٦٥٩
فرنسا	٧٤٠٠٠٠٠	١٢٧٧٨٩	٢٥٤٦٧	٣٢٨٢٢	١٣٢٨٦	١٩٩٣٦٤
الهند	٦٤٠٠٠٠٠	٢٣٦٢٠	٢٧٤٢٣٧	٣٣٣	٥١٢١٠	٣٤٩٤٠٠
النمسا	٤٨٦٤٤٥٣	١٢٥٢٦٠	٣١١٠٠	٨٣٦١	٩٣٧٣	١٧٤٠٩٤
ايطاليا	٤٥٨٠٠٠٠	٩٩٣٣٤	٢٤١١٧	٤٧٩١	٧٥٧٩	١٣٥٨٢١
اسبانيا	٢٢٠٠٠٠٠	٤٨٤٥٣	١١٤٧٢	٢٩٨٥	١١٨٣٤	٧٤٧٤٤
اليابان	٢٢٥٠٠٠٠	٨٥٨٤٠	١٤٠٥٩٤	٤٨٨٨	٣٥٥٣٥	٢٦٦٨٥٧
سويسرا	١٣٩٨٠٦٢	١٥٠٣٩	١٢٩٣	١٢٠٣٢	٧٣٧	٢٩١٠١
بلجيكا	١٤٦٨٨٣٨	٤٧٥١٠	٣٣٠٥٣	٢٤١	١١٥٩	٨١٩٦٣
اسوج	٥٢٩٧٧٢	٢١١٠٨	٩١٥	٢٨	٢٦١	٢٢٥٦٤
البورتغال	٤٨٢٠٠٠	٢١٥٠	٥٠	٢٠٠	١٢٠٠	٣٦٠٠
هولندا	٤٧٠٩٥٦	٩٩٨٩	٢٦٦٣	١٤٦	٣٠٥٧	١٥٨٥٥
الدانمارك	٨٦٨٣٦	١٣١٢	—	—	٢٣٢	١٥٤٤
نروج	٧٤٥٦٤	٢١٦٧	٣٦٦	—	٣١	٢٥٦٤
الولايات المتحدة	٣٠٥٧٩٠٠٠	١٩٥٨٠٠٠	—	؟	—	١٩٥٨٠٠٠
كندا	٨٥٥٢٩٣	٤٧١٢٠	—	—	—	٤٧١٢٠
المكسيك والبرازيل	٢١٠٠٠٠٠	١٢١٩	—	٢٣١	٤٢١٨٨	٤٣٦٣٨
المجموع	١٤٣١٨٦٣٠٨	٣٢٦٧٩٦٢	٦٠٧١٩٧	٣٤٧٨٤١	٦٤٦٥٣٥	٤٧٦٩٥٣٥
اول مارس ١٩١٢	١٣٩٣١٣٨٧٠	٢٨١٥٩٤٣	٥٣٤٥٤٣	٢١٠٦٣٥	٦٣٩٣٩٣	٤٢٠٠٤١٣
« « ١٩١١	١٣٥٥٩٦٧٣٤	٢٥٦٥٥٠٠	٧٠٧٧٦٧	٢٠٥٣٤٧	٥٨٢٣٣٦	٤٠٦٠٧٤٠

نقل البصير الجدول السابق عن اتحاد غزالي القطن وقد ذُكر فيهِ عدد المغازل العاملة للآن في معامل القطن في الدنيا ومقدار المخزون من اصناف القطن حتى آخر مارس الماضي

و يظهر منهُ ان عدد المغازل قد زاد كثيراً عمَّا كان في العام الماضي والذي قبلهُ وهذه الزيادة تدلُّ على زيادة المقطوعية · واذا لم يزد محصول القطن الاميركي والهندي هذه السنة زيادة كبيرة فلا بدَّ من ارتفاع سعر القطن ايضاً ولاسيما اذا عقد الصلح بين الحكومة العثمانية وحكومات البلقان وزال الخوف من نشوب حرب عمومية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

صغر القدم وضيق الفك

قال احد الكتاب الاميركيين لو صرفنا قليلاً من العناية الى تقوية اولادنا من بعض الوجوه لقمنا لهم وللامة التي تتألف منهم بخدمة جليلة · فقد بيَّن بعض العلماء ان صغر الفك وعدم انتظام الاسنان ناشئان عن عدم ترويض الاسنان على العمل الذي اوجدتها الطبيعة من اجلهِ وهو مضغ الاطعمة التي يصعب مضغها · وقد امسى تركيب الاسنان الكيماوي ناقصاً بسبب ذلك واختل انتظامها في الفم حتى قلَّ ان يتوسط انسان في السن وتبقى اسنانهُ كاملة (٣٢ سناً) وحتى صار اطباء الاسنان يفرحون اذا عثروا على رجل في فمهِ ٣٢ سناً كأنهُ امر نادر · ويفرح مثل ذلك الطبيب المختص بمعالجة الاقدام اذا رأى انساناً مكتمل النمو ولم تزل قدمهُ على هيئتها الطبيعية

ولا يحاكي الفك في كثرة ما يجنى عليهِ بتحويلهِ عن هيئتهِ الطبيعية الأ القدم · نغرس في عقول اولادنا احتقار اهل الصين لانهم يحبسون اقدام البنات لكي لا تنمو ثم نلبس بناتنا احذية ضيقة تضغط على القدم وتعلو على كعاب من النوعين المعروفين بالكعاب الفرنسوية والكعاب الكيوبية · فنحن والصينيون سواء في ذلك وان كنا لم ندرك شأوهم

وربما كانت الاسباب التي تدعو الصينيين الى حبس اقدام البنات اوجه من الاسباب التي تدفع الغربيين الى ذلك · ففي الصين يصعب على المرأة الشريفة ان تتزوج رجلاً يليق بها اذا كان قدماها طبيعيتين كاقدام النساء اللواتي يتعاطين الاعمال اكثر مما يصعب على

بناتنا ان يتزوجن بمن يليق بهن اذا كانت خصورهن طبيعية ٠ واذا خرجت المرأة الصينية التي من الطبقة الراقية احاطت بها جواريها يسندنها من كل جهة ليظهر للناس انها لا تقدر على المشي وحدها ٠ هذا هو السبب الذي من اجلهِ حُبس قدماها وهو اكبر دليل على انها سيدة رفيعة الشان تليق ان تكون زوجة لرجل شريف

ولم يقصر الصينيون عن الصينيات في هذا المضمار فان الخطير الشان منهم يطلق اظفار اصابعهِ حتى تبلغ من الطول ما يصعب علينا التصديق بهِ ثم يقي كلاًّ منها بغمد ربما كان من العاج او الخشب الثمين لئلاَّ تنخضد او تنكسر فتظهر اصابعهُ جماء كاصابع الذين يتعاطون الاعمال ٠ اما الاميركيات فلا يهمهنَّ ان يبرهنَّ لمن يراهنَّ انهنَّ لا يقدرن على المشي كالصينيات ولكنهنَّ حريصات على ان يظهرنَ بمظهر الرشاقة والعياقة ومجاراة الذوق العصري ٠ ومع ذلك تتخذ اقدام البالغات منهنَّ من الاشكال والهيئات غير الطبيعية ما لا يحصى

نشتري الاحذية اصغر من اقدامنا وننسى انهُ يلزم لاقدامنا فسحة لتنفرش اذا ملنا بثقلنا عليها كما تنفرش اقدام الحيوان عند ما يقوم عليها ٠ ولا ادري كيف قام في عقول الناس ان اقدامنا يجب ان تكون اصغر مما هي بالنسبة الى اعضائنا الاخرى ولا اعرف احداً بيّن سبب ذلك ٠ وقد تغنى الشعراء بمدح الاقدام الصغيرة كما نوَّه الخطباء بذكرها وحرص المصورون على تصويرها ٠ اما الحقيقة فهي ان اقدام المتمدنين منا اصغر مما يجب ان تكون بالنسبة الى كبر اجسامهم وثقلها ٠ وهذا الصغر ناشىء عن عدم ترويضها وحبسها في الاحذية الضيقة من يوم يكون الولد صغيراً الى ان يكبر ٠ وليس هذا كل المصيبة فاننا نلبس في الغالب احذية ضيقة دقيقة الرأس تضغط على اصابع الرجل مما اخشى معهُ ان نمسي اخيراً من الحيوانات ذوات الاصبع الواحدة لاننا نطلق ابهام الرجل ونضغط اصابعها الاخرى ٠ ونتيجة هذا الضغط تقهقر الاصابع الصغرى ووقوف نموها او انفتالها وتراكبها بعضها على بعض حتى يصبح الانسان لا يقدر ان يقف على قدميهِ وقتاً طويلاً فضلاً عن انهُ لا يستطيع المشي لشدة الالم

ويحدث تراكب الاصابع اذا لبس الانسان الحذاء الضيق بعد ان تكبر اصابعهُ ٠ وليس في اميركا ولا في الصين رجل او امرأة على جانب من الظرف والكياسة يقدر ان يترك اصابع رجليهِ تنفرش على ما سنَّت لها الطبيعة ٠ ولكن لبس الاحذية الضيقة يبدأ غالباً حينما تكون القدمان طريتين فيقف نمو الاصابع ولا يبقى منها الا نتوات صغيرة ٠ وقد كانت الاصبع الثانية في اقدام الناس قبل ان لبسوا الاحذية الضيقة اطول من الابهام والثالثة مثل الابهام

في طولها والرابعة والخامسة خاليتين من المسامير تنبسطان على الارض وتتمكنان منها جيداً عند المشي . والامر الاخير مهم جداً فان اصابع القدم يجب ان تنبسط على الارض عند ما نميل عليها في المشي كما تنبسط اصابع الحيوان

ويجب ان يكون في الحذاء مجال كاف للاصابع لكي تنبسط واذا ضيق عليها صعب المشي على الانسان . اما الكعاب العالية فتأتي بالضرر وتتعب في المشي ولا تزيد منظر القدم جمالاً بل بالعكس من ذلك تشوه شكلها الاّ ان فعلها في ذلك اقل من فعل التضييق على الاصابع . وعلينا ان نرفق باقدامنا فانها اتقن اعضاء اجسامنا بناء بعد ايدينا

وارتخت اقدام كثيرين باهمال ترويضها فاخذ صانعو الاحذية يضعون فيها اقواساً من الحديد لتدعم اخمص القدم وتبقي حنيتهُ على ما يجب ان تكون . ومثلنا في ذلك مثل من اراد تقوية يد انسان فارتأى ان يحوطها بالقضبان ويحكم ربطها حتى تبقى مرفوعة لا تتحرك . ولا يسع صانع الاحذية الاّ ان يضحك من سخافة هذا الرأي ولكنهُ يفعل ذلك حينما يضع اقواس الحديد تحت اخمص القدم في الحذاء ويدعي انهُ يقوّي القدم بمنعها من اتمام وظيفتها وحرمانها الرياضة التي تقويها . ويجب ان تنفرش قدم الانسان وتنبسط قوسها قليلاً كلما مال عليها بثقلهِ في المشي . ويستحيل عليهِ ان يمشي مسافة طويلة وفي حذائهِ اقواس حديد تدعم قدميهِ . وهذه الاقواس مثل كل ما يستخدمهُ الانسان لتغيير وضع جسمهِ الطبيعي تسبب لهُ الماً شديداً خصوصاً اذا اضطر ان يمشي مسافة طويلة . اما اذا استغنى عن المشي او لم يمشِ الاّ قليلاً امكنهُ الصبر على هذه الاقواس كما تصبر النساء على الكعاب العالية . فكأن اكثر احذيتنا لم تصنع للمشي بل لكي تجتليها الانظار او لكي يلبسها اصحابها عندما يركبون المركبات او يمتطون الجياد

عرفت تاجراً باع رجلاً حذائين فلم يلبث هذا ان عاد بعد ايام قليلة وقد تفتق حذاءاهُ فاظهر التاجر عجبهُ من سذاجتهِ قائلاً انك مشيت بهما وهما ليسا للمشي بل للركوب . وكلما مررت بامرأة تمشي بحذائين لا يسعان قدميها ولهما كعبان عاليان تذكرت تلك القصة . واذا نظرت الى امرأة عرفت من مشيتها هل حذاءاها يلائمان قدميها او لا . فالمرأة التي لا تضغط على قدميها بحذائين ضيقين تتمثل في مشيتها الرشاقة والخفة اللتان تميزان اجمل مخلوقات الله

وانا من المولعين بالمشي وقد رأيت بالاختبار انهُ يجب على الانسان ان يعمل على تقوية قدميهِ وان يسمح لها بالنمو اكثر مما يسمح لها الآن . وكل من الاصابع العشر التي في القدمين يجب ان ينمو الى ان يكتمل نموُّهُ وان يتمكن من الارض ويحمل قسماً من الضغط الذي يصيب

القدم عند ما نمشي او نعدو او نثب

والقدم الطبيعية اشبه بجنية قائمة على العقب وصدر القدم اللذين يصيبان الارض ويجب ان يكون هذان الطرفان على مستوى واحد فلا يجوز جعل كعب الحذاء اعلى من نعله باكثر من نصف عقدة . ويجب ان يكون الكعب عريضاً مثل النعل عند معظم عرضهِ وان يكون الحذاء اطول من القدم واوسع منها

وكما ان الفك يقف نموهُ فيكون ذلك الوقوف سبباً لانسداد الخياشيم وتحول التنفس الى الفم وسوء الهضم وضعف قوة التمثيل بما يترتب عليهِ من ضعف الاسنان وعدم انتظامها ومن قلة الاكسجين الداخل الى الجسم كذلك يضر بالاقدام اهمال ترويضها وعدم السماح لها بان تنمو النمو الطبيعي . ثم اننا لا نقتصر على ذلك بل نضيف اليهِ وضع الاقواس في الاحذية لتزيد اقدامنا ضعفاً ونعلي الكعاب متوهمين ان علوها يحفظ هيئة القدم

واذا ارتخت القدم فانبسطت قوسها كما تنبسط عند المشي ولم تعد الى وضعها الاصلي وجب دعمها بالاقواس الى حين . ولكن يجب ان تبذل العناية في سبيل تقويتها بالعدو والمشي على اصابع الرجلين حفاة ودلك العضلات التي في مؤخر الرجل ومعالجتها وتقوية الجسم عموماً

وارتخاء قوس القدم دليل على ضعف الجسم عموماً ويجب ان لا يُقتصر في معالجتها على اصلاح هيئة القدم وحدهُ بل تجب العناية بتقوية الجسم كلهِ

ولا يتحقق لنا ما نريد من الكمال في اولادنا الا اذا اطعنا نواميس الطبيعة وتركنا اقدامهم وافواههم تنمو على ما رسمت لها الطبيعة ان تنمو

ترياق السموم

(تابع ما قبلهُ)

الحامض الكبريتيك : درهم واحد منهُ يميت ويستعمل لهُ ما يستعمل للحامض النيتريك

اليود : يختلف فعلهُ باختلاف الاحوال ولكن ثلاث قمحات منهُ تميت عادة ولهُ طعم حامض وينتج عنهُ تصلّب حول الحلق وقيء ويجب اهاجة القيء واعطاء المسموم مقادير كبيرة من الارروروط والنشا

الاثير : يدخل الصدر مع التنفس واعراضهُ تشبه الاعراض التي تنتج عن الكلوروفورم وينفع فيهِ صب الماء البارد واعادة التنفس صناعيًّا

الحامض البيروغفصيك : ثلاث قمحات منهُ تقتل الكلب واعراض التسمم بهِ كاعراض التسمم بالفصفور ولم يعرف لهُ ترياق خصوصي انما يجب اهاجة القيء حالاً

الحامض الكروميك والكرومانات والادهان التي يدخل الكروم في تركيبها ومركبات النحاس والانتيمون والزئبق والزنك : ينجع فيها استعمال البيض بكثرة واهاجة القيء بالخردل . اما اذا كان سبب التسمم الطرطير المقيء فلا ينفع الخردل

الحامض الهيدروسيانيك (البروسيك) واملاحهُ وسيانيد البوتاسا وسيانيد الزئبق والكبريتوسيانيد وزيت اللوز المر والنيترو بنزين : ينجع فيها صب الماء البارد على رأس المسموم او على ظهرهِ فوق الحبل الشوكي ووضع ضمادات الخردل على اخمصي قدميهِ وفوق معدتهِ ويجب ان لا يترك المسموم ليغفي

الايثر والبترول والبنزول وارواح الاثمار والكحول : ينجع فيها اهاجة القيء بالخردل مع الماء السخن والحمام البارد والهواء النقي . ويجب ان لا يغفي المسموم

مركبات الباريتا او الرصاص : يعطى المسموم خردلاً مع مقدار كبير من الماء السخن او مذوب الملح الانكليزي او ملح الطرطير

الزرنيخ والزنك والافيون والدجتال والزئبق والستركنين يعطى المسموم بها مذوب مئة جزءٍ من كبريتات الحديد في ٨٠٠ جزءٍ من الماء بعد ان يذاب فيهِ ٨٨ جزءًا من المغنيسيا بجرعات كل منها كاس شرب عادية

ويقال بنوع عام ان على من رأى مسموماً ان يبادرهُ اولاً بقيءٍ ثم يأتيهُ بالترياق الذي ينجع في ذلك السم الذي تناولهُ . ويجب ان لا يغفل عن حفظ قيءِ المسموم اذا اشتبه ان السم دُسَّ لهُ عمداً

واجبات النساء وحقوق الانتخاب

كتبت كونتة جرزي تعترض على اعطاء حق الانتخاب للنساء في بلاد الانكليز ومما قالتهُ في هذا الصدد ان النساء اذا قمن بما هو مفروض عليهن لم يستطعن ان يتفرغن للاهتمام بالامور السياسية تفرغاً يجيز لهنَّ ان ينتخبنَ الاعضاء لمجلس النواب واذا اجيز الانتخاب لكل البالغات منهنَّ زاد عدد المنتخبات مليونًا الى مليون ونصف على عدد المنتخبين . واذا اعطي النساء حق الانتخاب وثبت بالامتحان ان ذلك غير صالح تعذَّر نزع هذا الحق منهنَّ

الزوجة وضمانة الحياة

توفي بالامس رجل من موظفي الحكومة راتبهُ كبير يبلغ نحو الف جنيه في السنة وهو يعيش على مقدارهِ اي انهُ لا يقتصد منهُ غير ما تقطعهُ الحكومة لتعطيهُ اياهُ معاشاً . فما يكون حال زوجتهِ واولادهِ بعد وفاتهِ وليس لهم ما يعتمدون عليهِ غير المعاش القليل الذي تعطيهم اياهُ الحكومة . لقد كان على ذلك الرجل ان يحسب حساب الموت ويوفر جانباً من دخلهِ لكي لا تحل الفاقة بزوجتهِ واولادهِ لكنهُ لم يفعل فكانت العاقبة وخيمة عليهم الى ان شبَّ اولادهُ وتعاطوا اعمالاً تقوم بمعيشتهم

وقد اهتدى الناس الى وسيلة لا افضل منها لدفع الضيم عن عيال الذين يموتون باكراً وهي شركات ضمانة الحياة او سوكرتاه الحياة التي يدفع اليها كل احد من المشتركين فيها جانباً من دخلهِ فتتعهد لهُ بدفع مبلغ معلوم لزوجتهِ واولادهِ عند وفاتهِ فاذا عمَّر طويلاً حتى صار اولادهُ في غنىً عنهُ فالغالب ان المبالغ التي يكون قد دفعها الى الشركة تزيد عمَّا تدفعهُ الشركة الى ورثتهِ ولكن هذه الزيادة تذهب الى ورثة الذين يموتون باكراً لان الشركة تتعهد للمشترك فيها ان تدفع لورثتهِ المبلغ المتفق عليهِ سواء عمَّر طويلاً او مات في اليوم التالي لامضاء العقد

وكثيراً ما يكون الضمان لسنين محدودة فيدفع المرءُ في سني الشباب والكهولة ما يستردهُ في زمن الشيخوخة او يكون على اسلوب آخر. وكل الاساليب التي تجري عليها شركات ضمانة الحياة تأول الى اخذ بعض المال من الذين يعمرون طويلاً واعطائهِ لورثة الذين يموتون باكراً . وهي اذا كان مديروها من الرجال الامناء البارعين في تثمير الاموال خير ما استنبطهُ البشر لازالة المضار الناتجة عن الموت الباكر . وخير ما تفعلهُ كل زوجة ان تطلب من زوجها ان يسوكر حياتهُ عند اول اقترانهِ بها فانها اذا فعلت ذلك ووفَّرت من نفقاتها اليومية ما يجب دفعهُ سنوياً لشركة الضمان امنت الفاقة اذا توفي زوجها واولادها صغارٌ وليس لها ولهم ما يقوم بنفقاتهم

طعام المريض

لطعام المريض اهمية لا تقل عن اهمية الدواء الذي يوصف لهُ . وكثيراً ما يعين الطبيب نوع الطعام ومقدارهُ واوقات تناولهِ . ويجب ان يعتنى كثيراً بتحضيرهِ فقد يقع

من القائم على امر الطعام اهمال قليل فيجر على المريض اوخم العواقب كما يحدث احياناً للمرضى بالحمى التيفوئيدية

ولا يجوز تحضير الطعام في غرفة المريض بل يجب ان يحضَّر في غرفة اخرى ان كان بسيطاً كتسخين اللبن مثلاً اما اذا كان يقتضي طبخاً وتعليلاً اكثر من ذلك فيجب اعداده في المطبخ . وقد يتفق ان لا يحسن الطباخ اعداد الاطعمة للمرضى فيجب على ربة البيت في مثل هذه الحال ان تقوم على ذلك بنفسها وهذا يستلزم معرفة سابقة يجب ان تتعلمها البنت في بيت ابيها . ولا شيء يحمل الخدم على اتقان ما يعملونهُ مثل معرفتهم بان مولاتهم تجيد العمل اكثر منهم . ويجب ان يحضَّر طعام المريض على طريقة تجعلهُ طيب الطعم يثير في من ينظر اليهِ شهوة الاكل

واللبن (الحليب) من افضل الاطعمة للمرضى ويستحسن ان يسخن بتغطيس الاناء الذي يكون فيهِ في الماء الغالي ثم يترك حتى يبرد . وكثيراً ما تتلبَّك معدة المريض اذا تناول اللبن وحدهُ ويجتنب ذلك باضافة قليل من الصودا او من ماء الكلس الى اللبن قبل تناولهِ . و يؤْخذ اللبن بكميات قليلة لانهُ اذا كثر في المعدة تجبَّن وابكها . ولا بأْس باعطاء المنبهات اذا سمح بها الطبيب

ولا يجوز ان يترك اللبن مكشوفاً في غرفة المريض لانهُ يمتص الروائح مهما كان نوعها وان قدُم قليلاً او طرأَ عليهِ اقل تغيّر لم يعد صالحاً للمريض واذا كان المرض ثقيلاً وجب كيل اللبن كما يكال الدواء . ويجدر بالممرضة ان تقتني مفكّرة تدون فيها وصايا الطبيب ومقدار الطعام الذي تقدمهُ للمريض ووقت تقديمهِ وهذه المفكرة ضرورية اذا قام على العناية بالمريض ممرضتان تتناوبانها

وتنفع القشدة في كثير من الامراض المزمنة وهي من انواع الدهن القليلة التي يجوز للمرضى تناولها . ويجب ان لا يحتوي طعام المريض على شيء من الدهن الاَّ في احوال خصوصية . ومن انواع الدهن السهلة الهضم ايضاً زيت السمك وهضمهُ اسهل من هضم القشدة واذا اضيفت القشدة الى الشوربا الخفيفة كان من ذلك طعام خفيف اصلح من غيرهِ للذين يصيبهم سوء الهضم

والاطعمة التي تقدم لمن تثقل عليهِ وطأَة المرض تختلف كثيراً عن الاطعمة التي تقدم لهُ في دور النقه . ففي الحالة الاولى يطعم الاطعمة المحتوية على خواص الدقيق كالاروروط واللبن وغيرهما وفي الحالة الثانية يطعم الاطعمة اللحمية كالسمك ولحم الطير مع بعض الاطعمة من

النوع الاول . ويجب ان يهتمّ بجعل الاطعمة شهية طيبة الطعم تهيج منظرها شهوة الاكل كما نقدم ويتم ذلك باجادة الطبخ والتدقيق في النظافة وتزيين الطعام بتقديمهِ في آنية نظيفة مرتبة ووضع الازهار الى جنب الصحون اذا كان المريض مولعاً بها . ولا يُسأل المريض عمَّا يريد اكلهُ من الاطعمة بل يجب ان يعدّ الطعام ويقدم لهُ من دون اعلامهِ بذلك . واكثار الطعام عليهِ مما يجعلهُ يعاف الاكل

ويفضل من الاطعمة الجامدة اذا اشار بها الطبيب السمك ولحم الطير ولحم الضان الرخص . اما لحم البقر واللحوم الدهنية فلا يجوز اطعامها للمريض . واذا اجيز للمريض اكل الخضر يطعم الهليون والقنبيط والسبانخ بعد ان تسلق . ولا بأس بقليل من الحلوى اذا كانت خفيفة

وان تعذّر الحصول على الثلج في الحمى يعطى المريض ملعقة صغيرة من الماء البارد فيرتاح الى ذلك كثيراً وفي شربهِ الجرعات الكبيرة من الماء البارد ضرر كبير . اما الجرعات المعتدلة من الماء العادي فمثل الثلج في انها لا تضر



الصحافة العربية

سفر جليل كثير الفوائد وضعهُ حضرة الفيكونت فيليب دي طرازه وقد صدر منهُ الآن الجزء الاول وفيهِ تاريخ الصحافة بنوع عام والصحافة العربية بنوع خاص ومما ذكرهُ في هذا الشأن ان اول من استعمل كلمة صحيفة هو الكونت رُشَيْد الدحداح صاحب برجيس باريس واول من اختار كلمة جريدة هو مناظرهُ احمد فارس الشدياق صاحب الجوائب

وللمؤلف عناية خاصة بجمع الصحف العربية والاطلاع على ما فيها فقد قال ان عندهُ منها ١٢٠٠ من الجرائد والمجلات . والظاهر انهُ لم تصدر جريدة عربية الاَّ وعندهُ نسخة منها . وقد ذكر في هذا الجزء ترجمات كثيرين من منشئي الجرائد والمجلات والمحررين فيها ونشر رسومهم ولم يقتصر على ابناء العرب منهم بل ذكر الاوربيين الذين كان لهم شأن في الصحافة العربية كنبوليون الذي نشرت في عهدهِ جريدة الحوادث اليومية باللغة العربية وكان يحررها اسمعيل بن سعد الخشاب وهي جدة الصحف العربية . والملك لويس فيليب ملك

فرنسا الذي انشئت في عهده صحيفة المبشر سنة ١٨٤٧ باللغتين العربية والفرنسية لعموم ولاية الجزائر في المغرب الاوسط. والدكتور عالي سمث الاميركي الذي انشأ باكورة المجلات العربية سنة ١٨٥٥ وهي مجموع فوائد

وقد رأينا في الصفحة ١٣٤ من هذا الجزء ان الجمعية السورية العلمية تجدَّدت باسم المجمع العلمي الشرقي نحو سنة ١٨٨٠ . والذي نعلمهُ اننا نحن انشأنا المجمع العلمي الشرقي ولم يخطر ببالنا قط تجديد الجمعية السورية العلمية وكان معنا الدكتور وليم ڤان ديك والاميرالاي الدكتور سليم موصلي ثم ضممنا الينا غيرنا من الاعضاء وكان ذلك سنة ١٨٨٢

وفي هذا الجزء ١٥٤ صفحة كبيرة جامعة لاشتات الفوائد فنثني على همة المؤَلف الفاضل ونتمنى لهُ النجاح في اتمام هذا السفر المفيد

تحسين الصرف في الوجه البحري

رسالة وضعها صاحب السعادة موسى غالب باشا احد مهندسي الري سابقًا انتقد فيها المشروع الذي اشارت بهِ نظارة الاشغال حديثًا لتحسين الصرف في الوجه البحري فقال ان النفقات السنوية اللازمة لآلات الصرف تبلغ نحو ٤٠٠ الف جنيه عدا المصاريف الاولية اللازمة لتنفيذ هذا المشروع من ثمن الآلات وتركيبها وتعميق المصارف وتوسيعها ممَّا لا يقل عن سبعة ملايين من الجنيهات ويمكن الاستغناء عن هذا المشروع بمشروع آخر وهو اصلاح المصارف حتى تبقى المياه منخفضة فيها مترًا عن ارض الزراعة ووضع الطلمبات على البحيرات التي تصبُّ فيها المصارف الآن حتى ترفع المياه الزائدة منها وتصبها في البحر . وقال ان اسلوبهُ هذا يجعل اقتصاداً في النفقات اللازمة لاصلاح الصرف لا يقل عن خمسين في المئة وبهِ تنكشف مساحة عظيمة من الاراضي المغمورة الآن بمياه البحيرات حتى يمكن ان يعد منها للزراعة نحو مئة الف فدان الى مئة وخمسين الفًا بعد ان تزرع الاراضي البور التي في جهة البراري . وليس فيهِ خطر من تعطُّل احدى آلات الصرف ووقوفها عن العمل بضعة ايام كما يحدث لو كانت الآلات مركبة على المصارف نفسها لان تعطُّل هذه قد يتلف الاطيان المجاورة لها في اقل من ساعة . وسنعود الى هذه الرسالة البديعة ونفصّل ما فيها

نشوء الاجتماع

تأليف بنيامين كد وتعريب محمد زكي صالح

قرأنا هذا الكتاب في اصلهِ الانكليزي حينما صدر منذ بضع عشرة سنة والنسخة التي

قرأناها تقع في ٣٧٤ صفحة ولو ترجمت ترجمة يحتفظ فيها بكل معاني المؤلف لوقعت الترجمة في ستمئة صفحة من مثل صفحات الكتاب الذي امامنا الآن ولذلك فالمترجم اكتفى بالتلخيص وحبذا لو احتفظ بكل معاني المؤلف او لو اختار كتاباً اسهل ترجمة من هذا الكتاب واوفى منهُ بحاجة ابناء العربية

من امير الى سلطان

هو كتاب رفعهُ مصطفى فاضل باشا الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦٦ وقد ترجمهُ الى العربية صاحب السعادة احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية · والكتاب حافل بالنصائح والحكم كقولهِ نحن في عصر لا سؤدد فيهِ الا لمن كبُر عقلهُ وكثر علمهُ · الحرية اول مربٍ للامم هي تخلق كل مربٍ عداها وما من مربٍ يسدُّ مسدها والامم المستعبدة تحتقر العلم لانهُ لا يفيدها وانما ترغب الامم في العلم اذا كان لها من الحقوق ما وثقت منهُ وامنت عليهِ · الحق اولى ان يقال ما منعنا من ان نكون امة جدٍ مثلهم (اي مثل النصارى) الا طريقة حكمنا فحيثما يتاح للانسان ان يستثمر الانسان لا يستثمر عقلهُ ولا يستغل ارضهُ · الى غير ذلك من جوامع الكلم التي لو انتصحت بها الحكومة العثمانية ما وصلت الى ما وصلت اليهِ

«كتاب في التربية والتعليم» وضعهُ حضرة محمد افندي امين وبحث فيهِ بحثاً انتقادياً في التربية البيتية وطرق التعليم المتبعة في مصر · ويرى ان التعليم يجب ان يكون عملياً اكثر مما هو في الوقت الحاضر ثم يندب حظ مصر لنقص التعليم العالي فيها · ويجدر بمعلمي المدارس ومن يهمهم امر التربية والتعليم ان يطالعوا هذا الكتاب لما فيهِ من الفوائد

« فوائد في تغذية الاطفال » كراس في عشرين صفحة وضعهُ حضرة الدكتور جورج عرقتنجي فيهِ فوائد جمة في كيفية العناية بالاطفال وارضاعهم وتغذيتهم ووقايتهم من العلل التي تطرأ عليهم عادة في الصيف او في الشتاء وما يجب اتخاذهُ من الوسائل اذا أصيبوا باحد هذه العلل

« مذكرات حي » ضمنهُ حضرة واضعهِ الياس افندي منسى ما عنَّ لهُ من الخواطر في جملة مواضيع اكثرها اجتماعي او اخلاقي · ومن مواضيعهِ « يا براعي » و « ايها الحب »

و « ايها العفاف » . وأكثر بحثهِ انتقادي يبين فيهِ معايب الاجتماع والاخلاق ويقبّحها

« الاسعاف الاولي » لحضرة الدكتور محمد عبد الحميد طبيب مستشفى قليوب يتضمن ارشادات كثيرة الى ما يجب اتخاذهُ من الوسائل في الحوادث التي تقع فجأَة وتستلزم بعض العناية قبل وصول الطبيب ككسر العظم والاغماء والغرق وهو مزين برسوم تسهل على القارئ فهم المراد

« الحال والمآل في سياسة ربّات الجمال » كتاب لولتر جليكن في نحو ١٥٠ صفحة تدور ابحاثهُ على العيشة الزوجية وكيف يتمكن كل من الزوجين من اكتساب ثقة الآخر ورضاهُ . عرّبهُ عن الانكليزية حضرة عطيه افندي حنا صاحب مجلة المنهل

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحًا (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفًا تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) التحنيط

بيروت . ايوب افندي حنا طراد الصيدلاني . قرأت في مقتطف فبراير الماضي جوابًا عن سؤال وارد اليكم من المستر كوبلت الاميركي يختص بمسألة التحنيط حسب الطريقة القديمة . وحيث اني توصلت الى اكتشاف هذه الطريقة بعد البحث الطويل وقد اختبرتها في اواسط سنة ١٨٩٣ بتحنيط ولد عمرهُ اربع سنوات وطرح في الشهر السابع ولم يزالا للآن عندي في بيروت بغاية الحفظ رغمًا عن تعرضهما للهواء والعوارض الجوية وقد رآهما بعض اطباء بيروت من اجانب ووطنيين وشكروا لي اكتشافي هذا وسلموني شهادات بذلك ولاسباب لم اتمكن من اظهار اكتشافي فارجو نشر كتابي هذا والافادة عن عنوان المستر كوبلت الاميركي لمخابرتهِ في هذا الشأن

ج . ان كوبلت هو اسم البلد الذي جاء

السؤال منهُ والسائل هو الخواجه الياس زغيب كما يظهر لكم من مراجعة المقتطف . والظاهر انهُ سوري من الذين هاجروا الى اميركا ولا بدَّ من ان يطلع على ما ذكرتموهُ هنا

(٢) الازوت والحياة

برازيل الخواجه خليل اسطفان . قال جيجر ان اول الاحياء كان في الماء وتركيبهُ من العناصر المركبة منها الاحياء الحاضرة اي من الكربون والهيدروجين والاكسجين والازوت خاصةً وكذلك الاستاذ هكل صرَّح بهذا حيث قال ان المونير بنمو في سائل تكونت فيهِ مركبات ثلاثية ورباعية من الكربون والاكسجين والهيدروجين والازوت وايضاً عُرف بالامتحان ان زلال البيضة مركب من كربون وازوت واكسجين وهيدروجين ومواد اخرى . فيخال للقارىء هنا ان الازوت من لوازم الحياة فكيف توفّقون بين ما تقدم وبين ان الازوت سُمّي ازوتاً اي لا حياة لان لا حياة تقوم بهِ

ج . لما عُرف ان الهواء مؤلف من الاكسجين والنيتروجين عرف ايضاً ان احدهما وهو الاكسجين هو المفيد في التنفس وان الثاني لا يفيد اي ان الدم لا يتأكسد بهِ واذا نزع الاكسجين من الهواء و بقي فيهِ النيتروجين لم يعد صالحاً للتنفس فسمي النيتروجين ازوتاً لانهُ لا يصلح للحياة من هذا القبيل وهذا لا ينفي ان يكون النيتروجين عنصراً من العناصر التي يتركب منها جسم الحيوان ومن اهمها . والكربون ايضاً عنصر مهم من عناصر جسم الحيوان ولكن الحيوان لا يتنفسهُ لا صرفاً ولا مركباً ولا يتنقى دمهُ بتنفسهِ . والذي اطلق على النيتروجين اسم الازوت نظر الى الخاصية الاولى وهي انهُ لا يصلح للتنفس

(٣) زوال مياه البحار

ومنهُ . يقولون ان مياه البحار والانهار اخذة في التناقص وستجفُّ ارضنا يوماً ما كما جفَّ القمر فاين تذهب تلك المياه وعلى اي قياس يبنون احكامهم

ج . ان الذين يقولون ذلك يعتمدون في قولهم على انحباس المياه في الاجسام المتبلورة . ربما تتذكرون ان النساء يسخنَّ الشبة البيضاء احياناً في شقفة من الخزف لكي يصنعنَ منها رشوشاً للعيون وان الشبة تذوب في النار اولاً وتغلي ثم تجمد و يصير سحقها هيناً ولا تعود متبلورة شفافة كما كانت قبلما وضعت على النار وقد غلت لانهُ كان فيها ماء فتبخَّر منها لما سخنت و يقال لهذا الماء ماء التبلور وهو موجود في اكثر المواد المتبلورة . ويظن العلماء ان صخور الارض ستنحلُّ مع الزمن ثم تتبلور فتُحبَس فيها مياه الارض كما هي محبوسة في الشبة البيضاء

(٤) تسمية البحر الاحمر

الاسكندرية . محمود افندي يوسف . لماذا يسمَّى بحر القلزم بالبحر الاحمر

ج . لان فيهِ كثيراً من الجزائر المرجانية التي يغلب فيها اللون الاحمر فيظهر البحر بها احياناً كأنهُ احمر الماء او احمر القاع . او لان رمالهُ عند الشاطئ حمراء فيظهر ماؤُهُ بها احمر لان الصخور المجاورة لهُ حمراء فينعكس نورها عنهُ او لان البلاد المجاورة لهُ هي بلاد ادوم ومعنى ادوم احمر فكأنهُ قيل بحر ادوم او بحر الاحمر وقد كثرت مناقشات العلماء في سبب هذه التسمية وهذه خلاصة المذاهب التي ذهبوا اليها

(٥) تاريخ الاعلام

مصر . سمعان افندي نجار . ما تاريخ الاعلام وهل من دليل على ان قدماء مصر واشور وبابل كانوا يتخذونها شعاراً في حروبهم

ج . ان تاريخها متوغل في القدم لان الناس استعملوها من قديم الزمان لترشدهم الى محلاتهم او اماكنهم اذا ابعدوا عنها . وفي الآثار المصرية والاشورية والبابلية رسوم انواع مختلفة من الاعلام ويظهر من اشكال الاعلام المصرية وما كتبهُ الكتَّاب عنها انهُ كان لكل فيلق من جيوشهم علم خاصٌ بهِ وكانت اعلامهم تمثل احياناً صور معبوداتهم كأنها تماثيل يحملونها لحمايتهم او لنصرتهم . وسنفصل ذلك في فرصة اخرى

(٦) الشيب من الخوف

ومنهُ . قابلت شاباً فعجبت لرؤيتي شعر رأسهِ وقد نبت فيهِ الشيب فلما استعلمتهُ عن السبب في ذلك قال انهُ ذعر لوقوعهِ بين سيارتين فما علاقة الذعر بشعر الرأس وما تأثيرهُ فيهِ

ج . لم يذكر العلماء تعليلاً معقولاً حتى الآن في ما نعلم ولكن ثبت حديثاً ان الشيب يحدث من وجود انواع من الخلايا الحيوية التي تأكل المواد الملونة للشعر ولذلك نرجح ان الخوف يدفع المادة الملونة من الشعر الى حيث تصل اليها الخلايا التي تأكلها كما يحدث في صوف بعض الحيوانات الذي يبيضُّ في الشتاء

(٧) ضعف الاضراس

طنطا . اسكندر افندي ميخائيل . ان كثيرين من الناس يكتفون عند المضغ باثنين من القواطع (الاضراس) فما سبب ذلك وما هو العلاج الناجع حتى يمكن استعمال الاثنين الآخرين

ج . لا نرى وجهاً لتفسيركم القواطع بالاضراس فان القواطع هي الاسنان الامامية اي الثنايا . وسؤَالكم موجه الى الاضراس . وسبب عدم استعمال بعضها ان فك المتمدنين قد ضاق لقلة استعمالهِ . والاضراس ١٢ ستة في الفك الاعلى وستة في الاسفل . ولضيق الفكين لم يبقَ المجال كافياً لنمو الاضراس الاربعة الاخيرة المعروفة باضراس الحكمة فاما انها لا تظهر او تظهر ولا تستعمل فتقع باكراً وقد يقل استعمال الاضراس الاربعة التي تليها والسبب الاكبر في ذلك

كلهِ اعتياد المتمدين المآكل السائلة والمطبوخة التي لا تحتاج الى مضغ كثير. وكل عضو لا يستعمل يستغنى عنهُ فيضعف ويزول . ولا يمكن علاج ذلك الآن في الذين حدث فيهم لانهُ صار خلقيًّا ولكن يحسن بكل احد ان يمضغ طعامهُ جيداً فلا تضعف اسنانهُ لقلة استعمالها ولا تنقد باكراً

(٨) عدد اللغات

سبيريتو سانطو. الخواجه جبور جبور. كم عدد اللغات في العالم

ج . نحو ٢٧٥٠ لغة

(٩) الحروف الافرنجية في العربية

ومنهُ . اي لغة من اللغات الافرنجية يستعمل كتَّاب العربية حينما يوردون بعض كلمات افرنجية في مقالاتهم .

ج . الغالب انهم يستعملون اللغة التي ينقلون عنها او يترجمون منها ولكنهم يقتصرون على الحروف اللاتينية او اليونانية



تكريم شاعر

شهدنا في الرابع والعشرين من هذا الشهر (ابريل) احتفالاً نادر المثال في نادي الجامعة المصرية تبارى فيهِ الشعراء في تهنئة الشاعر النابغة خليل افندي مطران باكرام الجناب الخديوي لهُ اذ قلدهُ وساماً من اوسمة الشرف. فافتتح الاحتفال دولة الامير محمد علي باشا بالخطبة التالية وهي

ايها السادة والسيدات

ايها السيدات اني ارجوكنَّ عدم المؤَاخذة والسماح بتوجيه خطابي للرجال قبلكنَّ في خطبتي فمع احترامي لمقامكنَّ اعترف اني شرقي واحب ان احافظ على عوائدنا وقوانيننا المحبوبة

ايها السادة

يسرني ان ارأس حفلة ادبية لتهنئة شاعر مجيد لهُ في مصر والشام اصدقاء كثيرون يقدرونهُ حق قدرهِ

ولقد سمعت منذ زمان طويل بشهرة ذلك الشاعر الطائر الصيت وهو حضرة خليل افندي مطران فابتهجت بما وصل اليَّ من افكارهِ السديدة التي تنبئ عما هو عليهِ من علو في الهمة وثبات في الرأي ووفور في العلم

ولم يكن اعجابي بهِ لما اوتيهُ من المواهب الجليلة في دور العلم فقط بل لما تحلى بهِ ايضاً

من الاخلاق الكريمة التي تحملهُ دائمًا على سلوك طريق الاستقامة وتباعد بينهُ وبين التحقير للغير حتى صار بذلك محبوبًا مرموقًا بعين الاجلال والاعتبار متأهبًا لنيل المجد والفخار

ومن البديهي ان اتصافهُ بهذه الصفات الممدوحة لم يكن الاَّ نتيجة تربية عالية · واني لأعجب كثيراً بالذين يضمّنون اشعارهم وخطبهم وكتاباتهم روح الفضائل ويحضون فيها على التجمل بمكارم الاخلاق التي اخذ اربابها في الذهاب شيئًا فشيئًا واأسفاه

فيا حبذا لو حذا حذوهُ سائر الشعراء واهل الافكار وجميع الفضلاء واتبعوا خطتهُ فوجهوا عنايتهم الى بث روح الاخلاق الفاضلة · انهم بذلك يخدمون الفضيلة ويسيرون بافراد الامة في سبيل الرقي والفلاح فيبلغونهم ذرى المجد واوج الكمال · فيجدر بكل مجمع ادبي او محفل علمي ان يسعى في نشر الفضائل التي تدور على محورها السعادة بكل معانيها

فيا أيها النبلاء · اذا اردتم ان تكرموا امتكم فحببوها بمكارم الاخلاق واستعملوا مواهبكم وقوة بيانكم في اظهار نتائجها الحسنة

واني ارجو من الله سبحانهُ وتعالى ان يوفقكم ويعينكم على احياء دولة الآداب بما تنشرونهُ من مصوغ دررها التي تصادف بعون الله آذانًا صاغية وقلوبًا واعية ليكون لها التأثير القوي المنتظر

ان حياتنا في هذه الدنيا لهي حياة جد وعمل واننا جميعًا مديونون باداء واجبات مقدسة لخدمة الانسانية · والله جل شأنهُ خص كل فرد بمواهب مخصوصة · لذا ترى الاعمال متنوعة بحسب احتياجات الناس · وفي اعتقادي ان القائمين بها على اختلافهم محسنون للهيئة الاجتماعية

وقد وهب الله صديقنا مطران افندي ذكاءً فطريًّا فجادت قريحتهُ الوقادة بالاشعار الرقيقة والحكم البليغة الدقيقة فارتقى بذلك الى الدرجة التي نال بها الحظوة عند خديوينا المعظم فيجمل بي ان اشترك في الاحتفال بتكريم ذلك الفاضل الاديب وان ارفع آيات الشكر والامتنان لسمو مليكنا لحسن التفاتهِ لشاعرنا المحبوب

وبهذه المناسبة اهنئ ايضًا شاعرنا الكبير الصميم حافظ بك ابراهيم بما شملهُ الجناب العالي من تعطفاتهِ الكريمة لأزيل ما نالني من الاسف لعدم حضوري الحفلة التي اقيمت لهُ في غيابي وان كنت حضرتها بقلبي وادعو الله ان يوفقهُ لاستخدام مداركهِ فيما يعود على الامة بجليل العوائد وجزيل الفوائد

نعم يحق لنا ان نشجع القائمين بالتهذيب والارشاد الناهجين سبل الحق والسداد فهؤلاء على حسن صنيعهم يشكرون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

اني لا اعتقد الشاعر مجيداً مهما كان يسحر القوم بلسانهِ ويخلبهم بقوة بيانهِ ما لم يسلك طريقاً مفيداً للامة فانهُ يستطيع بذلك ان يخدم امتهُ ويرقيها ببث روح الفضائل فيها فيسلك كل منا هذا المنهج القويم والله يهدينا جميعاً الى الصراط المستقيم

وللاسباب التي ابديتها اعدّ ذلك الشاعر المصري الذي نحتفل بهِ من الطبقة الراقية الرفيعة ولهذا اترك لكم ايها الشعراء والخطباء العناية بايفائهِ حقهُ من التمجيد والتكريم والله يؤتي كل ذي فضل فضلهُ والله ذو الفضل العظيم . انتهى

ولقد كان لهذه الخطبة النفيسة وقع عظيم في النفوس لاسيما وان الامير بنى مدحهُ للمحتفل بهِ على تجمله بمكارم الاخلاق

ثم تليت قصائد كبار الشعراء على هذا الترتيب قصيدة احمد بك شوقي فقصيدة اسمعيل باشا صبري فقصيدة شبلي بك ملاط فقصيدة نقولا افندي رزق الله فقصيدة احمد افندي نسيم فقصيدة اسعد افندي داغر فقصيدة نعوم بك شقير فقصيدة حفني بك ناصف فقصيدة حافظ بك ابرهيم . وكل هذه القصائد من نفيس الشعر ولو تفاوتت حسب طبقات اصحابها وكان الحضور يستعيدون الكثير من ابياتها ويصفقون لها . وتلا الدكتور ابرهيم شدودي قصيدة من الزجل باللغة المصرية العامية اطربت الحضور ودلّت بافصح بيان على ان « الركُ كله على المعنى » كما قال الناظم والالفاظ قوالب المعاني . وكانت واسطة القصائد المنظومة قصيدة منثورة تلتها السيدة ماري زيادة كريمة الياس افندي زيادة صاحب جريدة المحروسة بعضها من انشاء جبران افندي خليل نزيل نيويورك وبعضها من انشائها . والفاظ ما تلتهُ وتراكيبهُ ومعانيهِ كل ذلك شعر بليغ لا ينقصهُ الاَّ الوزن والقافية . ولقد ابدعت في الالقاء والاشارات حتى خيل للحضور انهم يرون الشعر بالعين كما يسمعونهُ بالاذن ويدركونهُ بالعقل

وخير اغراض هذه الحفلة بعد اكرام المحتفل بهِ الدلالة على ارتباط القلوب بين الجارتين الشقيقتين مصر والشام . وقد كان لصاحب السعادة اسمعيل باشا اباظه الشأن الاكبر في اقامتها ولسليم افندي سركيس صاحب مجلة سركيس اليد الطولى في تنظيمها كما كان لدولة البرنس محمد علي اكبر فضل في جلالها ووقارها . فلهم الشكر الجزيل من رجال العلم والادب ومن كل الذين يودون اتحاد الامة العربية في جميع الاقطار

العلماء في المناصب السياسية

اذا تجرَّدت السياسة عن الحيل والخداع فكل مناصبها تليق بالعلماء الذين قرنوا العلم بالعمل في ما يختارون لهُ ولذلك لم يكد

الاستاذ ولسن يتربع في رئاسة الجمهورية الاميركية حتى جعل يختار العلماء للمناصب فاعطى وزارة الزراعة للدكتور هوستن الذي كان رئيساً لكلية تكساس الزراعية من سنة ١٩٠٢ الى سنة ١٩٠٥ ولجامعة تكساس من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٠٨ . وجعل مساعداً لهُ المستر غالوي الذي كان رئيساً لقسم الباثولوجيا والفسيولوجيا الزراعيتين وكان قبل ذلك مساعداً في قسم زراعة البساتين في جامعة مسوري ولهُ كتب كثيرة في علم النبات وزراعة البساتين

اصل هنود اميركا

ان اكثر الباحثين في اصل هنود اميركا متفق على انهم لم ينشأوا في اميركا نفسها بل هاجروا اليها من شرق اسيا بعد العصر الجليدي . وقد ذهب الدكتور هردلسكا الى سيبيريا ومنغوليا وبحث في طبائع اهلها وآثارها فوجد هناك من الادلة ما يثبت منهُ ان اهل هنود اميركا من شرق اسيا

الاستاذ سلابي

توفي الاستاذ سلابي في السادس من ابريل وهو مستنبط التلغراف اللاسلكي المستعمل في المانيا

الكتب المطبوعة والروايات

لقد يظن لاول وهلة ان اكثر الكتب التي تطبع في اوربا هي من نوع الروايات قياساً على ما يطبع عندنا لكن الامر على غير ذلك فان كتب الروايات لا تبلغ الاعشر ما يطبع من الكتب في اميركا وخمس ما يطبع من الكتب في انكلترا فقد طبع من الكتب الجديدة في اميركا ١٣٤٧٠ سنة ١٩١٠ و١١١٢٣ سنة ١٩١١ و١٠٩٠٣ سنة ١٩١٢ ومن الكتب التي طبعت سنة ١٩١٠ كانت الروايات ١٥٣٩ وكتب العلم والادب ٢٠٩١ والكتب الدينية واللاهوتية ٩٥٣ وسنة ١٩١١ قلَّ عدد كتب الروايات فبلغ نحو الف فقط وزاد عدد الكتب العلمية والادبية وكذا سنة ١٩١٢

زنوج اوربا

اتضح من البحث في آثار الانسان في اوربا ان الزنوج سكنوها قبل البيض والظاهر انهم رحلوا اليها من جهات الهند وان جيل الباسك في فرنسا هو البقية الباقية منهم

تكوُّن المادة من نور النجوم

كتب الدكتور فوري الفلكي مقالة في مجلة العلم العام الاميركية قال فيها ان الاثير يمتص الاشعة التي تبعثها النجوم فتتكون منهُ المادة واكثر ما يكون ذلك قريباً من المجاميع النجمية . فان قوة النور تؤَثر في الاثير اذا امتصها فتجعلهُ يدور على نفسهِ في حلقات

صغيرة جداً لتكون منها الالكترونات ولا يبعد ان تكون هذه الحلقات نفسها هي الالكترونات السلبية والايجابية التي تتكون منها الجواهر الفردة. ثم تتكون دقائق المادة من هذه الجواهر وتبقى منتشرة في الفضاء الى ان تمر بها النيازك فتضمّها اليها. ولا تزال النيازك تفعل ذلك ويزيد حجمها حتى ينشأ منها جرم فلكي. وهو مذهب بديع في تولّد المادة اشار اليهِ الدكتور فري منذ احدى عشرة سنة وسنفصلهُ في جزء تالٍ

معونة الاساتذة

ذكرنا غير مرة ان المستر كارنجي ارصد مبلغاً كبيراً من المال ليعطى ريعهُ معاشاً للاساتذة وارامِلهم وايتامهم. وقد بلغ هذا المال في اواخر العام الماضي ١٤٠٠٠٠٠٠ ريال اي مليونين وثمانمئة الف جنيه مصري. وقد بلغ المال الذي اعطي من ريعهِ للاساتذة وارامِلهم وايتامهم من حين ارصد سنة ١٩٠٦ الى اواخر العام الماضي ٢٣١٦٤٠٤ ريالات او ٤٦٣ الف جنيه

دخل المدارس الجامعة باميركا

بلغ دخل المدارس الجامعة في اميركا في العام الماضي من ريع املاكها ومما اعانتها بهِ الحكومة الاميركية والولايات ٣٥ مليون ريال ٥ ملايين ريال منها من ديوان المعارف و١٨ مليون ريال من الولايات والباقي وهو ١٢ مليون ريال من ريع الاملاك والهبات. وقد بلغ دخل جامعة الينويز ٢٣٦٣٧١١ ريالاً وجامعة منيسوتا ٢٦٨٢٤٩٩ ريالاً وجامعة وسكونسن ٢١٢٢٢٩٧ ريالاً. ودخل جامعة كورنل اكثر من اربعة ملايين ريال. وبمثل ذلك تنجح المدارس الجامعة وتنجح البلاد التي هي فيها

النظارة الكبرى

يراد عمل نظارة عاكسة لمرصد جبل ولسن باميركا قطر مرآتها مئة عقدة انكليزية (بوصة) اي اكثر من مترين ونصف متر فتكون اكبر نظارة عاكسة صنعت حتى الآن. وقد صنعت هذه المرآة في فرنسا وارسلت الى كليفورنيا بامركا فوجدت غير وافية بالمراد وقد شرع المعمل الذي سبكها في سبك مرآة غيرها والمنتظر ان تكون المرآة الثانية على ما يرام فتصنع منها اكبر نظارة فلكية

مجمع تقدم العلوم البريطاني

يجتمع مجمع تقدم العلوم البريطاني في مدينة برمنهام من ١٠ الى ١٧ سبتمبر المقبل برئاسة السر اوليفر لدج. وقد عين رؤَساءَ اقسامهِ وهم الدكتور باكر للرياضيات والاستاذ ورن للكيمياء والاستاذ غاروود للجيولوجيا والدكتور غادو للزولوجيا والاستاذ دكسن

للجغرافيا والقس وكستيد للعلوم الاقتصادية والمهندس اسبنول للهندسة والسر رنشرد تمبل للانثروبولوجيا والاستاذ غولند هبكنس للفسيولوجيا والسيدة ايثل سارجنت لعلم النبات والرئيس غرفث لعلم التعليم والاستاذ ود للزراعة . فتعيين سيدة رئيسة لفرع من فروع هذا المجمع من الامور النادرة في تاريخ العلم

بركان اساما ياما في اليابان

في بلاد اليابان بركان يقال لهُ اساما ياما مضت عليهِ نحو ١٣٠ سنة لم يثر ثوراناً يذكر . ولكنهُ عاد الى الثوران سنة ١٩٠٩ ومن ذلك الحين الى الآن ثار خمس مرات . وفي ١٤ دسمبر سنة ١٩١٢ ثار ثوراناً هائلاً فارتجت الارض حولهُ في دائرة مساحتها ١٦٠٠٠ ميل مربع و بقي يقذف الرماد يومين فغطى بهِ ارضاً مساحتها ٢٥٠٠ ميل مربع

تذكار اللورد لستر

تألفت في بلاد الانكليز لجان لجمع المال لتقيم بهِ تذكاراً للورد لستر . وسينفق بعض هذا المال على نقش صورة اللورد لستر في الرخام ووضعها بين تماثيل رجال الانكليز العظام في دير وستمنستر وبعضهُ على اقامة تذكار آخر في بعض الاماكن العمومية في مدينة لندن وبعضهُ يجعل جوائز يكافأ بها الذين ينفعون الناس بابحاثهم واكتشافاتهم في الجراحة

وبر الجمال في المعامل

جعلت سيور الآلات في معمل بمدينة ملتون في الولايات المتحدة الاميركية من وبر الجمال عوضاً عن الجلد فبقيت عشر سنوات لم ينقطع سير منها . ويقال ان وبر الجمال اصلح من الجلد لهذا الغرض في المدابغ والمعامل التي تكثر فيها الرطوبة والحوامض الكيماوية التي تتبخر في الهواء

التعليم وتقليل النسل

اثبتت السيدة الدرتن بالاحصاء ان عدد المواليد في بلاد الانكليز جعل يقلُّ من حين صار التعليم العمومي الزامياً سنة ١٨٧٠ فان الوالدين الفقراء كانوا يستعينون على معيشتهم بتشغيل اولادهم وهم صغار السن فكان الاكثار من الاولاد ربحاً لهم فلما اضطروا ان يرسلوهم الى المدارس لم يبقَ لهم ربح منهم وصاروا عبئاً عليهم فجعلوا يهتمون اكي لا يكثر اولادهم

معهد كارنجي للبحث العلمي

بلغت نفقات معهد كارنجي في وشنطون على الابحاث العلمية في العام الماضي ١١٤٨٠٠٠ ريال او ٢٢٥٦٠٠ جنيه

اصل الحروف الهجائية

المذهب الشائع ان الفينيقيين هم اول من استنبط الحروف الهجائية . وقد اختلف الباحثون في كيف اتصل الفينيقيون الى استنباطها ومن اي شيء اشتقوها فذهب المسيو ده روجه الى انهم اشتقوها من الكتابة المصرية المعروفة بالهيراتيك لكن مذهبهُ نُقض الآن وذهب الاستاذ دلتزخ البرليني الى انهم اشتقوها من الكتابة الاشورية المسمارية . وذهب الاستاذ سايس الى انها سامية اصلاً وفرعاً نشأت في سورية وانتشرت منها في الاقطار . وذهب الاستاذ بتري في كتاب الفهُ حديثاً الى ان اصلها قديم جدًّا واكثرها تولد من العلامات التي كان الخزافون يرسمونها على الآنية التي يصنعونها

ما استعمل من الغاز سنة ١٩١٢

قدّر ما استعملهُ الناس من الغاز الصناعي سنة ١٩١٢ لاجل الاستصباح والطبخ والدفء بنحو ٦٢٠ الف مليون قدم مكعبة استخرجت من ٦٠ مليون طن من الفحم . واستخرج معها من هذا الفحم ٣٠ مليون طن من الكوك و٣ ملايين طن من القطران واكثر الناس استعمالاً للغاز الصناعي اذا قسم ما تستعملهُ كل مدينة على عدد سكانها هم اهل لندن ويتلوهم اهل امستردام ثم برلين ثم نيويورك ثم باريس

سفينة من الخرسانة

بنيت في مدينة بلتيمور في اميركا سفينة من الخرسانة المسلحة (reinforced concrete) طولها ١١٢ قدماً وعرضها ٢٩ قدماً وعمقها ١٠ اقدام . وثخن جدرانها على جانبيها ٤ عقد وفي مقدمها ومؤخرها وقعرها ٦ عقد . وحمولها ٥٠٠ طن وستستخدم في نقل الرمل والحصى

نبات زراعي جديد

وزعت مصلحة الزراعة الاميركية على الفلاحين بزور نبات يقال لهُ دشين Dasheen لهُ جذور متضخمة كجذور البطاطس طعمها يقرب من طعم اللحم وتحتوي على مقدار كبير من الغذاء . وهو ينمو في البلدان التي لا تشتد حرارتها كثيراً ويمكن استعمالهُ طعاماً كما يستعمل البطاطس

زوبعة شديدة

ثارت زوبعة شديدة في اميركا في ٢٣ مارس الماضي خربت ١٥٠٠ بيتاً و١١ كنيسة في مدينة اوماغا وقتلت من اهالي اوماغا ونبرسكا ١٥٠ نفساً . وتلت الزوبعة امطار غزيرة ففاضت الانهر هناك وغمرت بعض المدن التي على ضفافها

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثاني والاربعين



تمثال الدكتور ڤان ديك



تمثال الدكتور ورتبات

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثاني والاربعين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٣ — الموافق ٢٦ جماد الثاني سنة ١٣٣١

تمثالا الدكتورين المتفضلين

الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات

نشرنا في صدر هذا الجزء صورتي التمثالين النصفيين اللذين صنعهما تلامذة الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات ومريدوهما واهدوهما الى المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت تذكاراً لهما وعلامة شكر لفضلهما عليهم. وقد كتب الينا ذوو الدكتور فان ديك والدكتور ورتبات شاكرين ما ابداهُ مهدو هذين التمثالين من دلائل الحب لاستاذيهم والاعتراف بفضلهما عليهم لكي ننشر شكرهم هذا على صفحات المقتطف

وعسى ان يفي هذان التمثالان بالغاية العظمى المقصودة منهما وهي تذكير كل من يراها بسيرتي صاحبيهما الفاضلين وسعيهما المتواصل في خدمة العلم والفضيلة. وان يشيع بين المشارقة عموماً اقامة التماثيل للفضلاء الذين امتازوا بافادة ابناء نوعهم فان ذلك من اقوى وسائل الحض على ما يعلي شان الوطن عدا ما فيهِ من اظهار اشرف مزايا الانسان وهي الشكر للمحسن على احسانهِ وان يؤْذن في نصب هذه التماثيل في الاماكن العمومية حتى يراها الناس على اختلاف طبقاتهم

لورد كرومر عن الصين

[لا يزال لورد كرومر مهتمًّا بالمسائل الشرقية ولا يزال الاوربيون ينظرون اليهِ كما كبر ثقة فيها . وقد ظهر في العام الماضي كتاب عن حوادث الصين الاخيرة وحالتها السياسية لرجل اسمهُ بلند فطالعهُ لورد كرومر و بنى عليهِ مقالة في مجلة القرن التاسع عشر قرأناها فرأينا فيها ما اعتدنا رؤيتهُ في اقوالهِ من الآراء الصائبة والاحكام المبنية على قواعد علم الاجتماع لكنهُ اميل فيها الى التشاؤُم منهُ الى التفاؤُل فاقتطفنا منها ما يأتي قال]

لقد انتشرت الآن في البلاد الشرقية اوراق الدستور فصارت او يخشى ان تصير معاثر في سبل الاصلاح فتراها مبثوثة في تركيا وايران والصين كأنها انتشرت بالعدوى ولا بدَّ من ان تسير سيرها الخاص بها كسائر الامراض المعدية

اذا أعطي الدستور لبلاد قابلهُ الاهلون اولاً بالتهليل والابتهاج . وتغنَّى بمدحهِ عامتهم وخاصتهم وعلَّقوا عليهِ آمالاً كباراً . كذا حدث في ايطاليا زمن غاريبالدي وكذا حدث في تركيا وايران والصين . وقد قال مؤَلف هذا الكتاب ان الناس تعانقوا في الصين وهم يبكون فرحًا قائلين قد نلنا الحرية والمساواة والاخاء . ونحن الانكليز لا نبرأُ من اللوم على ما نرى من تعلّق العثمانيين والفرس والصينيين بحبال الآمال لان عندنا اناساً يعتقدون انهُ يجب على كل الامم ان تأخذ اخذنا وتنسج على منوالنا وهم من هذا القبيل مثل رجل من اصدقائي مرَّ من بورت سعيد الى مصر فحكم ان المصريين لا يصلحون للزراعة لانهم لا يكومون الدريس في اطيانهم كما نفعل نحن في بلاد الانكليز . وقد حاولت ان ابيّن لهُ ان طريقتنا لا تصلح في القطر المصري فلم يقتنع . فان عندنا رجالاً يطوفون في البلدان ويقولون لاهلها ان مجالس النواب تصلح الامم وتغير اخلاقها واطوارها . وقد قال مؤَلف هذا الكتاب ان تانغ زعيم الجمهوريين في الصين يعتقد ان للدستور فعلاً سحريًا في النفوس فينيل الامم الحكمة والقوة والمنعة . وما يقولهُ تانغ في الصين يقولهُ كثيرون في القسطنطينية والقاهرة وطهران

ومن رأي المؤَلف ان العقبة الكؤُود في طريق الصين لا يمكن ازالتها بتغيير شكل الحكومة سواء اعطيت مقاليدها لرجل جمهوري بحت مثل سن ياتسن وساعدهُ جمهور من متقلدي الاجانب او لامرأة سفاكة للدماء التفتت في أُخريات ايامها الى اوربا لتتناول منها الاصلاح حاسبة انهُ السبيل الوحيد لحفظ بلادها ولحفظ الملك في بيتها

وداء بلاد الصين ليس سياسيا ولا يمكن ان يشفى بكل الاساليب السياسية والقوانين

الدستورية بل هو معاشي* اجتماعي فان الضرار ومحبة كثرة النسل الناتجة عن عبادة الاسلاف اكثرت السكان حتى ازدحمت بهم البلاد واكتظت اكتظاظاً ولذلك كثرت فيها المجاعات والثورات · وكل الذين نادوا بالاصلاح لم يتكلم احد منهم كلمة في هذا الشأن

وهذا الداء فاشٍ في بلاد الهند ايضاً ولا يمكن شفاؤُهُ بالاعمال الخيرية لان هذه الاعمال تقاوم الامراض وتقلل الوفيات فتزيد السكان ازدحاماً · ولم يكن عدد السكان يزيد زيادة كبيرة في عهد ملوك الهند السابقين لان المجاعات والاوبئة كانت تفتك بهم والحروب الداخلية تلاشي كثيرين منهم فلا يبقى الاَّ من كان اصلح من غيره للبقاء . والآن مُنعت الحروب الداخلية وبادر اهل البر والاحسان الى معالجة المرضى حتى لا يموت احد يمكن ان يشفى بالعلاج والوقاية فزاد عدد السكان زيادة كبيرة وازدحمت بهم البلاد · لا اقول ذلك للحط من كرامة اهل البر والاحسان كلاَّ بل اني اعتقد ان الحكومة التي تقاوم فعلهم او لا تأخذ بيدهم هي حكومة منحطة خالية من الشفقة والحنان ولكن هذا لا ينفي كون ازدياد السكان عقبة من اكبر العقبات التي تلاقيها كل حكومة في سبيلها

ويمكن اصلاح الحال في الصين بعض الاصلاح باغراء الناس بالمهاجرة حتى لا تبقى بلادهم مزدحمة بهم وحتى تصير خيراتها كافية للذين يبقون منهم فيها فلا تضيق عليهم موارد الرزق · ولكن مهاجرة الصينيين اصبحت الآن ضرباً من المحال لان الاوربيين والاميركيين اوصدوا ابوابهم في وجوههم خوفاً من ان يتغلبوا على عمّالهم فيميتوهم جوعاً لان العامل الصيني يكتفي باجرة لا تكفي لمعيشة العامل الاوربي او الاميركي وهذا هو الخطر الاصفر الحقيقي · ولا عجب اذا اغتاظ الصينيون من هذه المعاملة وحسبوها بعيدة عن الانصاف فان الصيني يقول مخاطباً الاوربيين والاميركيين انكم تطلبون مني ان افتح ابوابي لمرسليكم وادفع الاذى عنهم وانا لست في حاجة اليهم لان عندي في مذهب كنفوشيوس ما يغنيني عن كل مذهب آخر ومع ذلك ابي طلبكم والعدل يقضي ان تعاملوني بالمثل وتبيحوا لابناء وطني ان يدخلوا بلادكم ويرتزقوا فيها بعمل ايديهم والاَّ فادّعاؤكم الانصاف وحب البشر ادعاءٌ فارغ تكذبهُ شواهد الامتحان · وليس للاوربيين والاميركيين الاَّ جواب واحد وهو ان مصالحهم تقضي عليهم ان يمنعوا مناظرة الصينيين لهم وان الحق للقوة · وهذا الجواب يرضي رجال السياسة ولكنهُ لا يرضي رجال الآداب والفضائل

ولكن هب الله ابيح للصينيين ان يهاجروا الى البلدان الاوربية والاميركية فهذه المهاجرة لا تغنيهم ولا تزيل ما في بلادهم من الازدحام لانها لا يمكن ان تبلغ مبلغاً كبيراً ·

واما الدواء الشافي لازدحام السكان فهو تسهيل انتقالهم من الاماكن المزدحمة الى الاماكن القليلة السكان في الصين نفسها فان فيها بلاداً واسعةً لا سكان فيها او سكانها قليلون جدًّا والانتقال اليها ليس بالامر المستحيل والسبيل اليهِ ان تمد سكك الحديد في البلاد وتصلح اعمال الري فيها لكي يسهل استثمار خيراتها وهي كثيرة جدًّا باجماع الآراء. ولكن هذه الاعمال لا تعمل الاَّ اذا تيسَّر المال الكافي لعملها. والمال من اوربا والماليون الاوربيون لا يقدّمون اموالهم الاَّ اذا وثقوا انها تنفق في السبل النافعة حتى تبقى محفوظة وتأتيهم بالربح الكافي. فلا بدَّ اذاً من اصلاح ادارة البلاد المالية قبل كل شيء حتى يكون للماليين ثقة بها. وهذه الثقة معدومة الآن من بلاد الصين فان رجال الحكومة الجمهورية فيها هم مثل رجال الحكومة الملكية السالفة لا يستطيعون ان يستلموا اموال الحكومة من غير ان يختلسوا جانباً منها

قال باحث خبير باحوال الشرق وهو المستر ستنلي لاين بول ان الشرقيين من اميل الناس الى اقتباس معايب الغربيين. وهذا ماحدث في الهند وتركيا ومصر وايران. ولم يجرِ اليابانيون هذا المجرى حتى الآن بل لا يزالون متمسكين بفضائل اسلافهم ولكن لا يبعد ان يتركوها ويقتبسوا رذائل الغربيين. وقال المستر بلند مؤلف هذا الكتاب ان الصين الفتاة تركت تعاليم كونفوشيوس التي تحث على الآداب ومحبة الوطن ولم تستطع ان تقتبس ما يقوم مقامها من الآداب الاوربية. ابدلت المصباح القديم بمصباح جديد ولكنها لم تجد الزيت لهذا المصباح لتنير الظلمة التي امست فيها. يتعلَّم الشاب الصيني في جامعة هرفرد او جامعة اكسفرد فيتشرَّب عقلهُ مبادىء اجتماعية مناقضة للمبادىء المتبعة في بلادهِ ولكن المبادىء التي تشرَّبها لا تجعلهُ ينظر الى الحياة كما ينظر اليها الانجلوسكسون ولا توجد فيهِ الاخلاق التي هي نتائج قرون كثيرة مرَّت علينا ونحن ننشئ عمراننا. فيتعلم الصيني اعلى العلوم الاوربية ولكنهُ يبقى صينيًّا بعيداً عن التخلُّق باخلاقنا العلمية والعملية ينظر الى الامور نظراً فلسفيًّا فيفتش عن الاسباب ولا تهمهُ النتائج. يتعلَّم في مدارس القضاء ويمارس المحاماة عشر سنوات في لندن او وشنطون ثم يرجع الى بلادهِ وفي نصف سنة يعود الى منهاج اسلافهِ في آدابهِ واخلاقهِ. وهذا الامر معروف شائع في الصين حتى ابطل الاوربيون تنبيه الاذهان اليهِ

اذا استلم رجال الحكومة الصينية الاموال الكثيرة اللازمة لاصلاح البلاد و بغيرها لا يمكن ان تصلح بل يبقى دستورها حبراً على ورق فهل ينفقونها بالعفة والامانة. قال المؤلف ان الاوربيين القاطنين في الصين والمتجرين معها يعتقدون ان الصينيين الذين تعلموا في مدارس المرسلين ليسوا اكثر امانة من غيرهم من الصينيين

ولذلك لا يصحّ ان أُقرَض الصين الاموال الاوربية مالم يراقب الاوربيون انفاقها مراقبة دقيقة . والصينيون يكرهون هذه المراقبة ويأبونها لاسباب مختلفة بعضها شريف وبعضها غير شريف ولكن لا شبهة في ان جانباً كبيراً من الاموال يضيع ان لم يراقَب انفاقها المراقبة التي اشرت اليها . ولا تحلُّ مشكلة الصين بغير هذه المراقبة . ويظهر كيف ينفق الصينيون اموالهم من الحادثة التالية التي ذكرها المؤلف وهي ان شركة سكة الحديد المعروفة بسكة سزشوان استعدت لانشاء هذه السكة بتعيين مأموري المحطات اولاً . وان رجال الحكومة الصينية ابتاعوا ١٤٠٠ مدفع من المدافع الالمانية المتعددة الطلقات بسبع مئة الف جنيه وابقوها في شنغاي فلم يستعملوها ولا دفعوا ثمنها

والذين اختبروا الادارة المالية في البلدان الشرقية يقولون ان مراقبة نفقات الحكومة لا تكفي بل لا بدَّ ايضاً من مراقبة اساليب دخلها فقد قال المستر بلاند ان الذين يجبون الضرائب يجبون خمسة ريالات على الاقل لكل ريال يصل الى خزينة الحكومة . وهذا يذكرني بما كان جارياً في القطر المصري في عهد اسمعيل ولذلك يرجى من السياسيين والماليين الاوربيين ان ينظروا الى مصلحة الدائنين والى مصلحة الصينيين انفسهم ولا ينفكوا عن طلب المراقبة المالية الدقيقة كشرط اساسي لازم لقرض الاموال

اما كون الجمهورية ثابتة في الصين او غير ثابتة فالثقات الذين يحقُّ لهم ان يبدوا رأياً في هذا الموضوع مختلفون فيهِ تمام الاختلاف ولكن المستر بلاند واثق ان تعاليم كنفوشيوس راسخة في نفوس الصينيين تمام الرسوخ ولا يمكن نزعها منهم وعليها بني نظام الصين السياسي والاجتماعي حتى الآن . وان الحكم النيابي قد يفلح في ولاية كنتون وولاية كوانغ لانهما اكثر الولايات الصينية ارتقاء واما في سائر الولايات فلا امل بان تصير الحكومة نيابية اي يصير مجلسها النيابي نائباً حقيقياً عن الشعب الصيني . ومن رأيهِ انهُ يمكن بقاء الجمهورية في الصين بعد نزع كل المزايا الجمهورية منها . وهذا قد اخذت فيهِ الحكومة الحاضرة فصارت جمهورية بالاسم واستبدادية بالفعل بل صارت استبدادية غير مشروعة تنتقل من جماعة من الافّاقين الى جماعة اخرى . وما ادعاء اصحابها النيابة عن الشعب الأ عامل من العوامل التي ستسبب زوالها

اما انا فلا اعرف من امور الصين ما يخولني اثبات ما قالهُ المستر بلند او نفيهُ ولكن يظهر ان ما قالهُ عن ماضي الصين مبني على بحث دقيق محقق وما قالهُ عن مستقبلها يميل الى تصديقهِ الذين درسوا اخلاق الشرقيين وعرفوا تاريخ الشرق

كرومر

غرائب العادات

في الموت والدفن والحداد

الاعتقاد الشائع عند الشعوب الملقية ان المرض والموت تحدثهما الارواح . وقلما تفعل الروح ذلك الاَّ اذا دعاها لفعلهِ احد السحرة كما سيجيء

والغالب في جزائر سلمون ان يدفن الميت في التراب ولكنهم قد يلقونهُ في البحر او يفرقون بين ميت وميت فيدفنون الخاصَّة في التراب ويلقون العامَّة في البحر . وفي بعض الاماكن يحتفظون ببعض عظام الميت ويحملها اقاربهُ للتبرُّك بها او يضعون جمجمتهُ او احدى اسنانهِ او براجمهِ في مكان من اماكن العبادة . وبعضهم يدفن الميت في التراب حتى اذا بلي لحمهُ نبشوهُ واخذوا عظامهُ عوذاً وتمائم . وكثيراً ما يدفنون مع الميت حلاهُ وبعض امتعتهِ او يتلفونها او يضعونها الى جانب قبرهِ حتى تأتي روحهُ وتأخذ روحها

وقد تدفن القبيلة رئيسها وتبقي رأسهُ قرب سطح الارض وتضرم فوقهُ ناراً تحرق لحم الرأس وتجردهُ عن عظمهِ ثم تنزع جمجمتهُ للتبرك بها . وفي بعض جزائر سلمون تحرق جثث الرؤَساء وجثث اعضاء عيالهم ويحفظ رمادها وما لا يحترق من عظامها . وقد توضع الجماجم في اطراف الجزيرة ويقام عليها رجمة كبيرة من الحجارة فتصير معبداً

والغالب في الجانب الشرقي من جزائر سلمون ان تقام رجم كبيرة فوق قبور الرؤَساء وينحت جزع شجرة في هيئة تمثال وينصب فوق الرجمة وتوضع عليهِ بعض آثار الميت وادواتهِ فيصير هذا القبر حرَماً او معبداً

والمتوفو من اهالي غينيا الجديدة يضعون جثث رؤَسائهم واهل الوجاهة منهم على عرازيل من العيدان او على اغصان تينة مقدسة ويتركونها هناك حتى تبلى

ولهم اساليب مختلفة للاحتفال بجنازة الميت أُهمل اقدمها الآن بعد الاتصال بالاوربيين . من ذلك ما حدث حينما توفي رئيس في شبه جزيرة الغزال من جزائر بسمارك فانهُ لما رأى ذووهُ ان وفاتهُ دنت قُرع الطبل الكبير واجتمع اقاربهُ ودنا منهُ الادنون منهم وجعلوا يلمسونهُ باناملهم وهم يعزونهُ وجلس الباقون حولهُ وهم يمضغون الفوفل وانفصل النساء عنهم وجعلن ينحن . ولما اسلم الروح قُرع الطبل قرعاً شديداً وللحال اخذ الجميع يبكون ويعولون وباتوا يندبون ويطبلون الى الصباح . ثم نصبوا دكَّة خارج المحلة وضعوا عليها جثة الميت جالساً كما ترى في الصورة المقابلة . ثم جمعوا امتعتهُ كلها ووضعوها حولهُ واتلفوا حقولهُ . وبعد

قليل خرج اناس من الغاب مرتدين اردية غريبة الشكل وجعلوا يطوفون حول جثته راقصين على قرع الطبل . وجاء احد اقاربه ووضع نقوداً من نقودهم تحت قدميه ثم وزعها على الراقصين فاخذوها وانصرفوا وأُتي بزورق ووضع الميت فيه ووضع مجذاف في يده وسير بالقارب الى القبر . واشتدَّ العويل حينئذٍ وحاول انسباء الميت ان يلقوا بانفسهم الى القبر ولم يصرفهم المشيعون عن ذلك الاَّ بعد عناء شديد واخيراً دفن الميت وقرع الطبل واستمرَّ قرعهُ الى الصباح من غير انقطاع وغرضهم من ذلك تشييع الروح في ذهابها شرقاً . ويقولون انها تعود صباحاً عند شروق الشمس فيرقبون شروقها بفارغ الصبر و بعد سنة او اكثر ينبشون جمجمة الميت و يدهنونها بلون احمر وابيض و يزينونها بالريش و يضعونها على دكة خاصة

وكان اهالي جزائر بسمارك يدفنون مع الرئيس زوجة او زوجتين من زوجاته وعبداً او اثنين من عبيده وقد أُبطلت هذه العادة الآن ولكنها لا تزال مرعية في جزيرة بوغنفيل من جزائر سليمان . والغالب ان لا يدفن العبيد مع مولاهم احياء ولكنهم يقتلون لكي يتبعوهُ و يخدموهُ

واذا مات رجل في جزيرة سلكا زُيّن كوخهُ ووضعت جثتهُ فيهِ بعد تزيينها وأُتلفت مزروعاتهُ وذبحت خنازيرهُ ووزع لحمها و كسرت آلاتهُ الحربية واذا كان من الاغنياء قتلت زوجاتهُ . ثم يدفن في اليوم التالي قائماً ورأسهُ فوق الارض و يغطى رأسهُ باوراق الموز حتى لا يمسهُ التراب وتوضع حولهُ دارة من الحجارة وتوقد فيها نار و ينام ذووهُ على مقربة منهُ الرجال في جهة والنساء في اخرى لكي يطردوا الروح عنهُ ولكنهم لا يذكرون الوقت الذي يفعلون فيهِ ذلك لكي لا تحاذرهم الروح فيستعدون لطردها ليلاً وخفية و ينهضون في الصباح باكراً وهم ينادون و يزعقون و يقرعون جدران بيوتهم و يركضون والمشاعل في ايديهم فتخاف الروح وتهرب منهم .ومتى بلي لحم الميت نبشوا عظامهُ ووضعوها في كيس من اوراق الاشجار وعلقوها في البيت ثم اولموا وليمة تذكاراً لهُ . و يضع ابنهُ هذا الكيس على كتفهِ و يقسم لكل واحد من الحضور قسماً من الوليمة ثم يعيد العظام الى مكانها وتدوم الوليمة ثلاثة ايام يرقص فيها الرجال والنساء

واهالي جزيرة نيو ارلندا وجزيرة نيوهنوفر يضعون الميت على مصبع من الرماح و يحملهُ اقاربهُ و يطوفون بهِ من بيت الى بيت وهم يبكون و ينوحون رجالاً ونساء و ينصبون لهُ دكة في اليوم التالي خارج المحلة يضعونهُ عليها و يضعون تحتها حطباً يضرمون فيهِ النار و يصعد احد اقاربهِ اليهِ والرمح في يدهِ يمسهُ بهِ الى ان تضطرهُ النيران الى النزول عن الدكة واخيراً تصل النار اليها وتقع الجثة في النار وتحترق كل ذلك والبكاء والنحيب متواصلان . وتولم حينئذٍ وليمة للحضور وتنصب خيمة فوق النار ثم يجمع رماد الميت بعد بضعة اسابيع ويمزج

بلبن جوز النارجيل وتدهن بهِ اجسام اقارب الميت الحادين عليهِ ومتى تمت ايام الحداد اولمت لهم وليمة فكان بها الختام

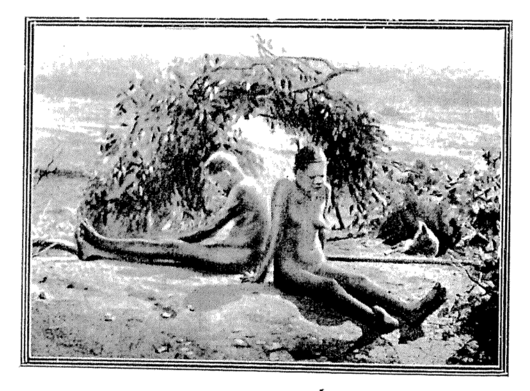
وعاداتهم في الحداد على موتاهم ليست اقل غرابةً من عاداتهم في دفنهم فاذا مات رجل في غينيا الجديدة البريطانية حدَّ عليهِ كل اقاربهِ وامتنعوا عن الرقص والغناء وابطلوا طلي اجسامهم بالاصباغ الحمراء . ولم يُسمَح للرجال ان يضعوا على ابدانهم شيئاً ملوناً وأبدل النساء الوزرة ذات الاهداب بشيءٍ لا يغطي اوراكهنَّ . وفي بعض الاماكن لا يحدُّ الاقارب على الميت الاَّ بعد دفنهِ باسابيع واشهر ومتى ارادوا الشروع في الحداد طلوا ابدانهم بطلاءٍ اسود وحلقوا شعور رؤُوسهم اما النساء فيحلقنَ شعورهنَّ كلها واما الرجال فيبقون بقعاً منها فوق آذانهم . و يولمون وليمة و يلبسون كلهم ثياب الحداد وهي عقود واساور ومناطق من الحشيش المضفور . و يدوم الحداد اشهراً لا يجوز فيها للحادين ان يغتسلوا ولا ان يأكلوا الاَّ اطعمة خاصة و ينتهي الحداد بوليمة تولم لهم

وفي بعض جهات استراليا يقصُّ نساء الميت شعورهنَّ و يطلين ابدانهنَّ بالطين و يبنين لهنَّ عريشاً يجلسنَ تحتهُ بعيداً عن المحلة كما ترى في الصورة السابقة وفيها صورة امرأتين توفي زوجهما فنصبتا بعض الاغصان وجلستا تحتها وامتنعتا عن الكلام كل مدة الحداد وقد تكون اشهراً

ولاهالي جبال مفولو عادة لم تُرَ عند غيرهم وهي انهم يقيمون امرأة ترقب المحتضر ومتى رأت انهُ اسلم روحه ُ ضربتهُ على رأسهِ ضربة شديدة حتى تجهز عليهِ اذا كان لا يزال فيهِ رمق او يفيق اذا كان قد اغمي عليهِ فقط واذا كان المريض رئيساً من رؤُسائهم اعطوا ساحراً الخرقة التي يتزر بها و بقايا الطعام الذي اكلهُ اخيراً فيضعهُ في الخرقة و يذهب بها الى الغاب و يلفها باوراق الاشجار و يغطيها بكومة من الحطب ثم يضرم النار في الحطب و بعد بضع دقائق يستخرج الخرقة من النار و يفتحها فاذا وجد الطعام فيها قد احترق او شاط استدلَّ من ذلك على ان الرئيس مائت لا محالة فامر بضربهِ على رأسهِ الضربة التي تجهز عليهِ والاَّ استدلَّ على انهُ سيشفى . وقد يتَّهم الساحر بانهُ هو الذي جعل الطعام يحترق بسحرهِ فتنشب الحرب بين ذوي الرئيس وذويهِ . وحالما يعلن موت احد يعلو صياح اهل قريتهِ ويبدل النساء نوحهنَّ بالندب و يواصلن الندب الى ان يدفن الميت فيطلي اقاربهُ ابدانهم بالطين و يأتي المعزّون من القرى المجاورة رجالاً ونساءً ولكن لا يرى الميت الاَّ النساء وتقام الجنازة بعد اربع وعشرين ساعة فتلف جثة الميت باوراق الاشجار وتثنى ركبتاهُ حتى تصلا الى ذقنهِ ويحمل الى القبر والنساء يندبن ومتى دفن علا صياح الرجال لتخويف الروح وطردها



ميت مجلس والناس حوله



امرأتان حادتان على زوجها

الوقاية من الامراض

جاء من اميركا في اواخر الشهر الماضي ان الاطباء في دار البحث الطبي التي انشأها المستر ركفلر اكتشفوا طعماً يقي من ذات الرئة . ومَن يطلّع على ما اكتشفوهُ حديثاً من هذا القبيل يجد انهم كادوا يقون الانسان من كل الادواء واليك البيان

لا يخفى ان الوقاية من الجدري تقوم بالتطعيم اي باستخراج المادة الجدرية من عجل مصاب بالجدري وادخالها في جسم الانسان وذلك بان يجرح ساعدهُ او ساقهُ جرحاً صغيراً جدّاً وتمزج المادة الجدرية بدم الجرح فيصاب الانسان بشيء من الجدري الخفيف السليم يقيهِ من الاصابة بالجدري الشديد الخطر . وعلى هذا النمط يوقى الانسان الآن من امراض كثيرة بان يطعَّم بمادة تستخلص من حيوان مصاب بالمرض الذي تراد الوقاية منهُ . وقد تكون هذه المادة محتوية على ميكروب المرض ولكنهُ ضعيف لا يقوى على الجسم كما في ميكروب الزكام والدمامل او تكون محتوية على شيء افرزهُ الميكروب فكان مميتاً لهُ كما في المصل الواقي من الدفتيريا والمصل الواقي من التتنوس

وميكروب الزكام والدمامل والبثور من النوع العنقودي Staphylococcus سمي بذلك لانهُ نقط صغيرة متجمعة كالحبوب في عنقود العنب . وهو كثير في الهواء والغبار وكل مكان فلا يسلم انسان من شرهِ . واول من تولّى قيادهُ ورباهُ وطعّم الناس بهِ حتى كفاهم شرهُ السر امروث رَيْط Almroth wright فانهُ زرع هذا الميكروب في مرق لحم البقر المعقم حتى نما وتكاثر فيهِ وبلغ مئات الملايين عدّاً ثم اماتهُ بالحرارة والحامض الكربوليك وخففهُ بالماء حتى صار في خمس عشرة نقطة من هذا المرق المخفف مئة مليون ميكروب من الميكروبات العنقودية وتطعَّم بهِ وطعَّم غيرهُ فوجد انهُ اذا طُعّم الانسان تحت جلدهِ بخمس مئة مليون من هذه الميكروبات الميتة ثم طُعّم ثانية بعد عشرة ايام بالالف مليون ميكروب وثالثة بعد عشرة ايام اخرى وُقي من البثور والدمامل والقروح وما اشبه واستمرت هذه الوقاية سنوات عديدة

وقد شاع التطعيم بهذه الميكروبات للوقاية من البثور والقروح والدمامل حتى جعل الجراحون يطعمون المرضى بها قبل العمليات الجراحية لكي لا تفسد بما يصيب جروحها من الميكروبات العنقودية

وقد استخرج السر امروث ريط ميكروب الحمى التيفويدية سنة ١٨٩٦ ورباهُ في المرق

النقي الى ان تولدت منهُ ملايين الملايين فقتلها وملأ بها انابيب صغيرة من الزجاج وضع في كلٍّ منها خمس مئة مليون ميكروب ووزعها على اطباء الجيش الانكليزي في الهند وجنوب افريقية فطعموا بها الجنود فقلَّ عدد الذين اصيبوا بالحمَّى منهم وقلَّت وفياتهم بها كما ابنَّا مراراً. وقد ثبت ذلك لدى حكومة اميركا وحكومة اليابان حتى جعلتا التطعيم بهذه الميكروبات للوقاية من التيفويد الزامياً للجنود والبحَّارة وضباطهم وحتمت ان يعاد تطعيمهم كل ثلاث سنوات. ومنذ سنتين ارسلت الحكومة الاميركية عشرين الفاً من جنودها الى حدود المكسيك ولكنها طعمت كلاًّ منهم مرتين بالطعم الواقي من التيفويد قبل ارسالهم وكان في كل طعم الف مليون ميكروب من ميكروبات التيفويد فلم يصب احد منهم بهذا الداء. وذكر ذلك الرئيس تفت في بداءة العام الماضي كاغرب شيءٍ حدث سنة ١٩١١

قال الدكتور هري شونر ان في احد المستشفيات ٩١ من الممرضات تطعم ٨٨ منهنَّ بالطعم الواقي من التيفويد منذ سنتين فوقين من هذا الداء واما الثلاث اللواتي لم يطعمنَ فاصيبت واحدة منهنَّ بهِ وماتت . وطُعم الممرضات كلهنَّ في مستشفى آخر ما عدا واحدة كانت غائبة فلما عادت الى المستشفى اصيبت بالتيفويد. وطعم الممرضات كلهنَّ في مستشفى ثالث سنة ١٩١٠ ثم جاءهُ ثماني ممرضات اخريات سنة ١٩١١ ولم يطعمن فاصيب ثلاث منهنَّ بالتيفويد. وكل الممرضات اللواتي طعمن في المستشفيات الثلاثة لم يصبن بالتيفويد. وقد بلغ عدد الذين طعموا حتى الآن من جنود الولايات المتحدة وبحارتها نحو مئة الف ويقال ان كل اطباء مدينة بلتيمور وممرضاتها تطعموا لكي يقتدي بهم السكان

لما فاض نهر المسسبي في الربيع الماضي امتزج ماء الشرب بمواد المراحيض في مدينة ممفس فانتشرت الحمى التيفويدية فيها حالاً ولكن بادرت الحكومة بارسال طعم التيفويد اليهم فتطعَّم منهم خمسة وعشرون الفاً في ايام قليلة فانقطع دابر الحمى في ستة اسابيع مع ان كثيرين طُعموا بعد ان دخل ميكروب الحمى ابدانهم بماء الشرب ولكن الطعم وقاهم من ظهور المرض فيهم او اضعف وطأتهُ جداً

وحدث مثل ذلك في مدينة بيروت سنة ١٨٩٥ وكتب الدكتور ورتبات مقالة في هذا الموضوع بعث بها الى المقتطف ونشرت فيهِ في شهر ابريل سنة ١٨٩٦ قال فيها «في الرابع عشر من اكتوبر سنة ١٨٩٥ هطل مطر غزير في بيروت وجوارها دام نحو ساعتين بلا انقطاع فبلغ ما وقع منهُ اكثر من اربع عقد انكليزية وبعد ذلك بنحو اسبوعين اصابت الحمَّى كثيرين من السكان وعند ظهور العلامات المميزة عرف انها الحمَّى التيفويدية

وكانت الاصابات في زمن واحد ناشئة من سبب واحد وربما لم يكن عددها اقل من الفين وهو نحو اثنين في المئة من سكان بيروت . وظهر مما تلا من مراقبة الوافدة ان المادة المعدية كانت سامة جدًّا بدليل شدة الاعراض وطول المرض وكثرة عدد الوفيات وبطء النقاهة والميل الى الانتكاس وظهر ايضاً ان واسطة العدوى كانت كثيرة الانتشار ممتدة على مساحة واسعة » . والمياه تأتي بيروت بقناة مفتوحة في اوائلها والظاهر ان السيول جرفت اليها مياهاً ملوثة ببرزات محشوة على كثير من ميكروب التيفويد . فتلوث بعض الماء بها ووصل الى الذين شربوهُ في بيروت . وقد نفى ذلك مهندس شركة الماء زاعماً ان الذين يشربون من ماء القناة حيث هي مفتوحة لم يصابوا بالتيفويد وفاتهُ ان الماء الملوث انصب في القناة وجرى مع مائها في دقيقة من الزمان وقت وقوع المطر وغادرها نظيفة ولا يحتمل ان الناس استقوا من القناة والسيل منهمر

وحدث مثل ذلك في مدينة مدستون ببلاد الانكليز على اثر تلوث الماء الذي يشرب منهُ سكانها بميكروب التيفويد فأُصيب بهِ ١٩٠٠ منهم وعددهم لا يزيد على ٣٥٠٠٠ . وحدث مثلهُ ايضاً في مدينة بليموث باميركا وعدد سكانها ١٣٥٠٠ فاصيب منهم ١٢٠٠

وما قيل في فائدة طعم التيفويد يقال في فائدة طعم الطاعون الذي اكتشفهُ الدكتور هفكن وهو مرق لحم ربي فيهِ ميكروب الطاعون ثم اميت كما يربى ميكروب التيفويد ويمات . وكان هفكن يحقن الانسان مرة واحدة لكن الدكتور شيغا الياباني والدكتور مكتشنيكوف والدكتور ر بظ وغيرهم جعلوا يكررون الحقن ثلاثاً وبين كل حقنة واخرى عشرة ايام فجاءت الوقاية تامة بل اتم من الوقاية من التيفويد

ومن الامراض المميتة التي تأتي بصورة وافدة المرض المعروف بالالتهاب السحائي Meningites ومن غريب امرهِ ان عدواهُ تنتقل بواسطة الاصحاء كما تنتقل بواسطة المرضى فقد يحمل الانسان ميكروبهُ ولا يُعدَى بهِ بل ينقل العدوى الى غيرهِ ولذلك يخشى شرهُ اكثر مما يخشى شر غيرهِ لان الانسان يتجنب المريض ولكنهُ لا يتجنب السليم . لكن الدكتور ابرهيم صوفيان والدكتور بلاك وجدا طعماً لهُ يشبه طعم الجدري واستعملهُ الدكتور صوفيان لما فشا هذا الداء في ولاية تكساس في اميركا وقد ثبتت فائدتهُ بوقايتهِ الذين طُعّموا بهِ فان الداء لم يصبهم بعد ذلك ولو عرّضوا لهُ او اصابهم ولكن الاصابة كانت خفيفة جدًّا لان الوقاية لا تكون على درجة واحدة في جميع الناس . والذين يوقون بالتطعيم من هذا الداء لا يوقون من حمل ميكروباتهِ لغيرهم لانها قد تكمن في المنخرين والحلق ولا بدَّ من البحث

عنها ومعالجتها ايضاً ان وجدت ولا يعلم حتى الآن كم تدوم الوقاية بواسطة التطعيم ولكن يرجح انها لا تدوم اقل من سنة

وقد اشار الدكتور هرشفلدر بطعم بقي من ذات الرئة فانهُ جمع كثيراً من ميكروبات هذا الداء واضاف اليها من عصارة المعدة والامعاء حتى انهضمت ثم رشحها برشح بستور ورباها في مرق لحم العجل وجعل ينقلها من مرق الى مرق حتى خف فعلها . وكان يجرّب فعلها بالفيران والارانب الى ان ثبت لهُ انها صارت تقي الارنب ولا تميتها اي انهُ صار اذا طعم ارنباً بها ثم طعمها بالميكروب غير المخفف هي وارنب اخرى غير موقاة ماتت الثانية ولم تمت الاولى . وتدرَّج في تطعيم القطط والكلاب والقرود الى تطعيم الناس . وآخر ما قرأناهُ عنهُ انهُ طعم عشرة بهذا الطعم فاصيب سبعة منهم باعراض خفيفة بعد اربع وعشرين ساعة واصيب الثلاثة الباقون باعراض مثلها بعد يومين ونصف ثم شفوا كلهم . والظاهر من الانباء البرقية ان الاطباء في معهد ركفلر تناولوا هذا الموضوع وحققوا فعل هذا الطعم او طعم آخر مثلهُ في الوقاية من ذات الرئة

الفقر والفقير

(تابع ما قبلهُ)

ومن بديع حكمة الله انهُ وضع للانسانية اصلاً من اصول نظامها في ضمير الانسان فترك لهُ ان يقترف ما شاء من الاثم ولكنهُ جعلهُ من الاحساس بطبيعة الخير والشر بحيث يكون لهُ من الذنب نفس العقاب على الذنب حتى ان شر المجرمين ليستعين على مقارفة جرمهِ باقناع الضمير بَدِيًّا فيتذكَّر ما يبعث في دمهِ روح الغضب كالانتقام ونحوهِ او ما يثبت لضميرهِ انهُ يرحم نفسهُ بهذه الجناية كمدافعة الضرر وما اليهِ . وبالجملة فان اول ظلمهِ ان يعتقد ظلمهُ عدلاً او شبيهاً بالعدل حتى لا يلتوي عليهِ امر نفسهِ اذا خذلهُ ضميرهُ فان اضطراب هذا الضمير يتصل بايدي المجرمين فاذا هو فيها شلل . وبارجلهم فاذا هو زلل . و بنظام قوتهم فاذا هو خَلل . و بعقولهم فاذا هو المَسُّ والخَبَل . واذا لم يُفلح الجاني في إقناع ضميرهِ او التلبيس عليهِ تخلص منهُ ففصل بينهُ و بين العقل بالسُّكر وما هو في حكمهِ حتى لا يشهد شيئاً . افلا تجدون في تخدير اكثر المجرمين لضمائرهم ساعةَ الجناية دليلاً على ان الضمير الذي يشهد الذنبَ انما يتلقَّى منهُ العقاب عليهِ ؟

وماذا يكون بعد ان يضرب الشقيّ تلك الحاسة الروحية التي نسميها الضمير بالشلل ؟ انهُ يحط درجة واحدة ولكنها درجة الضمير التي لو جازها الحيوان لصار انساناً ولو نزل عنها الانسان لعاد حيواناً فلا يبقى فيهِ من ثمَّ الاَّ الفطرة الحيوانية التي تجعل عقل الحيوان مرة في القوة ومرة في الضعف فان احسَّ القوة على خصمهِ كان العقل في الظلم بكل ضروبهِ واشكالهِ وان هو احسَّ العجز والضعف ورأى ان لا قِبَل لهُ بخصمهِ فكفى باتقاء الظلم عقلاً ...

ان افقر الفقراء ليس هو الذي لا يجد غذاء بطنهِ ولكنهُ الذي لا يستطيع ان يجد غذاء شعورهِ فلا تحسبوا ان مع جنون الضمير ومرضهِ سعادة وراحة لان لذة المال لا تتجاوز الحواس فهو يشتري لها كل شيء مما تشتهي ولكنهُ لا يستطيع ان ينيل القلبَ شيئاً الاَّ اذا اشترى لهُ الخير والفضيلة

والغنيُّ الذي يمنع الفقراء مالهُ يزيد فيهِ بمقدار ما يمنع بضعة دراهم او بضعة دنانير ولكنهُ يزيد ضميرهُ عقاباً بالقوة والغلظة ونسيان الفضيلة ولا يزال على ذلك حتى يمرَّ بهِ يوم يفقد فيهِ ضميرهُ كل شعور بالخير فيفقد معهُ كل شعور بلذة النفس التي هي المعنى الحقيقي للسعادة

و يومئذٍ لو اشترى كل لذات الدنيا بمالهِ ما زادتهُ الاَّ الماً لانهُ فقد قوة من ضميرهِ تقابل القوة التي يفقدها المريض من معدتهِ . فلينظر الفقير الجائع وقد توهج في عينهِ الجوع الى رجلٍ ممعودٍ قد ابتاع مما تشتهيهِ معدة خيالهِ وأسرف في ذلك حتى جمع منهُ الكثير الطيب ثم انقلب بهِ الى دارهِ بعين من ذلك البئيس تكاد اشعتها تنضج الغذاء من حر نظراتها اليهِ . سلوا صاحبنا الفقير يقلْ لكم اي لذة يا قوم ليست في هذا ؟ وسلوا الممعودَ المسكين يقلْ لكم والله ما اجد في هذا كلهِ من لذة ولو اكلتهُ لكان الموت بعينهِ

اذنْ لا بد في كل شيء انساني من حقيقة باطنية في نفس الانسان تعطيهِ بصحتها او مرضها قوة اللذة او الألم فقيمة الغذاء عند الجوع والجوع نعمة من صحة المعدة وقيمة المال عند الفقر والفقر نعمة من صحة الضمير . ولو سألنا اغنى الناس عما هي لذة الغنى لرأيناهُ في حقيقة التعاسة النفسية كأفقر الناس اذا اجابنا عما هو ألم الفقر

وقد فُطِر اكثر الخلق لطبيعة الخوف المتمكنة منهم على ان يتّسِعُوا في فهم الآفات وحدها حتى صار هذا الوهم الخيالي اكبر الآفات الحقيقية فالفقير الذي لا يفهم حقيقة الفقر يتألم بادراك ووهم وفلسفة اذ يقيس حاضرهُ على ماضيهِ وعلى ماضي غيرهِ من الفقراء ويقيس مستقبلهُ على حاضر الاغنياء فقط وبذا يكون المهُ عملاً عقلياً في شيء موهوم فما دام يتمنى اكثر مما يستحق فهو يتألم باكثر مما يستحق ولو تأمل الناس لرأوا انَّ نصف الفقر فقر كاذب .

فآه لو كان مع ضعف الفقر قوة الارادة اذن لوجد الحكماء في الارض شيئاً حقيقياً يسمونهُ الغنى

ايها السادة الفصل بين الغنى والفقر من الامور التي تتعلق بالضمير وحدهُ ورُبَّ غنى يزيد اهلهُ بالحرص والدناءة فقراً فانظروا فيهما بافكار الحية لا تطلب الاَّ الفضيلة التي يمكن ان تكون بلا ثمن ولا يمكن ان يكون شيء ثمناً لها. انظروا الى بعض الاغنياء الذين تموت في قلوبهم كل المواعظ الانسانية فلا تثمر شيئاً من الخير حتى اذا ماتوا نبتت للناس من تراب قبورهم فاثمرت لنفوس الفقراء عزاء وسلوى وموعظة من زوال الدنيا انظروا بعين الحقيقة التي تعطي الطبيعة النظر فتعطيها محاسن الطبيعة الفكر

انظروا في باطن الانسان بالفضيلة التي هي من نور الله و بالحقيقة التي هي من نور الطبيعة فانكم لا ترون حقيقةَ الغنى تبتعد عن حقيقة الفقر الاَّ بمقدار شبرٍ واحدٍ هو ملء هذه المعدة

دموع الهرَم لدموع الصبا

من الشيخ البائس لحفيدته

دجا الظلامُ فيا لَيْلَي أَمَا فينا ... روح ام الموت مثل الرزق جافينا

يأتي الصباح علينا لا يكفّننا ... ويذهب الليل عنا لا يُوارينا

وتطلع الشمس تُحيينا وليس لنا ... زادُ الحياة فلِمْ يا ربِّ تحيينا

تنير عالمَ سوءٍ كلهُ ظلَمٌ ... كالظلّ ضُمّن منهُ النور تضمينا

الله كوّنهُ تكوين مرحمةٍ ... وكوّن الناسُ بعد اللهِ تكوينا

فأيُّهم ما اعتدى ظلماً وهل وجدوا ... من امةٍ لم تقل ظلماً اعادينا

يا ربِّ قد عاد صخراً عاتياً وفحماً ... ما كنت انشأتهُ من قبلها طينا

حبُّ الانام محاباة وقد فقدت ... عيني المحبين فيهم والمحابينا

كانني لستُ انساناً يشابههم ... ولا أُعدُّ ولا بين المرائينا

يا نفس ويحك قرّي غير جائشة ... كانوا وكنا وما شاؤا ولاشينا

وكلُّنا صائرٌ يوماً لمصرعهِ ... ان الذي هو سوءانا يُساوينا

هي الرذيلة تبلوهم فتضحكهم ... وهي الفضيلة تبلونا فتبكينا

وكل حسناء بين الناس ان شقيت ... فمن محاسنها لا من مساوينا

لا يخدعنَّك منا ظاهر حَفِلٌ ... بالابتسام وغَلْغِلْ في خوافينا

وجهُ المنافق مرآةٌ منافقةٌ ... تحسّنُ القبح للابصار تحسينا

فإن عييتَ بنا فانظر ضمائرنا ... فما ضمائرنا الاّ مرائينا

ماذا ادّخرتُ من الدنيا فتعجبني ... وكيف تغترُّ بالدنيا امانينا
شيخ ضعيف تناهى السن طاح بهِ ... واليوم أهدف يرمي للثمانينا
برى الزمانُ لهُ من عظمهِ قلماً ... ما انفكَّ يرعشهُ خطًّا وتدوينا
(جِلْدٌ) يضم كتاباً حين الّفهُ ... من الشقا دهرهُ سمَّاهُ مسكينا
حملتُ من نكدي ما إنَّ ايسرَهُ ... ليترك العقلا بُلهاً مجانينا
ترمي الحوادث بي في كل بادرةٍ ... ولم ازل دائباً أبقي ويمضينا
كأن لي روح بركانٍ فما برحتْ ... حولي الحوادث يفجُرْنَ البراكينا

حنى الزمان قناتي بعد معركةٍ ... كانت الشباب لنا فيها ميادينا
فكم لنا فترات في الزمان جرتْ ... سوانحُ اليمن فيها من نواحينا
وكم لنا طمحات في المنى نسموا ... روح الجنان بها من زهرِ وادينا
وكم لنا ضحكات في الصبا ملأتْ ... فمَ الشباب تغاريدا وتلحينا
انا لنمضي لدُنْ يمضي الشباب ولا ... يعيش من بعدهِ الاّ اسامينا
فها أنا اليوم نضوٌ رازحٌ لصقٌ ... بالارض ياحشرات الارض واسينا
مُلقًى تطايرُ حولي الناس لاوَزَرٌ ... منهم ولا ملجأ في الناس يؤْوينا
ينظّفون طريق السابلين ولا ... يرون في طرُق الدنيا المساكينا
فلو رأَوا موضعي في ارضهم حجراً ... رأيتهم عرفوهُ غير ناسينا
يا من تكبكبهُ الاقدام ان كُتبتْ ... لك الحياة فمن ايدي المعينينا

ليلى وما انتِ الاّ دمعة جمعت ... حسناً وطُهراً وآلاماً وتحزينا
ليلى أأنتِ أغرْتِ البدر فابتسمتْ ... لهُ الليالي وداجننا لياليناً
ليلى أحُسنُكِ غاظ الزهر فاحتفلتْ ... بهِ الصبابة تعطيراً وتلوينا
ليلى أأزريتِ بالاغصان فانتسجت ... لها الطبيعة ذي الاثوابَ تزيينا
ليلى ويا لهفي لو ان حليتها ... من لؤلوءٍ غير ما تذري مآقينا
ليلى ويا حزني ان لم تكن ملكاً ... الى يد الله لا ما بين ايدينا
الناس للمال دون الدين قد صبأُوا ... فويح من اشبهت في فقرها الدينا
ما يصنع الفضل والتقوى بفقرهما ... وذى (فوائد) لا تغني المرابينا

يا حسرتا حسرةً أمسي أجنُّ لها ... من أنَّ سافلنا بالمال عالينا
الفقر حكَّم في الدنيا شرائعها ... والمال حكَّم في الفقر القوانينا
كأن هذا الذي يدعونهُ (ذهبًا) ... روح من النار ما تنفك تكوينا
لولاهُ في الناس قد صاروا ملائكةً ... لكنهُ ملأ الدنيا شياطينا
قد استردْنا لامر الله كيف قضى ... فهوّني عنكِ يا ليلايَ تهوينا

اما الجميلة فارتاعت مدامعها ... واستنفرتْ من عيون القلب يجرينا
وحيدة ما لها كهفٌ تلوذ بهِ ... الاَّ الفضيلة حينا والمُنى حينا
أودى ابوها واودت امها وطوى ... عنها ترابهما حبَّ المحبينا
وجَدُّها كبقايا العمر قد طُرحت ... على طريق الردى طرح المهينينا
فليس تعرف غير الحزن منعطفاً ... وليس تعهد في غير البكا لينا
تبكي ولا مسعدٌ يرثي لأدمعها ... في الاكثرين ولا بين الاقلينا
دمعٌ يتيم اذا عينُ الحزين رأت ... قرابة الحزن في دمع المعزينا
يا ضيعة الحب امسى المال يعرضهُ ... عرض المذلة في وجه الاذلينا
ندى الشباب بفجر الحسن رفَّ على ... روض الهوى لا يرى فيهِ رياحينا

لا تعجبوا بعدها لله يُنذرنا ... من وزن اعمالنا في يوم يجزينا
حبُّ الغنى جعل الدنيا (متاجرة) ... فالعدل أن تنصب الاخرى (موازينا)

قالت لهُ ولجاج الدمع يغلبها ... وما تكاد تقيم اللفظ تبيينا
لا تأسَ يا أبتي اني اصبتُ لنا ... من عاديات الذي نخشاهُ تأمينا
اصبت قومًا كرامًا اهل مرحمةٍ ... يلقَوْن اوجهنا غرًّا ميامينا
(عصابة) ألف (الاحسان) بينهمُ ... وبيننا فهمُ منَّا كأهلينا
ان شئتهم اخوةً لم يأنفوا واذا ... اردتَ نصرتهم كانوا المحامينا
وان بغتكَ صروف الدهر غائلةً ... فزعزعتك تجد منهم اساطينا
وان دهتنا من الاسقام فادحة ... رأيت منهم لها خير المداوينا
قومٌ اذا ولجوا دار الفقير غدوا ... لانعم الله في البؤسى عناوينا
الحمد لله ايدي الناس تهدمنا ... لكنَّ ايديهم تأتي فتبنينا

مصطفى صادق الرافعي

عبادة الدكاكير عند العرب

من اغرب العبادات المعروفة والمنتشرة على وجه الارض : « اكرام بعض العروض او الاشياء المنحوتة والسجود لها والاعتقاد انها آلهة وهي في اغلب الاحيان تشبه بعض المخلوقات الارضية من نبات وحيوان » وهي غير الوثنية لان الوثنية هي عبادة الاصنام التي يعتقد عبَّادها انها صور الالهة او الالهة قد حلَّت فيها

وقد سمَّى علماء الافرنج هذه العبادة الغريبة باسم « فَتِشِسْم Fétichisme » وعرَّبها بعض كتاب هذا العصر باسم « الفتيشية » والكلمة من فتيش fétiche وهي برتوغالية الاصل . الاَّ ان اهل العلم لم يتفقوا على تعيين اللفظة الاصلية التي أُخذت منها . فمنهم من قال انها من fatum ومعناها القَدَر كما اشتقوا من هذه اللفظة كلمة fée وبالايطالية fata ومعناها الجنيَّة . غير ان هذا الرأي ضعيف

ومنهم من قال انها من festisso اي مَسْحُور ومحضور . ومحصَّل المعنى : عبادة العروض او الاشياء المسحورة او المحضورة لظن عبدتها انَّ الارواح او الجنَّ تسكنها او تحضرها او تختلف اليها . وهذا الرأي اقبل من المذهب السابق . ومنهم من اثبت ان اللفظة من feitiço المحرفة عن اللاتينية Factitius ومعناها « المصنوع او المعمول باليد » ثم نقل معناها الى « مكرَّم ومسحور ومحضور » وهذا الرأي اصحّ من القولين الاوَّلين

وعليهِ يكون البرتوغاليون هم اوَّل من ادخل هذا الحرف في أَلسنة ديار اوربا في منتصف القرن السابع عشر للميلاد . وقد اطلقوها على هذه الاشياء التي يكرمها السودان الذين رأَوهم للمرة الاولى في ساحل افريقية الغربي . وهؤُلاء السود يسمونها في لغتهم « غري غري او جو جو » . وبعضهم انكر ذلك وقال : انهم لم يسموها بهذين الاسمين الاَّ نقلاً عمَّن خالطهم من الافرنج والاَّ فلهم غير هذه الالفاظ خاصة بهم وبلغتهم مثل : انكايزي وموكسو الى غيرها

واول من كتب من الافرنج كتاباً في هذه الديانة هو شارل دبروس Charles DeBrosses وسمهُ « بحث في الآلهة الفتيشية » Dissertation sur les dieux fétiches الفهُ سنة ١٧٦٠ وهو اوَّل من استعمل في الفرنسوية لفظة فتيش وفتيشية . الاَّ ان العرب كانوا قد سبقوا الافرنج الى معرفة هذه الديانة وملاحظتها في اهل المغرب وسمَّوا هذه المعبودات

«بالدكاكير» وممّن ذكرها عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الاندلسي في كتابهِ المسالك والممالك. وقد توفي سنة ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م. فيكون العرب سبقوا الافرنج في هذا الموضوع سبعمائة سنة. والدكاكير جمع دكُّور بفتح الاوّل وضمّ الثاني المشدّد على وزن عبُّود. وقد تقصر فيقال دَكُّر بفتح الدّال المهملة وضم الكاف المشددة. واما العرب الاقدمون فسموها الدِكْر بكسر الدال المهملة واسكان الكاف. قال في تعريفها صاحب لسان العرب هي: «لعبة يلعب بها الزنج والحبش» والمراد باللعبة هنا ما يتخذهُ الاولاد من التماثيل ويلبسونهُ البسةً كما يفعلونهُ الى يومنا هذا وهي المسماة عند الافرنج Joujou. واغلب عبّاد هذه الدكاكير الزنج والحبش ولهذا قال يلعب بها الزنج والحبش. وقال: «يلعب» لانَّ هؤُلاء اللغويين لم يستطيعوا ان يتصوروا ان بعض الزنج والحبش يعبدون هذه التماثيل فظنوا انهم يلعبون بها لصغر عقلهم واعتبروهم اطفالاً ولو كانوا بقامة الرجال

وقد ثبت اليوم ان عبادة الدكاكير معروفة ومنتشرة في غير الزنج والحبش فانها معروفة عند متوحشي اميركة ويسمُّونها هناك «مانيتو Manitou» «واوكي Ocki» وعند همج سيبيرية ويسمونها «بُرْخَان Pourkhan» وكذلك تُرَى في اوقيانية واواسط آسيا باسماء مختلفة. ولو كانت الدكاكيرية معروفة ايضاً في ديار الافرنج قبل انتشار النصرانية فيها. فان الصقالبة كانوا يعبدون الحصان والغاليون (وهم اجداد الفرنساويين) يعبدون الاشجار والجبال كما يعبد اليوم الاشانتي وهم من اقوام افريقية النسر والنهر المسمّى «تَنْدُو»

واشدّ الناس تمسكاً بهذه العبادة الغريبة اهل افريقية ولكلّ قبيلة او قوم من اقوامها عبادة لمخلوق من المخلوقات. فالوِيدَة تعبد نوعًا من الحية. والبسّاغو تعبد الديك. والكَلَبار القرش (وهو من اسماك البحر). واهل داهومي يعبدون النمر. وسكان اودنتي يسجدون لنهر ادرّاي وهلمَّ جرّا. وسودان بلاد بنين يوَّلهون (ما عدا ملكهم) الدويبة المعروفة باسم «ابي بُرَيْص» ويعتقدون انَّ ظلّهم هو ايضاً من قبيل الدكاكير. وفي افريقية قومٌ متوحشون غاية التوحش اسمهم الغالّو (بتشديد اللام) يعبدون الاشجار والاحجار والقمر وبعض الكواكب. وهذه الدكاكير آلهة عامة بين الاقوام وهناك دكاكير خاصة بكلّ فردٍ من اقوامهم فدكورهم اول شيء يقع تحت حسهم فمنهم من يعبد الوَدَع المستدير ومنهم المحار وغيرهم عروق الاشجار وآخر سنَّهُ التي تسقط من فمهِ او من فم غيرهِ الى مثل هذه الاشياء من منكرة او غير منكرة. وحالما يراها المتوحش يخرّ لها ساجداً الى الذقن ثم يوجه اليها صلواتهِ وادعيتهُ فان نجح في ما تمنّاهُ احلّها محلاً رفيعاً والاَّ كسرها واتخذ لهُ الهًا آخر يستجيب دعاءهُ

وظنّ قوم من المحدثين ومتفلسفي هذا العصر ان عبادة الدكاكير هي بدء كلّ دين وجد على وجه الارض فانهُ ينشأ طفلاً صغيراً على هذه الصورة ثم يأخذ بالترقي والنموّ حتى يستقلّ بذاته و يمتاز عن ندّه او ضده ٠ وهذا وهم ٠ وانما الدكاكيرية هي فساد في الدين وفي عقل صاحبها على حدّ ما نرى اناساً كانوا عقلاء ثم اصابهم مرض في داخلهم فافسد عقلهم فاخذوا يهذون و يهذرون ٠ افيقال عن مثل هؤلاء : ان هذيانهم هذا من كاليات عقلهم وارتفاعه في سُلَّم النشوء والارتقاء ام يقال فيه العكس

ووجود الدكاكيرية في بعض الناس مع انحطاط عقولهم يدلنا على هذا الامر وهو: ان القول بوجود إله خفي عن الابصار من الحقائق التي لا تفنى في الانسان مهما اصاب عقلهُ من الهويّ والتسفُّل لان ذلك اصبح فيه من قبيل الوجدان ليس الاَّ

ومما يجب ان يلاحظهُ الباحث في عُبَّاد الدكاكير شعائرهم الدينية التي يقومون بها عند الاحتفال باكرامها ٠ فانها بوجهٍ عام قبيحة منكرة وغريبة يضحك منها ٠ و يقال فيها انها لا تخلو من ذبح الانسان لها تقرّباً وتزلفاً منها . وكهنة هذه الديانة يشبهون السحرة واهل الرقى ويسمونهم « غريوط » في لسان بعض اهل افريقية و « جنكلر » (اي مخرقين) عند بعض قبائل اهل اميركا ٠ و « شاهان » عند اهل سيبيرية الى غير هذه الاسماء

واما العرب فإنهم هم ايضاً كانوا يعبدون الدكاكير في عهد الجاهلية وتشمل دكاكيرهم ما تشمل دكاكير غيرهم اي الجماد والنبات والحيوان ونحن نذكر هنا ما عثرنا عليها

١ : (الهٌ من حَيْس) (والحيس تمر يخلط بسمنٍ واقطٍ فيعجن و يُدلك شديداً حتى يمتزج ثم يُندَر منهُ نواهُ ورُبما جعل فيه سويق ٠ فيكون حينئذٍ بقوام العجين فتتخذ منهُ صور وتماثيل تسمَّى الواحدة منها جُمْجُرَة يلعب بها الاولاد ويخرّ لها سجّداً عباد الاصنام) وكان بنو حنيفة (باليمامة) قبل مسيلمة (الكذاب) اتخذوا في الجاهلية صنماً من حيسٍ فعبدوهُ دهراً ، ثم اصابتهم مجاعة فاكلوهُ ، فقال رجل من بني تميم :

اكلت ربها حنيفة من جو ع قديم بها ومن اعوازِ

وقال آخر : اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعه

لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعه

(عن الآثار الباقية للبيروني ص ٢١٠ ٠ ومحيط المحيط وتاج العروس مادة ت ب ع)

٢ : (ذات الانوار) قال صاحب التاج في مادة غ ر ب : الغرابي : حصن باليمن في جبل عالٍ في وسط البحر وكانت فيها شجرة تسمَّى « ذات الانوار » عبدت في الجاهلية ٠ اهـ

٣ً : (ذات أنواط) قال في كتاب اخبار مكة لصاحبهِ ابي الوليد محمد الازرقي ص ٨٢ كان لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها : « ذات انواط » يأتونها كل سنة فيعلقون عليها اسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عندها يوماً ... وكان من حجَّ منهم وضع رداءهُ عندها (وفي الاصل المطبوع : « وضع زادهُ عندها » . ونحن نظن ذلك خطأً سقط من الناظر في طبع الكتاب . والاصح رداءهُ . والشجرة لم تسمَّ بذات انواط الاَّ لتعليق الاسلحة والأُزر والاردية عليها) ويدخل بغير رداء (وفي الاصل المطبوع بغير زاد) تعظيماً لها » . اه

٤ً : (نخلة نجران) كان اهل نجران يعبدون نخلة لهم وذلك قبل ان يتنصَّروا . وقد روى العرب في هلاك هذه النخلة وتنصير اهل نجران رواية نقلها ياقوت وقال فيها ما نصهُ « وكان اهل نجران يومئذٍ على دين العرب يعبدون نخلة لهم عظيمة بين اظهرهم ، لها عيدٌ في كل سنة فاذا كان ذلك العيد ، علَّقوا عليها كل ثوب حسن وجدوهُ وحليَّ النساء » ثم ذكر كيف تنصَّروا

٥ً : (مَنَاة) وكانت صخرة . قال الازرقيُّ : ان عمرو بن لحيّ نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قُدَيداً وهي التي كانت للأَزْد وغسَّان(١) يحجّونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وافاضوا من عرفات وفرغوا من منىً لم يحلقوا الاَّ عند مناة . وكانوا يهلُّون لها . ومن اهلَّ لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليها « نهيك مجاود الريح . ومطعم الطير » . وكان هذا الحيّ من الانصار يهلّون بمناة . وكانوا اذا اهلُّوا بحجٍ او عمرة لم يظلَّ احداً منهم سقف بيت حتى يفرغ من حجّهِ او عمرتهِ . وكان الرجل اذا أَحرم لم يدخل بيتهُ . وان كانت لهُ فيهِ حاجة تسوَّر من ظهر بيتهِ . لان لا يُجِنّ رتاج الباب رأسهُ . فلما جاء الله بالاسلام وهدم امر الجاهلية انزل الله تعالى في ذلك : « وليس البرّ بان تأتوا البيوت من ظهورها . ولكن البرّ من اتقى . » قال : وكانت مناة للاوس والخزرج وغسَّان من الازد ومن دان بدينهم من اهل يثرب واهل الشام . وكانت على ساحل البحر من ناحية المُشَلَّل بقُدَيْدٍ . وحدثني جدّي عن سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج قال : اخبرني محمد بن السائب الكلبيّ قال : كانت مناة صخرة لهُذَيل وكانت بقُدَيد

٦ً : (اللاَّت) قال ابن الكلبيّ : ان رجلاً ممن مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع

(١) كانت غسان قبل ان تحتلَّ ديار الشام تعبد الاصنام وكان فيها قومٌ قد تهوَّدوا وقوم قد تنصروا . ولم يكونوا كلهم نصارى كما زعم بعضهم . وكلٌّ من حاول اثبات هذا الزعم تشبث بحبال القمر

السمن من الحاجّ اذا مرّوا ، فيلتّ سويقهم وكان ذا غنم فسميت « صخرة اللاّت » فمات .
فلما فقدهُ الناس قال لهم عمرو : « ان ربكم كان اللاّت فدخل في جوف الصخرة . انتهى كلامهُ .
بَيْدَ ان العلماء والباحثين اثبتوا ان اللاّت تصحيف الإلاهة ويراد بها الشمس . فلعلّ
قدماء العرب اهدوا تلك الصخرة للشمس واوقفوها لعبادتها . ثم اختلق الخَلَف تلك الحكاية
لمناسبة بين اللفظ والاشتقاق . وقد فعل العرب مثل ذلك كثيراً

٧ : (العزّى) قال ابن الكلبي : وكانت العُزّى ثلاث شجرات سَمُرَاتٍ بنخلة . وكان
اوّل مَن دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب . وقال لهم عمرو : إنّ ربكم يتصيَّف
باللاّت لبرد الطائف ويُشتّي بالعُزّى لحرّ تهامة . وكان في كلّ واحدة شيطان يُعْبَد . انتهى .
وكلام ابن الكلبي على العزى طويل لا محلّ لايراده هنا

٨ : (سعْد) صنم كان بساحل جدة وهو صخرة طويلة

٩ : (الانصاب) جمع نُصْب بضم فسكون . وهي حجارة كانوا ينصبونها يذبحون عليها
للاصنام . وكان الرجل اذا سافر فنزل منزلاً اخذ اربعة احجار فنظر الى احسنها فاتخذهُ ربًّا
وجعل الثلاثة اثافيّ لقدره . واذا ارتحل غادرهُ . فاذا نزل منزلاً آخر فعل مثل ذلك .
فكانوا ينحرون ويذبحون عند كلها ويتقربون اليها

١٠ : (ذو الخَلَصة) قال ابو المنذر ومن اصنام العرب « ذو الخَلَصة » وكانت مَرْوَةً
بيضاء (اي حجراً ابيض من جنس الحجارة الرقيقة البرّاقة) منقوشة عليها كهيئة التاج .
وكانت بتبالة بين مكة واليمن على مسير سبع ليالٍ من مكة . وكان سدنتها بني امامة من
باهلة بن أعْصَر . وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون
العرب ومن هوازن . اﻫ

على ان بعض العرب عبدوا الجبال او شيئاً منتصباً في الجبل ومن ذلك

١١ : (الفلس) وقد اختلف في ضبطهِ فمنهم من ضبطهُ بفتح وسكون كسقف . ومنهم
من صحّحهُ وقال بضمتين كعنق . قال ابن حبيب : الفُلُس (وزان عنقق) اسم صنم كان
بنجد تعبدهُ طيء . وكان قريباً من فَيْد . وكان سدنتهُ بني بولان . وقيل : الفُلُس :
أنفٌ احمر في وسط أجإٍ (اسم جبل) واجأٌ أسوَد . اﻫ

ولو اردنا ان نأتي على ذكر كل ما عبدوهُ من موجودات الكون من جماد ونبات فهذا
يطول . وانما اجتزأنا بما اوردناهُ اطلاعاً للقراء ان العرب في عهد جاهليتهم عبدوا هذه

المخلوقات وكانت الدكاكير معروفة عندهم . وكل من كتب عن اديان العرب من اقدمين ومحدثين لم يتعرضوا بنوع خاص لهذا الباب او لم يلجوهُ الاَّ عرضاً . فاحببنا ان نرصد لهُ هذه النبذة قياماً بالواجب . وسوف نبين في فرصة اخرى انهم عبدوا بعض الحيوانات ايضاً دحضاً لمن انكر ذلك من كتَّاب هذا العصر ولمن قال بالخلاف من اهل العصور السابقة والله ولي التيسير والتوفيق امكح

امارات الوحشية

في حيواناتنا الداجنة

اهتدى الانسان منذ ازمان بعيدة الى ادجان بعض الحيوانات وهو يستخدمها الآن لاغراض شتى : للحمل والجر وللطعم والملبس . فنحن نستخدم الفرس والحمار للحمل ونستخدم الثور في جر المحراث او غيره من الاثقال ونأكل لحمهُ ولحوم الخراف والمعز ونستعمل اصوافها في ملابسنا

واذا نحن نظرنا الى هذه الحيوانات من الوجهة البيولوجية وجدنا في اخلاقها وفي خلقتها دلائل الوحشية القديمة كما نلحظ ايضاً الاسباب التي جعلت الانسان يختارها ويدجنها دون غيرها من الحيوانات

فاول ما يلحظهُ الانسان في هذه الحيوانات انها كلها اجتماعية — اي انها تعيش مجتمعة اسراباً . فالخيل والحمير والثيران والخراف والمعز والفيلة والكلاب كانت تعيش عيشة اجتماعية وهذا ما يسَّر للانسان تذليلها وسهَّل عليها عشرتهُ . لان الحيوان الاجتماعي يختلف عن الحيوان الانفرادي — مثل الاسد والضبع — بقدرتهِ على التفاهم مع اخوانهِ وادراكهِ لحقوق الغير والطاعة لرئيسهِ عند اللزوم والنظر الى مصلحة السرب او القطيع العامة . وهذا ليس في الحيوان الانفرادي كالنمر والاسد والضبع فانها لانفرادها في معيشتها لا تعرف كيف تعامل افراد نوعها . فاذا تقابل اسدان اعتركا في الحال وقتل احدهما الآخر

والانسان لم يدجن الاسد والضبع والنمر ونحوها من الحيوانات الانفرادية اي التي تعيش منفردة او لم يستطع ادجانها لانها لا تدرك معنى الاجتماع وطرق المعاملة وحقوق الغير

كما يدركها الحيوان الاجتماعي كالفرس . فالفرس ينظر الى الانسان مثلما ينظر الى فرس آخر فهو يعرف من حياته الاجتماعية القديمة انهُ لا يحسن بهِ عض اخوانهِ او رفسها او الاعتداء على طعامها او عصيان امر رئيسهِ . والانسان يستفيد من هذه الاخلاق فيذللهُ ويركبهُ

والفرس حيوان سهول ويظهر انهُ نشأ في جزيرة العرب او في ارض تماثلها في قلة خصبها وانبساط ارضها . لانهُ اذا اكل احتف ما امامهُ احتفافاً كأنهُ معتاد رعي النباتات والجذور الضئيلة ولا يخرج لسانهُ ويجز العشب جزًّا كما تفعل البقرة لان البقر كانت تعيش قديماً في الغابات فكانت تلتقط غذاءها بلسانها من اوراق الاشجار الكثيفة . ولذلك تجد فلاحنا يربط الخيول والحمير وراء البقر والجواميس . فاذا رعت البقرة جانباً من المرعى ربط فيهِ الفرس فيحتف ما يبقى فيهِ

ولا شك في ان سرعة الخيل كانت سلاحها الاكبر امام اعدائها. ولو كان الفرس حيوان غابات لما اعتاد هذه السرعة في الجري وهذا يدل على انهُ كان يعيش في السهول. ولا شك ايضاً في ان الذئاب كانت العامل الاكبر في ايجاد هذه المزية فيهِ لانها تكاد تكون العدو الوحيد لهُ في مواطنهِ . فكانت دائماً تطاردهُ وتفترس كل بطيء يتأخر عن اللحاق بالقطيع فلا يبقى ويتوالد الاَّ السريع . فالذئب سبب سرعة الخيل

ثم ان ضرع الفرس صغير مع ان ولدها يحتاج الى كمية من اللبن توازي الكمية التي يرضعها العجل من امهِ او اكثر منها . والسبب في ذلك ان المهر لا يرضع الاَّ قليلاً في مواعيد متقاربة وذلك اولاً لانهُ يلازم امهُ دائماً ولا يفارقها وثانياً لكي لا يملأ بطنهُ فيبقى خفيفاً قادراً على اللحاق بامهِ وقت هجوم العدو عليها . والحال على عكس ذلك في البقرة فانها تخفي ولدها في خميلة او دغل بعد ان تشبعهُ وتسرح النهار كلهُ بعيداً عنهُ . وعند رجوعها يكون قد اشتد عليهِ الجوع فيحتاج الى لبن كثير . وهذا كان السبب في كبر ضرع البقرة الذي استفاد منهُ الانسان

واذا قارنتَ بين حوافر الفرس واظلاف الثور وجدت ان اظلاف الثور مشقوقة . والسبب في ذلك ان الثور كان يعيش في الغابات حيث الوحل والتراب الندي . فبقيت قدمهُ مشقوقة لكي تتسع حينما يقف عليها ثم تضيق حينما يرفعها فيسهل عليهِ نزعها من الوحل. ولو كانت مثل حافر الفرس لالتصقت بالوحل وعاقتهُ عن الجري . فحافر الفرس مصنوع للرمال الجافة واظلاف الثور للتراب الرطب او للوحل الذي يكون عادة في الغابات

والحمار يماثل الفرس في تركيبهِ وهما قريبان بيولوجيًّا ولهذا يمكن المزاوجة بينهما غير ان نسلهما يكون في الغالب عاقراً . واهم ما يستغربهُ الانسان في الحمير كراهتها للسير في الماء . وقد فسر احدهم ذلك بان الحمير نشأت في البلاد التي يكثر التمساح في انهارها . فكراهة الحمار للماء آتية اليهِ من هذه الذكرى فهو ابداً يرى بغريزتهِ شبح عدوهِ في الماء

وسلاح الثور قرناهُ وقوتهما على النطاح . وقد استثمر الانسان هذه الخاصية واستعملهُ للجر لان الجر والنطاح من قبيل واحد . فالثور وهو حامل نير المحراث يفعل ما يفعلهُ مع اعدائهِ عند العراك . ولهذا السبب نظن اننا نخطئ في وضع النير على رقبتهِ وكان الاولى ان نقرنهُ برأسهِ كما يفعل الفلاحون الالمان فان قوة الثور في رأسهِ عند قرنيهِ وجميع عضلات رقبتهِ معدة لتقوية رأسهِ

ومما يلاحظ ان الثور يكره اللون الاحمر ويهتاج عند رؤيتهِ . والسبب في ذلك على ما يرجح الباحثون هو توهمهُ وجود الدم . فانهُ من الملاحظ ان الجواميس الوحشية اذا رأت جاموساً مجروحاً بينها تثخنهُ نطاحاً حتى تقتلهُ او تبعدهُ عنها . وقد يظهر ان هذا العمل فظيع ولكن يرجح ان الغرض منهُ هو ابعاد الثور المجروح لكي لا يبقى الوحش الذي جرحهُ متابعاً لهُ في سيرهِ . فالقطيع يطردهُ ويبعدهُ عنهُ لكي يبعد عنهُ الوحش الذي يتأثرهُ . كأن الجواميس تقول للوحش « خذهُ واتركنا » اي ان الانتخاب الطبيعي قد جعل هذه الحيوانات تطرد الجريح عنها لفائدة المجموع

والكلب من الحيوانات التي ادجنها الانسان قديماً — وهو ذئب بخَلْقهِ وخُلقهِ ولذلك تنجح المزاوجة بينهما دائماً ولا يكون نسلهما عاقراً كالبغل . ومعنى ذلك ان قرابة الذئب والكلب اشد من قرابة الفرس والحمار . واذا نظرت الى الكلاب وهي تتعارك او تتهارش رأيت ان الكلب يعامل اخوانهُ الكلاب مثلما يعامل الانسان فقوانين القطيع الاجتماعية — (لأن الكلاب كانت تعيش قطعاناً) — هي نفس القوانين التي يراعيها الكلب عند معاملتهِ لصاحبهِ . فانهُ ينظر اليهِ كأنهُ كلب كبير شديد الحيلة يمشي على رجليهِ وينظر الى اهل البيت الذي يسكنهُ كأنهم افراد قطيع واحد ولذلك يدافع عن اصحابهِ ويدفع اعداءهم كأنهم اعداؤهُ ويقاتلهم الى حد الموت

ولغة الكلب من ابين لغات الحيوانات . فهو يوقوق عند الخوف ويضغو عند الجوع ويهرّ عند ابتداء القتال وينبح اذا اراد ان ينادي اخوانهُ . ولا شك ان هذه الاصوات

كانت تفيدهُ قديمًا لانهُ لضعفهِ كان لا يصيد الاَّ مجتمعًا . فهذه الاصوات تدل سائر القطيع على مراد الكلب المصوّت

وللكلب حركات لا تقل عن الاصوات في الدلالة على ما في نفسهِ . فهو اذا اذعن واقر بذنبهِ واستصفح استلقى على ظهرهِ وارخى ساقيهِ وصمت . يفعل ذلك امام صاحبهِ اذا لوَّح امامهُ بالعصا كما يفعلهُ امام كلب كبير اذا رأى الشر في عينيهِ . وذنب الكلب آلة تفاهم بينهُ وبين اخوانهِ . فهو يبصبص بهِ عند التذلل والطلب ويرفعهُ عند الغضب . واذا جرى جذبهُ الى ما بين ساقيهِ . قيل والغرض من ذلك ان لا يمسكهُ بهِ عدو يتأثرهُ . فهذه الاصوات والحركات تدل دلالة واضحة على ان الكلب كان اجتماعيًّا لانهُ لا فائدة منها للحيوان انفرادي لا يحتاج الى اخوانهِ ولا تحتاج هي اليهِ

والحيوان الانفرادي الوحيد الذي يعيش مع الانسان هو القط . ولا يخفى ان القط ليس حيوانًا انيسًا . وغاية ما يفعل انهُ يأوي الى بيوتنا كما تأوي اليهِ الفيران والعصافير . ويمتاز عنها بقلة خوفهِ . فهو لا يصاحب احدًا واذا انتقل سكان البيت الذي يسكنهُ لم يذهب معهم بل بقي فيهِ واذا رأى صاحبهُ يتشاجر مع غيرهِ بقي هادئًا لا يتحرك لمساعدتهِ . واذا رأى قطين يتعاركان تركهما . وذلك لانهُ انفرادي بطبعهِ لا يفهم اصطلاحات الاجتماع وآدابهُ كالكلب . وقد رأينا في الملاعب من يعلّم الخيل والحمير والكلاب والمعز العابًا شتى ولكننا لم نرَ احدًا افلح في تعليم قط لعبة ما . وذلك لان القط لا يفهم اصول المعاملة من طاعة وجزاء ومكافأة واشتراك وغير ذلك مما تفهمهُ الحيوانات الاجتماعية . لان ذلك من مقتضيات الاجتماع والتعليم

ولون القط يدل على انهُ كان حيوان غابات لانهُ يماثل ظل اوراق الاشجار على الارض . فكان يحتمي وهو وحش بهذه الالوان ويختفي بواسطتها عن اعين اعدائهِ وفرائسهِ . ويظهر لنا ان الالوان الزاهية او البيضاء او السوداء البهية التي ترى في القطط احيانًا حديثة العهد اي انها حدثت فيها بعد اقامتها في البيوت بين الناس وعدم احتياجها الى الاحتماء باللون

ومما يلاحظ ان صغار القطط وهي في وكناتها تفحّ كالثعبان . واكثر صغار الطيور تفعل ذلك ايضًا وهي في عشاشها . وغرضها من ذلك في ما يظن هو طرد العدو بايهامهِ ان في الوكنة او العش ثعبانًا سامًّا لان الثعابين اعداء الداء لاكثر الطيور والحيوانات اللبونة ولذلك فان هذه تخافها طبعًا غريزةً من غير تعلّم . وتقليد فراخ الطيور والقطط للثعابين يعتبر من العوامل البقائية المهمة في حياتها

والخروف آنس الحيوانات . ولو باد الانسان من الارض فجأة لما عاشت الخراف بعده أسبوعين. لان الخروف اصبح اعزل لا يحسن شيئاً من اصول القتال ومبادئهِ . فاذا ارتفعت عنهُ حماية الانسان ورعايتهُ لم تبقِ عليهِ الحيوانات المفترسة ولم يستطع مقاومتها . وقد يمكن ان يعود الفرس والكلب والثور والقط الى الوحشية التامة وتكافح الوحوش الضارية ولكننا لا نظن انهُ يمكن للخروف ان يفعل ذلك

الخروف حيوان اجتماعي محض . ومما يلاحظ فيهِ انهُ في عدوهِ يقتفي اثر سابقهِ بالضبط ولا يحيد قيد شبر عنهُ . مثال ذلك انهُ قد يقفز خروف فوق قناة فترى ان بقية خرفان القطيع تفعل فعلهُ بالضبط من غير روية او تمهُّل . وهذا ليس بالامر الهين كما يظهر لاول وهلة فاذا اجتمع مئة رجل وارادوا ان يقفزوا فوق قناة لم يستطيعوا ذلك الاَّ بعد ان يفكر كلٌّ منهم و يقيس بعقلهِ المسافة التي يجب ان تقفز ودرجة التحفز الذي يجب ان يهيأ قبل القفز . ولكن الخراف تقفز بداهة بغير روية . والسبب في ذلك على ما نظن هو حاجتها قديماً الى تقدير الاشياء التي من هذا القبيل بداهة وسريعاً لان الخروف حيوان جبلي بدليل وجود ابناء اعمامهِ المتوحشة الآن في الجبال — فهو محتاج في جريهِ الى تتبع قائدهِ بسرعة وخفة حتى لا يدركهُ العدو المطارد

والخنزير من الحيوانات التي اصبحت في يد الانسان آلة ميكانيكية او معملاً كيماويًّا لتحويل المادة النباتية الى مادة حيوانية فانهُ سرعان ما تصل الاعشاب الى كرشهِ حتى تتحول شحماً ولحماً

والسبب في ذلك ان الخنزير كان يسكن قديماً الاقاليم الباردة حيث يتجرد وجه الارض من النباتات وقت الشتاء . ودليل ذلك ان الدب — ابن عم الخنزير — من سكان تلك الاقاليم الى الآن فكان الخنزير ينزوي وقت الشتاء فيقضي نحو خمسة اشهر او ستة بغير طعام . ولهذا السبب نشأت فيهِ تلك الشراهة الخارقة التي تبعثهُ دائماً للتفتيش والتنقيب عن الطعام لانهُ كان يضطر الى اختزان كمية كبيرة من الشحم في جسمهِ ليتغذى بها وقت الشتاء على نحو ما يفعل النحل من اختزان العسل . والعسل والشحم مادة واحدة اذا اعتبرناهما كيماويًّا او يكادان يكونان كذلك . والفرق بينهما ان النحل يخزن عسلهُ في بيوت معدَّة لذلك حتى اذا جاء الشتاء اكلهُ اما الخنزير فيخزن شحمهُ في جسمهِ

ومن الحيوانات التي ذلَّلها الانسان واستولدها للذبح المعز . واهم ما نلاحظهُ فيها خفتها في الحركة وقدرتها العجيبة على المشي على الحافات الضيقة او المستدقة . فانك قد ترى احياناً

عنزاين تروحان وتغدوان تمرحان وتتواثبان على حائط عالٍ لا يزيد سمكهُ على ربع متر او اقل. قيل والسبب في ذلك ان المعز كانت تعيش قديمًا على قمم الجبال وتحتاج الى الوثوب والالتجاء الى القمم المستدقة لامتناعها على الحيوانات المفترسة . ومصداق ذلك ان الوعل والايَّل يفعلان ذلك الآن وهما من جنس المعز ويمثلان الآن عيشتها الوحشية القديمة . وكثيرون من اصحاب الملاعب يستفيدون من هذه الخاصية في الماعز ويدربونهُ على المشي على الحافات الدقيقة مما يدهش لغرابتهِ المشاهدون

والجمل من الحيوانات التي يظهر في خَلقها وخُلقها تأثير الوسط الذي عاشت فيهِ قديمًا . فهو حيوان صحارى ورمال قليلة المراعي والمياه . يمشي على خف لا يليق لغير الرمال الجافة . ومن ينظر الى جمل يمشي في شوارعنا الموحلة او المرشوشة يشعر ان الخف صنع للرمال . والجمل مشهور بصبرهِ على العطش وقدرتهِ على اختزان ما يكفيهِ من المياه مدة طويلة . وهو صبور على الجوع ايضاً لان في سنامهِ كمية وافرة من الغذاء يتقوَّت بها عند قلة الطعام . فهو من هذه الوجهة مثل الخنزير غير انهُ لا يفرّق شحمهُ مثلهُ على جميع اعضائهِ بل يجمعهُ في اعلى ظهرهِ . وهذه كلها خصائص توافق الصحارى التي كان يعيش فيها

ومن اراد ان يلمح لمحة من حياة الجمل الوحشية فلينظر اليهِ وهو يأكل الحسك والاشواك . فان شغفهُ الشديد بها يدل على تأصُّل ذوقهِ لهذه النباتات الصحراوية . فان الصحارى لا تنبت لقحل ارضها وقلة الغيث فيها غير هذه الاشواك . وقد كانت الجمال قديمًا تفتش عنها وتغتذي بها . وما زال فلاحنا للآن اذا شعر بضعف شهوة الجمل في اكل البرسيم او الفول — وهما من الاطايب لمثل هذا الاعرابي الجلف — يأخذهُ الى حيث يجد هذه الاشواك فيرد اليهِ شهوة الاكل بها

والفيل اكبر الحيوانات التي ذلَّلها الانسان . ولو لم يكن اجتماعيًا في حياتهِ الوحشية لما استطعنا تذليلهُ . فان الاسد اضعف منهُ قوة ولكننا لم نتمكن من تذليلهِ وذلك لانهُ لا يعرف طرق المعاملة مثل الحيوانات الاجتماعية ولا يعرف معنى العقاب والطاعة والمكافأة ويشعر اذا قربنا منهُ بالعداء وشهوة الافتراس . اما الفيل فينظر الينا كما ينظر الى اخوانهِ الفيلة فيعرف ما لهُ وما عليهِ ويميز بين العقاب الخفيف عند الخطإ الطفيف والعقاب الشديد عند الخطإ الكبير

والقرد من الحيوانات الاجتماعية وقد آلفهُ الانسان ولكنهُ لم يستخدمهُ لضعفهِ . وقد جعل الاميركيون يستخدمون الاورانج الآن في رعاية الغنم

سلامه موسى

مضادات الفساد في الاطعمة

لا يخفى ان بعض الاطعمة لا يبقى سليماً من يوم الى آخر او من سنة الى اخرى ما لم يعالج بمادة تقيهِ من الفساد. وقد اطَّلعنا على خطبة في هذا الموضوع للدكتور لونغ القاها في مجمع الهيجيين العام الذي عقد في مدينة وشنطون في شهر سبتمبر الماضي فاقتطفنا منها ما يلي

من المواد ما يمنع فساد الاطعمة اذ يمنع الميكروبات وجراثيم الاختمار من النمو فيها ومنها ما يستعمل لحفظ مزية مخصوصة في مواد الطعام ككبريتات النحاس (الشب الازرق) الذي يستعمل لحفظ الخضر خضراء

وقد حكم على بعض المواد انها غير صالحة لحفظ الاطعمة لان استعمالها حيلة صناعية وهذا السبب لا يكفي للحكم بابطال شيءٍ ولا يعتدُّ بهِ اهل العلم. اما الحكم على جواز استعمال مادة من هذه المواد او عدم جوازهِ فيجب ان يبنى على ما لها من التأثير في الجسم. وهاك شرحاً موجزاً عن اهم المواد المستعملة لحفظ الاطعمة

بنزوات الصودا

لقد بحث العلماء بحثاً دقيقاً في فعل بنزوات الصودا ومركبات الحامض البنزويك بنوع عام فاجازوا اعطاء الجرعات الكبيرة من البنزوات في بعض الامراض. وعرفوا فائدة البنزوات في السل الرئوي والروماتزم والدفتيريا منذ ثلاثين سنة واثبت بعض الاطباء انهُ يمكن ان يعطى المريض من ٥ غرامات الى ٢٥ غراماً منها كل يوم. ومن ذلك يتضح ان قوة التسميم في البنزوات ضعيفة جدًّا وانها لا تضر اكثر مما يضر ملح الطعام

ولما كان بنزوات الصودا يعدُّ من الادوية الكثيرة النفع لم تكن مسأَلة استعمالهِ لوقاية الطعام من الفساد قد عُرضت على بساط البحث وكان البحث متجهاً الى تحقيق مقدار البنزوات الذي يمكن للانسان ان يتناولهُ بدون ضرر. وتعيين هذا المقدار هو المسأَلة التي نتوخى حلّها الآن

عُرف من اول الامر انهُ اذا كان الحامض البنزويك بكميات لا يترتب عليها ضرر اتحد مع الغليسين الذي في الجسم وتكوَّن منها الحامض الهيبوريك. وسنة ١٨٩٨ اثبت ويبر بتجاربهِ ان الجرعات التي تعطى للارنب بنسبة ١٫٧ الغرام لكل كيلو غرام من ثقلها تميتها عادة اما الجرعات التي دون ذلك فتتحد مع غيرها من المواد ولا تضر بها. وكان يظن ان اكبر كمية من الحامض الهيبوريك يقدر الجسم ان يكوّنها هي غرام واحد لكل كيلو غرام

من وزنهِ اي ان الجسم لا يحتمل من الحامض البنزويك الاَّ ما يكفي لتركيب غرام واحد من الحامض الهيبوريك مقابل كل كيلو غرام من وزنهِ. واستنتج من ذلك ان الحامض البنزويك يجب ان لا يزيد على ٠٫٧٨٢١ الى ٠٫٨٣٤٥ من الغرام مقابل كل كيلو غرام من ثقل الجسم اي ان في كل كيلو غرام من جسم الحيوان من ٠٫٣٤٩٦ الى ٠٫٣٢٧٦ من الغرام من الغليسين . وظهر لهُ انهُ اذا زاد الحامض البنزويك الذي يتناولهُ الحيوان على هذا القدر ظهر في البول اي انهُ لم يتحد مع غيرهِ في الجسم . فالانسان الذي ثقلهُ ثمانون كيلو غراماً يستطيع ان يتناول نحو ستة غرامات من الحامض البنزويك من غير ضرر

وتمت هذه الابحاث كلها لما كان الغليسين يحسب من اهم المواد التي يتحول اليها البروتين عند هضمهِ وقبل ان يعرف شيءٌ مهم عن مقدار الحوامض الامونية في دقائق البروتين . وظهر بعد ذلك ان الغليسين في المواد البروتينية التي يا كلها الانسان لا يقل عن ٤ في المئة من وزنها وان ما يتكون في الجسم من الحامض الهيبوريك يقتضي اكثر من ذلك . فظُن اولاً ان الجسم يخزن شيئاً من الغليسين الى حين الحاجة الاَّ ان هذا القول لم يلبث ان بطل . ثم تبيّن انهُ اذا زاد الحامض البنزويك الداخل الى جسم الحيوان زاد تحوُّل البروتين فيهِ وكثر خروج هذا الحامض في البول من دون ان يتحد مع غيرهِ ويتحول الى حامض هيبوريك

وجرب لونسكي فعل المقادير الكبيرة من الحامض البنزويك في جسم الانسان . من ذلك انهُ اعطى رجلاً ثقلهُ ٥٩ كيلو غراماً ١٢ غراماً في ١٢ ساعة فخرجت كلها في مفرزاتهِ مركبة مع غيرها ولم يظهر تغير في المواد التي يتألف منها بولهُ . واذا قسم هذا المقدار من الحامض على ثقل الجسم اصاب كل كيلو غرام منهُ ⅕ الغرام من الحامض وهذا اقل مما جُرب فعلهُ في الحيوان في كثير من التجارب ويقتضي لهُ ٧٫٣٨ الغرام من الغليسين ليتحد معهُ اي يلزم لهُ الغليسين الذي يكون في ٢٠٠ غرام من المواد البروتينية المختلفة . ويحتمل ان لا يكون ذلك الرجل تناول هذا المقدار من البروتين او انهُ تناولهُ ولم يهضمهُ كلهُ

واطعم رجلاً آخر ثقلهُ ٦٧ كيلو غراماً ٢٠ غراماً من الحامض البنزويك في ١٢ ساعة فكانت النتيجة مثل نتيجة التجربة الاولى . وبعد ذلك بمدة تناول هذا الرجل ٢٥ غراماً فلم تتحد كلها مع غيرها اذ استخلص منها ١٫٦٥ الغرام من بولهِ . ولما زاد ما تناولهُ الى ٤٠ غراماً زاد ما ظهر في بولهِ من الحامض واصيب بغثيان ووجع في رأسهِ . وكانت عوارض الغثيان ووجع الرأس اخف عند ما كان يأكل اطعمة فيها بروتين كثير . وعليهِ فاذا زاد

البروتين في الطعام امكن زيادة الحامض البنزويك ايضاً من دون ان ينشأ عن ذلك ضرر . وقد تناول رجل ٥٠ غراماً ولم يضر الاَّ انهُ ظهر في بوله ٨ غرامات من الحامض البنزويك

فهذه التجارب كلها تدل على ان جسم الانسان والحيوان يركب الحامض البنزويك مع مواد اخرى فيبطل ضرره ُ وان المقدار الذي يمكنهُ ان يتصرف بهِ على هذه الطريقة يقتضي من الغليسين اكثر مما تحتوي عليهِ المواد البروتينية التي يتناولها عادة

اما الكمية التي يحتمل دخولها الى الجسم يوميًّا من كل الاطعمة المعالجة ببنزوات الصودا والتي يتناولها بحثنا فاقل من نصف غرام في الاطعمة الجامدة العادية واقل من غرام واحد اذا تناول بعض المشروبات التي تعالج بالبنزوات . وقد نكون مبالغين في تقديرنا هذا لان اكثر انواع الاطعمة لا يدخلها البنزوات او يدخلها بمقادير صغيرة جدًّا . فلننظر اذن في ما يدخل الجسم عادة من الحامض البنزويك ونبحث عن تأثيرهِ الفسيولوجي

اهم الامور التي يوجه ُ النظر اليها واعلقها بحل المسأَلة ثلاثة الاول ما يجري للحامض البنزويك في الجسم والثاني تأْثيره ُ في خمائر الهضم والثالث تأْثيره ُ في الصحة عمومًا وفي تحوُّل المواد في الجسم

اما الامر الاول فلدينا من الحقائق ما يجلوه ُ . فالمقادير الصغيرة من الحامض البنزويك تتحد تمامًا بالغليسين ويقتضي لكل ٥٠٠ مليغرام من الحامض البنزويك ٣٠٧,٥ المليغرام من الغليسين وهذا المقدار يتولّد في الجسم من المواد البروتينية بل يتولّد اكثر منهُ . اما الاطفال والضعفاء فيبعد ان يتناولوا مثل هذا المقدار من النزوات ولا شك ان في اجسامهم من الغليسين ما يكفي للاتحاد بهِ

واذا لم يدخل الجسم حامض بنزويك تأكسد اكثر الغليسين وتكوّن منهُ بول ومواد اخرى واذا دخلهُ الحامض البنزويك اتحد الغليسين بهِ وتكوّن من اتحادهما الحامض الهيبوريك . وقد خاف كثيرون من اجهاد الكليتين في تركيب الحامض الهيبوريك ولا وجه لهذا الخوف والذين يقولون بهِ ينسون ان الجسم يركب هذا الحامض دائمًا

نأْتي الآن الى الامر الثاني اي تأْثير الحامض البنزويك في خمائر الهضم . قد دقق في البحث عن تأْثير هذا الحامض في الدياستاس (وهو الخمير الذي يحول النشا الى سكر) والبنكرياتين والببسين والرنين (خمير الجبن) والليباس (نوع من الخمير في عصير البنكرياس) وجربت ُانا تجارب عديدة دلّت كلها على ان ما يتناوله ُ الانسان عادة من الحامض البنزويك مع طعامهِ لا يؤَثر في عمل الهضم او يؤَثر فيهِ تأْثيراً خفيفاً لا يعتدُّ بهِ اما اذا زاد مقداره ُ او

كان من النوع القوي فلا شك في انهُ يعيق عمل الهضم · والمقادير العادية منهُ تزيد هضم النشا زيادة بينة

وكثيراً ما يضيف الاطباء بنزوات الصودا الى اللبن الذي يطعمونهُ للاطفال · ويرى امبرغ وليفنهارت ان ½ في المئة من بنزوات الصودا لا يؤثر في عمل اللبياس

اما الامر الثالث اي تأثير الحامض البنزويك في الصحة عموماً وفي تحوّل المواد في الجسم فاهم امر في كلامنا · وقد لوحظ عند ما كان هذا الحامض كثير الاستعمال في الادوية (اي من سنة ١٨٧٥ حتى سنة ١٨٨٠) ان كثرتهُ تسبب زيادة في خروج النيتروجين وظن ان ذلك نتيجة انحلال البروتين في الجسم · واستنتج سلكوسكي من تجاربهِ في الكلاب ان كثرتهُ تلحق بجسم الانسان خسارة كبيرة · الاَّ ان مقادير البنزوات التي اطعمها للكلاب كانت تبلغ ⅓ الغرام لكل كيلو غرام من وزنها ولو تناولهُ الانسان على هذه النسبة لبلغ ما يتناولهُ الرجل الذي يزن ٥٠ كيلو غراماً ١٧ غراماً وما يتناولهُ الذي يزن ٧٥ كيلو غراماً ٢٥ غراماً · وقد توصَّل غيرهُ من الفسيولوجيين الى ما يقرب من هذه النتيجة الاَّ ان الاطباء لم يروا اثراً لهذه الخسارة التي اشار اليها · ولا حاجة بي الى الاتيان على كل ما قيل في هذا الموضوع

الاَّ ان تلك الاقوال القديمة ابقت في العقول تأثيراً لم يزُل منها حتى الآن ولا يزال البعض يعتقدون ان بنزوات الصودا يسبب انحلال المواد البروتينية في الجسم وانهُ قد يحل انسجة الجسم نفسها وفي ذلك ضرر كبير كما لا يخفى · ويعتقدون ايضاً انهُ يفعل ذلك سواء كثرت كميتهُ او قلت · وقد ثبت لي بتجارب عديدة ان ما يدخل الجسم من البنزوات في الطعام عادة لا يزيد تحوُّل البروتين فلا ضرر منهُ من هذا القبيل

املاح النحاس

قام في عقول الناس منذ زمن بعيد ان املاح النحاس سامة · وفي كتابات الاطباء شيء كثير عن التسمّم بالزنجار ومركبات النحاس الاخرى · وقد اظهرت الابحاث الحديثة ان ما ينسبونهُ الى هذه المواد من التسميم والمضار مبالغ فيهِ كثيراً · ومما يزيد البحث اهمية ان كبريتات النحاس وبعض املاحهِ الاخرى شاع استعمالها كثيراً في تحضير الثمار التي توضع في العلب لانها تكسبها لوناً اخضر ثابتاً · واول ما بدأ ذلك في فرنسا · وهذه الاملاح تكسب الثمار اخضراراً اذ يتركب من نحاسها ومن بعض المواد التي تتولّد من الكلوروفل مادة خضراء ثابتة اللون

واثارت هذه المسألة مباحثات ومجادلات كثيرة في فرنسا والمانيا وبلجيكا فكان البعض يقولون بضرر هذه المواد والبعض يخالفونهم . وندبت الحكومة الفرنسوية بضع لجان للبحث فيها فذهبت بعض اللجان الى ان مركبات النحاس مضرة في الطعام لكن الرأي الغالب الآن هو انها لا تضر اذا كانت فيهِ بمقادير صغيرة . واكثر حكومات اوربا لا تعارض في معالجة الاطعمة بمقادير صغيرة منها

وما من احد يشك في ضرر الكميات الكبيرة من املاح النحاس اذ ترافق تناولها اعراض التسمم فينشأ عنها غثيان وقيء واسهال واذا امتص الجسم شيئًا منها اصابهُ آفات في الكبد والطحال والكليتين وغيرها من اعضاء الجسم . ولكن ذلك لا يدخل في بحثنا الآن فليس من شأننا ان نبحث الا في فعل المقادير التي من ١٥ مليغرامًا الى ٢٠ فاكثر قليلاً اذ لا يحتمل ان يتناول الانسان في طعامهِ اكثر من ذلك يوميًّا . وما يستعمل من الكبريتات في تلوين البازلا واللوبياء قلما يزيد على غرام واحد لكل كيلوغرام وهذا الغرام لا يعلق بالبازلا او اللوبياء كلهُ فلا يبقى منهُ في الكيلوغرام منها الا من ٢٥ مليغرامًا الى ١٥٠

واكثر التجارب في هذا الباب كانت في فعل كبريتات النحاس وبعض املاحهِ الاخرى التي تذوب في الماء الا ان ذلك لا يكشف عن الحقيقة تمامًا لان اكثر النحاس في البازلا مثلاً يتحد بمادة من الكلوروفل كما تقدم فينشأ منهما مادة تختلف عن الاملاح العادية في ذوبانها وعدم قابليتها للانحلال

وقد ثبت لي بتجارب كثيرة في هذه المادة المركبة من النحاس وبعض متولّدات الكلوروفل انها لا تأتي بتأثير فسيولوجي ما دام مقدارها اقل من ١٢ الى ١٥ مليغرامًا كل يوم وقلّ ان يأكل الانسان من الطعام ما يحتوي على هذا القدر منها . ولا يظهر مع هذا المقدار تأثير في ثقل الجسم وانحلال النيتروجين وتركبهِ مع المواد الاخرى ولا يتغير شيء في الدم ولا تختل نسبة اجزائهِ بعضها الى بعض ولا يصحبهُ غثيان . غير انهُ اذا تناولهُ الانسان في الشاي او القهوة او اللبن او البيرة نشأ عنهُ غثيان واختلال في الهضم وبعض الاحيان تغير قليل في المركبات النيتروجينية وبعض اجزاء الدم

وفي الخضر الخضراء التي تحتوي على مقدار كبير من الكلوروفل يتحد كبريتات النحاس بالكلوروفل فينشأ منها مركب يصعب حلهُ فلا تؤثر فيهِ خمائر الهضم كثيرًا ولذلك يقل ما يمتصهُ الجسم من نحاسهِ . واكثر الكلوروفل في البازلا الخضراء يكون في قشرها فتتكوّن اكثر المركبات النحاسية فيهِ . ولكن الهضم قلما يعمل بهذا القشر فيفرزهُ الجسم ومركبات

النحاس باقية فيهِ . وكبريتيدا الهيدروجين والامونيوم لا يحلان هذا المركب الا ببطء

اما اذا بلغت الخضر وعست فيقل الكلوروفل فيها ولذلك لا يتركب فيها المركب الذي تقدم ذكرهُ فيتحد النحاس بالمواد البروتينية اتحاداً سهل الانحلال فيكون تأثيرهُ حينئذٍ مثل تأثيرهِ اذا كان في املاح النحاس العادية . وقد ثبت لي بالتجربة انهُ يمكن اضافة ٢٥٠ الى ٣٠٠ مليغرام من النحاس الى كل كيلوغرام من البازلا الخضراء البالغة ويرى غيري انهُ يمكن اضافة اكثر من ذلك

واثبت البعض ان لبعض مركبات النحاس الاخرى تأثيراً كبيراً . فقد يتصل النحاس منها او من الخضر التي لم يعتنَ جيداً بتخضيرها الى الكبد واعضاء الجسم الاخرى فينشأ عنهُ اضرار جمة . وقد اظهر تشتندن حدوث هذا الامتصاص بالتجربة . واذ يستحيل ان يُحصر استعمال النحاس في الخضر الرخصة فقط فيحسن منع استعمالهِ في الاطعمة بتاتاً

الحامض الكبريتوس

يستعمل الحامض الكبريتوس في تحضير الاطعمة على وجهين الاول باستعمال اكسيدهِ والثاني باستعمال احد املاحهِ مثل كبريتيت الصودا او بيكبريتيتهِ . وكان استعمالهُ اولاً لوقاية عصير العنب قبل ان يختمر ولوقاية الخمر عند نقلها من دن الى آخر او عند تعبئتها في الزجاج . وقد كثر استعمالهُ الآن لاغراض اخرى كما في تصفية عصير القصب قبل غليهِ لاستخراج السكر وتقديد بعض الثمار التي تيبّس بتعريضها لحر الشمس . وبدئ حديثاً باستعمال كبريتيت الصودا في تحضير بعض الثمار والاطعمة اللحمية التي تحفظ في العلب

ولا بد من قسمة المواد التي تعالج بالحامض الكبريتوس الى قسمين فالقسم الاول منها هو الذي يكثر فيهِ الكربوهيدرات كالسكر والخمر والثمار . فاذا أُضيف الحامض الكبريتوس الى هذه المواد اتحد اكثرهُ بسكرها فنشأ من هذا الاتحاد المركبات الالدهيدية التي يتأكسد منها الكبريتيت تدريجاً واتحد قليل منهُ مع ما فيها من الاملاح الآلية بعد ان يطرد منها بعض حوامضها . والقسم الثاني هو المواد البروتينية والدهنية في اللحوم وكبريتيت الصودا لا يتحد بهما مالم يؤَثر فيهما مؤَثر خارجي فيبقى على حالهِ فضلاً عن ان الدهن يقيهِ من التأكسد السريع . واكثر الباحثين يفرقون بين نوعي الاطعمة ومعظم بحثهم عن جواز استعمال الحامض الكبريتوس او عدمهِ يدور على المواد التي يبقى فيها كبريتيتاً لا التي يتحول فيها الى مركبات كربوهيدراتية

ولا شك في ان كثرتهُ سواء كانت من النوع الواحد او من النوع الآخر مضرة تسم

الجسم . ولكن اطعم لهان كلاباً وقططاً من ٣٧ الى ٦٢ مليغراماً من الاكسيد الكبريتوس (تعادل ١٥٠ الى ٢٥٠ مليغراماً من الكبريتيت) يومياً و بقي يفعل ذلك ٢٠٠ يوم فلم تصب بضرر وهو يعتقد ان هذه المقادير كبيرة جداً بالنسبة الى الكلاب والقطط

والّفت الحكومة الفرنسوية لجاناً للبحث عن تأثير الحامض الكبريتوس اذا كان في الخمر ومنذ نحو سنة اعلنت انهُ يجوز ان يكون في كل لتر من الخمر ٤٥٠ مليغراماً من الاكسيد الكبريتوس وكانت قبل ذلك لا تسمح بزيادتهِ عن ٣٥٠ مليغراماً . الاّ انها اشترطت ان لا يزيد ما لا يتركب منهُ مع المواد الاخرى على ١٠٠ مليغرام في اللتر الواحد . وقد سنت هذا القانون مستندة الى تقارير اللجان التي الفتها لهذا الغرض كما تقدم

اصول التعليم الحديث

الدور العلمي

تقدم القول ان الدور الطبيعي كان فاتحة حياة جديدة ومبادئ جديدة في اوربا فلم تكد تعاليم روسو تشيع حتى قام العلماء من كل صوب يمحصون آراءهُ ويزيدون عليها ويحذفون منها ما لا ينطبق على ما يقتضيهِ زمانهم فنتج عن ذلك تقدُّم علم الطبيعيات والبيولوجيا . وبديهي ان هذين العلمين كشفا القناع عن كثير من المبادىء العلمية ونقضا كثيراً من المبادىء الفاسدة التي تمخضت بها العقول في القرون المتقدمة مما لم يكن راسخاً على مبدإٍ صحيح . ولا بد لنا من القول ايضاً ان الدور السيكولوجي (وعلى الاخص تعاليم بستالوتسي) لم يقصّر في هذا الشأن فانهُ هو ايضاً بث في اوربا حياة جديدة واظهر نور العلم الساطع فطرد منها ظلام القرون الوسطى وخرافات الامم السالفة

ولقد كان لهذا الدور العلمي وجهتان الاولى اعطاء الاهمية للدروس الطبيعية وعلاقتها بالحوادث الطبيعية والثانية ترقي اسلوب التعليم . على ان مبادىء هذا الدور ايضاً لم تُقرَّر الاّ بعد مجادلات وابحاث كثيرة قامت بين ممثليهِ ولا بدَّ لادراك ذلك وفهمهِ من مراجعة تلك الابحاث والمجادلات

ابتدأت حركة هذا الدور في النصف الاول من القرن التاسع عشر في انكلترا وكان رافع علمها جورج كومب (١٧٨٨ — ١٨٥٨) وتبعهُ كثيرون من المصلحين غير ان الذين

قاموا بها لم يكونوا من العلماء المشهورين كالذين اتوا بعدهم كسبنسر وهكسلي ولا من الذين كان لهم المام اساسي بامر التعليم . فهؤلاء اقاموا الحجة على اصحاب مبدإ التعليم السائد في ذلك الوقت من وجهين الاول انهُ يجب ان يُفرق بين المعرفة الآلية والمعرفة الحقيقية الصحيحة او بين الوسائل والمقاصد فقالوا ان الاولى هي التي تجهز عقل التلميذ لادراك العلوم العالية والثانية هي التي تكسب التلميذ المعرفة الثابتة . فمعرفة اللغة والصرف والنحو والكتابة وكثير من قواعد الحساب والجبر مما يدخل تحت القسم الاول ان هي الاَّ وسيلة يدرك بها الانسان معرفة الطبيعيات والعقليات والادبيات وعلم الاجتماع والسياسة الخ مما يختص بمباحث القسم الثاني . فحجة هؤلاء كانت ان المبدأ السائد حينئذٍ لا يمكّن الانسان من الوصول الى المعرفة اللازمة للنجاح والمنفعة التي يسعى اليها . والوجه الثاني انهُ لا يكفي للانسان ان يتعاطى اعمالهُ بتعقل بل عليهِ ان يهذب قواهُ العقلية ايضاً . فاهم اغراض التعليم تهذيب هذه القوى . و بهذه الابحاث اختلف التعليم كثيراً عما كان عليهِ في السنين السابقة فنشأَت ادبيات جديدة وعلوم جديدة ووجَّه العلماء انظارهم الى العلوم الطبيعية لانهم وجدوا انها هي العلوم التي كشفت وستكشف ما كان مجهولاً واماطت اللثام عن كثير من قوات الطبيعة المستورة ومهدت السبل الى الاكتشافات والاختراعات التي يحار بها العقل فحلَّق بها الانسان في الجو يقاوم قوة الهواء وقطعت كلماتهُ الفيافي والقفار باسرع من لمح البصر وقبض على زمام الطبيعة وذللها لخدمتهِ ومنفعتهِ

التعليم هو التعليم الشامل الذي يؤَّهل الانسان تأهيلاً تاماً لعملهِ ولحياتهِ كعضو عامل نافع بين اعضاء المجتمع ويجعلهُ انساناً ذا مدارك واسعة . فالانسان العارف بالعلوم الاساسية يصير حرًّا بمقدار ما يحصل منها

إما الاستعداد للعيشة الكاملة فيحتوي اولاً على تحصيل احسن معرفة تؤَّهل الفرد لان يعيش في هذا المجتمع عضواً حقيقيًّا اجتماعيًّا عارفاً ما عليهِ من الحقوق والواجبات . ثانياً على ترقية القوى التي تستعمل بها هذه المعرفة . وقد رتب سبنسر اهمية الدروس على هذا النسق . اولاً العلوم التي تمكن الانسان ان يحفظ نفسهُ بالذات كعلم الفسيولوجيا وعلم الصحة والطبيعيات والكيمياء . ثانياً العلوم التي تمكن الانسان ان يحفظ نفسهُ بالواسطة — اي بواسطة شيء آخر — كالعلوم التي تبحث في امر الطعام واللباس والمأوى . ثالثاً العلوم التي يمكننا بها ان ننظر في امر تربية صغارنا . رابعاً العلوم التي تؤَّهلنا لمعرفة حقوق الجماعات الوطنية والسياسية لكي يصير الانسان وطنيًّا حرًّا . خامساً العلوم التي نستعملها في نزهة هذه

الحياة كالفنون الجميلة والانشاء واللغات · فيظهر من هذا النسق ان العلوم الطبيعية فُضّلت على العلوم الاجتماعية والادبية

ولقد قامت اعتراضات كثيرة على ما جاء بهِ سبنسر حتى انهم قالوا انهُ ضحّى الآداب وهي العلوم الراقية القائدة الى الفضيلة والدالّة على كل خير لما هو دونها ففتح بذلك سبيلاً لانتشار الرذيلة بين الناس وطمس معالم الفضيلة · على ان سبنسر جعل اهمية عظيمة للادبيات بطريقة تخالف الطرق المألوفة بين الجمهور ولذلك جاء في بعض اقوالهِ « ان العلوم الادبية يجب ان تعطى حقّها وعلى كل فردٍ ان يتحلّى بها » · فقطع بهذا أَلسنة المعترضين · ولا يُعقل ان رجلاً عظيماً كسبنسر يحطُّ من شأن الادبيات ليزيد في قوة الرذيلة · ولكن العلوم الطبيعية لم تكن بعدُ قد بلغت شأواً عظيماً بين الجمهور ولم تكن قد اعطيت ذلك المقام السامي قبل سبنسر فقام العامّة في وجههِ شأنهم في كل زمان ومكان ووجدوا من بعض العلماء لهم معيناً ومساعداً فاخذوا يعترضون عليهِ و يفنّدون اقوالهُ ويحطون من كرامتهِ · ولم يفطنوا الى ان سبنسر فتح باقوالهِ باباً واسعاً وطريقاً رحباً ليسلك فيهِ الناس وجعل للكبير والصغير حظًّا من العلم فيقتطف كل واحد من ثمار العلوم على قدر طاقتهِ بعكس ما كانت الحال عليهِ قبل ذلك الوقت فانهُ لم يعطَ الاَّ القليل منهم الحظ الوافر من الآداب ولم يتح لغير البعض محل مهمٌّ في الهيئة الاجتماعية وتُرك السواد الاعظم هائمين في جهالاتهم كالحيوانات السائمة · والتمدن لا يتم الاَّ متى عم جميع طبقات الامة على السواء غير جاعل فرقاً بين صعلوك وامير

نعم ان سبنسر غالى في قيمة العلوم الطبيعية كل المغالاة ولكن لا بدع في ذلك لان هذا هو شأن الميل العلمي الاَّ انهُ اعطى للعلم مقاماً اعظم من المقام الذي كان لهُ قبل زمانهِ واشرك العامّة فيهِ وازال الفواصل القائمة سدًّا منيعاً بين الخاصة والعامة فكان قطب الفلاسفة في زمانهِ والرجل الذي قلما يجود الزمان بمثلهِ والمهذب الذي يجب ان يخضع العقل لاقوالهِ وحكمهِ

وممن لهم فضل كبير في هذا الدور الاستاذ هكسلي (١٨٢٥ — ١٨٩٥) · فاق هكسلي غيرهُ من علماء الانكليز في نشر العلوم الطبيعية وجعل لها المقام الاسمى بين الدروس التي تدرَّس في المدارس وكتب كتابات كثيرة في التعليم الاَّ انهُ لم يزد شيئاً على ما جاء بهِ باكون وسبنسر وغيرهما ويمكننا ان نبين اراء هكسلي كلها في ما يلي من اقوالهِ

« دعنا ننظر نظرة المتأمل في ماجريات الاحوال الحاضرة العجيبة ·· لا بد من ان يأتي وقت يتخذ فيهِ الانكليزي جهالة اسلافهِ عبرةً لهُ · فان اهم تجارنا واعظم المكتشفين

والمستعمرين بيننا هم من الطبقة الوسطى . ان كان ثمت قوم جعلوا لهم تاريخاً مهماً في مدة الثلاث مئة سنة التي عبرت — تاريخاً لو كان لليونان والرومان لكنا درسناه بلذة لا توصف ونظرنا اليهِ بما يستحق من الاهمية والاعتبار — فهم الانكليز. ان كان ثمت شعب نجح في الادبيات نجاحاً باهراً فذلك الشعب هو شعبنا . ان كان ثمت امة يتوقف نجاحها على ما تملكهُ من قوات الطبيعة وعلى مدارك شعبها وعلى طاعتها للقوانين والشرائع وعلى تقسيمها الثروة وعلى وضع حدود وثيقة العرى لبقاء هذه الهيئة فهي هذه الامة . ومع ذلك فان الانكليز يقولون لاولادهم « اننا ننفق على الواحد منكم الف جنيه الى الفين من اموالنا التي نحصلها بالكد والجد ونضحي من حياتكم الثمينة اثنتي عشرة سنة في المدرسة حيث تتلقنون العلوم كما تخال ولا تتعلمون هناك شيئاً واحداً مما تحتاجون اليهِ في بحر هذه الحياة المضطرب بعد خروجكم منها . قد تتعاطون التجارة ولكنكم لا تعرفون من اين او كيف تأتي البضائع المختلفة ولا تعرفون الفرق بين الصادرات والواردات ولا معنى كلمة « رأس مال » . وقد تسكنون احدى المستعمرات ولكن لا تعرفون هل تسمانيا هي قسم من سوث ويلس الجديدة او سوث ويلس قسم منها . وقد تنتخبون لمجلس الامة وتأخذون على عواتقكم سن الشرائع التي قد تكون بركة او لعنة للملايين من الناس ولكنكم لا تسمعون في المدرسة كلمة واحدة مما يتعلق بترتيب الاحزاب السياسية في البلاد وقد لا تفهمون ما هو وجه الخلاف بين المحافظين والاحرار بل ربما لا تطرق هذه الكلمات مسامعكم قط

وزد على ذلك انكم لا تعرفون هل توجد قوانين تسمى قوانين الاقتصاد . القوى العقلية التي هي المرشد لكم في اشغالكم اليومية هي القوى التي تنظر الى الاشياء بدون ان تنظر الى السلطة الحاكمة او معرفة النتائج من الحقائق . ولكنكم في المدرسة تتعلمون ان لا حقَّ الاَّ للسلطة الحاكمة فلا تمرنون قواكم المفكرة الاَّ على ما يمكنكم ان تستنتجوهُ مما وضعتهُ لكم تلك السلطة . قد ينهك العمل قواكم فتأكلون خبزكم بمرارة وتمزجونهُ بدموع العناء ومع ذلك فانكم لا تذهبون الى عالم الفنون ملجأ النفس وراحة بني البشر من دون ان يخالطكم شيء من التعب والضيق » . . . ألم اقل بحق اننا شعب عظيم . انا اسلم في ان كل الاوقات التي تقضى في تعلم هذه المواضيع المهملة لا تعود على التلميذ بالفائدة المطلوبة ولكن هل اهمالها يؤدي الى التعليم الكامل ؟ . كلا . وهل نبالغ في القول اذا قلنا ان التعليم الذي يحتوي على هذه المواضيع وليس على غيرها هو تعليم حقيقي ولو كان ناقصاً . ان التعليم الذي يهملها ليس بتعليم وما هو الاَّ مروّض للعقل وليس منهُ فائدة تذكر »

وقد اصاب الذين احتجوا عليهِ بان التعليم العام العملي لم يأتِ بفائدة اذ لم يزل الفقر والجنايات وشقا البشرية التاعسة سائدةً في الكون ان سبب ذلك كان مبدأ التعليم القديم غير انهُ لم يأتِ بطريقة لحل هذا الاشكال · اما التعليم الكامل فقد اوضحهُ بما يأتي

« الرجل الذي ينال التعليم الكامل هو الذي يتمرن في الصغر حتى يكون جسمهُ عبداً مطيعاً لفكرهِ ويعمل اعمالهُ كما يعملها الميكانيكي من دون عناء او خلل . وهو الذي يكون ذا فهم جلي ومنطقيًّا في وقت معاً ولا يجد في فهمهِ الامور صعوبة ومشقة · وهو الذي يكون مستعدًّا كالآلة البخارية ليشتغل في اية وظيفة اسندت اليهِ · وهو الذي يقدر ان ينتقل من عمل السهم الى عمل المرساة · وهو الذي يكون عقلهُ خازناً لمعرفة حقائق الطبيعة العظيمة والقوانين التي تسير بموجبها · هو الذي لا يكون كالنساك بل يكون ممتلئاً حماسة وحرارة ونشاطاً · وهو الذي تتمرن عواطفهُ لتسير بموجب ارادتهِ تماماً ويكون عبداً لعواطف حسّاسة وضمير حي · هو الذي تعلَّم ان يحب الجمال طبيعيًّا كان او اصطناعيًّا ويبغض الرذيلة ويحترم الآخرين كنفسهِ · هذا هو الرجل الذي يتعلم التعليم الكامل العائش باتفاق تام مع الطبيعة بقدر ما يستطيع الى ذلك سبيلاً »

ومن الغريب ان المدارس والجامعات لم تعضد العلوم الطبيعية في اول الامر بل كان بعضها يقاومها · ولعل السبب في ذلك تمسك العلماء بالعلوم القديمة والانسان خُلق الوفاً يصعب عليهِ ان يترك اطمار الاجيال ويعتاض عنها اثواباً جديدة ولو كان عقلهُ مستنيراً بنور المعرفة · ولعل لذلك سبباً اخر وهو ان الحقائق العلمية لم تثبت كحقائق عامة الاّ بعد ان مرّت عليها سنون كثيرة واجتازت امتحانات وتجارب مختلفة وقطعت اودية وفيافي من الاعتراضات فكان يصعب على اساتذة المدارس والجامعات ان يشغلوا عقول تلامذتهم بما لم تتحقق صحتهُ · ولهذا فان اكثرها لم تعضد العلوم الطبيعية الاّ في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وان كان بعض جامعات المانيا قد فتح لهذه العلوم مجالاً واسعاً قبل ذلك الوقت

اما الاكاديميات فقد عضدت العلوم في كل مكان وفتحت ابوابها للجادلات والمناقشات ورفعت شأن العلماء وكافأت النشيط والسابق منهم فاليها يرجع الفضل الاكبر في تحقيق الحقائق وازهاق الاباطيل ورفع منار العلم

ولم تقتصر اوربا واميركا على ادخال العلوم في الكليات والجامعات بل ادخلتها ايضاً في المدارس الابتدائية وكانت المانيا السابقة في هذا المضمار فانها ادخلت الجغرافيا والطبيعيات والهندسة والنبات والحيوان في اوائل القرن التاسع عشر وخصصت ساعتين في الاسبوع لها

في اول الامر اما اليوم فقد خصصت لها اربع ساعات في الاسبوع وجميع مدارسها سائرة على هذا النسق فلا تستطيع واحدة منها ان تحيد عنهُ ابداً . واما في انكلترا فان العلوم الطبيعية لم تدخل مدارسها الاَّ بعد سنة ١٨٧٠ وقد سبقتها الولايات المتحدة فان العلوم الطبيعية اخذت تدخل مدارسها منذ سنة ١٨٣٢ وكانت اكثر المدارس قبل ذلك الوقت مقتصرة على العلوم الرياضية واللغوية على نحو ما هي عليهِ مدارسنا في الوقت الحاضر بولس شحاده

مستقبل البلاد العثمانية

ما من موضوع يهمُّ العثمانيين الآن في مشارق الارض ومغاربها اكثر من هذا الموضوع ولاسيما بعد ان فقدوا ولاياتهم في افريقية واوربا ولم يبقَ لهم الاَّ ولاياتهم في اسيا وعاصمتهم الاستانة وضواحيها

وقد اطَّلعنا الآن على مقالتين في هذا الموضوع الاولى لكاتب انكليزي مشهور نشرها في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية والثانية مبنية على كُتَيّب نشرهُ المرشار فون در غولتز باشا الالماني فرأينا ان نلخص بعض ما جاء فيهما لانهُ مطابق لما يقول بهِ اكثر المفكّرين ولاننا نودُّ ان يطَّلع رجال الحكومة العثمانية على ما يقولهُ فيهم غيرهم ولاسيما ابناء الامَّة الانكليزية والامَّة الالمانية . قال الكاتب الاول

يقول البعض ان الاتراك غير اهل لسياسة البلدان لانهم لم يفلحوا في افريقية ولا في اوربا . ولكن هذا القول منقوض بدليل انهُ مضى عليهم بضعة قرون وفي يدهم سياسة ممالك كثيرة مختلفة الاجناس والاديان واللغات والتقاليد . ولقد قال احد سفرائنا منذ اربع مئة سنة وكان في الاستانة ان السلطنة العثمانية مشرفة على الانحلال . وكرَّر هذا القول غيرهُ في ازمنة مختلفة ولكن السلطنة العثمانية قاوت عوادي الدهر ولم يبتدئ فيها الانحلال الاَّ حينما اخذت تصلح شؤُونها في زمن السلطان محمود فحينئذٍ استقلَّت عنها بلاد اليونان وتقدمت روسيا الى الدنيوب الاسفل واستولى محمد علي على مصر واحتلَّ الفرنسويون بلاد الجزائر . وزاد هذا الانحلال في عهد عبد الحميد فاخذ اليونان تساليا واخذت روسيا شرق الاناضول مع باطوم والقارص وامتلكت فرنسا تونس واستقلت رومانيا وسربيا وبلغاريا والجبل الاسود واحتلَّت النمسا البوسنة والهرسك وانكلترا مصر وقبرص . وخُتم هذا الفصل باخذ ايطاليا لطرابلس الغرب وحكومات البلقان لولايات الروملي . ومن غرائب الزمان ان

هذا الانحلال ابتدأ في عهد السلطان المصلح و بلغ حدَّهُ في عهد الحكومة الدستورية ولا مثيل لهُ في سرعتهِ في تاريخ دولة من دول الارض ولو اصاب بلاداً غير البلاد العثمانية لقضى عليها

ولكن ما بقي للعثمانيين من البلاد لا يزال واسعاً جدًّا كثير الخيرات فان ولاياتهم في اسيا تزيد مساحتها على مساحة البلاد الانكليزية خمسة اضعاف و بلاد العرب وحدها لا تقلُّ مساحتها عن بلاد الهند ولا نبالغ اذا قلنا انهُ لو اهتمَّ الاتراك بولاياتهم في اسيا عشر اهتمامهم بولاياتهم في اوربا لكان عندهم الآن مملكة من اقوى الممالك واغناها ولكنهم اخطأُوا في محاولتهم البقاء في اوربا فجنوا نتيجة خطإِهم

انبثَّ في الشرق روح جديدة حينما اثبتت اليابان ان ممالك اوربا ليست مما يستحيل التغلُّب عليهِ. ثم انتشرت هذه الروح شمالاً وجنوباً وغرباً فايقظت الصين من سبات العصور الغابرة ونبهت الهند الى مطالب كثيرة واحيت في ايران ذكرى ملوكها السالفين واقامت المصريين واقعدتهم واغرت الاتراك فطوَّحوا بملكهم

والآن لم يبقَ للاتراك الاَّ ان يتلافوا خطأَهم و يعودوا الى الاهتمام بولاياتهم التي طال اهمالهم لها في بر الاناضول و بلاد العرب. وسياسة هذه الولايات ليست بالامر السهل لان سكانها ليسوا امَّة واحدة ولاهم شديدو الولاء للاتراك. ويقدَّر عددهم بسبعة عشر مليوناً ففي بر الاناضول ٤٠٠٠٠٠٠ من المسلمين و ٥٠٠٠٠٠ من المسيحيين ونصف مليون من اليهود. وفي ارمينية وكردستان ١٦٠٠٠٠٠ من المسلمين و ٩٠٠٠٠٠ من المسيحيين وفي سورية والعراق ٣٥٠٠٠٠٠ من المسلمين و ١٢٠٠٠٠٠ من المسيحيين واليهود وفي بلاد العرب الخاضعة فعلاً للدولة العثمانية ١١٠٠٠٠٠ وكلهم مسلمون

وحقيقة هذا الاحصاء لا تُعلَم بالضبط ولا هو يدلُّ على اختلاف اولئك الاقوام جنساً ومذهباً. فالعرب والارمن والشراكسة والاكراد والتركمان واليونان واليهود مختلطون ممتزجون في تلك الولايات كاختلاط امم البلقان ولكن يفرق بينهم و بين البلقانيين ان لكل امَّة من امم البلقان جاذباً يجذبها اليهِ البلغار للبلغار والسرب للسرب والالبان للالبان واليونان لليونان اما امم اسيا فليس لها جواذب حولها تجذبها اليها وتبث فيها النعرة القومية و بغض الاتراك غير العرب فان لهم بلاداً تنسب اليهم وشعباً ينتمون اليهِ. و يدَّعي الارمن ايضاً ان لهم بلاداً ينتسبون اليها ولكن الامر ليس كذلك بل قد امسوا كاليهود فان بلاد اسلافهم اجتاحها الغزاة مراراً فتجزأت بينهم وصارت حدودها القديمة في روسيا وتركيا وايران بل

قد نسي اسم الارمن في بر الاناضول لان الاتراك منعوا استعماله وصار الارمن يسمون انفسهم هايك و بلادهم هايستان . وكردستان اسم لبلاد غير محدودة ولا هي مما يبث النخوة في نفوس الاكراد

والولايات الباقية للاتراك ممتدة من بحر الروم غرباً الى خليج فارس شرقاً ومن البحر الاسود شمالاً الى البحر الاحمر جنوباً وهي تشتمل على بر الاناضول الكثير السكان والخيرات . والعراق المشهور في التاريخ بسهوله ونهريهِ الفرات ودجلة . و بلاد الشام على ساحل بحر الروم من جبل طورس الى شبه جزيرة سينا . والحجاز واليمن من بلاد العرب وفي الحجاز مكة قبلة المسلمين والمدينة مدفن نبيهم

ووطن الاتراك الآن بلاد الاناضول هناك تراهم ولا يصعب عليك ان تفرق بينهم و بين الارمن واليونان والاكراد والشراكسة والتركمان . هناك الاتراك اهل زراعة ولا تزال فيهم افضل المزايا الجنسية . ما من احد اخترق تلك البلاد الا ورأى من انسهم وحسن ضيافتهم ما اطلق لسانهُ بمدحهم والاعجاب بهم . وانقطاعهم للزراعة لم يفقدهم صفاتهم الحربية التي جعلتهم من الغزاة الفاتحين . اليهم كان السلاطين يلتفتون دائماً في ساعة الخطر فلا يرون منهم الا النهضة وتلبية الطلب ولو استنزفت الحروب دماء رجالهم . وهم كبار الاجسام كبار الرؤوس مستديرو الوجوه اقوياء عظماً وعضلاً رزينون لا تستفزهم الطفائف ولا تزعجهم الطوارىء حتى لقد تظنهم خاملين وما هم بخاملين . لا يحسبون لاحد حساباً ولا يعتقدون ان احداً يفوقهم في شيء . ولقد فعلت سكك الحديد العجائب في بلادهم وزادت مصادر ثروتها

اذا خرجتَ من الاناضول خرجت من بلاد الاتراك لانها بلادهم بالفعل والبقعة التي رسخت فيها قدمهم وتغلبت عليها اطوارهم وان كانوا فيها اقل من غيرهم عدداً

والعراق لا يختص بشعب دون آخر يضرب البدو في بواديهِ يغزون و ينهبون او يفعلون ما هو اقل ربحاً لهم من الغزو والنهب اي رعاية الجمال وتسويم المواشي . وفي مدن العراق مزيج من الارمن والاكراد والشركس واليهود والكلدان واليونان والعرب . وعند خليج فارس امارات صغيرة حربية خاضعة لآل عثمان ولو بالاسم ولا يتعذر على العراق ان يعود الى سالف عهدهِ اخصب بلدان المسكونة . اذكر اسم بغداد وبابل ونينوى فتتراءى لك العظمة والقوة والحضارة والسطوة ومنابع الثروة

مررتُ من عهد غير بعيد من خليج فارس الى الاستانة متتبعاً الطريق الذي يراد انشاء سكة بغداد فيهِ فدهشت كما دُهش غيري مما شاهدتهُ من خيرات الارض وما يمكن ان يستثمر

منها وما خُبِيَّ للالمان من الغنى الوافر · لله ما اخصب تلك البلاد وما اغزر انهارها · اقفرت من سكانها بعد ان كانت جنة لانك كيفما اتجهت رأيت في انقاض المدن آثار المصانع واعمال الري العظيمة من تُرَع وجسور وكلها قد تولاَّها الفناءُ · ودجلة والفرات لا يماثلها الاَّ النيل في خصب مائهِ ونهر ارودي في ذهاب هذا الماء هدراً · كرَّت عليها القرون وهما يسلبان الارض خيراتها ويطرحانها في البحر · وقد ضعف الفرات من طول الاسراف واما دجلة فلا يزال يفيض ويملأُ المستنقعات ولكنهما كليهما لا يزالان قادرين على النفع الكثير اذا تمكن السر وليم ولككس من لجمهما فتتحول القفار التي حولها الى مصر ثانية

وسكة بغداد وري العراق من اربح الاعمال الهندسية ولكن ما حل بتركيا حديثاً لا بدَّ من ان يؤَثر فيها لان الحصول على المال لعمل مثل هذه الاعمال لم يكن بالامر السهل من قبل فكيف وقد حلَّ بالبلاد ما حلَّ · كنت اباحث احد الصدور العظام في امر سكة بغداد فقال لي « اني احتاج الى مركبة وجوادين ولكن لديَّ امور اهم » · اما الالمان فلا يتعذر عليهم وجود المال لانهم يعلمون انهم ينفقون ديناراً ليكسبوا دنانير وان في التسويف خطراً اكيداً لان الاتراك متى اقتصروا على اسيا وانقطعت صلتهم باوربا رأَوا ان هذه السكة لازمة لهم وان لها قيمة تفوق قيمة حديدها ومحطاتها · ولذلك لا يخشى من اهمال سكة بغداد ولكن اعمال الري في العراق لا بدَّ من امهالها الى ان تنفرج الخزينة العثمانية · وهنا مجال واسع لاموال الانكليز اذا رضيت تركيا ورضيت المانيا

اما سوريا فلا داعي لوصف خيراتها وما فيها من مصادر الثروة · وبلاد العرب قلما يُعلَم شيءٌ عن يمنها والسكة التي مدَّت الى حجازها ليست تجارية بل حربية دينية لتعزيز سلطة السلطان

يظهر من هذا الشرح الوجيز ان المجال واسع لدى الاتراك ليستعيضوا عمَّا خسروهُ من الولايات التي كانت دائماً سبباً لضعفهم فهل هم اهل لذلك · فقد قيل انهم نزلوا البلاد التي فتحوها كجنود على اهبة الارتحال فلم يبتدعوا فيها ولم يغيروا الاَّ القليل منها · اما وقد تغلَّب عليهم رعاياهم في اوربا فهل تشتد عزائمهم في غيرها وتعقد لهم اعلام النصر · قد يتم لهم ذلك ولكن دونهُ اهوال

ولا يفلح الاتراك في اسيا الاَّ اذا تغلبوا على ثلاثة موانع

لما كانت الحرب ناشبة في البلقان لم نسمع كثيراً عمَّا كان يجري في ولايات اسيا وبلاد العرب ولكن ذلك لا يدلُّ على ان احوال البلاد كانت فيها قارَّة سارَّة فقد كتب مكاتب التيمس من الاستانة في الشهر الماضي يقول « ان الاحوال في كردستان صائرة من رديءٍ الى

اردل فان روءساء الاكراد في بتليس وديار بكر خرجوا على الحكومة فعجزت عن صدهم لقلة ما لديها من الجنود · ونهض الاكراد في ولاية وان ويقال ان عبد الرزاق بدرخان الذي اشترك في الواقعة التي انتهت بقتل رضوان باشا وسقوط اسرة بدرخان قام الآن على جمعية الاتحاد والترقي وعضده الشيخ طه والتف حوله جماعة كبيرة من اكراد الفرس · وطلبت الحكومة من عبد القادر افندي الكردي وهو من اعضاء مجلس الاعيان ان يذهب الى كردستان لتسكين الاكراد فاعتذر عن ذلك بانهُ ذاهب لقضاء فريضة الحج »

وقد شاع انهُ عاد الاعتداء على الارمن وان النار المخبوءة تحت الرماد في بلاد اليمن لم تنطفئ ومتى علم في اقاصي البلاد ان الحكومة عادت بالفشل التام في حرب البلقان فلا يبعد ان يكثر اعداؤها في ولاياتها الاسيوية · وسيكون اكثر متاعبها من الاكراد والعرب اما الاكراد فاكثرهم اقوام رحل وكلهم اهل حرب وجلاد شأنهم الغزو والنهب وقد حاول عبد الحميد تسكينهم واستخدامهم لاغراضهِ في المذابح الارمنية فزاد ضررهم حتى صار اول هم الحكومة الدستورية مطاردة زعيمهم ابرهيم باشا لتخليص البلاد من شرهم وستذوق منهم الامرين حالما توجه عنايتها لاصلاح الولايات الاسيوية

والعرب اصعب مراساً من الاكراد لا لانهم يكرهون الانقياد لرجال الحكومة بل لانهم يختلفون عن الاتراك جنساً وطبعاً ولغةً واخلاقاً · والعربي دستوري شوروي بالطبع واما التركي فمحب للسلطة والاستبداد

طالما حاول الاتراك ان يستولوا على العرب و بلاد العرب فلم يفلحوا · والولايتان الخاضعتان لهم الآن الحجاز واليمن اخضعهما محمد علي صاحب مصر وحتى الآن لا يمكن حسبان اليمن من ولايات الدولة · واهل الحجاز يأخذون منها اكثر مما يعطونها وليس لها في بلاد العرب الا الحاميات في مكة والمدينة والطائف وصنعاء وجدة والحديدة

اما الارمن فلا خوف منهم اذا عاملهم الاتراك بالحسنى متعظين بما حل بهم في الروملي · نعم ان الروم والعرب والترك اجتاحوا بلاد الارمن في ازمنة مختلفة واضطهدوهم حتى اضطروا ان يتفرقوا في اقطار المسكونة كاليهود ولم يبقَ منهم الآن عدد كثير الا في ولايات ارضروم ووان وسواس وخربوط و بتليس وديار بكر وجانب من ولاية حلب وفي الزيتون وساسون ولكنهم حفظوا جنسيتهم ويجب على الاتراك ان يعرفوا ذلك ولا يغضّوا الطرف عنهُ كما فعلوا في البلقان والاَّ اضطروا روسيا الى الانتصار للارمن يوماً ما كما اضطروا البلغار والسرب واليونان الى الانتصار لاخوانهم في البلقان

واما الاتراك عقبة اخرى اشد من عقبة الاجناس مراساً وهي عقبة الاديان · والدين في الشرق كناية عن الجنس والامَّة · وان خطر لهم ان يعززوا مركزهم بالدين كما فعل عبد الحميد اصابهم ما اصابهُ لان الاعتراف بالخلافة لسلطانهم ليس بالامر المجمع عليهِ فالشيعة لا توافق السنة واهل السنة ليسوا على تمام الاتفاق في افريقية وتركيا · ولما كانت دولة الاتراك عزيزة الجانب في اسيا واوربا ايضاً لم يكن من الصعب ان يسلم اكثر المسلمين بالخلافة لآل عثمان ان لم يسلم بها كلهم اما الآن وقد أُخذت منهم ولايات اوربا فلا يبعد ان ينازعهم العرب الخلافة ويقولوا انها في قريش

ثم ان نجاح الاتراك في اسيا لا يتوقف على كون سلطانهم خليفة بل على حسن ادارتهم لبلادهم ومراعاتهم لاحوال الزمان والمكان

ولا شبهة ان الاسلام تغلب عند اول ظهورهِ على دولتين عظيمتين دولة الروم ودولة الفرس وانهُ رفع لواء الحضارة قروناً كثيرة وتناول علماؤُهُ مصباح العلم والحكمة من اليونان وانارو بهِ البلدان التي استولى العرب عليها وعلَّم القرآن ابناء العرب الاميين فصاروا علماء وفلاسفة فتعلموا الفلسفة والطب والفلك والجغرافيا واستنبطوا واكتشفوا في العلوم والفنون · قالوا ان الارض كرة لما كان المسيحيون يحرقون من يقول انها ليست مسطحة وترجموا كتب ارسطوطاليس واقليدس وجالينوس وابقراط وانشأُوا المدارس الجامعة في قرطبة واشبيلية وطليطلة فقصدها الطلبة من اقطار اوربا · وحينما كانت الفوضى ضاربة اطنابها في ربوع المغرب والديانة المسيحية في حالة الاحتضار كان العقل العربي يشتغل ويعلم وينظّم ويهذّب الاخلاق

وربَّ قائل يقول ان كان الامر كذلك وان تمَّ للعرب واهل الاسلام عموماً ما ذكر في القرون الوسطى فلماذا نراهم الآن منحطين عن غيرهم · اسأل العرب فيقولوا لك ان مصباح المعرفة بقي في يدهم الى ان جاء المغول واطفأوهُ · ولكن ليس اللوم على المغول وحدهم بل على كل الذين لا يراعون احوال الزمان والمكان ولا يسيرون مع الدهر بل يجمدون ويحاولون الوقوف على حالة واحدة او يدَّعون التديُّن وهم براءٌ من الدين

واقول في الختام اني شاهدت الاتراك منذ اربع سنوات خاملين على الاستانة ليخلصوا البلاد من عبد الحميد ومعهم رجال متطوعون من البلغار والسرب واليونان والجبل الاسود · وفي شهر نوفمبر الماضي رأيت من آكام شطلجه اولئك البلغار بين انفسهم يحاولون الوصول الى الاستانة ثانية · وقد جرَّب رجال تركيا الفتاة ان يحكموا البلاد بالمركزية وان

يتركوا سكانها لجاءت التجربة بالويل عليهم وعليها فليجربوا الآن اسلوباً آخر وهو ان يحكموا البلاد باللامركزية اي ان يعطوا الاستقلال الاداري لبعض الولايات في اسيا وبلاد العرب . وليتجنبوا قبل كل شيء الاقتداء بعبد الحميد الذي اقام فريقاً من شعبهِ على فريق آخر . والحكمة تقضي عليهم ان لا يتجاهلوا وجود الدول الاوربية وان روسيا واحدة من تلك الدول وليس من مصلحتها ان تكون دولة الترك على تخومها

وقال الكاتب الثاني — وضع المرشال فون در غولتز (باشا) كتاباً صغيراً بحث فيهِ في اسباب فشل تركيا الفتاة واحتمال نهوضها من كبوتها . ولما كان المؤلف من اخبر الاوربيين باخلاق الاتراك واطوارهم واعلمهم بمواضع الضعف فيهم فلا غرو اذا ازاح كتابهُ الستار عن الاسباب التي اوصلت الدولة العلية الى حالتها الحاضرة

كان البارون فون در غولتز منذ ثلاثين سنة يعدُّ من اذكى الضباط في الجيش البروسي وادراهم بالفنون الحربية . وبلغت شهرتهُ مسامع عبد الحميد السلطان السابق فعينهُ مفتشاً للمدارس الحربية في السلطنة العثمانية ثم عهد اليهِ في وظيفة مساعد رئيس اركان الحرب . وظل متقلداً هاتين الوظيفتين اثنتي عشرة سنة اي الى سنة ١٨٩٥ . فاستقال من الجيش العثماني وعاد الى الجيش البروسي فبلغ اعلى المراتب فيهِ

بدأ عملهُ في الجيش العثماني بان اعد مشروعاً لرسم السلطنة رسماً طبوغرافياً ومشروعاً آخر لتنظيم الجيش العثماني فنُفذ الاول منهما اما الثاني فبقي في عهد عبد الحميد حبراً على ورق

وخطر لهُ مرة ان يمثل حرباً ناشبة بين العثمانيين والبلغاريين ليوضح فيها لضباط اركان الحرب مواطن الضعف والقوة في الجيش المحارب وكيفية ادارتهِ . وفرض ان عبد الله باشا كان قائماً بقيادة العثمانيين وناظم باشا بقيادة البلغاريين . وبعد ما اوضح ذلك للضباط بالرسوم رغب اليهم في ان يزوروا الاماكن التي وقعت فيها هذه الحرب الوهمية لتنجلي لهم تفاصيلها وترسخ في اذهانهم ولكن الحكومة قبضت على هؤلاء الضباط وهم يتعهدون مواقع الحرب الخيالية بحجة انهم كانوا يعدون مكيدة للسلطان . ولقي المارشال فون در غولتز صعوبة عظيمة في اقناع عبد الحميد بان الضباط كانوا يقومون بواجباتهم العسكرية لا بتدبير مكيدة لهُ وبعد اللتيا والتي تمكن من ان يستصدر ارادة سنية بالافراج عنهم ولكن السلطان حظر على جميع قواد الجيش وضباطهِ ان يقوموا بعمل ما من هذا القبيل الاَّ بامر يصدرهُ هو اليهم . ولما كان عبد الحميد يوجس شرًّا من عواقب هذه الاعمال ويعدها من الاسباب التي تسهل تدبير

المكايد لهُ لم يصدر في مدة حكمهِ كلها امراً بالقيام بواحد منها وهكذا اغفل تدريب اركان الحرب في الجيش العثماني على فنون القتال

وكان لا يسمح في تلك الايام لجندي عثماني ان يطلق النار من بندقيتهِ ولو كان الطلق خرطوشة غير محشوة ولا يؤْذن لضابط ان يتعرف بالجنود الذين يقودهم · ولم يكن احد من القواد يجرأ ان يأتي عملاً آخر غير السير من بيتهِ الى مكتبهِ ومن مكتبهِ الى بيتهِ · وحدث مرة ان ناظر الحربية غيَّر الطريق الذي كان يسير فيهِ عادة من بيتهِ الى مكتبهِ فدعاهُ عبد الحميد الى قصرهِ وسأَلهُ عن السبب الذي حدا بهِ الى فعل ذلك

ولما شبت الحرب البلقانية في شهر اكتوبر كان قد مضى على ترك المارشال فون در غولتز لمنصبهِ في الجيش العثماني سبعة عشر عاماً · نعم انهُ كان يكتب كثيراً في اثناء هذه المدة الطويلة عن الشرق الادنى حبًّا في ايقاف مواطنيهِ على احوالهِ واسداء النصيحة الى رفقائهِ العثمانيين وتشجيعهم على اصلاح جيشهم ولكن ولاءهُ للدولة التي خدمها اكثر من اثنتي عشرة سنة واخلاصهُ لها منعاهُ من التشهير بها بكشف عورات الاساليب التي كانت متبعة في العهد الحميدي

وقام الضباط الاحداث بانقلاب سنة ١٩٠٨ ولما قبضوا على مقاليد الامور في السنة التالية ارادوا ان يستعينوا بالمرشال فون در غولتز على تنظيم الجيش واصلاحهِ فأبى ان يترك منصبهُ السامي في الجيش الالماني ولكنهُ قال انهُ يسر بزيارة بلادهم من حين الى آخر ومدهم بالارشادات اللازمة · وشهد سنة ١٩١٠ المناورات التي اقيمت في جوار ادرنه ولما عاد الى بلادهِ كتب فصلاً مسهبًا عنها اطرى فيهِ ما رآهُ من حركات الجيش العثماني وحسن نظامهِ قاصداً ان يشجع بذلك قوادهُ على مواصلة الاصلاح الذي بدأُوا بهِ بدلاً من ان يشهر مواطن الخلل فيهِ التي لا بدَّ من ان يكون قد نبههم اليها · وربما كان هذا الاطراءُ سببًا من الاسباب التي حملت الذين لا يعرفون اخلاقهُ على القاء جانب من تبعة فشل الجيش العثماني في الحرب البلقانية على عاتقهِ وعاتق سائر الضباط الالمانيين الملحقين بهِ · والظاهر انهُ استاء جدًّا من ذلك فوضع كتابهُ هذا ليميط اللثام عن سر هذا الفشل ويبين الاسباب التي تؤَدي الى نهوض الدولة العلية من عثرتها

سبقنا فذكرنا ان الذين قاموا بانقلاب سنة ١٩٠٨ واخمدوا فتنة سنة ١٩٠٩ كانوا من الضباط الاحداث ولا نغالي اذا قلنا ان معظمهم كان دون سن الثلاثين · فلما انتظمت لهم الامور واستوثقوا من الحكم صرفوا هممهم الى احداث نهضة وطنية وكانوا راغبين في ذلك

اشد رغبة الاَّ ان معارفهم ولاسيما معارفهم الحربية كانت قاصرة جدًّا وخيالية اكثر مما هي عملية . فقد كانوا يتعلمون في عهد عبد الحميد ولكنهم لم يكونوا يقرنون العلم بالعمل . ويظهر ايضاً ان النجاح الذي صادفوهُ في الثورة التي نادوا بها اضاع رشدهم وصرفهم عن رؤية ما ينقصهم فعزلوا كثيرين من كبار الضباط والجنود المجربين الذين انتهت مدة خدمتهم فنقضوا بذلك نظام الجيش وازالوا ما كان يكنهُ الجنود لرؤسائهم والذين اقدم منهم في سلك الجندية من الاحترام وواجب الطاعة . ثم عمدوا الى تأليف الجيش من الذين وقعت عليهم القرعة ولما شرعوا في تدريبهم شبت نار الثورة في اليمن وتلتها ثورة البانيا فاضطروا ان يرسلوهم لاخمادها مع ما هم عليهِ من عدم التدرب على فنون القتال

وتربع مختار باشا في دست الصدارة قبل اعلان الحرب وغالت وزارتهُ في التقتير والاقتصاد حتى انها صرفت جيش الرديف الذي جمعهُ محمود شوكت باشا في الاناضول واعدهُ لطوارق الحدثان

ولما عقدت المحالفة بين ممالك البلقان وشهرت الحرب كان جل الجيش العثماني ان لم يكن كلهُ مؤلفاً من جنود غير مدربين وكان ضباطهم قد فترت هممهم وثبطت عزائمهم من جراء ما لاقوهُ في العهد الحميدي من الضغط على الافكار فماتت افكارهم المولدة وذبلت قرائحهم المبتكرة . وزد على ذلك ان خطة الدفاع امام تشورلو أُبدلت في الساعة الاخيرة — لاسباب غير معقولة ولا تزال مجهولة الى الآن — بخطة هجوم كانت سابقة لاوانها ولم يكن الجيش كفوءًا للقيام بها

هذا من حيث فشل الجيش العثماني في الحرب البلقانية اما من حيث مستقبل السلطنة فمن رأي المارشال فون در غولتزان في وسعها ان تستعيد مجدها وتسترجع عزها وسؤددها اذا اطَّرح الاتراك المتنورون منازعاتهم الداخلية ونسوا ما في صدورهم من الاحقاد والضغائن صارفين هممهم الى ولاياتهم الاسيوية . وهو ينصح لهم ان يحولوا الاستانة الى ترسانة كبيرة ويجعلوها مصيفاً لجلالة السلطان وان ينقلوا كرسي الخلافة الى حلب او بالاولى الى دمشق الشام التي هي الحد الفاصل بين الجزء التركي والجزء العربي من السلطنة . واهم واجب عليهم بعد ذلك ان يصطلحوا مع العنصر العربي ويتفقوا معهُ وان لا يعودوا يعدون سلطنتهم دولة اوربية بل ان ينظروا اليها كدولة اسيوية فقط . انتهى

مملكة الروس

القيصر ميخائيل رومانوف

وصلنا في الكلام على قياصرة الروس الى ميخائيل الاول الذي ابتدأت بهِ دولة رومانوف الحاضرة . وقدر في هذا الشاب الى سرير الملك لا بالارث ولا بالفتح ولا بالدسائس بل باجماع نوَّاب الشعب على اختيارهِ فانهم اجتمعوا في مدينة موسكو سنة ١٦١٣ كهنتهم واشرافهم وتجارهم ورؤساء جنودهم واقروا اولاً على ان لا يختاروا للملك عليهم اجنبيًّا ثم اختلفوا في مَن يختارونهُ من الروس واخيراً ذُكر اسم ميخائيل هذا فاجمعوا على اختيارهِ لا لفضل فيهِ لانهُ كان حدثًا في الخامسة عشرة بل لفضل ابيهِ رئيس اساقفة موسكو وكان حينئذٍ سجينًا في مرينبرج ولفضل اسلافهِ آل رومانوف . وكأَنَّ اجماع الشعب على اختيارهِ بث فيهم روح الالفة والنشاط ومن ثمَّ ابتدأ تاريخ روسيا الحديث

ولكن آثار الحكم السابق لم تزل بزوالهِ لاسيما وان البولنديين لم يرضوا من الغنيمة بالاياب بل حاولوا ابقاء السلطة في يدهم واسترجاع ما اضاعوهُ منها . وحذا اهالي اسوج حذوهم في الشمال الغربي من البلاد . وكانت المدن قد خربت وتولَّى السكان الفناء . وواضح مما تقدم ان الاشراف كانوا قد اعتادوا الصلف والعتو فعسر عليهم الخضوع والولاء . وكان ميخائيل حدثًا كما تقدم فلم يستطع ان يرغمهم على طاعتهِ كما فعل القيصر ايڤان . فانتقض حبل الامن وجعل الغرباء الذين في روسيا يتحسرون على ايام ايڤان مع ما تخللها من القسوة . كتب واحد منهم وهو هولندي يقول « اللهمَّ افتح عيني هذا القيصر كما فتحت عيني ايڤان والآخر بت موسكو » . لكن الشعب الروسي كان مواليًا لقيصرهِ راغبًا في الطاعة والسير في سبل الفلاح فلما حان يوم نتو يجهِ نهض المتطوعون وطلبوا رواتبهم التي لم تكن قد دفعت اليهم فبعث القيصر كتابًا الى اهل المدن الروسية يستنهض هممهم وغيرتهم الوطنية لدفع تلك الرواتب ولكي يساعدوهُ بالمال والرجال في طرد العدو من البلاد وردهِ عنها ففعلوا وتمَّ لهُ الفوز على خصومهِ بعد حروب كثيرة و بتوسط انكلترا وهولندا

وقد ذكر اهل التاريخ كيف طلب القيصر وساطة انكلترا ومساعدتها فقالوا انهُ بعث الكسس زسون سفيراً الى مدينة لندن ليقول للملك جمس « ان البولنديين قبضوا على تجارك الانكليز بعد خراب موسكو واخذوا بضائعهم وزجوهم في غياهب السجن ثم ذبحوهم » وقال



القيصر بطرس الاكبر



القيصر ميخائيل رومانوف الاول

للرسول انهُ اذا اتفق للملك الانكليز ان عرف ان الذين قتلوا رجالهُ هم القزاق لا البولنديون فعليهِ ان يستنبط لهُ اعذاراً اخرى . وطلب من ملك الانكليز ان يرسل اليهِ نقوداً وميرةً من البارود والرصاص والكبريت وما اشبه الى ما يساوي مئة الف روبل واذا لم يشأ ان يرسل كل ذلك فليرسل ما يساوي سبعين الف روبل او على الاقل خمسين الف روبل . والروبل يساوي الآن عشرة غروش مصرية وعليهِ فقد كان قيصر الروس يتوسل الى ملك الانكليز منذ ثلثمئة سنة ليقرضهُ ما يساوي عشرة آلاف جنيه فاقل الى خمسة آلاف جنيه . وهب ان قيمة النقود كانت حينئذٍ اغلى من قيمتها الآن عشرة اضعاف فلا يزيد هذا المال على مئة الف جنيه الى خمسين الفًا وهو الآن يطلب عشرة ملايين من الجنيهات فيتهافت الماليون على تقديمها في ساعة من الزمان

ويقال ان الملك جمس رحَّب بالسفير وحاشيتهِ وقال لهم انهُ عالم بما ارتكبهُ الاسوجيون والبولنديون في روسيا وطلب منهم ثلاثًا ان يضعوا برانيطهم على رؤُوسهم (وذلك من دلائل التكريم لهم) فاعتذروا وقالوا «اننا حينما نرى حبك الابوي وصداقتك الخلصة لمليكنا ونسمع كلامك الملكي في تمجيد ملكنا وننظر الى عينيك امام عيوننا ونحن عبيد اذلاء تعجز ايدينا عن رفع برانيطنا ووضعها على رؤُوسنا»

وفي السنة التالية جاء موسكو جون مرك سفيراً من قبل الملك جمس الاول وطلب من البرنس ايڤان كوراكين ان يسمح للتجار الانكليز ان يتجروا مع الهند بطريق نهر اوبي ومع بلاد ايران بطريق الڤلغا واسترخان فقال لهُ البرنس ان الطريق غير امين فاسترخان لم تُستَمرد الاَّ حديثًا وقطاع الطرق يملأُون الڤلغا ومتى استتبَّ الامن طُرحت هذه المسأَلة على بساط البحث لدى الملك جمس . ثم انقلبوا الى مسأَلة الوساطة فقال جون مرك ان ملك الانكليز جمع البارلمنت ليبحث في اصلح الطرق لمساعدة القيصر وحتى الآن لم يقرَّ على شيءٍ . فقال البرنس كوراكين أَلاَ يمكنك ان تضمن لنا ان ملكك يرسل الينا في الربيع المقبل ما طلبناهُ منهُ فقال مرك كيف اضمن ذلك والشقة طويلة ولا طريق لنا الاَّ في بلاد اسوج

ثم تلا ذلك توسُّط انكلترا لدى ملك اسوج حتى رضي ان يترك بلاد الروس ويأْخذ عشرين الف روبل غرامة فتفرغت روسيا لمناوأَة الد خصومها وهو ملك بولندا ففازت عليهِ بعد جهاد طويل ودخلت في مصاف الدول الاوربية بعد ان اقصيت منهُ زمانًا طويلاً وجعل ملوك اوربا يخطبون ودها وفي مقدمتهم غستافيوس ادلفس ملك اسوج فان البروتستانت خافوا ان يقضي عليهم الكاثوليك فقالوا لروسيا ان تغلَّب الكاثوليك علينا سهل عليهم التغلُّب

على الارثوذكس ايضاً بعدنا وقد قال المثل اذا رأيت بيت جارك يحترق فاملا دلوك وساعدهُ في اطفائهِ لئلاَّ تمتد النار الى بيتك

وكان ملك الانكليز قد قرض القيصر عشرين الف روبل ثم طلب منهُ ان يفتح الطريق لتجارهِ الى الهند وايران فاستشار القيصر تجار موسكو في ذلك فقالوا ان فتح طرق التجارة للانكليز في بلادنا يعود علينا بالخراب لانهم اغنى منا ولكن ان كانوا يدفعون مكوساً لحكومتنا وكانت الحكومة محتاجة اليها حتماً فنحن نضحي مصالحنا لمصلحة الحكومة . فابى الانكليز ان يدفعوا المكوس فردَّ لهم تجار موسكو عشرين الف الجنيه التي اقرضوها للقيصر

ثم ارسل الملك لويس الثالث عشر ملك فرنسا يطلب من القيصر ما اباهُ على ملك الانكليز وهو طريق الى ايران . وهاك ترجمة ما قالهُ سفير فرنسا في هذا الصدد لترى كيف كان رجال السياسة يخاطبون حينئذٍ قال « ان جلالة القيصر هو رأس البلدان الشرقية ورأس المذهب الارثوذكسي . والملك لويس هو رأس البلدان الجنوبية فاذا عقد القيصر محالفة معهُ تقوَّى بهِ على اعدائهِ وكما ان الامبراطور (الروماني) محالف للملك بولندا يجب على القيصر ان يحالف ملك فرنسا . وهذان الملكان مجدان في كل مكان ولا مثيل لهما في القوة والسطوة ورعاياهما يطيعونهما طاعة عمياء بينما رعايا ملك الانكليز وملك هولندا يطيعونهما وقتما يريدون . والهولنديون يشترون البضائع من اسبانيا و يبيعونها من الروسيين باثمان فاحشة واما الفرنسويون فيقدّمون لهم كل ما يطلبون باثمان معتدلة »

هذه اول معاهدة بين فرنسا وروسيا ولكنها كانت عقيمة لان تجار الروس ابوا فتح طريق ايران للفرنسويين قائلين انهُ اذا رغب الفرنسويون في البضائع الفارسية فليشتروها منا

وارسل السلطان عثمان الثاني الى القيصر يقول لهُ انهُ اعلن الحرب على ملك بولندا وطلب مساعدتهُ فجمع القيصر مجلس مشيريهِ واستشارهم في الامر فوافقوا على مساعدة السلطان ولكن وردت الاخبار حينئذٍ ان البولنديين فازوا على العثمانيين ووضعت الحرب اوزارها . و بقي القيصر ميخائيل على ولاء السلطان حتى لما فتح القزاق مدينة ازوف وسلموها لهُ ردها الى العثمانيين . وسعدت روسيا في عهدهِ فجاءها المهاجرون من ممالك اوربا وانشأ فيها رجل هولندي مسبكاً للمدافع والقنابل ورجل الماني ثلاثة مسابك اخرى واجيز لكثيرين من الصناع ان يقيموا في البلاد و ينشئوا فيها المعامل على شرط ان لا يخفوا شيئاً من اسرار صناعتهم عن اهل البلاد . ومنعت الحكومة ادخال التبغ الى روسيا وعاقبت مستعملي السعوط بجدع الانف

واستدعي العلماء من اوربا فدعي ادم اوليريوس هولستين الفلكي الجغرافي الى موسكو وتُرجم كتاب في الفلك والجغرافية من اللاتينية الى الروسية وانشأ بطريرك موسكو مدرسة عالية فيها لتعليم اليونانية واللاتينية

وتوفي القيصر ميخائيل سنة ١٦٤٥ وخلفهُ ابنهُ الكسس وكان رجلاً صالحاً سهل المراس مثل ابيهِ . قال الكتّاب الذين عاصروهُ انهُ كان مهما اشتدَّ حنقهُ من احد لم يتجاوز الى غير رفسهِ او صفعهِ وكان اسرع خاطراً من ابيهِ ولكنهُ كان سريع الانقياد الى مشيريهِ فتسلط عليهِ معلمهُ موروزوف و بقي معهُ ثلاثين سنة لم يفارقهُ فيها . وكان موروزوف هذا على سعة علمهِ وذكاء عقلهِ متكبراً طمَّاعاً ولما اراد القيصر ان يقترن بماريا ميلوسلافسكي لم يعارضهُ في ذلك ولا خشي تقرُّب ذويها منهُ بل عزم على ان يستخدمهم لاغراضهِ فاقترن باختها بعد اقتران القيصر بعشرة ايام فصار نسيباً لهُ وزاد مقامهُ تمكناً . ولكن حماهُ ميلوسلافسكي كان شديد الطمع فاعطى موارد الحكومة لاقاربهِ فثار الشعب ونهبوا بيت موروزوف و بيوت كثيرين من الاغنياء واضطرمت النار في مسكو وجاهر الشعب بالعصيان فيها وفي غيرها من المدن ونهبوا تجار الالمان الذين فيها ولم تخمد الثورة الاَّ بعدعناء شديدفعوقب مثيروها عقاباًشديداً بالقتل والنفي والتعذيب . ولما كانت هذه الثورة ضاربة اطنابها في روسيا كان في بولندا ثورة اشد منها فحالما اخمد الروس ثورتهم عادوا الى مناوأة البولنديين واخذوا منهم جانباً من بلاد اوكرين المعروفة بروسيا الصغيرة وسكانها من القزاق

واشتدت الروابط بين القيصر وملوك اوربا تمكُّناً فجارت الحكومة الروسية شعبها في النسج على منوال الممالك الاوربية الى ان توفي القيصر الكسس وخلفهُ ابنهُ ثيودور الثالث سنة ١٦٧٦ وتوفي بلا عقب بعد ما ملك ست سنوات ولم يحدث مدة ملكهِ شيءٌ يستحق الذكر وكان اخوهُ الذي يتلوهُ في السن واسمهُ ايڤان ابله فلم يملك ونودي باخيهِ الاصغر بطرس قيصراً وهو من ام اخرى وكان لايڤان اخت من امهِ عالية الهمة اسمها صوفيا فاثارت الجنود غير المنظمة على القيصر بطرس فنادوا باخيها قيصراً وبها وصية عليهِ وعلى اخيهِ في صغرها فتولَّت هذا المنصب وحكمت سبع سنوات . ولما رأت ان اخاها بطرس بلغ سن الرشد ورغب في ان يقبض على ازمة الملك بيدهِ حاولت القبض عليهِ فدرى بدسيستها وقبض عليها بواسطة الحزب المخالف لها و بعث بها الى احد الاديرة ووضع امهُ في مكانها وهو بطرس الاكبر وسيجيءُ الكلام عليهِ في الجزء التالي

فعل المحيط بالانسان

يختلف الناس بعضهم عن بعض في اللون والقد والاخلاق والعادات وطرق المعيشة الى غير ذلك من الفروق التي تميز امة عن اخرى وشخصاً عن آخر . و يعزى نشوء هذه الاختلافات الى المؤثرات الخارجية والعوامل الطبيعية التي ما برحت تؤثر في الانسان من يوم وجد على وجه البسيطة

وليس من غرضنا الآن البحث عن الفروق الشخصية وما يجعل كل فرد من الناس مختلفاً عن كل فرد آخر بل بيان بعض الاحوال الطبيعية العمومية التي اثرت في بعض الامم فاكسبتها صفات مخصوصة تميزها عن غيرها

وعلماء الانسان يقسمون امم الارض الى اجناس محدودة كالجنس السامي والجنس التوتوني مثلاً وهذه الاجناس تختلف بعضها عن بعض في صفات ومميزات خاصة كاستدارة القحف وشكل الوجه و بروز الخدين وهلم جرًّا . وقد نشأت هذه الاختلافات بتأثير المحيط الذي نشأ فيهِ كل من هذه الاجناس ولاجل ايضاح ذلك نورد الفقرة التالية من مقالة للاستاذ باتن احد اساتذة جامعة بنسلفانيا قال فيها « اذا سكنت امة في الجبال العالية واخرى في السهول الواطئة نشأ بينهما اختلافات بينة لاختلاف محيط كل منهما عن محيط الاخرى . فالذين يسكنون في الجبال ذات الهواء الجاف النقي المنشط لا تحتاج رئاتهم الى العمل الكثير ولكن البرد وصيد الحيوانات ورعاية المواشي تجعلهم اقوياء قادرين على احتمال المشاق . و يكون طعامهم في الغالب صلباً جافًّا يقتضي المضغ الكثير وهذا مما يقوي الاقسام السفلى من وجوههم و ينمي عضلاتها و يترتب على ذلك صغر معدهم وجودة هضمهم ونقاوة دمهم . ونتيجة هذه العوامل كلها ان سكان تلك الجبال يصبحون طوال القامة خماص البطون مختلفين تمام الاختلاف عن الذين يعيشون في السهول الواطئة الذين يصيرون قصار القامة عريضي الاكتاف . و يصحب هذه التغيرات تغيرات اخرى لا تظهر في جميع افراد الامة ولكنها تظهر في كثير منهم وكثرة ظهورها دليل على انها تنشأ عن اسباب مخصوصة تعمل في الكل »

وقال بعد ذلك في فعل المحيط بالاخلاق « والعفة والاقتصاد والاعتدال في المآكل والمشرب قد تنقلب الى اضدادها في الانسان الواحد اذا انتقل من محيط الى محيط آخر او اذا تغير المحيط حوله . وقد تظهر هذه الصفات في افراد العائلة الواحدة حتى يُخيَّل لنا انها

وراثية فيهم يتوارثها الاولاد عن الآباء لكن اذا نقلت احدهم الى محيط جديد تبيّن لك فساد هذا الاعتقاد · ومدنية كل امة وعاداتها لا يبقيها على مرور الايام الاّ بقاء المحيط الاجتماعي والمعاشي الذي ينشأ فيهِ ابناؤُها · وفي محيط كل امة قوًى تضطر كل ناشىء جديد ان يسير في اثر اسلافهِ الاقربين ويعمل اعمالهم ويفتكر افكارهم قبل ان يصل الى درجة ارقى من الدرجة التي وصلوا اليها فاذا ضعفت هذه القوى ظهر الانحطاط في الامة »

وقد كان للمحيط شأن كبير في تكييف المدنية في كل امة قامت وكان لها نصيب منها. بل ان المدنية نفسها نتيجة احوال طبيعية خارجية فانها نشأت في اودية الفرات والنيل والكنج واليانتسكيانغ حيث السهول الخصبة التي يجد فيها الانسان ما يحتاج اليهِ من القوت · فلما توفَّر لهُ في هذه الاودية ما هو محتاج اليهِ استوطنها وعدل عن التجول والترحال · ولما اتقن حراثة الارض حتى صارت تنتج اكثر مما يحتاج اليهِ صرف بعض قوتهِ الى بعض الفنون ومقتضيات الحضارة كبناء البيوت الفاخرة وتزيينها

اما القبائل التي سكنت البراري القليلة النبات فقامت على تربية المواشي فكان لا بد لها من انتجاع المراعي والتنقل بالقطعان من ارض الى اخرى فاختلفت طباعها عن طباع الامم المتحضرة وارتفع شان الفروسية والشجاعة لديها وذلك لحاجتها اليهما في الدفاع عن انعامها

والامم التي سكنت البلدان الحارة لم تقم على حراثة الارض ولا على رعاية المواشي لان الارض هناك تنبت كثيراً من الاشجار المثمرة ولان الحيوانات تكثر فيها ويسهل صيدها · زد على ذلك ان الانسان فيها لا يفتقر الى اللباس لحرارة الهواء فلم يعنَ سكانها بالصنائع كما عني غيرهم

وللمحيط تأثير كبير في نشوء الصناعة والتجارة والفنون وسيرها في طرق مخصوصة فمن عرف موقع فينيقية بين بحر كثير السمك والصدف وجبال تغطيها الحراج والاشجار رأى ان لا بد لسكانها من ان يبنوا السفن ويركبوا البحار ويتجروا مع الامم الاخرى ولا سيما بعد ان ضاقت عليهم بلادهم

وقد كانت مدينة البندقية في ايطاليا ام البحار في القرون الوسطى فكانت مركز التجارة بين الشرق والغرب تروح سفنها وتجيء في البحر المتوسط والبحر الاسود وغربي اوربا وشماليها حتى استولى الترك على الشرق الادنى كلهِ فقطعوا عنها تجارة البلدان الشرقية التي كانت القوافل تأتي بحاصلاتها الى موانئ البحر المتوسط والبحر الاسود ففقدت البندقية اهميتها التجارية

وانحط شأنها . واهتم الغربيون باكتشاف طرق اخرى توصلهم الى الهند من غير ان يروا ببلاد الترك فاكتشفوا اميركا وطريق رأس الرجاء الصالح وتحول معظم التجارة الى يد البرتغاليين لان موقع بلادهم يلائم ذلك. وما لبث الهولنديون ان غلبوا البرتغاليين على التجارة وكانت كثرة مغالبتهم للبحر في طغيانهِ على بلادهم الواطئة سبباً في تهوين ركوبهِ عليهم وتذليلهم لهُ

وللصنائع علاقة كبيرة بطبيعة البلاد وما تخرجهُ من الحاصلات فوجود دود القز في الصين رفعت شأن صناعة الحرير فيها . وكثرة الصوف في بلاد العجم دعت الاهلين الى حياكة البسط والسجاجيد والتأنق في صنعها حتى اصبحت على ما هي عليهِ من الجودة والشهرة . ووجود الحجارة الكريمة في بلاد الهند جعل الهنود يبرعون في قطعها وصقلها . ولولا وجود الرخام في بلاد اليونان لما برعت تلك الامة في البناء والنقش وعمل التماثيل

والصناعة في عصرنا تقتضي قوة كبيرة لادارة الآلات ولذلك كثرت المعامل في البلدان التي يكثر فيها الفحم الحجري والشلالات التي يمكن استخدام قوتها كما في بلاد الانكليز واميركا .

ثم ان الاحوال الطبيعية تؤثر في حياة الامة فاما ان تقيها من الفاتحين فتصون عاداتها واخلاقها واما ان تجعلها عرضة لهم فتتكيف اخلاقها في كل عصر على ما يقتضيهِ المحيط . ومن الامثلة على الامم التي كانت بلادها سبباً في منعتها وحفظ عاداتها الهند فان البحر يحيط بها من ثلاث جهات وجبال حملايا في شماليها سور منيع يصعب اختراقهُ ولذلك قلما تمكن فاتح منها . ومن الامثلة على النوع الثاني سورية التي ما برحت تخضع للفاتحين منذ اول عصر التاريخ حتى الان ولذلك لم تقم فيها امة واحدة . ومما اضر بسورية الامم القوية الفاتحة التي نشأت حولها فقد استولى عليها البابليون والاشوريون والمصريون والحثيون واليونان والعرب وغيرهم من الامم فكانت في كل عصر تقتبس شيئاً من الامة الغالبة

الاَّ ان مثل هذه الحواجز الطبيعية قد قل فعلها في العصر الحاضر اذ ذلَّل الانسان البحار وخرق الجبال كما فعل في نفقي سمبلون وسان غوثار في سويسرة ووصل البحار والانهار بعضها ببعض . واذا تم لهُ تذليل الهواء تساوي لديهِ البحر واليابسة والجبال والاودية وقلت الفروق بين اجناس الناس الى ان تزول على مرور الزمن

صفحة من كتاب فلسفي لموسى بن ميمون
الكلام عربي والحروف عبرانية

قطعة من كتاب عربي بحروف عربية

المكتبة الاسرائيلية في القاهرة

في الرابع عشر من شهر مايو احتفل مجلس الطائفة الاسرائيلية في القاهرة بافتتاح المكتبة التي انشأها حديثاً وجمع فيها الكتب والاوراق القديمة . ولما انتظم عقد المدعوين لحضور الاحتفال نهض حضرة رئيسهِ موسى باشا قطاوي فالقى خطبة بليغة بيَّن فيها الغرض من انشاء هذه المكتبة واوضح المبادىء الاساسية التي روعيت في انشائها وتنظيمها

ونهض بعدهُ المسيو جاك موصيري منظم المكتبة وسكرتيرها فقال

لا بد لي قبل تقديم هذه المخطوطات والاوراق الى الطائفة الاسرائيلية من اسداء الشكر لحضرات الذين عضدوا فكرة جمعها وترتيبها و بذلوا من الاعانة ما جعل ابراز هذه الفكرة الى حيز العمل ممكناً

وبعد ان بيّن الصعاب التي يلاقيها من يتولى البحث في الاوراق والكتب القديمة ليمحّصها ويفرز منها ما لهُ قيمة عمَّا لا قيمة لهُ ويجمع اجزاء الورقة الواحدة بعد ان تكون قد تمزقت وامحت قال

وعمل مثل هذا لا يقوم بهِ الاَّ من اوتي مقدرة المسيو شابيرا وجلدهُ على معاناة الابحاث العلمية مع سعة معارفهِ بالآثار العبرانية والعربية . ومهما بالغنا في شكرهِ لا نوفيهِ حقهُ على ما بذلهُ لجعل هذه الآثار نافعة

وكان لا بد من موآزرة مثلكم ايها السادة لتحقيق الامنية الاخرى وهي انشاء مكتبة كبيرة يجمع فيها كل ما يهم الطائفة الاسرائيلية في القاهرة والاسرائيليين في القطر المصري عموماً من الآثار التاريخية . وقد انتظمت هذه المكتبة اليوم وما فيها من الكتب والاوراق يبيّن نتفاً من تاريخ الاسرائيليين في مصر والشرق عموماً ويمكن استخراج تاريخ الطائفة في القرون الوسطى منها . وهي تتضمن حقائق كثيرة عن حياة الطائفة الداخلية واحوالها الاجتماعية . اما استخلاص تاريخ تلك العصور منها فلم يتم بعدُ ولهُ تعلق شديد الاهمية بتاريخ الاسرائيليين العام وتاريخ مصر وتقدم المعارف والاحوال الاجتماعية عموماً . فموسى ابن ميمون مثلاً الذي نشأ في مصر وقد عثرنا على بعض كتاباتهِ حريٌّ بان يفسح لهُ محل بين كتبة العالم . وسوف ننقطع لخدمة هذا العمل ونبذل في ذلك طاقتنا . واملنا كبير ان هذه المكتبة التي ترحب باهل العلم والمطالعين ستقوم بالنفع الذي ينتظر منها فتكون

عوناً على الابحاث العلمية ومجتمعاً للشبان الادباء الذين يحبون المطالعة يجتمعون فيهِ اجتماع الاخوان بالاخوان

وهذه هي مجموعتنا الثمينة ذات النفائس العلمية والتاريخية اضعها بين ايديكم

وختم بالشكر لسعادة موسى باشا قطاوي وللذين اشتركوا في جمع هذه المكتبة وتنسيقها وتلاهُ المسيو رمون ڤل فقال: —

يسرني كثيراً ايها السادة انني معكم في هذا الوقت ارى اكمال عمل هو فخر للطائفة الاسرائيلية في القاهرة. عمل علي لم يتم الاَّ بالهمة والمواظبة ولم اكن من جملة القائمين بهِ لان لي اشغالاً اخرى في هذا القطر اهتم بها ولكني كنت ارقب نجاحهُ من حين بديءَ بهِ. تعلمون ايها السادة ما لهذه النفائس التي ترونها من القيمة وتعلمون تاريخ اكتشافها. وتعلمون ايضاً ان اول من وجه الانظار الى ما في جنائز (جمع جنازة كلمة عبرانية يراد بها مدفن الكتب) كنس القاهرة ومقابرها من الآثار الثمينة هم بعض العلماء الاجانب اما الطائفة فلم تفطن لامر هذه الآثار الاَّ بعد ان امتدت اليها الايدي وسلبت منها اشياء كثيرة كان حقها ان تحفظ فلم تجد منها الاَّ قسماً صغيراً جدًّا بعد الذي تسرَّب منها الى الخارج. وما وصل الى متاحف اوربا منها يزيد على مئة الف اثر كتابي تقدر قيمتها بملايين الفرنكات. ولكن ما مضى مضى فلا يجدينا الندم والتأسف انما يجب ان يبقى ذلك عبرةً لنا. ومما يعزينا ان عبث الايدي بهذه الكنوز كان الباعث الاكبر على الاحتفاظ بما بقي منها ووضعهِ في هذه المكتبة التي نقدّم اليوم للطائفة

في اواخر سنة ١٩٠٩ اخذت البحث بالاشتراك مع المسيو موصيري في الاوراق التي كانت في جنازة كنيس مصر القديمة ومقبرة البساتين لكي نرى رأينا فيها ونقدم ملحوظاتنا عنها للمسيو اسرائيل لفي. اما البحث الحقيقي فلم يبدأ الاَّ سنة ١٩١٠ و ١٩١١. وفي اواخر سنة ١٩١١ اتى العالم المشهور المسيو برنار شابيرا فبدأ بالعمل في مصر القديمة وفي البساتين وها قد اكملهُ الآن بعد مرور ثمانية عشر شهراً من حين الابتداء بهِ

ولا اطيل الكلام على ما لهذه الاوراق والكتب التي انتشلت من ايدي الضياع من الاهمية للطائفة الاسرائيلية في القاهرة وللاسرائيليين والعلم عموماً فسيبين ذلك المسيو شابيرا و يطلعكم على ما تحتويهِ هذه الاوراق والرقوق التي اشتغل باستطلاع ما فيها وتمحيصها وترتيبها وترون البعض منها يزين جدران هذه الغرفة

و بينما كان المسيو شابيرا يشتغل بعملهِ هذا نشأت فكرة انشاء مكتبة توضع فيها هذه

الآثار بعد ان تجمع من جنائز القاهرة المتعددة كما بيّن المسيو موصيري فحفظ من التفرق والضياع · واضيفت اليها بعد ذلك كتابات اخرى كانت في دائرة الربانية الكبرى ثم الحجج القديمة التي يرجع عهدها الى زمن قديم جداً وهي اضافة ثمينة

هذا ما تم حتى الآن وهوذا الذين قاموا على العمل يقدمون لكم ما في هذه المكتبة من الحجج والمخطوطات والاوراق والكتب الثمينة التي عثروا عليها

ومجموعة الكتب المخطوطة نفيسة جداً واقدم كتاب فيها كُتب في القرن الثاني عشر· وهي تحتوي على نسخ من المزامير والتوراة وشروح للاسفار الخمسة · ومنها نسخة من التوراة كتبها رجل اسمهُ داود بن شلومو من جبرون سنة ١١٨٩ (للميلاد) وتظهر عليها آثار ما بذلهُ من العناية والجلد في كتابتها · ومنها ايضاً تحفة اخرى اثمن من الاولى وان لم تحاكها في منظرها وهي نسخة من التوراة خطت في القرن الخامس عشر (للميلاد) ويزينها ٤٥ صورة متقنة التصوير تظهر كأن عليها مسحة من الحياة ولا ينقصها شيء من الكماليات الدقيقة · ونسخ التوراة المزينة بالصور من ذلك العهد نادرة جداً فلهذه المجموعة امتياز على غيرها في احتوائها على هذه النسخة الفريدة

ولكثير من هذه المخطوطات التي اتي بها من دائرة الربانية قيمة وفائدة خصوصاً اجوبة الربان الاكبر ابرهام مونصون الذي كان باشحاخام القاهرة في القرن الثامن عشر واجوبة الربان سياح وهو من رجال القرن الثامن عشر وشرح جميل للاسفار الخمسة يرجع تاريخهُ الى القرن السادس عشر

اما الحجج والعقود فمنها نحو ٤٠٠ من انواع مختلفة وتمثل تاريخ الطائفة بما فيها من عقود وسندات وتقارير واحكام الى غير ذلك · ويرجع تاريخ اقدمها الى القرن الرابع عشر وتتدرج في تاريخ كتابتها من ذلك الحين حتى القرن التاسع عشر بلا انقطاع · ويتعلق اكثرها بمقبرة البساتين ومصر القديمة (او الفسطاط كما كانت تدعى في القرون الوسطى) حيث كان معظم الطائفة يقيم حتى القرن التاسع عشر · واجمل هذه الاوراق ما يتعلق بكنُس مصر القديمة ومنها الحجة التي تخول الاسرائيليين الحق بتجديد بناء كنيسين بدعيان فيها بكنيس الشاميين وكنيس العراقيين · ولهذه الحجة اهمية كبيرة في اظهار شكل المدينة القديمة وتعيين المواقع المهمة فيها ومعرفة موقعي هذين الكنيسين الدارسين

اما الاوراق والكتب العبرانية العربية فلا اتعرض للكلام عليها وستسمعون وصفها من صاحب الاختصاص · انما اريد ان ارفع في هذا المقام واجب الشكر للمسيو الي غرين الذي عضد

القائمين بهذا العمل وللمسيو جاك موصيري على ثباتهِ ومواظبتهِ وللمسيو برنار شابيرا العالم الذي قام على امر هذه الاوراق منذ البداية ورتب لها فهرساً سينشر قريباً . واتمنى لهذا العمل الذي قد اكمل الآن وسيبقى مدى الادهار ان يظل مطرد النجاح . وفي القاهرة كثير من الكتابات القديمة التي يجب البحث عنها وجمعها ومجال البحث والتحقيق العلمي لا يزال واسعاً ولنا من حمية الطائفة ورئيسها المفضال ما يكفل لنا اتمام ذلك . و يسرني كثيراً ان اشكر ايضاً سعادة قطاوي باشا لعضدهِ هذا المشروع وضمانهِ لهُ النجاح

واسمحوا لي ان اطرح سوءالاً اعرف انهُ يخالج صدور كثيرين منكم وهو ألا يجمل بطائفة مهمة غنية مثلكم تبذل ما تبذلهُ من المال في سبيل الاعمال الدينية والخيرية والعلمية ان تخصص قسماً للبحث التاريخي عن مآثر الشعب الاسرائيلي وماضيهِ فان ذلك خير مكمّل للتهذيب العلمي والادبي . اما جواب سوءالي هذا فمنوط بما تراهُ انت يا حضرة الرئيس فليس احد سواك يقدر عليهِ

ونهض بعدهُ المسيو شابيرا وتكلم على القسم العبراني العربي من المكتبة فقال :—

يحتوي القسم العبراني العربي الذي سأصفهُ لكم على ٤٠٠٠ من الاوراق ونحو الالف منها فصول من التوراة وكتب الصلاة فلم ينظم مع غيرهِ في هذه المكتبة . اما الباقي فقد رتب اكثرهُ ويبلغ ما رتب منهُ نحو الفين

ومن القسم الذي رتب عقود ورسائل وفصول من التوراة وشروح وفصول من التلمود ومدراشيم واجوبة وكتب في الفلسفة والعلوم الطبيعية والطب والتاريخ واللغة والشرع الموسوي ودواوين شعر ديني وغير ديني واكثر ذلك باللغة العربية

ومن هذا يتضح لكم ان المجموعة تحتوي على كتابات في جميع الابواب التي طرقها الكتبة الاسرائيليون وتبين ما اشتغلت بهِ الافكار الاسرائيلية في قرون كثيرة . ويمتد تاريخها من القرن التاسع حتى القرن التاسع عشر لكن اكثرها كتب من القرن الثاني عشر الى القرن الرابع عشر

ولم يتم تنظيم الكتابات الحديثة العهد فيها وهي امسها بكم انتم اسرائيليي القاهرة اذ تجدون فيها كتابات اسلافكم وانسبائكم و يمكنكم بواسطتها ان تعرفوا انسابكم . وربما تمكن البعض منكم من ارجاع نسبهِ الى بعض الربانين المشهورين . ويسرنا كثيراً ان نكون قد حفظنا للبعض منكم انساب الشرف التي يباهى بها فضلاً عن اننا اقمنا مودعاً للكتب التاريخية يمكن لاسرائيليي مصر ان يستقوا من معينهِ في المستقبل

اما الاوراق الاخرى فيعرف قيمتها من كان واقفاً على كتابات الاسرائيليين الحديثة في التاريخ والادب . وقد وجدت كتابات كثيرة كانت مفقودة واكتشفت كتباً اخرى لم تعرف من قبلُ وهي تطلعنا على حقائق كثيرة عن العصور السالفة و بعض من قام فيها من الكتَّاب . وسنتمكن بواسطة هذا الكنز الثمين الذي كان محفوظاً في كنيس مصر القديمة من اصلاح اغلاط كثيرة في التاريخ واضافة حقائق جديدة اليهِ

قد سمعتم باكتشاف شختر للنسخة العبرانية الاصلية من ابن سيراخ و بعض الكتابات الاخرى واز يدكم انهُ اكتشف غير هذه كثيراً من الكتب والرسائل المهمة التي تبيّن حقائق كثيرة من تاريخ الاسرائيليين

بقي الآن ان نرى ما زادتهُ هذه الاكتشافات الجديدة من الحقائق الى تاريخ الاسرائيليين وكتاباتهم الادبية

لا تبلغ مجموعتنا مبلغ مجموعة اكسفورد او المتحف البريطاني في غناها بالاوراق الاسرائيلية ولكن مع ذلك فيها شيء من الكتب النادرة و يمكنكم ان تحققوا ذلك بفحص محتوياتها

من المؤلفات المشهورة التي كانت مفقودة وعثرنا عليها قسم من سفر هغالوي (الكشاف) تأليف سعيد ابن يوسف الفيومي وهو مكتوب على رق ولا يزال سليماً مضبوطاً بالشكل وجانب من كتاب عبراني قديم يشبه ابن سيراخ لم نقف لهُ على اثر من قبل ولكنهُ ممزق . واربع صفحات من مقدمة التلمود للغاوون (الرئيس) صموئيل بن حفني دقيق الخط جداً ونتف من سفر همصفوت (الشرائع) لحافظ ابن يصليح بخطهِ وقصائد لم تنشر قبلاً لصموئيل هناجيد وسليمان بن جبيرول و يوسف بن ابي طور واسحق بن جيات وابرهام بن عزرا

ومنها قطعة من الرق عليها كتابات في الصدوقيين وقد نشرها المسيو اسرائيل لفي في مجلة الابحاث اليهودية « Revue des Etudes Juives » وقد رأينا فيها اموراً تاريخية مهمة عن الصدوقيين وتمكنت بواسطتها من معرفة التاريخ الذي كتب فيهِ الكتاب الذي اكتشفهُ شختر المشار اليهِ آنفاً

واكتشفت لنا حقائق كثيرة عن العصر الذي قام فيهِ المعلمون المعروفون بالغاوونيم وكان هذا العصر لا يزال محتجباً . وللغاوونيم اهمية كبيرة في تاريخ الاسرائيليين وقد اطلعتنا هذه الاكتشافات الجديدة على كثير من احوالهم وتعاليم مدرستيهم البابلية والفلسطينية

فمنها رسائل لنحميا غاوون ودوسه بن سعديا وشريرا غاوون وابنهِ حاي غاوون وغيرهم من غاوونيم فلسطين الى رباني الفسطاط تتعلق بالمدارس البابلية والفلسطينية ومنها

ايضاً اجوبة من الغاوونيم تبين لنا العلاقات بين مصر و بابل وشمال افريقية وفلسطين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر

ولهذه المكاتبات شأن كبير في استخلاص تاريخ الاسرائيليين في مصر من القرن العاشر حتى القرن الثالث عشر ولم يكن يعرف شيء عن تاريخ هذا العصر من قبل ولم يعرف من الرجال الذين قاموا فيهِ الاّ ابن سعيد وابن ميمون · ولا يقوم رجل مثل ابن سعيد الاّ في محيط يهودي راقٍ ووسط اناس على جانب من العلم والتهذيب بحيث يفهمون كتاباته وآراءهُ · ولم يقم من قبلُ دليل واحد على ان اليهود كانوا كذلك في ذلك العصر · ومثل هذا يقال في ابن ميمون اذ لا يعقل انهُ يتخذ مصر موطناً ينشر فيهِ تعاليمهُ و يبد فيهِ آراءهُ اذا لم يجد فيها طائفة راقية واناساً يدركون تعاليمهُ و يقبلون عليها · اما الآن فقد اثبتت المخطوطات المكتشفة ذلك وستنشر ويستخلص منها تاريخ يهود مصر في القرون الوسطى · و يمكنكم ان تعلموا ما لذلك من الاهمية اذا عرفتم ان مصر كانت في ذلك العهد ملجأ اليهود الذين كانوا يضطهدون في بلاد المغرب بشمال افريقية و يضطرون الى التظاهر بغير دينهم فيفرون الى مصر حيث يلجأون الى اخوانهم الآمنين و يتمتعون بالحرية الدينية والسياسية

والمكاتيب الكثيرة الباقية من ذلك العصر تبين لنا سير بعض الاشخاص واحوال اليهود الدينية واعمالهم التجارية في الشرق · اما العقود فتعد بالمئات واكثرها مؤرخ وفيها اسماء كثيرين و يمكن للمؤرخ ان يستعين بها في ابحاثهِ

والمخطوطات التي تتعلق بالشعائر الدينية كثيرة و يمكن مقابلة بعضها ببعض لتصحيح النسخ التي طبعت ناقصة او تطرق اليها الغلط

وفي هذه المجموعة شروح للتوراة والتلمود واوراق من كتب جدلية ولاهوتية وفلسفية وتاريخية ونتف قديمة جدًّا من معاجم للتوراة والتلمود ومؤلفات في اللغة ومجادلات دينية وفصول طبية وعلمية · وفيها ايضاً مخطوطات نادرة من خطوط الغاوونيم وخطوط الشعراء المشهورين كناثان البابلي وابن ميمون وغيرهما والربانين الذين قاموا في مصر من القرن الخامس عشر حتى القرن الثامن عشر كداود بن ابي زمرا واسحق لوريه وابن سيد و يعقوب بيراب وابرهام مونصون وغيرهم ممن اشتهرت مؤلفاتهم واجوبتهم · فترون من ذلك ان رباني مصر بقوا يتابعون اعمالهم و يتمون واجباتهم حتى القرن التاسع عشر بدون انقطاع · وعسى ان تبقى مصر تخرج من الربانين مشاهير مثل الذين اخرجتهم في عشرة قرون كانوا يتوالون فيها كانهم سلسلة متصلة الحلقات

ويمكنكم ان تتصوروا ما تحملتُ من المشاق في قراءة هذه الكتابات والفصل بين ما لهُ قيمة منها وما ليس لهُ قيمة ثم تنظيمها اذا تأملتموها قليلاً وفكرتم في الصعوبات التي تقوم في وجه عمل كهذا · وقد اعانني في هذا العمل المسيو جاك موصيري المعروف بشبانهِ وانصبابهِ على الابحاث العلمية المتعلقة باليهود فانهُ كان اول من عرف فائدة هذه التحف في القطر المصري اذا جمعت وجعلت بحيث يعم نفعها · فعسى ان تصبح هذه المكتبة مبعث نور يقبل عليهِ شبان الاسرائيليين للاطلاع على ماضيهم المجيد والسير في خطط اسلافهم

ونهض عند ذلك الرئيس فشكر الذين نظموا المكتبة على خطبهم التي تلوها و بينوا فيها كيفية قيامهم بالعمل وما تحويهِ المكتبة من النفائس



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

ذكاء الحيوان الاعجم

ذكاء الجرذ

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

قرأت ما كتبتموهُ في ذكاء الحيوان الاعجم فتذكرت حكاية في ذكاء الجرذ قالها صديق لي موثوق بهِ وهي انهُ رأى منذ عشرين سنة تقريباً في مولد طنطا رجلاً معهُ خمسة من الجرذان لكل جرذ منها كيس صغير مملوءُ من التبن ومعهُ ايضاً شبه سفينة صغيرة فكان اذا قال « النفر بقرش تعريفه يا مسافرين » يحمل كل جرذ كيسهُ و يقفز نازلاً في السفينة · وعند ما يقول « النفر بقرش صاغ » يحمل كلٌّ منهم كيسهُ على ظهرهِ و يقفز خارجاً من السفينة فكتبت لكم ذلك الآن لتروا رأيكم فيهِ

ذكاء العصفور

ورأيت مرةً عصفوراً لا يزال فرخاً سقط من عشهِ ولم يمكنهُ الرجوع اليهِ فجاءهُ عصفوران معهما عود من قش الارز ماسكين من طرفيهِ بمنقاريهما فتعلَّق الفرخ بهِ بمنقارهِ وطارا بهِ الى العش

حامد السيد الطنطاوي

[المقتطف] رأينا في الحادثة الاولى ان الرجل علَّم الجرذان حمل الكيس والنزول الى السفينة والخروج منها وهي تفهم ما يريدهُ منها بالاشارة وببعض الاعمال التي يعملها لا بفهمها كلامهُ ولكنهُ يستعمل الكلام للتعمية . ويسهل تعليم الجرذ لانهُ حيوان اجتماعي اصلاً كما ترون في الكلام على الحيوانات الاجتماعية في هذا الجزء . والحادثة الثانية اغرب من الاولى وقد رويت حوادث تشبهها من اعمال الطيور . ولا شبهة ان الطيور ارقى العجماوات ولو اضطرتها احوال المعيشة الى جمع اخبارها لرأينا منها فوق ما نراهُ الآن من الاعمال الغريبة

الفقر والفقير

سيديَّ الفاضلين

قرأت في مقتطف هذا الشهر مقالاً تحت هذا العنوان هو قسم من خطبة القاها مصطفى افندي صادق الرافعي ملأ ثماني صفحات . ولما انتهيت من قراءتهِ استعرضت امام عقلي افكار الخطيب . ولكنني لم ارَ في الثماني الصفحات المذكورة فكرة واحدة او رأياً واحداً اعلق بذاكرتي لنفاستهِ او لصوابيتهِ

واني انصوَّر الآن المستمعين لخطبتهِ في طنطا حينما كانوا خارجين من قاعة الاجتماع يسأل بعضهم بعضاً عما قال الخطيب فلا يحير احدهم جواباً على هذا السؤَال

والحق انكم اذا سئلتم الآن عن غرض الخطيب هل يمكن ان تقدموا للسائل جواباً شافياً . واذا لم تستطيعوا ذلك فلماذا ادرجتم هذه المقالة في المقتطف ؟

اني اعرف ان مهمة المقتطف هي تعويد قرائهِ على مبادىء المدنية الاوروبية . اي تعليمهم على النظر الاوربي الحديث واشرابهم المبادىء الحديثة في العلم والادب والمعاملة والاخلاق . فهل تخدمون بمثل هذه المقالة هذه الاغراض ؟

وقد لاحظت ان الخطيب يسب المرابين على اني اعرف — كما تعرفون طبعاً — ان الربا دعامة كبرى من اهم دعائم المدنية الحديثة . وهو مؤسس على مبدإٍ عادل لا يشوبهُ ادنى

حيف على المتعاملين بهِ · ودليل ذلك ان الرافعي افندي اذا احتاج الآن الى مئة جنيه ووجد من يقرضهُ اياها هذا الشهر وآخر يقرضهُ اياها في مثل هذا الشهر في العام الآتي فضَّل الاول · فالربا هو ثمن هذا التفضيل · والنقود بضاعة من البضائع التي تباع وتشترى · وكما اني ادفع في الحذاء الجيد ثمنًا اعلى مما ادفع في الحذاء الردى · فكذلك ادفع عن المال الذي يأتيني اليوم ثمنًا اعلى مما ادفع عن هذا المال اذا اتاني بعد عام

وعليهِ فالرافعي افندي مخطئ في ذم الربا وسب المرابين ويجب ان يدرس شيئًا من علم الاقتصاد قبل ان يتكلم في هذه المواضيع سلامه موسى

[المقتطف] لا شبهة في ان نسق رافعي افندي في الانشاء على بلاغتهِ ليس مما يسهل فهمهُ على غير المتضلعين من العربية ومع ذلك لو انتظر حضرة المنتقد حتى قرأ تتمة الخطبة لاتضح لهُ مراد الخطيب · ولا يخفى ان الادلَّة الخطابية لا تعتمد على البديهيات والاوليات والقواعد المقررة كالادلة الرياضية بل على المسلمات والنكات الادبية وقد يكون الاستشهاد ببيت من الشعر اوقع في النفوس لدى سامعي الخطيب من كل الادلة الرياضية والطبيعية

اما الموضوع الذي اشار اليهِ المنتقد وهو الربا اي بيع النقود بثمن موَّجل مع شيءٍ من الربح فموضوع جليل وكذلك نسبة أغنياء الامة الى فقرائها وحقيقة الفقر وحقيقة الغنى وما اشبه من المواضيع التي لا بدَّ من البحث المستفيض فيها لايضاح حقيقتها

نشوء الاجتماع

حضرة الاستاذ العالم منشئي المقتطف الاغر

ذكرتم في مقتطف شهر مايو اثناء نقدكم لكتاب نشوء الاجتماع انني اكتفيت بتلخيصهِ وتمنيتم ان تكون الترجمة تامة او اترجم كتابًا اسهل واوفى بحاجة ابناء العربية

نعم ان ترجمة هذا الكتاب ليست من السهولة بحيث يتصور البعض ومع ذلك فاني نقلت هذا الكتاب الى العربية بامانة تامة ولم الخصهُ كما ذهب اليهِ المقتطف لاني اعتقد اعتقاداً صلبًا ان تلخيص الكتب هو في الحقيقة تشويه لمحاسنها واظن ان السبب فيما ذكرهُ المقتطف الاغر هو انهُ لم يدر بخلدهِ اننا نصدر الترجمة اجزاء وان ما اهدي الى المقتطف هو الجزء الاول فقط وسنشرع في طبع باقي الكتاب ونصدرهُ جملة واحدة قريبًا ان شاء الله

وحبذا لو يلقى هذا الكتاب من المقتطف عناية فيراجع بعض فصولهِ وان شاء قابل بين

الاصل والترجمة حتى اذا كان هناك خطأ او استعمال على غير وجههِ نبه على ذلك والمقتطف ومكانهُ في العلم حري بذلك

اما عن الشطر الثاني من نقد المقتطف الاغر وهو ترجمة كتاب يفي بحاجة ابناء العربية فلعمري ان في كتاب نشوء الاجتماع لمعتبراً لمن فكر ودليلاً لمن نظر اذ فصَّل مؤلفهُ حفظهُ الله اسباب الارتقاء وبيَّن انها تجري على ناموس الانتخاب الطبيعي واي نفع لنا نحن الشرقيين اغلى ممن يقول لنا اننا اذا لم ننزع اغشية الموت وننافس غيرنا في البقاء فلا مناص من فنائنا واي ذكرى انفع او موعظة ابلغ ممن يقول لنا

« ونشاهد منظراً يروق لنا النظر فيهِ والاعتبار بهِ وهو اجتياز الانجلو سكسونيين حدود بلادهم وضربهم في مناكب الارض وامتلاكهم البلدان والممالك ونشر سطوتهم عليها وبسط نفوذهم فيها ويجرون في ذلك على منهاج اسلم من الذي انتهجهُ الفاتحون قديماً وذلك لان التعاليم الادبية التي تأسست عليها المدنية الحديثة نالت من افئدتهم واثرت في مشاعرهم حتى جنح السكسوني الى اسعاد البشرية والرفق بها فلم يسلك سبيل من تقدمهُ من الفاتحين من ارهاق الامم المغلوبة على امرها ونحن وان اخذنا عليهم بعض ما اجترحوهُ من الآثام والهنات فاننا لا نظن انهم خليقون بما ينعتهم بهِ المستر لكي حيث عدَّ اعمالهم حروباً صليبية لا تعلي من قدر صاحبها ولا ترفع من ذكرهِ

« اجل ان الجنس السكسوني اباد مزاحميهِ من الشعوب المنحطة ولاشاهم في منهاج اشد مضاء وحدة مما لو كان التنازع واقعاً بين هذه الشعوب وبين جنس غير الجنس السكسوني بيد ان هذا الفناء لم يكن بالحروب والقتال بل جرى على سنن الطبيعة الهادئة وتمشى على نواميسها المنتجة . ولو رغب السكسونيون وعملوا لتغيير هذه النتائج المقدَّرة لما استطاعوا الى ذلك سبيلاً حيث ان من المقدر ان الشعوب الضعيفة تفنى في مجاهدة الشعوب القوية واعتبر ذلك في حال الاسترالبين والتسمانيين واهل زيلندا الجديدة وسود امريكا »[1] الى ان قال « ونحن ننسب فناء الشعوب المنحطة الى رذائلنا وتأثيرها فيهم كأننا لو رغبنا في ايقاف هذا الفناء وعملنا لذلك يتوقف سيرهُ المطرد او يتريث وكأن آثامنا التي صببناها عليهم هي السبب في سرعة تلاشيهم مع ان طبائع مدنيتنا الغربية التي فطرنا عليها واخلاقها التي نشأنا عليها وفضائلها التي نزهو بها ليست بامضى في قتالهم ولا اذهب في ملاشاتهم من آثامنا التي نجأر بالشكوى منها »

(١) راجع صفحة ٦٣ — ٦٤ — ٦٥ وما بعدها من الترجمة العربية

ثم فصّل بعد ذلك كيف ان العقل لا يؤيد اسباب الارتقاء واظهر اخفاق الفلسفة الادبية في تبرير خلق المجتمع واسهب في بيان طبيعة الدين وكيف انها اجلى طبيعة في التاريخ الانساني ثم تطرق الى بيان وظيفة الدين في نشوء المجتمع حتى ذهب الى ان الغريزة المتأصلة فينا وتدعونا الى الايمان بالدين ليست من الخطإ ولا من البعد عن الصواب بالمكان الذي يذهب اليهِ جماعة كبيرة

وقد كان لابحاث المؤلف في الدين صدًى بين العلماء وبعضهم بنى على اصولهِ (١) والبعض الآخر لا يزال مجدًّا في تأييدها وتشييدها ايثاراً للحق وخوفاً من نشوء الالحاد وكثرة الملاحدة وما في ذلك من الضرر على المجتمع (٢)

الى هنا ينتهي ما عربتهُ وهو القسم الاول من الكتاب اما القسم الثاني فهو بحث مستفيض في المدنية الغربية والاسس التي بنيت عليها والعوامل الاجتماعية التي تعمل فيها والظواهر المتفشية فيها وتعليل كل ذلك تعليلاً علميًّا اساسهُ مذهب النشوء والارتقاء ثم افاض في ضرورة تحسين النوع لمن يريد البقاء من الامم والشعوب وقد اصبح ذلك الآن علماً قائماً بنفسهِ وهو اليوجنية (٣)

ولولا ان للمقتطف عندي منزلة سامية ومكانة عالية لما طلبت منهُ ان يفيض في نقد الكتاب واني اعتقد ان اكبر خدمة يقوم بها — وهو ابو النهضة العلمية — بعد جهادهِ الطويل وعملهِ الجليل ان يعنى بنقد الكتب المعربة وخاصة العلمية منها وحبذا لو كان فاتحة نقدهِ نشوء الاجتماع الذي كان حديث العالم برهة من الدهر

طنطا — المعرب محمد زكي صالح

[المقتطف] اننا نشكر حضرة المترجم على هذا البيان المسهب ولكننا نخالفهُ في امر جوهري وهو انهُ اذا عرض كتاباً على منتقد ليبدي رأيهُ فيهِ فليس لهُ ان يجادلهُ في رأيهِ ولو حسبهُ خطأً . وان لم يراعِ كتّابنا هذه القاعدة فلا يمكن ان يشيع عندنا انتقاد الكتب وتمحيصها لاظهار غثها من سمينها . هذا من حيث قولنا « حبذا لو اختار المترجم كتاباً اسهل من هذا الكتاب ترجمة واوفى منهُ بحاجة ابناء العربية » . اما قولنا ان المترجم اكتفى

(1) Vide : From Combe to Benjamin Kidd. The Appeal to Biology or Evolution for human guidance; by Mackintosh.

(٢) راجع مجلة القرن التاسع عشر عددي فبراير وابريل من هذه السنة

(3) Eugenics

بالتلخيص والاشارة الى انهُ لم يحتفظ بكل معاني المؤَلف فقد دلنا على الامر الاول منهما جرم الكتاب الانكليزي وجرم الجزء الذي نشر من الترجمة فان هذا الجزء واقع في ١٢٤ صفحة يقابلها في الاصل الذي عندنا ١٢٦ صفحة وترجمة كل صفحة منها تملأُ نحو صفحة ونصف صفحة من صفحات الكتاب المترجم اذا احتفظ المترجم بكل معاني المؤَلف

ودلنا على الامر الثاني اننا قرأْنا الصفحة الاولى من الفصل الاول فلم نرَ الدقة التي نختارها في الترجمة · وموضوع الفصل The outlook وقد ترجمهُ المترجم بكلمة « الحاضر » وأَولى ان يترجم بكلمة المستقبل او دلائلهُ او تباشيرهُ

ثم قرأْنا الصفحة الاولى من الفصل الخامس وهو الاخير في هذا الجزء فرأَينا فيها كلمة جوهرية وهي كلمة Social organism وقد ترجمها « بالاجتماع الالي » والصواب الحي الاجتماعي او الفرد الاجتماعي كما لا يخفى على دارمي البيولوجيا · وعسى ان يكون لنشر هذه الترجمة الفائدة التي يقدّرها المترجم لها



معامل غزل القطن

لما كان السر تشارلس مكارا في هذا القطر منذ بضعة اشهر جرى لنا حديث معهُ عمَّا قيل ونشرناهُ في المقتطف من ان معامل الغزل في بلاد الانكليز لا تستعمل الآلات الحديثة التي يستعملها الاميركيون واليابانيون الآن ولذلك تقلُّ مقطوعية معاملهم على كثرة مغازلها · فقال لنا انني اطَّلعت على ما قيل في هذا الموضوع وهو صحيح ولكن مغازلنا تغزل الخيوط الدقيقة ولهذا تقلُّ مقطوعيتها من القطن وزنًا عمَّا تغزلهُ المغازل الاميركية ولكنها لا تقلُّ عن غيرها اذا اعتبرنا طول الخيوط التي تغزلها وثمنها · ووعدنا بان يكتب هو او غيرهُ في هذا الموضوع ما يجلو الحقيقة

وقد اطلعنا الان على مقالة في هذا الموضوع في مجلة القرن التاسع عشر فاقتطفنا منها الحقائق التالية لعلاقتها بالقطن المصري ومستقبلهِ

(١) مقطوعية معامل الغزل

الجدول التالي يدل على مقدار ما غزل من بالات القطن في سنة نهايتها ٣١ اغسطس سنة ١٩١٢ وعلى مقدار البالات التي غزلها كل الف مغزل في تلك السنة

البلاد	عدد البالات التي غزلت	البالات لكل الف مغزل
الولايات المتحدة الاميركية	٥ ٣٦٨ ٠٠٠	١٧٧ بالة
بريطانيا العظمى	٣ ٧٦٥ ٤٦٢	٦٧ «
روسيا	٢ ٠٣٥ ٠٧٩	٢٧٠ «
المانيا	١ ٧٧٠ ٢٨٦	١٦٨ «
الهند	١ ٦٠٦ ٥٥١	٣٦٤ «
اليابان	١ ٣٤١ ٨٣٩	٦٦٢ «
فرنسا	٠ ٩٨٧ ٨٤٣	١٢٣ «
النمسا	٠ ٨٦٤ ٠٩٦	١٨٠ «
ايطاليا	٠ ٨١٢ ٧٦٠	٢٢٤ «
اسبانيا	٠ ٣٢٣ ٧٥٠	١٧٠ «
بلجكا	٠ ٢٣٤ ٣٨٢	١٦٩ «
سويسرا	٠ ٠٩٠ ٨٣١	٠٧١ «
هولندا	٠ ٠٨٤ ٨١٧	١٨٧ «
اسوج	٠ ٠٧٨ ٧٢٧	٢٠٨ «
البرتغال	٠ ٠٦٧ ٩٤٠	١٦٦ «
الدنمارك	٠ ٠٢٤ ١٢٥	٣٠٠ «
نروج	٠ ٠١٠ ٧٨٥	١٤٧ «

وقد بيَّن الكاتب ان قلة ما تغزلهُ المغازل الانكليزية ليس ناتجًا من ضعفها بل من انها تختار القطن الجيد وتغزل الخيوط الدقيقة ولا يفوقها في ذلك الأ مغازل سويسرا . اما كثرة القطن الذي يغزلهُ المغزل من مغازل اليابان فسببهُ ثخن الخيوط من جهة وكثرة ساعات العمل من جهة اخرى . ولو غزلت مغازل الولايات المتحدة خيوطًا دقيقة كالمغازل الانكليزية لما استطاعت ان تغزل اكثر من ٢٣٣٤٠٠٠ بالة اي اقل من نصف ما تغزلهُ الآن

وهاك جدولاً اخرى يظهر فيهِ عدد المغازل في كل من انكلترا والولايات المتحدة واليابان وسويسرا وما يغزلهُ كلٌّ منها من القطن المصري الغالي الثمن ومن القطن غير المصري

	عدد المغازل	ما يغزل منها القطن المصري	ما يغزل القطن غير المصري
انكلترا	٤٨٧٣٤٠٠٠	١٣٢٥٧٠٠٠	٣٥٤٧٧٠٠٠
الولايات المتحدة	٣٠٣١٣٠٠٠	٠٠٦٦٠٠٠٠	٣٠٣١٣٠٠٠
اليابان	٠٠٢٧٩٠٠٠	٠٠٨٥٠٠٠٠	٠١٧٤٨٠٠٠
سويسرا	٠١٢٨٥٠٠٠	٠٠٨٥٠٠٠٠	٠٠٤٣٥٠٠٠

واكثر مغازل سويسرا يغزل القطن المصري وسبب ذلك ان التطريز من اهم صنائع سويسرا فتغزل لهُ الغزل الدقيق من القطن المصري

فاكثر مغازل انكلترا وسويسرا من النوع الانكليزي الذي يغزل الخيوط الدقيقة واكثر مغازل الولايات المتحدة واليابان من النوع الاميركي الذي يغزل الخيوط الثخينة . وليس في اليابان سوى ٤٠٠٠٠ مغزل من النوع الانكليزي وقد غزلت في العام الماضي ٣٣٢ مليون رطل من القطن الهندي الرخيص الثمن و١٣٨ مليون رطل من القطن الاميركي و١٠٧ ملايين رطل من القطن الصيني ولم تغزل من القطن المصري سوى ١٣ مليون رطل

(٢) مكاسب معامل القطن

حسب الكاتب المشار اليهِ آنفاً مكاسب الانكليز من غزل القطن ونسجهِ منذ سنة ١٨٦٠ الى الآن فكان ثمن المغزولات والمنسوجات سنة ١٨٦٠ نحو ٥٩ مليون جنيه يخرج منها ثمن القطن وهو ٣٤ مليون جنيه فيبقى ربح واجرة عمال ٢٥ مليون جنيه ثم زاد مقدار المغزولات والمنسوجات رويداً رويداً وزاد الربح منها فبلغت قيمتها ٩٥ مليون جنيه سنة ١٨٨٤ وكان ثمن قطنها ٤١ مليون جنيه والربح والمصانعة ٥٤ مليون جنيه وبلغت قيمتها ١٥٠ مليون جنيه سنة ١٩١١ وكان ثمن قطنها حينئذٍ ٦٠ مليون جنيه والربح والمصانعة ٩٠ مليون جنيه اي ان ربح هذه الصناعة زاد من ٢٥ مليون جنيه الى ٩٠ مليون جنيه في خمسين سنة . وقد بينت ادارة الاحصاء في بلاد الانكليز ان قيمة المغزولات والمنسوجات القطنية بلغت ١٧٧ مليون جنيه سنة ١٩١١ ولكن هذا المبلغ يشمل ايضاً نفقات القصر والصبغ والطبع . وقيمة المغزولات والمنسوجات الاميركية حسب احصائها سنة ١٩٠٩ كان ١٢٥ مليون جنيه فقط . اما ربح اصحاب المعامل انفسهم بعد طرح اجرة العمال فليس

بالشيء الكثير لان عدد العمال في المعامل الانكليزية نحو ٦٠٠٠٠٠ ومتوسط اجرة الواحد منهم في الاسبوع نحو ٤٥ شلنًا او اكثر قليلاً فالاجرة في السنة ١١٧ جنيهًا واجرة العمال كلهم نحو ٧٠ مليونًا من الجنيهات فيبقى لاصحاب المعامل مقابل عملهم ورأس مالهم عشرون مليونًا من الجنيهات في السنة

غلة الحبوب في العام الماضي

	القمح	الشعير	الاوت	الذرة
الولايات المتحدة الاميركية	١٣٥٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠٠	٢١٧٠٠٠٠٠٠	٥٥٠٠٠٠٠٠٠
روسيا في اوربا	١١٧٠٠٠٠٠٠	٨٢٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠٠	١٤٠٠٠٠٠٠
فرنسا	٦٣٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠٠	٥٧٠٠٠٠٠٠	
كندا	٣٩٠٠٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠٠	٦٣٠٠٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠٠
المجر	٣٤٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠	٣٨٠٠٠٠٠٠
ايطاليا	٣١٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠	٤٥٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠٠
اسبانيا	٢١٠٠٠٠٠٠	١٠٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠	٤٥٠٠٠٠٠
سيبيريا	١٩٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠	
رومانيا	١٦٠٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠٠٠
النمسا	١٣٠٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠٠	٢٧٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠
البلغار	١٢٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠٠
بريطانيا	١٧٥٠٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠	٣١٠٠٠٠٠٠	
الجزائر	٥٠٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠٠
اليابان	٤٥٠٠٠٠٠			
بلجكا	٣٠٠٠٠٠٠	٧٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠٠	
سويسرا	٨٥٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠٠	

حسبنا الغلة بالاردب المصري وحذفنا منها الاعداد الصغيرة. وعليهِ فقد كانت غلة الولايات المتحدة من القمح في العام الماضي نحو ١٣٥ مليون اردب ومن الشعير ٤٠ مليون اردب ومن الاوت او الزمير ٢١٧ مليون اردب ومن الذرة ٥٥٠ مليون اردب فهي اكثر من

غلة اية بلاد اخرى من الحبوب ولا تدانيها الأَّ روسيا في اوربا وقد بلغت غلتها في العام الماضي ١١٧ مليون اردب من القمح و ٨٢ مليون اردب من الشعير و ١٥٠ اردب من الاوت و ١٤ مليون اردب من الذرة ويبقى نوع آخر من الحبوب وهو الراي الشبيه بالقمح واكثر ما يزرع في روسيا وقد بلغت غلتهُ فيها في العام الماضي ١٧٧ مليون اردب وفي النمسا وقد بلغت غلتهُ فيها في العام الماضي ٢١ مليون اردب وفي المجر وقد بلغت غلتهُ فيها ١٠ ملايين اردب

موسم الحرير في الدنيا

بلغ موسم الحرير او الصادر منهُ في سنة ١٩١١ نحو ٢٤ مليون كيلوغرام كما ترى في هذا الجدول

في فرنسا	٤ ٠٢ ٠٠٠	كيلوغرام
« ايطاليا	٣ ٤٩٠ ٠٠٠	«
« اسبانيا	٠ ٠٨٨ ٠٠٠	«
« النمسا والمجر	٠ ٣٥٥ ٠٠٠	«
« تركيا اسيا	١ ١٦٠ ٠٠٠	«
« « اوربا	٠ ٣٦٥ ٠٠٠	«
« ولايات البلقان	٠ ١٩٥ ٠٠٠	«
« اليونان وكريت	٠ ٦٥ ٠٠٠	«
« القوقاس	٤٨٠ ٠٠٠	«
الصادر من ايران وتركستان	٥٥٠ ٠٠٠	«
الصادر من شنغاي بالصين	٥ ٥٥٠ ٠٠٠	«
« « كنتون «	١ ٦٩٠ ٠٠٠	«
« « يوكوهاما باليابان	٩ ٢٠٠ ٠٠٠	«
« « الهند	٠ ٢١٥ ٠٠٠	«
والجملة	٢٣ ٨٠٥ ٠٠٠	«

اما ما صدر من الهند والصين واليابان فلا يدل الاَّ على جزء من موسم الحرير فيها فالحرير الخام الذي صدر من اليابان مثلاً ثمنهُ ١٣ مليونًا من الجنيهات وصدر منها ايضاً منسوجات حريرية ثمنها مليونان واما ما نسج واستعمل في البلاد نفسها فلا سبيل لنا الآن الى معرفتهِ

متوسط اسعار بعض الحاصلات

اختلفت اسعار الحاصلات الزراعية في القطر المصري في السنوات الماضية حسب الخصب والمحل في هذا القطر وفي الخارج ايضاً · وقد ارتفعت في الغالب على مرّ السنين بزيادة كثرة الذهب ورخصهِ كما ترى في هذا الجدول وقد ذكر فيهِ ثمن القطن بالقنطار وثمن سائر الاصناف بالاردب والثمن كلهُ بالقرش المصري

السنة	القطن	البزرة	القمح	الفول	الذرة	العدس	الشعير	الحلبة	الحمص
١٨٩٨	١٥٧	٤٦	٩٩	٨١	٧١	٨٥	٥٤	٨٤	١٦٠
١٨٩٩	١٩٣	٥٧	٩١	٧٥	٦٥	٨٣	٥٠	٨٦	١٠٩
١٩٠٠	٢٦٦	٦٦	١٠٢	٨٠	٧١	٨٨	٥٥	٨٠	١٣٦
١٩٠١	٢١٥	٦٥	١٠٤	٨٤	٧٠	٩٤	٥٢	٨٣	١٣١
١٩٠٢	٢٣٣	٦٦	١٠٣	٨٦	٦٢	٨٧	٥٧	٧٩	١٢٠
١٩٠٣	٣١٢	٦١	٩٤	٨٤	٦٤	٨٣	٥٣	٨٦	١٢٥
١٩٠٤	٣١٤	٥٨	٩٣	٧٣	٦٤	٧٨	٥٢	٨٢	١٠٠
١٩٠٥	٢٦٩	٥٥	١٠٦	٧٨	٧٥	١١٧	٥٧	٨٨	١٧٥
١٩٠٦	٣٤٠	٦٥	١١٠	١٠٦	٨٩	١٠٨	٧٢	١٥٥	١٨٩
١٩٠٧	٣٨٢	٧٢	١٠٥	١٠٥	٨٠	١١٩	٧٢	١٣٩	٢٢١
١٩٠٨	٢٩٩	٧٣	١٣٣	١١٠	٨٩	١٣٠	٧٢	١٣٥	١٩٠
١٩٠٩	٣٤٣	٨٢	١٢٨	١٢٠	١٠٤	١٣٠	٧٦	٩٦	١٨٩
١٩١٠	٤٤٨	٩٠	١١٠	٩٢	٧٤	١١٠	٧٦	١٥٢	١٩٨
١٩١١	٣٦٨	٩٠	١١٧	٩٢	٨٠	١٢٤	٧٥	١٤٩	١٧٠
١٩١٢	٣٣١	٨٣	١٢٢	٩٨	٨٥	١٣٠	٨٠	١١٩	١٦٦

وواضح من هذا الجدول ان التغيير الأكبر في الاسعار وقع في القطن فان ثمن القنطار منهُ يزيد او ينقص مئة غرش او مئتي غرش · وحيث ان محصولهُ عندنا يبلغ ستة قناطير الى سبعة او سبعة ونصف فيكون الفرق في ثمنهِ ستة ملايين من الجنيهات الى اثني عشر مليوناً او اكثر · وهذا الفرق كبير جدًّا على بلاد تبلغ قيمة صادراتها كلها نحو ثلاثين مليوناً

من الجنيهات وقيمة كل حاصلاتها الزراعية نحو ستين او سبعين مليوناً من الجنيهات ولما تختلف حالها من سنة الى اخرى في اليسر والعسر حسب مقدار موسم القطن وحسب سعره



باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطعام القليل مع المضغ الجيد

يتخذ بعض الناس الاكثار من الطعام دليلاً على جودة الصحة وهم على حق في ذلك اذا اعتبرنا ما يبذلهُ الجسم من القوة في هضم الطعام الزائد والتخلص منهُ . الاَّ انهم يخطئون اذ يحسبون ان كل ما يأكلهُ الانسان يتحول الى لحم وعظم وعصب او ينتفع بهِ الجسم بطرق اخرى

لا يقوم الجسم بدون غذاء غير ان مقدار الغذاء ونوعهُ يتوقفان في الاكثر على نوع العمل الذي يعملهُ الانسان . وما زاد عن المقدار اللازم يكون عبئاً على الجسم يضطر الى هضمهِ والتخلص منهُ فيضيع بذلك قسم كبير من القوة كان الاولى ان يحتفظ بهِ

وقد ظهر من بعض التجارب ان مقدار الطعام اللازم للانسان اقل مما يأكلهُ عادة اكثر الناس. وجرَّب كثيرون ان يعوّدوا انفسهم على اكل القليل من الطعام البسيط فزادوا عافية وقدرة على القيام بالاعمال الشاقة

وعني البعض بالبحث عن مقدار اللحم الذي يلزم للجسم يومياً فرأوا ان الاقلال منهُ يجعل الانسان اقدر على القيام بالاعمال الشاقة واقوى على معاناة المصاعب

وقد يعترض البعض على ذلك بقولهم انهُ وان كان للاقلال من الطعام نتائج حسنة تظهر في القريب العاجل الاَّ انهُ لا بد وان يتبعهُ انحطاط في الجسم اذا استمر عليهِ الانسان بضع سنوات . واعتراضهم هذا حري بالاعتبار الاَّ انهُ قام من اهل الغرب من جربوا الطعام القليل واعتادوا عليهِ فبقيت فيهم صحتهم بل ازدادت قوتهم ازدياداً بيناً

وممن اشتهروا بذلك رجل اميركي يقال لهُ المستر فلتشر وقد امتحنهُ بعض الاساتذة في

جامعة يابل بامبركا بعد ان مضت عليهِ تسع سنين وهو لا يأكل من اللحم يومياً الاّ ستين غراماً . ومع انهُ كان يناهز الستين من العمر فاق الشبان الذين يروضون انفسهم يومياً في جميع الحركات التي تستدعي قوة عضلية . ويقول فلتشر ان قوتهُ وصحتهُ نتيجة اقلالهِ من الطعام واعتيادهِ المضغ الجيد . وهو لا يقوم برياضة بدنية مخصوصة ولا يأكل الاّ اذا احس بالجوع

الناس في مرض خوفاً من المرض

قالت الفلاسفة الناس في فقر خوفاً من الفقر ونحن نقول الناس في مرض خوفاً من المرض . واي مرض يتعب المرء اكثر من ان يحسب انهُ مصاب بالحمى دوامًا فلا يفارق مقياس الحرارة جيبهُ او انهُ مصاب بسوء الهضم فلا يأكل طعاماً الاّ كثر جشاؤُهُ وفواقهُ وقيئهُ او مصاب بالارق فلا يغمض لهُ جفن من كثرة ما يفكر في هذا الموضوع

وقد يقال ان للامراض اسباباً معلومة لا يأتي الفكر بها ولا يذهبها فللحمى ميكروب وللطاعون ميكروب وللجدري ميكروب وللدفتيريا ميكروب ولا يقع مرض ميكروبي بانسان الاّ اذا دخل جسمهُ ميكروب ذلك المرض وفعل بهِ فعلهُ الخاص . ولا يزول منهُ الاّ اذا زال ذلك الميكروب بالعلاج او تغلَّب الجسم عليهِ . قلنا نعم ولكن اكثر هذه الميكروبات موجود في كل مكان وقلما يخلو منها فم الانسان والهواء الذي يتنفسهُ والماء الذي يشربهُ والطعام الذي يأكلهُ ولكنها لا تفعل بهِ دائماً لان جسمهُ يقاومها ويتغلَّب عليها ولكنها تفعل بهِ اذا عجز عن مقاومتها اما لكثرتها او لان اعصابهُ تكون ضعيفة ولا شيء يضعف الاعصاب مثل الهم والخوف من المرض

من المحقق ان اعصابنا على نوعين نوع آلي يقوم باعمالهِ من غير نظر ولا روية ونوع عقلي يعتمد على النظر والروية وتقديم المقدمات واقامة الادلة والاقيسة . فاذا مشى الانسان على حائط ضيق تحتهُ هوَّة عميقة ولم ينتبه الى وجود الهوة او كان النور ضئيلاً حتى لا يراها مشى بسهولة وهو لا يخاف السقوط ولكنهُ اذا رأى الهوَّة تحتهُ وحاول تحكيم قدميهِ بعقلهِ حتى لا يسقط ارتجفت رجلاهُ واصطكت ركبتاهُ وعجز عن السير او وقع في الهوة . فاعصاب رجليهِ الآلية تعمل عملها في الحالة الاولى من غير روية فيكون متقناً لا عيب فيهِ واما في الحالة الثانية فتتعرض لها اعصاب دماغهِ وقواهُ العاقلة وتحاول تحكيم رجليهِ فتوقعهما في الارتباك . وهذا شأن الموسيقي فان اصابعهُ تحرك الاوتار او المفاتيح على ما اعتادت فاذا حاول

اشراك عقلهِ معها عجزت عن عملها . بل هذا شأن الكاتب والخطيب فان كلاًّ منهما يكتب او يخطب بالبداهة ويجيد اكثر مما لو حاول الاستعانة بفكرهِ وقس على ذلك سائر الاعصاب الآلية التي اعتادت ما يسمَّى بالعمل المنعكس فان تعرُّض العقل لها يوقعها في الارتباك لذلك يصاب بسوء الهضم من يكثر اهتمامهُ بهضمهِ ويصاب بالارق من يكثر اهتمامهُ بارقهِ . وتضعف عن مقاومة الادواء اعصاب من يكثر تفكيرهُ بها

وهذا القول لا ينفي وجوب الابتعاد عن اسباب الامراض ولا يجيز التعرُّض لها عفواً فاذا علمت بوجود ميكروب التيفويد في ماء فمن الجهل والحماقة ان تشرب ذلك الماء لان مقدار الميكروبات فيهِ قد يكون اكثر من ان يستطيع جسمك مقاومتهُ ولان مجرَّد معرفتك بوجود هذه الميكروبات فيهِ يخيف اعصابك ويعجزها عن المقاومة ولكن اذا لم تعلم بوجودها فيهِ فلا تقلقنَّ مخافة ان تكون موجودة ولا يشغلنَّ بالك لان انشغالهُ يضرُّ بك سواء وُجدت فيهِ او لم توجد

وقد يكون الانسان عصبيًّا اي ان اعصابهُ شديدة الحس فيقلق لاقل سبب . ولا لوم عليهِ ولا تثريب لان العصبيين اقدر الناس على الاعمال واكثرهم مضاء فيها ومنهم العلماء والادباء والشعراء والمخترعون والمستنبطون ولكنهم اذا اكثروا من القلق على صحتهم اتلفوها ولم يستفيدوا شيئًا واذا توكلوا وتركوا التقادير تجري في اعنتها لم ينلهم من توكلهم اذى فوق ما ينالهم اذا اكثروا الحذر والتوقي وانشغال البال

الطعام الكثير ضرر وخسارة

يحكى عن ديوجنس الفيلسوف اليوناني انهُ رأى مرةً شابًّا ذاهبًا الى وليمة فقبض عليهِ وعاد بهِ الى ذويهِ مسرعًا . ولما سئل في ذلك قال اني رأيتهُ ذاهبًا ليلقي نفسهُ في تهلكة فانقذتهُ واتيتكم بهِ

ولقد اصاب هذا الفيلسوف في ما فعل لان الاكثار من الوان الطعام في الولائم يغري الشاب بالاكثار من الاكل فيسوء هضمهُ وتنحرف صحتهُ

لم يكن الناس في عصر من العصور يهتمون بامر الطعام والصحة كما هم يهتمون بهما الآن . نعم انهُ قام في العصور الغابرة اناس بحثوا في الطعام والهضم والصحة بحثًا مستفيضًا ووضعوا للاكل قواعد صحيحة مبنية على الاختبار فقال الشيخ الرئيس ابن سينا

اجعلْ طعامك كل يوم مرةً واحذرْ طعامًا قبل هضم طعامِ

وقال غيره لا تجلس على الطعام الا وانت جائع وقم وانت بما دون الشبع قانع . وقال الآخر ان اكثر الاوصاب من الطعام والشراب . ولكن هذه الاقوال قالها بعض الخاصة وقلما كان الجمهور يعمل بها او كان العامة يعرفون عنها شيئاً حتى شاع عند خاصة الرومان الاكثار من الاكل لمجرد ما يشعر به الآكل من اللذة وقتما يأكل ثم كانوا يتقيأون ما اكلوه لكي يستطيعوا ان يأكلوا غيره

وغني عن البيان ان الامراض كانت اشد فتكاً في العصور الغابرة منها الآن بدليل قلة ازدياد الناس من سنة الى اخرى ومن قرن الى آخر . فان الناس الذين انتشرت عندهم العلوم الصحية الآن يتضاعفون كل نحو خمسين سنة ما عدا الذين قصدوا تقليل نسلهم بالفعل كاهالي فرنسا . وقد كان عدد سكان اوربا منذ خمس مئة سنة نحو مئة مليون من النفوس فلو تضاعفوا مرة كل خمسين سنة لبلغوا الآن ٥١ الف مليون نفس اي اكثر من عدد سكان الارض كلها ٣٢٠ ضعفاً بل لو تضاعف عددهم كل مئة سنة لبلغوا ١٦٠٠ مليون نفس اي قدر سكان الارض كلها وهم لا يزيدون الآن على اربع مئة مليون نفس وهذا دليل قاطع على قلة زيادة السكان في القرون الماضية مع كثرة المواليد فيها وعلى ان الوفيات كانت تعادل المواليد تقريباً لكثرة الامراض وشدة فتكها

فما من عصر عرف فيهِ المتمدنون خاصتهم وعامتهم كيف يتقون الامراض مثل هذا العصر . وما من عصر اهتمت فيهِ حكومات الامم المتمدنة بصحة الاهلين مثل هذا العصر

ولا يراد بالاهتمام القلق وانشغال البال بل الاعتدال في المأكل والمشرب واجتناب ما فيهِ ضرر ولاسيما في اطعام الاطفال والاعتناء بصحتهم عموماً والمبادرة الى معالجة امراضهم

وهناك مسألة اخرى تتعلق بالطعام وكيفية الحصول عليهِ وهي ثمنهُ في جنب الغذاء الذي فيهِ . فان الفريق الاكبر من الناس يعملون نهارهم كلهُ لاجل الحصول على الطعام واللباس ولا يكادون يحصلون على غير القوت الضروري الذي يتبلغون بهِ تبلغاً ومن هذا القبيل كل الفلاحين والصناع والعمال . فاذا كان الرغيف الواحد يقيت الانسان ويكفيهِ في يومهِ وجب ان لا يأكل رغيفين لئلاً يخسر ثمن الرغيف الثاني ويتعب هضمهُ ويتلف صحتهُ وقس على ذلك سائر الاطعمة التي لا فائدة من اكلها او ليس فيها فائدة توازي ثمنها او من اكلها ضرر اكيد إما لانها فضلة زائدة عما يحتاج اليهِ الجسم او لانها ضارّة لذاتها

ومن حسن الحظ ان فطرة الانسان ترشدهُ غالباً الى اختيار الطعام المناسب والى المقدار الكافي منهُ . فذوقهُ يمنعهُ من اكل ما هو فاسد او ما ليس صالحاً . وقابليتهُ تقف عند حد

الشبع ولا تتجاوزهُ الاَّ مكرهةً · فاذا اعتمد على ذوقهِ وعلى قابليتهِ ولم يجبر نفسهُ اجباراً على الأكل الكثير بل اكتفى بما هو عند حد الشبع او بما هو دونهُ استفاد صحة ولم يخسر مالهُ هدراً والاَّ ايفت صحتهُ واضطرَّ ان يزيد تعباً لكي يبتاع ما لا حاجة بهِ اليهِ من الطعام

من اين المعلمات

كان عدد السكان في القطر المصري في العام الماضي ١٢ مليوناً من النفوس · ومعلوم ان الزيادة السنوية في عدد السكان هي نحو واحد ونصف في المئة فستكون زيادة السكان هذه السنة ١٨٠ الفاً من النفوس نصفهم اناث ونصفهم ذكور اي ان البنات اللواتي كنَّ في العام الماضي في السن الذي يدخلن فيهِ المدارس قد زاد عددهن هذه السنة نحو تسعين الف بنت فاذا فرضنا ان عند نظارة المعارف ومجالس المديريات معلمات كافيات لتعليم كل البنات اللواتي كنَّ في سن التعلم فالزيادة التي حصلت هذه السنة تقتضي وحدها الفي معلمة جديدة على الاقل اذا فرضنا ان كل معلمة تستطيع ان تعلم ٤٥ بنتاً

ولسنا نقول ذلك تثبيطاً لعزائم المهتمين بتعليم البنات بل حثًّا لهم لكي يرغّبوا كل المتعلمات في التعليم باية واسطة كانت حتى يكثر المتعلمات والمعلمات على قدر الامكان لاسيما واننا سنضطر يوماً ما الى جعل المعلمات يعلمن الاحداث كلهم من البنين والبنات

كلية البنات الاميركية بمصر

احتفلت كلية البنات الاميركية بمصر باعطاء شهاداتها لتلميذتين اتمَّتا فيها دروسها العلمية ولثمانٍ اتممنَ دروسهن الاستعدادية وخطب في الاحتفال سعادة نجيب باشا غالي وكيل نظارة الخارجية الخطبة التالية

بمزيد المسرة والارتياح اجبت دعوة حضرة رئيسة المدرسة المحترمة لحضور هذه الحفلة · فراقني وراق الحاضرين طبعاً ما شهدناهُ من حسن النظام والتقدم الباهر حتى وددت لو أرى مثيلاً لهُ في كلية البنات القبطية التي يراد انشاؤُها في شهر يونيو القادم

ومما لا شك فيهِ ايها السادة ان من اهم اسباب تقدم الامم و بلوغها اوج الرفعة والمجد تعليم البنات وتربيتهن تربية فاضلة تكفل اعداد كل فتاة لان تكون زوجة قادرة على تدبير شؤُون بيتها او مملكتها الصغيرة وعلى خدمة امتها خدمة صالحة بترقية مدارك ولدها الذي

يشب في حجرها ترقية تبدو آثارها على صحيفة اعماله . تنشئهُ رجلاً عاقلاً عاملاً على سعادة امتهِ وعضواً نافعاً في الهيئة الاجتماعية لان ما يغرس في ذهنهِ في دور طفوليتهِ او مدرستهِ الاولى من المبادىء القويمة والاخلاق الفاضلة تظهر آثارهُ في رجوليتهِ . فتلك المبادىءُ الصحيحة تصحبهُ في حياتهِ ولا يقوى الزمان على محوها عملاً بالمبدإِ القائل من شبَّ على خلق شاب عليهِ

فللفتاة في هذه الحياة وظيفتان ساميتان وظيفة الزوجية التي تنحصر اجمالاً في ان تكون معواناً لزوجها على توفير اسباب المعيشة بحسن تدبيرها وشريكة لهُ تقاسمهُ السراء والضراء فتسر بسرورهِ وتخفف عنهُ اعباء همومهِ . ووظيفة الام أُم رجال المستقبل الذين يسعدون ويشقون سعادة وشقاء هي نتيجة ما تبثهُ فيهم وتذكيهِ في نفوسهم من المبادىء التي تبلغهم السعادة في الحال الاولى وتوردهم موارد الشقاء في الحال الثانية

لهذا كان من اقدس الواجبات على من يعهد اليهِ في تربية امهات الغد ورجال الغد ان يعلمهنَّ ما عليهنَّ من الواجبات لاولادهنَّ كي يدهنَّ التحلي بالفضائل والتخلي عن كل ما ينافي قواعد الدين الذي يدينون بهِ وبث الميل فيهنَّ الى معونة البشر ولاسيما مواطنيهم والتفاني في حب الوطن وفي خدمة مصالحهِ جهد الطاقة والامكان . وليقرن ذلك كلهُ باحترام النفس والاعتماد عليها والصدق في القول والثبات في العمل

هذا وانني لعلى يقين ان حضرة رئيسة هذه المدرسة الفاضلة عاملة على جعل تلميذاتها اهلاً لتلك الغاية الشريفة التي هي اعداد امهات رجال المستقبل لخدمة امتهن باحسانهن تربية اطفالهن . وفقنا الله جميعنا الى ما فيهِ سعادة الحال والمآل والتدرج في مراقي الكمال

وخطب حضرة حفني افندي ناصف مفتش اللغة العربية في نظارة المعارف الخطبة التالية

سلام على هذه الدار المباركة — سلام على هذه الحدائق الغنّاء التي انبتت تلك الثمار الشهية . وتلك الازهار النضيرة — سلام على هذه الدار التي اطلعت سماؤها تلك النجوم الزواهر . وتلك البدور السواطع

لا نحيي هذه الدار لمجرد كونها معهداً من معاهد العلم وان كان كل معهد علمي مستحقاً الاعظام والاكبار عظيماً كان او حقيراً وانما نحييها لكونها جمعت الى تثقيف العقول

بالعلوم والمعارف تهذيبَ النفوس بالاخلاق الحميدة والخصال الفاضلة · العلم اذا لم يقرن بالتربية القويمة يكون قليل الفائدة او عديمها بل ربما كان مضرًّا

مَثَلُ العلم كمصباح وهّاج يرشد صاحبهُ الى الطريق التي يريدها سواء كانت طريق خير ام شر · فصاحب المصباح يمكنهُ ان يهتدي بهِ في الليلة الظلماء الى معبد الصلاة او الى اغاثة ملهوف كما يمكنهُ ان يهتدي بهِ الى تسلق الجدران وسرقة الجيران · لا تفهموا من هذا انهُ يجب مقاومة العلم حتى لا يؤَدي الى الشر لاننا اذا جنحنا الى هذا القياس يلزمنا ان نفقأ عيون المبصرين حتى لا يستعملوا ابصارهم في السرقة والتزوير · وانما يجب ان يقرن تعليم العلوم بتربية الاخلاق حتى يكون اثر العلم خيراً محضاً

تربية الاخلاق تحدّد نطاق العلم وتحصر آثارهُ فبدلاً عن ان يكون الشخص نافعاً لنفسهِ فقط مضرًّا بغيرهِ يكون نافعاً لنفسهِ ولغيرهِ راضياً مرضيًّا

فسعادة الامة موقوفة على امرين معاً العلم وتهذيب الاخلاق · وهناك امر ثالث هو في الحقيقة اول · وهو سلامة العقل الفطري من الضعف فاذا لم يكن العقل الفطري سليماً متيناً كان تعليم العلوم وتربية الاخلاق كزرع في ارض غير خصيبة · وهذا سرّ ما نجدهُ من التفاوت بين المتعلمين في معهد واحد بطريقة واحدة

ولا يكفي في سعادة الامة تعليم العلم والتربية للبنين فقط · بل لا بد من تعليم البنات وتربيتهم مع البنين او قبلهم · مهما تعلم الرجل وتربّى ففائدتهُ في الغالب قاصرة عليهِ وقلما يكون مفيداً لغيرهِ الاَّ اذا احترف حرفة التعليم والارشاد · اما المرأة فهي من طبعها معلمة · خلقت المرأة معلمة بالطبع · فهي مع رفيقاتها معلمة · وفي منزلها معلمة لاولادها وخدمها وعشيراتها · فهي كل يوم تعطي دروساً وفي كل وقت تلقي مسائل وتطبيقات لا نهاية لها فاليوم السعيد هو اليوم الذي نرى فيهِ المصريات جميعهنَّ متعلمات حتى تكون المعيشة هنيئة والاسرة في نعيم مقيم ومرافق الامة آخذ بعضها بحجز بعض

واني وان كنت مسروراً مما شاهدتهُ هذا اليوم من آثار التعليم والتهذيب اوصي حضرة رئيسة المدرسة ان تجعل العناية بكل علم بمقدار ما لهُ من الفائدة · ولا ارى اكثر فائدة من اللغة العربية · العلوم والفنون كنقود وجواهر كريمة محفوظة في صندوق من حديد ومفتاح هذا الصندوق هو اللغات

نحن في مصر التي تحوي من النفوس اثني عشر الف الف و يتاخمها من غربيها الغربُ الادنى والاقصى ومن جنوبيها السودان والصحراء الكبرى وما اليها من البلاد العربية ومن

الشرق الشام والعراق والحجاز واليمن وما يصاقبها من البلاد العربية . هؤلاء الالوف والملايين لهم لغة مشتركة يتفاهم بها الجميع وهي اللغة العربية الصحيحة وان كان لكل صقع منهم لغة عامية خاصة . فالذي يعرف اللغة العربية يملك مفتاح هذا الصندوق ويمكنهُ ان ينفع بما فيهِ جميع هذه البلاد قريبها وبعيدها بخلاف من لا يحسن هذه اللغة فان فائدتهُ لا تتجاوز نفسهُ

وقد عرف قيمة هذا المفتاح كثير من المستشرقين في اوربا فاستخرجوا الكثير من الكنوز ونقبوا عن الكتب العربية المفيدة وطبعوها ونشروها وافادوا بما استخرجوهُ منها من النفائس انفسهم وغيرهم

ويكفي في الحصول على مفاتيح هذه الكنوز قوة العزائم . لا اريد بالعزائم الكلمات التي يقرأها المشعوذون وانما اريد بها علو الهمم في الحصول على ذلك المفتاح الثمين الذي يمكن حاملهُ من نفع اكثر البلاد الشرقية بالكنوز الواصلة الينا من البلاد الغربية . ويمكنهُ ايضاً من استخراج الكنوز الشرقية المدفونة في بطون الكتب العربية من منذ اكثر من الف سنة

واحسن شيء أنَّ استخراج هذه النفائس لا يحتاج الى الحصول على رخصة من مصلحة الآثار القديمة ويأمنُ مستخرجها من مقاسمة الحكومات لهُ في ثمرات اتعابهِ

وانما حدا بي الى هذه الوصية ما رأيتهُ في كثير من المعاهد الاهلية من جعل اللغة العربية كقدح الراكب يعلق في آخرة الرحل . فآمل ان يكون حظ اللغة العربية في هذا المعهد في العام القابل اوفر من حظها في هذا العام وان كان حظها في هذا العام حسناً في الجملة

حفني ناصف

ثم تلا حضرة اسعد افندي داغر مخمساً عامراً نظمهُ لهذه الحفلة فاقتطفنا منهُ ما يلي .
قال بعد ما استهلَّ بوصف الليل والصباح واستطرد الى عيد كلية البنات هذا

وبحشمت الشهم الخطير أُرحبُ وعلى سعادته ثنائي يُطرب
وبشكرهِ يحلو النشيد ويعذب وعليَّ يمليهِ المزار فاكتب
والعندليب يعيدُ ذلك منشدا

فيهِ مدارس مصر طابت منجعا وزكت لطلاَّب المعارف مرتعا
فأسال واديها الخصيب الممرعا بجنان علم بات فيها مترعا
وبهنَّ عصر شباب مصر تجدَّدا

لله كم فيها لاحمد مأثره تروي بعجز سعي حشمت مخبره
غرر على وجه الزمان منوّره بفعاله وله الثناء مسطره
وعليهِ نتلوهُ ثناءً وموحدا

اهلاً بكم أذوي الحصافة والنهى وبكنّ ربّات اللطافة والبها
بقدومكم وقدومكنّ المشتهى دار العلوم زهت وطاولت السهى
وتسربلت عزّا ونالت سؤددا

أرباضها أنست بكم واستبشرت ورياضها اخضلّت بكنّ وأزهرت
وسماؤها بشموسكنّ تنورّت وجيوبها بشذائكنّ تعطرت
وجبينها بسنائكنّ تورّدا

هي جنّة الآداب بل هي دارها وجميع من في المنتدى زوّارها
حجّوا اليها اليوم اذ أزهارها طلعت وفاح عبيرها وثمارها
ينعت ومدّ القاطفون لها يدا

وهي ارتقاء بنات مصر موطئه ولهنّ اسباب النجاح مهيئه
سل من ربون بهــا فكلٌ منبئة بحصولهنّ على العلوم المبرئة
من داء جهل كم يقود الى الردى

يا خير مدرسة رأتهــا القاهره في افقها مجلى الشموس الباهره
شادوك مطلعة النجوم الزاهره وبنوك مرضعة المبادي الطاهره
فاستأهلوا شكراً يدوم مخلّدا

والله أسال حفظ هذي المدرسة ابداً على صخر النجاح مؤسسه
وبقاءها مغنى الصلاح ومغرسه ودوامها حرم العفاف ومقدسه
وحمى التقى والطهر بل علم الهدى

اسعد داغر



القارب الطيار

يحاول رجل فرنسوي الاصل من المقيمين في مدينة شيكاغو باميركا عمل قارب بخاري ذي جناحين ليعبر بهِ الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا في ٣١ ساعة فقط . وثقل هذا القارب وجناحيهِ وذنبهِ ٥٠٠٠ ليبرة وجناحاهُ كبيران جدًّا فيستطيع ان يرفع بهما ما ثقلهُ ١٦٠٠٠ ليبرة اي ما يوازي ثقل ستة رجال وامتعتهم وما يلزم لآلتي القارب من الوقود

والآلتان بخاريتان من نوع التربين قوة كلٍّ منهما ١٥٠ حصانًا وثقلها ٢٥٠ ليبرة ويوقد فيها فحم الكوك المضغوط . وكل آلة تحرك مروحتين واحدة في المقدم وواحدة في المؤخر . وطول الجناحين من طرف الى طرف ١٠٠ قدم وطول القارب ٣٥ قدمًا وعرضهُ ست اقدام ونصف قدم وجناحاهُ وذنبهُ من معدن الالومنيوم

مواسير الورق

يصنع الفرنسويون الآن مواسير الغاز من الورق اما بسبك رب الورق في القوالب كما تسبك مواسير الحديد واما بتشبيع الورق المتين من الزفت ولفها على اسطوانة من الحديد طبقات بعضها فوق بعض حتى يصير من ذلك انبوب لجدرانهِ الثخن المطلوب

اسلوب جديد لرفع الماء

اريد رفع الماء من نهر لي ببلاد الانكليز الى خزان يسع ثلاثة آلاف مليون جالون لكي تستقي منهُ مدينة لندن فوُضع عليهِ خمس طلمبات كبيرة واحدة منها ترفع كل دقيقة عشرين الف جالون والاربع الباقيات ترفع كلٌّ منها اربعين الف جالون في الدقيقة

وهذه الطلمبات الخمس لا ترفع الماء بقوة البخار مثل الطلمبات البخارية بل بقوة انفجار الغاز والهواء فوق الماء فليس هناك بستون ولا فراش . وكل ما فيها غرفتان وانبوب متصل

بهما وبالنهر وبالخزان فيُدفع الغاز والهواء الى احدى الغرفتين حيث يحترق بشرارة كهربائية كما يحترق في الاوتوموبيل ويدفع الماء الذي تحتهُ فيجري الى الغرفة الاخرى ومنها الى الانبوب المتصل بالخزان

وهذه الطلمبا بسيطة جدًّا في تركيبها قوية في فعلها وقد اخترعها رجل انكليزي . فعسى ان تنتبه لها نظارة الاشغال العمومية حينما تريد تركيب الآلات الرافعة على المصارف لعلَّ نفقاتها اقل من نفقات الآلات البخارية العادية

اكبر السفن البخارية

بنيت الآن سفينة بخارية في بلاد الانكليز اسمها اكويتانيا طولها من الاقدام الانكليزية ٩٠٢ وعرضها ٩٧ وعمقها ٦٤ وتفريغها ٤٩٤٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية التي تسيرها ٦٠٠٠٠ حصان وهي تسع من البحارة والركاب ٤٢٣٠ وفيها من الغرف المحكمة التي لا يدخلها الماء اذا اقفلت ٤١ غرفة في قاعها المزدوج و ٤٤ غرفة في جرم السفينة فوق قاعها المزدوج . وهي مصنوعة حتى لا تغرق ولو دخل ماء البحر الغرف الخمس الاولى من مقدمها او الغرف الست من مؤخرها او الغرف الخمس من وسطها بل تبقى ثابتة جارية على حالها . وقد انزلت هذه السفينة الى البحر في ٢١ ابريل الماضي

واكبر من هذه الباخرة وترلند الالمانية التي انزلت الى البحر في ٣ ابريل في همبرج فان طولها ٩٥٠ قدماً وعرضها ١٠٠ قدم وثقل دفتها ٩٠ طناً وقوة آلاتها البخارية ٧٠٠٠٠ حصان وفيها مصابيح كهربائية متحركة لانارة ما امامها وحولها قوة نور كل منها ثمانون الف شمعة ويرى نورها على ثلاثين ميلاً ويمكن ان تنار بها الاجسام البعيدة عن الباخرة سبعة اميال . وفي الباخرة ٨٤ قارباً من قوارب النجاة

اللحم الصناعي

صنع كيماوي بلجيكي مادة تشبه اللحم طعماً وهي اكثر منهُ غذاء وذلك بنقع حبوب الحنطة وغسلها مراراً حتى يزول النشا منها ثم معالجتها بالحامض الكبريتيك والجير وترشيحها وتجفيفها فيصير منها مادة كالعصيدة طعمها مثل طعم اللحم تماماً

باب التقريظ والانتقاد

شرح القانون المدني

ان من حسنات الدهر ان يتولّى شرح القانون المدني المصري رجل خدم القضاء زماناً طويلاً واشتهر بدقة البحث واصالة الرأي مثل سعادة العالم العامل احمد فتحي باشا زغلول وكيل نظارة الحقانية . فقد تناول هذا القانون وفصّلهُ تفصيلاً وبيَّن غرض الشارع من كل مادة من موادهِ واصلح ما فيهِ من الخطإ والقصور في التعبير عن المراد . وذكر المبادئ الاساسية التي بني عليها كل فرع من فروعهِ وايضاحاً لذلك ننقل مبحثاً صغيراً من مباحثهِ وهو مدة الاجارة صفحة ٢٧١

« الاصل ان المتعاقدين احرار في تقدير مدة الاجارة فلهم ان يتفقوا على ان تكون مائة سنة او اكثر من ذلك

« الأ انهُ يجب على كل حال تحديد مدّة

« ويستثنى من القاعدة المذكورة حالتان :

« الحالة الاولى : اذا كانت الاجارة حاصلة من صاحب حق الانتفاع من دون رضا مالك الرقبة فلا تزيد مدّتها عن مدّة حق الانتفاع (مادة ٣٦٤) لان انقضاء حق الانتفاع يوجب رجوع العين الى مالكها خالية من كل حق ترتب عليها بفعل المنتفع.

« مثال ذلك : لزيدحق الانتفاع بفدّان مملوك لبكر مدّة عشرسنين او مدّة حياة بكر . اجر زيد هذا الفدان لخالد مدة خمس عشرة سنة او مدة انتفاعهِ . ففي الحالة الاولى تنقص المدة الى عشر لتكون مساوية لمدة الانتفاع . وفي الحالة الثانية اذا توفي زيد ولو بعد سنة واحدة من تاريخ التأجير تكون مدّة الاجارة سنة واحدة واذا توفي بعد عشرين سنة فالمدة عشرون سنة وهذا كلهُ اذا حصل التأجير بدون رضا مالك الرقبة سواء كان يعلم بالتأجير وابى الموافقة عليهِ او لم يطلب احد رضاهُ اصلاً

« الحالة الثانية : اذا كان الشيء المؤجر مملوكاً لقاصر لا يجوز ان تكون مدة الاجارة اكثر من ثلاث سنين سواء كان ذلك الشيء عقاراً او منقولاً . وعلة ذلك خوف التلف

على اموال القصر لان المستأجر قلما يعتني بالشيء المؤجر عنايتهُ بمال نفسهِ فاذا كانت المدة طويلة كان الخوف اكبر

« ومع ذلك يجوز ان تكون المدة اكثر من ثلاث سنين اذا صدّق المجلس الحسبي على ذلك (مادة ٣٦٤) (١)

« وهناك حالة ثالثة لم يذكرها القانون وهي اجارة الوقف لا يجوز ان تكون مدتها اكثر من ثلاث سنين عملاً بنص الشرع »

وقد الحق هذا الشرح بثلاثة فهارس كبيرة وبعض الفهارس الصغيرة تسهيلاً للمراجعة فشغلت كلها اكثر من مئة صفحة منهُ وهي من المزايا الكبرى التي يمتاز بها. فالفهرس الاول وضعت فيهِ اقسام الشرح وفصولهُ ومباحثهُ حسب ترتيبها فيهِ . والثاني رُتّب على حروف المعجم ليستدلّ بهِ على محل كل موضوع من مواضيع القونون في الشرح فتجد فيهِ مثلاً تحت كلمة ارتفاق الاشارة الى كل الصفحات التي ذكر فيها شيء عن الارتفاق . وتحت كلمة انتفاع الاشارة الى كل الصفحات التي ذكر فيها شيء عن الانتفاع . وتحت كلمة تسجيل الرهن الاشارة الى كل الاماكن التي ذكر فيها شيء عن هذا الموضوع وهلمّ جرّا . والفهرس الثالث في مواد القانون المدني مادة مادة ومكان ورود الكلام عليها في هذا الشرح . ويليهِ فهرس مواد قانون الشفعة وقانون التجارة وقانون المرافعات الاهلي وقانون العقوبات الاهلي وقانون تحقيق الجنايات ولائحة ترتيب المحاكم الشرعية وسائر القوانين التي عرض ذكرها في هذا الشرح والاماكن التي ذكرت فيها . ولا شبهة ان هذا الشرح من انفع الكتب للمشتغلين بالقضاء والمحاماة ولكل الذين لهم اشغال واعمال في هذا القطر

تاريخ الحرب البلقانية

ووصف وقائعها الشهيرة مجموعة عن اوثق المصادر

ألّف هذا الكتاب حضرة توفيق افندي طنوس من محرري جريدة البصير . بدأهُ بمقدمة قال فيها ان الحق للمدنية لا للقوة وقد ظلم الشرق بظلم حكامهِ وساد الغرب بارتقاء

(١) اسم المجلس الحسبي غير وارد في النص وسببهُ ان لائحة المجالس الحسبية متأخرة عن القانون والمجلس الحسبي هو الآن المحكمة التي من خصائصها الحكم في مسائل الاوصياء كما ورد في المادة (٥) من اللائحة الصادرة في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦

احكامهِ واضاف اليهِ صوراً كثيرة تمثل بعض الوقائع والحوادث الشهيرة في هذه الحرب. وحبذا لو طبع هذه الصور على ورق خاص مما تطبع عليهِ الصور عادة لكي تظهر جلية وحبذا ايضاً لو اضاف اليهِ خرائط تبين اماكن الوقائع ومحال الاماكن المذكورة فيهِ

الفنون

مجلة ادبية شهرية تصدر في نيو يورك لمنشئيها نسيم افندي عريضه ونظمي افندي نسيم انتقل السوريون الى اميركا فنقلوا لغتهم معهم ولكنهم اضافوا الى آدابها آداب اللغة الانكليزية وصورها وتخيلاتها. واليك مثالاً من ذلك من المقالة الاولى التي صُدّرت بها هذه المجلة وهي بقلم جبران افندي خليل جبران

« يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين . يا ليل الاشباح والارواح والاخيلة . يا ليل الشوق والصبابة والتذكار

« ايها الجبار الواقف بين اقزام غيوم المغرب وعرائس الفجر. المتقلد سيف الرهبة. المتوّج بالقمر. المتشح بثوب السكوت . الناظر بالف عين الى اعماق الحياة . المصغي بالف اذن الى أنة الموت والعدم

« انت ظلامٌ يرينا انوار السماء . والنهار نور يغمرنا بظلمة الارض

« انت املٌ يفتح بصائرنا امام هيبة اللانهاية . والنهار غرورٌ يوقفنا كالعميان في عالم المقاييس والكمية

« انت هدوءٌ يبيح بصمتهِ خفايا الارواح المستيقظة السائرة في الفضاء العلوي . والنهار ضجيج يثير بعواملهِ نفوس المنطرحين بين سنابك المقاصد والرغائب

« انت عادل يجمع بين جنحي الكرى احلام الضعفاء باماني الاقوياء . وانت شفوق يغمض باصابعهِ الخفية اجفان التعساء ويحمل قلوبهم الى عالم اقل قساوةً من هذا العالم

« بين طيات اثوابك الزرقاء يسكب المحبون انفاسهم . وعلى قدميك المغلفتين بقطر الندى يهرق المستوحشون قطرات دموعهم . وفي راحتيك المعطرتين بطيب الاودية يضع الغرباء تنهدات شوقهم وحنينهم . فانت نديم المحبين وانيس المستوحدين ورفيق الغرباء والمستوحشين

« في ظلالك تدب عواطف الشعراء وعلى منكبيك تستفيق قلوب الانبياء . وبين ثنايا

ضفائرك ترتعش قرائح المفكرين . فانت ملقن الشعراء والموحي الى الانبياء والموعز الى المفكرين والمتأملين »

والمقالة كلها على هذا النسق معاني شعرية رقيقة بل فلسفية رائقة ولكنَّ في ثوبها العربي رفعاً صغيرة تنبو العيون عنها وتودُّ النفوس لو خلت هذه الحلة منها

ويلي هذا الشعر المنثور شعر موزون لكاتب اكتفى بانهُ اليف . قال بعد ان ود ان يكون طائراً او نسمةً او موجةً او شعاعة او صخرة

« ليتني كنت في العواصف برقاً   شق جسم السماء كالقرضاب
ضاحكاً حينما السحابة تبكي   راقصاً كالفؤاد رهن العذاب
مبصراً كل ما يصير من الناس — نذيراً لهم بسوء العقاب
طائراً في السماء دون مقرٍّ   في فضاء الصحراء فوق السحاب
ان في الجو فسحة للاماني   ومجالاً لخاطر كالشهاب »

ثم شعر منثور لامين افندي ريحاني ابدع فيهِ ما شاء وشاءت قريحتهُ . واسلوبهُ معروف عند قراء المقتطف

ويلي ذلك قصص وفصول مترجمة لبعض مشاهير الكتاب . فعسى ان يفلح المهاجرون السوريون في اقتدائهم بعلماء اميركا واغنيائها كما افلحوا في اقتدائهم بادبائها وشعرائها

تقويم البلدان

الفهُ حضرة محمود افندي مراد خريج القسم العالي بمدرسة المعلمين الخديوية وحلاهُ بنحو ٦٠ شكلاً وخريطة مثبتاً فيهِ شهرة المدن المهمة وعني بضبط الاعلام بالشكل على ما في اوثق المصادر ووعد بان يوجه شطراً كبيراً من العناية لرسم الانهار وتوضيحها في الطبعة الثانية

مقياس الروضة

Nile Gauge at Roda.

رسالة نفيسة الفها بالانكليزية حضرة محمد افندي قاسم مفتش ادارة الارصاد الجوية بمصر . ومما جاء فيها ان مقياس الروضة الحالي ينسب الى الامير عثمان بن زيد التنوخي اقامهُ في سنتي ٩٦ و٩٧ للهجرة (٧١٥ للميلاد) في خلافة الوليد واخيهِ سليمان ابني عبد الملك بن معاوية

وكان في حلوان مقياس ينسب الى الامير عبد العزيز بن مروان الذي ولاهُ ابوهُ مصر في غرة رجب سنة ٦٥ وامره في شعبان سنة ٦٩ ان يقيم ذلك المقياس . وقد خرب مقياس حلوان سنة ٩٦ كما ذكرهُ المؤرخ القبطي جرجس بن العميد . وأصلح مقياس الروضة اولاً سنة ١٩٩ اصلحهُ الخليفة المأمون ثم اصلحهُ الخليفة المتوكل على الله سنة ٢٤٧ وامر احمد بن محمد الحاسب ان يختار ايات من القرآن واشارات الى الغيوم والرياح والامطار والري والغلال والملاحة وينقشها على جدران المقياس الاربع . واعيد ترميم المقياس مراراً بعد ذلك في عهد الخليفة المستنصر وعهد السلطان سليم الاول والسلطان سليم الثاني والسلطان سليمان والسلطان مصطفى الثالث وحمزه باشا والامير علي بك الكبير

ويلي ذلك جداول مقاييس النيل اليومية من سنة ١٨٧٢ الى سنة ١٩١٠ ورسوم تبين ذلك ورسم المقياس في حالهِ الحاضرة ومكانهُ من جزيرة الروضة

الجامعة المصرية

تقرير مجلس ادارتها عن السنة المدرسية الماضية

يظهر من هذا التقرير ان دخل الجامعة بلغ في السنة الماضية ١٠٢١٨ جنيهاً مصرياً وكان في السنة التي قبلها ٩٥٨٨ جنيهاً وان نفقاتها بلغت ٩٠٦٩ جنيهاً وكانت في السنة التي قبلها ١٠٠٨٢ جنيهاً وان ما تمتلكهُ الجامعة الآن يساوي ٤٠٥٧٩ جنيهاً واكثر دخلها من ديوان الاوقاف فانهُ يعطيها ٥٠٠٠ جنيه كل سنة ومن الحكومة فانها تعطيها ٢٠٠٠ جنيه كل سنة ولها دخل من تشغيل نقودها وايجار اطيانها يبلغ نحو الفي جنيه . وكل ذلك ليس مما يذكر في جنب دخل الجامعات الاوربية والاميركية التي يقدَّر دخل الواحدة منها بمئات الالوف من الجنيهات

والعلوم التي تدرَّس في الجامعة المصرية الآن ثمانية وهي هذه مع اسماء اساتذتها

العلم	الاستاذ
(١) آداب اللغة العربية	الشيخ محمد المهدي
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية	المسيو غستون ڤيت
(٣) تاريخ الامم الاسلامية	الشيخ محمد الخضري
(٤) تقويم البلدان ووصف الشعوب	اسمعيل بك رأفت

(٥) الفلسفة العربية وعلم الاخلاق الشيخ طنطاوي جوهري
(٦) تاريخ المذاهب الفلسفية المسيو لويس ماسنيون
(٧) تاريخ آداب اللغة الانكليزية المستر بري هوَيْت
(٨) تاريخ اداب اللغة الفرنسوية المسيو لويس كليمان

وعدد الطلبة الآن ٧٥ وقد اوقف الفرع النسائي ريثما توفق الجامعة الى وضع الخطة التي تتبعها في القاء الدروس والخطب عليهن حتى تكون موافقة لحاجاتهنّ

وقد الحق بهذا التقرير جدولان ذكرت في اولها جنسية الطلبة وفي الثاني اديانهم

الجدول الاول

	رجال	نساء	الجملة
مصريون	٣٦	٠	٣٦
فرنسويون	١	٦	٠٧
المانيون	٤	٠	٤
نمساويون	١	٠	١
ايطاليون	٤	٧	١١
يونانيون	٤	٠	٤
عثمانيون	٤	٠	٤
اسبانيون	١	٠	١
روس	١	٠	١
تتر	٢	٠	٢
جراكسة	٣	٠	٣
فرس	١	٠	١
الجملة	٦١	١٤	٧٥

فالمصريون اقل من النصف ويتلوهم الايطاليون فالفرنسويون فالعثمانيون واليونان والالمان

الجدول الثاني

مسلمون	مسيحيون	اسرائيليون	الجملة
٤٠	٢٩	٦	٧٥

اصل الفيلبيين الملقيين

Origin of the Malayan Filipinos by Dr. Najeeb M. Saleeby.

ذهب الدكتور نجيب الصليبي السوري الى جزائر فيلبين طبيباً من قبل الحكومة الاميركية فلم يكتف بالقيام بما نُدب لهُ بل بحث بحثاً علميًّا في لغات الاهلين واديانهم ووضع في ذلك كتاباً كبيراً اشرنا اليهِ في حينهِ والآن بعث الينا بخطبة تلاها في اكادمية فيلبين العلمية في اصل الفيلبيين الملقيين · و يظهر من هذه الخطبة ان الآثار القديمة قليلة جدًّا في جزائر فيلبين وكل نقوش السكان القديمة منقوشة على القنا الهندي ولكن ليس فيها شيء تاريخي ولا يعلم شيء من تاريخ السكان قبل القرن الخامس عشر لكن الدكتور صليبي لم ييأس من البحث عن تاريخهم في اخلاقهم وديانتهم ولغاتهم وهذا ما فعلهُ في هذه الخطبة فاستدل على ان سكان الجبال منهم ملقيو الاصل وديانتهم هندية اصلاً ولغتهم فرع من السنسكريت وانهم جاؤُوا من الهند اصلاً مثل كل الملقيين

كتاب دليل لبنان وسوريا

مؤلفهُ حضرة بولس افندي مسعد وقد صدر منهُ الجزء الاول في نحو ٤٥٠ صفحة وستليهِ ثلاثة اجزاء اخرى · وفي هذا الجزء فوائد كثيرة في جغرافية البلاد السورية واقسامها السياسية وحوادثها التاريخية وتجارتها ومصنوعاتها وعادات اهلها واديانهم · وقد ورد في صفحة ١٦ منهُ اسم عدليب بدل ادلب وهو اسم قرية في ولاية حلب وفي صفحة ٢٣ عربيد بدل اربد وهي قرية بحوران ·وجاء فيهِ ايضاً ان تلوزا احدى قرى نابلس هي شكيم القديمة والذين بحثوا في ذلك يقولون ان مدينة نابلس نفسها هي شكيم · وهذه الاغلاط الطفيفة لا تحط من قدر هذا الكتاب النفيس ومنفعتهِ

كتاب العرب واطوارهم

وضعهُ حضرة محمد افندي عبد الجواد الاصمعي واسمهُ يدل على ابحاثهِ وقد صدر الجزء الاول منهُ وهو حافل باخبار العرب في الجاهلية وفيهِ كلام مفصل عن قبائلهم ودولهم وما كان لهم من الحضارة وما امتازوا بهِ من مكارم الاخلاق كالشجاعة والكرم والوفاء و بيان عاداتهم · ومما يزين هذا الكتاب ويزيد منفعتهُ ذكر الاشعار التي يدعم بها المؤلف آراءهُ

مرشد المترجم الصغير

كتاب لتعليم الترجمة من الانكليزية الى العربية ومن العربية الى الانكليزية وضعهُ موٴلفاهُ حضرة محمد السيد بك وكيل مدرسة المعلمين الناصرية وحضرة عوض ابراهيم بك وكيل المدرسة السعيدية لطلبة شهادة الدراسة الابتدائية وراجعهُ جناب المستر استيفنز استاذ اللغة الانكليزية بمدرسة المعلمين الناصرية . ويقع في ١٤٠ صفحة



باب الاخبار العلمية

عدد رجال العلم في اوربا

صدر كتاب دليل العلماء لسنة ١٩١٣ في لندن وقد عُدَّ العلماء الذين ذكرت اسماؤُهم فيهِ فكانوا ١٦٧٨ من الاميركيين و١٤٧٢ من الانكليز و١٢٨٠ من الالمان و٤٢٣ من الفرنسويين و٣٤٨ من النمسويين و٢١٥ من الايطاليان و٢١٤ من السويسريين و١٥٥ من الهولنديين و١٤٦ من اهل كندا باميركا الشمالية و١٠٩ من الاسوجيين و٩٧ من الروس و٩٣ من الدنماركيين و٩٠ من البلجيكيين و٨٨ من النروجيين . و يمكن الاخذ بهذه الارقام في مقابلة عدد المنصرفين للاشتغال بالعلم في كل من البلدان المذكورة الاَّ في بلاد الانكليز والولايات المتحدة الاميركية اذ لا بد وان يكون الموٴلف قد ذكر من العلماء فيهما مَن لم يذكر امثالهم في سائر البلدان وذلك لكثرة اطلاعهِ على اخبار ابناء لغتهِ وكتاباتهم العلمية

حديقة للطيور

في ولاية ميشيغان باميركا حديقة للطيور تبلغ مساحتها نحو ٨ افدنة وتحيط بها وتغطيها الشباك حتى لا تقدر الطيور ان تفلت منها . وفيها نحو ٥٠٠ طائر من انواع مختلفة وقد حمل اليها اخيرًا ٦٠٠ طائر جديدة من الطيور الانكليزية المغردة

توهم روٴية الارواح

حدث من مدة ان احد مأموري الصحة في مدينة بوستن بالولايات المتحدة الاميركية دعي للتحقيق في امر بيت شاع ان الارواح تتردد اليهِ لان الاولاد والخدم في الطبقتين الثالثة والرابعة منهُ كانوا يرون احلاماً غريبة

ويستيقظون مذعورين ويسمعون اصواتاً يقولون انها اصوات الارواح. ولدى التحقيق ثبت له ان سبب ذلك اختلال في موقد البيت كثر معه تولد الغازات السامة وانتشارها في الطبقتين المذكورتين. وفعل تلك الغازات باجسام اهل البيت وتأثيرها في اعصابهم جعلاهم يرون الاشباح والارواح

العناية بنظافة المطاعم

رأت مصلحة الصحة في مدينة جكسونفيل باميركا ان توكل احد رجالها بتفتيش المطاعم. فجعل هذا يتردد اليها ويتفقد امور النظافة فيها ثم ينشر في الجرائد في آخر كل شهر بياناً يرتب فيه اسماءها ويردف كلاً منها بعلامة تدل على مبلغ نظافته . فاشتدت عند ذلك المنافسة بين اصحاب المطاعم لخوف كل منهم ان يعرض عنه زبائنه اذا ظهر ان مطعم غيره انظف من مطعمه وزادت العناية بنظافة المطاعم كلها

مراكز التلغراف اللاسلكي

في العالم ٣٧٥ مركزاً عمومياً للتلغراف اللاسلكي مما اقيم على الشواطئ منها ١٤٢ في الولايات المتحدة الاميركية و ٣٣ في كندا و ٤٣ في بريطانيا العظمى و ٢٢ في المانيا ومستعمراتها و ١٩ في ايطاليا و ١٩ في روسيا و ١٧ في فرنسا و ١٠ في اسبانيا و ٩ في الدنمارك . وفي المستعمرات الانكليزية والفرنسوية بضعة مراكز ايضاً

اما في السفن الحربية فللولايات المتحدة ٢٤٧ وللانكليز ٢١٣ ولفرنسا ١٤١ ولالمانيا ١١٢ ولايطاليا ٧٧ ولليابان ٧٠ ولروسيا ٧٠ وفي السفن التجارية للانكليز ٤٥٥ وللولايات المتحدة الاميركية ٢٥٣ ولالمانيا ٢٠٦ ولفرنسا ٦٨ ولايطاليا ٤٧

بقايا الاميركيين الاصليين

يبلغ عدد الاميركيين الاصليين في كندا وهي من الاملاك الانكليزية في اميركا الشمالية ١٠٣٦٦١ نفساً قدّر دخلهم سنة ١٩١٠ بما يأتي من الجنيهات ٢٩١٩٩٢ من الزراعة و ١٣٨٣٢٥ من صيد السمك و ١٦٣٨٨٤ من صيد الحيوان و ٤٧٣٥٠ من تربية البقر و ٤٧٨٥٩٢ من الاعمال الاخرى

ومنهم في الولايات المتحدة ما عدا الاسكا ٣٢٣٤٠٣ يملكون من العقارات ما ثمنه ١٣٥٧١٣٢٥٠ جنيهاً واهم الاعمال التي يتعاطونها تربية المواشي ثم الزراعة ويبلغ ثمن مواشيهم ٢٩٢٠٥٠٦ جنيهات . ويتعاطون من الاعمال ما عدا ذلك حبك السلال وحياكة الملاءات وشغل الخرج وعمل الخزف وصيد السمك وقطع الخشب من الحراج وصنع اشياء اخرى من الخرز

آثار الشعراء

بيعت بالامس آثار الشاعر برونِنغ الانكليزي وآثار زوجتهِ وهي من نوابغ الشواعر فبلغ ثمنها ٢٧٩٣٤ جنيهاً ومن ذلك سلتان تحويان المكاتيب الحبية التي تراسلا بها فبلغ ثمنها في المزايدة ٦٥٥٠ جنيهاً . ونسخة الشعر المعروف باغاني البرتغالي و بلغ ثمنهُ ١١٣٠ جنيهاً والشعر المعروف بالاورورا لاي و بلغ ثمنهُ ٩٣٠ جنيهاً وكلاهما من نظم مسز برونِنغ ونسخة الشعر المعروف بالاسولاندو وهو من نظم برونِنغ نفسهِ بلغ ثمنها ٩٩٠ جنيهاً والشعر المعروف « بكلمة اخرى » وهو ست صفحات بلغ ثمنها ١٧٦ جنيهاً . ولكن بيعت صورهُ وصور زوجتهِ وتماثيلها من الرخام والبرنز باثمان بخسة جداً

الوفيات بالسرطان

ظهر من احصاء الوفيات في ولاية مستشوستس بامـيركا ان عدد الوفيات بالسرطان سنة ١٩١٠ زاد ٦٦ في المئة على عدد الوفيات بهِ سنة ١٨٨٠ . ومن سنة ١٩٠٠ حتى الآن زاد ٣١ في المئة

رصاص مخدّر

اخترع احدهم نوعاً من الخرطوش الذي تحشى بهِ البنادق يجعل تحت غلاف رصاصتهِ قليل من المورفين و يقال ان المصاب بهِ سواء كان انساناً او حيواناً يتخدَّر فلا يحسّ بالالم . وقد استلفت هذا الاختراع انظار بعض الاطباء والضباط العسكريين والمولعين بالصيد فعينوا لجاناً لترى هل يمكن الانتفاع بهِ

زهرة بنغازي

لم يكد الايطاليون يحتلون بنغازي حتى جعل العلماء يهتمون بآثارها القديمة فوجد احد العرب تمثالاً يونانياً بديعاً من الرخام من تماثيل الزهرة الهة الجمال يمثلها واقفة وهي تعقص بيديها جديلتين من شعرها وقد لبست سواراً بمعصمها الايسر وجدهُ في مكان يسمى السليمانية في ضواحي بنغازي وباعهُ من احد الفرنسويين ووصل اخيراً الى رومية . و يظن النحاتون الايطاليون انهُ من صنع بركسيتلس النحات اليوناني الذي نشأ في القرن الرابع قبل المسيح

الاميبا والدوسنطاريا

نشر الكبتن ولز من الهند فصلاً في علاقة الاميبا (الزجرج) بالدوسنطاريا جاء فيهِ ان انواع الاميبا التي تسبب الدوسنطاريا لا تعيش اكثر من ساعتين بعد خروجها من الجسم اما الانواع الاخرى من الاميبا التي لا تضر فتعيش اكثر من ذلك و يمكن تربيتها

البحث الزراعي

لا يخفى ان الولايات المتحدة الاميركية فاقت البلدان كلها في اتقان الزراعة وكثرة نتاجها حتى يقدر ثمن حاصلاتها الزراعية في السنة باكثر من الف مليون جنيه ومع ذلك يقال ان المستر فنسنت استور المثري الاميركي عازم ان يوقف ثروتهُ كلها على الابحاث الزراعية لتقدم الزراعة في الولايات المتحدة كما فعل ركفلر بتخصيص مبلغ كبير من المال للابحاث الطبية حتى تصير الاعمال الزراعية كلها مبنية على العلم ومنتجة اكبر النتائج

قرصان اوربا

كثر القرصان في اوربا في القرن الخامس عشر والسادس عشر حتى قال والي جزيرة زنتي البندقي ان كل بحارة الانكليز قرصان . وسبب ذلك ان حكومات اوربا كانت تتغاضى عن انصاف التجار الانكليز ان سلب قرصانها بضائعهم فاضطرت الحكومة الانكليزية ان تجيز لتجارها وبحارتها استرداد اموالهم بكل واسطة ممكنة وكانت تعطيهم اوامر مكتتبة بذلك فصاروا يتناقلونها ويعملون بها فكثر سلب بضائع التجار في البحار حتى اضطرت انكلترا ان تعامل القرصان بالشدة وتحكم على كثيرين منهم بالقتل فقلَّت القرصنة رويداً رويداً الى ان زالت

قيمة الآثار القديمة

الَّف الدكتور جورج بارتن كتاباً موضوعهُ قيمة الاحاديث القديمة ذكر فيهِ ان بين الآثار البابلية كتابة قديمة ذكر فيها اسم ابرهيم وهذه ترجمتها « ثور مدرَّب على الحرث يخص ابن سن بن سن امغراني استأجرهُ ابراما (ابرهيم) بن اول اشتار لمدة شهر بشاقل من الفضة بواسطة كشتي نبيوم وقد قبض كشتي نبيوم نصف الاجرة » وهذا يدلُّ على ان ابرهيم اسم رجل لا اسم قبيلة او شعب كما ادَّعى بعض المنتقدين

سبب الحمى

لقد ثبت بالامتحان ان سبب الحمى اي سخونة الجسم في بعض الامراض هو هضم المواد البروتينية في الدم والانسجة . وان البكتيريا (الميكروبات) هي مواد بروتينية حية فانها تدخل الجسم وتتكاثر فيهِ وتتحوَّل موادهُ البروتينية الى بروتينات بكتيرية وحينما تتم مدة حضانتها تفرز خلايا الجسم مادة خميرية تهضم البكتيريا وتهلكها . وهذا العمل يولّد حرارة وهي الحمَّى . فالحمى علامة صالحة لانها تدلُّ على ان الجسم آخذ في قتل الميكروبات التي فيهِ ولكن اذا زادت الحمَّى كثيراً حتى فاقت الدرجة ١٠٥ بميزان فارنهيت (او نحو ٤٠ ونصف بميزان سنتغراد) صار منها خطر على الحياة

فائدة التطعيم في التيفويد

ظهرت فائدة التطعيم للوقاية من التيفويد في الجنود الاميركية التي كانت في ولاية تكساس سنة ١٩١١ فان عددها كان ١٢٨٠٠ ومع ذلك لم يصب بالتيفويد منها الا رجل واحد. وكان سنة ١٨٩٨ في فلوريدا باميركا ١٠٧٥٩ من الجنود في احوال مشابهة تماماً للاحوال التي كان فيها الجنود في تكساس فاصيب منهم ٢٦٩٣ بالتيفويد والفرق بين جنود فلوريدا وجنود تكساس ان جنود فلوريدا لم يطعموا للوقاية من التيفويد وجنود تكساس طعموا . ويقال ان الجنود الفرنسوية التي طعمت للوقاية من التيفويد وذهبت الى مراكش لم يصب احد منها بالتيفويد مع ان الوسائل الصحية هناك على اردإِ ما يكون

اكثر الشعوب الاميركية عمراناً

قدم المستر السورث هنتنتن مقالة الى الجمعية الفلسفية الاميركية بيَّن فيها ان شعب المايا الاميركي كان ارقى الشعوب الاميركية الاصلية عمراناً بدليل ما ابقاهُ من المباني والنقوش وبدليل انهُ اتصل من تلقاء نفسهِ الى نوع من الكتابة الصورية . والبلاد التي توجد اكثر آثارهِ فيها الآن وخمة الهواء لا تصلح للحضارة ولكن يظهر انها كانت مرتفعة جافة في قديم عهدها ثم انخفضت بفعل بركاني فصارت كثيرة الرطوبة فاسدة الهواء

اختلاط الاجناس في اميركا

ظهر من الاحصاء الاخير في اميركا ان في ولاية نيويورك ٣٢٥ ٣٢٣٠ ٣٢٣ او ٣٥,٤ في المئة من البيض الذين آباؤُهم من سكان اميركا و ٢٤٨ ٠٠٧ ٣ او ٣٣ في المئة من البيض الذين ولدوا في اميركا ولكن آباؤُهم غير اميركيين كلهم او احد الوالدين اميركي والآخر غير اميركي . و ٢٧٢ ٧٢٩ ٢ او نحو ٣٠ في المئة من البيض الذين ولدوا في غير اميركا و ١٩ ١٣٤ او نحو واحد ونصف في المئة من السود . وعليهِ فثلاثة وستون في المئة من سكان ولاية نيويورك اما انهم ولدوا في غير اميركا او ولدوا فيها ووالداكل واحد منهم غير اميركيين او احدهما اميركي والآخر غير اميركي ومع ذلك تعترف اميركا بهم كلهم انهم صاروا من الاميركيين لهم ما للاميركيين وعليهم ما على الاميركيين وبذلك ارتقت تلك الولايات وصار عدد سكانها الآن نحو مئة مليون من النفوس

اما الذين ولدوا في غير اميركا من سكان ولاية نيويورك فعشرون ونصف في المئة منهم ولدوا في روسيا و١٧ وثلث في ايطاليا و١٦ في المانيا و٤ ونصف في كندا و٣ ونصف في المجر و٢ في اسوج و٨ ونصف في سائر البلدان

نبات القطن الحريري

من النبات البري نوع لهُ لوز كاوز القطن فيهِ مادة حريرية كزغب الشوك لكنها لا تشتبك بعضها ببعض لتغزل وتنسج كشعر القطن فتستعمل لحشو الوسائد ونحوها. وهذا النبات كثير في براري السودان على ما يظهر وحكومة السودان تسعى الآن الى اصدار زغبهِ والمتاجرة بهِ . ومما يحسن ان تنتبه لهُ هو ان الدكتور نيش كتب في جرنال جمعية الصناعة الكيماوي ان لبن هذا النبات يجمد ويصير كالصمغ الهندي ولكن صمغهُ غير جيد. واليافهُ حريرية متينة مثل الياف الكتان او امتن منها وفي بزورهِ زيت مثل زيت بزر الكتان ويمكن استعمالهُ في الدهان مثلهُ. ويمكن عمل الورق الجيد من اغصانهِ اذا عولجت بمذوب الصودا تحت ضغط شديد . فاذا اعتني بزرع هذا النبات في صحاري السودان كان منهُ ربح غير قليل من اليافهِ وزغب جوزهِ وزيت بزرهِ

زرع العين في الظهر

استخرج العالم اهلنهث عين عظاية وغرسها في ظهر عظاية اخرى حينما كانت صغيرة جدًّا فجعلت خلايا هذه العين تصغر وتضعف ثم عادت الى النمو بعد بضعة اسابيع ونمت اعصابها وامتدت في الانسجة المجاورة لها ووصلت الى عقد العمود الفقري ولعلها عادت عينًا مبصرةً ولو كانت في ظهر العظاية

الذهب المستخرج من الكلونديك

تقدر قيمة الذهب الذي استخرج حتى الآن من مناجم كلونديك في الاسكا باميركا الشمالية بثلاثين مليون جنيه

هبة اميركية

آل ١٣٠ الف جنيه الى جامعة يال الاميركية بموت المستر يوسف ليمن وكان اخوهُ الذي توفي سنة ١٩١٠ قد اوصى بهذا المال لتلك الجامعة بعد موتهِ

الحكومة الاميركية والجامعات

اقرَّت الحكومة الاميركية على منح جامعة وشنطون ١٠٠٤٧٠٠ ريال او اكثر من مئتي الف جنيه . والبحث جار الآن لتجديد مباني تلك الجامعة

وطن الخيل الاصلي

الف المستر لدكر كتابًا في الخيل والحيوانات التي تقاربها ابان فيهِ ان ليس للخيل وطنان احدها في اسيا والآخر في اميركا كما ادعى البعض بل وطن واحد في الجهة الشرقية الشمالية من اسيا او في الاسكا ومنهُ انتشرت اسلاف الخيل في اسيا واميركا في العصور الغابرة

فهرس الجزء السادس من المجلد الثاني والاربعين

